

جامعة الجزائر - 2 - أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية

مقاربة في المضامين 1930 - 1951

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث و المعاصر

إعداد الطالب:

حواس محمد

إشراف الأستاذ الدكتور:

تلمساني بن يوسف

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د مصطفى نويسر	جامعة الجزائر - 2 -	رئيسا
أ.د بن يوسف تلمساني	جامعة خميس مليانة	مقررا
د. محمد بلقاسم	جامعة الجزائر - 2 -	عضوا
د. محمد يعيش	جامعة المسيلة	عضوا
د. محمد ودوع	المركز الجامعي تيبازة	عضوا
د. بن جلول هزرشي	جامعة الجلفة	عضوا

السنة الجامعية: 2016 - 2017.

الإهداء

إلى روح والدتي الطاهرة رحمها الله و غفر لها.

إلى روح والدي الطاهرة رحمه الله و غفر له.

إلى أسرتي الكريمة، و إلى زوجتي الفاضلة

أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر و عرفان

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور بن يوسف تلمساني الفاضل الذي قبل الإشراف على هذا العمل و كان لي سندا و دعما كبيرين في كل مراحل البحث. والأستاذ الدكتور مصطفى نويصر الذي رافقني خلال إنجاز الموضوع و لم ييخل علي بنصحااته القيمة. والأستاذ الدكتور بوعزة بوضرساية الذي لم ييخل علي في تقديم يد العون. و الدكتور محمد بلقاسم الذي أدين له بالكثير في هذا الموضوع.

و من فرنسا أقدم شكرا خاصا للأستاذ الدكتور "بيار فرمران *Pierre Vermeren*" من جامعة "باريس - 1 - السوربون " الذي دعمني كثيرا في فرنسا طيلة كامل مراحل البحث. و من المغرب اشكر كثيرا الأستاذ الدكتور مصطفى الشامي من جامعة الحسن الأول بمدينة سطات. و الدكتور الغازي محمد بلعربي رئيس مؤسسة " الدار البيضاء و الشاوية عبر العصور". و الأستاذ الدكتور محمد أمين من جامعة سيدي محمد بن عبد الله ظهر المهرار بفاس.

وفي الأخير أشكر كل الذين ساعدوني لإنجاز هذا العمل المتواضع.

المقدمة

لقد تميزت الحركة الوطنية المغربية عن غيرها من الحركات التحررية في العالم بمجموعة من الخصائص. ففي حقيقة الأمر عرف المغرب حركتين وطنيتين تحريريتين واحدة في المنطقة الشمالية الخليفية. وأخرى في المنطقة الجنوبية السلطانية¹. وكان ذلك نتيجة خضوعه سنة 1912 إلى الاستعمار المزدوج الإسباني في الشمال. والفرنسي في الجنوب بالإضافة إلى خضوع مدينة طنجة للنظام الدولي منذ سنة 1923.

إذا كان هناك تحالف بين فرنسا وإسبانيا من أجل القضاء على المقاومة الريفية التي امتدت بين 1921 و 1926، فإنه بعد ذلك اتجهت كل منطقة اتجاها مغايرا للآخر. خاصة من حيث السياسة الاستعمارية التي نفذت في كل منهما. وقد أدى ذلك إلى اختلاف بين الحركة الوطنية الشمالية الخليفية و الجنوبية السلطانية. وقد تفاوت هذا الاختلاف بين مرحلة و أخرى تبعا لمجموعة من العوامل. ففي بعض المحطات التاريخية لم يكن يجمع بينهما أكثر من انتمائهما لنفس البلد تاريخيا و جغرافيا.

فقد عرفت السياسة الإسبانية في الشمال تقلبات ارتبطت بما عرفته مدريد من حالات اللاستقرار. خاصة منذ مطلع الثلاثينات من القرن العشرين. أما في المنطقة السلطانية فإن باريس قامت بكل جهودها للسيطرة على ما سماه زعيم "الحزب الاستعماري" في مطلع القرن العشرين "أوتيان أوجان" بـ "الضرورة السياسية و العسكرية و الاقتصادية لفرنسا". و ظهر ذلك في الرغبة الشديدة لتحويل "نظام الحماية" إلى "إدارة مباشرة" من خلال العديد من

¹ - سميت بالمنطقة السلطانية نظرا لأن الجنوب المغربي كان على مر التاريخ مركزا للسلطة المركزية فكل الدول التي تعاقبت في المغرب اتخذت من مدينة من المدن الجنوبية عاصمة لها مثل مدينة فاس (التي كانت أول عاصمة للأدارسة في مطلع القرن التاسع ميلادي) و مكناس (اتخذها العلويون عاصمة لهم في نهاية القرن السابع عشر) و مراكش (عاصمة المرابطين منذ القرن الحادي عشر ثم الموحيدين منذ القرن الثاني عشر و أخير السعديين في القرن السادس عشر). و بعد إمضاء معاهدة الحماية في 30 مارس 1912 نقلت فرنسا عاصمة المغرب إلى الرباط. أما المنطقة الشمالية، وتسمى كذلك بالريفية، فقد اختلفت تبعيتها للدولة المركزية بين مرحلة و أخرى. و في الحالات التي تكون فيها هذه الرابطة قوية كان السلطان يعين خليفة عنه فأصطلح على تسميتها بالمنطقة الخليفية. و بالنسبة للحركة الوطنية فقد كان هناك اختلاف كبير بينهما نظرا لتقلبات السياسة الإسبانية التي كانت تنعكس مباشرة على هذه المنطقة مثلما حدث في سنة 1931 بعد قيام النظام الجمهوري. أو في سنة 1936 بعد نجاح الجنرال فرانكو في الاستيلاء على الحكم في مدريد انطلاقا من منطقة الريف. و يلاحظ أن التأثير كان في اتجاه واحد، أي من طرف الحركة الوطنية السلطانية. فقد عرفت الحركة الوطنية الشمالية الكثير من المخططات الحاسمة و لكنها مرت بدون تأثير. فأول لائحة وطنية كان من ورائها عبد السلام بن نونة في الشمال في ماي 1931. و لكن لم يظهر لذلك تأثيرا على الحركة الوطنية المغربية. في حين شكلت "مطالب الشعب المغربي" التي أصدرتها الحركة الوطنية السلطانية في ديسمبر 1934 نقطة تحول في مسار كل الحركة الوطنية المغربية.

التشريعات و القوانين. كما حدث في 16 ماي 1930 عندما أصدرت السلطات الاستعمارية في الرباط "الظهير البربري". الذي كان بمثابة "شهادة ميلاد" و "صك اعتماد" للحركة الوطنية المغربية في المنطقة الجنوبية السلطانية. حيث كانت السياسة البربرية الفرنسية في المغرب سببا مباشرا في بداية هذه الحركة، لأن الاحتجاج عليها كان أول رد فعل سياسي مغربي قامت به الحركة الوطنية السياسية في الجنوب ضد نظام الحماية. ثم تواصلت منذ ذلك التاريخ وعرفت الكثير من التغيرات و التحولات. فلم تتوقف منذ أن بدأت "حركة اللطيف" بمواجهة السياسة الاستعمارية الفرنسية التي كانت تسعى لتقسيم المجتمع المغربي تشريعيا على أساس عرقي بين "العرب" و "البربر". ثم تبلورت و تطورت هذه الحركة و أصبح لها مشروعا لتحرير الشعب المغربي من نظام الحماية الفرنسية. و قد ظهرت مضامين و خصائص هذا المشروع في العديد من المحطات التاريخية ابتداء من سنة 1930.

إن هذه الأطروحة تسعى لدراسة مضامين الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية في الفترة الممتدة بين 1930 و 1951. فبالنسبة لسنة 1930 فإن هناك إجماعا بين كل الدراسات التاريخية على أن المقاومة المغربية للحماية الفرنسية عرفت في هذه السنة تحولا في مرجعيتها وفي جغرافيتها. لقد رفضت المقاومة المغربية المسلحة التي اندلعت في سنة 1907، أي قبل ترسيم الحماية في 30 مارس 1912، نظام الحماية في أساسه بمقاومته عسكريا. إلا أن الحركة الوطنية السياسية تبنت مرجعية "إصلاحية"، و قدمت مطالبا سياسية بغرض تحسين أحوال المجتمع المغربي في ظل نظام الحماية. كما عرفت جغرافية هذه الحركة تغييرا بانتقالها من "البادية" إلى "المدينة". و تغير معها العنصر البشري الذي كان يتزعمها فحل "الشبان المغاربة" محل "زعماء القبائل" و "شيوخ الزوايا". أصبحت الحركة الوطنية المغربية ابتداء من مطلع الثلاثينات "إصلاحية" و "حضرية" بعد أن كانت "ثورية" و "ريفية".

لكن رفض نظام الحماية الاستجابة لهذه المطالب الإصلاحية. و بقيت الحماية وسيلة للسيطرة لا للإصلاح. و أثناء الحرب العالمية الثانية عرف المغرب خاصة، و شمال أفريقيا عامة، تطورا حاسما بنزول الحلفاء في أراضيهم. ثم عقد مؤتمر الدار البيضاء في جانفي 1943. و أدت هذه التطورات إلى توجه الحركة الوطنية المغربية نحو الاستقلال، بإصدار بيان الاستقلال في 11 جانفي 1944 الذي كان تغييرا جذريا في مرجعيتها و في مكوناتها. بعد أن

أصبح السلطان محمد بن يوسف طرفا فاعلا فيها. و شكل بذلك استثناء بالنسبة لسيرة ملوك العرب الذين ساورا كلهم في ركب الاستعمار. و جاءوا ضد الطموحات التحررية لشعوبهم.

أما بالنسبة لسنة 1951 فقد عرفت القضية المغربية فيها قطيعة نهائية بين نظام الحماية والحركة الوطنية المغربية. ففي هذه السنة بدأت فرنسا في تنفيذ مشروع خلع السلطان محمد بن يوسف بعد أن استحال عودته إلى إطار نظام الحماية. و بالرغم من أن هذه التتحية لم تتم إلا في 20 أوت 1953، فإن الحركة الوطنية المغربية في تلك الفترة تبنت "الحل الثوري" و ارتبطت بالنضال الوحدوي المغاربي في القاهرة. و أصبحت من مكونات مشروع "تحرير المغرب العربي".

تعود خلفيات اختيارنا لهذا الموضوع إلى الدراسة التي كانت في رسالة الماجستير حول أحد مكونات هذه الحركة، و هو حزب الشورى والاستقلال. و دوره في الحركة الوطنية المغربية منذ تأسيسه سنة 1946 إلى غاية استقلال المغرب في سنة 1956. فتبين لي أنه كان لهذه الدراسة المونوغرافية امتدادات أكاديمية ضرورية تجاوزت إطارها الحزبي. و كانت الإجابة على العديد من الإشكاليات التي كانت مرتبطة بهذا الحزب كانت خارج إطاره النظامي و التنظيمي، و فرض علي عدة مرات البحث عن مضامين خارجية عن هذا الحزب حتى أجيب على العديد من التساؤلات المرتبطة به. و نظرا لحدود هذه الدراسة، فإنه لم يكن بالإمكان استحضارها كلها. و لذلك لم يتم تفسير بعض جوانبه لارتباطها المباشر بمؤثرات خارجية عن الحزب. و في حقيقة الأمر أنه حينها تكونت لي قناعة أن دراسة الجزء الذي كان يتمثل في حزب الشورى و الاستقلال تتطلب دراسة الكل و هو الحركة الوطنية المغربية. و في نهاية الأمر فإنه سواء هذا الحزب أو "حزب الاستقلال"، أو حتى السلطان محمد بن يوسف كانوا من عناصر هذه الحركة الوطنية المغربية التي تفاعلت فيما بينها بعد الحرب العالمية الثانية. فتوحد هدف هؤلاء في معظم الأحيان. و لكنهم اختلفوا كثيرا حول العديد من القضايا.

لذلك فإن الغاية الأولية من هذه الدراسة هي التعرف على مضامين الحركة الوطنية من خلال برامجها وأحزابها ولوائحها وغيرها من المظاهر. و يؤدي هذا بالضرورة إلى دراسة هذه التداخلات والتفاعلات التي كانت بين مكونات هذه الحركة، أي القيام بمقاربة تاريخية من خلال الإجابة على جملة من التساؤلات. تمحورت حول الجوانب التي ارتبطت بالموضوع. فمن حيث نشأة هذه الحركة ما هي القراءة التي يمكن تقديمها لانتقال الفعل الوطني التحرري من

الريف إلى المدينة؟ أو من الفعل العسكري الثوري إلى الفعل السياسي الإصلاحي؟ هل كانت مضامينها استمرارية؟ أم أن "الشبان المغاربة" تناقضوا مع عبد الكريم الخطابي رغم اعتبار أنفسهم استمرارية له؟ وإذا كانت مقاومة الظهير البربري برنامجا أوليا و مؤقتا لهذه الحركة، فيما تمثلت المضامين الإصلاحية لما بعد "حركة اللطيف"؟ و ما مدى فاعلية مبدأ "الإصلاح" بـ "الاستفادة من نظام الحماية" الذي حل محل المقاومة المسلحة، و علاقة ذلك مع المسألة الوطنية التحريرية؟ وما هو مضمون "الفكرة الاستقلالية" التي تبنتها الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية بفعل تأثير المغرب بالحرب العالمية الثانية؟ هل كانت برجوع المغرب إلى "القداصة التاريخية المطلقة" للمؤسسة السلطانية، بعودة ممارستها التقليدية كما كان يريد غالبية "الاستقلاليين"؟ أم أن هذه الحركة الوطنية كانت بالنسبة للمغرب مشروع تحرر من كل أشكال القيود بما فيها القيود التاريخية لهذه المؤسسة. و بالتالي كانت تهدف إلى التحرير والبناء، أو "الاستقلال و الدستور" كما كان ينادي به "الشوريون" ؟ لقد أصبح السلطان المغربي محمد بن يوسف " استثناءا لملوك العرب" و قام بدور وطني تحرري تجاوز في بعض الأحيان الحدود الجغرافية للمغرب. و تحول إلى زعيم "وطني" و "قومي". و ظهر ذلك في العديد من المحطات، من أهمها خطابه في مدينة طنجة في أفريل 1947. فإلى أي مدى كانت مضامين هذا " التحرير السلطاني" متوافقة مع التحرير الذي كان يريده الوطنيون المغاربة؟

للإجابة على هذه التساؤلات قسمنا الدراسة إلى فصل مدخلي و ستة فصول، فقد جاء في الفصل المدخلي دراسة لروافد الحركة الوطنية المغربية من خلال المقاومة المسلحة و الحركة الحفيفية. لأن كل منهما كان تعبيراً عن أول محاولة قام بها المغاربة للتخلص من نظام الحماية، حتى قبل ترسيمه و تأكيده في أرض الواقع وفق معاهدة الحماية في 30 مارس 1912 فكانت محاولة السلطان عبد الحفيظ بين 1908 و 1912 آخر محاولة "مقاومة رسمية" قامت بها سلطنة العلويين الأشراف لتفادي وقوع المغرب في المشروع الذي بدأ في عهد والده السلطان الحسن الأول من خلال معاهدة مدريد سنة 1880، و استمر مع أخيه عبد العزيز من خلال معاهدة الجزيرة في سنة 1906. و عندما فشل عبد الحفيظ في سنة 1912 تنازل عن الحكم و رفض أن يكون "سلطان نظام الحماية". و ترك المغرب أمام مصيره المحتوم الذي سعى المغاربة في الصحراء و جبال الأطلس لتفاديه بالمقاومة العسكرية في كل أنحاء المغرب. و سجل الريفيون أثناءها بطولات خالدة انحنى لها الزعيم الفيتنامي "هوشي منه"، و قدم لها

التحية "لينين" تقديرا لها. لكن هذه المقاومة فشلت بسبب عدة العوامل، على رأسها تجزئتها رغم وحدة هدفها.

تطرق الفصل الأول لمختلف العوامل التي ساهمت في نشأة الحركة الوطنية المغربية منها ما كان داخليا موروثا، و من المكونات التاريخية للمجتمع المغربي، حيث تم إحياء دورها مثل مؤسسة جامعة القرويين. و منها ما كان خارجيا، مثل الدور الحاسم الذي قام به الأمير شكيب أرسلان. أو ما تأثر به "الشبان المغاربة" من عوامل خارجية. سواء كانت شرقية أو غربية فالكثير من مضامين هذه الحركة تعود لهذه التأثيرات التي قام بها كل من "جامع الأزهر" في القاهرة، و "الحي اللاتيني" في باريس. و قد انسجمت هذه العوامل فيما بينها و تحولت إلى حركة وطنية تحررية جديدة انفجرت في ماي 1930 عندما رفضت السياسة البربرية الفرنسية التي جاءت في سياق احتفال باريس بمرور قرن على احتلالها للجزائر و نصفه لتونس. و حرصت على إبراز تلك المحطة بشكل مثير للانتباه.

لقد عبر الاحتجاج على السياسة البربرية على وجود أكثر من مجرد رد فعل مغربي على السياسة الفرنسية البربرية. فعندما كان نظام الحماية في الرباط يظن أنه أنهى "عمليات التهدئة" بالقضاء على آخر المقاومات المسلحة في الصحراء و جبال الأطلس الوسط في مطلع الثلاثينات، وجد نفسه أمام حركة وطنية مغربية قادها مجموعة من الشبان المغاربة بمضامين جديدة. و بالرغم من أنها لم تقم بهيكلية جديدة لتأطير هذه المضامين، لعدة أسباب من بينها سياسة نظام الحماية بحد ذاته، فإنها اعتمدت صيغة تنظيمية سرية للحفاظ على تلك الروح التي ظهرت أثناء أحداث الظهير البربري. كما اعتمدت على الصحافة للظهور كطرف وطني له رؤية تحررية جديدة. فظهرت على أعمد تلك الصحف مجموعة من المطالب لهذه الحركة. و هي نفسها التي قامت بتنظيمها و تبويبها و حولتها في ديسمبر 1934 إلى "مطالب الشعب المغربي" التي كانت تعبيرا عن أول لائحة لهذه الحركة حسب مرجعيتها الإصلاحية، و في سياق وحدتها الذي ظهر من خلال "كتلة العمل المغربي". التي تجاوزت مهمتها، وأصبحت ناطقا رسميا باسم الحركة الوطنية المغربية. و هذا ما تضمنه الفصل الثاني.

أما الفصل الثالث فقد تناول ما عرفته الحركة الوطنية المغربية من انقسام عندما حاولت التحول إلى ظاهرة تنظيمية بتحويل "كتلة العمل المغربي" إلى حزب سياسي يتوفر

على المواصفات النظامية و التنظيمية، و بمرجعية محددة. و بالرغم من أن هذه الأخيرة بقيت "إصلاحية"، إلا أنه تم التعبير عنها تنظيميا في سنة 1937 بتأسيس كل من "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" بقيادة علال الفاسي. و "الحركة القومية المغربية" بقيادة محمد حسن الوزاني و كان الخلاف بين هذين الرجلين من المعالم الأساسية للحركة الوطنية المغربية أثناء مرحلتها التحريرية. و حتى بعد ذلك. و في سنة 1936 عرفت باريس تغييرا هاما بصعود اليسار الفرنسي للحكم من خلال حكومة "الجبهة الشعبية". مما أدى بالشعوب المستعمرة (بفتح الميم) إلى مطالبة هذا اليسار بتنفيذ رؤيته السياسية التي كانت تتضمن معاداة الاستعمار باعتباره "ابتكارا رأسماليا". و لذلك سعت الحركة الوطنية المغربية للاستفادة من هذا التغيير كغيرها من الحركات الوطنية الأخرى. و طلب الوطنيون المغاربة من "أصدقائهم الفرنسيين اليساريين" تنفيذ وعودهم. إلا أن حوادث نهاية سنة 1937 أكدت لهم أن هناك وحدة فيما يخص المسألة الاستعمارية سواء بالنسبة لليمين أو اليسار. فهذا الأخير هو الذي قام بقمع الحركة الوطنية المغربية و أوقف نشاطها بصورة كلية عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية. كما أكدت حوادث أخرى نفس الحقيقة للجزائريين و التونسيين.

تناول الفصل الرابع ما عرفته الحركة الوطنية المغربية أثناء الحرب العالمية الثانية من انتقال معياري في مرجعيتها التي أصبحت "استقلالية". و ارتبط ذلك بما عرفه المغرب خاصة و شمال أفريقيا عامة من تطورات كانت جزءا من الحرب العالمية الثانية. و أدى ذلك إلى إصدار "بيان الاستقلال" في جانفي 1944. وإذا كان مضمونه منتظرا بالنظر إلى طبيعة هذه الظروف فقد أصدرت الحركة الوطنية الجزائرية "بيان الشعب الجزائري" في فيفري 1943. إلا أن "ثورية" بيان الاستقلال الذي أصدرته الحركة الوطنية المغربية تمثل في تحول السلطان محمد بن يوسف إلى عنصر رئيسي لهذه الحركة بعد أن كان طرفا أساسيا في هذا البيان، أو أنه هو من كان من ورائه تنشيطا و صياغة حسب "الاستقلاليين" أنفسهم.

بغض النظر عن مدى صحة هذه الزعامة، فإن الأكيد أن أحداث ما بعد الحرب أكدت أن الحركة الوطنية المغربية انتقلت في هذه الظروف إلى مرحلة جديدة من حيث مرجعيتها بتبنيها للاستقلال كمطلب محوري لها. إلا أنه وقع خلاف في مضمونه. فإذا كان بالنسبة لحزب الاستقلال هو ولاء مطلق للمؤسسة السلطانية، فإنه لم يكن كذلك بالنسبة لحزب الشورى و الاستقلال الذي تأسس في سنة 1946. الذي اشترطه بإصلاح هذه المؤسسة. أو

بما سماه بثنائية "الدستور والاستقلال".و كان ذلك بمثابة قيمة مضافة للحركة الوطنية المغربية. و لكنها لم تستفد منها. فلم يستجب نظام الحماية لهذا المشروع لأن الجنرال " جوان " كان بصدد إعادة المغرب إلى مضمون معاهدة الحماية. أما بالنسبة للاستقلاليين فقد رفضوا المشروع الشوري و اعتبروه وسيلة "فرنسية" للقضاء على سلطنة الأشراف العلويين بإفراغها من أي مضمون سيادي. وهذا ما تم التطرق إليه في الفصل الخامس.

أما الفصل السادس فقد تناولت مضامينه دور السلطان محمد بن يوسف في الحركة الوطنية المغربية. الذي انتقل من أداة لنظام الحماية إلى أداة للقضاء عليه. فقد حولته زيارته لمدينة طنجة، و إلقائه فيها لذلك الخطاب في 10 أفريل 1947 إلى "بطل وطني و قومي". لأنه أعلن فيه أمام فرنسا والعالم عن رفضه أن يكون مستقبل المغرب والمغاربة مرتبطا بفرنسا من جميع الجوانب، و الحضارية منها على وجه الخصوص. وإذا كان موقف السلطان في تلك المحطة انتصارا للوطنية المغربية التي توحدت برنامجا و أرضا، فإنها كانت بدون شك انتصارا للأسرة العلوية الشريفة الحاكمة في المغرب منذ منتصف القرن السابع عشر. لأنه بدون تلك الزيارة و ذلك الخطاب كان بالإمكان أن يكون لها مصيرا معاكسا و موقعا آخر غير الذي تعرفه في المغرب الحالي.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر الأساسية التي لم تخلو منها أية دراسة منذ مدة طويلة. و تعود بعضها إلى أكثر من نصف قرن كما هو الحال لكتاب "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي " لعلال الفاسي. و بالرغم من أهميته كمصدر أساسي للتعرف على مضامين هذه الحركة. إلا أنه يعبر عن قراءة "الاستقلاليين" لمضامين الحركة الوطنية المغربية. و جاء في نفس سياق هذه القراءة ما كتبه " استقلاليون " آخرون بعد ذلك مثل عبد الكريم غلاب تحت عنوان " تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب". أو مذكرات أبو بكر القادري تحت عنوان " مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية". و جاء كنقيض لهذه القراءة ما ألفه " الشوريون"، الذين أصبحوا بعد الاستقلال يسمون بـ"الدستوريين"، حول الحركة الوطنية المغربية. و على رأسها التأليف المتنوع لمحمد حسن الوزاني سواء من خلال "مذكرات حياة و جهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية" أو من مؤلفات أخرى، مثل ما كتبه أثناء فترة منفاه من كتب فكرية و سياسية أهمها الدراسة العلمية التي قام بها لنظام الحماية

باللغة الفرنسية تحت عنوان " *Le Protectorat Crime De Lèse-nation, Le cas Du Maroc* " أو ما كتبه في الصحافة أثناء فترة الثلاثينات الذي تم تجميعه في مؤلف تحت عنوان " *Combats d'un nationaliste marocain* " و مؤلفات أخرى مثل " حرب القلم " و " تصريحات صحفية ". و في نفس الخط كتب أحمد معينو الذي كان أحد القادة الشوريين مذكراته تحت عنوان " ذكريات و مذكرات " .

و يقابل هذه الدراسات الحزبية للحركة الوطنية المغربية مؤلفات أخرى لعدد من المؤرخين الفرنسيين على رأسهم شارل أندري جوليان في كتابه المحوري تحت عنوان : " *Le Maroc Face Aux Impérialismes* " و مؤلف آخر لا يقل أهمية لـ "روبير روزيت" تحت عنوان : " *Les Partis Politiques Marocains* " و كذلك مذكرات الضابط "جورج سبيلمان" تحت عنوان " *Du Protectorat à L'indépendance* " ولا يمكننا أن ننسى ما كتبه "المتخصص في المغرب" "دانيال ريفي" تحت عنوان " *Lyautey Et L'institution Du Protectorat Français Au Maroc* " و دراسته السوسيو - تاريخية تحت عنوان " *Le Maroc De Lyautey à Mohammed V, Le double visage du protectorat* " و مؤلف آخر جورج أوفد " تحت عنوان " *La gauche française et le nationalisme marocain* ". كما كانت دراسة " صديق المغرب " روم لاندو " ذات أهمية، و عنوانها " تاريخ المغرب في القرن العشرين " والدراسة السياسية التحليلية التي قام بها الإنكليزي " دوغلاس آي أشفورد " تحت عنوان " التطورات السياسية في المملكة المغربية " .

إلا أن ما جمع جل الدراسات السابقة اشتراكها في العديد من المضامين و اعتماد بعضها على البعض في العديد من المحطات. لذلك كان الأرشيف الفرنسي مصدرا أساسيا لهذه الدراسة من خلال استغلال الرصيد الأرشيفي الذي يوفره كل من مركز الأرشيف الدبلوماسي بباريس " *Centre d'Archives diplomatiques de La Courneuve* " و مثيله في مدينة "نانت" الفرنسية المتمثل في " *Centre d'Archives diplomatiques de Nantes* ". و في الحقيقة فإن ما يوفره المركزان من علب أرشيفية تم الإطلاع عليها في عين المكان عدة مرات هام جدا، لأنه أضاف الكثير من التفاصيل التي لم ترد هذه المصادر، و صحح عدد من المضامين خاصة فيما يتعلق بموقع السلطان محمد بن يوسف في السياسة الفرنسية أثناء فترة الحماية. و الحالة العامة لمختلف أنشطة الوطنيين المغاربة في الداخل و الخارج . فقد كانت باريس تتابع بدقة متناهية كل تحركات

الوطنيين المغاربة سواء في الداخل أو الخارج. فقد ظهر من خلال الإطلاع على العديد من التقارير و التحاليل التي كانت تتم من طرف مختلف أجهزة الحماية.

و بالرغم من ذلك فإنني لم أتمكن من الإطلاع على كل ذلك الرصيد الأرشيفي الضخم (تجاوز أربعمئة علبة في مركز نانت فقط). بالإضافة إلى ذلك تبقى العلب الأرشيفية المغلقة التي لم يسمح لأحد بالإطلاع عليها، وبصورة خاصة في مركز "نانت"، محل تساؤل عما يمكن أن تضيفه لمضامين الحركة الوطنية المغربية. وبصورة من حيث علاقتها مع "مشروع تحرير المغرب العربي" الذي ظهر من العديد من الوثائق تخوف فرنسا من تحقيقه.

أما بالنسبة لمركز الأرشيف المغربي فإنه في الوقت الحالي لا يمكن اعتماده كمصدر بحث للحركة الوطنية المغربية. فمن أهم ملامح الخريطة السياسية للمغرب المستقل أنها استمرارية لما قبل الاستقلال. فقد عرف المغرب مباشرة بعد الاستقلال أزمة سياسية حادة حول الممارسة السياسية و الدستور وغيرها من القضايا. وإذا كان الوطنيون المغاربة قد اتفقوا مع المؤسسة السلطانية من أجل التحري، فإن الأمر لم يكن كذلك من أجل البناء. حيث وقع بينهما الكثير من الخلافات. و تبين للعديد من الوطنيين المغاربة الذين قدموا دعما مطلقا لهذه المؤسسة أثناء الحماية، أنهم ساهموا في تلك الأزمة التي عرفها المغرب مباشرة بعد الاستقلال. و قد ذكر بعض ذلك الكاتب الأمريكي "جون واتربوري" في كتابه "أمير المؤمنين الملكية و النخبة السياسية المغربية". لقد سعت المؤسسة السلطانية مباشرة بعد للاستيلاء على ميراث الحركة الوطنية المغربية (من خلال نماذج معروفة). و ذلك لتكريس شعار "ثورة الملك والشعب". و إن فشلت مع قلة فإنها نجحت مع كثرة. و كان ذلك في الكثير من الأحيان على حساب الحقيقية التاريخية التي تعتبر الهدف الأول و الأخير لأية دراسة تاريخية.

لقد حاولت من خلال هذه الدراسة إنجاز ما جاء في عنوانها، أي القيام بمقاربة في مضامين الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية في الفترة الممتدة بين 1930 و 1951. من خلال تساؤلات و خطة سبق ذكرها. و بعد عرض هذه الدراسة على أعضاء اللجنة الموقرة فأكد سيكون لهم الكثير من الملاحظات التي اعتبرها تصويبا لما قمت به، و استكمالا لما عجزت عن الوصول إليه. ففي النهاية يبقى هذا عملا متواضعا جدا يسعى أن يكون مساهمة في الدراسات التاريخية في الجامعة الجزائرية لتجارب تحررية لشعوب نشترك معها في الجغرافية والتاريخ. و تربطنا بها الكثير من الروابط القومية والحضارية.

مدخل

بين المقاومة الرسمية و المقاومة العسكرية :

روافد الحركة الوطنية المغربية 1907-1930

. الحركة الحفيفية 1908 - 1912

. المقاومة المغربية المسلحة

1. الحركة الحفيظية (1908-1912):

عرف المغرب الأقصى (مراكش) في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين تحولات متسارعة حاسمة وفاصلة في مساره التاريخي. وقد كان لهذه الأحداث تأثيرا مباشرا على مشروع الحماية الفرنسية الذي تم تجسيده سنة 1912. وقد بدأت هذه التحولات في سنة 1894 بالوفاة المفاجئة للسلطان مولاي "الحسن الأول" الذي سعى جاهدا لتأخير استعمار المغرب الأقصى من خلال علاقاته مع الدول الأوروبية، التي كانت في تنافس شديد فيما بينها حوله¹.

استطاع السلطان مولاي الحسن الحفاظ على التوازن في مصالح هذه الدول في المغرب. ولم تستطع أية دولة منها الإنفراد بالمغرب. خاصة بعد التدخل الألماني في المسألة المغربية بعد سنة 1870 و بعد وفاة السلطان الحسن وتولي "مولاي عبد العزيز" زمام الأمور في المغرب بدأ هذا الأخير يتجه نحو احتلاله من طرف فرنسا. فلطالما اعتبرت هذه الأخيرة المغرب "ضرورة سياسية و عسكرية و اقتصادية"، كما كان يقول بذلك "أوجان أوتيان Eugène Etienne"². فقد اعتبر هذا الأخير أن لفرنسا في المغرب حقوقا و واجبات تفوق ما لغيرها من الدول الأخرى. و إذا كان الأساس الأول لحقوقها هو الجزائر، فإن هذه الأخيرة ينبغي أن تقود فرنسا للمغرب كما قادتها لتونس³.

أدت فترة حكم السلطان "مولاي عبد العزيز" (1894-1908) إلى تحقيق هذا التوجه الاستعماري بما تميزت به من تدهور متسارع لأحوال المغرب داخليا. وتزايد للأطماع الاستعمارية الأوروبية و الفرنسية منها على وجه الخصوص. فقد تحول ابتداء من مطلع القرن إلى العشرين إلى مسألة يجب تصفيتا باتفاق الدول التي كان لها فيه أطماعا توسعية باختلاف أهمية مصالح كل واحدة منها. فتحول إلى "القضية المغربية" *L'Affaire du Maroc* التي

¹ - محمد العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، 1873-1894، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989، ص 196.

² - استعماري فرنسي ولد سنة 1844 بمدينة وهران بالجزائر و توفي سنة 1921 بباريس، مارس وظائف سياسية متعددة آخرها وزير الحربية في سنة 1913، و يعتبر مؤسس مجموعة برلمانية في فرنسا سميت بالحزب الاستعماري، من أكبر المدافعين عن ضرورة التوسع الاستعماري الفرنسي، و بعد تراجع فرنسا أمام بريطانيا في حادثة "فاشودة" سنة 1898 في أعالي النيل، كان من المتحمسين لتعويض ذلك بالتوسع في مناطق أخرى من العالم على رأسها المغرب الذي كان يعتبره تنميئا للوجود الفرنسي في القارة الأفريقية. أنظر،

Maro Lorent Lagana, Eugène Étienne et la stratégie de l'expansion capitaliste : le colonialisme et le militarisme pendant la Troisième République, 1881-1918, Université de Wisconsin-Madison, 1974, p110.

³ - محمد خير فارس، المسألة المغربية، 1900-1912، ط 02، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1980، ص 63.

بدأ الحديث عنها في الدوائر الاستعمارية الأوروبية ابتداء من سنة 1900. وبعد مرور هذه القضية بأربعة مراحل انتهت في مارس 1912 بإعلان الحماية المزدوجة الفرنسية الإسبانية على المغرب الأقصى¹.

لقد كانت هذه الوضعية سببا مباشرا لظهور حركة إصلاحية دستورية أصدرت جريدة "لسان المغرب" كتعبير عن حال أمرها². وتحولت إلى ناطق رسمي لهذا التيار. وقد ركزت في خطها الافتتاحي على مبدئين: الأول تمثل في مواجهة الأطماع الاستعمارية الأوروبية والفرنسية منها على وجه الخصوص التي اشتدت في هذه الفترة، خاصة بعد احتلال مدينتي وجدة والدار البيضاء سنة 1907، وتمثل المبدأ الثاني في "النهوض بالمجتمع المغربي بإصلاحه سياسيا بمشروع حدائي كان من ورائه حركة شباب ناهض ذي اتجاه قومي مضبوط"³. وقد تجسد في وثيقة دستورية ظهرت على أعمدة جريدة "لسان المغرب" ابتداء من سنة 1908. إلا أن هذه الحركة، التي كانت في أول الأمر ظاهرة صحفية، استطاعت أن تتحول إلى تيار وطني إصلاحي لقي تأييدا معلنا من طرف العديد من المصلحين المغاربة. وبالرغم من أن تبني السلطان "مولاي عبد الحفيظ" بعد توليه حكم سلطة دولة الأشراف العلويين في سنة 1908 لهذه الدعوة الدستورية لم يكن محل إجماع الدارسين، إلا أن هذا التزامن بين الحدثين لم يكن من قبيل الصدفة. وبغض النظر عن طبيعة علاقة السلطان عبد الحفيظ بالحركة الدستورية، فإن هذه "الحركة الحفيظية"⁴. لم تكن وليدة تلك المرحلة فقط بقدر ما كان لها خلفية تاريخية تعود إلى الظروف التي عرفها المغرب في نهاية القرن التاسع عشر. فمن ثناياها استمدت شرعيتها السياسية الشعبية و المقدسة على حد سواء⁵.

¹ - Ministère française des affaires étrangères, Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1901-1905, 1907-1908, 1908-1910, 1910-1912. Imprimerie Nationale, Paris, 1906, 1909, 1911, 1913.

² - سيتم التطرق لهذه الجريدة لاحقا.

³ - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، مؤسسة علال الفاسي، مطبعة دار النجاح الجديدة الدار البيضاء 2003، ص112.

⁴ - Edmund Burk, " la hafidiya, (aout 1907-janvier 1908) enjeux sociaux, et luttes populaires" hesperis-tamuda vol 11, 1993, p101, -113

⁵ - علال الحديمي، الحركة الحفيظية، المغرب قبيل فرض الحماية الفرنسية، 1894 - 1912 دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط 2009، ص18.

بعد الوفاة المفاجئة للسلطان مولاي الحسن الأول في 1894 في الجولة الثامنة عشر التي قام بها عبر المغرب¹، اتجهت السلطنة العلوية الشريفة نحو مصير مجهول نتيجة انحراف نظام البيعة فيها. لأنه تم إلغاء الآلية الشرعية المقدسة التي كانت تتم عن طريقها تعيين السلاطين منذ القرن السابع عشر. فقد كان ذلك من اختصاص "أهل الحل والعقد" الذين يجتمعون بعد وفاة السلطان و يقررون من يخلفه في الحكم لعدة اعتبارات من بينها الكفاءة والقدرة بالإضافة إلى مبدأ انتمائه للسلالة العلوية الشريفة. و بعد ذلك تتم مبايعته من مختلف المؤسسات السلطانية من أهمها هيئة علماء جامع القرويين². و لئن عرفت هذه الممارسة تجاوزات في السابق، و لكنها لم تكن كالتى حدثت بعد وفاة السلطان "مولاي الحسن الأول"³. و قد كان من وراء هذا التحول الخطير الحاجب السلطاني "أحمد بن موسى البخاري" المعروف بـ "أبا حماد"⁴ الذي قام بانقلاب جذري في نظام البيعة العلوية الشريفة التي لم تكن من

¹ - توفي السلطان مولاي الحسن في 1894/06/06 بصورة مفاجئة وهو في طريق عودته من مدينة مراكش إلى مدينة فاس بعد مرض سريع ألم به. ولم يتم إعلان وفاته إلا بعد أن عاد الموكب السلطاني إلى العاصمة فاس لتنفيذ مخطط تعيين مولاي عبد العزيز. أنظر محمد العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، مرجع سابق، ص 240.

² - Abdallah Laroui , *les origines Sociales Et Culturelles Du Nationalisme Marocain (1830 – 1912)*, Centre Culturel Arabe ,Casablanca, 2009, p 70.

³ - *ibid.* ,p 76-80.

⁴ - أحمد بن موسى بن أحمد بن أمبارك المعروف بـ أبا حماد .ولد سنة 1840 وسط أسرة مخزنية من فئة كانت تسمى "وصفان البلاط" المرتبطين بالسلطان. و قد كان جده أحمد بن أمبارك شخصية ذات نفوذ كبير في عهد السلطان مولاي سليمان (1792 – 1822). و لم يكن لأبا حماد تعليما كبيرا بدراسته لفترة قصيرة في جامع القرويين. إلا أنه اقتحم شؤون الحكم منذ صغره بحكم قربه من والده الذي كان حاجبا للسلطان مولاي عبد الرحمان (1859 – 1873). و قد كان له مكانة كبيرة لدى السلطان مولاي الحسن نظرا للدور الكبير الذي قام به في توله الحكم و إزاحة أخيه مولاي إسماعيل. و منذ ذلك الوقت جمع والده بين الحجابة و منصب الوزارة الكبرى بعد إبعاد الطيب بوعشرين عنها. و قد حل محله ابنه أبا حماد الذي كان من وراء مبايعة مولاي عبد العزيز بالرغم من عدم أحقيته بها بعد كتمان وفاة السلطان الحسن و التخطيط لإيصال عبد العزيز للحكم. اتبع سياسة والده و سعى للجمع بين الحجابة و الوزارة الكبرى. و قد استطاع بدهاء كبير إنجاح كل مخططاته. فقد كان حريصا على بناء الدولة العلوية وقام بربط علاقات وطيدة مع العلماء. و قد تحول إلى المتحكم الفعلي في شؤون السلطنة العلوية في عهد مولاي الحسن الذي لم يكن يرد له طلبا. و بالرغم من كثرة الفتن و التمردات ضد بيعة عبد العزيز فقد حافظ على استقرار السلطنة إلى غاية وفاته المفاجئة في سنة 1900 حيث خرج المغرب من "مخزن أبا حماد" و دخل في العهد العزيري الثاني الذي انتهى سنة 1908 بالحركة الحفيظية. أنظر، زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، المطبعة و الوراقة الوطنية مراكش، 2008، ص 216-234.

حق"مولاي عبد العزيز"الذي كان أصغر أبناء السلطان المتوفى¹. إلا أنه و بحكم إطلاعه الواسع على أحوال السلطنة من الداخل و من الخارج²، وتحكمه في الكثير من مفاتيحها، ونظرا لرغبته في بقاء نفوذه، الذي ورثه عن والده، و سمح به السلطان مولاي "الحسن الأول" قام بتخطيط دقيق أدى إلى تولي مولاي "عبد العزيز" الحكم. بالرغم من أنه لم يكن أحق بها وراثته، بالإضافة إلى عدم أهليته لها. ولكن "أبا حماد" تحالف مع والدته عبد العزيز الشركسية³ "لا رقية"، التي كان لها هي الأخرى نفوذا كبيرا في الأروقة المخزنية³. فاستطاعا الاثنان، اللذان اتفقت مصالحهما، فرض الأمر الواقع على كل المكونات السيدانية للسلطنة. و بشكل خاص على الجيش الذي وجد نفسه أمام واقع جديد لم يستطع مواجهته أو يحول دون حدوثه. بالرغم من الصراع الذي ظهر في البداية بين طرفي المخزن، الأول الذي كان يتزعمه "أبا حماد" والثاني الصدر الأعظم و شقيقه وزير الحربية. ولكن سرعان ما حسم الحاجب هذا الصراع لصالح مشروعه⁴.

ابتداء من سنة 1894 دخل المغرب الأقصى في الحكم العززي الذي مر بمرحلتين تعرف الأولى بـ "مخزن أبا حماد" وامتدت بين سنتي 1894 و 1900، و قد تميزت بالاستقرار نتيجة دهاءه السياسي و إطلاعه على كل مكونات المجتمع المغربي. و تحكمه في أساليب تسييره فقام بعزل كل الولاة والعمال الذين شكك في ولائهم له وأحل محلهم من كانوا يسيرون في فلكه ويطيعون أوامره. خاصة في المدن التي كانت ذات تأثير بالنسبة للسلطنة مثل مكناس

¹ - ولد مولاي عبد العزيز في سنة 1881 من أم شركسية الأصل كان السلطان مولاي حسن قد اتخذها جارية. و قد أصبح لها مكانة كبيرة عند السلطان. و لعبت دورا كبيرا في شؤون السلطنة العلوية في عهده خاصة في دفع ابنها عبد العزيز للحكم كما ظلت من أكبر مستشاريه إلى غاية وفاتها سنة 1902. و قد كان عبد العزيز محل رعاية و اهتمام خاصين من طرف والده الحسن. و لكنه لم يتحصل على تكوين علمي كبير مثل بقية إخوته من نساء أخريات خاصة عبد الحفيظ. و لم يقيم والده بإرساله لحملات عسكرية بعيدة. مما حرمه من الكثير من عناصر القوة لذلك كان صعوده للحكم بمؤامرة الحاجب أبا حماد مع والدته. و لذلك بعد وفاتها أصبح عبد العزيز أمام صعوبات كبيرة من الداخل بكثرة الثورات الأزمات الاقتصادية والاجتماعية و من الخارج باشتداد التدخل الأجنبي ففي عهده كان مؤتمر الجزيرة سنة 1906. كل ذلك أدى إلى سقوطه سنة 1908 و تولي عبد الحفيظ الحكم سنة 1908. أنظر، زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، مرجع سابق، ص 235.

² - محمد العربي معريش، المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 83.

³ - نفس المرجع، ص 83.

⁴ - علال الخديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق ص 12 - 15.

و فاس¹. و تعتبر سيطرة "أبا حماد" على زمام الأمور نتيجة بقاء كل تحركاته و مناوراته في دائرة الوزارة والتبعية المطلقة للسلطان التي حرص على إظهارها بصورة خاصة من الناحية الشكلية. فقد كان ظهوره كخادم للسلطان لا سيدا للأمر. بالرغم من أنه كان فعلا كذلك. كما أظهر ذلك في مراسلاته واستقباله للوفود الأجنبية. و قد كانت لسياسته التي ركز فيها على شراء ذمم أشرف القوم والقادة العسكريين في السلطنة تأثيرات سلبية على الأوضاع الاجتماعية للمغرب خاصة في المناطق البعيدة عن مركز السلطة مثل الجنوب حيث كانت مدينة مراكش مركزا حيويا له. و حيث تم تعيين مولاي "عبد الحفيظ" خليفة للسلطان فيها لإبعاده عن فاس التي كانت مركزا للقرار. إلا أن "باحمد" لم يكن يعلم أن هذا الإبعاد لمن كان أحق بالبيعة كان بمثابة بداية نهاية العهد العزيزي².

منح "باحمد" في سياسته كل شيء للولاة و القادة العسكريين وبعض العلماء الذين سارعوا إلى تأييد "البيعة العزيزية" بالرغم من عدم شرعيتها بالنظر إلى مرجعية عقد البيعة³ وضرب بقوة كل من عارضها. مثل القضاء على ثورات "الحوز" و "الرحامنة" و "سوس" سنة 1896⁴. فقد أكدت كل مراسلاته مع القادة العسكريين في أنحاء السلطنة أنها كانت تدور حول

¹ - علال الخديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق ص، 17.

² - ولد السلطان مولاي عبد الحفيظ في 24 فيفري 1876 بمدينة فاس تميز عن السلاطين الأشراف العلويين بنبوغة العلمي. فمنذ بلوغه سن السادسة عشر اعتبر من طرف علماء القرويين عالما متمكنا في علوم الفقه والحديث. كما اعتبر شاعرا لتنظيمه للكثير من القصائد. حيث أجازه الشيخ ماء العينين سنة 1904. و بعد وفاة والده سنة 1894 و بيعة أخيه الأصغر عبد العزيز بدأت ملامح قيامه بدور هام في المغرب تظهر. و في سنة 1901 عين خليفة للسلطان في مراكش التي انطلق منها لإسقاط أخيه عبد العزيز سنة 1908. و قد تحول إلى زعيم وطني مغربي بعد رفضه الضعف الذي تميز به أخيه عبد العزيز الذي حاول تنحيته إلا أن المحاولة باءت بالفشل و انتهى الصراع بينهما بانتصار عبد الحفيظ سنة 1908 إلا أن التدخل الأجنبي كان قد استفحل في المغرب حيث انتهى بسقوط المغرب و إعلان الحماية الفرنسية عليه سنة 1912. و على إثر ذلك تنازل عبد الحفيظ عن الحكم لأخيه يوسف بن الحسن و انتقل إلى فرنسا. حيث توفي فيها سنة 1937. و قد كانت له مؤلفات في مختلف العلوم. ففي ميدان اللغة "السبك العجيب لمعاني مغني اللبيب" و في الفقه "ياقوتة الحكام في مسائل القضايا و الأحكام" و في الفكر و السياسة و التاريخ "كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع" و "داء العطب قديم" و له مطبوع قارن فيه بين الجيوش الألمانية و الفرنسية في الحرب العالمية الأولى تحت عنوان "تحفة الألبا في حروب أوروبا" و له مطبوع آخر تحت عنوان "براءة المتهم" رد فيه عن من اتهموه بالتنفريط في المغرب بامضائه معاهدة الحماية. أنظر، زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني مرجع سابق ص 301-305.

³ - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit. p 78.

⁴ - تعتبر كل من منطقة "الحوز" و "الرحامنة" و "سوس" من الأقاليم المغربية التي تقع بالقرب من مراكش. و قد كانت أول الأقاليم التي تمردت على السلطة المركزية مباشرة بعد وفاة السلطان مولاي الحسن سنة 1894. و قد كان قادة هذه الثورات من عامة الشعب وكانت في شكل هجومات ضد الرموز المخزنية. من قصور و أملاك. و قد كانت هذه الثورات ذات تأثير كبير على

ما كان يقدمه هؤلاء من أموال و هدايا مقابل بقائهم في مناصبهم.و كان "المال الشفيح الوحيد لتولي الوظيفة و الوسيلة الفعالة لعزل هذا الحاكم أو ذاك وتولية غيره بل حتى في تصفية آخر الذي لا يسير في خط البيعة العزيرية"¹.و تؤكد نفس المراسلات على كيفية تسيير المال العام للسلطنة الذي كان وسيلة لشراء الذمم على كل المستويات حتى وصل الأمر إلى بيع الولايات بحد ذاتها².

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من انحرافات خطيرة منذ البيعة العزيرية فإن المغرب عرف في العهد الأول الذي امتد بين سنتي 1894 و 1900 الذي سيطر فيها باحماد على زمام الأمور مجموعة من التحولات العميقة ذات البعد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.و قد أدت إلى ضعف المغرب داخليا.وتزايد الأطماع الخارجية فيه.فقد موقفه المتوازن بالنسبة للقوى الاستعمارية الذي كان من أهم "مكاسب"السلطان الحسن في معاهدة"مدريد"سنة 1880³.والتي استطاع من خلالها تأخير احتلال المغرب.مما أدى إلى تحوله إلى مجال للتنافس الشديد بين الدول الاستعمارية.حيث تمركزت رؤوس الأموال في أيد قليلة.والأجنبية منها على الخصوص و تطورت رؤوس أموال التجارة الخارجية التي كانت حkra على التجار الأوروبيين،وخاصة الفرنسيين.فقد أعطيت لفرنسا أولوية خاصة على حساب القوى الأخرى.فعدة مراسلات داخلية أظهرت تظلمات و شكاوي قادة القبائل خاصة المجاورة للموانئ،و تضمنت تذمرا مما كان يقوم به عمال الولايات من قبض للرشاوى من التجار الأوروبيين للحصول على امتيازات على حساب مصالح هذه القبائل⁴.وبالإضافة إلى ذلك فإن مرحلة"باحماد" تميزت بالاستبداد الإداري والضغط الجبائي على السكان مما أدى إلى تهيأ كل الظروف لحدوث الثورة الداخلية التي جسدها فيما بعد الحركة الحفيظية.فقد اعتبر الحجوي بأن "سياسة اباحماد لم تكن مرضية مع الرعية لتضعيفه القبائل وإطلاق أيد العمال بالسلب والنهب لأجل أن يأتوا بأيديهم

حكم السلطان عبد العزيز لأنها تزامنت مع توليه الحكم بل كان ذلك من أسبابها الرئيسية.لذلك اعتبر تمرد "الرحامنة" امتحان عسير لسياسة"باحماد"و تهديد لبيعة مولاي عبد العزيز و هي في بدايتها.أنظر،زين العابدين العلوي المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني،مرجع سابق،ص 222.

¹ - محمد بن الحسن الحجوي،دفتري تقايد تاريخية،مخطوط الخزانة العامة،الرباط،رقم ح 128،ص32.

² - المصدر نفسه.

³ - محمد العربي معريش،المغرب الأقصى،مرجع سابق،ص 211-215.

⁴ - محمد بن الحسن الحجوي،دفتري تقايد تاريخية،مصدر سابق،ص25.

عامرة لي عمر خزينته. حتى ملأ السجون وابقى على ذلك إلى أن أدركته المنون، و بالجملة فقد بلغ ذلك نهايته. ولم تكن من قبل حتى صار الرجل يبيع بيته ليأتي لقائده بما وجب عليه في الفريضة، و مهما ولى عاملا إلا و عزله عند استخلاص ما بيده وهكذا كان دأبه...¹.

لقد اعتبر "باحماد" هذه السياسة حرصا على ضمان سيطرة السلطان عبد العزيز داخليا بقمع كل حركة اعتبرها مهددة لاستقرار حكمه. و خارجيا بإظهاره الحاكم القوي والمتحكم في زمام الأمور. و لكنه لم يستطع تحقيق تلك القوة في الداخل حتى تظهر كذلك من الخارج. فضعت السلطنة واهتزت أركانها². لقد استطاع مخزن "باحماد" السيطرة على الوضع من خلال مركزيته فكل السياسات و القرارات مهما كانت طبيعتها ومهما كان مصدرها كانت تبدأ منه وتنتهي عنده. و لذلك فإن وفاته المفاجئة سنة 1900 أدت إلى فوضى عارمة في هذا المخزن مما اثر بصورة مباشرة على أوضاع المغرب في ما يسمى بالعهد العيزي الثاني الذي امتد بين سنتي 1900 و 1908. الذي تميز بتعميق الفساد الداخلي وتزايد التشرش الأجنبي³.

ابتداء من سنة 1900 عرف المغرب ظروفا تاريخية جد صعبة فبالرغم من شعور سكان القبائل في "الأحواز" وغيرها من مناطق السلطنة بالخلاص من سياسة "باحماد" المستبدة، فإن وفاته أدخلت المغرب في فراغ قيادي كبير لم يستطع أي احد تعويضه بما فيه السلطان "مولاي عبد العزيز" نظرا للتهميش الذي تعرض له في فترة الحاجب السلطاني "باحماد" منذ تنصيبه سلطانا سنة 1894. و لذلك لم يجد له بديلا. و فقد سيطرته على الوضع. فوجدت السلطة المركزية للسلطنة العلوية نفسها أمام وضع معقد، تميز بعدم قدرتها على فرض سيطرتها على مختلف القبائل في مختلف أنحاء المغرب. نتيجة ذلك التذمر الكبير الذي كان من نتائج عهد الاستبداد⁴ بالإضافة إلى التدخل الأجنبي الذي كان نتيجة عهد الانفتاح. خاصة من طرف فرنسا التي بقيت تعتبر المغرب الأقصى "حتمية إستراتيجية" و قد شرعت فعلا في التوغل فيه من خلال التوسع الذي قامت به في الجنوب الغربي في مطلع القرن العشرين باحتلالها لإقليم "تافيلالت"

¹ - محمد بن الحسن الحجوي، دفتر تقايد تاريخية، مصدر سابق، ص 25.

² - المصدر نفسه.

³ - Edmund Burk, " la hafidiya, (aout 1907-janvier 1908), op.cit.

⁴ - عند وفاة "باحماد" كان السلطان عبد العزيز قد بلغ حوالي عشرين سنة و كان لا يزال عديم الخبرة بالحكم لأنه لم يمارسه من قبل. بالإضافة إلى انعدام أية ثقافة لديه و عدم خبرته في اختيار الرجال. فكان تشكيكه للمخزن الجديد خطأ آخر ارتكبه. مما أدى إلى تدهور متسارع لشؤون السلطنة. أنظر، علال الحديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق ص 47.

و لم يزد ذلك إلا في صعوبة مهمة السلطان "مولاي عبد العزيز" نظرا لعجزه في الدفاع عن هذه الأقاليم مما أدى إلى ظهور دعوات الجهاد في تلك المناطق¹.

لم تستطع إصلاحات المخزن العزيمي تدارك الوضع. ولم يتمكن السلطان "مولاي عبد العزيز" الذي كان بعيدا عن شؤون الحكم، توقيف مسار الأحداث التي سرعت نهاية حكمه خاصة عندما أطلق يد الهيئة المخزنية التي تركها "باحما" حيث قامت هذه الأخيرة بمجموعة من الإصلاحات لتفادي الاضطرابات الداخلية فرفعت هذه الهيئة شعار "النهج الجديد" الذي كان ظاهره إصلاح أحوال المغرب، ولكنه في حقيقته كان انفتاحا على الامتيازات الأجنبية و الفرنسية منها على وجه الخصوص. فقد كانت هذه الأخيرة اقتصادية في ظاهرها بعناوين النهوض بالمجتمع المغربي. ولكنها في حقيقته كانت أهداف استعمارية بإسقاط المخزن العزيمي في أزمة تستعملها فرنسا ذريعة للتدخل بحجة حماية مصالحها كما قامت بذلك في تونس². فقد قامت فرنسا بكل جهودها لإنهاء "المسألة المغربية" لصالحها خاصة في الفترة الممتدة بين سنتي 1901 و 1905. ففي هذه الفترة عرف التنافس الأجنبي حول المغرب بين عدد من القوى الأجنبية أشد أوجهه. خاصة تلك الدول التي كان لها تواجدا إمتيازيا في المغرب مثل إسبانيا وبريطانيا وألمانيا³. و لذلك بدأت باريس في مساعيها للإفراد بالمغرب⁴. و هو ما

¹ - Napoléon Lacroix, Augustin Bernard, *La pénétration saharienne (1830-1906)*, Imprimerie Algérienne, Alger, 1906 p, 170

² - عرفت تونس ابتداء من سنة 1863 أزمة مالية سببها المشاريع الضخمة التي قامت بها فرنسا في تونس بتخطيط من مصطفى خزندار الذي كان من وراء إفلاس الخزينة التونسية (ما فعله باحماد في المغرب) مما أدى على انتفاضة شعبية سنة 1864 وعندما أرادت الدولة العثمانية التدخل لإصلاح الأوضاع عارضت فرنسا ذلك بحجة حماية مصالحها الاقتصادية في تونس. ما ادعت رفض الوجود العثماني على الحدود الجزائرية. وبعد منح تونس لفرنسا في مؤتمر برلين سنة 1878 بدأت بتحضير الظروف لتجسيد هذا المنح. من خلال القيام بعد مشاريع من بينها احتكار الخطوط الحديدية لصالح شركة "بون - قالمة" Bône-Guelma "و غيرها من المشاريع التي سمحت لفرنسا بالتدخل بحجة حمايتها سنة 1881 بعد توغل قبائل بني حمير التونسية في الأراضي الجزائرية للانتقام لمقتل أحد أفرادهم من طرف أحد الفرنسيين. و قد انتهت هذه الأحداث بإعلان الحماية الفرنسية على تونس وفق معاهدة باردو في 12 ماي 1881. أنظر، عبد الرحمان تشايحي، المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881 - 1913، ترجمة عبد الجليل التميمي دار الكتب الشرقية، تونس، 1973، ص، 40 - 55.

³ - Ministère française des affaires étrangères, *Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1901 - 1905, op.cit.*

⁴ - عقدت فرنسا سلسلة من الاتفاقيات مع الدول المنافسة لهل في المغرب من أجل إبعادها عنه مقابل تنازلها لها عن مصالح أخرى مثل الاتفاق مع إيطاليا سنة 1900 و 1902. و مع إسبانيا سنة 1902 و مع بريطانيا سنة 1904. و لم تقم بأي اتفاق مع ألمانيا التي كانت قوة جديدة منذ سنة 1870. و هذا ما أدى فيما بعد إلى الأزمة المغربية لسنة 1905 و 1911. أنظر، محمد خير فارس، المسألة المغربية مرجع سابق، ص، 147.

سعى إلى تفاديه السلطان الحسن من قبل من خلال سياسته الخارجية¹. إلا أن مشروع "النهج الجديد" قام بإذكاء تنافس تلك القوى على المغرب الأقصى بشكل لم يسبق له مثيل، خاصة من طرف فرنسا التي اهتمت بشكل كبير بهذا "الانفتاح العريزي". لأنه فتح لها كل الأبواب لمواصلة تحقيق "وجودها الجيوستراتيجي" في إفريقيا. و في شمالها على وجه الخصوص على حد تعبير مهندس السياسة الاستعمارية الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر "جول فيري"².

ففي سنة 1901 أصدر المخزن الجديد ما يعرف بـ "التنظيمات العريزية" التي كانت زيادة في الضرائب على القبائل لملء الخزينة السلطانية. و رغم شعار "العدل في الجباية" الذي رفعته هذه التنظيمات فإنها كانت زيادة في تدهور أوضاع المجتمع المغربي³. كما كان لها انعكاسات سلبية على واقع السلطنة مما أدى إلى مواجهتها ومقاومتها من طرف المجتمع المغربي خاصة عندما أشاع معارضو البيعة العريزية في ربوع السلطنة أنها كانت لنهب القبائل الداخلية ولتمهيد السيطرة الأجنبية مما أدى إلى اضطرابات داخلية مثل ثورة "الجيلالي الزرهوني" المعروف بـ "بوحماره"⁴. بالإضافة إلى التدخل الأجنبي الذي أصبح واضحا ابتداء من سنة 1901 في شكل توسع عسكري في الحدود الشرقية للسلطنة⁵. وضغوط دبلوماسية

¹ - محمد العربي معريش، المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 217.

² - Napoléon Lacroix, Augustin Bernard, La pénétration saharienne, op.cit, p, 170

³ - أحدث مشروع الترتيب الجبائي العريزي ضرائب على كل نوع من الأملاك كالأراضي القابلة للحرق و الأشجار المثمرة و المواشي. كما عين أعوانا لتحصيل هذه الضرائب. الذين اعتمدوا على القوة العسكرية. مما أحدث ردود أفعال قوية من طرف القبائل

الذين رفضوا تسديد هذه الضرائب. أنظر، Abdallah Laroui, les origines, op.cit, p 340.

⁴ - هو الجيلالي بن عبد السلام اليوسفي الزرهوني المشهور بـ "بوحماره" ولد سنة 1865. التحق بخدمة المخزن و كان ضمن فرقة الطلبة المهندسين التي كانت تتدرب على يد أعضاء البعثة الفرنسية. وسجن عدة مرات. كما عمل كاتباً لدى خليفة السلطان بفاس. و خلال هذه الخدمة وطد علاقات مع رجال المخزن. كما كان من معارضي البيعة العريزية. مما كلفه سجنه مرة أخرى. و بعد خروجه من السجن انتقل إلى الجزائر و فيها تم تجنيده من طرف السلطات الفرنسية لإحداث الفوضى في المغرب. و هو ما قام به في مدينة فاس بإدعائه بأنه الأمير مولاي أحمد بن الحسن و انه فر من سجن أخيه. و قد تمكن من تحقيق عدة انتصارات عسكرية على جيوش المخزن في سنة 1902 مما أكسبه شعبية نظراً لسياسة السلطان عبد العزيز التي عاهاها كل المغاربة. و هذا ما استغله "بوحماره" في نشر الفوضى إلى غاية سنة 1906 حيث استقر في الريف و بدأ في عقد الصفقات التجارية مع التجار الفرنسيين و مع الإسبان. و حصلوا على عقود استغلال مناجم الحديد. و بعد تولي مولاي عبد الحفيظ الحكم سنة 1908 استطاع القضاء على حركته و تصفيته. أنظر، عبد الوهاب بن منصور، أعلام المغرب العربي، المطبعة الملكية الرباط، ج 05، ص 303. و أنظر كذلك، Abdallah Laroui, les origines, op.cit, p 354.

⁵ - Napoléon Lacroix, Augustin Bernard, La pénétration saharienne, op.cit, p 172.

خارجية تجلت بوضوح في انعقاد مؤتمر "الجزيرة الخضراء" في جانفي 1906¹. وقد أدى هذا الأخير إلى تدويل المسألة المغربية. كما استعملته كل من فرنسا و إسبانيا كـ "أرضية قانونية" لتحقيق الحماية المزدوجة في مارس 1912². وقد كانت نتيجة كل ذلك حدوث ما سماه عبد الله العروي بـ "الفوضى المغربية" *L'Anarchie Marocaine*³. التي أدخلت المغرب في وضع جمع بين الخوف من فرض الاحتلال الأجنبي بالقوة. والأمل في ظهور منقذ له⁴. وكأن مولاي "عبد الحفيظ" أدرك ذلك الخطر وشعر بذلك الأمل. فتحرك بصفة ذلك المنقذ. فقام بـ "ثورة" مشابهة في أبعادها الخارجية على الأقل تلك الثورة التي عرفتھا الدولة العثمانية والدولة الفارسية في نفس الفترة⁵.

لقد تابع "مولاي عبد الحفيظ"، الظروف التي كانت تمر بها سلطنة الأشراف العلويين باهتمام شديد لتهيئة بيعته "الثورية" التي تمت في سنة 1908. وتحولت إلى محطة فاصلة في تاريخ المغرب. لأنها سعت لإخراجه من "الفوضى المغربية" التي تعود جذورها إلى الانحراف الذي وقع في نظام البيعة سنة 1894 بعد وفاة السلطان الحسن الأول. وقد استغل التيار الحفيظي عجز المخزن العزيمي في توقيف تدهور مملكة الأشراف العلويين داخليا رغم إصلاحات "العهد الجديد". كما فشل خارجيا في إبعاد الأطماع الاستعمارية المتزايدة. التي ظهرت عسكريا في التوسعات الفرنسية الشرقية. فقد حقق الجنرال "ليوتي" الكثير من التقدم في مشروع "الاختراق العلمي" *Pénétration Scientifique* الذي بدأه في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين على حد تعبير "دانيال ريفي" *Daniel Rivet*⁶. أو بما سمي كذلك بـ "التغلغل

¹ - كان هذا المؤتمر نتيجة الاتفاقات الثنائية التي عقدها فرنسا من أجل الحصول على المغرب مثل الاتفاق مع إيطاليا سنة 1902 و مع بريطانيا و إسبانيا سنة 1904. و قد أهملت فرنسا ألمانيا عن قصد مما أدى إلى تدخل هذه الأخيرة بقوة بعد زيارة الملك البروسي غليوم إلى مدينة طنجة و اعتبار المغرب دولة مستقلة. مما أدى إلى حدوث الأزمة المغربية الأولى لسنة 1905. التي أدت إلى انعقاد مؤتمر الجزيرة في جانفي 1906 الذي ضمن استقلال المغرب و وحدته شكليا و لكنه كان في حقيقة مضمونه الذي كان متكونا من مائة و عشرين شرطا (120) مقدمة لفرض الاحتلال الفرنسي و الإسباني للمغرب. أنظر،

André, Tardieu, La conférence d'Algésiras ; histoire diplomatique de la crise marocaine (15 janvier-7 avril 1906), Ed, F. Alcan, Paris, 1908 p17-30.

² - *André, Tardieu, La conférence d'Algésiras ; op.cit., p 17-30.*

³ - *Abdallah Laroui , les origines ,op.cit, p337.*

⁴ - *ibid. , 338.*

⁵ - *ibid., p , 371.*

⁶ - *Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat Français Au Maroc, 1912-1925, 3T,, Editions L'harmattan Paris 1996, T1, p 20.*

النشيط *Pénétration Actif*¹ كما عرفت "القضية المغربية" في الفترة الممتدة بين 1901 و1905 تطورا حاسما انتهى باتفاقية الجزيرة سنة 1906². حيث وثقت هذه الأخيرة لمشروع استعمار المغرب الأقصى³. و قد أدى كل ذلك إلى فقدان السلطة المركزية لسيطرتها على البلاد. فتهيات بذلك كل الظروف لسقوط الحكم العريزي. وقد كانت مراكش عاصمة الجنوب منطلقا لهذه الثورة منذ سنة 1901 عندما عين مولاي عبد الحفيظ خليفة فيها⁴.

لقد كانت منطقة "الحوز" في ولاية مراكش محورا للسلطة الخليفة. و لذلك عندما ثار سكانها على السلطة المخزنية المركزية. فقدت هذه الأخيرة سيطرتها على هذه المنطقة الثائرة وحل محلها الزعامة الخيفية بمراكش للمولى عبد الحفيظ. فقد سكت هذا الأخير عن تلك الثورات. و كأنه كان مدعما لها بسكوته عنها. وعدم قمعها عسكريا⁵. و عندما فشل المخزن العريزي في القضاء عليها تحولت هذه الولاية إلى قاعدة لكل معارضي البيعة العريزية لإسقاطها وإرجاع البيعة السلطانية إلى خطها الأصل. أي ما كان يجب على "أهل الحل والعقد" القيام به سنة 1894 بمبايعة مولاي عبد الحفيظ، الذي كان أحق أبناء السلطان مولاي الحسن بوراثته نظرا لما كان يتميز به من مؤهلات شرعية وعلمية تؤهله لخلافته. وبالرغم من أن هذه الحركة لم تستطع تغيير مسار الأحداث بوقوع المغرب الأقصى تحت الحماية الفرنسية سنة 1912، لأن علاج تلك الأوضاع كان قد تجاوزته الأحداث. و لكن روحها الإصلاحية بقيت حاضرة في الحركة الوطنية المغربية التي انطلقت في مطلع الثلاثينات. لأنها اعتبرت نفسها إحياء لها. فقد استمدت هذه الحركة شرعية مطالبها الإصلاحية و مقاومتها لنظام الحماية بما قام به السلطان عبد الحفيظ سنة 1908 بعد البيعة المراكشية، ثم البيعة الفاسية⁶.

¹ - علال الحديمي، التدخل الأجنبي و المقاومة بالمغرب 1894 - 1910، أفريقيا الشرق، الرباط، 1990، ص 87.

² - Ministère française des affaires étrangères, Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1901 - 1905, op.cit.

³ - André, Tardieu, La conférence d'Algésiras ; op.cit., p 597.

⁴ - Edmund Burke, III, Prélude au protectorat Du Maroc, Protestations Et Resistances Précoloniales, Éditions De l'Université de Chicago, 1976, p, 100 -120

⁵ - Edmund Burke, III, Prélude au protectorat Du Maroc, op.cit. 100 - 120 .

⁶ - لم نحل أية دراسة حول الحركة الوطنية المغربية من الإشارة إلى دور هذه الحركة. و بغض النظر عن تقييم تأثيرها في الوطنية المغربية بين من اعتبرها أساسا لمضمونها الإصلاحي كما هو الحال لعالل الفاسي في "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي" و عبد الكريم غلاب في "تاريخ الحركة الوطنية في المغرب" و آخرون لم ينفوا دورها و لكن ليس بنفس الحجم كما هو الحال لحمد حسن الوزاني في "مذكرات حياة و جهاد" بالإضافة إلى من درسوا هذه الحركة تاريخيا مثل شارل أندري جوليان في كتابه

لقد كانت سلطة عبد الحفيظ في المغرب الأقصى محدودة و منحصرة في ولاية مراكش. إلا أن دوره تجاوز بكثير هذه الحدود بما كان يمارسه من مهام رمزية و علمية بارزة. و بصورة جد مؤثرة منطلقا مما كان يملكه من تجربة سياسية، مما أعطى لمراكش والحوز المحيط بها أهمية خاصة تميزت عن باقي ولايات السلطنة. و قد أدى هذا الدور إلى عدة خلافات بين الخليفة والسلطان. و قد كان ذلك من مقدمات مبايعة عبد الحفيظ سلطانا على المغرب. و قد ساعد كثيرا تدهور الأحوال الاقتصادية والاجتماعية في حدوث هذا التحول الانقلابي. فبين سنة 1904 و 1906 عرف المغرب أحوالا اقتصادية قاسية بفعل الجفاف الذي ضربته سنة 1904 و 1905 فتدهورت أحوال الساكنة. ولم تكن الأوضاع السياسية لتساعد في الأمور. فقد عرف المخزن أزمة خانقة على جميع المستويات. و لم تستطع الحلول الجزئية التي قام بها "العهد الجديد" تحسين هذه الأوضاع¹. و قد زادت التحرشات الخارجية بعد "ميثاق الجزيرة" في تعقيدات المخزن العريزي. فإذا "... كان هذا المخزن مريضا جدا قبل مؤتمر الجزيرة، فإنه انتهى بعده... و بقدر ما أصبحت الفوضى حتمية في المغرب أصبح سقوط الأسرة العلوية كذلك..."². فقد اتفق الداخل والخارج على إنهاء المخزن العريزي الذي تدهور إلى أحط مراحل³. و أصبحت الأنظار كلها متجهة إلى مراكش لإنقاذ المغرب سلطة ومجتمعاً. فتوفرت كل الظروف لحدوث هذه "البيعة الثورية" التي كانت تهدف إلى إصلاح أحوال المغرب داخليا. و توقيف التدخل الأجنبي خارجيا. و لكنه في نفس الوقت كانت تهدف للحفاظ على سلطة العلويين الإشراف من الانتثار بعد أن فقدت شرعيتها داخليا. و أصبحت أداة لاستعمار المغرب الأقصى خارجيا. فأعلنت هذه البيعة لأول في مراكش في أوت 1907 ثم في فاس في جانفي 1908⁴.

لقد أدى تطبيق مقتضيات ميثاق الجزيرة باحتلال فرنسا لمدينة وجدة في مارس 1907 والدار البيضاء في أوت 1907⁵، إلى خروج هذه البيعة إلى الوجود التي كانت مطالبة بـ

"Le Maroc face aux impérialismes 1415-1956" بالإضافة إلى الدراسة الأنثروبولوجية التي قام بها عبد الله العروي في كتابه "les origines Sociales Et Culturelles Du Nationalisme Marocain (1830 – 1912)" و مؤلفات أخرى.

¹ - Abdallah Laroui, les origines, op.cit, p 341.

² - محمد خير فارس، المسألة المغربية، 1900-1912، مرجع سابق، ص 347.

³ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat Français, op.cit., T1, p 84.

⁴ - Abdallah Laroui, les origines, op.cit, p 372.

⁵ - مباشرة بعد مؤتمر الجزيرة بدأت فرنسا في تحضير الظروف المادية لاحتلال المغرب بإبراز هذا الأخير على أنه يعيش في فوضى و انعدام أية حكومة تمثله. و بالتالي فإن الأجانب الموجودين فيه أصبحوا مهددين باستمرار و على رأسهم الفرنسيين. و من جهة

الغزو الأجنبي أولاً، خاصة بعد تصاعدت دعوات الجهاد من طرف العديد من العلماء وزعماء القبائل في مختلف أنحاء السلطنة. ثم النهوض بالمجتمع المغربي ثانياً. ففي 11 أوت 1907 وجه زعماء إقليم "الشاوية" نداء استغاثة لمولاي عبد الحفيظ لمساعدتهم و"إنقاذهم من الغزاة الفرنسيين النازلين بالدار البيضاء. الذين قصفوها، وأبادوا أهلها، وأهلكوا الحرث و النسل... و قد حاولوا قهرهم و احتلال بلادهم..."¹. و تضمن هذا النداء شكوى ضد المخزن العريزي الذي حرّمهم من السلاح للدفاع عن أنفسهم. و تضمن كذلك توسلاً له بإغاثتهم. و جاء في هذا النداء وصفاً للوضع الخطير الذي كان عليه هذا الإقليم و لذلك اتجه هؤلاء إلى مولاي عبد الحفيظ معتبرين أن "أعناقهم تمتد نحو طلّته و تتشوف لقدم ركابه لنجدتهم و جلب المسلمين لإعانتهم. فقد بلغ السيل الزبى والعدو يهاجم الأسوار... و لا وقت للانتظار والتردد و سيخطئ من يعتذر، و من يعلم لا يتردد. و من رأى ليس كمن سمع..."².

لقد كان هذا النداء موجهاً لعبد الحفيظ و كأنه سلطاناً تمت مبايعته. بالرغم من أن ذلك لم يكن قد تم. و لذلك عندما وصلت إلى مراكش وفود العلماء و الأعيان و قادة القبائل، و من بينهم وفد الشاوية، الذي كان من وراء هذه الدعوة، كانت كل الظروف مهيأة لبداية عهد جديد بالنسبة لسلطنة العلويين. تمثل في تحول البيعة إلى عبد الحفيظ الذي كان ينتظر مثل هذه الظروف لإعلان نفسه صاحب الحق فيها. و صاحب مشروع لإنقاذ هذه السلطنة من الخطر

أخرى بدأت تطالب تطبيق بنود معاهدة الجزيرة من بينها القيام بإصلاحات في الموانئ و غيرها من المشاريع الاستفرازية للسكان و القبائل على وجه الخصوص. و قد اسند تطبيق هذه السياسة للوزير الفرنسي المفوض بمدينة طنجة "رينو Regnault" الذي عين في سنة 1906. و بالتنسيق مع الحاكم العام بالجزائر "جونار Jonnart" قد استطاع توفير العلاقات الفرنسية المغربية بسرعة كبيرة كان من نتائجها مقتل أحد موظفي البنوك الفرنسية المدعو "شربوني Charboni" في ماي 1906 و أحد الأطباء في مدينة مراكش المدعو "موشان Mauchamp" في مارس 1907 و هما الحادثتان اللتان استغلتهما فرنسا في احتلال مدينة وجدة في مارس 1907. و في جويلية 1907 حاول سكان الشاوية إيقاف أشغال الشركة المغربية بميناء الدار البيضاء مما أدى إلى مقتل تسعة عمال فرنسيين. و هي الذريعة التي استعملتها فرنسا لقصف المدينة و ارتكاب مجزرة في المدينة خاصة بعد مقاومة قبائل الشاوية لهذا الغزو. و قد أدى ذلك إلى احتلال المدينة في أوت 1907. و هي الحادثة التي أدت مباشرة على نهاية الحكم السلطان عبد العزيز. أنظر، علال الخديمي التدخل الأجنبي، مرجع سابق ص 207-265. و قد وصف المؤرخ الفرنسي "أندري آدم André Adam" هذه الحادثة بـ "مأساة الدار البيضاء لسنة 1907" أنظر، André Adam, *Histoire de Casablanca, des origines à 1914*, Éditions Ophrys, 1968, Paris, p, 103.

¹ - جاء ذلك في بيان استغاثة حرره مجموعة من زعماء القبائل و العلماء على رأسهم كل من العالم "البجاج المزامزي الشاوي" و الفقيه "بوشعيب بن عزوز" و قد جاءت بدون تاريخ مما يمكن تأويل ذلك بأن الرسالة تم تحريرها من قبل منذ بداية تدهور الأمور أنظر، أحمد زيادي، انتفاضة الشاوية سنة 1907، دراسة، وثائق تاريخية، ملاحق أدبية، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986 ص 17.

² - علال الخديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق ص 194.

الأجنبي الذي أصبح في الديار. وفي نفس الوقت للنهوض بها و إخراجها من مخلفات العهد العريزي¹. و بهذه الصفة فإنه لأول مرة تمت مبايعة سلطانا في دولة الأشراف العلويين منذ تأسيسها في القرن السابع عشر بهذه الطريقة. و لذلك كانت البيعة الحفيظية بحد ذاتها "ثورة" على مضامين هذه السلطنة التي أصبحت مهددة بالزوال. وبالتالي فإن هذه البيعة كانت كذلك إنقاذا لها بالرغم من أنها تمت خارج أعرافها التقليدية المقدسة².

في 16 أوت 1907، و بعد أحد عشر يوما من الدمار الذي أصاب مدينة الدار البيضاء نتيجة قصفها من طرف السفينة الحربية الفرنسية "غاليني Gallieni"³، وقع اجتماع حاشد و مصيري في مسجد القصبة بمدينة مراكش ضم زعماء القبائل، والقادة والأشراف والأعيان، وكل كبار المجتمع المغربي، و على رأسهم أهل الحل والعقد. و أجمع هؤلاء على بيعه مولاي عبد الحفيظ سلطانا على المغرب. وبقدر ما كانت هذه البيعة انقلابا في عائلة العرش العلوي كانت في نفس الوقت بداية "الحركة الحفيظية"⁴. و بالرغم من أن هذه البيعة لم تتم بسهولة، نظرا لما عرفته من نقاشات حادة حول شرعيتها، فإن هذا "الانقلاب الحفيظي" وجد تجاوبا سريعا من مختلف جهات السلطنة⁵. فقد توالى رسائل البيعة من مختلف زعماء القبائل والشخصيات الدينية وكبار القوم في مختلف أنحاء السلطنة. وحتى من طرف بعض كبار موظفي المخزن

¹ - أحمد زيادي، انتفاضة الشاوية سنة 1907، مرجع سابق، ص 22.

² - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit, p 390.

³ - من مظاهر خضوع السلطان عبد العزيز للتدخل الفرنسي في المغرب قبوله مشروعا مشتركا في ميناء الدار البيضاء. تترتب عنه استيلاء على الممتلكات و انتهاك حرمان القبائل القرييين من الميناء. مما أثار هؤلاء الذين اجتمع عنهم مندوبين في 28 جويلية 1907 و طالب هؤلاء من خليفة السلطان في المدينة مولاي الأمين توقيف الأشغال و دعوة المراقب الجمركي الفرنسي بمغادرة المدينة فورا. إلا أن ذلك لم يتم مما أدى إلى توترات بين السكان و عمال الشركة أدت إلى مقتل بعض العمال الفرنسيين. و هذا ما استغلته فرنسا التي أرسلت السفينة الحربية "غاليني" و قامت هذه الأخيرة بقصف مدينة الدار البيضاء و احتلالها. و قد أدى ذلك إلى كارثة في المدينة حيث سقط العديد من السكان نتيجة قصف هذه السفينة الفرنسي و أخرى إسبانية للمدينة حيث اعتبر ذلك تنفيذا لبنود اتفاقية الجزيرة. و نظرا لما أحدثه الهجوم على المدينة من نتائج كارثية، اعتبرت هذه الحادثة سببا في تصاعد صورة عبد الحفيظ الذي أصبح ينظر إليه كمنقذ للبلاد. أنظر، أحمد زيادي، انتفاضة الشاوية سنة 1907، مرجع سابق، ص 18-20.

⁴ - علال الحديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق ص 202.

⁵ - بالرغم من توفر كل الظروف لبيعة عبد الحفيظ باعتباره من عائلة الأشراف العلويين، بالإضافة إلى الخطر الخارجي فإنه وقع أخذ و رد بين الحاضرين لإعلان البيعة الذي ضغطوا على قاضي مراكش مصطفى العلوي و ألزموه الحكم بخلع عبد العزيز لعجزه (رواية الأعرج السليماني). كما جاء في رواية أخرى لحمد المختار السوسي أن بيعة مولاي عبد الحفيظ لم تتم إلا بعد أخذ و رد و جدال. و ذكرت أخرى التردد الذي كان من ورائه اعتبار بعض الحاضرين أن البيعة فيها تسرعاً (الدرر اللفظية في المملكة الحفيظية أنظر، علال الحديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق ص 195).

فقد استغلت البيعة الحفيظية عجز المخزن العريزي في الدفاع عن المغرب من التدخل الأجنبي¹. فوجدت قاعدة مهياة لبداية عهد جديد بالنسبة للسلطنة فيه الكثير من التحديات. فعلى رفضها السلطان عبد العزيز في فاس، وتحولت المواجهة من فقهية حول شرعية المبايعة الحفيظية إلى عسكرية بين سنتي 1907 و1908 بين "العريزيين" الذين تحالفت معه فرنسا و "الحفيظيين" الذين كانوا تمثيلا للإرادة الشعبية، وحتى الفقهية. وقد اعتبر ذلك بحد ذاته انتصارا للسلطان "المنتخب" مولاي عبد الحفيظ².

من جهة أخرى فإن هذه البيعة تمت في ظروف تميزت باستفحال التدخل الأجنبي الذي تحول من ضغوط دبلوماسية، إلى واقع عسكري بالنسبة للمغاربة. فقد تم احتلال جزءا كبيرا من شرق السلطنة، وسقطت في نهاية 1907 مدينتين إستراتيجيتين وهما وجدة والدار البيضاء وقد استمدت البيعة الحفيظية شرعيتها من هاذين العاملين: تدهورا داخليا بفعل سياسة المخزن العريزي. واحتلالا أجنيا للأرض المغربية. وبالتالي اعتبرت بيعة مولاي عبد الحفيظ خلافة دينية لأنها كانت مرتبطة بإعلان الجهاد، فأصبحت مطابقة مع شروط الخلافة التي تقتضي الالتزام بالواجبات الدينية والدنيوية، و"أوجب هذه الواجبات الدينية هو الجهاد لحفظ الملة و

¹ - Daniel Rivet *Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T1, op.cit. p 84.*

² - منذ مبايعة مولاي عبد الحفيظ في أوت 1907 وإعلانه عن عزمه تحرير إقليم الشاوية من الاحتلال الفرنسي انسجما مع مضمون البيعة المشروطة، وبعد مبايعة مدينة الرباط مجتمعا و علماء له، أرسل قوة عسكرية من ألف رجل بقيادة ابن عمه محمد ولد مولاي رشيد الذي كان من اشد المتحمسين للمبايعة المشروطة. وأبلغ مولاي عبد الحفيظ أعيان إقليم الشاوية أنه قرر الانتقال إلى الشاوية لحل مشكلة الاحتلال بجلاء الجنود الفرنسيين عن مدينة الدار البيضاء. وعند وصول هذه القوة إلى مشارف المدينة انضم إليها عدد كبير من المتطوعين الذين تحمسوا لجهاد المحتل الفرنسي و الانتقام من قتلى القصف الفرنسي للدار البيضاء مما أحدث ذعرا لدى الفرنسيين الذين طلبوا إمدادات عسكرية إضافية. و ضغطوا على السلطان الرسمي عبد العزيز للتدخل عسكريا و توقيف الزحف الحفيظي. وقد غادر عبد العزيز فاس مضطرا في سبتمبر 1907 متجها نحو الرباط لخصر نفوذ أخيه في الجنوب و التفاوض مع الفرنسيين حل مسألة الشاوية لصالحه. و بهذه الصفة فإن التحالف بين العريزيين و الفرنسيين أصبح أمرا واقعا لإلغاء البيعة الحفيظية. و قد التقى الجنرال "ليوتي" *Lyautey* مع السلطان عبد العزيز لتنسيق العمليات العسكرية. و بهذه الصفة فقد السلطان المغربي كل شرعيته الفقهية و الشعبية. ثم بدأت الاشتباكات بين الطرفين في نوفمبر 1907 حيث أهرم العريزيون في معركة "سيدي بن سليمان" مما دفع بالسلطان عبد الحفيظ بالانتقال إلى الشاوية حيث حقق الكثير من الانتصارات العسكرية الأخرى مثل معركة "قصبات" في فيفري 1908. و هو ما سمح له بالتوجه لمدينة مكناس ابتداء من ماي 1908 ثم فاس في جوان 1908 و بعد آخر المحاولات التي قام بها المخزن العريزي في أوت 1908 التي انتهت بمعركة "بوعشبية" قرب مدينة "ستات" التي أهدت العهد العريزي عسكريا و سياسيا وانتهى بذلك عبد العزيز كسلطان تمت مبايعته في سنة 1894 في ظروف جد مريية. إلى غاية نهايته في سنة 1908. حيث انسحب إلى مدينة طنجة إلى غاية وفاته سنة 1943. أنظر، علال الخديمي، التدخل الأجنبي، مرجع سابق، ص 332 .

الدفاع عن حوزة البلاد" على حد تعبير صاحب "الدرر اللفظية في المملكة الحفيفية"¹. وقد استمدت هذه الحركة شرعية وجودها من خلال ما حملته السلطان مولاي عبد الحفيظ كشعار ديني لاستنفار الأمة للقيام بواجب جهاد الغازي الأجنبي الذي استولى على البلاد و العباد. وقد تمحور نص البيعة المراكشية حول هذه القضية. وقد حضرها غالبية علماء السلطنة الذين مثلوا يومها أصحاب الحل والعقد. فلأول مرة في تاريخ سلطنة الأشراف العلويين اجتمع هؤلاء بإرادتهم، وخارج الممارسات الرسمية وبايعوا سلطانا "بيعة مشروطة"²، لأنها، ولأول مرة في تاريخ المغرب، اشترطت مواجهة العدو الخارجي. وإعلان الجهاد. وقد ظهر ذلك بصورة جلية في معظم فقرات هذه البيعة³.

لقد كانت البيعة المراكشية بمثابة زلزال أصاب المغرب، فانتشرت أخباره و تزايد مؤيديها من العامة والخاصة. فقد رأوا في عبد الحفيظ رجل الساعة الذي كان المغاربة بحاجة إليه لإنقاذهم من تعسف سياسات المخزن العريزي داخليا. ومواجهة الغزو الأجنبي خارجيا. ولم تتوقف رقعة المؤيدين لها عن الاتساع. فقد وجد هذا "الانقلاب الحفيفي" أرضا مهيأة لنجاحه فانتشر الحماس للجهاد بسرعة كبيرة، وجاءت الوفود من كل فج عميق لمدينة مراكش لتقديم بيعتها لـ "سلطان الجهاد" مولاي عبد الحفيظ. وبدأ فعلا هذا الأخير في مشروعه التحرري فتوجه لقبائل الشاوية لإنقاذها من الاحتلال الفرنسي. فوصلت هذه البيعة إلى أبواب

¹ - إسماعيل إيشرخان، تقديم وتحقيق مخطوط الدرر اللفظية في المملكة الحفيفية لمؤلف مجهول. جامعة مولاي علي الشريف الحريفية منشورات وزارة الثقافة، ديسمبر 2000.

² - محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء ط02، 1985، ص 355.

³ - من أهم ما جاء في نص البيعة المراكشية "سبحان من لا يرضى لعباده الكفر، ويرضى لهم الإيمان و الحمد و الشكر. والحمد لله الذي جعل الخلافة زينة للدين و الدين. و فصم بها عرى العداة المعتدين. و حقت بها الأعراض و الدماء و الأموال... فلما كانت الخلافة العظمى قطبا يدور عليه ناموس الإسلام و عقدا محرزا ضابطا كفيلا لصلاح الخاص و العام... ولذلك وقع من السادات القادة أئمة الدين و العلماء المهتدين على اشتراط شروط فيمن يطوق برقبته و يملك أزمته. منها و هو سادسها: الكفاية في ضبط أمور المسلمين و النظر في مصالحهم المهمة كسد الثغور و تحصينها إلى غير ذلك... فقد عظم على المسلمين بالمغرب في هذا الزمان المصائب و ذاقوا من شدائده كل مر و صاب و أطلت عليهم النوائب إطلال العقاب... فاستولى أولا على وجدة و أناخ على أهلها و لم يجدوا ناصرا و لا معيناً... ثم عمد إلى الدار البيضاء و عاث فيها و قتل و سبا و أحرق... و تشوف لاحتلال ببقية الثغور و مراكش و فاس... و قد انعقدت البيعة على شريف العلماء و عالم الشرفاء الشريف الهمام... سيدنا و مولانا عبد الحفيظ بن مولانا الحسن بن مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمان بن هشام فانعقد الإجماع في هذه المدينة المراكشية على بيعته بيعة جارية على السنة و الجماعة سالمة من كل كلفة و تباعة... أنظر، محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، مرجع سابق، ص 355.

عاصمة و قلعة السلطنة مدينة فاس¹. و قد بدأ المخزن العززي في الحد من توسعاتها بمواجهتها عسكريا. ففي سبتمبر 1907 خرج السلطان عبد العزيز بنفسه على رأس جيش صوب مدينة الرباط التي بايع أهلها وعلماؤها السلطان الجديد في أوت 1907. و اعتبرت بيعة مدينة "رباط الفتح"². آخر خط للدفاع عن السلطنة المتآكلة من الداخل. والمستعمرة في الكثير من أراضيها. إلا أن السلطان عبد العزيز لم يكن يعلم أن الخطر الداهم وصل إلى مدينة فاس بحد ذاته. فبمجرد مغادرته لها في سبتمبر 1907 عرفت المدينة حركة تمردية قادها علماء فاس الذين اعتبروا مساندة عبد الحفيظ واجبا شرعيا. و نادوا بضرورة الثورة على النظام العززي مما أدى إلى حدوث انتفاضة أهل فاس في ديسمبر 1907 التي انتهت بـ "البيعة الفاسية" التي كانت موجهة لعبد الحفيظ كـ "سلطان الجهاد" في مطلع سنة 1908. و كانت هي الأخرى مشروطة "بطرده الأجانب الكفار من أرض الإسلام"³. و بهذه البيعة، و لأول مرة في تاريخ سلطنة الأشراف العلويين أصبح بين يدي مولاي عبد الحفيظ كتاسع عشر سلطان شريفي علوي بيعتين شرعيتين. و قد سمحت له بسيطرته على سلطنة الأشراف العلويين بصورة شرعية و شعبية من أجل مهمة أساسية تتمثل في "الجهاد لاسترجاع الأرض والعباد"⁴. و بالرغم من الصراع العسكري الذي نشب بين "الحفيظيين" و "العززيين" بين سنتي 1907 و 1908. فإن ذلك

¹ - علال الخديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق 196.

² - الاسم القديم لمدينة الرباط و قد تم تأسيسها من طرف الخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي في سنة 1150. سميت بـ "الرباط الفتح" لأنها كانت منذ عهد الخليفة الموحيدي عبد المؤمن بن علي على مركزا لتجمع الجيوش الموحدية الغازية سواء إلى إفريقية أو الأندلس. ولما تم فتح إفريقية أصبحت ممرا للجيوش المسيرة إلى الأندلس. لكن هذا الاسم لم يطلق عليها إلا في عهد الخليفة الموحيدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي حين كان يعبر بجيوشه الحرارة من الموحدين والأعراب من المغرب إلى الأندلس للاضطلاع بمهمة الجهاد وكان ذلك في عام 1171 م وسميت يومئذ برباط الفتح. وكانت تسمى قبل ذلك بالمهدية حيث كانت بمنشآتها وموقعها على البحر وإحاطته بها تشبه مدينة المهدية بتونس في العصر الفاطمي. انظر، عبد العزيز بن عبد الله، رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة منذ ألف عام، منشورات جمعية رباط الفتح، الرباط، 1990، ص 45.

³ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T1, op.cit. p 92.

⁴ - تضمنت البيعة الفاسية عدة شروط من بينها عدم تنفيذ شروط ميثاق الجزيرة، و استرجاع الجهات المحتلة في الحدود، و تحرير وجدة و الدار البيضاء، و إلغاء امتيازات الحماية القنصلية، و التحالف مع الدول الإسلامية إن دعت الضرورة إلى ذلك، و الرجوع إلى الأمة قبل عقد أي اتفاق مع الأجانب، و الاستعداد للدفاع عن البلاد، و إلغاء المكوس، و نشر العدل للأمة، و نشر العلم. انظر، علال الخديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق، ص 224.

أدى إلى نهاية حكم السلطان عبدالعزيز بصورة مذلة له¹. و بداية العهد الحفيظي. خاصة بعد آخر مبايعة للسلطان الجديد من طرف سكان و أعيان مدينة الدار البيضاء².

لقد تميز العهد الجديد الحفيظي في المغرب بتحديات و مصاعب ليست أقل خطورة مما كان عليه الوضع في العهد العزيري. و تمثلت تلك التحديات في النهوض بأحوال السلطنة من جميع الجوانب. ومواجهة التدخل الأجنبي، فقد أعلن السلطان عبد الحفيظ الجهاد كحل شرعي و شعبي لمواجهة الاحتلال الفرنسي لجزء كبير من أرض المغرب الأقصى. بالرغم من أن موازين القوى العسكرية لم تكن تسمح له باسترجاع ما ضاع من أقاليم³. أما بالنسبة للأوضاع الداخلية فإن البيعة الحفيظية سواء المراكشية أو الفاسية، قد تضمنت ضرورة إصلاح أحوال السلطنة داخليا بما يتماشى مع روح العصر. و تعتبر الحركة الدستورية التي عرفها العهد الحفيظي 1908-1912 من أهم ملامح هذا الإصلاح. ففي هذا العهد انتشرت الأفكار الإصلاحية المطالبة بتغيير أسلوب الحكم مما كان عليه منذ تأسيس دولة الأشراف العلويين إلى ممارسة عصرية باعتماد الدستور كقانون أساسي تسيير عليه السلطنة. فقد كانت الحركة الحفيظية، حتى قبل البيعة المشروطة تحمل مشروعا إصلاحيا تزعمه مجموعة من الشباب من بينهم "أحمد بن المواز" و "أحمد الزبدي" و "عبد الحفيظ الفاسي" و "المهدي بن الطالب الفاسي" و "السعيد الفاسي"⁴ و قد كان نشاط هؤلاء من خلال هؤلاء جمعية سرية كانت تهدف إلى تنوير المغاربة و مقاومة الاحتلال الأجنبي. وكان لها نشاط صحفيا في مجموعة من الصحف الحرة التي كانت

¹ - بعد انهزام السلطان عبد العزيز في معركة بوعشبة في أوت 1908 أمام أخيه عبد الحفيظ أصبح رهينة بيد الفرنسيين. خاصة بعد أن خذلوه في وهم استرجاع عرشه. فقد كانت مصلحة فرنسا تقتضي تقاتل الطرفان لصالحها. فانتقل بعد ذلك لمدينة طنجة ثم قضى فترة الحرب العالمية الأولى في أوروبا. بعد ذلك رجع إلى طنجة و استقر فيها إلى غية وفاته سنة 1943. و قد ذكر الحاج أحمد بلافيج أنه التقى به في مدينة طنجة أثناء تواجده بها أثناء الحرب العالمية الثانية. و تأسف له عن أحوال المغرب و شجع الحركة الوطنية في الدعوة إلى الإستقلال و قال له أنه كان يريد ذلك و لكنه كان وحيدا. أنظر زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، مرجع سابق، ص 299.

² - علال الخديمي، التدخل الأجنبي، مرجع سابق، ص 303.

³ - مازالت مسألة محاربة السلطان عبد الحفيظ للاحتلال الفرنسي محل خلاف بين المؤرخين و الدارسين لمرحلته و حركته. بين من اعتبره أنه قام بكل الجهود العسكرية لاسترجاع إقليم الشاوية الذي كان محتلا من طرف القوات الفرنسية و لكنه لم ينجح في ذلك لاختلال موازين القوى. أنظر، مصطفى العلوي، مولاي عبد الحفيظ سلطان الجهاد، إفريقيا الشرق، 1989. و بين من اعتبر أنه استعمل مسألة الجهاد فقط كمطية لقلب المغاربة و خاصة العلماء إلى بيعته و إعلانه سلطانا خاصة بالنظر إلى النهاية المأساوية

لحركته سنة 1912. أنظر، Abdallah Laroui, les origines, op.cit, p 400

⁴ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 112.

تصدر في طنجة مثل مجلة "المغرب الجديد"، و"لسان المغرب"¹. و قد كانت هذه الأخيرة ناطقا رسميا باسم هذه الحركة الدستورية التي اختلف بشأنها الدارسون حول تبني السلطان عبد الحفيظ لها.² فاتخذت بذلك بيعته بعدا دستوريا بالإضافة إلى بعديها الشرعي و الشعبي بالإضافة إلى ما كان هؤلاء الشباب المصلحين يكتبونه في جرائد أخرى مثل جريدة "الحاضرة" وغيرها من الجرائد والمجلات³. و قد استغلت هذه المجموعة كل المناسبات الاجتماعية لنشر الأفكار التنويرية في أوساط المجتمع المغربي⁴.

لم تكن هذه الحركة وليدة صدفة بقدر ما كان لها عوامل ساعدت على نموها وتبلورها لتتخذ شكلا دستوريا استمدت منه الحركة الوطنية المغربية في مطلع الثلاثينات في الشمال و الجنوب شرعيتها باعتمادها كمرجعية في نشاطها بمطالبتها بالإصلاح كمضمون وطني للتحرر من الحماية المزدوجة. كما كان لبعض مكونات هذه الحركة من اجل بناء دولة مغربية مستقلة بمضمون حدائي⁵. لقد كان مولاي عبد الحفيظ بالنسبة للكثير من المؤرخين صاحب مشروع لإنقاذ المغرب من التخلف والانحطاط⁶. ففي عهده عرف المغرب حركة فكرية وإحياء للفكر

¹ - صدرت هذه الجريدة الأسبوعية في مدينة طنجة في فيفري 1907. و استمرت حتى جوان 1909 بعد صدور أربع و ثمانين عددا منها. أسسها الشقيقان اللبنانيان فرج الله نمور و أرتور نمور اللذان قدما إلى المغرب من أوروبا وكان قد سبق لهما أن أصدرتا بتونس جريدة البصيرة سنة 1892 التي منعت فرنسا صدورها سنة 1897. و قد جاء في العدد الأول على لسان الشقيقان أن الغرض من إصدار هذه الجريدة في المغرب هو أن "البعض الذي يعد سؤا لهم أمرا مفروض الطاعة نصحهما بالتوجه للمغرب وتأسيس جريدة عربية فيه نظرا قلة الجرائد العربية فيه". و يعتبر الدارسون أن هؤلاء "البعض" هم الألمان نظرا لظرفية الأزمة المغربية التي كانت تتمثل في مؤتمر الجزيرة الخضراء لسنة 1906. خاصة و أن خطها لم يصطدم بالمصالح الألمانية في المغرب. و قد اعتبرتها فرنسا وسيلة استعملها المخزن باتفاق مع ألمانيا للدفاع عن نفسه و مضايقة المصالح الفرنسية في المغرب. أنظر، جامع بيضا، صحافة طنجة مرآة للصراع الدولي حول المغرب (1900-1912) في "طنجة في التاريخ المعاصر، 1800-1956"، الملتقى العلمي الأول لمدينة طنجة 18، 20 أكتوبر 1990، جامعة محمد الخامس، الرباط، جامعة عبد المالك السعدي، النشر العربي الإفريقي، الرباط، 1991، ص 205-218.

² - سيتم التطرق للجدل الذي وقع بشأن علاقة السلطان عبد الحفيظ بالحركة الدستورية في نهاية العنصر.

³ - سيتم التطرق لاحقا لدور الحركة الصحفية في نشأة الحركة الوطنية المغربية.

⁴ - ذكر علال الفاسي أن قراء الأوراد في تلك الفترة و في مختلف المناسبات الدينية من بينها مناسبة المولد النبوي الشريف كانوا يستعملون كلمة "دستور" يقولهم "دستور يا الله... دستور يا رسول الله!!" أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 112.

⁵ - يتعلق الأمر أساسا بالحركة الوطنية التي تزعمها محمد حسن الوزاني منذ مطلع الثلاثينات سواء في نطاق "الحركة القومية" التي تأسست سنة 1937 أو "حزب الشورى و الاستقلال" الذي تأسس سنة 1946. و سيتم التطرق إلى ذلك لاحقا.

⁶ - يعتبر السلطان مولاي عبد الحفيظ من أكثر الشخصيات المغربية التي كانت محل جدال بين من اعتبره وطنيا و حاول إنقاذ المغرب من السقوط إلا أن مجيئه المتأخر و التدخل الأجنبي المستعجل هو الذي كان سبب فشله (علال الفاسي). و آخرون من رأى عكس ذلك معتبرا إياه استغل الظروف التاريخية التي كان المغرب يمر بها للوصول إلى عرش العلويين الأشراف. و لم يكن

الإسلامي الأصل ومحاربة الانحرافات. فحتى بيعته كانت الأولى من نوعها لأنها جاءت في ظروف تاريخية لم يشهدها المغرب من قبل. بتدهور أحواله في الداخل، و باحتلال أجنبي من الخارج بالإضافة إلى مضمونها الذي تمثل في "شروط و قيود و تعهدات والتزامات من شأن تطبيقها أن يبعد جهده مكان الأخطار الخارجية والداخلية ويحفظ استقلال المغرب و سيادته ووحدته الترابية" على حد تعبير محمد حسن الوزاني¹. فقد تضمنت "البيعة الحفيظية المشروطة" تقييد الحكم الجديد للسلطان وعدم الاستبداد بشؤون الدولة والاستئثار بتدبير المملكة، والزمته بالرجوع إلى الأمة في كل ما يتعلق بشؤونها الداخلية والخارجية.

فقد كان "المجلس الشعبي للبيعة". هيئة يعود إليها السلطان في جميع أحوال الأمة. و "قد كان في مستوى الأحداث بما تجلى من شعور قوي بالخطر على المصير القومي، و من وعي كبير بجسامة المسؤولية..."². وقد أدت هذه البيعة إلى وعي المجتمع المغربي بأوضاعه فتفاعل معها بتأييده المطلق للسلطان عبد الحفيظ سواء من خلال البيعة المراكشية أو البيعة الفاسية و تحولت إلى تيار وطني انبثق من البيعة، و وجد صداه البعيد في الداخل في الأوساط المغربية و حتى في الخارج من خلال الأوساط الدبلوماسية والصحافية في الدول التي كان لها طموحات استعمارية في المغرب. فقد تلقت هذه الأخيرة تلك البيعة الشرعية ذات البعد الشعبي، وبذلك المضمون الدستوري بامتعاظ واستياء³. فقد وقفت عائقا أمام تنفيذ المشروع الفرنسي لإتمام احتلال المغرب. فقد رفض السلطان عبد الحفيظ العروض الفرنسية الإصلاحية

صادقا في مشروعه و لم يكن إلا مظطرا للظهر بذلك المظهر (محمد الحسن الوزاني) إلا أن هذا الطرح لا يصمد أمام تنازله عن الحكم مباشرة بعد إعلان الحماية الفرنسية في مارس 1912. و قد كتب هو نفسه وثيقة تاريخية تضمنت الدفاع عن نفسه تحت عنوان "براءة المتهم التي لم يتمكن أحد من الإطلاع عليها لفقدانها. و في جميع الأحوال فإن حركته تعتبر من أصول الحركة الوطنية المغربية. أنظر، عبد اللطيف حسني، الأصول الفكرية لنشأة الوطنية المغربية، دراسة في تطور الأفكار السياسي 1800-1912، إفريقيا الشرق الرباط 1991.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، الجزء 01، طور المخاض و النشوء، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1982، ص 76.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 76.

³ - المصدر نفسه، ص 78.

بحجة رفضها من طرف "مجلس الأعيان". الذي كان بمثابة هيئة سيادية ضمن هذه البيعة الدستورية¹.

عرفت حركة مطالبة بالدستور تطورا ملحوظا في عهد مولاي عبد الحفيظ كاستمرارية لشروط البيعة الحفيظية المقيدة للحكم الاستبدادي المطلق فواصلت مطالبتها بترسيخ هذه البيعة المشروطة بإصدار دستور يحدد سلطات الملك و الشعب. و قد ظهرت هذه المطالبة على أعمدة جريدة "لسان المغرب" التي جاء في الكثير من أعمدتها وعبر الكثير من أعدادها عدة مقالات انتقدت الأوضاع المخزنية و طالبت بإصلاح أحوال المغرب من جميع النواحي. ففي المجال السياسي انتقدت الجريدة الحكم المطلق انتقادا لاذعا انطلاقا من واقع الحال. و طالبت بإصلاحه بما يتماشى مع تطور الفكر السياسي المعاصر من خلال العديد من المظاهر مثل "مجلس نواب الأمة"². كما تضمنت في الكثير من أعدادها دعوة عبد الحفيظ إلى القيام بالإصلاح باعتباره على رأس المؤمنين به و الداعين إليه³. فالنسبة لها فإن "الوقت قد دعا إلى الإصلاح، والشبيبة العصرية قد هلت قلوبها و انشرفت صدورها له و جلالة سلطانها الجديد و انشرفت صدورها له و جلالة سلطانه الجديد يعرف لزومه..."⁴. و قد طالبت الجريدة السلطان الجديد بتحمل مسؤولياته التاريخية اتجاه الأمة المغربية فالنسبة لمحوري الجريدة فإنهم "لم ينألوا جهدا في المناداة بطلبه على صفحات الجرائد من جلالته، و هو يعلم أنهم ما قلدوه بيعتهم و اختاروه لإمامتهم، و خطبوا وده رغبة منهم و طوعا لأملهم في أن ينقذهم من وهدة السقوط التي أوصلهم إليها الجهل والاستبداد..."⁵. و لتشجيع السلطان على اتخاذ هذه الخطوات والقيام بمثل هذه الإجراءات اعتبر محررو الجريدة أن السلطان له القدرة على "تحقيق رجائهم و البرهنة لكل على أهليته ومقدرته على ترقية شعبه، و جدارته بإدارة ما

¹ - علال الفاسي، حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية، تصحيح المختار باقة ط 02 منشورات مؤسسة علال

الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2014، ص 59.

² - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 113.

³ - المصدر نفسه، ص 112.

⁴ - المصدر نفسه، ص 113.

⁵ - المصدر نفسه.

قلدته أمته...¹ و في المجال الثقافي طالبت الجريدة بفتح الدارس و نشر المعارف، إجبارية التعليم الابتدائي و ضرورة اختيار ذوي الكفاءة والاستحقاق والأهلية².

إلا أن أهم مطلب كان لجماعة جريدة "لسان المغرب" في العهد الحفيظي هو مطالبتها بدستور لأنه بالنسبة لها لا يمكن "ليد واحدة أن تقدر على إنهاض شعب من حالته المتردية ولا على إصلاح إدارة متخلفة كالإدارة المخزنية. و لذلك يجب أن تكون الأيدي المتصرفة والعقول المفكرة والأفكار المدبرة كثير متكاتفه على العمل، وعليه فلا مناص، ولا محيد لجلالته من أن يمنح أمته نعمة الدستور ومجلس النواب. وإعطائها حرية العمل والفكر لتقوم بإصلاح بلادها"³ و للتأكيد على حتمية الإصلاح السياسي كحل لتطور الأمم قدمت هذه الجماعة مجموعة من تجارب للأمم أخرى نجحت في التطور، وخرجت من الاستبداد. وذلك بعد إجرائها لإصلاحات سياسية. سواء كانت هذه الأمم من الشعوب الإسلامية كما هو الحال للدولة العثمانية بعد إصدار السلطان عبد الحميد الثاني للدستور وتأسيسه لهيئات ديمقراطية مثل "مجلس المبعوثان أو غيرها من الدول مثل اليابان الذي اعتبره هؤلاء أكثر حجة لترحهم الإصلاح الدستوري. فقد اعتبروها بمثابة "الشمس المشرقة في آفاق آسيا التي كانت في مؤخرة الدول قبل أربعين سنة وأصبحت بعد إصلاحها السياسي في مصاف الدول العظيمة وانتصرت على دولة من أعظم دول العالم و هي روسيا"⁴.

من أهم ما قامت به جماعة "لسان المغرب" هو إصدارها لمشروع دستور متكامل على أعمدة هذه الجريدة، في أربعة أعداد (57، 58، 59، 60) بين شهر أكتوبر ونوفمبر من سنة 1908. و قد تضمن هذا الدستور ثلاثة وتسعين مادة موزعة على عشرة فصول وملحقا. مست مختلف الجوانب السياسية التنظيمية لشؤون الدولة⁵. و قد تعددت مضامين هذه الفصول و مست مختلف المجالات المرتبطة ببناء دولة متطورة ومسيرة للتطورات التي

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 113.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - يقصد من ذلك النهضة اليابانية التي انطلقت في منتصف القرن التاسع عشر (1854) والتي كان من نتائجها نهضة اليابان دولة ومجتمعاً. وكان من بين تداعياتها الحرب اليابانية الروسية سنة 1905 التي انتصرت فيها اليابان واسترجعت بعدها جزر الكوريل. و فرضت هيبتها في القارة الآسيوية.

⁵ - أنظر الملحق الخاص بمشروع الدستور لسنة 1908.

شهدها الفكر السياسي الإنساني في مطلع القرن العشرين. وقد سمي هذا الدستور المغرب بـ"الدولة المغربية الشريفة" عاصمتها مدينة فاس. و أعطي لقب السلطان لحاكمها. وهو "غير مسؤول بأمر من أمور الدولة لا داخليا ولا خارجيا". لكنه يعتبر "حامي حوزة الدين" الذي تجب الطاعة في حقه من طرف أبناء السلطنة. وتضرب باسمه النقود. وتخطب الخطب. ويقود الجيش. ويشهر الحرب. ويمثل الأمة والدولة رمزيا أمام الدول الأجنبية. ويتم تعيينه بالوراثة" حسب العوائد القديمة للأرشد، بل للأقرب من ذوي القربى"¹. و يعتبر الإسلام على المذهب المالكي دين هذه الدولة الشريفة. مع احترام سائر الأديان المعروفة بلا فرق، والسماح لمعتنقيها إقامة شعائرهم ومعتقداتهم بكل حرية². كما شملت فصول أخرى حقوق و واجبات مواطن هذه الدولة في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. و قد أعطيت صفة المواطنة لكل واحد من أبناء الدولة الشريفة سواء كان مسلما أو غير مسلم. و قد تم تحديد حقوقه الأساسية مثل تمتعه بالحرية الشخصية. وحرية الرأي. في التعبير و الكتابة وتساوي كل المغاربة أمام وظائف المخزن. و مساواة كل المواطنين في تخليص الضرائب وتكفل الدولة بالمواطنين العجزة الذي لا يستطيعون التكفل بأنفسهم لأسباب مختلفة³

كما نصت كذلك هذه الوثيقة على مختلف المؤسسات التي تمثل النظام السياسي مثل "منتدى الشوري" و"مجلس الأمة" و"مجلس الشرفاء"⁴. و في الفصول الأخرى تم التطرق لجوانب أخرى من تنظيم هذه الدولة مثل "كبار الموظفين و رواتبهم" و" مالية الدولة". و نظرا لطبيعته النهضوية فإنه خصص فصلا كاملا للنظام التربوي تحت عنوان "المدارس الوطنية"⁵. و قد ظهرت الظروف الخارجية، التي كانت تضغط على المغرب، في ثنايا هذا الدستور من خلال فصل عنوانه "في الحماية" حيث تم التحريم على كل مغربي من أن يتخذ حماية دولة من الدول الأجنبية. وخصص عقوبات قاسية لكل من يقوم بهذا السلوك سرا بدون علم السلطة المركزية⁶.

¹ - أنظر الملحق رقم 01 الخاص بمشروع الدستور لسنة 1908.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - المصدر نفسه.

لقد صدرت هذه الوثيقة الدستورية في ظروف تاريخية كان المغرب يعيش فيها سقوطا داخليا واستعمار فرنسيا لجزء كبير من أراضيه نتيجة فشل المخزن العريزي في الدفاع عنه. و قد تمثلت مهمة السلطان الجديد في إنقاذ المغرب من هذا السقوط. فمنحت له "بيعة مشروطة" لتحقيق ذلك، أي بتحرير أراضيه، والقيام بنهضة شاملة¹. وقد جاء مشروع دستور 1908 كاستجابة لتحقيق هذه النهضة بإصلاحات سياسية تمثلت في مجموعة من المظاهر السياسية والمدنية. إلى جانب الاقتصادية والاجتماعية². فمن الناحية السياسية نص المشروع على طبيعة ومهام المؤسسة الملكية التي تعتبر العمود الفقري لسلطنة الأشراف العلويين. فحافظت على مكانة السلطان باختلاف مهامه المدنية والدينية. وفي السلم والحرب. ولكنه أبعد عن التسيير المباشر لشؤون "أبناء الدولة الشريفة" سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي. كما تم تهمين دور الحكومة في تسيير شؤون الدولة مع إخضاعها إلى مراقبة مزدوجة، سواء من خلال مراقبتها من طرف السلطان نفسه، أو من طرف "منتدى الشورى" باعتباره هيئة تشريعية أسندت لها مهمة مراقبة أنشطتها وتقييمها. ولها حتى الحق في عزلها و مطالبة السلطان بتأكيد ذلك³. وبالتالي فإن فكرة التمثيل النيابي في مشروع دستور 1908 كانت مبنية على نظام برلماني مزدوج. فقد جاءت المؤسسة البرلمانية التي اتخذت تسمية "منتدى الشورى" من خلال هئتين هما "مجلس الأمة" و "مجلس الشرفاء"، مع إعطاء هذا الأخير القوة في التمثيل والتقرير⁴. أما من الناحية الحقوق الاقتصادية والاجتماعية فقد أقر المشروع الدستوري احترام حق الملكية لكل مغربي الذي يعتبر نفسه آمنا على ماله و ملكيته. ولا يمكن لأي أحد المساس بهما بما فيه الهيئات الحكومية التي لا يمكن لها التصرف في مختلف الممتلكات لمواطني الدولة الشريفة إلا بما تقتضيه المصلحة العامة التي لا تقدرها إلا الهيئة البرلمانية⁵.

لقد اتفق جل الدارسون على اعتبار "الحركة الحفيظية" ظاهرة تاريخية فريدة من نوعها منذ نشأة سلطنة الأشراف العلويين، سواء من حيث الكيفية التي تم بها مبايعة زعيمها

¹ - عبد الكريم غلاب، التطور الدستوري والنيابي بالمغرب، 1908-1992، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993،

² - Mohammed Madani, *Le Mouvement National Et La Question Constitutionnelle Au Maroc, (1830- 1962) Mémoire Pour L'obtention Du Diplôme D'études Supérieure En Droit Public, Université Mohammed V, Rabat, 1982*

³ - Mohammed Madani, *Le Mouvement National, op.cit.*,

⁴ - *ibid.*

⁵ - عبد الكريم غلاب، التطور الدستوري والنيابي بالمغرب، مرجع سابق.

السلطان عبد الحفيظ، لأنه لأول مرة تدخل طرف آخر غير المخزن وكل المؤسسات التقليدية الأخرى و بايع سلطانا جديدا "بيعة مشروطة". أو من حيث مضمونها. فلأول مرة كذلك أصبح لهذه البيعة مضمونا آخر غير الذي كانت عليه منذ القرن السابع عشر. فقد اعتبرها الوزاني "...بيعة متصفة بالغيرة الوطنية والأصالة السياسية و الروح الإسلامية، ولذلك أدت إلى نفحة إصلاحية أولى، و وثبة تنظيمية هامة، و نبعة ثورية و انتها الظروف و فجرتها عزائم النخبة الواعية في الأمة التي أضنتها معاناة الحكم التقليدي، الذي كانت أساليبه و تصرفاته متنافية مع روح العصر و متناقضة مع متطلبات الوضع..."¹. و اعتبرها علال الفاسي بمثابة "عقد بين الملك والشعب" لأنها اتخذت شكل "ميثاق قومي و دستوري من الطراز الأول لأنها جاءت مشروطة بتحقيق جملة من البنود و سمحت بإخراج الحكم من الملكية المطلقة إلى ملكية مقيدة دستورية..."². و "...حركة شعبية في البلاد كانت ترى في المولى عبد الحفيظ رمزا لمقاومة الأجنبي و تنشد منه في ما يخص في المصلحة القومية و إلغاء سائر الامتيازات و الخروج بالدولة من النظام الأوتوقراطي إلى الحكم الديمقراطي تتمكن به الأمة من مراقبة أحوالها و إصلاح شؤونها..."³.

فقد كانت الحركة الحفيظية بالنسبة لهؤلاء و آخرون حركة وطنية تسعى للنهوض بالمجتمع المغربي داخليا. و خارجيا بإنقاذ المغرب من مشروع الحماية "المحتوم" الذي شرع فيه منذ نهاية القرن التاسع عشر. وقد استطاعت أن تتحول إلى تيار سياسي استطاع أن يفرض نفسه كمشروع وطني لإنقاذ "المغرب المريض"، الذي بدأ القرن العشرين بحركة تصحيحية منيرة و مشروع دستور كان يمكن أن يكون الطريق إلى إنشاء دولة عصرية قادرة على أن تلحق هذا المغرب بركب القرن العشرين و تصون الاستقلال الوطني..."⁴ على حد تعبير محمد العربي المساري. فقد كانت الحفيظية لسان حال الحركة الوطنية الإصلاحية و الجهادية على حد سواء و قد استمرت من أوت 1907 إلى جانفي 1908 و أحدثت زلزالا مس كل المغرب من الشمال إلى

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 77.

² - اعتبر علال الفاسي أن البيعة الحفيظية تضمنت ستة شروط وهي: استرجاع الأقاليم المحتلة. و طرد الأجانب. و إلغاء معاهدة الجزيرة. و إلغاء الامتيازات الأجنبية. و عدم استشارة الأجانب في شؤون الأمة. و عدم إبرام مع الأجانب عقودا مهما كانت طبيعتها إلا بعد استشارة الأمة. أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 108.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 108.

⁴ - محمد العربي المساري، خطاب الإصلاح، التباسات و مفارقات، جريدة الشرق الأوسط، العدد 8935، 16 ماي 2003.

الجنوب. ولم تكن المدن الكبرى في منأى عنها. وحتى "بلاد السبيبة" مستها هذه الرياح الحفيظية

فقد كانت أول تيار وطني مغربي أوصل إلى سدة الحكم حكومة عارضت قرارات مؤتمر الجزيرة لسنة 1906. و قامت بكل جهودها لمنع كل أشكال التدخل الأجنبي الذي أصبح المغرب بالنسبة يعرف بـ "القضية المغربية" *L'affaire Marocaine* التي يجب تصفيتا. وبالرغم من عدم نجاح الحركة الحفيظية في هذا الاتجاه إلا أنها استطاعت أن تترك السياسة الفرنسية المغربية، حسب ما جاء في المراسلات الدبلوماسية الفرنسية¹. وقد اعتبر "إدموند بورك Edmund Burke III"، الذي كان أول الدارسين للحركة الحفيظية²، أنه كان لها بعدا وحدويا واجتماعيا في آن واحد. فمن خلالها توحد المجتمع المغربي للإطاحة بـ "سلطان الأجانب" عبد العزيز ومبايعة أخاه الأكبر عبد الحفيظ الذي كان "سلطان الجهاد"³. الذي ذكر المغاربة بجهاد القرن الخامس عشر الذي حرر المغرب من البرتغاليين⁴. و بالنسبة لـ "بورك" فقد كانت هذه الحركة أكثر من مجرد محاولة إنقاذ لسلطنة الأشراف العلويين من الانهيار، لأنها كانت تهدف إلى توقيف الانهيار الكامل للمجتمع المغربي بفعل سياسة المخزن العزيمي. التي عجلت بسقوطه⁵. و بالرغم من أن الحركة الحفيظية كانت بمثابة "ثورة فاشلة"، إلا أنها... استطاعت أن تساهم في نشر الوعي في أوساط النخبة المغربية. فقد استطاعت هذه الأخيرة مواجهة التحدي الاستعماري بأفكار جديدة اختلفت عن مبدأ الجهاد الذي كان متجذرا في الثقافة الشعبية المغربية...⁶. كما كانت هذه الحركة بالنسبة لـ "بورك" انعكاسا لثورات دستورية حدثت في مناطق أخرى، وخاصة في العالم الإسلامي. فبقدر ما كانت مستوحاة من مبادئ الثورة

¹ - Ministère française des affaires étrangères, Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1907-1908, Imprimerie Nationale, Paris, 1909.

² - اعتبر شارل أندري جوليان أن الدراسة الوحيدة و الشاملة للحركة الحفيظية هي تلك التي قام بها "إدموند بورك Edmund Burke III" و بالنسبة لجوليان فإن هذه الدراسة كانت لصالح السلطان عبد الحفيظ. وكان الهدف منها الرد على المشككين في النوايا الإصلاحية لهذا السلطان أنظر،

Charles-André Julien, Le Maroc Face Aux Impérialismes 1415 – 1956, Editions Jeune Afrique, Paris, 1978, p, 74.

³ - Edmund Burke, III, Préluce au protectorat Du Maroc, op.cit. ,p , 100 -120.

⁴ - Edmund Burke, III, Préluce au protectorat Du Maroc, op.cit. ,p , 100 -120.

⁵ - ibid.

⁶ - ibid.

الدستورية التي عرفتها بلاد فارس في 1906¹. والدولة العثمانية في سنة 1908، فإنها كانت كذلك شكل من أشكال استمرارية حركة المقاومة للأمير عبد القادر و المقراني في الجزائر². لقد اعتبر شارل أندري جوليان مجيء مولاي عبد الحفيظ مرتبطا بحركة الجهاد في المغرب من جهة، لأن مبايعته تمت كـ"سلطان الجهاد من طرف جماهير في أوج غضبها عن السلطان المعزول عبد العزيز"³. ومن جهة أخرى ارتبط كذلك بجماعة لسان المغرب. و بالنسبة إلى جوليان فإن الحفيظية كانت تيارا وحد المغاربة باسم السلطان واتخذ صبغة الوطنية جمعت بين الإصلاح وجهاد فرنسا. فهذه الأخيرة اعتبرها هذا التيار مسؤولة عن كل مآسي المغرب سلطنة ومجتمعاً. وقد اعتبر جوليان أن هذا التيار استمد أفكاره من تركيا ثم انتشرت في كل المدن الكبرى مثل فاس و طنجة و تطوان والرباط، وبالرغم أن مشروع الدستور لم يكن له أي تأثير واضح في سياسة السلطنة إلا إن ذلك لم يمر بدون أن توجيه الأحداث في اتجاه معين⁴.

وبالنسبة لعبد الله العروي، فإن هذه الحركة استطاعت إحداث الكثير من التغيرات على الدولة العلوية الشريفة. فلأول مرة في تاريخ هذه الأخيرة انقسمت سيادة المخزن إلى 'فاسية عزيزية' و'مراكشية حفيظية'⁵. كما اعتبر هذه الحركة مظهرا من مظاهر الثورة التي عرفها المغرب بين صائفتي 1907 و 1912. و بصورة خاصة بما يرتبط بعلاقاته الخارجية. و يمكن تشبيه تلك الأحداث مع ما عرفته الدولة العثمانية في تلك الفترة. فبالرغم من أن العروي نفى أية قاعدة شعبية للتيار الحفيظي، لأنه لم يتم فهمه من طرف أعماق المجتمع المغربي، مثل كل الحركات النخبوية التي عرفها المغرب و العالم الإسلامي، إلا أن السؤال الحقيقي بالنسبة له ليس حول تأثير هذا التيار المباشر، ولكن حول حقيقته. بين كونه انعكاسا مباشرا للحركة الدستورية المشرقية، أو تعبيراً جديدا لرفض الإقطاع المغربي الذي بدأ منذ 1860⁶. و بالنسبة إليه فإنه من خلال الإجابة على هذا السؤال يمكن قراءة هذا التيار قراءة صحيحة⁷. لأن ذلك سيؤدي لمعرفة مدى وطنيته و أصالته. فالمغرب كان، ولمدة خمسة قرون، الدولة الإسلامية

¹ - Edmund Burke , III , *Prélude au protectorat Du Maroc*, op.cit. ,p , 100 -120.

² - *ibid*.

³ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit. , p 75.

⁴ - *ibid* . , p 77 – 79 .

⁵ - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit, p 374.

⁶ - *ibid* .

⁷ - *ibid*.

الوحيدة التي وعت نفسها على أنها أمة على حد تعبير إيفاريسست ليفي بروفنسال "Évariste Lévi-Provençal¹ و في جميع الأحوال فإن العروي اعتبر أن هذا التيار ترك آثارا عميقة على النخبة السياسية المغربية². ومهما اختلف الدارسون حول هذا التيار بين مؤيد و معارض لمضمونه ونتائجه فإن أهميته في تاريخ المغرب الأقصى لا يمكن لأي احد أن ينكرها³.

من جهة أخرى فإنه إذا كان هناك إجماع بين الدارسون حول الحركة الحفيفية على أنها كانت مشروعا لإنقاذ المغرب من السقوط واحتلاله كآخر منطقة من شمال أفريقيا. وإذا اتفق هؤلاء على أن البيعة الحفيفية المشروطة كانت أول ممارسة تاريخية في سلطنة الأشراف العلويين. فإن ربطها بالحركة الدستورية، التي كانت ظاهرة صحفية بامتياز، لم ينل ذلك الإجماع إذ اختلف هؤلاء وكل من تناول تلك الفترة الحرجة من تاريخ المغرب الأقصى، والحركة الحفيفية على وجه الخصوص، حول علاقة السلطان عبد الحفيظ بهذه الحركة الدستورية فهناك من اعتبرها جزء لا يتجزأ من البيعة الحفيفية. بل اعتبر هذه الأخيرة عملة ذات وجهين أحدهما "البيعة المشروطة" والآخر "الدعوة الدستورية".

فقد اعتبر علال الفاسي أن المسألة الدستورية في المغرب كانت من اهتمامات النخبة المغربية حتى من قبل حركة جماعة "لسان المغرب". و تم طرحها من قبل على السلطان عبد العزيز من خلال مذكرة مرفوعة إليه من طرف أحد العلماء تضمنت مطالبته القيام بإصلاحات في مختلف الجوانب للنهوض بالمغرب⁴. و لذلك فإنه بالنسبة له فإن مشروع الدستور الذي

¹ - مفكر فرنسي (1894-1956) متخصص في الدراسات الإستشراقية الإسلامية، تركت أعماله على الدراسات الأندلسية. كما شغل مديرا للمعهد الدراسات الإسلامية بباريس، من أشهر مؤلفاته: *Les historiens des chorfas* (1922) ويعتبر من المهتمين بالتاريخ المغربي في العصر الحديث والمعاصر. أنظر،

Janine, Sourdel-Thomine , *Liste des travaux du professeur E. Lévi-Provençal* , Edition Brill , Leyde, 1956

² - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit, p 374.

³ - *ibid* , p ,371.

⁴ - ذكر علال الفاسي أنه وجد وثيقة ضمن مجموعة اشتراها من عند الوراق السيد أحمد المزوري الذي وصلت إليه عن طريق تركة العلامة عبد الحفيظ الفاسي الذي كان من الذين شاركوا في " الثورة الحفيفية " وحركة دستور "لسان المغرب". و ينفي علال الفاسي على أن هذه الوثيقة كانت من وضع هذا العالم وغيره من زعماء الحركة الحفيفية، لأنهم لم يحدثوه عنها. و منه يتساءل عن صاحب هذه الوثيقة الدستورية و يدخل في جملة من التأويلات فنفي أن تكون لجماعة النخبة الإصلاحية نظرا لأسلوبها العامي. و تساءل حتى إن كان صاحب هذه الكراسة فعلا مغربيا. و بالرغم من أنه قام بتحليل هذه الوثيقة من حيث ظروفها و مضامينها و غيرها من القضايا المرتبطة بها. كما أوردها كما وجدها سواء من حيث حيثياتها أو مطالبها. و عندما لم يتمكن من التعرف على صاحبها أو حتى أصحابها سوى على أنها كانت في مرحلة السلطان عبد العزيز و موجهة إليه ،نسبها إلى مجهول، وقام بإصدارها

صدر في سياق الحركة الحفيظية هو استمرارية لهذه الحركة¹. وقد اعتبر الفاسي دستور سنة 1908 قد "...تضمن عدة جوانب كانت تشغل بال النخبة المثقفة في البلاد...فقد اشتمل على النواة الصالحة التي وضعت الاتجاه المغربي في ناحية الديمقراطية الشعبية...و بقدر ما كانت الحركة الشعبية ترى في المولى عبد الحفيظ رمزا لمقاومة الأجنبي، كانت تعتبره ضمانا للخروج بالدولة من النظام الأوتوقراطي إلى حكم ديمقراطي تتمكن الأمة من مراقبة أحوالها وإصلاح شؤونها"². وفي نفس الاتجاه اعتبر عبد الكريم غلاب الحفيظية "...حركة فكرية دستورية سياسية رائدة قام بها مجموعة من المثقفين والعلماء في بداية القرن من خلال ما كتبه جماعة جريدة لسان المغرب من مقالات لتوعية المواطنين وتحذيرهم من الخطر المحقق بالبلاد...كما أنها قاومت الحكم المطلق في المغرب و وضعت مشروع دستور 1908 و قدمته للسلطان عبد الحفيظ..."³.

و على عكس ذلك فإن موقف محمد حسن الوزاني من الحركة الحفيظية كان مثيرا للجدل و التساؤل. فقد فرق بين مكوناتها لتي كانت تتمثل في "البيعة المشروطة". ومضمونها الدستوري أو بما سماه هو بـ "الدعوة الدستورية"⁴. فقد اعتبر تلك البيعة في مذكراته حول الحركة الوطنية المغربية أنها "رسمت معالم الطريق المنجي من التيه والضللال والانهيار واستجابت لمقتضيات النهضة الوطنية وأرسلت الصيحة في سبيل الدعوة إلى اليقظة وال انطلاق في مجال التنظيم والإصلاح، و بذلك تجلّى التجاوب مع الثورة التي قادت عبد الحفيظ إلى العرش، والتي جسدت رد الفعل الشعبي ضد سياسة عبد العزيز، وتدخل الأجانب الطامعين في شؤون دولته"⁵ إلا أنه في نفس الوقت شكك الوزاني في مدى إيمان السلطان عبد الحفيظ بمضمون هذه البيعة فقد اعتبره أهمل البيعة وأعرض عنها و تناسى العهد

أنظر، علال الفاسي، حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية، تصحيح و توضيح المختار باقة، منشورات مؤسسة علال الفاسي 2014.

¹ - علال الفاسي، حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية، مصدر سابق.

² - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، 115 - 116.

³ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ط3، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، 2000، ص 28.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 75.

⁵ - المصدر نفسه، ص 77.

طوعا أو كرها¹. و قد كان يتحجج بعدم قدرته على تطبيق الإصلاحات السياسية التي تضمنها عقد البيعة المشروطة بالضغط الأجنبي عليه، وخاصة من طرف فرنسا التي كانت في طريقها لفرض سيطرتها على المغرب. ولم يكن لجوئه لـ "مجلس الأعيان" للتشاور والتداول في العروض الفرنسية الخطيرة إلا لذر الرماد في العيون². فقد كان عبد الحفيظ بالنسبة إليه "يطبق الشورى في تلك المناسبات اضطرارا لا تمسكا بها كمبدأ سياسي و كنظام دستوري امتثالا لأمر القرآن و التزاما بعهد البيعة"³.

أما النسبة للبعد الدستوري لهذه الحركة فإن الوزاني اعتبر ذلك مبالغة وتجاوزا للحقائق التاريخية عندما يتم ربط علاقة بين "البيعة الحفيظية" و "الدعوة الدستورية". و بغض النظر عما وجهه من انتقادات للحركة الحفيظية، و بقدر ما اعتبرها تيارا جديدا انبثق من البيع، فإنه ذكر في مذكراته انه لا يعرف إلا القليل عن مشروع الدستور الذي صدر على أعمدة جريدة "لسان المغرب" في أكتوبر 1908. فبالنسبة إليه يعتبر منفصلا تماما عن البيعة لأنه جاء خمسة عشر شهرا بعد البيعة. و لم يكن عبد الحفيظ يعلم به و إلا لعرضه على "مجلس الأعيان" لتطبيقه كنظام أساسي للسلطنة⁴. وبالنسبة للوزاني فإن حقيقة مشروع الدستور مجهولة وضالة منشودة، فالمغاربة المثقفين لم يكونوا من علماء الفقه الدستوري و ثقافتهم كانت دينية تقليدية لا تسمح لهم بالاهتمام بهذا الجانب⁵. فمغربية المشروع حسب الوزاني تتمثل في جغرافيته فقط بصدوره في مدينة طنجة المغربية على صفحات جريدة غير مغربية التي عرضت عليه الدستور ولا يعرف أي أحد إن اطلع عليه فعلا، أو اتخذ منه موقفا فالأمر مرتبط بافتراضات لا تعتمد على أي سند حقيقي. و يجزم الوزاني أنه لا علاقة موجودة بين واضعي مشروع الدستور ومحري البيعة الحفيظية. فهو لاء لم تكن لديهم أية دراية بالفقه الدستوري فمضمون عقد البيعة تقليدي موروث منذ القدم، ومضمون الدستور حديث لم يتعود عليه محري البيعة السلطانية على مر التاريخ، فحتى أسلوب إنشائه مشرقى بامتياز من خلال استعمال بعض المفردات مثل "الأقطار المراكشية" الواردة في المادة الأولى منه بالإضافة

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص، 78.

² - المصدر نفسه، ص 79.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه، ص 80.

⁵ - المصدر نفسه، ص 80.

إلى "السلطنة" و"الحضرة السلطانية" و"غير مسؤول بأمر من أمور الدولة" و"الوزير الأكبر" وغيرها من المفردات الواردة في مواد هذا الدستور التي تعبر على مشرقية بل حتى لبنانيته¹. و في أحسن الحالات فإن الوزاني اعتبر هذا المشروع ترديدا لصدى الحركة الدستورية في تركيا التي تزعمتها جمعية "الاتحاد و الترقى". و لذلك لم يكن له أي اثر في المجتمع المغربي بعدم بروز أي حركة تبنته و لو في نطاق ضيق من رجال العلم والإصلاح. و كخلاصة لكل ذلك وصل الوزاني إلى نتيجة هامة مفادها أن مشروع الدستور كان خاصا بالصحيفة اللبنانية ولم تتجاوز شهرته النطاق الصحفي وضعا و نشرًا. و بالتالي لا يمكن اعتباره مشروعا دستوريا مغربيا.²

لقد كان موقف الوزاني من مكونات الحركة الحفيفية متناقضا و غير منسجم من خلال كتاباته هو بنفسه. فبالرغم من أن الحركة الحفيفية لم تستطع تجنب المغرب السقوط والاحتلال، فإنه يمكن طرح جملة من التساؤلات حول حقيقة موقفه. فقد اعتبر الوزاني مضمون البيعة الحفيفية تعبيرا عن "الغيرة الوطنية والأصالة السياسية والروح الإسلامية" و "تفحة إصلاحية أولى، و وثبة تنظيمية هامة، و نبعة ثورية و انتها الظروف و فجرتها عزائم النخبة الواعية في الأمة التي أضنتها معاناة الحكم التقليدي". فكيف يمكن الفصل بين كل ذلك والسلطان عبد الحفيظ الذي كان محورا أساسيا لها؟ و هل استطاع هذا السلطان فعلا مغالطة محري هذه البيعة الذين كانوا كلهم من العلماء والفقهاء أمثال "أحمد بن المواز" و "أحمد الزبدي" و "عبد الحفيظ الفاسي" و "المهدي بن الطالب الفاسي" و "السعيد الفاسي" و "عبد الواحد الفاسي"؟ و غيرهم. و بالإضافة إلى هذا و ذاك فكيف يمكن التوفيق بين نفي الوزاني لهذه الحركة، و في نفس الوقت تخصيصه لها فصلا كاملا في مذكراته تحت عنوان "نشأة الدعوة الدستورية في المغرب المستقل"³. و بالإضافة إلى هذه التساؤلات فإنه كتب في العدد الثالث و العشرين (23) من جريدة "الرأي العام" في 17 سبتمبر 1947 حول أهمية الدستور في مواجهة نظام الحماية. و اعتبر في هذا المقال حركة المطالبة بالدستور قديمة و تعود إلى عهد السلطان عبد الحفيظ. كما اعتبر أنه في تلك الظروف لجأ المصلحون إلى الدعوة الدستورية للقضاء

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص، 93.

² - المصدر نفسه، ص، 96.

³ - المصدر نفسه، ص، 75.

على الفوضى الداخلية ومواجهة الأطماع الأجنبية¹. كما اعتبرها "حركة إصلاحية حفظها التاريخ القومي المغربي. و دعوة سياسية ديمقراطية قامت برهانا قويا دامغا على النخبة المغربية"². و منه فإنه يمكننا القول بأن موقف الوزاني من البعد الدستوري لهذه الحركة تحكمت فيه معطيات أخرى غير هذه الحركة من حيث مساراها و مضامينها. خاصة عندما نقرأ تهليلا وتعظيما لها في أدبيات علال الفاسي وعبد الكريم غلاب³. فقد ذكر هذا الأخير أن المغاربة الذين شاركوا في صياغة مشروع دستور 1908 قاموا بنقل الفكرة الدستورية لزعماء الحركة الوطنية المغربية عندما كانت في نضالها ضد نظام الحماية الفرنسية⁴.

أما بالنسبة لنفي الوزاني لعلاقة تلك الحركة الدستورية بالحركة الحفيظية لكون أن المغاربة المثقفين لم يكونوا من علماء الفقه الدستوري و ثقافتهم الدينية تقليدية لم تكن تسمح لهم بالاهتمام بهذا الجانب، فكيف نفسر عدد من المبادرات التي تمت في مطلع القرن العشرين و عبرت عن علاقة هذه النخبة مع حركة الإصلاح الدستوري في مطلع القرن العشرين. ففي سنة 1901 قدم "عبد الله ابن سعيد السلوي" إلى السلطان عبد العزيز مذكرة كانت تهدف إلى إصلاح أحوال البلاد. كما تضمنت شروط النهوض بالمغرب التي جاءت في هذه المذكرة عن طريق "دوام العدل والاستقامة وعقد السلم مع جميع الأجانب والأخذ بالاستعداد من جديد"⁵. و في سنة 1906 قدم "علي مراد" مذكرة تضمنت مشروعا دستوريا

¹ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج03، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ص121.

² - المصدر نفسه ص 122.

³ - يعتبر الخلاف الذي نشب بين محمد حسن الوزاني و علال الفاسي سنة 1937 من أهم معالم تاريخ الحركة الوطنية المغربية. و يمكن الجزم أن معظم ما جاء به علال الفاسي و عبد الكريم غلاب و حتى أبو بكر القادري في مؤلفاتهم عارضه محمد حسن الوزاني و رفيقه الحاج أحمد معنيو و عبد الهادي بوطالب في مؤلفاتهم. و العكس صحيح. وقد كان لكل طرف قراءته لتاريخ الحركة الوطنية المغربية بالتحليل و التوثيق. فقد تحول ذلك إلى ثابت من ثوابت تاريخ الحركة الوطنية المغربية. و سنتطرق لاحقا لهذه الظاهرة من خلال عدة محطات.

⁴ - ذكر عبد الكريم غلاب أن من بين المغاربة الذي شاركوا في وضع مشروع دستور 1908 عبد الحفيظ الفاسي و عبد الواحد الفاسي. و أن الحركة الوطنية في مطلع الثلاثينات استلهمت أفكارها و نضالها من هؤلاء. و من خلال كتابات غلاب يظهر ربطا بين الحركة الوطنية و التيار الذي تزعمه علال الفاسي منذ سنة 1937. و يمكن اعتبار رفض الوزاني كان لهذه القراءة و هذا الربط. أنظر، عبد الكريم غلاب، دفاعا عن الديمقراطية، دار الفكر المغربي، طنجة، 1966، ص195. أنظر كذلك،

Abdellah Laroui , *Histoire Du Maghreb, Essai De synthèse*, Maspero, Paris, 1970, p,336.

⁵ - زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، مرجع سابق، ص292.

ركز على إصلاح نظام الحكم والإدارة والقضاء والأمور العسكرية وغيرها من القضايا الإصلاحية للدولة والسلطة في المغرب¹.

وبغض النظر عن الاختلافات التي وقعت بشأن تفسير هذه المحطة التاريخية الحاسمة التي عاشها المغرب في مطلع القرن العشرين. فإن السياق التاريخي للحركة الحفيظية سواء أثناء "البيعة المشروطة" أو بعد ذلك في "الدعوة الدستورية"، أثبت أن المغرب عرف "ثورة شعبية دستورية" قدمت مشروعا وطنيا للنهوض بالمجتمع المغربي داخليا. و لمواجهة التدخل الأجنبي خارجيا. كما عرفت في مسارها الكثير من التطورات سواء السياسية والثقافية وحتى العسكرية ولكنها فشلت في تحقيق ذلك المشروع لأسباب متعددة. فقد أرجع "بورك" ذلك إلى غياب نخبة اجتماعية حملت هذه الأفكار الحداثية التغييرية". فالنسبة إليه لم يحدث ما حدث في الدولة العثمانية عندما تزعم الحركة الإصلاحية مجموعة من الضباط المؤمنين بضرورة الإصلاح فقاموا بحماية الثورة الدستورية ودافعوا عن مكتسباتها². واعتبر عبد الله العروي أنه بالرغم من أن الثورة الحفيظية عبرت بصدق عن مختلف ردود أفعال المجتمع المغربي لرفض التدخل الأجنبي إلا أنها فشلت في ذلك لأنها كانت غامضة ومتناقضة. ولم تستطع أن تتحول إلى عامل مؤثر في الوعي الوطني المغربي الذي جسده الحركة الوطنية المغربية التي ظهرت في مطلع الثلاثينات و كافحت من أجل تحرير المغرب بمختلف الوسائل. فهذه الحركة لم تظهر على أنها كانت متأثرة سواء بالمضمون الجهادي أو الدستوري للحركة الحفيظية³. و بالنسبة إليه كذلك فإن دورها قد اقتصر على نقل نتائج تلك التطورات الهامة، التي عرفها المغرب في نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين، إلى الأجيال التي عاشت تحت نظام الحماية بدون أن يظهر أن هذه الأجيال كانت متأثرة بها. و ربما لأنها نقلت إليها تلك الطموحات التي لم تتحقق... وتلك التسويات التي قام بها كل طرف من أطرافها. فقد اعتبر العروي أن "الحفيظية قامت بنقل فشلها في بناء دولة عصرية مستقلة داخليا و متحررة من التبعية الأجنبية إلى الأجيال التي جاءت من بعدها..."⁴.

¹ - زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، مرجع سابق، ص 292.

² - Edmund Burke , III , *Prélude au protectorat Du Maroc*, op.cit. , p 150.

³ - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit, p 414.

⁴ - *ibid*.

لم تستطع "البيعة الحفيظية" أن تحقق آمال المغاربة. سواء من حيث النهوض بالمجتمع المغربي من مخلفات العهد العزيري التي تمثلت في خزينة مفلسة وديون عامرة¹. أو من حيث تحرير المغرب من النفوذ الأجنبي، الذي ازداد قوة و ضغطا على السلطة الجديدة. خاصة بعد الهيمنة العسكرية الفرنسية على الجيش المغربي². ولم يستطع المخزن الجديد الذي عينه السلطان عبد الحفيظ إخراج المغاربة من الأزمة. فحتى هو الآخر انقسم على نفسه بين أهل البدو أهل الحضر³ ولجأ هو الآخر إلى نفس السياسة العزيرية. ففرض الضرائب، و ضغط على القبائل، التي كانت دعامة للسلطان عبد الحفيظ في حركته. فثارت عليه هي الأخرى⁴. و أدى كل ذلك إلى عزلته شعبيا، بعد عدم قدرته على تنفيذ وعوده. و وصل الأمر إلى حد محاصرته في مدينة فاس و عدم السماح له بالخروج منها. و انتهى الحال بـ "سلطان الجهاد" إلى الاستنجاد بالجيش الفرنسي لفك هذا الحصار. فتحول بذلك إلى نسخة مطابقة للسلطان عبد العزيز المخلوع على حد تعبير العروي⁵. و فقد كل تأييد من جميع الأطراف بما في ذلك الجيش الذي حاصره. و منعه من "الفرار" من مدينة فاس⁶ و انتهى كل ذلك بنهاية هذه الحركة بكل ما حملته معها من آمال لإنقاذ سلطنة الأشراف العلويين من الاندثار. و بدأ بذلك عهدا جديدا أصبحت فيه الحركة الحفيظية جزءا من الماضي الذي بقدر ما فتحت آمالا أمام المغرب سلطة و مجتمعاً انتهت بإدخاله في مرحلة جديدة بدأت بإعلان الحماية الفرنسية عليه. و قد كان لهذه الأخيرة خصائصها و تحدياتها.

¹ - علال الحديمي، الحركة الحفيظية، مرجع سابق ص 441.

² - المرجع نفسه، ص 464.

³ - المرجع نفسه، ص 443.

⁴ - منذ سنة 1909 توترت علاقة مجموعة من القبائل مع المخزن و بصورة خاصة قبائل بني مطير. خاصة بعد محاولة المخزن معاقبة هذه القبائل لتمردوها على السلطة المركزة في الكثير من القضايا. وبعد ظهور التدخل الأجنبي لصالح السلطة تطورت هذه الأحداث إلى ثورة 1911 التي كانت سببا في سقوط السلطان عبد الحفيظ بعد محاصرتها له. خاصة بعد أن طلب هذا الأخير دعما من القوات الفرنسية لفك هذا الحصار. أنظر، زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، مرجع سابق، ص 376.

⁵ - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit, p 400.

⁶ - ذكر محمد بن الحسن الحجوي الذي كان وزير المعارف أنه شهد حادثة محاصرة الجيش للقصر في ليلة خروج السلطان عبد الحفيظ من مدينة فاس. و "قد كان العسكر المغربي يصرخ بأعلى صوته مرددين عبارة" الشكوى على الله و عليك آمولاي حفيظ!!" و لم يجرؤ عبد الحفيظ على مواجهته و اكتفى بالنظر إليهم من شرفة القصر مبديا لهم أسفه". أنظر، محمد بن الحسن الحجوي، دفتر تقييد تاريخية، مصدر سابق، ص 25.

إلا أن ذلك لم يمنع الوطنيين المغاربة في مطلع الثلاثينات باعتماد الحركة الحفيفية كمرجعية سياسية لنشاطهم الوطني. فقد تحولت هذه الحركة بكل مضامينها الإصلاحية و الجهادية، و حتى الدستورية، إلى معلم من معالم الحركة الوطنية المغربية. و قد ظهر ذلك بصورة جلية في أدبياتها لمختلف تياراتها. فأعطت اهتماما كبيرا لهذه الحركة. و بصورة خاصة لمضمونها الدستوري الذي اعتبرته بداية إصلاح حقيقي لسلطنة الأشراف العلويين. و أول خطوة نحو تأسيس حزب وطني معاصر¹. و إذا كانت هذه الحركة الحفيفية قد فشلت في إنقاذ "المغرب المريض". لأن "القضية المغربية *L'Affaire du Maroc*" انتهت في مرحلتها الأخيرة بالحماية المزدوجة الفرنسية الإسبانية على المغرب، التي جسدتها تسعة فصول لمعاهدة فاس 1912².

لقد اعتبرت الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية و الخليفية على حد سواء الحركة الحفيفية تجربة ثرية. فقد ورد ذكرها كمرجعية لها في مختلف أدبياتها، من بيانات ومواثيق و تصريحات لزعمائها. فقد كانت بما لها وما عليها رافدا أوليا وأساسيا من روافد هذه الحركة. لأنها عبرت عن "...يقظة الأمة المغربية في العقد الأول من القرن العشرين وعن مساهمتها بنصيب في حركة الانبعاث الإسلامي والوثب العربي والنهوض الشرقي" على حد تعبير محمد حسن الوزاني³.

¹ - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit, p 414.

² -Ministère française des affaires étrangères, *Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1910-1912*. Imprimerie Nationale, Paris, 1913.

³ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص123.

2 . المقاومة المغربية المسلحة 1907 - 1934 :

1. احتلال مدينة وجدة 1907 و نهاية "المقاومة الرسمية " للمخزن المغربي:

تعود بدايات المقاومة المغربية المسلحة إلى ما قبل إعلان الحماية الفرنسية في 30 مارس 1912. فإذا كان هناك طرحا فرنسيا سوقته باريس من خلال رواد مشروعها الاستعماري في المغرب، وعلى رأسهم الجنرال "ليوتي"، مضمونه أن التوسع الاستعماري الفرنسي في المغرب تم "سلميا"، و حتى بالتعاون مع القبائل الداخلية. أو بما كانت التقارير الفرنسية تسميه "التهدئة *La pacification*" إلا أن الوقائع التاريخية أثبتت عكس ذلك. فقد شهد المغرب مقاومة للنفوذ الفرنسي في المغرب بكل أشكاله منذ مطلع القرن العشرين، و خاصة بعد احتلال مدينتي وجدة و الدار البيضاء سنة 1907¹.

يمكن تقسيم هذه المقاومة على أساس معيارية ثنائية. فمن الناحية الجغرافية عرف المغرب في شماله و جنوبه رد فعل قوي على الاحتلال الفرنسي من خلال عدة مقاومات. و من الناحية الزمنية كان مؤتمر الجزيرة سنة 1906 حدا فاصلا في طبيعة هذه المقاومة. لأن هذا المؤتمر أكد أن احتلال المغرب أصبح خاضعا لمعطيات خارجية مرتبطة بالتوازنات التي كانت بين الدول التي كان لها أطماعا استعمارية فيه، أكثر منه التخوف من رد فعل مغربي رسمي ضد هذه الأطماع. فقد فتح العهد العزيمي الثاني منذ سنة 1900 الأبواب على مصراعيها أمام التدخل الأجنبي في المغرب. و لذلك تأثرت المقاومة المسلحة به من حيث طبيعتها. فقد قاومت التغلغل العسكري الفرنسي الذي بدأ منذ مطلع العشرين كأمر واقع². ثم تحولت إلى رد فعل وطني مباشر و قوي بعد الإعلان الرسمي عن الحماية المزدوجة الفرنسية والإسبانية للمغرب وفق عقد فاس في 30 مارس 1912. فقد كانت هذه المقاومة ضد التوسع العسكري الفرنسي الذي كان يتم باسم المخزن³.

مباشرة بعد الإعلان عن قرارات مؤتمر الجزيرة سنة 1906، اتضح مشروع فرنسا في المغرب على أنه إنهاء لـ "المسألة المغربية" لصالحها. وإبعاد القوى الأخرى عنه مثل إيطاليا و بريطانيا وإسبانيا بتسويات محددة. وإهمال ألمانيا كطرف فاعل في هذه الأزمة وما أدى إلى

¹ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat Français Au Maroc, op.cit., t2, p, 58.

² - M'barek Zaki ,Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration Pacifique Au Mouvement De la Libération National 1845 - 1958 , Université Aix-Marseille, Aix-Marseille, 1987, p, 82.

³ - *ibid*.

تفاعلات أخرى تمثلت في ما يعرف بـ "أزمة أغادير"¹. وبالنسبة للمغرب فقد كانت هذه القرارات بمثابة نهاية المقاومة الدبلوماسية السلمية للنفوذ الأجنبي عامة والفرنسي خاصة² فقد اعتمدت الدولة العلوية الشريفة على هذه الوسيلة منذ انهزامها الذريع أمام فرنسا في معركة "إيسلي" في أوت 1844³. وما ترتب عن ذلك الانهزام من نتائج خطيرة عليها. سواء من حيث محاصرتها، أو بدايتها بدينامكية سريعة لسلسلة من التنازلات التي أدت إلى تحويل المغرب إلى مجال للتنافس الشديد بين الدول الأوروبية⁴.

لقد أدى احتلال وجدة في 29 مارس 1907 إلى بداية الاحتلال الفرنسي الفعلي للمغرب فقد دخلت الجيوش الفرنسية إلى هذه المدينة و قامت بقمع قبائل المنطقة بكاملها بدون سابق إنذار. وبدون أن يعلم هؤلاء سبب ذلك الغزو⁵. بالرغم من أن فرنسا أعلنت أنها قامت بتلك الحملة "لحماية الرعايا الفرنسيين من عنف المغاربة"⁶. و قد كان ذلك بمثابة البداية الفعلية

¹ - لقد أدى إهمال فرنسا للقوة الألمانية في مؤتمر الجزيرة إلى تعقد الأزمة المغربية. فبعد حصولها على موافقة مبدئية للنفوذ في المغرب من الدول التي كان لها طموحاً في المغرب مثل إيطاليا و بريطانيا. اتجهت إلى تجسيد ذلك النفوذ ميدانياً. إلا أن ذلك أدى إلى ما يعرف بالأزمة المغربية الثانية أو "أزمة أغادير" التي تمثلت في تدخل ألمانيا عسكرياً بإرسالها في 1 جويلية 1911 إلى ميناء أغادير لباخرتها العسكرية "Panther" و اعتبرت أن مصالحها الحيوية في مراكش مهددة. و قد أدى ذلك إلى مراجعة باريس لموقفها المتجاهل لمصالح ألمانيا في المغرب. فدخلت في مفاوضات معها انتهت بتنازل فرنسا عن منطقة من الكونغو لصالح ألمانيا. فراجع موقف هذه الأخيرة و انتهت الأزمة المغربية الثانية. انظر،

Ministère française des affaires étrangères, Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1910-1912. Imprimerie Nationale, Paris, 1913.

² - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration*, op.cit. p,28.

³ - تعود خلفيات هذه الاتفاقية إلى تدعيم مقاومة الأمير عبد القادر من طرف السلطان العلوي مولاي عبد الرحمن (1822-1859) وقد انتهى هذا الدعم بمهاجمة فرنسا للمغرب برا و بحرا. و قد انتهى ذلك بمعركة "إيسلي" في أوت 1844 التي كانت كارثة عظيمة بالنسبة للطرف المغربي. و قد اعتبرها المغاربة مشابهاً لسقوط الجزائر في جويلية 1830 نظراً لانعكاساتها القريبة و البعيدة. و قد أدت هذه المعركة إلى عقد كل من اتفاقية "طنجة" في سبتمبر 1844، ومعاهدة "للا مغنية" في مارس 1845 اللتان كانت شروطهما مذلة للمغرب. فمن خلال نصوصهما فقد المغرب الكثير من سيادته و أصبح مفتوحاً أمام الامتيازات الأجنبية بكل أشكالها. و قد استغل المغرب التنافس الشديد بين الدول الأوروبية على النفوذ فيه لتأخير احتلاله. انظر،

Mohamed Lakhssasi, Le Maroc Face à la France, Pendant La Conquête Et L'occupation De L'Algérie (1830-1851) 2T, Editions, Et Impressions Bouregreg, Rabat, 2009, T1, p, 262.

⁴ - Mohamed Lakhssasi, *Le Maroc Face à la France*, op.cit. T2, p 52.

⁵ - علال الخديجي، التدخل الأجنبي و المقاومة، مرجع سابق، ص 96.

⁶ - كتب حاكم مدينة وجدة أحمد بن كروم رسالة لأخيه قاسم بن كروم بعد الغزو الفرنسي ما يلي: "... فأعلم يا أخي أن صبيحة يوم تاريخه الجمعة إندفقت الجنود الفرنسية علينا بقدر لا حد له: نحو خمسون مائة من العسكر و عشرون مائة من الخيل بآلة الحرب والمدافع و دخلوا وجدة وحيث كلمناهم ذكروا بأن لهم على المخزن دعوة في شأن إفرنساوي قتل بمركوشة و هم الآن

للاحتلال الفرنسي للمغرب. و في نفس الوقت نهاية المقاومة السلمية الرسمية للمخزن المغربي بفشلها في تأخير هذا الغزو على أقل تقدير. كما أدى ذلك إلى بداية المقاومة العسكرية الشعبية التي جسدت حالة الغليان الشعبي التي سادت المغرب بعد دخول القوات الفرنسية مدينة وجدة¹.

بالرغم من محاولة السلطان مولاي عبد العزيز الحصول على جلاء فرنسي بالطرق الدبلوماسية². إلا أن المطالب الفرنسية التعجيزية أدت إلى حالة غليان في كامل المغرب خاصة بعد قبولها من طرف السلطان عبد العزيز، الذي كان يريد تفادي المواجهة العسكرية مع فرنسا بأي ثمن في تلك الظروف الصعبة التي كانت تمر بها السلطنة³. إلا أن قبول هذه المطالب القاسية كان في نظر المغاربة بمثابة إهانة كبيرة للمغرب مجتمعا ومخزنا مما أدى إلى اندلاع سلسلة من المقاومات في مختلف أنحاء المغرب. وفي الحوز خاصة حيث انتشرت الاضطرابات بمدينة مراكش و الصويرة فقد عبرت قبائل الرحامنة عن رفضها لعزل باشا مراكش و صممت على منع الباشا الجديد قدور بن الغازي البخاري من الدخول إلى المدينة فعاد خائبا إلى فاس⁴.

تمكنوا من المدينة و ضاقت بنا الأرجاء و لا ناصر إلا الله..." انظر، مارية دادي، المقاومة المغربية عبر التاريخ، أو مغرب المقاومات (احتلال مدينة وجدة في سنة 1907 من خلال شاهد أجنبي) مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2005، ص 245.

¹ - كتب هاشم بن بوبكر السعداني أحد شعراء الشعر الملحون، وقد كان من مدينة فاس و أقام في مدينة وجدة. و كان نموذجا لشعراء الشعر الملحون الذي كتبوا قصائد عن المقاومة المغربية. و حول سقوط مدينة وجدة كتب قصيدة تحت عنوان "إدخول وجدة" من مائتي بيت وصف فيها كيف دخلت القوات الفرنسية المدينة و ما قامت به من أعمال وحشية في حق الساكنة و جاء فيها ما يلي :

يا لإسلام أبكيوا على دخول وجدا * دون حرب، غنمها لعدو أو تال المراد

راب لصور و ندخل رصام العز * وكسى ثوب الهوان فيها كل اغزير

² - بعد دخول القوات الفرنسية لمدينة وجدة أرسل السلطان عبد العزيز وفدا كان محمد بن الحسن الحجوي عضوا فيه للتفاوض مع فرنسا حول الانسحاب من المغرب و قد كانت الشروط الفرنسية مذلة جدا فقد تضمنت عزل باشا مراكش الحاج عبد السلام الورزازي و إرساله لمدينة طنجة للسجن و إجراء بحث في عين المكان تقوم به قنصلية مدينة الصويرة و عقاب المسؤولين عن حادثة مقتل الطبيب الفرنسي موشان في مراكش. و أداء تعويض مالي ضخم حدده الفرنسيون و تنظيم الشرطة في الموانئ حسب اتفاقية الجزيرة و تنفيذ اتفاق 1901 و 1902 و التبرؤ من مولاي إدريس الريسوني و استدعائه و حثه على عدم إثارة المقاومة ضد الفرنسيين في شنقيط. و إيقاف إرسال الأسلحة لمقاومة الشيخ ماء العينين و القبائل الصحراوية. أنظر، محمد بن الحسن الحجوي، الرحلة الوجدية أو انتحار المغرب على يد ثواره، قسم الوثائق، الخزنة العامة، الرباط ، رقم 123، ص 104.

³ - علال الخديمي، التدخل الأجنبي و المقاومة، مرجع سابق، ص 97.

⁴ - مارية دادي، المقاومة المغربية عبر التاريخ، مرجع سابق.

أدى ذلك إلى تعقيد مهمة السلطان عبد العزيز الذي سعى لإقناع القبائل الثائرة بضرورة ترك المخزن التصرف بما كان يراه هذا الأخير لصالح المغرب، ولو بقبول شروط فرنسا. ففي رسالة السلطان عبد العزيز إلى القبائل الثائرة شرح فيها الحالة التي كانت البلاد تمر بها، والتي لم تكن تسمح بالحرب مع فرنسا. وذهب في سعيه لإقناع القبائل للتوقف عن الاستعداد للحرب حتى بتبريره لاحتلال مدينة وجدة الذي اعتبره "بسبب قتل سكان مراكش الطبيب الفرنسي الذي أقدم على تعليق الراية الفرنسية فوق منزله، وبالرغم من أن الشروط تمنعه من فعل ذلك، فقد كان على السكان أن يرفعوا الأمر للمخزن ولا يتسببوا فيما حدث دون أن ينظروا ما يكابده السلطان من حسن المهادنة وسياسة الدفاع..."¹. وقد تعهد السلطان لتلك القبائل بأنه.. مصمم على فصل القضية وإخراج جيش الإفرنسيين من وجدة... ولا ينال جهدا في صيانتهم و الدفاع عنهم بأمواله، و رجاله بحول الله حالا و استقبالا..."². إلا أن هذا الموقف لم يزد إلا في يقظة هاته القبائل التي نسيت خلافاتها الداخلية وتوحدت لمقاومة التغلغل الفرنسي³.

بقدر ما أدركت هذه القبائل خطورة هذا الاحتلال الفرنسي، تأكدت كذلك من عجز المخزن العزيري. فقد كان هذا الأخير يعيش أواخر أيامه. و فقد كل هيئته في أوساط السكان. و بصورة خاصة في الحوز و مراكش أين كان المولى عبد الحفيظ يحضر نفسه للبيعة "الثورية"⁴. و لذلك استجاب لطلب القبائل و طلب من الأوروبيين مغادرة مراكش. باستثناء الألمان نظرا لما كان يتداول في الأوساط المغربية الشعبية عن موقف ألمانيا من النفوذ الفرنسي. و حتى عن تصميمها لمنع الاحتلال الفرنسي للمغرب. وأشيع كذلك بأن الإمبراطور الألماني سيمنع فرنسا من التصرف في المغرب. فقد رأى المغاربة في ألمانيا تأييدا قويا لاستقلال المغرب. وموقفا

¹ جاء ذلك في رسائل بعث بها السلطان عبد العزيز إلى سكان مدينتي الصويرة و مراكش و كل المناطق الجنوبية التي كانت تعيش حالة من التأهب والتحضير للمقاومة أنظر، علال الحديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة، مرجع سابق ص 105 .

² - نفس المرجع السابق.

³ - عرفت الكثير من القبائل المغربية منذ 1893 خلافات تطورت في بعض الأحيان إلى صراعات مسلحة مثلما حدث بين المزاب من جهة و قبائل المذاكرة و أولاد حريز و الأعشاش من جهة أخرى سنة 1894 مما أدى إلى تدخل السلطان مولاي الحسن الذي أرسل ابنه مولاي بلغيث لحل النزاع. و نظرا لأنه كان لصالح المزاب فقد تزايد الصراع بين تلك القبائل خاصة بعد وفاة السلطان الحسن. إلا أن كل هذه الخلافات توقفت و توحدت تلك القبائل ضد الغزو الفرنسي لإقليم الشاوية. انظر، علال الحديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة، مرجع سابق ص 179-182 .

⁴ - أنظر عنصر "الحركة الحفيظية" سابقا.

حازما ضد الأطماع الفرنسية. فحتى الأزمة المغربية كانت في أوجها و دخلت مرحلتها الحاسمة¹. كما قامت الصحافة الألمانية بحملة واسعة ضد الاحتلال الفرنسي للمغرب الذي بدا تنفيذه من مدينة وجدة². و لم يتردد القنصل الألماني في مدينة طنجة في انتقاد الذريعة الفرنسية لتدخلها العسكري في مدينة وجدة معتبرا ذلك "...تعبيرا عن موهبة كبيرة للإخراج الدرامي للفرنسيين، باستغلالهم لحادثة مقتل الطبيب "موشان" في مدينة مراكش منذ يوم الحادثة و كأن هذا الطبيب كان يقتل في كل يوم، نظرا لنشر الصحافة الفرنسية المتواصل لأخبار تلك الحادثة..."³. و قد كان ذلك دلالة على أن فرنسا كانت قد عقدت العزم على تنفيذ مشروعها الاستعماري في المغرب. بعدما هيأت له الظروف الخارجية بما تم في ميثاق الجزيرة الخضراء في سنة 1906. و لذلك ركزت على هدفين، أولا بتبرير الاعتداء الفرنسي على المغرب أمام الرأي العام الدولي لإبقاء الاحتلال في وجدة، بالرغم من أن باريس كانت تصرح بأن بقائها في هذه المدينة كان مرتبطا بمدى تنفيذ السلطان عبد العزيز لشروطها. و ثانيا في الحفاظ على حالة التأهب لدى الرأي العام الفرنسي، و تهيئته للمزيد من التوسعات في المغرب. وفي نفس الوقت الحصول على تنازلات أخرى من السلطان عبد العزيز. و هي نفس الممارسة التي قامت بها عند احتلالها للجزائر في سنة 1830.

لقد كان احتلال مدينة وجدة في مارس من سنة 1907 بمثابة الحدث الذي نقل المسألة المغربية من مخططات سياسية و دبلوماسية إلى واقع أمر عسكري. وإذا كان المخزن العزيمي قد اختار مبدأ التفاوض لإخراج الفرنسيين من التراب المغرب، و هو ما أدى إلى قبول كل الشروط الفرنسية. و سمح لباريس بمواصلة ضغطها لاستغلال ذلك العجز و تعميقه. إلا أن الموقف الشعبي كان معاكسا تماما لهذا الاتجاه فقد اعتبرت القبائل المغربية في الشمال والجنوب التدخل الفرنسي استعمارا و جب مقاومته شرعا. و لذلك كانت البيعة الحفيظية

¹ - عرفت هذه الفترة الأزمة المغربية الأولى لسنة 1905 التي كانت نتيجة تجاهل باريس للمصالح الألمانية في المغرب بعد سلسلة الاتفاقات التي عقدتها مع كل من إيطاليا و إسبانيا و بريطانيا. و قد عبرت ألماني عن رفضها لتلك التسويات بزيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني لمدينة طنجة في 31 مارس 1905. حيث أعلن فيها عن سيادة السلطان و استقلاله و المنافسة السلمية و الحرة بين كل الدول الأوروبية في المغرب و تصميم ألمانيا على حماية مصالحها. أنظر، محمد خير فارس، المسألة المغربية مرجع سابق، ص 256.

² - جمال قنان، العلاقات الألمانية الفرنسية والشؤون المغربية 1901 - 1911، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 205

³ - جمال قنان، العلاقات الألمانية الفرنسية، مرجع سابق، ص 206.

مشروطة بمقاومة الاستعمار و تحرير المغرب من الاحتلال الفرنسي. خاصة بعد مواصلة هذا الأخير لتوسعاته في عمق المغرب.

2. المقاومة المغربية في إقليم الشاوية في الوسط : 1907-1912 :

لقد كان التوتر بين القبائل المغربية في إقليم الشاوية في الوسط، أو بما كان يسمى بـ "المغرب النافع"، و فرنسا قد تصاعد بشكل واضح في صيف 1907 خاصة بعد أن فرضت باريس على المخزن تطبيق شروط امتياز سنة 1904 القاضي بتعيين مراقبين فرنسيين في المصالح الجمركية بديوان ميناء دار البيضاء لتسيير الشركة الفرنسية بالميناء. وهذا ما أدى إلى رفض القبائل هذا الإجراء ثم تطور هذا الموقف إلى مقاومة تعرف بمقاومة الشاوية، التي امتدت ما بين سنتي 1907 و 1908.

تعود خلفيات هذه المقاومة إلى مطلع سنة 1907 حيث بدأت العلاقات تزداد سوءا بين سكان الشاوية والتجار الأجانب وخاصة الفرنسيين منهم و الإنجليز. وظهر ذلك جليا لما شرع الفرنسيون في الأعمال التمهيدية لبناء رصيف ميناء الدار البيضاء منذ مارس 1907، و قد ظهر جليا أن احتلال وجدة قد يتكرر بالدار البيضاء. لذلك بدأ سكان المدينة يهددون بطرد الفرنسيين منها و إيقاف تسربهم للمنطقة. و قد كان الهدف من سخط المغاربة واستيائهم من الأشغال الفرنسية بالميناء، هو التخلي عن تلك المشاريع الاستغلالية، وليس بغرض نهب المدينة كما أشاعت آنذاك الأوساط الاستعمارية الفرنسية التي بدأت تروج لبداية فوضى عارمة وعودة مظاهر السبية¹.

اندلعت شرارة هذه المقاومة بعد تدمير المغاربة من سيطرة الإدارة الفرنسية على التسيير الكلي لميناء الدار البيضاء. فتقدم وفد من أعيان الشاوية إلى السلطات المغربية بالميناء مطالبا بإيها بإبعاد الموظفين الفرنسيين من إدارة الميناء وإبعاد كل أشكال السيطرة التي كانت تمارسها الشركة الفرنسية بالميناء التي تجاوزت حتى بنود اتفاقية 1904 لما كان فيها من استفزاز للمغاربة. فعلاقة سكان المدينة بالميناء إستراتيجية منذ القرن الثامن عشر و تعتبر مدينة الدار البيضاء "هبة الميناء"². إلا أن سلبية المخزن المغربي من هذه المطالب وعدم التجاوب معها أدى إلى مواجهة مباشرة بين سكان المدينة والسلطات الفرنسية بالميناء

¹ - André Adam, *Histoire de Casablanca*, op.cit. ,p , 118.

² - *ibid.* ,p , 104.

في 30 جويلية 1907 مما أدى إلى سقوط عدد من القتلى أجنب من بينهم ثلاثة فرنسيين. وقد استغلت باريس هذه الحادثة واعتبرتها "عدوانية وتعصب مغربي ضد الفرنسيين"¹ و لذلك أرسلت أسطولاً مدرعاً و قوات إنزال لاحتلال مدينة الدار البيضاء أولاً ثم إقليم الشاوية بعد ذلك. فتم قبلة المدينة و تخريبها كلياً في يوم 5 أوت 1907. وفي 7 أوت شرع الأسطول الفرنسي في إنزال القوات الفرنسية مع بقاء القصف متواصلاً لمنع اقتراب المقاومين من القبائل². كما كان للدعاية الألمانية في المغرب الرافضة لقرارات مؤتمر الجزيرة 1906 دوراً في تأجيج الأحداث لما كانت تقوم به من تشجيع المغاربة على رفض التدخل الفرنسي. لذلك عرفت هذه الأحداث تطوراً متسارعاً من خلال سيطرة زعماء الحركة على المدينة و إخراجهم للجالية الفرنسية منها وإبقاء الجاليات الأخرى مثل الإنجليز والألمان مما أدى إلى تصعيد فرنسي إعلامي وعسكري بداية من مطلع أوت 1907 حيث كان للقنصل الفرنسي في مدينة طنجة "الكونت دوسان أولير le comte-de saint Aulaire" دوراً حاسماً في تأجيج هذا التوتر وتحويله إلى قضية شرف بالنسبة لفرنسا³. ومن المفارقات التاريخية أن القنصل "دوفال Duval" قام بدور مماثل في الغزو الفرنسي للجزائري في جويلية 1830. لقد كان هذا التحريض من وراء مسارعة فرنسا لإرسالها لحملة عسكرية لمدينة الدار البيضاء مدعية أن "هدف الحملة احتلال مؤقت للدار البيضاء لمعاقبة مرتكبي جريمة الميناء. كما اعتبرت أن هذه الحملة تمت بالتنسيق مع السلطات المخزنية تنفيذا لقرارات مؤتمر الجزيرة"⁴. وفي 5 أوت 1907 بدأ قصف الدار البيضاء وتخريبها⁵.

¹ - André Adam, *Histoire de Casablanca, op.cit. ,p , 103.*

² - *ibid, p , 105*

³ - لقد كان لهذا القنصل دوراً كبيراً في تأزيم العلاقات المغربية الفرنسية منذ تعيينه سنة 1902 ممثلاً فوق العادة للمصالح الفرنسية في مدينة طنجة و المغرب. وفي سنة 1907 تحمل المسؤولية كاملة في إرسال سفينة حربية فرنسية لاحتلال مدينة الدار البيضاء. وقد قام بحملة دبلوماسية وإعلامية شرسة ضد المغاربة بعد أحداث 30 جويلية 1907. وكانت له قدرة عجيبة على قلب الحقائق رأساً على عقب حيث اتهم المغاربة بالتمثيل بجثث الفرنسيين و رميها في البحر. وأصدر بيانات إعلامية نشرت في الأوساط الفرنسية زيفت الحقائق. وكان من وراء الأمر الذي أصدر إلى قائد السفينة الحربية بقصف مدينة الدار البيضاء. وقد أصبح فيما بعد من أقرب المساعدين للجنرال ليوتي الذي كان أول مقيم علم فرنسي في المغرب. أنظر،

Auguste Félix Charles de Beauvoir Saint-Aulaire, *Au Maroc avant et avec Lyautey : Extrait des Mémoires de l'ambassadeur publiées sous le titre: Confession d'un vieux diplomate*, Ed, Flammarion, Paris , 1954, p 136.

⁴ - Auguste Félix Charles de Beauvoir Saint-Aulaire, *Au Maroc avant et avec Lyautey, op.cit., p, 160.*

⁵ - تم التطرق لتفاصيل هذا القصف سابقاً.

إذا كان الغزو الفرنسي لمدينة وجدة في مارس 1907 قد تم بسهولة كبيرة، و كان احتلالها بدون قتال¹. فإن المقاومة العنيفة التي أبداها سكان الدار البيضاء وإقليم الشاوية أثبتت للفرنسيين صعوبة مواصلة تنفيذ مشروع الحماية ميدانيا. وإذا كانت الأوساط الاستعمارية قد شجعتها انتصاراتها السهلة في مدينة وجدة على مواصلة التوغل في الأراضي المغربية، و قد كانت تظن أن مجزرة الدار البيضاء ستدفع المغاربة إلى قبول الأمر الواقع الجديد. فإن هذه التوقعات كانت خاطئة. فعلى الرغم من الصدمة الكبيرة التي أصبح عليها المغاربة بعد القصف، فإن سكان قبائل الشاوية الذين كانوا يحيطون بالمدينة قاموا بمقاومة هذا الإنزال البحري الذي كان يسعى لإتمام الاحتلال الفرنسي للمغرب الذي بدأ برها من مدينة وجدة في مارس 1907².

لقد بدأت هذه المقاومة في داخل المدينة بمحاصرة "حي القناصل" وخاصة القنصلية الفرنسية التي تجمع فيها البحارة الفرنسيين الذين قتلوا عدد من المغاربة في الميناء. و في 7 أوت 1907 استطاعت القبائل محاصرة القنصلية الفرنسية و القنصليات الأخرى التي اعتبرت دولها شريكة في هذا الغزو بتأييدها له من بينها الإسبانية والبريطانية، حيث تم حرقها بصورة شبه كلية³. و لم ينته هذا الحصار إلا بعد قصف بحري لأماكن تجمع القبائل المهاجمة، و أدى ذلك إلى سقوط آلاف القتلى خاصة في "مجزرة السور الجديد"⁴. وقد كان هذا القصف دمارا وتحطيمًا كليين للمدينة وتقتيلا جماعيا للسكان "فلم تعد مدينة دار البيضاء مسكونة سوى بالموتى" على حد تعبير القبطان الفرنسي "كراسي Crasy" الذي كان أحد العسكريين المشاركين في هذه الحملة⁵. و وصف "جورج بوردون Georges Bourdon" تلك العملية العسكرية بأنها "تخريبا للمدينة و نهبا لها شارعًا شارعًا و دارًا دارًا. فملأت رائحة الموت والدم المدينة و عمت الحرائق كل أنحاء المدينة التي تحولت إلى خراب... لقد كانت

¹ - عكاشة براحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، 1873 - 1907، منشورات جامعة الحسن الثاني، الحمدية، 1989، ص 366.

² - المرجع نفسه.

³ - André Adam, *Histoire de Casablanca*, op.cit. ,p , 132.

⁴ - *ibid*, p147.

⁵ - وصف كراسي في كتابه "إختراق الشاوية" وقائع القصف بأنه كان "إنزالا الكوماندو البحري الفرنسي وقبلة المدينة بواسطة البوارج الحربية الفرنسية التي اصطفت على الساحل المقابل لها، وأمطرها مدافع البوارج بزخات النار والموت، التي استمرت طيلة خمسة أيام دون انقطاع". أنظر، أحمد زيادي، انتفاضة الشاوية سنة 1907، مرجع سابق، ص 19.

إبادة عمرانية و بشرية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى"¹. فقد اعتبر "بوردون" عدد القتلة غير معروف "فبعد يومين من القصف يمكن اعتباره بالمئات. و يمكن أن يكون الآلاف. فلا أحد كان يهتم بذلك"². فقد قدر السلطان عبد الحفيظ بعد مبايعته عدد القتلى في رسالة إلى عميد الهيئة الدبلوماسية بأكثر من 6000 شخص³.

لقد استطاعت القيادة العسكرية الفرنسية فك الحصار عن القوات البرية عن طريق القصف العشوائي من السفن البحرية الراسية في ميناء المدينة اتجاه أماكن تجمع القبائل بالإضافة إلى المناورة التي قامت بها باريس بإعلانها عن تعاون المخزن العريزي مع هذا الهجوم الذي كان الغرض منه الحفاظ على مضمون الاتفاقيات التي كانت بين الطرفين خاصة اتفاق 1904 الذي اعتمدته فرنسا كخلفية قانونية لإعطاء شرعية لغزوها للمغرب برية عن طريق مدينة وجدة في مارس 1907 و بحريا عن طريق قصف مدينة الدار البيضاء في أوت 1907. و قد ظهر فعلا أن ممثلي المخزن حاولوا التعاون مع السلطات العسكرية الفرنسية للحفاظ على الهيئة المخزنية بالمدينة⁴. و بالرغم من تلك المكاسب الميدانية التي حققها هذا الهجوم فإن ذلك لم يثني مقاومة قبائل الشاوية من الانتقال إلى مرحلة ثانية من مقاومتهم بمواصلة هجماتهم على الأهداف الفرنسية من خارج المدينة. فقد أصبح الجيش الفرنسي هدفا لهجمات يومية لسكان القبائل. وجدت صداها في الصحافة الدولية والألمانية منها على وجه الخصوص⁵. خاصة بعد انضمام أعداد هائلة من المقاومين المغاربة الذين التحقوا بمقاومة الشاوية من الأطلس الصغير و تافيلالت للمرابطة حول الدار البيضاء المساهمة في رد الهجوم و الاحتلال الفرنسي. و قد اعتبرت القيادة الفرنسية ذلك من نتائج الجهاد المقدس الذي دعا إليه المولى عبد الحفيظ في الجنوب⁶. مما أدى إلى محاصرة الجيش الفرنسي الذي لم يستطع الخروج من الخنادق التي حفرها حول المدينة لمنع تقدم القبائل للمدينة⁷. و حتى عندما كانت بعض الفرق العسكرية الفرنسية تحاول القيام بحركات استطلاعية كانت تتعرض لهجمات

¹ - Georges Bourdon, *Les journées de Casablanca, ce que j'ai vu au Maroc*, Pierre Lafitte, Paris, 1908, p 84 – 97.

² - *ibid.* . p 97.

³ - Edmund Burk, " la hafidiya, (aout 1907-janvier 1908), *op.cit.*

⁴ - Georges Bourdon, *Les journées de Casablanca*, *op.cit.* , p , 169 – 174.

⁵ - جمال قنان، العلاقات الألمانية الفرنسية، مرجع سابق، ص، 250.

⁶ - Edmund Burk, " la hafidiya, (aout 1907-janvier 1908), *op.cit.*

⁷ - Georges Bourdon, *Les journées de Casablanca*, *op.cit.*, p , 110-115.

فرسان قبائل الشاوية، فقد كانت بالنسبة لهم فرصة للهجوم بعيدا عن قصف مدافع البوارج البحرية التي كانت تحمي بصورة مستمرة خطوط الأمامية للجيش الفرنسي¹.

ابتداء من تاريخ 10 أوت 1907 عرفت مقاومة الشاوية تصعيدا كبيرا في هجماتها على الجيش الفرنسي لإفشال مشروعه التوسعي نحو عمق إقليم الشاوية. و قد كانت ذات تأثير كبير على معنويات القادة الفرنسيين. فقد وصف الضابط "سوكن Segonds" الموقف حينها بأنه كان جد حساس بالنسبة للجيش الفرنسي. فمن جهة لم يستطع التقدم أكثر من بضع كيلومترات عن الميناء حيث بقيت مدافع السفن تحمي فرقه، ومن جهة أخرى كانت هجمات فرسان قبائل الشاوية جد مؤثرة على معنويات الجنود الفرنسيين لأنها كانت "عنيفة وعبرت عن تعصب كبير للمجاهدين الذين احتقروا الموت ولم يترددوا في مهاجمتهم حتى في معسكراتهم الداخلية"². و لذلك طالب قائد الجيش الفرنسي الجنرال "دروود drude" المزيد من الإمدادات³. فقد وصف قتال المغاربة بأنه كان يتم وفق "إستراتيجية دقيقة تتم وفق تحركات للمقاتلين لا تختلف عن تحركات الجيش الفرنسي. فرميتهم أصبح أكثر دقة مما كان عليه في الأول و لولا توقف الغزو الفرنسي نحو الداخل و تخندق الجنود الفرنسيين في الخنادق لكان عدد القتلى في صفوفهم كبيرا..."⁴. خاصة و أنه كان لبيعة مولاي عبد الحفيظ سلطانا للجهاد في 16 أوت 1907 أثرا كبيرا على مواصلة مقاومة الشاوية. خاصة بعد إرساله لجيش من أكثر من ألف مقاتل لمساعدة المقاومين المحليين من قبائل الشاوية⁵. كما تلقت هذه المقاومة دعما معنويا قويا من بعض شيوخ الزوايا و السلفيين مثل محمد بن عبد الكريم الكتاني الذي أرسل رسالة طويلة دعم فيها هذه المقاومة واعتبرها نصرا للأمة و الدولة العلوية⁶. و قد أدى ذلك بقائد الحملة

¹ - Georges Bourdon, *Les journées de Casablanca*, op.cit., p , 110-115.

² - Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification : étude sommaire de l'action française dans la région de Casablanca jusqu'au 1 janvier 1909*, H. Charles-Lavauzelle, Paris, 1910, p 42 – 44.

³ - ibid. p 45- 47.

⁴ - Georges Bourdon, *Les journées de Casablanca*, op.cit., p , 185-195.

⁵ - Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification*, op.cit., p , 115 – 125.

⁶ - "مما جاء في هذه الرسالة ما يلي " لتهنأ قبائل الشاوية في مقابلتهم العدو بما أعده الله سبحانه لها مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر و رباطها في قلب العدو و محاصرتها له... و لو لم يكن في فعلكم إلا أنكم أحبيتم فريضة الرباط في سبيل الله لكان لكم الثناء الحسن، و الذكر الجميل، و الحمدة و الفخر، و لسان صدق في الآخرين. فكيف و أحبيتم فريضة الجهاد التي لا يقوم الدين إلا بها. و ما صلح أمر الأول إلا به. فلا يصلح آخرها غلا به..." أنظر، أحمد زيادي، انتفاضة الشاوية سنة 1907، مرجع سابق، ص 63.

الفرنسية "دروود" إلى دعوة السلطان عبد العزيز للتدخل لوقف هذا التقدم الحفيظي¹ بالإضافة إلى إحداث انشقاق في صفوف القبائل بمولاة بعضها للعدوان الفرنسي².

إلا أن ذلك لم يجدي نفعا نظرا لما أحدثته تدعيم السلطان عبد الحفيظ لمقاومة الشاوية فقد استطاعت ضرب حصار كامل على القوات الفرنسية في مدينة الدار البيضاء خلال كامل شهر أوت 1907. مما دفع بالجنرال "دروود" إلى مطالبة باريس بالمزيد من الدعم العسكري والسياسي خاصة بعد أن بدأت حملات التمرد و الفرار من فرق اللقيف الفرنسي تتزايد بكثافة و ذلك بعد معركة 28 أوت 1907 التي تلقت فيها القوات الفرنسية هزيمة نكراء على يد مجاهدي المقاومة الشاوية³. وقد تحول هذا الانتصار إلى أسطورة تناقلها المغاربة في كامل أنحاء السلطنة تراثهم الشعبي⁴. و أحدثت في باريس نقاشا سياسيا ساخنا في مختلف الأروقة السياسية. و خاصة في البرلمان حيث تم تحميل الجنرال "دروود" مسؤولية تلك الهزيمة لأنه "لم يطبق حرقا التعليمات التي أعطيت له من طرف القيادة السياسية التي كانت تريد نصرا ساحقا على القبائل المغربية. و لكن بدون أن تقدم له ما كان يريده من دعم في القوات الفرنسية. لأن تلك التي كانت تحت أمره لم تكن تسمح له للتقدم و التوغل أكثر في العمق المغربي. فحتى مهمتها الأساسية كانت تتمثل في معاقبة الذين قتلوا العمال الفرنسيين في الميناء دون البحث عن تلك القبائل في أماكن تواجدها..."⁵. لقد كانت هذه الهزيمة سببا كافيا لباريس لإعادة النظر بصورة

¹ - من النقاط السوداء في نهاية حكم السلطان عبد العزيز تنازلاته الكبيرة لصالح التدخل الفرنسي فقد قبل كل الشروط الاستسلامية من أخطرها قبوله إخضاع الجيش المغربي للقيادة الفرنسية. و كذلك إرساله لجيش من أربعة آلاف رجل لمواجهة الجيش الذي أرسله السلطان عبد الحفيظ لتدعيم مقاومة الشاوية. أنظر،

Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification*, op.cit. , p , 118.

² - يتعلق الأمر بالسمى محمد بن داود الشرقاوي الذي قد خدمة كبيرة للاحتلال الفرنسي. فمنذ أن أعلن مولاي عبد الحفيظ الجهاد قام بحملة معادية له و استخدم نفوذه و هيئته لإقناع القبائل بعد جدوى قتال الفرنسيين. و قد جاء ذكره في الكثير من تقارير القائد الفرنسي "دروود" لوزارة الدفاع الفرنسية على انه حليفا لفرنسا حتى قبل القيام بغزو إقليم الشاوية. و يبدو أن الخلاف بين قبائل شرقاوة و قبائل الشاوية كان من وراء هذا الولاء الشرقاوي لفرنسا لأن قبائل الشاوية قررت المقاومة. أنظر، علال الحديمي، التدخل الأجنبي، مرجع سابق، ص 318 - 319.

³ - Georges Bourdon, *Les journées de Casablanca*, op.cit., p , 252 - 256.

⁴ - وصف أحد الشعراء الشعبيين و هو عبد الهادي بناني إحدى قصائده الشعبية وصفا دقيقا لهذه المعركة قائلا:

طاح ميمون الكفر كبار و صغار صادف لخان و الفتان و الخسارا
كم من كافر للرباط دخل عريان هذي هانا و ليس تسبها هانا
قروا و تفرقوا على جميع البلدان رهوط كثار جات منهم عريانا

⁵ - Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification*, op.cit. , p , 62.

جذرية لسياسة "التهدة" التي كان تقوم بها في المغرب فتحوّلت هذه "التهدة" إلى حرب إبادة على المغاربة انطلاقاً من مطلع سنة 1908 بدأت بعزل "درود" الذي أصبح بالنسبة لرئيس الوزراء الفرنسي "جورج كليمنصو" رمزا للجمود في حملة المغرب وحل محله الجنرال "داماد D'Amade" في ديسمبر 1907. وقد بدا هذا الأخير في تطبيق إستراتيجية عسكرية جديدة تقتضي بشن حرب شاملة ضد قبائل الشاوية لدفعها إلى الاستسلام¹.

ابتداء من مطلع سنة 1908 انتقلت مقاومة الشاوية من مجرد "عملية بوليسية" قامت بها باريس للرد على أحداث 30 جويلية بالدار البيضاء إلى مواجهة شاملة قامت بها فرنسا بهدف احتلال إقليم الشاوية للتمهيد لاحتلال كلي للمغرب. و قد ظهر ذلك جليا من خلال مضاعفة عدد قوات الجيش الفرنسي الذي زاد عن 12000 جندي بالإضافة إلى أفراد القبائل المغربية الموالية لفرنسا مثل الشرقاوة. وما بقي في الجيش المغربي على وفائه للسلطان عبد العزيز حيث اتخذ هذا الأخير موقفا معاديا للبيعة الجهادية التي حدثت في الجنوب بزعامة المولى عبد الحفيظ. و قد أدت هذه التعبئة من جميع الأطراف إلى حدوث عدة معارك فاصلة مثل معركة "سطات الأولى" في 15 جانفي 1908 التي كانت هزيمة للجنرال "دامادا" في أول مواجهة مسلحة له مع قبائل الشاوية. و قد أدت إلى توقيف أول زحف فرنسي نحو الجنوب². و معركة "عين مكنون" في 24 جانفي 1908 التي حاول من خلالها الجنرال "دامادا" إعادة الاعتبار لنفسه كقائد تم تعيينه من طرف "كليمنصو" لإخراج الجيش الفرنسي من جمود الجنرال "درود"³.

إلا أن هذا الهجوم انتهى هو الآخر بهزيمة نكراء دفعت بـ "دامادا" للتراجع و العودة لمدينة الدار البيضاء⁴. و لم يستطع إعادة المبادرة لصالحه بالرغم من عدة محاولات مثل

¹ - أثناء مناقشة البرلمان الفرنسي لتداعيات هزيمة 28 سبتمبر 1907 أمام قبائل الشاوية، اعتبر أحد النواب بأن أوامر كليمنصو هي التي كانت من ورائها. لأنها منعت "درود" من التقدم أكثر من عشرين كم رد عليه كلمنصو بأن الجمود سببه "درود" لأن بحوزة هذا الأخير أكثر من ثلاثين بركة تأمره بالتوغل أكثر من ذلك بكثير. و يبدو أن "درود" للرد علة هذا الإدعاء و بالرغم من تنحيته و لكنه قام بالهجوم على قصبة الدار البيضاء و قام باحتلالها كلية أسبوعا فقط قبل رحيله نهائيا من المغرب. أنظر ،

Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification*, op.cit. ,p , 63.

² - Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification*, op.cit. ,p , 67 - 70 .

³ - *ibid.* p, 67 - 70.

⁴ - *ibid.* p, 71 - 74.

معركة "القصابي" و"برابح" و"سيدي عبد الكريم" و "فخاخة" في فيفري 1908¹. وعندما كانت باريس تنتظر خروجاً من الركود أوقعها الجنرال "دامادا" في هزائم متتالية طيلة شهري جانفي و فيفري 1908. فقد استطاعت مقاومة الشاوية تحقيق انتصارات عسكرية نوعية شهد بها ضباط فرنسيين ميدانيين في مذكراتهم². مما أدى بباريس إلى البحث في الأسباب الحقيقية لهذه الانتكاسات المتتالية فأوفدت لجنة تحقيق ترأسها الجنرال "ليوتي" للتعرف على أسباب هذا الركود و الجمود بالرغم من تغيير قائد الحملة. و بالرغم من تأكيد "ليوتي" لصعوبة تقدم الفرنسيين في المغرب نتيجة المقاومة القوية التي يبديها المغاربة، فإنه أوصى بالإبقاء على الجنرال "دامادا" لقيادة الجيش في المغرب نظراً لتعرفه عن قرب على الواقع في المغرب³.

بعد معارك شهر جانفي و فيفري 1908 التي لم يستطع فيها الجيش الفرنسي تحقيق أي تقدم ميداني. اتجهت القيادة العسكرية الفرنسية في المغرب إلى استعمال سياسة الأرض المحروقة التي كانت موجهة ضد التجمعات السكانية لزرع الرعب في أوساط المجتمع المغربي. وإجبار مجاهدي قبائل الشاوية على عدم مهاجمة المراكز الفرنسية. وهي نفس السياسة التي اعتمدها الجنرال "بيجو" في مواجهة مقاومة الأمير عبد القادر. ولذلك اعتبر "دانيال ريفي" *Daniel Rivet* أنه من المفارقات التاريخية أن تعتبر مقاومة 1908 في المغرب "تذكيراً لفرنسا بأيامها السوداء في حملتها على الجزائر"⁴. و لذلك كان رد فعلها على مقاومة الشاوية مثلما كان ردها على المقاومة الشعبية في الجزائر. فقامت "بالقصف الأعمى للقبائل و أفرغت أكبر منطقة في المغرب من حيث السكان. و حلت رائحة الموت محل رائحة الزراعات التي كانت تزخر بها هذه المنطقة... فقد حطم و احرق الجيش الفرنسي كل شيء

¹ - Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification*, op.cit. p , 75 – 78.

² - يتعلق الأمر بكل من الضابط "سوجند" في مذكراته تحت عنوان "الشاوية و قهدهتها" الذي ذكر أن الحملة الفرنسية في الشاوية كانت تراوح مكانها و لم تستطع العديد من العمليات تحقيق القليل من التقدم في أراضي قبائل الشاوية أنظر، Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification*, op.cit. p , 67 وكذلك الأمر بالنسبة للضابط "جورج بوردون" الذي كتب في مذكراته أن كبار الاستراتيجيين الفرنسيين اشتكوا كلهم من بطء العمليات العسكرية التي كانت تراوح مكانها " أنظر، Georges Bourdon, *Les journées de Casablanca*, op.cit., p , 250.

³ - Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), *La Chaouïa et sa pacification*, op.cit. p , 85.

⁴ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T1, op.cit. p 55.

وجده في طريقه و ارتكب مجازر جماعية مروعة في حق السكان.¹ و هكذا فقد تم". جزارة الشاوية بصورة كلية و مطابقة بين سنة 198 و 1912².

ابتداء من شهر مارس 1908 انتقل الجنرال "دامادا" بالمواجهة الفرنسية لمقاومة قبائل الشاوية من الخروج من الجمود بتعيينه محل "درو" إلى حرب إبادة ضد هذه القبائل. ففي 8 مارس ارتكبت الجيش الفرنسي "مجزرة مكارطو" التي كانت حرقا كليا لمجموعة من القبائل في شرق إقليم الشاوية في شعبة من شعاب جبل "مكارطو"³. و بعد أسبوع من هذه المجزرة ارتكب الجيش الفرنسي في 15 مارس 1907 مذبحة أخرى في غرب هذا الإقليم في منطقة "سيدي الغنيمي" التي أدت إلى مقتل آلاف المغاربة من النساء و الأطفال⁴. و قد اعتبر ذلك الضابط "سوجند" من أكبر الانتصارات التي حققها "دامادا" أياما فقط قبل مجيء اللجنة المتخصصة التي أرسلتها باريس بقيادة "ليوتي" للبحث في أسباب ركود التقدم الفرنسي في وسط المغرب، و لذلك أراد "دامادا" الحصول على انتصارات و لو بإبادة عدة قبائل بأكملها لتقديم أي "انتصار" لباريس و لو بارتكاب جريمة نكراء. التي بقيت كغيرها من جرائم فرنسا أثناء حملاتها الاستعمارية في مختلف المناطق "جريمة نكراء، ووصمة عار في جبين الحضارة الفرنسية" كما وصفها الاشتراكي الفرنسي "جون جوريس Jean Jaurès" أثناء مداخلته في البرلمان الفرنسي⁵.

بعد تلك المجازر، و تنفيذا لتوصيات "ليوتي"، و للقضاء على مقاومة الشاوية، بدأ الجيش الفرنسي في تنصيب ملحقات عسكرية محلية في الأماكن التي تم الاستيلاء عليها عن طريق المجازر، تكون بمثابة قواعد متقدمة ضد المجاهدين، و مراكز للاستخبار والمراقبة في عين المكان. و قد جاء ذلك في تقريره المفصل الذي قدمه لوزير الحربية تضمن مختلف التوصيات لتحقيق تقدما في احتلال المغرب. و قد كان هذا التقرير المفصل الذي تضمن حالة الحملة الفرنسية على المغرب، و الحلول التي تمكن من مواصلتها و تحقيق هدفها، من وراء تعيين

¹ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T1, op.cit. p 56.

² - *ibid*.

³ - علال الخديمي، التدخل الأجنبي، مرجع سابق، ص 342.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - Jean Jaurès, Textes choisis: Contre la guerre et la politique coloniale Éditions sociales, 1959 Paris, 1959, p 34, 173.

الجنرال "ليوتي" كأول مقيم عام في المغرب بعد إخضاعه للحماية الفرنسية سنة 1912¹. ابتداء من نهاية شهر مارس بدأت سياسة الأرض المحروقة تأتي بنتائجها الميدانية. فقد بدأت قبائل الشاوية في الفرار بصورة جماعية من أماكن تواجدها. وفي 29 مارس، نصب "دامادا" مركزا عسكريا متقدما في قبيلة "المذاكرة"، وذلك بعد معارك كبيرة خسر فيها الجيش الفرنسي عدد من ضباطه².

في مطلع افريل عرفت المقاومة المغربية منعرجا حاسما اثر على مسارها تأثيرا كبيرا تمثل في تراجع السلطان عبد الحفيظ عن إستراتيجية تدعيم المقاومة الشعبية العسكرية وبصورة خاصة مقاومة الشاوية، و تعويض ذلك بالتحرك نحو مدينة فاس لطرد العيزيين منها و الاستيلاء عليها باعتباره سلطانا شرعيا. وقد ذلك إلى سقوط مدينة "سطات" في 12 أفريل 1908 بعد المحاولة الثالثة التي قام بها الجيش الفرنسي³. وابتداء ماي إلى غاية أوت 1908 عرفت مقاومة الشاوية تراجعا كبيرا نتيجة الحرب الشاملة التي كان الجيش الفرنسي يطبقها ميدانيا مما أثر كثيرا على هذه المقاومة التي كان عليها مواجهة الحملة الفرنسية و في نفس الوقت حماية سكان القبائل من حرب الإبادة ولم يعد ذلك بالمهمة السهلة على مر الأيام، خاصة بعد تراجع عبد الحفيظ عن تدعيمها عسكريا و انشغاله بتوطيد حكمه بعد دخوله إلى مدينة فاس بعد انتصاره على عبد العزيز في معركة "بوعشبية" في أوت 1908⁴.

إذا كان ذلك بمثابة بداية العهد الحفيظي بمساراته و تطوراته فإنه كان في نفس الوقت نهاية لمقاومة الشاوية التي كانت بمثابة أول مواجهة عسكرية لاحتلال الفرنسي للمغرب الذي اعتبر إخضاع القلب النابض " للمغرب النافع" انتصارا هاما لتجسيد مشروع الحماية الذي تحقق في مارس 1912. ولم يستطع حتى سلطان الجهاد عبد الحفيظ توقيفه. لأنه ارتكب خطأ

¹ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T1, op.cit. p 55.

² - Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), La Chaouïa et sa pacification, op.cit. , p , 90.

³ - يتعلق الأمر بالصراع بين العيزيين و الحفيظيين. وقد تم التطرق لهذه القضية بنوع من التفصيل سابقا.

⁴ - لقد وصف احمد كنوني و هو أحد الشعراء الشعبيين تلك الوضعية بما يلي:

و بئر ورد كان شؤما و بلا كأنه في الهول يوم كربلا
تناقص الحماة و العتاد و هزل القوم و قل الزاد
و شددت و طأها الأيام و كثر الأيامي و الأيتام

إستراتيجيا فادحا بتراجعته عن دعم هذه المقاومة. فبالرغم من أنه استطاع الدخول إلى عاصمة الأشراف العلويين في أوت 1908 أمام أعين الفرنسيين. إلا أن الجنرال "دامادا" اعتبر التحكم في إقليم الشاوية هو بمثابة السيطرة على المغرب. و لذلك لم يتردد في إبادة السكان و ارتكاب العديد من المجازر بين سنة 1907 و 1908. وأضاف بذلك الكثير من الجرائم في سجل بناء الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية¹. وأدخل أوروبا في دائرة من الصراعات و الصدامات التي انتهت بالحرب العالمية الأولى على حد تعبير "جون جوريس *Jean Jaurès*"².

لقد انتهت مقاومة قبائل الشاوية وانتهى معها حكم السلطان عبد العزيز الذي "عجز عن القيام بالمصالح، مما أدى إلى انحلال عرى الدين وتفرقة جموع المسلمين واستيلاء الأجانب على البلاد..."³. وحل محله مولاي عبد الحفيظ. الذي تحول إلى سلطان شرعي بمهمة الجهاد و طرد المحتل الذي أصبح أمرا واقعا. و بالرغم من الدعم الذي قدمه عبد الحفيظ لهذه المقاومة، فإن هذه البيعة اتجهت إلى غير ما كانت مقيدة به بنصها. فلم يقم سلطان الجهاد بذلك الجهاد. و لم يستطع الحفاظ على استقلالية سلطنة العلويين الأشراف⁴. وإذا كانت هذه الأخيرة قد فشلت في مواجهة النفوذ الأجنبي منذ انهزامها عسكريا في معركة "إسلي" في أوت 1844 و دبلوماسية في معاهدة "لامغنية" في مارس 1845، فإنه في الفترة الممتدة من 1908 إلى 1934 عرف المغرب العديد من المقاومات العسكرية التي قادها رجال جدد لمهمة جديدة تختلف عن مهمة سلطة العلويين. فإذا كانت هذه الأخيرة اعتمدت على المناورة الدبلوماسية لصد هذا النفوذ، فإن هؤلاء الرجال قاوموا هذا النفوذ بالوسائل العسكرية⁵. فقد "كان أهم ملامح يقظة المغرب منذ مطلع القرن العشرين الدعوة إلى الجهاد لمقاومة المد الاستعماري داخل التراب المغربي..." على حد تعبير محمد المنوني⁶.

¹ - Jean Jaurès, *Textes choisis: Contre la guerre et la politique coloniale*, op.cit. 38.

² - *ibid*, p,229.

³ - مما جاء في بيان علماء القرويين في فاس. و جامع ابن يوسف في مراكش حول عزل السلطان عبد العزيز. أنظر علال الخديمي الحركة الحفيظية، مرجع سابق ص 237.

⁴ - تم التطرق لهذه القضية سابقا.

⁵ - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration*, op.cit. p,82.

⁶ - محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، مرجع سابق، ص 274.

3. المقاومة المغربية المسلحة في الجنوب :

1.3 مقاومة الشيخ ماء العينين بن محمد:

لقد كانت مقاومة قبائل الشاوية أول مقاومة مسلحة للبدايات الأولى للتدخل الفرنسي في المغرب بعد احتلاله لمدينة وجدة في مارس 1907. وإذا كانت هذه المقاومة قد فشلت في صد ذلك الغزو لوسط المغرب، فإن روحها بقيت سائدة في كل أنحاء المغرب. فقد رفعت الزوايا الدينية لواء الجهاد لرفض أي خضوع للأجانب. ودعت إلى تعبئة شاملة للمغاربة وظهرت قيادات دينية أصدرت فتاوى دعت للجهاد كفرض عين ضد المحتل الأجنبي¹.

ظهر الشيخ محمد ماء العينين بين سنة 1900 و1910 وارتبط اسمه بمقاومة التوسع الاستعماري الفرنسي و الإسباني في الصحراء والأقاليم الجنوبية². فقد تصدى له منذ بداياته الأولى، و تحولت عاصمة الصحراء "السمارة" إلى مركز الجهاد الثقافي والسياسي والعسكري فقد استغل مكانته لدى السلاطين العلويين الأشراف في مواجهة التغلغل الأوروبي في

¹ - من أهم الفتاوى التي صدرت في هذه الفترة التي أصدرها محمد العربي بن محمد الهاشمي الحسني العلوي المدغري 1892 وقد قد جاء ذلك في كتابة المشهور "سلوة الأنفاس". و أبو العباس أحمد بن الهاشمي الإدريس الحسني الفيلالي المتوفى سنة 1910. وقد أصدر فتوى تحت عنوان " في الترغيب لطلب الشهادة ". و الشريف المصطفى بن الحنفي الحسني العلوي احمدي الذي أصدر فتوى في رسالة جهادية لأهل تافيلالت. أنظر، محمد المنوني، مظاهر يقظة المغرب الحديث، مرجع سابق، ص 275-279.

² - هو الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي، ولد في "الحوض" شرقي موريتانيا سنة 1830. نشأ في بيت علم نهل من علم والده الشيخ محمد فاضل و من العديد من مشايخ شنقيط. حفظ القرآن بالروايات السبع. وحفظ المتون الفقهية كمختصر خليل. و تحكم في العديد من العلوم الدينية و صنوف الأدب مما مكّنه من التدريس في مدرسة والده لفترة من الزمن. و بعد حصوله على الإجازة من طرف والده رحل إلى العديد من الأقطار الإسلامية. فحج إلى بيت الله الحرام سنة 1858 و قد مر خلال هذه الرحلة بالعديد المدن المغربية. و قابل السلطان مولاي عبد الرحمان الذي خصه بزيارة ناسبت مكانته المعنوية في بلاد شنقيط. ثم جهزه لأداء فريضة الحج كم آمنه على أبنه و أرسله معه. و أثناء الحج التقى بكبار العلماء في مكة و المدينة المنورة و تناقش معهم في الكثير من القضايا الإسلامية الكبرى و أقنعهم في العديد منها. و بعد عودته من البقاع المقدسة مر على جامعة تندوف و التقى بكبير علمائها و هو محمد بن الأعمش الجنكي. و بعد تنقله بين قبائل الساحل و تندوف و أدرار انتهى به المقام بمنطقة الساقية الحمراء التي رأى فيها محطة إستراتيجية دينيا و تجاريا فحولها إلى مركز عمراي و علمي و حضاري بعد بناء مدينة بها بمساعدة السلطان مولاي عبد العزيز تحت اسم "السمارة" سنة 1898. التي تحولت إلى مركز إشعاع علمي و ثقافي في الصحراء و منطقة عبور و مركز رباط و جهاد. و مع بداية القرن العشرين تزايدت الأطماع الاستعمارية في احتلال بلاد شنقيط. فعمل الشيخ ماء العينين من السمارة على تأطير القبائل و تحريضها على مقاومة كل أشكال التدخل الأجنبي فأستنفرها بكتاب عنوانه "بيان من حار في أمر النصارى". و أرسل ولديه إلى قبائل شنقيط لمطالبتهم بالتنسيق و المشاركة في حملته. كما طلب من السلطان عبد العزيز الدعم و المؤازرة لمحاربة الاستعمار الأجنبي. أنظر، النعمة علي ماء العينين و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2000. و كذلك، Attilio Gaudio , Sahara Espagnole ,Fin d'un Mythe Colonial, Ed , Arrissala ,Rabat 1975.

الصحراء، و الفرنسي على وجه الخصوص منذ بدايته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عن طريق الامتيازات التجارية¹. فبالإضافة إلى توسعاتها الداخلية والساحلية بدأت باريس في بث الخلافات بين مختلف القبائل بإثارة النزعات فيما بينها إدخالها في حروب داخلية فيما بينها. و قد كان مهندس السياسة الاستعمارية الفرنسي في الصحراء "كزافييه كوبولاني Xavier Coppolani" من وراء الكثير من الصراعات التي ظهرت بين العديد من القبائل الصحراوية².

لقد تفتن الشيخ ماء العينين لهذه السياسة فكتب رسالة للسلطان عبد العزيز يحذره منها و يعلمه بأن "النصارى لم يتوقفوا عن الاتصال به لعقد اتفاقية معهم. إلا أنه رفض ذلك مل لم تم عن طريق السلطان الشرعي للبلاد"³. و عندما بدأت فرنسا في التفاوض مع إسبانيا من أجل اقتسام سواحل وادي الذهب. كتب ماء العينين رسالة أخرى إلى السلطان يعلمه فيها بأن "النصارى لعنهم الله مشتغلون بشراء الجمال و العتاد..."⁴. و يبدو أن هذه الرسالة هي دفعت بالسلطان عبد العزيز لمراسلة نائبة بمدينة طنجة للاحتجاج لدى القنصل الفرنسي على "هذا الترامي على الحدود من غير مراعاة شرط ولا اعتبار قانون..."⁵. و قد أدى تحرك الشيخ ماء العينين ضد الأطماع الأجنبية على القيام بعدة هجمات على المصالح الفرنسية و الإسبانية

¹ - بدأ التوغل الأوروبي في الصحراء سنة 1865 عن طريق الإسباني "جوان كاتل Joaquin Gatell" الذي قام بأول رحلة توغلت في أعماق بلاد شنقيط. ثم توالى المحاولات الأوروبية الأخرى مثل بريطانيا التي أنشأت محطة تجارية لها في "راس يوبا". أما فرنسا فقد بدأت أولى توسعاتها في الصحراء الغربية سنة 1887 بإنشائها لأول مركز تجاري على ضفاف نهر "وادي الذهب". و ابتداء من سنة 1888 أنشأت فرنسا مجموعة من الخطات التجارية على طول الساحل الأطلسي تحت وصاية إدارة لجزر الكناري و من أهمها مدينة "داخلة". ثم دعمت هذا التوسع الساحلي عن طريق توسع داخلي من الجزائر فاستعمرت مدينة "تومكتو" سنة 1894.

أنظر، Attilio Gaudio , Sahara Espagnole ,Fin d'un Mythe Colonial ,op.cit. p 160.

² - ابن أحد المعمرين في الجزائر القادمين من جزيرة "كورسيكا" ولد قسنطينة سنة 1866. مارس الإدارة الاستعمارية في إحدى البلديات المختلطة في الشرق الجزائري. تعلم اللغة العربية و درس الثقافة الإسلامية و أصبح متخصصا في القضايا الإسلامية الأهلية. من خلال الدراسات التي قام بها حول الزوايا. و أصدر سنة 1898 كتابا حول الزوايا الدينية و قد انتقد السياسة الاستعمارية الفرنسية التي أهملت الدين الإسلامي. فالنسبة إليه يعتبر الإسلام في البلاد الإسلامية بديل لمصطلح الوطن. و في سنة 1895 نقلته فرنسا إلى السنغال. و في سنة 1898 عين حاكما إداريا في بلاد شنقيط. و كان من وراء تأسيس منطقة موريتانيا على الضفاف الشمالية لنهر السنغال. التي تحولت فيما بعد لدولة. و هو صاحب مقولة "في الصحراء من يسيطر على الواحة يتحكم في الرجل". و يعرف بـ "مؤسس موريتانيا" أنظر،

Georges Coppolani ,Xavier Coppolani Fils de Corse ,Homme d'Afrique: Fondateur de la Mauritanie, Ed, L'Harmattan, Paris , 2005 p , 115 – 131.

³ - M'barek Zaki, Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration, op.cit. p.91.

⁴ - النعمة علي ماء العينين و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مرجع سابق ص 78.

⁵ - المرجع نفسه ص 79.

مثلما حدث في وادي الذهب في مطلع سنة 1901 مما أدى إلى تراجع الإسبان في الداخل. و أمام المقاومة العنيفة التي أبداها سكان القبائل ضد هذه التوسعات استجابة لفتاوى الشيخ ماء العينين. اضطرت كل من باريس و مدريد لعقد اتفاقية مشتركة في أكتوبر 1904 لمواصلة غزوهما للصحراء و تقسيم مناطق النفوذ لكل منهما. و لذلك أرسل ماء العينين ابنه أحمد الهيبة بإدارة المخزن و طلب منهم القيام بحراسة دائمة على السواحل لمنع السفن الأجنبية من الرسو. و قد أیده في ذلك السلطان عبد العزيز الذي بعث برسالة أخرى إلى شيوخ القبائل حثهم فيها على عدم التهاون في الدفاع سواحل بلادهم و وعدهم بمدد بالسلاح من أجل ذلك¹.

بالرغم من ذلك فإن فرنسا واصلت تنفيذ مضمون اتفاقها مع إسبانيا لسنة 1904 لاحتلال بلاد شنقيط، و في سنة 1905 كلفت "كولولاني" على رأس بعثة لإقامة علاقات تجارية مع شيوخ القبائل. و قد قام الشيخ ماء العينين بمواجهة هذا المشروع التوسعي بتحذير القبائل من خطورة التعامل مع هذه البعثة. كما أرسل ولده "الطالب أخيار" لمختلف شيوخ القبائل لكشف حقيقة أهداف هذه البعثة. و أفتى "بوجوب حمل السلاح لمحاربة الكفار الذي يقوم بغزو أراضي المسلمين كما يدعو إلى ذلك الإسلام"². كما شكل وفدا من أعيان القبائل الصحراوية و اتجه بهم نحو مدينة فاس لتجديد بيعتهم للسلطان و الحصول على السلاح و العتاد لمقاومة التوسع الفرنسي. و قد استجاب السلطان عبد العزيز لهذه الدعوة فأرسل وفدا بقيادة ابن عمه مولاي إدريس بن عبد الرحمن لمساعدة حركة المقاومة في الجنوب. و قد اعتبر ماء العينين هذا الدعم حافزا كبيرا لمواصلة حملته المعادية للمصالح الفرنسية فدعا لمقاطعة الأجانب من جميع الجوانب و أصدر فتوى بتحريم التعامل معهم من جميع الجوانب³.

لدى أدى نداء الجهاد الذي أصدره ماء العينين، و بحضور ابن عم السلطان لتدعيم المقاومة ماديا و معنويا إلى رفع ديناميكية جهادية كبيرة برزت نتائجها المباشرة في مهاجمة المركز العسكري في 12 ماي 1905 بـ "تجكجة" الذي كان يقوده "كوبولاني" مما أدى إلى مقتله مع عدد من الجنود الفرنسيين. و قد حملت التقارير الفرنسية "رجل السمارة و الساحر الأزرق

¹ - النعمة علي ماء العينين و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مرجع سابق ص، 80.

² - المرجع نفسه.

³ - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration*, op.cit. p.94.

مقتل ممثل فرنسا في الصحراء...¹ كما أدى مقتل مهندس التوغل الفرنسي في بلد شنقيط إلى تدعيم فكرة المقاومة التي أصبحت خيارا وحيدا لكل القبائل الصحراوية. فلأول مرة توفرت كل الظروف للقيام بالجهاد ضد المحتلين. خاصة بعد أن بدأ الدعم العسكري يصل لهذه المقاومة سواء من طرف المخزن الذي أرسل عتادا عسكريا مهما للمجاهدين، عن طريق مولاي إدريس. الذي لم يتوقف عن مطالبة القبائل الوحدة تحت الراية العلوية الشريفة لمواجهة الغزو الفرنسي. أو حتى من السواحل أين أفرغت السفن الألمانية كميات كبيرة من السلاح و العتاد لتدعيم المقاومين. فقد كان الصراع الألماني الفرنسي من أجل المغرب في أشد مراحله. و لمنع ذلك أرسلت فرنسا سفينة "كليبر" الحربية إلى ساحل مدينة طرفاية لمنع ذلك².

ابتداء من سنة 1906، و بعد هذا الانتصار العسكري و المعنوي الذي حققته مقاومة الشيخ محمد ماء العينين، أجمعت كل القبائل الصحراوية على وضع حد لتشرذمها و مواجهة الخطر الذي كان يحرق بها. فجمعت كلمتها و وضعت نفسها تحت سلطته الموحدة في "مؤتمر السمارة" في جوان 1906 حيث حضر ممثلو قبائل شنقيط و الصحراء. و أعلنوا ولائهم للشيخ محمد ماء العينين قائدا عسكريا و لعبد العزيز سلطانا لمواجهة الاحتلال الأجنبي. و قد انعكس ذلك ميدانيا من خلال العديد من الانتصارات العسكرية التي حققتها هذه المقاومة خلال سنة 1906. فقد استطاعت تحرير العديد من المناطق مثل "تكانت" وحققت نصرا عسكريا باهرا في معركة "نايميلان" كما تم محاصرة "تجكجة". فقد استطاعت المقاومة العينية تحرير كل الصحراء الغربية. فتحوّلت "السمارة" إلى عاصمة الجهاد³. و أمام توالي هزائم الجيش الفرنسي و اشتداد حصار محاربي "زاوية السمارة" أصدرت باريس أوامرها للقيادة العسكرية في شنقيط للتراجع إلى بلاد السنغال في ديسمبر 1906. و لتعويض ذلك لجأت (كعادتها) إلى الآلة الدبلوماسية للضغط على المخزن المغربي لتوقيف دعم السلطان لها. خاصة و أن قرارات مؤتمر الجزيرة الخضراء في افريل 1906 كانت آخر حلقة لتصفية القضية المغربية لصالح فرنسا⁴.

¹ - التسمية التي أطلقت على الشيخ ماء العينين. و قد جاء ذلك في التقرير الذي بعث به الحاكم العام لإفريقيا الغربية الفرنسية إلى وزير المستعمرات. أنظر، النعمة علي ماء العينين و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مرجع سابق ص، 116.

² - Ministère française des affaires étrangères, Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1901 – 1905, op.cit.

³ - Attilio Gaudio , Sahara Espagnole ,Fin d'un Mythe Colonial ,op.cit. p 165.

⁴ - André, Tardieu, La conférence d'Algésiras ;op.cit., p 17-30.

بعد مبايعة السلطان عبد الحفيظ في أوت 1907 توطدت العلاقات بشكل كبير بين سكان الصحراء و المخزن الجديد. وذهب الشيخ ماء العينين إلى مدينة مراكش على رأس وفد من القبائل الصحراوية وقدموا ولائهم للسلطان الجديد الذي كان مطابقا لمضمون البيعة المشروطة بإعلان الجهاد وتحرير البلاد من الأجانب¹. و قد أعطت هذه البيعة في أول الأمر دفعا جديدا لهذه المقاومة التي حققت انتصارا عسكريا جديدا بتحريرها لمدينة "أكجوجت" في مطلع سنة 1908. إلا أن ذلك لم يستمر بعد تغيير المخزن الحفيظي موقفه من هذه المقاومة². تحولت المقاومة العينية بالنسبة لباريس ومريد إلى عائق كبير أمام تطبيق اتفاقية 1904 لتقسيم الصحراء بينهما. و لذلك وحدث أعمالها عسكريا براو بحرا. مارست ضغوطا دبلوماسية كبيرة على المخزن المغربي لسحب دعمه لها. و قد كان ذلك من اكبر أسباب فشل هذه المقاومة. بالإضافة إلى اختلال التوازن الذي كانت عليه المقاومة المغربية في عموم البلاد فعندما كانت المقاومة العينية تقاوم الاستعمار في الصحراء وتلحق به الهزائم تلو الأخرى، لم يكن الأمر كذلك في بقية المناطق. فقد سقطت مدينة وجدة و كل منطقتها في أوت 1907 بدون مقاومة. و لم تستطع مقاومة الشاوية تحقيق الكثير من التقدم بالرغم من الحصار الذي ضربته على مدينة الدار البيضاء التي هي الأخرى أصبحت تحت السيطرة الفرنسية. و من جهة الأخرى تسرب إلى الإدارة المخزنية العزيزية الكثير من الخبراء من الأجانب تطبيقا للاتفاقيات السرية التي تمت بين الدول الأجنبية و السلطان عبد العزيز الذي أصبح رهينة في أيدي المستشارين الفرنسيين، خاصة بعد بيعة أخيه عبد الحفيظ في مراكش في أوت 1907. و قد كان من أهم النتائج السلبية على مقاومة الشيخ ماء العينين استدعاء مولاي إدريس من الصحراء، كما تم توقيف كل أشكال الدعم العسكري التي كان المخزن العيزي يقدمها لهذه المقاومة. فقد كان هذا الأخير يعيش أواخر أيامه³.

بالرغم من الانتصارات العسكرية الباهرة التي حققها ماء العينين، إلا أن التطورات التي عرفت السلطة المركزية في فاس في مطلع جانفي 1910 غيرت في موازين القوى بشكل جذري و مفاجئ. فقد أدى انتصار الحفيظيين على العيزيين في نهاية سنة 1908 إلى تغيير

¹ - تم التطرق لمضامين هذه البيعة و تفاصيلها و نتائجها سابقا.

² - النعمة علي ماء العينين و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مرجع سابق ص 83.

³ - تم التطرق لهذه المسألة سابقا.

السلطان عبد الحفيظ لأولوياته التي كان الجهاد و طرد المحتل الأجنبي على رأسها فتراجعت ذلك ليحل محله الاستيلاء على السلطة المركزية، وإعادة بعث سلطنة الأشراف العلويين من جديد. و لذلك لم يتردد المخزن الحفيظي في إمضاء اتفاقية مع فرنسا في 14 جانفي 1910 تضمنت "التزام المخزن توقيف كل أشكال الدعم للمحرضين ضد المصالح الفرنسيين سواء للشيخ ماء العينين و كل أعداء فرنسا في الصحراء"¹. و قد أثر ذلك مباشرة على الشيخ ماء العينين الذي وجد نفسه محاصرا من الجنوب بتحالف عسكري فرنسي إسباني و في الشمال بالموقف الجديد للمخزن الحفيظي. الذي بالرغم من تأييد لهذه المقاومة و إيمانه بمضامينها إلا انه طلب من زعيمها العودة إلى الصحراء و توقيف مقاومته².

بالرغم من هبوب هذه الرياح المعاكسة لآمال الشيخ ماء العينين إلا أنه لم يفقد الأمل و قام بآخر محاولة له في فيفري 1910 على الطريقة التاريخية لـ "المرابطين"³. فقام بتجميع كل قواته في مدينة "تيزنيت" واتجه بها إلى الشمال لتحرير مدينة فاس من قبضة "المحتل الكافر و فك الحصار المضروب على السلطان"⁴ و قد انضم إليه الكثير من المتطوعين من القبائل التي مرت بها هذه الحملة. و قد اصطدمت مسيرة "المرابطين الجدد" في شهر جوان 1910 بالقوات الفرنسي التي كانت تنتظرها في منطقة "تادلة" في سفوح جبال الأطلس حيث استمرت المعارك خلال شهرين و انتهت "بانهزام هؤلاء المرابطين الذي فضلوا الاستشهاد في جبال الأطلس على العودة إلى الصحراء مهزومين"⁵ فاضطر الشيخ ماء العينين إلى العودة إلى مدينة "تيزنيت" و هو في حالة جد متدهورة نفسيا بعد تخلي سلطان الجهاد مولاي عبد الحفيظ عنه نهائيا وفق معاهدة 4 أوت 1910⁶. و جسديا بعد تقدمه الكبير في السن. فقام بتصفية كل أملاكه للحصول على الأموال الكفيلة بإعادة تنظيم صفوفه، إلا أن المنية أدركته قبل ذلك فتوفي

¹ - النعمة علي ماء العينين و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مرجع سابق ص 120.

² - المرجع نفسه.

³ - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à La Pénétration*, op.cit. p, 98.

⁴ - النعمة علي ماء العينين و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مرجع سابق ص 122.

⁵ - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration*, op.cit. p, 98.

⁶ - أمضى المخزن الحفيظي آخر فصل من فصول الخضوع الكلي لباريس حيث تنازل في اتفاقية أوت 1910 عن كل مظاهر السيادة بما فيها التعهد بعدم تقديم أي دعم لكل أشكال المقاومة و بصورة خاصة حركة الشيخ محمد ماء العينين. أنظر،

Attilio Gaudio , *Sahara Espagnole , Fin d'un Mythe Colonial*, op.cit. p 167.

في 28 أكتوبر 1910. و هو كله حسرة و مرارة تجرّعها بعد زيارته للمخزن الحفيظي في فاس الذي كان يعتمد عليه كثيرا" لطرد الصليبيين من دار الإسلام"¹.

إذا كان التحالف الفرنسي الإسباني قد شن عليه حرب إبادة، فإن هذا المخزن قد صدمه لأنه غير بصورة مفاجئة في أولوياته. فقد تراجعت البيعة المشروطة بالجهاد، وحل محلها السعي للحفاظ على بقايا سلطنة الأشراف العلويين. و في النهاية لم يستطع عبد الحفيظ تحقيق لا هذا و لا ذاك².

2.3 مقاومة الشيخ أحمد الهيبة :

بالرغم من وفاة الشيخ محمد ماء العينين، فإن نار المقاومة لم تنطفئ. فقد بقيت شعلتها ملتهبة في قلوب مجاهدي القبائل الصحراوية الذين وجدوا في ابنه الشيخ أحمد الهيبة³ خليفة له لضمان مواصلة المشروع الجهادي والرباطي الذي شرعت فيه زاوية "السمارة" منذ تأسيسها من طرف ماء العينين سنة 1898. فعلى إثر وفاة والده قام أحمد الهيبة بالإشراف على هذه الزاوية بتوجيه مريديها بما كان ينادي به مؤسسها الشيخ محمد ماء العينين من تصوف و جهاد ضد الغزو الأجنبي. وقد التفت سكان الصحراء حول ابنه أحمد الهيبة، و قدموا له كل الولاء و الحماية له. فقد استطاع ملء الفراغ القيادي الذي أحدثته وفاة والده. و قد تزامن ذلك الصعود مع ما كان المغرب يعرفه من ظروف متسارعة سارت به نحو تجسيد الحماية الفرنسية في مارس 1912. كما كان نتيجة فشل مقاومة الشاوية في توقيف الغزو الفرنسي نحو الداخل في سنة 1909. بالإضافة إلى انحراف البيعة الحفيظية عن هدفها الذي

¹ - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration*, op.cit. p, 180.

² - النعمة علي ماء العينين و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مرجع سابق ص 83.

³ - ولد الشيخ أحمد الهيبة في 20/09/1877 بضواحي مدينة "أطار" بمنطقة الحوض الموريتاني حيث كان والده يحرض القبائل الصحراوية على محاربة الغزو الأجنبي. و قد تربى تحت إشراف والده مباشرة. الذي اصطفاه من بين إخوته لذكائه و سرعة بديهته. فدرس عند العديد من العلماء و شيوخ الزوايا مثل الحضرمي وكان يرافق والده الشيخ محمد ماء العينين في زيارة العديد من المدن المغربية خاصة مراكش و فاس والتقى بالعديد من مشاهير العلماء و تحدث معهم في أمور الدين وشؤون السياسة. و قد تشبع بالصوفية الجهادية التي مارسها عن كتب و استعملها لمقاومة الاحتلال الفرنسي. و قد كان له الكثير من المؤلفات في التصوف والشعر والحديث والطب. و قد كان الذراع الأيمن لوالده أثناء المقاومة فشارك معه في العديد من المعارك في الأقاليم الجنوبية المتاخمة لمالي و السنغال. كما كان مبعوثا له لمدينة فاس بغرض الحصول من السلطان السلاح و الدعم لمواجهة الغزو الإسباني و الفرنسي للصحراء. و قد ظهر مباشرة بعد وفاة والده كخليفة له في العلم و المقاومة في زاوية "السمارة". وقد نقل كل مركز حركته إلى مدينة "تيزنيت" ثم جعل من مدينة مراكش عاصمة لمقاومته. أنظر، محمد المختار السوسي، المعسول في التاريخ الحضاري لمنطقة سوس، ج4، مطبعة الشمال الأفريقي، الرباط، 1961، ص101-104.

جاءت من أجله. و قد كان لهذا الانحراف أثرا سلبيا كبيرا على مقاومة الصحراء ففقد "سلطان الجهاد" مولاي عبد الحفيظ كل شعبيته في مدينة "تيزنيت" أين كان أحمد الهيبة مصمما على بعث الجهاد ضد فرنسا. فتحول عبد الحفيظ من قائد وطني إلى سلطان لا يختلف عن أخيه عبد العزيز الذي ثار ضده لأنه لم يقم بمهمته المقدسة. وأصبح نسخة طبق الأصل له لأنه خضع للأطماع الأجنبية والفرنسية منها على وجه الخصوص على حد تعبير عبد الله العروي¹. وقد كان للحملة الدعائية الألمانية دورا كبيرا في هذه الحملة المضادة لعبد الحفيظ². ففي سنة 1911 عرفت "الأزمة المغربية" تصعيدا شديدا لها من خلال "أزمة أغادير"³. و قد أدت هذه الظرفية إلى تحول مشروع أحمد الهيبة من قائد مقاومة إلى مشروع "سلطان" لتعويض الفراغ القيادي الذي نتج عن تخاذل المخزن الحفيظي في الدفاع عن المغرب. فقد دفعت الأوضاع المتردية لسلطنة الأشراف العلويين المغاربة للبحث عن بديل عنهم. خاصة بعد إمضاء السلطان عبد الحفيظ لعقد الحماية في 30 مارس 1912⁴.

لقد هب أتباع الشيخ أحمد الهيبة يحثون السكان على الالتفاف حوله في مدينة "تيزنيت" لأنه أصبح البديل الوحيد للسلطة الرسمية التي فقدت وجودها الشرعي بعد معاهدة الحماية ولم يتوقفوا عن الدعوة له في أوساط القبائل "سوسة" التي تحمست كثيرا للجهاد. و قد أدت تلك الهبة الشعبية إلى عقد أول مؤتمر بـ "تزنيت" في 5 ماي 1912 ضم أنصار الدعوة إلى الشيخ أحمد الهيبة من الفقهاء والعلماء و الأعيان. و قد انتهى هذا المؤتمر بإعلان الشيخ أحمد الهيبة "قائدا للجهاد للدفاع عن حوزة البلاد"⁵. و قد أدت هذه البيعة إلى اتساع دائرة الإقبال على هذه الحركة الجهادية الجديدة من العديد من مناطق المغرب. خاصة بعد أن ألغى أحمد الهيبة كل مظاهر المخزن العلوي الشريف من قادة و باشوات. فأعلن المساواة بين

¹ - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit, p 400.

² - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration*, op.cit. p, 181.

³ - بعد تجاهل فرنسا لمطالب الألمانية في المغرب من خلال مؤتمر الجزيرة سنة 1906. و بعد أن شرعت فرنسا في تنفيذ مشروع احتلالها للمغرب بداية من سنة 1907 عارضت ألمانيا هذا التدخل و هددت باستعمال القوة لمنع ذلك و انتقلت السفينة الألمانية "بانتر Panther" إلى سواحل مدينة أغادير مهددة بالتدخل العسكري في حالة مواصلة فرنسا لاحتلالها للمغرب. و قد انتهت هذه الأزمة بتنازل فرنسا عن مستعمراتها في حوض الكونغو لصالح ألمانيا. و تراجعت بذلك عن أي تهديد لفرنسا. إلا انه تعتبر "أزمة أغادير" من الأزمات الممهدة للحرب العالمية الأولى. أنظر،

Ministère française des affaires étrangères, *Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1910 – 1912*, op.cit.

⁴ - Attilio Gaudio, *Sahara Espagnole, Fin d'un Mythe Colonial*, op.cit. p 167.

⁵ - محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص 105.

الناس وألغى الضرائب وجعل من الشريعة الإسلامية مصدرا لتشريعاته¹. ونظرا لسرعة انتشار أخبار احد الهيبة في كامل الصحراء، وبالنظر إلى غياب أية سلطة شرعية بعد مصادرتها في مدينة فاس، طالب علماء "تيزنيت" و"شتوكة" وعلى رأسهم الشيخ "مبارك أبو الباكور" بمبايعته "سلطانا وأميرا للمؤمنين" في مؤتمر آخر في 15 جوان 1912². فبعد عشية و ضحاها أصبح اسم مولاي احمد الهيبة على طرف كل لسان، و قطب الأحاديث في كل ندوة، و حضرته في تزنين قبلة كل مآل، فسالت الطرق إليها من رؤساء القبائل و طلبتها و المتفرقين منها حتى عادت إليها السبل في رجب. حتى أصبح المثل بين الأمير الجديد مصدرا للشرف يتناول إليه السابقون و حافزا عنيفا لمن هم من بعدهم لاحقون، حتى أصبحت تزنيت كخليفة نحل... " على حد تعبير صاحب المعسول³. و قد أدى ذلك إلى عزم الشيخ أحمد الهيبة على الاتجاه نحو عاصمة الجنوب المدينة الحمراء مراكش لتحويلها إلى قاعدة خلفية لتحرير المغرب من الصليبيين المحتلين⁴.

مباشرة بعد عزم الشيخ احمد الهيبة الاتجاه صوب مراكش اكتظت مدينة "تيزنيت" بالقبائل المجاورة. و سارعت مختلف الوفود و الحشود من مختلف الطبقات من علماء وأدباء و فقهاء وعامة الناس لمباركة هذه المسيرة. و قد انتشر الخبر في الجنوب في قبيلة سوس و تافيلالت و درعة. و انتقل الكثير من أفراد هؤلاء إلى مدينة تيزنيت للانضمام إلى مسيرة الهيبة لتحرير البلاد من الكافر الأجنبي⁵. و قد كانت مسيرته بحد ذاتها جزءا من مقاومته. فقد كان الشيخ احمد الهيبة أثناء الزحف يستنهض القبائل الجنوبية للنهوض ضد التدخل الأجنبي الذي أصبح أمرا احتلالا للمغرب منذ 30 مارس 1912. فحتى تقسيم الفرق العسكرية وكيفية دخولها لمراكش كان فيه الكثير من التأثير داخليا و حتى خارجيا. فقد قال صاحب المعسول محمد المختار السوسي عن تلك المسيرة بأن "...الناس ساروا في فرح و بهجة عظيمين. و قد انتشوا بنشوتين نشوة الدفاع عن الوطن و نشوة الملك الجديد الذي في أيديهم. فقد تراءى لهم

¹ - محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص 106.

² - المصدر نفسه .

³ - المصدر نفسه ، ص 107 .

⁴ - المصدر نفسه، ص 124.

⁵ - المصدر نفسه، 125.

العالم كأنه في اكفهم مطويا...ولذلك سار الناس في امن و طمأنينة و نظام في الجملة...¹.و قبل دخول الهيبة إلى مراكش كان قد تحصل على الكثير من المكاسب لحركته فقد أقام خمسة عشر منزلة في طريقه وفي كل منزلة كان يتم استقباله كأمر مؤمنين.حتى وجد أبواب مدينة مراكش،التي كانت آخر منزلة له،مفتوحة أمامه.فدخلها من جميع الاتجاهات في14آوت1912 الذي كان موافقا لأول يوم من شهر رمضان من عام 1330هـ.. "فقد اهتز العالم بدخول الهيبة لعاصمة الجنوب.و كان لصدى ذلك في الجرائد السيارة ما له.فصارت الجرائد الشرقية تستكنه النتائج وتستبشر خيرا،و قد رأت الأمر من بعيد بالمرأاة المكبرة"².و على أبواب المدينة قدم إليه القواد الكبار للمخزن بما فيه أبناء السلطان مولاي الحسن الأول و قدموا له البيعة.و قدموا له مفاتيحها و فتحوا له قصورها و قصبتها.و أغرقوه في الهدايا الثمينة...".فسيطر على مخازن القمح والعتاد ومواقع الأبراج وعين رؤساء الجيش من السوسيين و الصحراويين و حرر الناس من دفع المكوس و جمع الأموال و فتح سجونها و أخرج من كان بها...و ألقى القبض على قنصل فرنسا"ميكري Maigret " مع ستة مساعديه وأدخلهم السجن..."³.

لقد كان لدخول الشيخ أحمد الهيبة إلى مراكش و استقرار موكبه فيها صدى كبير في الداخل و الخارج.فقد استبشر المغاربة بذلك واعتبروه رجلا بمهمتين الأولى لمقاومة الاحتلال الصليبي الفرنسي.والثانية لتعويض الفراغ القيادي الذي أحدثه خضوع سلطة الأشراف العلويين للحماية الفرنسية.فقد تحول سلطانهم الجديد مولاي يوسف إلى مجرد دمية في أيدي الجنرال ليوتي⁴.و لذلك صرح هذا الأخير أن الحملة الفرنسية على المغرب أصبحت تعرف تذبذبا و تراجعا بعد التطورات التي حدثت في الجنوب. فقد كتب في مذكراته أن " المدعو أحمد الهيبة أصبح خطرا داهما بعد سيطرته على مراكش و إعلان مسيرته نحو إقليم الشاوية بدعم معلى من ألمانيا...و كان يجب على القوات المعسكرة في الضفة الشمالية لنهر أم الربية أن تتقدم لتوقيف هذا الزحف بالرغم من قلة عددها..."⁵.

¹ - محمد المختار السوسي،المعسول،الجزء الرابع،مصدر سابق،ص 126.

² - ذكر محمد المختار السوسي في كتابه المعسول أسماء كل هذه المنازل و ما تم فيها من استقبال و تكريم لوفود احمد الهيبة التي كانت في مسيرتها نحو مراكش ،انظر، محمد المختار السوسي،المعسول،الجزء الرابع،مصدر سابق،ص، 126-131.

³ - محمد المختار السوسي،المعسول،الجزء الرابع،مصدر سابق،ص 136، 137.

⁴ - Attilio Gaudio, Sahara Espagnole, Fin d'un Mythe Colonial, op.cit. p169.

⁵ -Louis Hubert Gonzalve Lyautey, Jean Louis Miège, Lyautey, Paroles d'action, Editions La Porte, Paris, 1995 , p 97.

في خضم هذه التطورات في نشوة الإعلان المسبق عن هذه الانتصارات أعلن الشيخ أحمد الهيبة عن بداية مشروعه الجهادي ضد فرنسا. و مواجهة الجيش الفرنسي الذي بدأ في التحرك للهجوم على مراكش. فقد عين "ليوتي" العقيد "مانجان Mangin" قائدا على حملة مراكش ولذلك قام هذا الأخير بكل الاستعدادات العسكرية للقضاء على الحركة الهيبية و إلحاق مراكش بالحماية الفرنسية كما حدث لكبرى الحواضر المغربية مثل فاس و الرباط و الدار البيضاء. و قد كان حجم القوى الفرنسية المسخرة لحملة مراكش تعبيرا عن مدى خوف باريس من مشروع أحمد الهيبة الذي لم يأخذ هذه التعبئة بعين الاعتبار. فقد أصبح منقسما بين شؤون بناء الدولة و الجهاد. و لم يأخذ مأخذ جد الكثير من النصائح التي أعطيت له في تلك الظروف الخاصة للتحضير لهذه المواجهة سواء على المستوى المادي أو المعنوي من طرف الكثير من المقربين. و لذلك تلقى أول صفة له من طرف قبيلة الرحامنة التي كانت باب مراكش من الشمال. فقد بايعت هذه القبيلة السلطان الجديد مولاي يوسف و تحولت إلى أداة للتغلغل الفرنسي في الجنوب¹. و عندما كان الهيبة بصدد بداية حركته لم يكن واقع الأمور يعكس ذلك البريق الذي أظهرته تلك المظاهر المؤيدة لحركته. فقد اضطربت أوضاع مدينة مراكش و تفكك جيشه فيها و ارتكبت الكثير من التجاوزات في حق سكانها خاصة تجارها الذين عانوا كثيرا من النهب والسلب. و لم تكن مسألة الحفاظ على القنصل الفرنسي وأعوانه كأسرى محل اتفاق من طرف كامل قواد المخزن الذي اعتبروا ذلك مصدر إزعاج دائم لهم في هذه المدينة و سببا إضافيا للإسراع بالحملة الفرنسية على المدينة كما جاء ذلك في مذكرات "ليوتي"².

في خضم هذه الحالة العامة أصبح أحمد الهيبة مجبرا على الشروع في مقاومته بالرغم من عدم تحضيرها من جميع الجوانب المادية. فحملة العقيد "مانجان Mangin" كانت قد قطعت نهر أم الربية وأصبحت في طريقها إلى مراكش منذ 15 أوت 1912. و لذلك أرسل الهيبة حملة بقيادة ابن عمه الأغصف ولد مصباح لتوقف هذه الحملة إلا أن التفوق المادي للطرف الفرنسي أنهى معركة "أربعاء الصخر" التي حدثت بتاريخ 29 أوت 1912 بسرعة لصالحه³.

¹ - محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص 150.

² - Louis Hubert Gonzalve Lyautey, Jean Louis Miège, Lyautey, Paroles d'action, op.cit. p , 99.

³ - محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص 150.

في سبتمبر 1912 حدثت معركة "سيدي بوعثمان" الفاصلة التي انهزمت فيها قوات أحمد الهيبة بصورة سريعة ولم تستطع الصمود أمام القصف المدفعي المكثف الذي اعتمدته القوات الفرنسية. فقد وصف صاحب المعسول تلك المعركة بأن "جيش الهيبة لم يقف يوما كاملا يعذرون فيه، بل انهار جدارهم بسرعة غريبة فتسابقوا في العودة إلى الحمراء. فانقضى الأمر فطار الخبر إلى الأعراب فصعقوا صعقة عظيمة هي أول من نبهتهم مما هم فيه سائرون"¹.

لقد خصص "ليوتي" لهذه الحملة كل الإمكانيات العسكرية التي كانت موجودة في المغرب، وطلب من "مانجان" الإسراع في تحقيق نصر قبل أن يستطيع أحمد الهيبة استعادة زمام المبادرة. و لذلك اعتبر ليوتي في مذكراته أن "مانجان" بقدر ما استطاع إنقاذ الموقف بطرده لأحمد الهيبة من مراكش قام بتثبيت نظام الحماية في الجنوب على أسس صلبة و دائمة². فبعدها وصلت أخبار هزيمة "سيدي بوعثمان" لأحمد الهيبة جمع موكبا بسرعة و بدون أي نظام وغادر مدينة مراكش ليلا متجها إلى بلاد سوس. و في 8 سبتمبر 1912 احتل "مانجان" المدينة وأعاد تنصيب المخزن بزعامة الكلاوي في مكانه. و أعلنت رسميا بيعة السلطان يوسف في عاصمة الجنوب. وانتهت بذلك أسطورة "سلطان الجهاد" الشيخ أحمد الهيبة الذي اتجه جنوبا نحو العديد من المدن مثل "تاوردانت" و "تاماعيت" و "أسرسييف" و "تيمكرا" و "تاماشت" حيث كان في كل مرة يسعى لمواصلة مقاومته. إلا أن ذلك لم ينجح وكان يضطر للانتقال من واحدة إلى أخرى بسبب ما قامت به فرنسا من تحويل العديد من القبائل إلى أعداء لدودين له فتارة بإثارة النعرات القبلية، وتارة أخرى بشراء ذمم البعض منها. و قد كان ذلك مساعدا كثيرا لباريس التي وجهت كل اهتماماتها لموازين القوى العالمية بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى. و لم يتردد ليوتي حتى في الاتصال به عن طريق أحد شيوخ الزوايا و تلميذ والده الشيخ محمد ماء العينين و هو محمد بن عبد الكريم الكتاني حتى يتوقف عن إشعال فتيل المقاومة أينما حل مقابل تعيينه نائبا للسلطان في الجنوب. إلا أن ذلك لم يأتي بأية نتيجة فقد رد أحمد الهيبة على الكتاني بقوله تعالى في سورة غافر الآية 41 و 42 «وَيَا قَوْمِ مَا لِي

¹ - محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص 150.

² - Louis Hubert Gonzalve Lyautey, Louis Miège, Lyautey, Paroles d'actions, op.cit, p, 377.

أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَرِيزِ الْغَفَّارِ»¹.

بالرغم من أن الشيخ أحمد الهيبة رفض كل أشكال المساومات و بقي في تنقل مستمر من مكان إلى آخر للحفاظ على نار المقاومة التي أشعلها والده الشيخ محمد ماء العينين في "السمارة" منذ 1898 فإن ذلك لم يؤدي لعودتها من جديد. فقد أثرت السياسة الاستعمارية الجديدة التي انتهجها ليوتي منذ تعيينه مقيما عاما في المغرب في أفريل 1912 تأثيرا كبيرا. و قد سماها بـ "بقعة الزيت *La Tache d'huile*"². و كانت تعتمد على توسع استعماري هادئ بإعادة الاعتبار لكبار قواد المخزن. وتعبئة أكبر عدد ممكن من شيوخ القبائل إلى جانب فرنسا بتقديم لهم مختلف الإغراءات، على رأسها الحفاظ على مكاسبهم التقليدية اجتماعيا واقتصاديا وحتى سياسيا، عوض مواجهتهم عن طريق "الحملة الاستعمارية" *L'expédition coloniale*³. فقد استطاعت هذه السياسة أن تجد عدد كبيرا من المؤيدين لها في الصحراء من زعماء القبائل. و حتى عدد من شيوخ الزوايا. كما كان لها الكثير من المكاسب الميدانية⁴. فقد أثنى هو بنفسه كثيرا على العديد منهم بعد أدوار قام بها هؤلاء في عدة قضايا⁵. أما بالنسبة للشيخ أحمد الهيبة فقد بقي منتقلا بين القبائل الصحراوية باحثا عن الدعم بين ذويه. و رافضا لكل أشكال التعاون مع الكافر سواء كان محتلا كما هو الحال لفرنسا. أو غير ذلك عندما قدمت له ألمانيا دعما عسكريا أثناء الحرب العالمية الأولى⁶. و بقي يبحث عن أية فرصة لبعث مقاومته. كما أنه لم يتوقف عن الدعوة في أوساط القبائل الصحراوية لحثها على عدم الخضوع للكفار الصليبيين و الدفاع عن ارض الإسلام إلى أن وافته المنية في مدينة "اغبالو نكرودس" في أعماق الصحراء في 17 جوان 1919 بالرغم من أن "هذا السيد لم يكن بكبير السن... و ليس

¹ - محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص 181.

² - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat Français, op.cit., T1, p 201.

³ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat Français, op.cit., T1, p 207.

⁴ - ibid. p , 212.

⁵ - Louis Hubert Gonzalve Lyautey, Jean Louis Miège, Lyautey, Paroles d'action, op.cit., 377.

⁶ - في سبتمبر 1916 وصلت غواصة ألمانية إلى سواحل المحيط الأطلسي و جاء على متنها مجموعة من الأتراك و الألمان بغرض الاتصال بأحمد الهيبة إعادة بعث مقاومته و لكن هؤلاء أصيبوا بخيبة أمل عندما اكتشفوا حالة الفوضى التي كانت عليها القبائل المدعمة لأحمد الهيبة. و قد سلم هؤلاء لمبعوث الهيبة رسالة من القيصر الألماني وأخرى من السلطان العثماني تضمنتا دعوته لبعث مقاومته بسرعة. و لكن ذلك لم يؤدي لأية نتيجة ملموسة لعدم تفاعل أحمد الهيبة معها. و رفضه التعاون مع الأجانب. أنظر،

M'barek Zaki, Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration, op.cit. p, 190.

له عند وفاته إلا 45 سنة و لم يسمع الناس بمرضه حتى سمعوا بموته بعد دفنه بيوم أو يومين بعد أن دامت إمارته و(ثورته)سبع سنين وأربعة أشهر تحمل فيها رحمه الله ما تحمل بتضحية و صبر جميل..." كما جاء ذلك في المعسول لمحمد المختار السوسي¹.

4. مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف 1921-1926 :

لقد واجهت مقاومة الشاوية التدخل الفرنسي في الوسط.وقد فشلت في ذلك بعد القمع الوحشي الذي مارسته القوات الفرنسية ضد قبائل الشاوية.و بعد تراجع السلطان عبد الحفيظ عن مضمون بيعته الجهادية.و واجهت مقاومة الشيخ محمد ماء العينين و ابنه أحمد الهيبة التوسع الاستعماري في الصحراء.و دقت مقاومتهما أجراس الخطر في باريس لأنها هددت مشروعاتها التوسعية لربط مستعمراتها في شمال أفريقيا بجنوبها الغربي.خاصة بعد محاولة ألمانيا استغلالها لإعادة النظر في موازين القوى في أوروبا والبحر الأبيض المتوسط.وقد فشلت هي الأخرى بعد خذلان السلطان عبد العزيز لماء العينين.و ضياع أحمد الهيبة بين "الجهاد" و "الدولة".

إذا كانت هذه الثورات قد عبرت عن رفض المغاربة للتدخل الفرنسي في وسط و جنوب المغرب،فإن منطقة الريف في الشمال المغربي عرف أهم مقاومة عسكرية استلهم منها المغاربة على مر تاريخهم روح المقاومة.فقد شكلت ثورة الريف بين سنتي 1921 و1926 بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي² تطورا معياريا في مسار مقاومة المغاربة خلال

¹ - محمد المختار السوسي،المعسول،الجزء الرابع،مصدر سابق،ص 242،243.

² - يعتبر آل الخطابي أسرة عربية عريقة من قبيلة بني ورياغل التي تشغل المنطقة الممتدة من الحسيمة إلى تارغيسيت يعود من إقليم الريف في شمال المغرب.و عند هذه القبيلة حل جد العائلة عبد الكريم الخطابي الأول المسمى عبد الكريم بن محمد "الذي يرجع أصله إلى مدينة ينيع في الحجاز على ساحل البحر الأحمر.و يقال أن نسب العائلة شريفي إدريس. و يقال كذلك انه يعود للخليفة الراشدي عمر بن الخطاب.و ذهب آخرون إلى أن نسبه يعود رسول الله صلى الله عليه وسلم.و قد استقر أجدادها الذين قدموا من ينيع من الحجاز (كما ذكر هو بنفسه) في هذه المنطقة منذ القرن الثالث للهجرة (التاسع ميلادي). و من هذه الأسرة ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة 1882،الذي اشتهر باسم أبيه عبد الكريم،في قرية أجدير بالقرب من الحسيمة.نشأ و تتلمذ على يد والده عبد الكريم و عمه عبد السلام.فتعلم أصول الدين و علوم اللغة العربية من نحو و إعراب.ثم انتقل إلى مدينة تطوان مع عائلته سنة 1896 للدراسة و فيها التحق بالجامع الكبير.وفي سنة 1900 رجع إلى مدينة آجدير و في سنة 1902 التحق مع عمه عبد السلام بجامع القرويين بمدينة فاس .حيث تلقى تعليما عل يد عدة شيوخ منهم الشريف سيدي محمد القادري و سيدي محمد الثامي قنون و غيرهم من الشيوخ.و بالإضافة إلى مساره العلمي .عين أجواء الحركة السلفية الإصلاحية و مواقفها الوطنية

القرن العشرين. فتحوّلت منطقة الريف إلى بؤرة ثورية هزت عالم المستعمرين (بكسر الميم) وأرقت مهندسي السياسة الاستعمارية في باريس. فقد صنف هؤلاء هذه الحرب ضمن الأحداث الخطيرة، ولا تقل أهمية عن الثورة الشيوعية لسنة 1917 و الثورة الكمالية. وكانت بالنسبة لهم ضمن سياق التيارات المعادية التي عصفت من أنقرة وموسكو الريف¹. كما قال بذلك أحد منظري السياسة الاستعمارية الفرنسية "لوسيان سان *Saint Lucien*"². أما المغاربة والشعوب المستعمرة (بفتح الميم) بصورة عامة فقد اعتبروها نموذجا للإحتداء به. فالانتصارات العسكرية التي حققها عبد الكريم الخطابي أسقطت أسطورة القوة العسكرية لفرنسا وإسبانيا على حد سواء. وقد تجاوزت هذه الانتصارات الحدود الجغرافية، فامتدت أخبارها إلى كل أنحاء العالم. "الذي عمته موجة من الحماس الجنوني من الجزائر إلى مصر ومن الهند الصينية إلى الصين ومن الأرجنتين إلى الولايات المتحدة الأمريكية ففي كل جهة أحس فيها شعب بكامله

التي تأثر بها كثيرا. و في سنة 1906 تخرج من القرويين و عاد إلى مسقط رأسه مدينة آجدير. ثم كثف اتصالاته بمدينة الحسيمة حيث تعلم اللغة الإسبانية فيها. و بعد ذلك مارس التدريس إلى غاية 1907. و بين 1908 و 1912 عمل في جريدة باللغة الإسبانية عنوانها "تلجراما ديل ريف *Telgramma del Rif*" و عمل كذلك مستشارا في المحكمة العليا للجنايات بين 1911 و 1914. ثم عين قاض القضاة في مدينة مليلة بين سنتي 1914 و 1919. و قد حاولت السلطات الإسباني عن طريقه احتواء والده الذي كان من مؤيدي ثورة الشريف محمد أمزيان منذ سنة 1906. و قد أصيب عبد الكريم الخطابي بحبيرة أمل كبيرة على إثر المعاهدة الفرنسية الإسبانية سنة 1912 التي أصبح بموجبها الريف منطقة تابعة للاستعمار الإسباني. و لذلك أصبح الإسبان يراقبونه و يتحسسون كل تحركاته خاصة بعد بداية الحرب العالمية الأولى حيث سجلت له اتصالات مع الألمان و الأتراك. و قد سجلت التقارير المخبرية رغبته في التعاون معهما لطرد الإسبان من الريف نظرا لاتصاله ببعوث تركي بمدينة آجدير في نوفمبر 1914 الذي جاء إلى الريف لبحث إمكانية ثورة في الريف ضد فرنسا. و ابتداء من سنة 1921 إلى غاية 1926 قام الخطابي بثورة الريف التي تجاوزت آثارها المغرب و أصبحت من أهم المقاومات التي عرفها القرن العشرين أنظر محمد علي الدايش، صفحات من الجهاد المغربي ضد الاستعمار 1912 - 1927 للأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010.

¹ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية بين السلفية المجددة والسلفية الجديدة، منشورات أمل/الرباط، 2014، ص 209.

² - أحد الاستعماريين الفرنسيين (1867 - 1938) من عائلة فرنسية نورماندية. بعد تكوين إداري مارس عدة وظائف إدارية. و في 1919 أصبح من مساعدي رئيس الحكومة الفرنسية جورج كلمنصو. الذي كان غن وراء تعيينه سنة 1920 مقيما عاما في تونس إلى غاية 1928 و حيث قام بقمع الحركة الوطنية التونسية الناشئة و على رأسها عبد العزيز الثعالبي. و قد كان من تونس من أشد الخدريين من ثورة الخطابي التي اعتبرها من أكبر الأخطار التي تواجه فرنسا. و يبدو أن ذلك جعل منه مقيما عاما في المغرب بين 1929 و 1933 حيث كلف بالقضاء على كل مخلفات هذه الثورة في المغرب. و اعتبر نفسه خليفة ليوتي في المغرب. و في عهده تصاعدت حملات قمع المقاومات العسكرية خاصة في الأطلس الأوسط. و في فترته كذلك طبقت فرنسا سياسة بربرية لتقسيم المجتمع المغربي بإصدار الظهير البربري في 16 ماي 1930. الذي أدى إلى انطلاق الحركة الوطنية المغربية أنظر،

Georges Spillmann, *Du protectorat à l'indépendance, Maroc 1912-1955, Libraire, Plon, 1967, p 51,55*

أو أقلية قومية أو عرقية بأن قضية الريفيين تشبه قضيته... "على حد تعبير جرمان عياش¹ فقد استطاعت هذه الانتصارات أن تبعث الآمال الخائبة التي ظهرت في مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن. ولكن بقراءة جديدة لها². و لذلك اعتبر شكيب أرسلان عبد الكريم الخطابي بطل ذلك العصر للمسلمين و لغيرهم من الأمم³.

تعود الإرهاصات الأولى لثورة الريف إلى سنة 1919 عندما بدأت إسبانيا في التوسع في الريف. و قد شكل "ألندي سالازار" اللطيف الأجنبي لمهمة أساسية تمثلت في احتلال منطقة الريف من المغرب. و اعتبر المقاومة في الريف كانت قد بدأت منذ 1909 على أنها مسألة سياسية استعمارية بسيطة. و قد استطاع الجنرال الإسباني "بيرنجر" أن يوطد نفوذا إسبانيا كاملا على المنطقة الغربية للريف ابتداء من سنة 1920 خاصة بعد صلح 1920 مع الشريف مولاي الريسوني⁴. فأصبح وجها لوجه مع آل الخطابي خاصة بعد مقاطعة آل الخطابي و على رأسهم عبد الكريم (الوالد) الزيارة التي قام بها "بيرنجر" لمدينة الحسيمة للتعبير عن سيطرة الإسبان على الريف. و لذلك رفض عبد الكريم هذه المشاركة حفاظا على حياده وتعبيرا عن استقلالية الريف. و قد كان ذلك بداية لتعمق الهوة بينه و بين مدريد التي اعتبرت ذلك بمثابة إعلان حرب عليها من طرف آل الخطابي. لذلك بدأت في سياسة إسبانية جديدة تجاه الريفيين و خاصة المنتمين لقبيلة بني ورياغل التي كانت منتشرة في كامل الشمال المغربي و منها آل الخطابي. و لذلك لجأت تلك القبائل إلى عبد الكريم لمطالبته بتوقيف هذه السياسة. و قد لجأ في أول الأمر إلى استعمال الوسائل الدبلوماسية بمراسلة مدريد حيث طلب منها توقيف هذه الحرب المعلنة على سكان الريف، إلا أن ردها على رسائله كانت تهديدا ووعيدا⁵. و قد كان ذلك بداية للقطيعة بين إسبانيا وآل الخطابي وعلى رأسهم عبد الكريم الذين صمموا على

¹ - جرمان عياش، أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين البزاز، عبد العزيز التمسamani خلق، الشركة المغربية المتحدة، الرباط، ص 07.

² - جرمان عياش، أصول حرب الريف، مرجع سابق، ص 07.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - تمت هذه المقاومة في منطقة "جبالا" في الشمال الغربي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني الذي كان عاملا على هذه المنطقة منذ سنة 1909، و قاد مقاومة عنيفة في هذه المنطقة فرضت على إسبانيا مهادنته في سنة 1920، و بعدها قضى فترة متعاوننا مع إسبانيا، و اصطدم فيما بعد مع عبد الكريم الخطابي بعد انتصار هذا الأخير في معركة أنوال سنة 1921، وقد أفقد هذا الاصطدام بالإضافة إلى التعاون مع إسبانيا حركة الريسوني البعد الثوري، وقد انتهى بالقبض عليه و نقله إلى منطقة الريف حيث توفي في سنة 1925. أنظر، ابن عزوز، حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، مطبعة الساحل، الرباط، 1981، ص 31، 32.

⁵ - جرمان عياش، أصول حرب الريف، مرجع سابق، ص 231.

مواجهة التوسع الإسباني في المنطقة الوسطى والشرقية من الريف. خاصة بعد "القسوة والفساد والعنف والظلم والعجز الذي تميز به الحكم الإسباني في الساحل. وهي نفس السياسة التي أدت إلى طرد الإسبان من أمريكا الجنوبية" على حد تعبير المراسل الحربي الأمريكي "ألكسندر بول" Alexander Powell (الذي كان يعرف ليوتي معرفة شخصي) في كتابه "البربرية في تونس والمغرب والصحراء"¹. و هي كذلك التي أدت كذلك إلى توحيد أهل الريف ضد إسبانيا كما توحد الأمريكيون ضدها².

بعد كل هذه التطورات التي عبرت عن رغبة إسبانية في إخضاع كامل منطقة الريف لسيطرتها تنفيذا لاتفاقها مع فرنسا على تقسيم المغرب. خاصة بعد المكاسب التي حققتها في شرقها منذ سنة 1920 بعد انحراف مقاومة الشريف الريسوني عن هدفها واصطدامها عسكريا مع عبد الكريم الخطابي³. ومن جهة أخرى تصميم آل الخطابي و على رأسهم عبد الكريم الخطابي على مواجهة هذا التوسع الاستعماري الإسباني مما جعل منطقة الريف الوسطى مفتوحة على اصطدام عسكري. و قد بدا عبد الكريم الخطابي في تحضير كل الظروف المادية و المعنوية لهذه الحرب. خاصة من حيث الأسلحة فقد استطاعت جل القبائل المجاورة لمدينة تطوان و مليلة و التي تم احتلالها من طرف الإسبان أن تهرب أسلحتها إلى الريف المستقل خوفا من مصادرتها. و قد كان ذلك مشجعا لعبد الكريم الخطابي على المضي في مقاومة التغلغل الإسباني. فحتى قبائل أخرى من الوسط سلمته أسلحة حصلت عليها. كما هو الحال لقبيلة "الخمالة" الذين سلموا له مدفعين وعدد كبير من الرشاشات⁴. بالإضافة إلى تسليح عدد كبير من الريفيين خلال الحرب العالمية الأولى من قبل ألمانيا⁵.

كما كان للأمير عبد مالك الجزائري دورا كبيرا في تدعيم الخطابي من خلال تكوينه لعدة فصائل مسلحة ضد فرنسا⁶. و في هذا الوقت كان الجيش الإسباني بقيادة "سلفستر" يقدم على فتح الريف الشرقي. إذ وصل بقواته إلى أبوابه في 15 ماي 1920. و أصبح يهدد جميع قبائل

¹ - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نيقولا زيادة، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956، ص، 84، 120، 149.

² - المصدر نفسه.

³ - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration*, op.cit. p. 231.

⁴ - جرمان عياش، أصول حرب الريف، مرجع سابق، ص 316، 317.

⁵ - المرجع نفسه.

⁶ - المرجع نفسه، ص 231.

المنطقة مثل "بني سعيد" و "بني توزين" و "بني أوليشاخ" و "بني ورياغل". مما أدى بهذه القبائل إلى التكتل من وراء عبد الكريم الخطابي لوضع خطة مشتركة لدفاع عن نفسها. و شعورا بهذا الخطر الداهم بدأ عبد الكريم ابتداء من جوان 1920 في القيام بتعبئة سياسية وعسكرية رافقها جهود تنظيمية على مستوى المناطق. فقد أنشأ مجالسا محلية للقبائل الموالية له لتنظيم حركة المقاومة من جميع الجوانب¹. و لضمان التأييد الفعلي لهذه القبائل عقد محمد بن عبد الكريم² مؤتمرا عاما بمنطقة "أمزورن" في فيفري 1921. و قد كان هذا المؤتمر فرصة له لزرع الحماس في وسط سكان الريف لمواجهة الغزو الإسباني الذي يعتبر محاولة إبادة للمغاربة المسلمين لا تختلف كثيرا عن تلك التي قامت إسبانيا الصليبية في نهاية القرن الخامس عشر في الأندلس³. و إذا كان هذا المؤتمر قد انتهى بتصميم قبائل الريف الشرقي على مقاومة الاستعمار فإن أهم قرار صادق عليه هو مبايعة محمد بن عبد الكريم الخطابي أميرا عليهم لقيادة الجهاد ضد الإسبان الصليبيين. و قد قال يومها أنه " واحد من المسلمين و انه يتعين على الجميع أن يعاملوه طبق ما كان عليه قبل المبايعة من غير زيادة في التعظيم"⁴. كما اتفق مندوبو القبائل في ذلك اليوم على تحديد منطقة "القامة" كعاصمة جديدة لمقاومتهم وإدارة شؤون البلاد والجهاد. و الاتصال ببقية القبائل حتى تلتحق بحركة الجهاد. واتفقت كذلك على منع أي اتصال لقبائل الريف بالسلطات الإسبانية لأي سبب كان. و معاقبة من يقوم بذلك بقتله أو طرده من الريف و حرق كل ممتلكاته⁵. بذلك تكون مقاومة الأمير عبد الكريم الخطابي قد حضرت كل الظروف المادية والنفسية وانتقلت بذلك إلى حرب الريف الحقيقية التي وحدت المغاربة في الريف لأول مرة بعد مبايعة أميرها للقيام بمهمة

¹ - محمد علي الدايش، صفحات من الجهاد المغربي ضد الاستعمار 1912 - 1927، مرجع سابق، ص 95.

² - انتقل عبد الكريم الوالد إلى مدينة تفرست في جوان 1920 على رأس 400 مقاتل كان ولده محمد و أحمد قد أعداها للكفاح. و بالرغم من انه لم يكن يريد الحرب. بقدر ما كان يريد الظهور بمظهر المدافع عن حقوق الريفيين. و قد بقي في هذه المدينة 22 يوم مرض بعدها فرجع إلى آجدير في جويلية 1920. ثم توفي فيها في 7 أوت 1920 في ظروف غامضة و شاع في الريف أن الإسبان هم الذين طعنوه بالسهم. عن طريق محمد بن عبد السلام التفرستي و أحمد الأعرج بطلب من الإسبان. ثم تولى ابنه محمد القيادة ليحمل اسم والده عبد الكريم. أنظر، محمد سلام أمزيان، عبد الكريم الخطابي وحرب الريف، مطبعة المدني القاهرة، 1971، ص 86، 87.

³ - محمد علي الدايش، صفحات من الجهاد المغربي ضد الاستعمار 1912 - 1927، مرجع سابق، ص 96.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - المرجع نفسه.

أساسية تمثلت في مواجهة التدخل الأجنبي¹. فقد قام الخطابي بضبط "بوصله الريف" على تعبير محمد العربي المساري².

وفي مقابل ذلك واصلت مدريد توسعاتها العسكرية في منطقة الريف باحتلال الجنرال "بيرنجر" لمعظم غربها. وأصبح بذلك وجهها لوجه مع الخطابي في وسطها. وقد بدأت المناوشات الأولى بين الطرفين عندما رفض كل رؤساء قبائل "بني ورياغل" استقباله في مدينة الحسيمة في مطلع أبريل 1921 بهدف إثبات سلطة إسبانيا على هذه المنطقة. وبصورة مفاجئة طالبت السلطات الإسبانية من عبد الكريم تسليم نفسه والاعتذار عن ذلك. ولم يكن رده على ذلك رفضاً فقط بل قام بمعاينة شخصيتين من قبيلته كانتا حاضرتين في ذلك الاستقبال³. و قد أدى ذلك إلى قصف المدفعية الإسبانية للقبائل الريفية ابتداء من يوم 10 أبريل 1921. و قد ركز هذا القصف على "سوق الأربعاء" الذي ارتكبت فيه مجزرة لكونه كان يعج بالريفيين⁴. و قد كان ذلك بمثابة إعلان حرب على قبائل الريف الأوسط بكامله التي ردت على ذلك بمهاجمة القوات الإسبانية في الساحل. فقد كان ذلك بداية الثورة الريفية الفعلية للخطابي التي بدأها بمحاصرة القوات الإسبانية في مدينة "جبل إبران" التي استولى عليها الجنرال "سلفستر" في مطلع جوان 1921. و نظرا لأهمية المدينة بالنسبة للخطابي التي كان يرى فيها مركزا استراتيجيا عسكريا و سياسيا. باعتبارها مركزا لعرش "تمسمان" الذي كان من أهم مكونات قبيلة "بني ورياغل". و لذلك هاجمها واستطاع أن يدحر الإسبان و يحرر كل المنطقة. و قد كان لهذا الانتصار أثر كبير على الريفيين الذين حققوا انتصارا هاما بالنسبة لهم خاصة وأن ذلك سمحت بالتحاق بقية القبائل الريفية التي كانت مترددة بشأن انضمامها لثورة الريف و حتى تلك التي أخضعت في بداية التوسعات الإسبانية ثارت من جديد. وأصبحت كل القبائل التي تجاوز عددها ستة و ستون. ترأس عبد الكريم لخطابي كقائد لكامل مناطق الريف مسمية إياه بـ "الزعيم الأول للمقاتلين الريفيين"⁵. و لذلك فقد فتحت هذه المعركة الصراع في منطقة الريف على أبوابه

¹ - محمد العربي المساري، محمد بن الكريم الخطابي، من القبيلة إلى الوطن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012، ص 57.

² - المرجع نفسه، ص 37.

³ - يتعلق الأمر بشخصية تسمى شيرة من قبيلة بقيوه و ابن عمه سليمان ابن محمد أمجاهد الخطابي من قبيلة بني ورياغل، أنظر،

جرمان عياش، أصول حرب الريف، مرجع سابق، ص 322.

⁴ - جرمان عياش، أصول حرب الريف، مرجع سابق، ص 325.

⁵ - محمد العربي المساري، محمد بن الكريم الخطابي، من القبيلة إلى الوطن، مرجع سابق، ص 91.

الواسعة خاصة بعد التأثيرات التي أحدثتها في الأروقة السياسية في مدريد. فقد وضعت الملك الإسباني "ألفونس الثالث عشر" بحد ذاته في حرج، لأنه كان من اختياره لتولي القضية المغربية و بقي على اتصال شخصي به، و كان يطلعه على كل التطورات¹. و كأن تلك المعركة كانت هزيمة للملك شخصيا. و لذلك اتهم البرلمان الإسباني الجنرال "سلفستر" بالتقصير في مهامه. و للتخفيف من آثار ذلك طلب من مدريد إعطائه كل الصلاحيات العسكرية. و وعدا بأن "يشرب الشاي في بيت الخطابي بمدينة آجدير سواء قبل بذلك أو لم يقبل"².

وعندما كانت مدريد تنتظر أخبار انتصار قواتها في الريف لمسح العار الذي لحق بها في عدة معارك منذ أن حاولت التوغل في العمق اليفي. خاصة وأن الجنرال "سلفستر" وعد الملك شخصيا بعودة سريعة لموازين القوى لصالحه. فإن ما حدث في 21 جويلية 1912 في معركة "أنوال" بقي التاريخ البشري يتحدث به لفترة قاربت القرن. لأنه في تلك المعركة استطاع الخطابي من قلب جبال الريف، وعلى بعد سبعة عشر كيلومتر فقط من السواحل الإسبانية أن يلحق هزيمة نكراء بالجيش الإسباني في تلك معركة. ذلك الجيش الذي كلفه الملك باسترجاع مجد الإمبراطورية الإسبانية الضائع في أمريكا اللاتينية³. وعندما كان ذلك الملك ينتظر بشائر النصر التي وعده بها بابا الكنيسة الكاثوليكية عندما زاره في روما في سنة 1923 و طلب منه الإعلان عن حرب صليبية على "الكافر" عبد الكريم الخطابي⁴. و عندما كان متأكدا من وصول رسائل من "صديقه الجنرال سلفستر" تعوضه عن مرارة الهزائم التي تلقاها في بداية توسعته وصلت إلى إسبانيا ملكا ومجتمعا وحكومة أخبارا عن "كارثة أنوال *Désastre d'Anoual*" التي حدثت في شهر رمضان من عام 1339 هجري الموافق لجويلية 1921. فعندما حاول "سلفستر" فك الحصار الذي ضربه عليه الريفيون في منطقة أنوال⁵. حدثت هذه المعركة

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، ج 02، حرب الريف مؤسسة

محمد حسن الوزاني، فاس، 1982، ص، 49.

² - المصدر نفسه، ص 54.

³ - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, Les Colonnes d'Hercule, Séguier, 1999, Paris p,91.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 02، حرب الريف، مصدر سابق، ص، 59.

⁵ - Pierre Fontaine, L'étrange Aventure Riffaine, Petrole-Intelligence-Service, Ed, Jean Renard, Paris, 1943, p, 125.

التي تحولت إلى "هوة من الوحل و الدم فرقت بين الريفيين و الإسبان إلى الأبد" كما قال بذلك الخطابي بنفسه¹.

وبالرغم من أن الخطابي طلب من "سلفستر" بعد محاصرته من جميع الجوانب تفادي هذه المقبرة والاستسلام والعودة مع جيشه إلى إسبانيا آمين على أرواحهم فإن ذلك لم يوقف تلك المعركة التي دامت أكثر من أسبوعين طبق فيها المقاتلين الريفيين إستراتيجية عسكرية أدهشت الزعيم الفيتنامي "هوشي منه" الذي أصبح من كبار المدافعين عن الخطابي². فقد استطاع هؤلاء المقاتلين ضرب الجيش الإسباني من كل جانب، حتى كاد أن يفنى عن آخره³. و قد كان ذلك سببا كافيا لقائه الجنرال "سلفستر" أن يفضل الانتحار مع مجموعة من ضباطه من بينهم العقيد "موراليس" على أن يواجه صديقه الملك "ألفونس الثالث عشر" و يطلعه على حجم الخسارة التي تلقاها جيشه المجيد في "كارثة أنوال"⁴. كما أصبحت كل الأدبيات الإسبانية تسميها. أو كما سماها صاحبها الخطابي بـ "المعجزة" في حديثه مع محمد حسن الوزاني سنة 1953⁵. ولعل من أهم مظاهر هذه المعجزة منع أي انتقام من أفراد الجيش الإسباني. و تهديده لأي جندي ريفي يقدم على تعذيب أو قتل الجرحى الإسبان الذين أمر بمعالجتهم و حفظ كرامتهم⁶. و حتى عندما أصبح على مشارف مدينة مليلة في مطلع أوت 1912 رفض الدخول إليها خوفا من عدم قدرته على عدم التحكم في المقاتلين الريفيين إذا دخلوا المدينة و فتكوا بأهلها من الإسبان المدنيين. و بالتالي يجد الإسبان فرصة لتثويته انتصارات معركة أنوال و يحولون أنصار العالم عن حقيقة الصراع في الريف. و بالرغم من أن الخطابي لم يندم على

¹ - Pierre Fontaine, *L'étrange Aventure Riffaine*, op.cit., p 35.

² - Zakia Daoud, *Abdelkrim: une épopée d'or et de sang*, op.cit., p,233, 363, 379.

³ - قدرت الخسائر الإسبانية في هذه المعركة بأكثر من خمسة عشر ألف قتيل و خمسة آلاف جريح و أكثر من 1000 أسير. و تشير بعض المصادر انه لم يبقى من الجيش الإسباني سوى أربع مائة جندي. و قد غنم الخطابي في هذه المعركة 350 مدفع و طائرتين و أكثر من 2500 بندقية رشاش. و تبقى هذه الأرقام تقريبية بين كتمان حقيقتها من طرف الأوروبيين الذين لم يستطيعوا إدراك ما حدث في أنوال. انظر، Pierre Fontaine, *L'étrange Aventure Riffaine* op.cit., p ,66,67.

⁴ - Pierre Fontaine, *L'étrange Aventure Riffaine* op.cit., p ,66,67.

⁵ - ذكر الوزاني في مذكراته أنه تحدث مع الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في القاهرة حول هذه المعركة سنة 1953 و ذكر له تفاصيلها العسكرية. و مما جاء فيها أن جنوده كانوا متعبين و كانت لهم رغبة في العودة إلى ديارهم إلا أن عبد الكريم طلب منهم البقاء يوما آخر سعيا في نصر أعظم. و أن الجنود الإسبان تقدموا بقوة إلى نيران المجاهدين الريفيين الذي استطاعوا قهرهم و إرجاعهم إلى أديارهم تاركين أسلحتهم. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 02، مصدر سابق، ص، 55 ، 56.

⁶ - Pierre Fontaine, *L'étrange Aventure Riffaine* op.cit., p ,34,35.

ذلك القرار الإنساني إلا أنه اعترف فيما بعد في حديثه للوزاني بخطأ ذلك لأنه كان سبب انهزامه في حرب الريف¹. خاصة و أن ذلك أدى إلى جلب إسبانيا إمدادات عسكرية ضخمة زادت عن مائة ألف جندي تحت قيادة الجنرال الجديد في إسبانيا "سان خيرخو sanjurjo". و إن استطاعت هذه الإمدادات استرجاع بعض الجيوب الصغيرة في الساحل إلا أن ذلك لم يمنع الريفيون من مبايعة محمد بن عبد الكريم الخطابي أميرا عليهم في فيفري 1922 متخذا اسمه "الخطابي" بشكل رسمي². و قد تبع ذلك إعلانه قيام "دولة جمهورية الريف"³، التي اعتبرها محمد العربي المساري "ورشة لبناء إنسان المغرب الجديد"⁴.

أما في مدريد فإن رسالة الجنرال "بيرينجر" الذي وصل إلى مليلة في نهاية جويلية 1921 جاءت كالصاعقة لأنها جاءت تحت عنوان "هذه اكبر كارثة عسكرية عرفتتها إسبانيا في تاريخها"⁵. و تحولت هذه الهزيمة العسكرية إلى أزمة سياسية لم يسلم منا حتى الملك "ألفونس الثالث عشر" الذي حملته الإسبان مجتمعا و طبقة سياسية مسؤولية هذه الكارثة. خاصة بعد أن نشرت الصحافة الإسبانية رسالة سرية للجنرال "سلفستر" وجدت في وثائقه بعد انتحاره. حيث جاء في هذه الرسالة إطلاق ليد الجنرال في الريف وإبعاد الجنرال "بيرينجر" عن أي قرار عسكري⁶. و دخلت الطبقة السياسية الإسبانية في حلقة من تبادل التهم في ما بينها فاستقالت الحكومة الإسبانية وشكل "مورا" كبير الاستعماريين الإسبانين حكومة جديدة و جعل من مسح آثار "كارثة أنوال" شعارا لسياسته في الريف. إلا أن ذلك لم يوقف مسار الأحداث التي انتهت بالانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال "بيرمو دي ريفيرا" في 13 سبتمبر 1923 الذي أعلن سياسة جديدة في المغرب للحد من النزيف الذي كان متواصلا في إسباني بعد أحداث الريف ولم يتردد في إعلانه على أن إسبانيا بصدد سياسة جديدة تتضمن انسحابا من شمال المغرب⁷.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 02، حرب الريف، مصدر سابق، ص، 60.

² - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p,159,225.

³ - محمد العربي المساري، محمد بن الكريم الخطابي، من القبيلة إلى الوطن، مرجع سابق، ص، 138.

⁴ - المرجع نفسه، ص، 153، 172.

⁵ - محمد علي الدايش، صفحات من الجهاد المغربي ضد الاستعمار 1912 - 1927، مرجع سابق، ص، 104.

⁶ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 02، حرب الريف، مصدر سابق، ص، 59.

⁷ - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p,175,200.

و قد كان لذلك صدى كبيرا في الجنوب أين كان ليوتي بصدد إتمام ما سماه بـ" الحماية الهادئة". فقد صرخ بأعلى صوته بأن أي جيش لا يمكن أن ينسحب إلا اضطرارا، لكن بدون الإعلان عن ذلك¹. و لذلك اعتبر تلك السياسة الجديدة خاتمة ما سماه بـ"مغامرة إسبانيا في المغرب". وأن الفراغ الذي سيحدثه ذلك سيضر التواجد الفرنسي مباشرة². و في أفريل 1925 أعلن ليوتي عزمه على مهاجمة الخطابي في الشمال. وحتى تستطيع فرنسا الحفاظ على المغرب. يجب عليها مواجهة هذا الخطر الجديد بمضاعفة قواتها و رفع عدد فرقها من خمسة إلى عشرة³. و منذ ذلك التاريخ اتجهت ثورة الخطابي في الريف اتجاهها آخر سواء على المستوى العسكري أو السياسي تميز بالتحالف الفرنسي الإسباني ضدها من خلال "قمة مدريد" التي انعقدت في جوان 1925. وقد انتهت إلى عدة قرارات من أهمها ضرورة التدخل الفرنسي في الأزمة الريفية لأن "الظاهرة الريفية تجاوزت حدودها الجغرافية من خلال زعيمها عبد الكريم الخطابي الذي كان قائدا فريدا من نوعه. فقد تزعم القوة الرفضة للأوضاع التي ظهرت في معركة انوال، و تحول إلى مؤسس لفدرالية ريفية على الطريقة السويسرية. وأصبح لها مشروع دولة ومجتمع "على حد تعبير دانيال ريفي⁴.

و قد أصبحت مواجهته بالنسبة لفرنسا حتمية إستراتيجية لأنه يمكن أن " يرفع لواء الاستقلال الإسلامي الذي بدأ يرتفع على الجبهة الفرنسية الشمالية" كما أصبحت حرب الريف تستأثر باهتمام الشباب كما تستأثر بها تطورات الأحداث في المشرق العربي. و كل ذلك ينمي في أذهان الشباب المغربي عوامل كراهيتنا. و قد يؤدي كل ذلك إلى قيام دولة إسلامية مستقلة على مشارف مدينة فاس" كما قال بذلك ليوتي في عدة تقارير أرسلها لوزير الخارجية الفرنسي "بوانكاريه Poincaré"⁵. فقد تجاوزت مشكلة الريف بالنسبة لفرنسا قضية تهديد الخطابي لحدود بين المنطقة الشمالية الجنوبية وأصبحت " تعصبا إسلاميا سيؤدي إلى الجلاء الفرنسي عن المغرب والجزائر وكل أفريقيا الشمالية" كما قال ذلك رئيس المجلس الفرنسي "بول بانفلي Paul Painlevé"⁶.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 02، حرب الريف، مصدر سابق، ص. 63.

² - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T3, op.cit. p 280.

³ - *ibid.*, p, 282.

⁴ - *ibid.*, p, 256.

⁵ - *ibid.*, p, 270.

⁶ - *ibid.*, p, 283.

و مباشرة بعد وصول القوات الإضافية التي اعتبرها ليوتي ضرورية لمواجهة "الخطر القادم من الريف". و بعد حصوله على إذن من باريس سمح له بتجاوز "وادي الوردغة" كما كان يطالب بذلك مرارا. عرفت حرب الريف تصعيدا عسكريا فاصلا. فابتداء من أوت 1925 بدأ الهجوم المنسق من جميع الجوانب على منطقة الريف برا و جوا. فمن الجنوب قام ليوتي بحملتين عسكريتين لمحاصرة المقاتلين الريفيين من الجنوب الشرقي و الغربي. و من الشمال قامت إسبانيا بعملية إنزال بحري في ميناء الحسيمة في 7 سبتمبر 1925 و تمكنت من احتلال أجدير التي كانت عاصمة الخطابي. و قد كانت هذه العمليات بقيادة الجنرال "سان خيرو" وإشراف الماريشال "بريمو ديريفيرا" شخصيا. و قد سخرت إسبانيا لهذه العملية العسكرية أكثر خمسة عشر ألف جندي واستعملت فيها كل أساليب حرب الإبادة. و من بينها الأسلحة الكيميائية¹. و في مطلع أكتوبر 1925 أبرق "سان خيرو" إلى مدريد يعلمها فيها بـ "استعادة إسبانيا لكبريائها التاريخي أمام العالم"². و لم تتوقف هجمات التحالف الفرنسي الإسباني على الريفيين طيلة شتاء 1926. فقد كان شتاء تلك السنة من أمطر الفصول في تاريخ المغرب. و قد تزامنت فيه أمطار الماء و أمطار القنابل التي لم تتوقف على السكان. فقد أعلن على سكان الريف حرب إبادة قام بها أكثر من نصف مليون عسكري بقيادة أكثر من اثنان وأربعون جنرالا³. فلم تتوقف أمطار شتاء 1926 عن التوقف، و لم تتوقف معها أمطار القنابل التي كانت تتساقط على سكان الريف. فقد كانت محل إدانة عالمية خاصة من طرف العديد من الشخصيات التحررية من بينهم "هوشي منه" و "شكيب أرسلان" و "ماو تسي تونغ" و "الثائر التتاري" السلطان غالييف" و "تيتو"⁴ و لذلك أدرك الخطابي أنه يقود حربا خاسرة و تهدف إلى فناء الريفيين فراسل في 22 ماي 1926 المقيم العام الفرنسي "ستيغ" تضمنت "توقيف رحي الحرب التي أضرت بالنساء و

¹ - محمد سلام أمزيان، عبد الكريم الخطابي وحرب الريف، مرجع سابق، ص 221، 222.

² - Pierre Fontaine, *L'étrange Aventure Riffaine* op.cit., p, 34, 35.

³ - Zakia Daoud, *Abdelkrim: une épopée d'or et de sang*, op.cit., p, 16.

⁴ - *ibid.*, p, 362, 365, 379.

الأولاد الصغار بالخصوص و بالرجال بالعموم..."¹ و في 27 ماي 1926 استسلم الخطابي إلى السلطات الفرنسية "بقناعة راسخة بأنه الحل الوحيد لإنقاذ منطقة الريف من الفناء المطلق"². و في شهر جوان تم نقله إلى مدينة فاس حيث مكث فيها ثلاثة أشهر و في 27 أوت 1926 تم نفيه إلى جزيرة "الرنيون" في المحيط الهندي بعد اتفاق باريس و مدريد على مصيره. و انتهت بذلك هذه المقاومة. و لكن دور الخطابي لم ينته كزعيم تحرري تجاوز الحدود الجغرافية للريف و حتى للمغرب. فقد أصبح رمزا من رموز التحرر لكل الشعوب المقهورة. خاصة بعد تخلصه من هذا المنفى في فيفري 1947 واستقراره في القاهرة. و قد كانت عودته للنشاط السياسي هذه المرة "بعقيدة توحيد الحركات الوطنية المغربية من أجل مغرب واحد موحد"³.

لقد اعتبر محمد العربي المساري أنه "في لحظة تشكل وعي وطني جديد في مغرب العشرينات كانت حركة الخطابي محتفظة براهنتها. و بكل تأكيد فإن شباب 1930 كانوا، سواء من الشمال أو الجنوب، يدينون بأبوة حركة الخطابي"⁴. فقد ظهر الكثير من هؤلاء الشباب متأثرين بحركة الخطابي. و قد ظهر ذلك في العديد من أدبياتهم و كتاباتهم السياسية كما هو الحال للمختار السوسي و علال الفاسي والمديني العلوي و محمد حسن الوزاني⁵. و إذا كان ذلك الاستلham قد تم من جميع المقاومات في الشمال و الجنوب فإن الأمر بالنسبة لمقاومة الخطابي قد ظهر أكثر بنائيا بالنسبة للحركة الوطنية المغربية. فقد استمدت هذه الأخيرة من ثورة الريف ذلك المشروع المتكامل لتحرير الوطن والدولة وبناء المواطن. فقد انتقل الفكر السياسي المغربي بفعل حركة الخطابي من مستوى القبيلة إلى مستوى الوطن. وتمثلت مهمة حركة الشبان التي تناولت المشعل في الثلاثينات، واستلهمت فكرها من الخطابي، في تحرير ذلك

¹ - مقتطفات من الرسالة التي أرسلها الخطابي إلى السلطات الفرنسية من أجل توقيف الحرب. و قد اشترط أن يكون استسلامه لفرنسا لا إسبانيا. لأن "بينه و بين إسبانيا أنهار من الأوحال و الدماء". وفي رسالته إلى عصبة الأمم وصف الخطابي تلك العمليات بأنها "حرب الإبادة متعارضة مع أبسط الممارسات الحضارية" أنظر، . Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p,335.

² - *ibid.*, p,336.

³ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 204.

⁴ - محمد العربي المساري، محمد بن الكريم الخطابي، من القبيلة إلى الوطن، مرجع سابق، ص 199.

⁵ - المرجع نفسه .

الوطن و بناء دولة عصرية تحل محل المغرب المريض الذي سقط فريسة عيوبه¹. فقد درست هذه الحركة هزيمة الخطابي أسبابا و نتائجا. و قامت بصياغة وجدانها منها و قامت بتقييم مقاربة وطنية تحررية جديدة².

أما شارل أندري جوليان فقد اعتبر ثورة الريف (1921-1926) قضية تجاوزت إطارها الجغرافي المحلي والإقليمي. لأن العالم بكل اتجاهاته تابعها باهتمام. فقد فاجأته انتصارات عبد الكريم³. وبالنسبة للمغرب فقد تحولت إلى حدث حاسم أدى على يقظة الوطنية المغربية⁴. فقد بدت هزيمة الإسبان أمام الريفيين تبشر بانتصار الإسلام القريب⁵. فقد تميزت هذه الثورة عن سابقتها من الثورات، وحتى عن ما جاء من بعدها، بجمعها بين الوسيلة المسلحة والسياسية على حد سواء. فإذا كان المغاربة قد تأثروا وجدانيا بالانتصارات العسكرية للخطابي فإنهم تأثروا كذلك بمشروعها الإحيائي للدولة المغربية⁶. و بالنسبة لجوليان فإن الخطابي "بقي بالنسبة للمغاربة وهو مغلوب الرجل الذي جابه دولتين مسيحييتين من أوروبا و البطل القومي و بطل الاستقلال المغربي الذي ذكره التاريخ و الأدب المغربيان"⁷. و إذا كان قد خرج من هذه الحرب منهزما عسكريا، فإنه من الناحية المعنوية كان المنتصر الوحيد⁸. لأنه في تلك اللحظة التاريخية كان كل مغربي من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى الأطلس الكبير في الجنوب يصرخ بأعلى صوته "أنا ريفي"⁹.

فإذا كان كفاحه في الظاهر من أجل الريف، فإنه في حقيقة الأمر كان من أجل استقلال المغرب الأقصى والمغرب العربي. و لذلك "نفهم و ندرك لماذا انحنى له الزعيم الفيتنامي

¹ - محمد العربي المساري، محمد بن الكريم الخطابي، من القبيلة إلى الوطن، مرجع سابق، ص، 200 .

² - المرجع نفسه، ص 201.

³ - Charles-André Julien, Abdelkrim Et la République du Rif, In Actes Du Colloque International D'études Historiques Et Sociologiques, janvier 1973, François Maspéro, Paris, 1976, p 8.

⁴ - شارل أندري جوليان إفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976، ص 169.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - المصدر نفسه.

⁷ - المصدر نفسه.

⁸ - Charles-André Julien, Le Maroc Face Aux Impérialismes, op.cit., p 126.

⁹ - ibid., p, 127.

هوشي منه¹. وقد ظهر ذلك جليا من خلال ما استلهمته الحركة السياسية من مقاومة الريف لأن حركة الشبان المغاربة واصلت هذا النوع من النضال في مطلع الثلاثينات و بصورة متزامنة بعد استسلام القائد الريفي². ولعل تزامن بداية النشاط السياسي لنخبة المدن مع نهاية حرب الريف ليس من قبيل الصدفة التاريخية. فكل من أرّخ للحركة الوطنية السياسية المغربية ربط بين هذين الحدثين الأساسيين و هما نهاية حرب الريف وبداية العمل السياسي المغربي³ فقد اعتبر لاندو روم أن "الباعث على نشوء القومية المغربية عبر عقود من السنين هو حرب الريف... فقد لقي جهاد عبد الكريم ضد قوى كبيرة صدى في نفوس مواطنيه المغاربة، و حملته بالرغم مما منيت به من فشل..."⁴. فقد تبنت الحركة الوطنية المغربية في خطابها ثورة الريف كمرجعية وطنية. وأصبحت أكثر من مجرد ثورة عسكرية، و ظهرت وكأنها تمثل "تعبيرا عن احتجاج الإسلام على مادية الغرب"⁵. فقد "حمل بشدة على مدنية الحديد الفظيعة الآتية من الغرب والتي جعلت منه بربريا لمجرد انه كان ضعيفا و مسلحا تسليحا رديئا"⁶. و بالرغم من ذلك فإنه أتاح للعالم الإسلامي بأن يرفع صوته ثانية و يرغب العالم على الإصغاء إليه. و أصبح بالنسبة إلى كل مسلمي العالم حامي الملة الدين. و بالنسبة للمغاربة المدافع على الاستقلال⁷.

لقد كانت لحظة حرب الريف أساسية في تعميق الوعي الوطني لدى نخب المدينة بما أفرزته من آمال عريضة لديها. فالهزائم المتتالية التي تعرض لها الاستعمار على يد هذه الثورة أيقظت لدى المغاربة الأمل في قدرتهم على مواجهته، و بشرتهم بانتصار قريب⁸. و بالرغم من أن نهاية حرب الريف كانت هزيمة عسكرية، فإنها شكلت منعطفًا حاسمًا في

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.it., p 126.

² - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 210.

³ - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق، ص 189.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - المصدر نفسه، ص 190.

⁷ - المصدر نفسه.

⁸ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 211.

التاريخ السياسي للمغرب المعاصر. لأن النخبة الحضرية التي ظهر بواذر نشاطها في المدينة بدأت في تجاوز آثارها الإخفاق عبر النشاط السياسي الذي كان استمرارية لمقاومة الريف¹. لم يكن تأسيس أول تنظيم سياسي في المغرب في 2 أوت 1926، المتمثل في "الرابطة المغربية"، سوى تعبيراً عن ذلك التصعيد النفسي لحرب الريف². فقد ضمت هذه الرابطة شباب من الشمال ومن الجنوب و قد كان ذلك بمثابة دلالة عميقة، لأنها عبرت عن التحول الذي طرأ على فكر النخبة الحضرية التي استوعبت نتائج حرب الريف، واستلهمت منها روحها النضالية الوحشية. ولكنها في نفس الوقت رأت فيها "مأزقا عسكريا". ولذلك أصبحت تراهن على "الخيار السياسي" كاستمرارية لروح مقاومة الريف³. التي مست كامل المغرب في الشمال والجنوب. و قد يكون تسميتها بـ "حرب الريف" من باب التأريخ أكثر من كونها تعبير عن حقيقتها. فقد كانت "مغربية خطابية" على حد تعبير محمد العربي المساري⁴. لأن "هذا الوصف هو الذي ينطوي على قيمة مضافة حقا لأنه يدل على ظاهرة ورائها مدير حصيد بناها خطوة بخطوة، و الخطابي هو الصانع العبقري لتلك الظاهرة، و كان في ذلك متفاعلا بكيفية خلاقة مع الظروف التي وجدت في وقت معين و في منطقة معينة"⁵ لذلك لم تعترف النخبة المغربية التي عاصرت هذه المقاومة بواقع تجزئة المغرب بحكم خضوع شماله للأسبان. و جنوبه لفرنسا⁶. فحتى هذه الأخيرة اعتبرت الخطابي خطرا وتحالفت مع إسبانيا سياسيا وعسكريا للقضاء على "الخطر المشترك"⁷.

لقد اتفق كل الشباب المغربي الذين استلموا "مشعل الوعي الوطني" في سنة 1930، أن حرب الريف كانت بالنسبة لهم حدا فاصلا في وعيهم الوطني. فعندما كان هناك اعتقاد لدى بعض المغاربة بخلود الاستعمار، وقبول الأمر الواقع الاستعماري بعد استسلام السلطة الرسمية بامضائها لعقد الحماية وفشل كل المقاومات العسكرية في مختلف أنحاء المغرب السلطاني و

¹ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، 1934 - 1939، منشورات المجلة المغربية لعلوم الاجتماع السياسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999، ص 23.

² - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق، ص 23.

³ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق، ص 23.

⁴ - محمد العربي المساري، محمد بن الكريم الخطابي، من القبيلة إلى الوطن، مرجع سابق، ص 209.

⁵ - المرجع نفسه.

⁶ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق، ص 24.

⁷ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T3, op.cit. p 256.

الخلفي. بالرغم من أن عدد من المقاومات العسكرية كانت مازلت مشتتة في الجنوب، فإذا بمقاومة الريف تعيد النظر جذريا في هذا التصور، وتطرح بديلا جديدا. فلم يحدث ذلك حتى بعد الحرب العالمية الأولى. فقد ذكر أحد الوطنيين أنه "إذا كانت الحرب الكبرى قد أيقظت بعضنا، فإن حرب الريف قد أيقظت سائرنا"¹. واعتبر آخر أنه إذا كان المغاربة فقدوا ثقتهم في سلطة المخزن التي صدمتهم بعد مأساة 1912 و لكنهم استعادوه ثقتهم بأنفسهم بفعل ثورة الريف بعد فقدوها سنة 1912². كما اعتبر محمد بن الحسن الوزاني ثورة الريف حركة تحررية سبق كل الحركات الأخرى و"أعظم ملحمة في تاريخ المقاومة المسلحة المغربية دفاعا عن الوطن ووحدته وسيادته واستقلاله ضد دولتي العدوان والاستعمار فرنسا وإسبانيا... ورد فعل ثوري قومي ضد الغزاة الأجانب وانطلاقة وطنية كبرى تجاوبت مع انطلاقات وطنية أخرى عاصرتها في المشرق بقيادة مصطفى كمال في تركيا، والسلطان الأطرش في جبل الدروز بسوريا"³. كما كانت بالنسبة له "انفجارا جهاديا أيقض الشعور القومي وألهم الحماس الوطني في الأمة المغربية وهذا ما حفز الشباب المغربي أكثر إلى أن يتهيأ للوثوب السياسي والنضال التحرري فتسلم الراية من يد المجاهدين"⁴.

اعتبر علال الفاسي أن الخطابي استطاع أن يحشد كل القوات المعنوية التي كانت كامنة في الشعب، وكانت بحاجة لمن يحركها في سبيل الدفاع عن حريته، فوجد الأمير الخطابي من هذا الشعب "إخلاصا واثباتا وتفانيا لا يضاهيه إلا ما تتحدث به الروايات عن سير الأعظم وصفات الأبطال"⁵. وبالنسبة لعلال الفاسي فإن هذه الثورة كانت ذات اتجاه ديمقراطي بتأسيسها لجمهورية الريف وفق دستور تضمن حكومة وطنية ومجلس عاما وقد أعلنت هذه الجمهورية الاستقلال سنة 1921⁶. واعتبر عبد الكريم غلاب أن حرب الريف كان لها صدى بعيد في الداخل والخارج. وكانت الأمل الذي التفت حوله أفكار الشباب. و لذلك عندما فشلت تركت أثرا عميق في نفوس الشباب الذين أخذوا يبحثوا عن بديل لهذا الجهاد التحرري فكانت

¹ - مولاي الطيب العلوي، تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي، مطبعة القرويين، الدار البيضاء، 2009، ص 24.

² - عبد الله إبراهيم نداء الحرية بين المغرب العميق والمغرب الجديد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص 22.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 02، حرب الريف، مصدر سابق، ص 463.

⁴ - المصدر نفسه، ص 464.

⁵ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 136.

⁶ - المصدر نفسه، ص 139-140.

المقاومة السياسية امتدادا لها¹. و بالنسبة لآخرون فإن مقاومة الريف تركت لديهم تأثيراً كبيراً لأنها أيقظت الوعي الوطني لديهم وأشعرتهم بواجبهم على العمل لتحرير بلادهم وأعادت الثقة لديهم بسقوط أسطورة العدو القوي الذي لا يقهر وفقدان الوجود الأجنبي مشروعية وجوده، وفضح كل الذين ادعوا إلى إمكانية الاستفادة من الاستعمار برفعهم بما يسمى بالإصلاح². و على حد تعبير الأمير شكيب أرسلان فإن كل من وصلتته أخبار الريف و محمد بن عبد الكريم الخطابي "سيسعى لنشر سيرته و يؤلف كتباً على وقائع و منشأه و أصله و فصله و يستفيض من خبره عند الخاص و العام و لا يبقى شيء من أمره مجهولاً"³

و من جهة أخرى ظهرت قراءة عبد الله العروي لمقاومة الريف متميزة عن بقية القراءات فالنسبة له فإنه بالرغم من إقراره بعظمة مقاومة الريف و بعدها العالمي، ومفصلية هذه المحطة زمنياً ومعياريًا في تاريخ المغرب، فإنه اعتبر أن تأثيرها على المغاربة لم يكن في عمق الحدث⁴. فبالرغم من التمجيد الذي لقيته من طرف زعماء الحركة الوطنية و تقديسهم لها، فإن ذلك لم يتجاوز التفاعل الوجداني. وبكونه كان من مستلزمات الخطاب السياسي الموجه للجماهير منذ مطلع الثلاثينات. فتأثيرها عليهم لم يكن أكثر من تأثر عاطفي و أسطوري في أحسن الحالات⁵. وبالنسبة له فإن الحركة الوطنية المغربية في الشمال والجنوب لم تقم بقراءة حقيقية للحركة الريفية. سواء في انتصاراتها أو انتكاساتها بهدف الاستلهام من إستراتيجيتها بما كان سيخدم فاعليتها⁶. وبالنسبة للعروي فإن الوطنيين المغاربة، وإن تظاهروا بتمجيدهم الرومانسي لمقاومة الخطابي، فإنهم في حقيقة الأمر تجاهلوه في ممارستهم، و قد ساعدتهم في ذلك نفيه وتغيبه عن الساحة المغربية لمدة عشرين سنة (1927-1947)⁷. و قد كان ذلك من أجل الحفاظ على تصدرهم للحركة الوطنية من جهة، ولأن مضامين الحركة

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، من نهاية الحرب الريفية حتى استرجاع الصحراء، ط3، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، 2000، ص30.

² - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 221.

³ - شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج3، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1971، ص 194.

⁴ - Abdallah Laroui, Abdelkrim Et le Nationalisme Marocain jusqu'en 1947, In, Abdelkrim Et la République du Rif, Actes Du Colloque International D'études Historiques Et Sociologiques, janvier 1973, François Maspéro, Paris, 1976, p 478-488.

⁵ - *ibid.*

⁶ - *ibid.*

⁷ - *ibid.*

الوطنية التي باسروها في مطلع الثلاثينات كانت إصلاحية المنهج والروح، بما كان يتعارض مع النزعة الثورية لمقاومة الخطابي¹.

بغض النظر عن ذلك فإن هذه المقاومة سواء كانت "ريفية" أو "خطابية" فإنها بقيت تلك المقاومة التي عرفت أعمق جبال الريف ابتداء من 1921. فعلى بعد سبعة عشر كيلومتر من سواحل الإيبيرية ظهر رجل قاوم على رأس مجموعة من الفلاحين بإستراتيجية عظيمة واستطاع أن يلحق هزيمة نكراء بالقوة الإسبانية. وأسس في أرض الإسلام جمهورية ثورية² و بين سنتي 1921 و 1926 استطاع أن يهدد النظام الاستعماري الذي كان في مرحلته الذهبية و قد كان لحركته أصداء في فرنسا فانقسم اليسار بسبب تأييدها. كما كان لها ارتدادات عالمية فأيدتها الأمم المتحدة العالمية الثالثة. وقدم لها لينين التحية. وأنحى لها هوشي منه. و كتب عنها ماوتسي تونغ. و تبناها شكيب أرسلان³. و بالرغم من أنها انهزمت عسكريا، لأن الخطابي واجه تحالف من قوتين استعماريتين عتيدتين. و سخر له نصف مليون عسكري، من مختلف القوى الاستعمارية بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية⁴. و تحت قيادة أكثر أربعين جنرالا. واستعملت ضده حرب إبادة بكل الأسلحة بما فيها الكيميائية⁵. و بالرغم من ذلك "الانتصار البائس" الذي

¹ - Abdallah Laroui, Abdelkrim Et le Nationalisme Marocain jusqu'en 1947, op.cit., p 478- 488.

² - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p,460.

³ - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p,460.

⁴ - بالرغم من الحياد الذي أعلنته الولايات المتحدة الأمريكية من حرب الريف، رغم الضغط الذي مارسه بعض القوى الداخلية للانحياز إلى جانب فرنسا وإسبانيا. فقد رفضت واشنطن المشاركة في الحصار البحري الذي ضربته هذين الدولتين على السواحل المغربية لعزل الخطابي. فإنه تشير بعض الوثائق إلى تورط الولايات المتحدة الأمريكية بشكل غير رسمي في الحرب الريفية عن طريق مشاركة طيارها في هذه الحرب فقد عمل الكثير من ضباطها في الليف الأجنبي التابع للجيش الفرنسي. و قد أحيا هؤلاء فرقة من الطيارين الأمريكيين كانت تحمل اسم " لافاييت Lafayette" كانت قد شاركت في الحرب العالمية الأولى و جعلوها تحت خدمة القوات الفرنسية في المغرب. و قد استقبلت باريس هؤلاء بحفاوة كبيرة و وجهت رسالة إلى مقيمها العام في المغرب ليوتي لتعلمه بذلك و طلبت منه إدخالهم في خطته العسكرية. أنظر، محمد مزيان، العلاقات المغربية الأمريكية من الحماية على الاستقلال 1912-1956، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، دار أبي الرقراق، الرباط 2015، ص 98- 99.

⁵ - لقد نفت إسبانيا دائما استعمالها للسلاح الكيميائي في الريف. إلا أن الكثير من العسكريين الذين قاموا بذلك كتبوا ذلك في مذكراتهم مثل الطيار الإسباني " بيدرو توندرا بوينو Pedro Tonda Bueno " في مذكراته تحت عنوان " أنا والحياة La vida y yo " التي نشرت في سنة 1974. حيث أقر بإمطاره للغازات السامة التي تسببت في تسميم الأراضي الزراعية في الريف. كما كتب قائد القوات الجوية الإسبانية " غناثيو إدالغو دي ثيسنيروس إي لوريث دي مونتينيغرو Ignacio Hidalgo de Cisneros y López de Montenegro " في سيرته الذاتية تحت عنوان " تغيير المسار Cambio de rumbo " حيث كشف كيف قاد شخصا عددا من الهجمات الكيميائية بهذه المنطقة. و في سنة 2002 كتب المؤرخ البريطاني "سيباستيان بلفور Sebastian Balfour" كتابا تحت عنوان "عناق الموت أو المغرب و

حققه هذا التحالف ضده على حد تعبير روم لاندو¹، فإنها بقيت ثابتا أساسيا في تشكيل حركة وعي الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) بحقها في تقرير مصيرها مغربيا و مغاربيا وعالميا².

5. المقاومة المسلحة في شرق و وسط المغرب :

بالرغم من ضعف سلطة العلويين الأشراف وعجزها في الدفاع عن المغرب منذ أن أصبح محل أطماع استعمارية مكثفة في نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين. ثم انتهى ذلك بتنازلها النهائي عن سيادتها الشرعية التاريخية، التي أعلنت على المغرب منذ 1664م في معاهدة فاس لـ 30 مارس 1912. إلا أن هذا الأمر الواقع الجديد رفضه المغاربة و قاوموه في كل أنحاء السلطنة. في الجنوب والصحراء عن طريق الشيخ محمد ماء العينين وابنه أحمد الهيبية. و في الشمال قاوم محمد بن عبد الكريم الخطابي التحالف الفرنسي الإسباني مما أدى بهذا الأخير إلى القيام بحرب إبادة ضد سكان الريف. و إذا كانت هذين المقاومتين قد سجلت محطات تاريخية خالدة في تلك المناطق فإن جهات أخرى من المغرب عرفت هي الأخرى مقاومات لا تقل أهمية عن المقاومة "الشاوية" و "العينية" و "الهيبية" و "الخطابية"³.

ففي شرق المغرب ومنذ الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830 اتخذت هذه المنطقة طابعا استراتيجيا في التوسع الفرنسي الاستعماري في شمال أفريقيا. فقد أصبح التوسع في المغرب

الطريق نحو الحرب الأهلية الإسبانية *Deadly Embrace: Morocco and the Road to the Spanish Civil War* و قد أكد فيه استخدام واسع النطاق للأسلحة الكيماوية في هذه الحرب، من خلال إطلاعه على العديد من الوثائق الأسبانية والفرنسية والبريطانية. و قد أكد في كتابه أن غاز الخردل استعمل بكثافة في هذا القصف. و قد كان القصف يتم على أساس اختيار المناطق المكتظة بالسكان كأهداف لقنابل الغازات السامة. أنظر،

Nicolas Mamié, Vincent Courcelle-Labrousse, *La guerre du Rif: Maroc 1921-1926*, Ed, Tallandier, Paris, 2008, p, 105-150, 200- 220.

¹ - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق، ص 156.

² - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p,338.

³ - لقد تم التركيز على هذه المقاومات شرحا و تحليلا لأحداثها أسبابا و مسارا و نتائجا كعينة من الوسط و الجنوب و الشمال في حين تم التطرق للمقاومات الأخرى في مختلف أنحاء المغرب بشكل مختصر سواء التي تمت ضد التوسع العسكري الفرنسي و الأجنبي في ما قبل إعلان الحماية (1900-1912) أو التي تمت ضد الاحتلال العسكري الذي كان يتم باسم المخزن بعد خضوع هذا الأخير للحماية الفرنسية (1912-1934) وقد اعتمدنا في ذلك التقسيم الذي قام به المؤرخ المغربي مبارك زكي في دراسته لظاهرة المقاومة المغربية من خلال دراسته الشاملة التي تحت عنوان "المغرب: من المقاومة إلى الاختراق السلمي، إلى حركة التحرير الوطني 1845 - 1958". *Le Maroc: De la Resistance à la Pénétration Pacifique, Au Mouvement De la Libération National 1845 - 1958*.

مسألة حيوية وإستراتيجية بالنسبة لباريس¹. خاصة وأن "الحزب الاستعماري" في البرلمان الفرنسي بقيادة "أوجان أوتيان" *Eugène Etienne* أصبح قوة ضاغطة². وقد شكل التفاعل المغربي مع مقاومة الأمير عبد القادر، خاصة في عهد السلطان مولاي عبد الرحمن، هاجسا متواصلا لباريس. وقد كانت معركة "إيسلي" في أوت 1844، وما تلاها من تسوية سياسية من خلال اتفاقية "طنجة" في سبتمبر 1844، ومعاهدة "للا مغنية" في مارس 1845، من نتائج هذا التفاعل و التداخل بين "مستعمرة الجزائر" و "المغرب المريض"³. وبالرغم من سعي المخزن لتأجيل سقوطه من خلال عدة مناورات دبلوماسية فإنه تهاوى هو الآخر في برائن الحماية⁴. فقد اعتبر ليوتي السيطرة على هذه المنطقة أمرا إستراتيجيا لمواجهة المقاومة الشعبية في الجزائر خاصة مقاومة الشيخ بوعمامة وأولاد سيدي الشيخ⁵. وقد كان ذلك من خلال ما سماه بسياسة "بقعة الزيت" التي تمتص أقصى ما تستطيع من مناطق بهدوء و صمت. و ذلك لربط المغرب الشرقي بالمغرب الغربي. و قد بدأ ذلك باحتلال مدينة وجدة في مارس 1907.

و قد عمدت فرنسا بعد ذلك إلى التوسع في اتجاه الشمال الغربي حتى البحر الأبيض المتوسط باستيلائها على منطقة بني سنان محقة بذلك هدفا سياسيا هاما تمثل في قطع الطريق عن إسبانيا أو غيرها من الدول الأوروبية، و عدم تمكينها من مجاورة مستعمرة الجزائر كما قال بذلك المؤرخ جمال قنان⁶. وأمام عجز المخزن، الذي كان يعرف صراعا بين العزيمين و الحفيظيين، في توقيف هذه التوسعات قامت القبائل المحيطة بمدينة وجدة بمقاومة مسلحة مستميتة أدت إلى تجميد ليوتي لتوسعاته في المغرب الشرقي و متابعة نتائج عملية الدار البيضاء في إقليم الشاوية. التي كانت قد بدأت في جويلية 1907. و أدى ذلك إلى سيطرة فرنسية على جزء من المغرب الغربي و جزء آخر من الشرقي. و لكن بقيادة منفصلتين عن بعضهما البعض. فكل إقليم كان تابعا لقيادة مستقلة عن الأخرى⁷. و لذلك بدأت باريس في تنفيذ

¹ - عكاشة برحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 95 - 99.

² - Maro Lorent Lagana, *Eugène Étienne et la stratégie de l'expansion capitaliste, op.cit., p112*

³ - Mohamed Lakhssasi, *Le Maroc Face à la France op.cit. p , 264.*

⁴ - محمد العربي المساري، محمد بن الكريم الخطابي، من القبيلة إلى الوطن، مرجع سابق، ص، 199.

⁵ - Daniel Rivet Lyautey Et *L'institution Du Protectorat, T1, op.cit. p 149.*

⁶ - جمال قنان، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، من احتلال فاس إلى معركة الهري، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2008، ص، 247.

⁷ - المرجع نفسه.

مشروع الربط بين المنطقتين عن طريق إرسال حملتين، واحدة تنطلق من الرباط و الأخرى من وجدة على أن يتم اللقاء بينهما في عاصمة السلطنة تعبيرا عن السيطرة المطلقة على المغرب. ألا أن هذا المشروع لم يتحقق لاعتبارات سياسية¹. و لتعويض ذلك المشروع بدأ الجيش الذي تجمع في مدينة وجدة بغرض الاتجاه نحو فاس في توسيع منطقة الاحتلال الفرنسي على الضفة اليمنى من وادي ملوية و التغلغل جنوبا².

و قد أدى ذلك ابتداء من سنة 1910 إلى تكتل قبائل المنطقة حول الشيخ محمد بلقاسم أزروال الذي كان له نفوذا مغنويا كبيرا في المنطقة. فدعا إلى الجهاد و استطاع مع مقاتلي المنطقة توقيف التوسع الاستعماري في الهوامش الصحراوية الجنوبية الشرقية في مناطق "مول الباشا" و "تفراطة"³. و لكن هذه المقاومة لم تستطع الصمود أمام عودة التوسع العسكري الذي قام به الجيش الفرنسي عبر نهر ملوية. بالرغم من مقاومتها الشرسة خلال سنة 1912 في معركة "قصبه مراضة"، و "معسكر ازراقة" و "معسكر أمليل". إلا أن ذلك لم يمكنهم من الصمود أما القوات الفرنسية التي كانت أكثر تنظيما وتصميما على تحقيق هذا التوسع لأنه جزء من إستراتيجية استعمارية توسعية شاملة. و في المقابل مقاومات شعبية قوية و مؤثرة في الكثير من الأحيان، و لكنها محدودة التأثير و عاجزة عن التحول على ظاهرة وطنية شاملة. ففي 17 ماي 1914 دخلت القوات الفرنسية إلى مدينة تازة. الذي اعتبره ليوتي انتصارا حاسما في هذا الإقليم الشرقي لأنه تم من خلاله ربط المغرب الشرقي بالمغرب الغربي. و بالرغم من بقاء شعلة المقاومة مشتعلة في العديد من المناطق الجبلية المتاخمة لمدينة تازة، فإن ليوتي أقام في هذه المدينة استعراضا عسكريا كبيرا⁴. لأنه اعتبر ذلك نجاحا كبيرا في ربط المغرب الغربي بالمغرب الشرقي. و لذلك وصلت إلى ليوتي الكثير من برقيات التهاني من مختلف الوزارات و الهيئات بفرنسا. و حتى السلطان مولاي يوسف كان من المهنيين بهذا "الانتصار الكبير" الذي حققته القوات الفرنسية باحتلالها لمدينة تازة⁵. و قد عبر السلطان في برقيته عن إعجابه الكبير "بالشجاعة التي أظهرتها القوات الفرنسية و الصبر الذي تحملته

¹ - المرجع نفسه، ص، 248.

² - المرجع نفسه، ص، 249.

³ - جمال قنان، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص، 260.

⁴ - المرجع نفسه، ص، 261.

⁵ - المرجع نفسه.

خلال هذه الحملة الشاقة¹. و قد كان لإخضاع المغرب الشرقي و مباركة المخزن له تعبيراً عن حالة المغرب بخضوع سلطته الرسمية للاستعمار الفرنسي بصورة مطلقة. و رفض شعبه لها و مقاومته في كل المناطق، بالرغم من فشلها، ولكنها كانت تعبيراً عن استمراريتها في مختلف مناطق المغرب².

و في وسط المغرب عرفت جبال الأطلس المتوسط³ غزوا مبكراً حتى قبل أن يوطد ليوتي سيطرته على السهول الداخلية نظراً لما كانت لها من أهمية إستراتيجية. فقد كانت بالنسبة له ضماناً للتحكم في "المغرب النافع" الذي كان ضرورة بالنسبة لفرنسا عشية الحرب العالمية الأولى⁴. كما كان استمرارية لنجاح عملية الربط بين المغرب الشرقي والغربي. فالنسبة له حان الوقت لحسم الموقف الفرنسي نهائياً في الوسط و ذلك بالسيطرة على حاجز يحول دون ربط منطقتي الاحتلال الفرنسية الشمالية والجنوبية. وبالتالي يتم قطع طريق المواصلات بين مراكش و فاس الذي كان يمر بالموازاة مع نهر أم الربيع و منطقة الخنيفة⁵. و بالرغم من أهمية هذا الإقليم إلا أن ليوتي تجنب كثيراً في الأول مواجهة القبائل التي كانت تسكن إقليم "زيان" (بفتح الزاي)⁶. بالرغم أنها ساهمت في مقاومة الشاوية واشتبكت عدة مرات مع القوات الفرنسية" فعندما كانت القوات الفرنسية تجوب مدينة الدار البيضاء لتهدئتها أعلن قائد

¹ - المرجع نفسه، ص، 262.

² - المرجع نفسه، ص، 263.

³ - تمتد سلسلة الأطلس المتوسط وسط القسم الشمالي من المغرب الأقصى وهي ترتبط في حدودها الجنوبية مع الأطلس الكبير وتنفصل شمالاً عن الريف بعمر تازة وهضبة سايس حيث يطل على مدينة فاس شمالاً هذان الممران يعدان منطقتي عبور بين غرب المغرب الأقصى وشرقه.

⁴ - Mohammed Ben lahcen, *Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine à la pénétration militaire française dans le Moyen-Atlas (1908-1921)*, Imp., Inf., print, Fès, 2003, p, 124-125.

⁵ - جمال قنان، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 263.

⁶ - يقع هذا الإقليم في المنطقة المحصورة بين الأطلس المتوسط و يبلغ عدد سكانه بخمسين ألف نسمة ينقسمون إلى مجموعتين كانت الأولى تضم تحت لوائها كل من آيت عمار المرابطين و آيت شكيكن و آيت عبد الله و آيت عبدون. وكانت تدعى الثانية آيت يعقوب التي كانت تضم كل من بوحسوسن و آيت بوعدو و آيت قروط و آيت حركات و هذه المجموعة هي التي كانت تشكل النواة الأولى التي تزعمها محو و هو الزياني الذي قاد المقاومة في الإقليم المتوسط. أنظر، جمال قنان، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 264.

الزيانيين (بفتح الزاي) موحا وحمو الزياني¹ الجهاد ضد فرنسا" على حد تعبير "فرانسوا برجي *François Berger*" أحد الضباط الفرنسيين المشاركين في حملة الدار البيضاء². كما بايعت هذه القبائل السلطان عبد الحفيظ في مراكش. وتحلوا من بيعتهم لعبد العزيز. وساعدوا عبد الحفيظ في الانتقال إلى فاس عن طريق مدينة "الخنيفرة" التي كانت تحت سيطرتهم. و ساهموا في الدفاع عن مدينة فاس بعد تحرك الفرنسيين نحوها. واصطدمت عدة مرات مع القوات الفرنسية في عدة معارك مثل معركة "زمور" ومعركة "الزحليكية" في مطلع سنة 1912. و معركة "وارغوس" في مارس 1913، ومعركة "القصيبة" في جوان 1913³.

بالرغم أن ليوتي لم يكن يهدف إلى أكثر من الوصول إلى سفوح جبال الأوسط⁴. إلا أن الضغوط التي مارستها باريس على ليوتي لمواصلة السيطرة الكلية على المغرب أدت إلى إعادة النظر في إستراتيجيته التوسعية التي أصبحت شاملة عشية الحرب العالمية الأولى لا جزئية كما كانت في الأول. فقد اعتبرت باريس أن دخولها في الحرب الأولى يقتضي منها إستراتيجية تحقيق "تهدة" كاملة في المغرب. و لا يمكن لهذه الأخيرة أن تتم و إقليم زيان خارج السيطرة الفرنسية و لذلك لجأ ليوتي في الأول كسب قائده موحا وحمو الزياني فعرض عليه كل العروض من مال و جاه وسلطة، كما قام بذلك مع عدد من قواد الجنوب مثل الكلاوي

¹ - هو محمد بن حمو بن عقي بن أحمد أو المدعو أمحزون بن موسى ولد وسط عائلة أمحزون الأمازيغية التي تنتمي لقبيلة آيت حركات، وهي من فروع قبائل زيان الأطلسية. كان آيت حركات مستقرين نواحي قرية البرج، يعيشون من تربية المواشي و الزراعة الجبلية. لكن النمو العمراني والتجاري الذي عرفته خنيفرة حوالي نهاية القرن التاسع عشر، جعل دور قرية البرج يستقلص. هكذا قرر آيت حركات تحت قيادة أمغار م حمو نعقي (والد موحا أوحمو) الاستيلاء على خنيفرة، وهكذا انقضوا على آيت عفي وطردهم بصفة نهائية، ومن ثم وضع الأمغار يده على تجارة المدينة وقنطرها، الشيء الذي مكّنه من بناء قصبة، كانت رمزا لقوة عشيرته، كما مكّنه من فرض نفوذه شيئا فشيئا على بعض القبائل الزيانية، وذلك وبعد حروب طاحنة. أصبح موحا قائدا عسكريا لقبيلته. و قد استغل موح وحمو الزياني هذه الوضعية حيث قام ببسط نفوذه على قبائل زيان. كما أنه تمكن من تحييد أبناء عمومته الكثيرين، والذين كانوا ينافسونه على المنصب ومن ثم بدأ بناء سلطته على قواعد صلبة بفضل حسه السياسي وقدرته على توحيد وتنظيم القبائل، واقتحام المعارك ضد الخارجين على سلطته. مما أهله من أن يصبح من أعوان السلطان مولاي الحسن الأول. وقد ظهرت مقاومة موحا أوحمو الزياني قبل فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912م. فقد اصطدم بالفرنسيين منذ وقت مبكر حينما أرسل بعض قواته لمؤازرة قبائل الشاوية ومدبونة منذ سنة 1908م. لكنه سرعان ما رجع إلى بلاده ومن الشاوية إلى سهول سايس لبداية مقاومته ضد التوسع الفرنسي في الأطلس المتوسط. هكذا ظل موحا أوحمو يناضل في سهول خنيفرة، وفوق ضفاف نهر أم الربيع إلى أن استشهد في معركة "أزلاك تنزمورت" بجبل تاوجكالت يوم 27 مارس 1921.

² - Mohammed Ben lahcen, *Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine*, op.cit., p , 37.

³ - *ibid*. p , 56.

⁴ - جمال قنان، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 264.

والمتوكي والكوندافي، إلا أن ذلك لم ينجح مع زعماء الزيانيين سواء بالنسبة لموحا وحمو، أو موحا و سعيد الوراي¹. و لذلك إتجه ليوتي للغزو العسكري لإخضاع هذا الإقليم ابتداء من نهاية جوان 1914 و كلف الجنرال "هنريس Henrys" للقيام بهذه العملية التي حضر لها كل الإمكانيات المادية ووضع لها خطة تتمثل في الهجوم على الإقليم وإخضاعه بأسرع وقت خاصة و أن باريس أصبحت تلح على ليوتي إرسال المزيد من القوى إلى أوروبا تحضيراً للحرب العالمية الأولى التي أصبحت حتمية أوروبية.

و يبدو أن زعماء المقاومة أدركوا ذلك عندما قاموا بالانسحاب من مدينة الخنيفرة التي دخلتها القوات الفرنسية في 14 جوان 1914 وهي خالية من السكان الذين تم نقلهم للجبال الأطلسية تجنباً لارتكاب مجازر في حق السكان كما تعودت الحملات العسكرية في المغرب. و كذلك من أجل استدراج القوات الفرنسية لحرب إستنزافية طويلة الأمد. و قد تحقق ذلك بشكل واضح عندما أبرق ليوتي إلى باريس في أوت 1914 يعلمها بمحاصرة كلية لقواته في الخنيفرة رداً على طلبها المتواصل منه حتى يرسل المزيد من القوات إلى أوروبا². فقد وقع ليوتي في معادلة صعبة حول مدى إخلاصه لوطنه ليختار بين حفاظه على المغرب حسب تصوره الذي لم يكن يشاطره فيه أحد في باريس، و بين انتقاده لخطة باريس التي طلبت منه إرسال ثلثي القوات المتواجدة في المغرب للمشاركة في الحرب العالمية الأولى، و في نفس الوقت "عزل المغرب عن أحداث أوروبا حتى لا يتحول إلى عبء على فرنسا في تلك الظروف الدقيقة. لأن مصيره سيتقرر على مسرح الأحداث في أوروبا"³. فحادثة أغادير سنة 1911 كانت من الأزمات الممهدة للحرب الكبرى. ولم تتوقف التقارير الفرنسية عن الحديث عن دور ألمانيا في تدعيم المقاومة المغربية سواء في الجنوب أو الشمال⁴. و بالرغم من ذلك فإن ليوتي

¹ - حاول كل من الجنرال "مونييه Moinier" و الجنرال "هنريس Henrys" استقطاب موحا وحمو قبل التوقيع على معاهدة الحماية عندما لاحظ بسالة الزيانيين في الدفاع عن مدينة مكناس. و بعد فشله حاول من بعده ليوتي بزرع الشقاق بين القبائل الزبانية بإثارة النزعات القبلية حول زعامة قبائل الأطلس. كما استعملت بين هذه القبائل ورقة السياسة البربرية للفصل بين سكان الإقليم. ثم استعمل التنصير في شكل أعمال خيرية و اجتماعية. إلا أن كل هذه المحاولات باءت بالفشل. أنظر،

Mohammed Ben lahcen, Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine, op.cit., p,63- 87.

² - جمال قنان، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 283.

³ - المرجع نفسه، ص 278.

⁴ - تقول بعض التقارير الفرنسية انه لما بلغ إلى مسامع الألمان والعثمانيين هزيمة فرنسا النكراء في معركة الهري، اتخذوا قراراً بربط الصلة مع القائد محمد أوجو الزباني، فبعثوا إليه رسلاً متخفين في زي تجار، فسلم إليه هؤلاء الرسل خطاباً وأكياساً من

استطاع التوفيق بين طرفي هذه المعادلة بتطبيق ما كان يحلو له أن يسميه بسياسة "قشرة البيض". التي حفظت له ماء الوجه أمام باريس لأن "ضرورة الدفاع عن الوطن بقيت فوق كل اعتبار"¹.

و بالرغم من هذه الاحتياطات التي اتخذها ليوتي لدخول فرنسا في الحرب الكبرى في أوروبا "دخولا آمنا بالنسبة للمغرب"². إلا أن الزيانيين و على رأسهم موح وحمو الزياني استطاعوا أن يلحقوا هزيمة نكراء بالقوات الفرنسية في معركة "الهري" في 13 نوفمبر 1914 التي قال عنها ليوتي بأنه "لم يسبق لفرنسا في تاريخها العسكري أن منيت بمثل هذا التدمير في قوة هامة من قواتها و خسرت مثل هذا العدد من ضباطها و أضاعت مثل هذا القدر الكبير من عتادها"³. و بالرغم من ذلك لم يقم موح وحمو الزياني بتحرير مدينة الخنيفة بالرغم من أن ذلك كان بالسهولة بما كان لو أراد ذلك. و مثلما ضيع الخطابي فرصة حاسمة في مسار مقاومته بعدم دخوله مدينة الحسيمة بعد معركة أنوال في 21 جويلية 1921، فقد ضيع موح وحمو الزياني فرصة كان بإمكانها أن تكون منعرجا حاسما ليس فقط في مقاومة

المال. و قد قرأ الخطاب أمام قبائل أولاد زيان الذي أذكى فيهم حماسا زائدا، إذ وعده الأمبراطور الألماني والسلطان العثماني بمده بالعتاد والمال، وكل ما يحتاج إليه لمواجهة التوسع الفرنسي العدو للدود لألمانيا والدولة العثمانية. هنا انتهز القائد موحا وحمو هذه الفرصة السانحة ليوجه خطابا مع هذا الوفد إلى الدواتين المتحالفتين ألمانيا والسلطة العثمانية جاء فيه: "إننا لا نرضخ لعدو ديننا وعدو نبينا، ولا تتراءى معه أعيننا، فليطمئن خليفة الإسلام (أي السلطان العثماني) وقائد الألمان" انظر،

Pierre Lyautey, Lyautey l'Africain. Textes et lettres, op.cit. ,p , 13,14,16.

¹ - لقد طلبت قيادة الأركان بباريس من ليوتي بأن احتلال المغرب يجب أن يقتصر على الموانئ و في حدود الإمكان على طريق المواصلات الرابط بين القنيطرة و وجدة مروراً بفاس و مكناس. إلا أنه رفض هذه الإستراتيجية و اعتبرها بداية ضياع المغرب. وعلى عكس من ذلك اعتبر أنه بإمكان إخلاء السواحل و الدفع بكل قواته إلى الداخل لتشكيل غطاء صلب لداخل هش مثل البيضاء. أنظر، *Pierre Lyautey, Lyautey l'Africain. Textes et lettres : Du maréchal Lyautey, V: 2, 1913-1915, Broché, Paris, 1954, p , 244.*
² - *ibid. , p , 229.*

³ - تعود حيثيات هذه المعركة إلى رغبة قائد الكتبية التي كانت في مدينة الخنيفة الكولونيل "لافردير" في إلقاء القبض على قائد المقاومة الزبانية موح وحمو الزياني الذي كان مقر قيادته في منطقة "الهري" في الضفة اليسرى من نهر أم الربيع. و كانت تبعد خمسة عشر كيلومتر جنوب شرق الخنيفة. و قد انتقل على رأس قوة من 1187 جندي تحت قيادة 43 ضابطا. و عندما كان يظن أن المهمة توجت بالنجاح بعد دخوله القرية و مفاجئة سكانها بالقتل و النهب و حرق المتاع و الاستيلاء على ممتلكاتها. و لكنه وقع في فخ محكم وضعه له موح وحمو الزياني عندما هاجم المقاتلون الزيانيون الفرقة الفرنسية من الخلف و قاموا بقتل أكثر من 650 جندي و 33 ضابطا من بينهم "لافردير" نفسه. كما غنموا منها كامل المدفعية و سريتين للرشاشات الثقيلة، و كمية كبيرة من الأسلحة الخفيفة أنظر، *Pierre Lyautey, Lyautey l'Africain. Textes et lettres, op.cit. ,p , 291.*

الأطلس المتوسط بل في كامل المغرب. خاصة و أن ليوتي سارع لاستدراك الموقف عسكريا و معنويا في المدينة¹.

لقد أدت معركة "الهرى" إلى تصعيد نفسي كبير لدى الزياتيين لمواصلة هجماتهم على المراكز الفرنسية على ضفة نهر أم الربيع. فخلال شهر جانفي 1916 قام الزياتيون بأربع هجمات كاسحة على العديد من المراكز الفرنسية. و قد جاء في تقرير الجنرال "مونييه Moinier" أن هذه الانتصارات المتتالية ليست فقط نتيجة انتصار "الهرى" و لكنها نتيجة التحاق السلطان عبد الحفيظ بجبال الأطلس المتوسط لمقاومة الاحتلال الفرنسي واسترجاع العرش العلوي المغتصب بفعل معاهدة الحماية². وفي 15 جوان 1916 سحق موح وحمو زياتي القوات الفرنسية في معركة "تاغزوت" و بهذه المعارك تكون المقاومة الزياتية قد حققت الكثير من المكاسب من أهمها توقيف كل التوسعات الفرنسية في جبال الأطلس المتوسط. و على كل حال فالجبهة المغربية، و المستعمرات الأخرى سواء في إفريقيا أو آسيا، لم تعد لها أولوية بالنسبة لباريس. و حتى الجنرال ليوتي غادر المغرب للضرورة الحربية بين ديسمبر 1916 و مارس 1917 حيث عين كوزير للحربية وحل محله في المغرب مؤقتا الجنرال "غورو Gouraud"³. وقد أدى كل ذلك إلى اقتصار الموقف الفرنسي في الحفاظ على مكاسب ما قبل الحرب كاستراتيجية استعمارية في كل المستعمرات. ففي جبال الأطلس المتوسط أحاطت القوات الفرنسية معسكراتها بالأسوار الشائكة و التزمت الهدوء عسكريا. ولكن مناوراته الثقافية و السياسية بقيت متواصلة عن طريق الكتاب العسكريين و البعثات التنصيرية التي استغلت ظروف الحرب العالمية الأولى في التفريق بين القبائل و تحقيق ما عجزت عنه بندقية الجندي الفرنسي في "الهرى" و "تاغزوت" و يمكن القول أن هذا الاختراق الاجتماعي لجبال الأطلس المتوسط حقق لسلطات الحماية العديد من المكاسب، مثل التعرف على عمق القبائل. كما استطاعت الحصول على بعض الوعود من بعض شيوخ القبائل بعدم السير في ركب المقاومة. و استطاعت كذلك مصالح الاستخبارات التي كانت ترافق البعثات الصحية لجبال الأطلس المتوسط الحصول على

¹ - *ibid.* .p, 325.

² - Mohammed Ben lahcen, *Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine*, op.cit., p, 136.

³ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p, 16.

الكثير من المعطيات اللوجستكية المتعلقة بالمقاومة. وكل هذه المعطيات الجديدة سيتم استغلالها بعد عودة الصراع بعد نهاية الحرب¹.

مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى جعلت سلطات الحماية إخضاع جبال الأطلس المتوسط من أولوياتها العسكرية. فشرعت مباشرة في محاصرة الزيانيين في الجبال و حرمانهم من التموين عن طريق كل الطرق التجارية مثل فاس مكناس التي كانت جد حيوية بالنسبة لهم. فقد وسع ليوتي حربه لتصبح شاملة "فقد أصبح الاعتبار الاقتصادي متوافقا مع الاعتبار العسكري و التحكم في السوق لا يقل أهمية عن التحكم في المدافع. لأن كلاهما ينشران الحرب و السلم" على حد تعبير ليوتي². و لذلك كان الزيانيون من أهم ضحايا هذه السياسة فتوالت عليهم الهجمات العسكرية من جميع الجوانب. و تمت محاصرتهم اقتصاديا و دمرت بنيتهم الاجتماعية. ففي جانفي 1921 قامت فرقة الخنيفة بنهب عدد كبير من القبائل في أبقارهم و أغنامهم. و توالت هذه عمليات النهب هذه خلال سنة 1921³. و حتى تكون هذه الحرب شاملة كما أرادها ليوتي، فقد بدأ لأول مرة استعمال الطيران العسكري الذي بدا في قصف هذه القبائل بصورة دورية للتأثير عليها و دفعها للاستسلام فقد ذكر أحد العسكريين أنهم اسقطوا أكثر من قنطار من المتفجرات على هذه القبائل في يوم واحد⁴. و لم يستطع الزيانيون مواجهة هذه الآلة التدميرية الشاملة. فقد كان على موح وحمو الزياني و موح و سعيد الوراي، و غيرهم من القادة حماية القبائل من هذه حرب الإبادة، و في نفس الوقت مواجهة القوات الفرنسية التي استرجعت حيويتها الإبادية في كل المناطق المغربية التي كانت تعرف مقاومة. خاصة و أن موازين القوى لما بعد الحرب الكبرى كانت لصالح باريس التي استغلتها في إنهاء كل مخططاتها الاستعمارية. و لذلك لم يستطع الزيانيون توقيف هذه الحملة و بالرغم من صمودهم في عدة معارك مثل "تاقا إيشيعان" في 20 أفريل 1920. التي ظهر فيها الجنرال "بويميرو Poymirau". الذي اعتبره ليوتي من "المساعدين الرائعين له في المغرب"⁵. لأنه طبق حرفيا المقولة المشهورة لـ "المركز روني دو سانجوزاك Le Marquis René de Segonzac" حول المغرب في مطلع القرن العشرين، التي جاء فيها أنه "إذا أردت للمغرب أن

¹ - Mohammed Ben lahcen, Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine, op.cit., p,139.

² - Pierre Lyautey , Lyautey l'Africain. Textes et lettres, op.cit., 308.

³ - Mohammed Ben lahcen, Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine, op.cit., p,139.

⁴ - ibid. .p,142.

⁵ - Pierre Lyautey, Lyautey l'Africain. Textes et lettres, op.cit., 354.

ينهار فعليك بالفأس" في كتابه المشهور "رحلة في المغرب Voyage au Maroc" الصادر سنة 1903¹.

في نهاية 1921 اصطدم الزياتيون مع القوات الفرنسية في معركة "البقرية" التي وضعت الزياتيين أمام "الاختيار بين الفناء وضع السلاح"². و مثلما فضل الخطابي الاستسلام حفاظا على سكان الريف من الإبادة الكيميائية، قام الزياتيون بتوقيف كل العمليات العسكرية و استسلامهم للأمر الواقع الذي جنبهم الانقراض كمكون من مكونات المجتمع المغربي. خاصة بعد معركة "ازلاك نترومت" في جبل "تاوجكالت" بتاريخ 27 مارس 1921 التي استشهد فيها روح المقاومة الزياتية موح وحمو الزياتي محققا بذلك أمنيته بموته شهيدا في الدفاع عن الأطلس المتوسط و تم بذلك "القضاء على أخطر على الوجود الفرنسي في المغرب لأنها هددت قطع المواصلات بين فاس و نهر ملوية، أي بين المغرب و الجزائر، و قد كلف ذلك فرنسا خسارة كبيرة لأنها كانت أمام خصم ذو قيمة كبيرة" على حد تعبير الضابط جورج سبيلمان Georges Spillmann³. و في نهاية سنة 1921 احتفل ليوتي بنهاية حملة "التهدة" في جبال الأطلس المتوسط. والتي كانت في حقيقتها إبادة كما كانت في إقليم الشاوية و في الصحراء و في الريف و غيرها من الحملات الاستعمارية في مختلف مناطق المغرب⁴.

لقد خضع المخزن المغربي منذ مطلع القرن العشرين للأطماع الأجنبية و قبل بكل شروطها منذ مؤتمر الجزيرة في جانفي 1906. و لم تستطع سلطة العلويين الإشراف توقيف التدخل الفرنسي منذ احتلال مدينة وجدة في مارس 1907. و في الدار البيضاء في جويلية 1907. و لم يلتزم "سلطان الجهاد" مولاي عبد الحفيظ بمقتضيات البيعة المراكشية التي كانت تمت في أوت 1907 و كانت مبنية على أساس "طرد المحتل الأجنبي". بل ترك المقاومة في الشاوية و في الصحراء أمام مصيرها المحتوم. و اتجه لمدينة فاس لاسترجاع المجد العلوي الشريف الضائع. إلا أنه لم يتمكن منذ ذلك و لم يستطع تجنب المغرب السيطرة الفرنسية التي جسدها معاهدة فاس في 30 مارس 1912. إلا أن ذلك لم يثني من عزيمة الشعب المغربي في مقاومة الاستعمار الفرنسي منذ الأيام الأولى للتدخل الفرنسي في وجدة و نزولهم في

¹ - Mohammed Ben lahcen, Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine, op.cit., p,148.

² - ibid. .p ,160.

³ - Georges Spillmann, Du protectorat a l'indépendance, op.cit., p, 16.

⁴ - Mohammed Ben lahcen, Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine, op.cit., p,178.

ميناء الفرنسيين في الدار البيضاء. فقد عرفت كل المناطق المغربية حركة مقاومة مسلحة. في الوسط في إقليم الشاوية. و في الجنوب والصحراء. و في الأطلس المتوسط وغيرها من المناطق¹. مثل إقليم دكالة المطل على المحيط الأطلسي². كما عرف الشمال الغربي مقاومة مسلحة بين سنتي 1912 و 1925 تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني³. وفي جبال الأطلس برزت المقاومة البدوية التي قادتها قبائل جنوب مكناس بين سنتي 1911 و 1913⁴. وفي أقصى الجنوب الشرقي ظهرت مقاومة قبائل آيت عطا في منطقة بوكافر بجبل صاغرو في الفترة الممتدة بين 1929 و 1933⁵.

6. الحركة الوطنية المغربية و لمقاومة المسلحة:

لم تستطع المقاومة المغربية العسكرية تحرير المغرب من الحماية الفرنسية. التي قبل بها المخزن وتفاعل معها، ودعم ما كانت تقوم به من غزو لمختلف أنحاء المغرب. وأعجب بالانتصارات التي حققها الجيش الفرنسي في الكثير من المناطق. ولذلك كانت المقاومة

¹ - لقد كان تركيزنا على بعض المقاومات شرحا لأسبابها و مسارها و نتائجها من باب اختبار نماذج محددة من كل إقليم لغرض أكاديمي لا أكثر. فكل المقاومات كان لها تأثيرها و زعمائها و شهدائها. فقد عرف المغرب في مطلع القرن العشرين حركة جهاد شاملة كما قال بذلك المؤرخ المغربي زكي مبارك. أنظر، *M'barek Zaki, Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration, op.cit. p,28*.

² - كان سهل دكالا الأطلسي مسرحا للعديد من العمليات العسكرية منذ البدايات الأولى للتدخل الأجنبي ومحاولة فرنسا لاحتلال مدينة الجديدة عاصمة هذا الإقليم، فقد قاد السي محمد بن معطي التريعي مقاومة ضد كل المحاولات التي قامت بها فرنسا للدخول إلى المدينة إلى غاية أوت 1912 بخضوع مدينة الجديدة للجيش الفرنسي. أنظر، علال الحديمي، التدخل الأجنبي، مرجع سابق.

³ - تمت هذه المقاومة في منطقة "جبالا" في الشمال الغربي تزعمها الشريف مولاي أحمد الريسوني الذي كان عاملا على هذه المنطقة منذ سنة 1909، و قاد مقاومة عنيفة في هذه المنطقة فرضت على إسبانيا مهادته في سنة 1915، و بعدها قضى فترة متعاون مع إسبانيا، و اصطدم فيما بعد مع عبد الكريم الخطابي بعد انتصار هذا الأخير في معركة أنوال سنة 1921، و قد أفقد هذا الاصطدام بالإضافة إلى التعاون مع إسبانيا حركة الريسوني البعد الثوري، وقد انتهى هذا الصراع بالقبض عليه و نقله إلى منطقة الريف حيث توفي بتاريخ 03 أفريل 1925 أنظر، ابن عزوز، حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب، مطبعة الساحل، الرباط، 1981، ص 31-32.

⁴ - قامت قبائل بني مطير و جروان الجنوبية و بني مكيلا بمقاومة ضد التواجد الفرنسي قبل سنة 1912 باصطدامها مع القوات الفرنسية التي كانت موجودة في منطقة الشاوية منذ سنة 1907، و بقيت المواجهة مستمرة بعد إعلان الحماية في منطقة "سايس" و بجبال الأطلس المتوسط الغربي، وانتهت في نهاية 1913 باستسلام هذه القبائل البربرية مما فتح الطريق أمام التوغل الفرنسي في الأطلس المتوسط، أنظر، بوعسرية بوشتي، المقاومة البدوية للاستعمار الفرنسي، نموذج قبائل جنوب مكناس 1911-1913، في ندوة المقاومة المسلحة 1900-1934، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير مراكش، نوفمبر 1990 ص 159.

⁵ - حدثت هذه الثورة في أقصى الجنوب الشرقي بعد انتهاء ثورة الريف على مقربة من جبل صاغرو ومنطقة بوكافر حيث استطاعت قبائل آيت عطا تحقيق انتصارات عسكرية حاسمة على الجيش الفرنسي. عند محاولته التوغل في المنطقة سنة 1933 أنظر عبد القادر بوراس، جانب من مقاومة آيت عطا، مقاومة بوكافر بجبل صاغرو، في ندوة المقاومة المسلحة 1900-1934، المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير مراكش، نوفمبر 1990، ص 187-205.

المغربية بعد مارس 1912 " جهادا ضد الاحتلال الفرنسي الذي كان يتم باسم المخزن المغربي" على حد تعبير المؤرخ مبارك زكي¹. و في مطلع الثلاثينات جاء في تقارير الإقامة العامة لباريس نهاية عملية "تهدة المغرب" الذي تحول إلى "محمية هادئة"². وقدم المقيم العام تيودور ستيغ *Theodore Steeg* "غصن الزيتون لكل المغاربة" على حد تعبير سبيلمان³. و عندما كانت تنتظر باريس خضوع و خنوعا في المغرب. فإن ما عرفه هذا الأخير في مطلع الثلاثينات أثبت أن روح هذه المقاومة بقيت حاضرة في حركة الشباب المغربي. فقد تفاعل هذا الأخير مع حرب الريف و غيرها من المقاومات العسكرية في الشمال والوسط والصحراء بعدة أشكال. لأنها أكدت أن "السكان البدائيين لا جيش لهم و لا دولة قائمة قادرون على أن يشكلوا قوة لا يرقى إليها الشك و ذلك بمجرد إتحادهم و عزمهم على خلعه الوصاية الاستعمارية و وصاية سادتهم التقليديين من بني جلدتهم" على حد تعبير جرمان عياش⁴.

فقد كان بالنسبة لهؤلاء الشباب " تتبع أخبار حرب الريف أحد مقدمات الوعي الذي أسست له انتصاراتها. و قد بدأ ذلك الوعي في التصاعد في عدد من المدن مثل فاس و تطوان والرباط وسلا بعد نهاية تلك الحرب. كما تتبعت مختلف الشرائح الاجتماعية حركة المقاومة"⁵ وبالرغم من انهزام كل زعماء هذه المقاومة العسكرية، مما أدى إلى تعميق الشعور بالمأساة فإن ذلك لم يخلق يأسا في صفوف شباب المدن. فقد كانت كل تلك الأحداث دروسا استفاد منها هؤلاء. لأنهم أدركوا أسباب هذه الهزيمة. و اعتبروها اختلال مادي رهيب في موازين القوى. لذلك وجب التفكير في سلاح لآخر بديل عن البنادق و المدافع ولا يقل تأثيرا عنها. و لذلك اتجهوا إلى العمل السياسي و الدعوي المنظم. الذي بدون شك سيكون له تأثيرا لا يقل عن السلاح⁶.

لقد كان تأثير هذه المقاومة على نشأة الحركة الوطنية المغربية نفسيا و معنويا أكثر منه ماديا. لأنها ساهمت في بناء شعورها وتحديد اختياراتها المستقبلية. لأنها وضعت "الوطنيين

¹ - M'barek Zaki, *Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration*, op.cit. p,170.

² - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit. p, 42.

³ - تستعمل هذه العبارة في الثقافة اليونانية كرمز للسلام. فأصبح غصن الزيتون من مكونات الراية اليونانية القديمة. و قد استعملها الضابط سبيلمان بصورة مغالطة كما هو الحال في العديد من مضامين كتابه حول المغرب. أنظر، *ibid.* p. 43.

⁴ - جرمان عياش، أصول حرب الريف، مرجع سابق، ص10.

⁵ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص212.

⁶ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص212.

الحصريون الجدد" أمام تساؤلا جوهرية و مصيرية بما يتعلق بمستقبل طبيعة وسائل مواجهة نظام الحماية. فقد اعتمد "وطني الجبال والصحاري" على السلاح. و انتهت مقاومتهم بسبب بما كانوا جاهلين به من "اعتماد حرب إبادة متعارضة مع أبسط الممارسات الحضارية من طرف أمة متحضرة كان قد مر على حملها لشعار حقوق الإنسان والمواطن أكثر من قرنين من الزمان" على حد تعبير الخطابي في رسالته لعصبة الأمم المتحدة¹. و لذلك فإن هؤلاء الوطنيون دفعتهم تلك الأحداث إلى البحث عما يجب القيام به ليس فقط من أجل تفادي عقدة الهزيمة فقط، و لكن من أجل رسم أفق جديدة لبعث الحركة الوطنية من جديد بنوع من التحدي يختلف عما سبقه من تحدي، و لكنه يهدف لتحقيق نفس الهدف. و قد أدركت سلطات الحماية ذلك التوجه الجديد لذلك قامت بمضايقته و قهره هو الآخر من خلال الحد من وسائله مثل الصحافة الحرة و المدارس الحرة و الجمعيات و كل الأنشطة التي كانت من شأنها أن تحي روح المقاومة العسكرية سواء في إقليم الشاوية أو الصحراء أو الأطلس المتوسط. و غيرها من المناطق. فقد كان كل ذلك من ملامح حركة الجهاد السياسي التي كانت امتدادا طبيعيا لحركة الجهاد العسكري على حد تعبير الوزاني².

بقدر ما شعرت حركة شباب المدن بقساوة انهزام الخطابي و أحمد الهبية و موح و حمو الزياتي، استطاعت أن تضبط مشروع برنامج عمل التفتت حوله و تحمست للعمل به. و فأعلنته في أول فرصة أتاحت لها بمناسبة الاحتجاج على السياسة البربرية في ماي 1930. فقد كانت هذه المناسبة لإعلان هذه الحركة عن مدى تأثرها بهذه المقاومة من خلال برنامجها الذي اتخذ إبعادا أكثر من مجرد رد فعل على إصدار سلطات الحماية للظهير البربري. فقد كان إجابة على أكبر سؤال طرحه هؤلاء على أنفسهم حول السبل التي سيتبعونها بعد نهاية المقاومة المسلحة. كما كان عودة ثقة المغاربة في أنفسهم و تخلصهم من خيبة الأمل التي أصيبوا بها بعد فشل المقاومة المسلحة. و هي التي قادتهم للبحث عن حلول أخرى. كما كانت تعبيراً عن إيقاظ الوعي الوطني لديهم. و دفعت بهم إلى بناء تصور جديد للوعي الوطني. و قد جمع هذا الأخير بين الحمية الوطنية والحمية الدينية³. و اختلف مع القوى التقليدية الإصلاحية المسماة بـ "السلفية المجددة" التي وضعت في تصورها قوة الاستعمار وأحسنن الظن في نوايا

¹ - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p,335

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 411.

³ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 221.

المستعمرين.و كان لها أمل في الاستفادة من تطبيق ميداني إيجابي لنظام الحماية.فعلى ضوء حركة الوعي بالذات لدى شباب المدن،التي ترتبت عن المقاومة المسلحة،فقد أصبح لهؤلاء تصورا ثوريا للحركة السلفية.فقد أصبحت هذه الأخيرة "سلفية جديدة"¹.جمعت بين الأصالة التاريخية للمجتمع المغربي و مقتضيات تحريره من السيطرة الأجنبية.و بدون شك فقد تأثر هؤلاء الشباب من المقاومة المسلحة عندما أعلنوا عدائهم للطريقة التي كانت تدعو للجمود والخنوع و الركود والخضوع للاستعمار.و لذلك التي حاربها الخطابي ماء العينين و احمد الهيبة والخطابي.واعتبروها حليفة الاستعمار.و كذلك فعل الشباب المغاربة وأعلنوا لها العداء و وضعوها في مصاف الاستعمار،بل أخطر منه في كثير من الأحيان.و لذلك كان نضال علال الفاسي و الوزاني و اليزيدي و الكتاني ومحمد مكي الناصري وعبد الخالق الطريس الطريس وعبد الكريم غلاب و محمد غازي و عبد العزيز بن إدريس و الحاج احمد الشرقاوي و أبو بكر القادري و محمد معنينو و مصطفى بوعياذ...وغيرهم من الوطنيين فيه الكثير من المحطات الصدامية مع شيوخ الطريقة و الزوايا الذين بادلوهم نفس الشعور².

¹ - محمد معروف الدفالي،أصول الحركة الوطنية،مرجع سابق،ص 222 .

² - ارتبط تاريخ الزوايا و الطرق الصوفية في المغرب ارتباطا وثيقا بالتاريخ السياسي والاجتماعي. فقد كانت قوة سياسية ضاغطة فرضت نفسها على النظام الحاكم ونافسته في الكثير من رموز شرعيته الدينية والسياسية.و دعمتها في ذلك القاعدة الشعبية العريضة وتنظيماتها المتجذرة في عمق المجتمع، وامتيازها الرمزي الذي كانت تستلهمه من الانتماء إلى آل البيت والنسب الشريف و قد كان بمقدورها التصدي للتغلغل الاستعماري وعرقلة مخططاته باستنفار السكان وإعلان الجهاد.الأمر الذي انتبه له منظرو السياسة الاستعمارية، فقاموا بإلحاح دراسات كشفت عن جوانب مهمة من الطريقة للإحاطة بها و توظيفها، والعمل تدريجيا على تدجين الزوايا والطرق الصوفية وتحجيم إشعاعها،وكسب ود شيوخها لإضفاء طابع الشرعية على المخططات الاستعمارية. فالجنرال ليوتي الذي أوكلت له مهمة وضع أسس نظام الحماية في المغرب كان يؤمن إيمانا راسخا بأن الوسيلة الأنجع لإحكام القبضة على المستعمرات هي الاعتماد على الزعامات والمؤسسات اخلية واحترامها واللجوء إلى تحريك خيار سياسي آخر لتحقيق غايات الغزو بطرق سلمية غير مكلفة،تستند أساسا على استمالة زعامات دينية محلية ممثلة في بعض شيوخ الزوايا للاستعانة بهم في ترسيخ الوجود الاستعماري وضمان حيادهم اتجاه عمل الحماية على الأقل.و هكذا تمكنت الإدارة الاستعمارية من استقطاب الكثير من شيوخ الزوايا الذين أبدوا مواقف استسلامية و رافضة لكل مواجهة.بل كانوا من الداعين إلى اختيار الخضوع و طاعة أولي الأمر. و اعتبار الاحتلال قدر لا مفر منه.للحيلولة دون ردود فعل قد تعرقل الاحتلال الفرنسي للمغرب. و ليست هذه أول مرة يستعمل فيها منظرو الفكر الاستعماري تواطؤ شيوخ الزوايا.مما أساء إلى سمعتهم وأفقدتهم صفة الوطنية.فالتجربة الجزائرية فيها الكثير من أمثلة بعض شيوخ الزوايا و الطرق الصوفية الذين تواطؤوا مع الاستعمار خاصة بعد أن كانت المقاومة الشعبية مصدرها زوايا الرباط و الجهاد مثل مقاومة الأمير عبد القادر و الشيخ الحداد و الشيخ بوعمامة.و تعتبر تجربة الزاوية الكتانية في المغرب مثال قائم بذاته في الخضوع للاستعمار و معاداة لتيار الوطني. فقد كان عبد الحى الكتاني من المقربين من سلطات الحماية و كان جنبا إلى جنب مع باشا مراکش الجلاوي التهامي من وراء تنحية السلطان محمد بن يوسف في

عندما حلت الثلاثينات من القرن العشرين ظهرت الوطنية المغربية "المدينية" أو "الحضرية" كفاعل أساسي في الساحة مستمدة شرعيتها التاريخية والسياسية من عدة عوامل. فقد اعتبر هؤلاء الشباب الوطنيون أنفسهم تعبيراً عن طموحات زعماء المقاومة المسلحة الذين لم يستطيعوا تحقيقها. لأن القوة الاستعمارية سعت لإبادتهم. وزرعت بينهم الفتن باسم الثقافة و الدين. واستعملت ضدهم السلطة المقدسة للأشراف العلويين التي تحولت إلى أداة طيعة بين يديها لتنفيذ مخططاتها. وكذلك لأن جل تلك المقاومات كانت قبلية الطابع و لم ترق إلى مقاومة وطنية موحدة. ولذلك التف هؤلاء الشباب حول مبادئ هؤلاء الزعماء التي ضحوا من أجلها و اعتبروا حركتهم "شاوية" و "خطابية" و "عينية" و "هيبة" و "زيانية". و تبنا كل المقاومات العسكرية التي واجهت الاحتلال الفرنسي و الإسباني للمغرب في الشمال و الجنوب طيلة مدة ثمانين وعشرين سنة¹. فإذا كانت هذه المقاومة المسلحة التي قام بها زعماء القبائل في كل أنحاء السلطنة "امتداداً لجميع حركات الجهاد التي خاضها أسلافهم ضد البرتغال و الإسبان والأتراك والفرنسيين الذين هاجموا الشواطئ المغربية في القرن الخامس عشر والسادس عشر انتقاماً صليبياً أو احتلالاً استعماريّاً. فإن تلك حركة الشباب تعتبر هي الأخرى امتداداً لهذه المقاومة المسلحة لأنها سعت لتحقيق نفس أهدافها باختلاف وسيلتها" كما قال بذلك أحد رواد هذه الحركة محمد حسن الوزاني². و ليس "من قبيل الصدفة أن يتزامن إلقاء المقاومة الريفية لأسلحتها، مع تصاعد الوطنية المغربية بمفهومها الحداثي التي كانت تسعى لتحرير الأمة المغربية بوسائل أخرى غير التي استعملتها تلك المقاومة. و لكنها في جميع الأحوال تعتبر استمرارية لها" على حد تعبير "دانيال ريفي" *Daniel Rivet*³.

20 أوت 1953. و من المبايعين للسلطان المعين من قبل سلطات الحماية بن عرفة. و لذلك بعد استقلال المغرب تمت مصادرة كل أملاكه. و قد انتفى إلى فرنسا و توفي فيها. أنظر المصطفى الرئيس، الزاوية الكتانية من خلال الصحافة العربية الموالية للحماية الفرنسية، منشورات الزمن، الرباط، 2015.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص، 411.

² - المصدر نفسه، ص، 436، 437.

³ - *Daniel Rivet, Le Maroc De Lyautey A Mohammed V, L'aventure coloniale de la France, Destins croisés Éditions Denoël, Paris, 1999 p, 357.*

الفصل الأول:

عوامل الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية

- . الحركة السلفية
- . دور جامعة القرويين.
- . الحركة الصحفية الخطية
- . دور الأمير شكيب أرسلان
- . المؤثرات الشرقية (المشرقية)
- . المؤثرات الغربية (الفرنسية)

1 . الحركة السلفية:

اعتبر علال الفاسي أن الوطنية المغربية انتقلت من حالة "السلفية"¹ إلى حالة "الوطنية" لأن الشباب المغربي وجد في الحركة السلفية ميدانا لبذل نشاطه وتعويد نفسه على العمل لخدمة الأمة والتضحية في سبيلها"². وقد تأسست أولى المجموعات الوطنية في فاس والرباط و تطوان. وبالرغم من أن تكوينها الأولي كان سلفيا، فإنها أصبحت تتناول الشؤون العامة بأسلوب غير الأسلوب التقليدي. كما كانت جامعة القرويين بفاس نقطة انطلاق لـ "السلفية الوطنية". بعد أن عرف هذا القطب التاريخي إصلاحات هيكلية عميقة أدت إلى إعادة بعث دوره النهضوي الإستراتيجي من خلال أنشطة ثقافية ساهمت في تنوير الرأي العام المغربي بقضية الحماية الفرنسية³.

¹ - تعني السلفية الرجوع للمصادر الإسلامية الأصلية و الالتزام بنصوص الكتاب و السنة. وكذا الالتزام بمنهج الرسول صلى الله عليه و سلم. و بمنهج الصحابة و التابعين فيما يتعلق بتأويل النصوص أو بتطبيقها. و تعني كذلك نبد التعصب المذهبي و الجمود و ارتبط ظهور هذا المصطلح في التاريخ الإسلامي مع محاولات الإصلاح سواء تلك التي عرفها الفكر الإسلامي مع ابن تيمية في القرن الرابع عشر ميلادي. ثم حركة محمد بن عبد الوهاب في شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر. و غيرها من المحاولات التي توخت تطهير الدين و العقيدة من البدع و الرجوع إلى الأصول الإسلامية الصحيحة. و تعتبر السلفية التمسك بالدين هو أساس كل إصلاح سياسي وفكري واجتماعي، ذلك أن رواد السلفية جميعهم يتفقون على أن إصلاح شؤون الدنيا لن يتم إلا بإصلاح شؤون الدين، وأن أساس التمدن والنهضة يكمن في الرجوع لما جاء في الكتاب والسنة. و قد ارتبطت السلفية تاريخيا مع الوطنية عندما تحولت إلى حركة لمقاومة الاستعمار ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر كما تجلت عند جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و رشيد رضا. و قد تحولت بذلك على عنصر وعي و إحدى الأدوات لتعبئة الأمة ضد الوجود الأجنبي في العالم الإسلامي. و قد استعملت الحركة الوطنية المغربية من خلال أحزابها ومنشوراتها ومنابرها الصحفية السلفية كسلاح الإيديولوجي ملائم في محاربة الطريقة وطقوسها وتطهير الدين من البدع والخرافات التي ألصقت به، هذا في الوقت الذي اعتبرت فيه محاربة الطريقة مدخلا لمقاومة الاستعمار، وهكذا، وباسم التواطؤ بين الزوايا والاستعمار، قامت السلفية الوطنية بمهاجمة ومحاربة الزوايا و الطريقة وأصبح الكلام شائعا حول سلبية مواقف شيوخ التصوف من الدين وخيانة الوطن، وشكل هذا الموقف الثابت محور دروس وخطب وعرائض كان الغرض من ورائها تقديم النفوذ الروحي للزوايا والقضاء على رأس مالها الرمزي و اجتثاثها من جذورها الاجتماعية. و من جهة أخرى جعل السلفية إطارا مرجعيا للعمل السياسي بغرض الاستقطاب و التأثير الاجتماعي. و لا تعبر هذه الحالة التاريخية خاصة بالمغرب. في الجزائر كانت الحركة الإصلاحية التي قادها عبد الحميد ابن باديس و الإبراهيمي و غيرهم من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعبيرا عن نفس المضمون. أنظر، إيمان المعزوزي، الشيخ شعيب الدكالي و دوره في الحركة السلفية بالمغرب، مؤسسة دار الحديث الحسنية، الرباط، 2001، ص، 138- 143.

² - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق 159.

³ - المصدر نفسه.

لقد أجمع الدارسون أن السلفية تعتبر جزءا أساسيا من تاريخ الوطنية المغربية نشأة و مسارا فما كان بإمكان أية حركة سياسية في المغرب أن تتأسس خارج إطار ما رسخته الزوايا طيلة قرون عديدة من قيم و سلوكات و تمثلات و طرق تنظيم الفرد و الجماعة¹. فقد كانت "السلفية التقليدية" هي المحرك الروحي الرئيسي للمقاومة المسلحة التي اندلعت مع بدايات النفوذ الأجنبي للمغرب في نهاية القرن 19 و مطلع القرن 20. وازدادت قوة بعد إعلان الحماية المزدوجة على المغرب في مارس 1912. ومباشرة بعد نهاية الاستجابة العسكرية لفعل الاحتلال ظهرت استجابة أخرى تمثلت في حركة المقاومة السلمية في عدد من المدن الكبرى و قد تزعمتها نخبة إصلاحية اتخذت من التدخل الأجنبي موقفا مطابقا لموقف المقاومة المسلحة. و لكنه مختلف عنه في الوسيلة والآليات. فقد اعتبرت هذه الحركة الفعل الاستعماري شموليا في حركته وبالتالي مواجهته يجب أن تكون كذلك. فالواقع الجديد دفع بهؤلاء للتفكير بواقعية في أسباب قوة العالم الغربي و تقهقر العالم الإسلامي. وبالتالي فإن النهوض بهذا الأخير يجب أن يكون شاملا. فحتى هذه المواجهة العسكرية لم تنجح في تحقيق هدفها لأنها لم تأخذ بالأسباب العلمية للقوة، التي كان الطرف الآخر متحكما فيها. فقد سجلت هذه المقاومة بطولات خالدة ولكنها فشلت في طرد الاحتلال الأجنبي. لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار "المعامل الاستعماري *Coefficient Colonial*" بشموليته. كما قال بذلك مالك بن نبي².

لم يكن هذا الاتجاه في الحركة الوطنية المغربية جديدا، إنما تعود بؤاده الأولى إلى نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين في أوساط شريحة من النخبة المغربية تعرف بـ "السلفية المجددة"³. و قد تزامن نشاط هذه الفئة مع حركة المقاومة المسلحة. و قد أدركت هذه الفئة التفاوت الحضاري بين العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي. و اعتبرته مرتبطا

¹ - نور الدين الزاهي، الزاوية و الحزب، الإسلام و السياسة في المجتمع المغربي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998، ص 5.

² - مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين و عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، بيروت، 1969، ص 220.

³ - استعمل مصطلح "السلفية المجددة" المؤرخ المغربي محمد معروف الدفالي. و حول سبب اختيار هذه التسمية دون غيرها من التسميات مثل التقليدية أو التاريخية ياعتمد على توظيفهم لفكرة "التجديد" التي يتضمنها التراث الإسلامي من اجل قيمة المغاربة لمسيرة العصر و تقدير دور العقل. و قد اعتمد على الحديث النبوي الشريف الذي يقول "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها". في حين يعرف التيار السلفي الآخر الذي يختلف في الطرح بـ "السلفية الجديدة". فالنسبة إليه عرف المغرب "سلفيتان و مقصدان". و كلاهما ساهمتا في بعث الحركة الوطنية المغربية. أنظر، محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية بين السلفية المجددة و السلفية الجديدة، مرجع سابق، ص 54، 55، 65.

بسيرورة تاريخية بدأت بضعف وانهيار العالم الإسلامي وانتهت بسقوطه. و لم يكن الحل العسكري بالنسبة لها وسيلة ناجعة لترجيح كفة الاختلال. فقد كان لهذه الفئة نزعة عقلانية جعلتها تعتقد بعمق الهوة الموجودة مع الغرب. و لذلك لا يمكن مواجهته عسكريا. لأن في ذلك "هلاكا و فسادا في الأرض". على حد تعبير صاحب الإستقصا الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري الذي كان من رواد هذا الاتجاه¹. فقد اعتبر الناصري أن "القطر المغربي على ما هو عليه من غاية الضعف و قلة الاستعداد. فلا ينبغي لأهله المسارعة إلى الحرب مع العدو الكافر مع ما هو عليه من غاية الشوكة و القوة. فقد تقرر في علم الحكمة أن المعاندة و المدافعة إنما تحصل بين المتضادين و المتماثلين و لا تحصل بين المتخالفين و الحال اليوم مع العدو ليست من باب التضاد و لا من باب التماثل و إنما هو من باب التخالف... لأن حال أهل المغرب لم تجتمع كلمتهم و ليسوا على قلب رجل واحد... و لا ضابط يجمعهم و لا قانون يسوسهم..."². و بالنسبة لهؤلاء المثقفون، الذين كانوا من نخبة المدن، فإن الغرب تفوق عليهم عسكريا بعدما تفوق اقتصاديا و علميا و مواجهته في تلك الحال "كمثل طائرين أحدهما ذو جناحين و الآخر مقصوصهما واقع على الأرض لا يستطيع طيرانا، و لا يهتدي إليه سبيلا. فلا يمكن لهذا المقصوص الجناحين الذي هو لحم على وضم (خشب) أن يحارب الذي يطير حيث شاء، و ينقر متى وجد فرصة. و يبعد عنه و يطير إذا لم يجدها. حتى و إن حاول ذلك (المقصوص) حركة فلا يؤدي ذلك إلا إلى هلاكه... وهذا حال المغرب مع عدوه فإنه بقراصنته الحربية ذو أجنحة كثيرة... فهو يهجم عليه في ثغوره إذا شاء و يبعد عنه فلا يدرك منه متى شاء"³.

لذلك فإن هؤلاء اعتبروا للمواجهة شروطا و مقتضيات وجب توفيرها. و منها ما هو متوفر في الحضارة الغربية بحد ذاتها. و لذلك وجب الفصل بين مكونات هذه الحضارة. فالمدينة يمكن الاستفادة منها بما يساعد على النهوض بالمجتمع المغربي. فبالنسبة لهم يوجد في هذه المدنية الغربية الكثير من الإيجابيات التي يمكن الأخذ بها و الاستفادة منها عن طريق القيام بإصلاحات عميقة تقتضي آثاره هذه المدنية من أجل التحاق المغرب بركب التطور. و يجب على

¹ - أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 09، الدولة العلوية، القسم 03، الجزء 09، تحقيق جعفر

الناصرى و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ص 189.

² - المصدر نفسه، ص 190.

³ - المصدر نفسه.

هذا التقدم أن يجمع بين التراث الأصيل للمجتمع المغربي و مقتضيات النهضة المادية. فقد كان التجديد عند هؤلاء مرتبط بالبعد الزمني للحضارة الغربية لا الديني¹.

عندما قام زعماء السلفية المجددة بتحليل عميق لأسباب الاختلال بين أوضاع المغرب و حالة الغرب وجدوها عديدة، وتجاوزت الآلة العسكرية فقط، فقد كانت في الاقتصاد والسياسة وفي كل مظاهر المجتمع، وبالتالي يجب إعادة النظر في موقف المغاربة من الضفة الأخرى للمتوسط. بإنهاء القطيعة الحضارية معها. وضرورة الاستفادة منها في مختلف المجالات. ولم يتردد هؤلاء في المطالبة في الفصل بين المرجعية الدينية للمجتمع المغربي ومقتضيات التطور الاجتماعي في الجانب المادي. فهذا الأخير يجب أن يتم حتما عن طريق الاقتباس من الغرب للنهوض بالإنسان والعمران. معتبرين أنفسهم وسطاء بين المغرب والغرب مجتمعاً وحضارة. ولكن في جميع الأحوال فإن هذا التفكير التجديدي لم يرق على قطيعة مع التراث والتاريخ الإسلامي، بقدر ما كان بحثاً عن مرحلة انتقالية بين القديم والجديد. على أن يشرفوا هم على هذه المرحلة لأنهم أدركوا بمضامين كل واحدة منها. وبالتالي هم ضمان هذا الانتقال الآمن و المفيد. وقد كانت هذه المسألة خلفهم الجوهري مع من يأتي من بعدهم من زعماء "السلفية الوطنية السياسية". الذين اعتمدوا "منهج الاحتياط" في مسألة الاجتهاد و التفريق بين القديم و الجديد كما هو الحال لأبي شعيب الدكالي².

لقد كان خطاب رموز السلفية المجددة مبنياً على جدلية العلاقة بين الماضي والحاضر³. فبقدر ما كان الأول مزدهراً و راقياً في مختلف المجالات الفكرية و العلمية فإن الثاني لم يكن كذلك. فقد كان ركوداً و جموداً و تقهقراً. وبالنسبة لهم فإن النهوض به يتطلب ضرورات داخلية وخارجية⁴. فالضرورات الداخلية تقوم على أساس تجديد الدين وربطه بمصلحة الإنسان المغربي في الدنيا والآخرة. وتجديده بالنسبة لهم يتم بإعادة قراءته قراءة ترتبط بالحاضر. لأن "أسباب الهرم منها ترك الاجتهاد و اختصار الكتب" على حد تعبير محمد

¹ - أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا، مصدر سابق، ص 190.

² - إيمان المعزوي، الشيخ شعيب الدكالي. مرجع سابق، ص 261.

³ - من أهم رموز السلفية المجددة في المغرب الذين ظهروا في نهاية القرن 19 و مطلع القرن 20 محمد بن المديني كنون و أحمد بن خالد الناصري و محمد بن الحسن الحجوي و محمد بن الأعرج السليماني و أحمد بن محمد الصبيحي السلاوي، و أحمد بن المواز و أحمد النميشي وآخرون. أنظر، محمد الفلاح العلوي، جامع القرويين و الفكر السلفي، منشورات أمل، الدار البيضاء 1994، ص 82 - 123.

⁴ - محمد معروف الدفال، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 70.

بن الحسن الحجوي¹، الذي كان أحد أقطاب السلفية المجددة، في كتابه "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي"². ويعتبر التجديد في نظرهم مدخلا ضروريا لإعادة بعث الحاضر مستنديين في ذلك على أدلة شرعية من القرآن الكريم و السنة النبوية³. لأن الفقه الإسلامي في نظرهم وصل إلى "طور الشيخوخة والهرم المقرب من العدم"⁴.

بالتالي فإن هذا التجديد يجب أن يمس الدين في كلياته حتى ترتفع مكانته وأهله. فإن المساهمة في هذا التجديد واجب شرعي على كل عالم مجتهد. فالمنظومة التجديدية التي طالب بها هؤلاء كانت تعني إعادة تأصيله، و صفائه، ونقاؤه، وإزالة الكثير من الشوائب التي أضيفت إليه بفعل الممارسات المنحرفة. وهكذا فبالنسبة للسلفيين المجددين فإنه كل شيء في الدين كان بحاجة للتجديد، باستثناء المعتقدات و العبادات. و لذلك كانت إعادة قراءة الفقه الإسلامي ضرورة شرعية بالنسبة إليهم. فهذا المجال هو أكبر جامع و رابط للمسلمين وشكل على مر التاريخ قوة الأمة الإسلامية ودرعها الواقى من كل التيارات الأخرى. "فلا يوجد شرع مزج بين مصالح الدنيا و الدين كالفقه الإسلامي" كما قال بذلك الحجوي⁵.

¹ - هو محمد بن الحسن بن العربي بن محمد بن أبي يعزى بن عبد السلام ابن الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي، و الحجوي نسبة لقبيلة حجاوة المغربية ولد سنة 1874. نشأ وترعرع في حصن جدته وكانت فقيهة جليلة، و هي التي حرصت على أن يشب حفيدها على أحسن وجه، ولقد كان للجو العلمي الذي ترعرع فيه الحجوي أثرا كبيرا. ولذلك أدخل الكتاب و حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنوات، و تمكن من أصول علوم الدين الأخرى من حديث و علوم القرآن. ثم التحق بعد ذلك بجامع القرويين سنة 1889 فتلقى مختلف العلوم الشرعية التي أصبح متحكما فيها و لازم أساتذته الكبار أمثال محمد بن التهامي الوزاني و عبد الله الكامل الأمرائي، وجعفر بن إدريس الكتاني، و محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، و عبد السلام بن محمد، و غيرهم ثم سمح له بالتدريس في القرويين ابتداء من سنة 1898. كما مارس عدة وظائف في المخزن منها التوثيق لدار المخزن بمكناس، و أمين محافظة مدينة وجدة على الحدود المغربية الجزائرية، ثم سفير المغرب بالجزائر. ثم أعفي منها سنة 1905 وعاد إلى فاس وأقبل على نشر العلم مع تعاظم التجارة، وفي سنة 1913 باشر تنظيم المجلس التحسيني لإصلاح التعليم بالقرويين، وهو ما سيعرف لاحقا بالمجلس العلمي، وأعطى منصب مستشار شرقي للحكومة، وفي سنة 1920 عين نائبا للصدر الأعظم في وزارة العلوم والمعارف، و في هذا المنصب سعى لإصلاح التعليم المخزني المغربي بانفتاحه على علوم العصر، و في سنة 1939 أسند إليه فيها أعلى منصب شرعي بالمغرب وهو رئاسة المجلس الشرعي الأعلى بالأعتاب الشريفة، وفي سنة 1943 أصبح وزيرا للعدل والمعارف الإسلامية، واستمر بهذا المنصب إلى غاية الاستقلال. و قد توفي بمدينة الرباط سنة 1956.

² - محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الجزء الرابع، مطبعة البلدية بفاس، 1926، ص 10.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه، ص 20.

⁵ - محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، مصدر سابق، الجزء الأول ص 11.

فـ "مسمى الفقه ليس بعلم ديني محض"¹. وبالتالي فإن تجديد هذه المنظومة حسب ظروف الزمان والمكان عن طريق الاجتهاد أمر ضروري. و غلق هذا الباب هو الذي أدى إلى ضعف المجتمع الإسلامي. فتجديد الفقه ضروري لتجديد الإنسان للحفاظ على المصلحة العامة للأمة التي تجمع بين شقها الديني والدنيوي على حد سواء². وحتى يحقق التجديد مصلحة الأمة طالب السلفيون المجددون بضرورة إحلال مبدأ النظام في المجتمع باعتباره وسيلة ضرورية لتحقيق فاعلية مبدأ الإصلاح باعتباره الإطار التنظيمي الذي يستوعب كل المبادرات باختلاف مجالاتها في المجتمع. وبالتالي تتحقق الفاعلية المنتظرة منها لأن "نظام العصر ضروري بالنسبة لأي مجتمع ولا يمكن لهذا النظام أن يكون جامداً أو ثابتاً إنما يجب أن يتسم بالمرونة والتحول حسب الأحوال والأزمان"³. "الفقه أمس بالنظام من بقية الشرائع. فأحكامه بنيت على العدل و الاعتدال و احترام النواميس الطبيعية..."⁴.

أما الضرورات الخارجية التي نادت بها السلفيون المجددون فتتمثل في ضرورة الاستفادة من الحضارة الغربية الوافدة إلى المغرب بمختلف الوسائل بما فيها الغزو العسكري. و قد أدى هذا الأخير إلى خلق تلك المدنية لنفسها أعداء منذ اتصالها الأولي مع المغرب حيث عارضها الكثيرون من العلماء التقليديين خوفاً أو حذراً لشبهة و بدعة و ضلالة لأن مصدرها النصارى ولأنها جاءت غازية ومحتلة. و لذلك عارضها العلماء التقليديون واعتبروا مظاهرها غزواً فكرياً وإخراجاً من الملة. لأنها جاءت بقوة السلاح في معظم الأحيان. وأتت بما يخالف معتقداتهم الراسخة. و بالرغم من ذلك فإن السلفيون المجددون سمو هؤلاء خصوم المدنية ونعتوهم بالجامدين معتبرين أن للمدنية الغربية الكثير من الحسنات يجب الاستفادة منها في شتى مجالات الحياة. فقد اعتبر أحدهم نفسه " في طليعة من يبهج لمناظر المدنية الحادثة التي كم لها من الحسنات لا ينكرها إلا من ينكر ضوء القمر ليلة تمامه"⁵. ولتحقيق ذلك اجتهد هؤلاء في إبراز عدم التناقض بين المقتضيات الدينية وبين مظاهر هذه المدنية، وذلك لفتح الباب أمام قبول الكثير من مظاهر المدنية الغربية.

¹ - محمد بن الحسن الحجوي، الفكر السامي، مصدر سابق الجزء الأول، ص 56.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه. ص 11.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - يتعلق الأمر بأحمد بن محمد النميشي (1890 - 1967). أنظر، محمد معروف الدفال، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 77.

فالشريعة الإسلامية بالنسبة لهؤلاء لا تعتبر عائقا أمام التطور المادي للمجتمع. وبالتالي لا يوجد أي تناقض بين المدنية الغربية و الدين الإسلامي عقيدة وشريعة. فهذه الشريعة تميزت على مر العصور بمرونة كبيرة سمحت لها بالتأقلم مع كل التطورات الحاصلة في المجتمع الإسلامي انطلاقا من المبدأ المقدس الذي يقول بصلاحية الإسلام لكل زمان و مكان. و للتعبير على البعد الإنساني للدين الإسلامي قال أحمد بن محمد الصبيحي السلوي (1882-1944) بأنه لا خوف على الإسلام و"على المغاربة الاطمئنان لكل تطور لأن الإسلام "اعترف به الكثير من عظماء الفلاسفة من غير المسلمين. و هو الدين الوحيد الملائم لأصول المدنية الصحيحة، و الجامع لقواعد الإنسانية و الخصال المليحة و القابل بصلاحية أصوله للتطابق مع غيره من الكتب كالتوراة و الإنجيل"¹.

لقد وعت السلفية المجددة أسباب تفوق العالم الغربي عن العالم الإسلامي في كل المجالات، و انتقدت السلطة السياسية انتقادا لاذعا. و اعتبرت المخزن المغربي مسؤولا عن ركود و تقهقر المجتمع المغربي حفاظا على مصالحه الشخصية الضيقة والآنية. و لم يتردد حتى ضرب العديد من القبائل المغربية لسبب أو آخر². و لذلك كانت الحماية الفرنسية نتيجة حتمية. و لا يمكن التحرر من هذه السيطرة الأجنبية إلا بإعادة النظر في موقف المغرب من الحضارة الأوروبية مجتمعا وسلطة. و قد كانت الحرب العالمية الأولى بالنسبة لهم فرصة تاريخية أتاحت للمغاربة للاحتكاك الفكري بالحضارة الغربية إجبارا لا اختيارا. مما أدى إلى ترقية أفكارهم، التي تغيرت فجأة و بصورة جذرية. و على غرار شعوب المستعمرات الأخرى فقد تعرف المغاربة بمشاركتهم في هذه الحرب على الأفكار الجديدة التي حارب من أجلها العالم الحر. و قد جسدت فيما بعد مبادئ ولسن الأربعة عشر هذه الأفكار. و قد عبر ليوتي في عدة تقارير عن هذه التحولات و تخوفه منها من أنها ستنتسف جهوده في بناء "المغرب العصري" من خلال أطروحة الحماية. بالإضافة إلى ما حققته عملية "التهدة" من نتائج في مختلف أنحاء المغرب. بالنسبة لليوتي فإن الخطر الداهم للمغرب بعد الحرب مصدره هؤلاء المغاربة الذين شاركوا في الحرب جنودا و عمالا فتعرفوا على المجتمع الغربي من خلال فرنسا، وتعلموا اللغة الفرنسية، وعادوا إلى المغرب بأفكار جديدة. و من جهة أخرى فقد أدى

¹ - محمد الفلاح العلوي، جامع القرويين و الفكر السلفي، مرجع سابق، ص 86.

² - أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا، مصدر سابق، ص 110.

انتقال آلاف الجزائريين المعادين لفرنسا من الشرق إلى المغرب بفعل الحرب العالمية إلى كثرة الشعور العدائي ضد الوجود الفرنسي في المغرب. و بالإضافة إلى ما سبق فإن حرب الريف زادت في اهتزاز نظام الحماية¹.

لقد كان خطاب السلفية المجددة إزاء نظام الحماية قبل الحرب العالمية الأولى مدحا لمنجزاته و تمجيذا لخلفيته الحضارية، و حتى بحثا لأعذار بعض مظاهره السلبية التي ظهر بها معتبرين مرد ذلك هو عدم التزام الموظفين الميدانيين بالالتزامات المركزية. إلا أنه بعد الحرب بدا خطاب السلفيون المجددون يظهر عليه بعض خيبة الأمل في هذا النظام. و على عكس ما سبق فقد بدا هؤلاء في انتقاد سياسة الإصلاح في مختلف الميادين. و قد يكون ذلك نتيجة الرحيل النهائي للجنرال ليوتي عن المغرب في سنة 1925. فلم يدرك المقيمون العامون الذين جاءوا من بعده "روح نظام الحماية التي كان ليوتي حريصا عليها"². فقد تم استدعاء الجنرال بيتان لاستعمال كل الوسائل العسكرية الكبرى لتحقيق "التهدة النهائية في المغرب" التي عجز عن تحقيقها ليوتي³. و حل تيودور ستيق *Théodore Steeg* محله في الإقامة العامة مما أدى نهاية "الإجاز العظيم المتمثل في مغرب ليوتي *Le Maroc De Lyautey*"⁴.

و في حقيقة الأمر فإن منظومة السلفية المجددة وجدت نفسها في حرج كبير أمام عدة سياسات بدأت سلطات الحماية في تطبيقها في المغرب بعد الحرب الكبرى على رأسها السياسة البربرية التي تمثلت في صدور الظهير البربري في 16 ماي 1930⁵. فقد كان هذا الظهير محل انتقاد لاذع من طرف الحجوي بنفسه في رسالة للمقيم العام⁶. و في تقرير له عن "حال المغرب بعد الحماية"⁷ اعتبر أن سياسة ما بعد ليوتي أيقظت المغاربة من التنويم الذي مورس عليهم حتى من طرف ليوتي نفسه الذي وعدهم بمغرب ما بعد الحرب فيه الكثير من الرفاهية وإذا به أصبح حاله فيه الكثير من "الفقر و القلة"⁸. و يبدو أن الحرب العالمية الأولى

¹ - Daniel Rivet *Lyautey Et L'institution Du Protectorat*, T3, op.cit. p 279.

² - Daniel Rivet *Lyautey Et L'institution Du Protectorat*, T3, op.cit. p 296.

³ - Ibid.

⁴ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit. p, 38.

⁵ - سيتم التطرق لهذا الظهير لاحقا.

⁶ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 185.

⁷ - المرجع نفسه.

⁸ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 186.

كانت بالنسبة لهؤلاء بداية مرحلة جديدة في تعاطيهم مع نظام الحماية. لأنهم بدؤوا في تقديم له من خلال جوانب محددة مرتبطة بالأوضاع العامة للمغاربة التي عرفت تدهورا كبيرا لم يستطع الحجوي و النميشي و المواز و ابن الأعرج و غيرهم تغاضي النظر عنها. سواء في مجال الاقتصاد الذي اعتبروه تضرر كثيرا بالحماية سواء من خلال نزع أراضي المغاربة والتوسع الفلاحي الاستعماري الذي كان يتناقض مع بنود معاهدة الحماية نفسها. وحتى المجالات الأخرى من حرف و تجارة التي لقيت الكثير من الإهمال والتضييق من طرف الكولون الجدد. وكذلك حجم المكوس و الضرائب التي تضاعفت على روس المغاربة. فشلت حركتهم وأصبحوا رهينة لهذه السياسة الاستعمارية التي أرادت من خلالها باريس تعويض خسائر الحرب العالمية الأولى¹.

لقد بدأ المغاربة كغيرهم من الشعوب المستعمرة بحركة مطالب سياسية مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى. فقد كانت المقاومة السياسية من بوادر النهضة التي عرفها المغرب بعد الحرب بالرغم من أن المقاومة المسلحة كانت متواصلة. و لكن هذه المرة فقد "بدأ الشعب يتحرك"². و من خلال اللوائح و المطالب التي وجهها المغاربة لسلطات الحماية نسجل عدد منها كان من تحرير العديد من السلفيين المجددين. و إن جاءت بعضها في ضمن مؤلفات و كتب. و لكن جاءت أخرى في شكل عرائض صريحة تطالب بتحسين أحوال المغاربة من جميع الجوانب بما فيها السياسية. كما جاء ذلك في اللائحة التي أرسلها أحد رموز السلفية التجديدية أحمد بن محمد النمشي إلى المقيم العام "ستيق" في سنة 1926. وقد تضمنت مطالبته بتنفيذ وعده التي جاءت في خطاب تنصيبه. و قد قدم في هذه العريضة سردا لحالة المغاربة من جميع الجوانب التي وصفها بالضعف والتدهور. كما تضمنت مجموعة من البنود تضمن إصلاح أحوالهم³. و يعتبر هذا بحد ذاته ثورة في طبيعة حركة هذه الفئة التي ألقت الإقرار بمحاسن الحماية و مزاياه الكثيرة. و كانت تطالب المغاربة بالانخراط في مشروعها لأنه سيخرجهم من التخلف الفكري و المادي. و اعتبرت في العديد من كتاباتها الحماية الفرنسي على المغرب مدخل لاستفادة المغاربة من الحضارة الغربية. و لذلك لم يجد زعمائها

¹ - محمد البكراوي، المغاربة و الحرب العالمية الأولى، مركز الدراسات و البحوث العلوية، الرباط، 2005، ص، 197-209.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 76.

³ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 198.

حرجا في تقلد مناصب سياسية و إدارية عالية في الأجهزة التي كانت تشرف عليها سلطات الحماية.و كانوا يتعاملون مع هياكل الحماية بكل إيجابية.

يبدو أن تغيير موقفهم جزئيا لا جذريا يعود لتقديرهم بأن الفرنسيين انصرفوا عن مشروع الحضارة الغربية في المغرب لأنهم قاموا "بجزارة الحماية" و نقلوا عدد من أشكال التنظيمات الاستعمارية التي كانت تطبق في "مستعمرة الجزائر" و بدؤوا في تجريبيها في المغرب خاصة عندما بدأ مبدأ الاستيطان محركا لحركة الكولون في مختلف أنحاء المغرب.و لعل الصراعات بين المستوطنون و المغاربة حول مسألة المياه في فاس و مكناس و غيرها من مناطق البادية المغربية بعد الحرب العالمية الأولى من مظاهر هذا التوجه.فقط ظهرت حقيقة الحماية و لم تعد أكثر من خيال تخيله ليوتي.و سراب أراد بعض المغاربة الوصول إليه و على رأسهم هؤلاء السلفيون المجددون¹.و في جوان 1920 قام بعض عناصر من النخبة المغربية بالمطالبة بعدد من البنود لصالح المغاربة اجتماعيا و ثقافيا.و في سنة 1921 قام عدد من وجهاء الرباط و سلا بتحريض تجار المدينتين على عدم دفع "ضريبة الكياب".و قد انتهت هذه الأحداث بنفي عدد من منسوبيها من بينهم عبد الله بن سعيد والحاج بن عيسى الحلو و الحاج محمد البحراوي و الحاج بوبكر بلكورة.و قد كانوا كلهم من وجهاء المدينتين الذين كانوا من "ذوي الحثيات في الوسط المغربي"².

إذا كان رموز السلفية التجديدية قد تحاشوا مواجهة نظام الحماية في قضايا السياسة و الإدارة فإنهم كانوا غير متحفظين في المسألة الثقافية.و لعل أهم قضية طرحوها بحماس كبير هي قضية إصلاح التعليم الأصلي في المغرب.التمثلة خاصة في إصلاح جامعة القرويين.و لم تعارض سلطات الحماية هذه المبادرة للمحافظة على هذا المركز المشهور للدراسات الإسلامية حتى يسهل مراقبته و التحكم فيه و توجيهه حسب ما تقتضيه مصلحتها.و هو نفس المشروع الذي قامت به بريطانيا في مصر في السيطرة على جامعة الأزهر بعد تدجينه³.و في أوت 1921 وجه عدد من وجهاء و علماء فاس عريضة لمطالبة حاكم منطقة فاس لمطالبته

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit., p 95.

² - تعود أسباب هذه الحوادث لضريبة استحدثتها سلطات الحماية في الرباط و سلا على التجار الذين كانوا يقومون بتغطية مداخل محلاتهم بستر من الخشب أو غيره للوقاية من المطر و الشمس.أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01 مصدر سابق، ص250.

³ - عيسى إبراهيم شحاتة، الكتاب الأسود، الاستعمار البريطاني في مصر، الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة، 1966.

بإصلاح القرويين لأن "الساعة تحتّم طرق أبوابه لعرض عليه قضية أصبحت من أهم الضرورات. و التي هي بحاجة إلى أن تقوم على أسس متينة"¹.

لقد ساهمت السلفية المجددة في الوطنية المغربية بخطاب حدد مصلحة الأمة ببعديها الديني والمدني، وهي وطنية جديدة لم يعهدها المجتمع المغربي من قبل، تميزت برغبتها في الحفاظ على هويتها التاريخية بدون أن يكون ذلك على حساب تقدمها و رقيها. وبالرغم من طرحها العلمي المؤسس، فإنها عجزت عن التحول إلى قوة اجتماعية، وبقيت في شكل مبادرات فردية في كل تحركاتها. فلم يظهر أي تنظيم أو مؤسسة تبنت أفكارها. ولم تصدر أي صحيفة للتشهير بأطروحتها. وعلى العكس من ذلك حافظت باستمرار على علاقتها الهيكلية بالمخزن وحتى نظام الحماية. فكل هذه الأسباب و غيرها أدت إلى عزلة هذا الطرح في المجتمع المغربي وعدم وجود أي صدى شعبي له. فقد كان لها زخما فكريا و إنتاجا أدبيا كثيفا. و بعدا تجديديا في طرحها الاجتهادي. إلا أن كل ذلك لم يكن ذا تأثير على المجتمع المغربي.

لقد كان هذا المجتمع بحاجة إلى نخبة أخرى ذات طرح جذري. و لا تعتبر أن في منظومة الحماية ما يؤدي إلى الخلاص منها بحد ذاتها. فالفكر الاستعماري جزء من الحضارة الغربية. و "النظام الذي خلق الفوضى في أوروبا هو علمي واستعماري في آن واحد، فإذا ما كان في أوروبا فكر بمنطق العلم، أما إذا انساح في العالم فإنه يفكر بعقلية الاستعمار فالمستعمر (بكسر الميم) الذي تعود تسخير المستعمر (بفتح الميم) في العمل لوتته (انحرف) عن مهمته الحقيقية وعرته عن معنى حضارته. و كانت مباشرته لظلم الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) سببا أنساه العدالة و أصولها من احترام القانون و الشعور بحق الآخرين" كما قال بذلك مالك بن نبي². فقد أدرك هذه الحقائق جيل آخر تأثر بالمقاومة الريفية، و مقاومات مسلحة أخرى، التي أحدثت وعيا و إدراكا لديه. فلم يعتبر منظومة الحماية جزءا من حل الأزمة المغربية. وهو الذي عبر عنه علال الفاسي بقوله أنه "وجد في دائرة الحركة السلفية الجديدة ميدانا لبذل نشاطه لخدمة الأمة و التضحية في سبيلها"³.

¹ - سيتم التطرق بأكثر تفصيل و تحليل لمسألة إصلاح القرويين لاحقا في عنصر "دور القرويين". انظر محمد حسن الوزاني مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 259.

² - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 131-135.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق 159.

لقد اعتبر محمد حسن الوزاني الحركة السلفية الجديدة مظهرا أساسيا من مظاهر "مخاض ونشوء" الحركة الوطنية المغربية¹. و"دعوة إصلاحية تجديدية ظفرت بالكثير من الأنصار شيوخا وكهولا وشبابا بعد الحرب العالمية الأولى"². وقد اتفق كل الدارسين لهذه الظاهرة بأن ظهور السلفية الجديدة في المغرب كان نتيجة ذلك السجال الكبير الذي دار بين هؤلاء السلفيون الجدد، أو الوهابيون الجدد، أو الحنبلليون الجدد³، و شيوخ الطرق و الزوايا حول عدد من المسائل الدينية من بينها الممارسات الدينية و الطقوس الاجتماعية كانت منتشرة في المجتمع المغربي. و كانت الزوايا تشجع و تعتبره من المعلوم من الدين بالضرورة. و لكن هؤلاء السلفيون الجدد رأوا فيها انحراف عن الدين الحقيقي. و وسيلة لتخدير الشعوب و إخضاعها للسيطرة الأجنبية.

فقد قامت السلفية الوطنية أولى معاركها مع الطرق و الزوايا فاعتبرت ممارساتها انحراف عن الدين الأصيل بالكثير من الخرافات والأساطير. كما "وجد الاستعمار فيهم ضالته المنشودة كأدوات تخدير للعقول وطمس للبصائر وتثبيط للهمم و استسلام للغالب الدخيل"⁴. و كان لصحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثل "الشهاب" و "البصائر" دورا كبيرا في دعم هذه الحركة نظرا لما كانت تصدره من مقالات للمغاربة بالإضافة إلى مجلة "المنار" لرشيد رضا و مجلتي "الفتح" و "الزهراء" لمحِب الدين الخطيب⁵.

بالرغم من أن أطروحة السلفية الجديدة أثارت الكثير من الجدل في الساحة المغربية، فإنها لم تكن جديدة تماما في المغرب. و ليست هذه أول مرة تنفذ مثل هذه الأفكار إلى المغرب

¹ - خصص محمد حسن الوزاني جزءا كاملا من مذكراته حول "التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية" للعوامل المساهمة في نشأة هذه الحركة تحت عنوان "طور المخاض و النشوء" و قد خصص فصلا كاملا للحركة السلفية نشأة و مسارا و تأثيرا على الحركة الوطنية المغربية.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص، 327، 328.

³ - بالرغم من صحة أصول هذه الحركة تاريخيا بتصريح من علال الفاسي الذي اعتبر "باعث السلفية حنبلي لتطهير الدين من الخرافات التي ألصقت به و العودة على روح السنة المطهرة". فإن استعمال هذه التسميات في ذلك السياق التاريخي. و إطلاقها على هؤلاء الشباب كان بغرض تشويههم. و قد كانت الإدارة الاستعمارية و بوحى من الشيوخ الزوايا و الطريقة من وراء هذه التسميات للحد من تأثيرهم في المجتمع المغربي. و اعتبار حركتهم دخيلة و غريبة عن المجتمع المغربي. و هي تقريبا نفس الممارسة التي تمت في الجزائر عندما سمي ابن باديس و الإبراهيمي و غيرهم من العلماء المسلمين الجزائريين بالوهابيين و الحنابلة و غيرها من التسميات. أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق 156.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص، 328.

⁵ - المصدر نفسه.

مجتمعا و سلطة. فقد ذكر علال الفاسي أن "الثورة الوهابية" قامت في المغرب لأنه كان لها صدى استحسان و قبول لدى سلاطين الدولة العلوية. حيث رحب بمبادئها السلطان مولاي سليمان (1792-1822)¹. و في فترة حكم السلطان الحسن الأول (1874-1894) دخل الشيخ عبد الله السنوسي إلى المغرب و حمل معه فكرة الجامعة الإسلامية. و ساهم في بلورة اتجاه سلفي جديد في أوساط النخبة المغربية التقليدية. و قد تقبل السلطان الحسن دعوته بارتياح لأنه كان يرى في الجامعة الإسلامية وسيلة لدفع الأجانب من خلالها. فلم يدخر جهدا في تدعيمه لنشر المبادئ السلفية². كما كان السلطان عبد الحفيظ (1908-1912) من أكبر المتحمسين لهذه الدعوة. و كان له فضل كبير في إظهار هذه المبادئ و تأييدها خصوصا بعد أن اظهر شيوخ الزوايا تعاونا كبيرا مع التدخل الأجنبي. و هو الذي كانت بيعته مشروطة بجهاده للمحتل الغازي³.

لكن يبدو أن هذا الاتصال و التوافق الذي حدث بين هذه الدعوة و السلطة المركزية في تلك الفترات كان من اجل دعم مسألة من مسائل سياسة المخزن المغربي. مثل مسألة النهضة التي اهتم بها عدد من السلاطين العلويين الأشراف كما هو الحال للحسن الأول الذي رأى في الجامعة الإسلامية مشروعا أصيلا لمواجهة الأطماع الأجنبية التي كانت تسعى لتدويل القضية المغربية من خلال مؤتمر مدريد سنة 1880⁴. و لذلك لم تنجح حركة عبد الله السنوسي بالرغم من تدعيمها من السلطان بشخصه على حد تعبير شارل أندري جولييان⁵ وكذلك لأن هذه السلفية لم تتخذ ذلك البعد الاجتماعي التحرري الذي ظهرت به فيما بعد عندما واجهت مؤسسات الزوايا و الطرقية، و الاستعمار الفرنسي في نفس الوقت. ففي هذه المرة لم يكن منطلق السلفية فوقيا و فكريا و فلسفيا كما كان الحال لجماعة الحجوي و الأعرج السليماني و احمد بن المواز و آخرون. و لكنه كان قاعديا و عمليا، فقد كان من ورائها جماعة من النخبة المغربية التي ظهرت في منتصف العشرينات من القرن العشرين التي

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق 153.

² - محمد العربي معريش، المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 180.

³ - قام السلطان عبد الحفيظ بمنع كل الاحتفالات التي كانت الزوايا تقوم بها كما أغلق زاوية الكتانيين و سجن شيخها. و لذلك أظهر عبد الحكي الكتاني عداوة كبيرة للأسرة العلوية و كان من وراء عدة مؤامرات. أنظر، علال الفاسي، مصدر سابق ص 153.

⁴ - محمد العربي معريش، المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 180.

⁵ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit., p, 153.

ترزعت النضال الوطني التحرري. و اعتبرت "السلفية" تعبيراً عن الحمية الوطنية. و لذلك وقع هذا التداخل بين "السلفية" و الوطنية" التي أصبح بينهما علاقة عضوية في مرحلة الكفاح التحرري¹. بالرغم مما أثارت هذه العلاقة من خلاف و تأويل. فإنها في جميع الأحوال "الدعوة السلفية التي امتزجت بالدعوة الوطنية. و كان ذلك ذا فائدة مزدوجة على السلفية و الوطنية معا". على حد تعبير علال الفاسي². وهي "السلفية الجديدة"³. التي نجحت في المغرب إلى درجة لم تحصل عليها حتى في بلاد محمد عبده و جمال الدين الأفغاني⁴.

إن الحديث عن السلفية الجديدة في المغرب الأقصى يرتبط ارتباطاً مباشراً بالنشاط الدعوي و العلمي الذي قام به كل من الشيخ أبو شعيب الدكالي⁵ في الرباط. والشيخ محمد بن

¹ - محمد عياد، السلفية الوطنية، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، ج1، الكفاح الوطني في مواجهة الاستعمار منشورات المندوبية السامية، لقدماء المقومين وأعضاء جيش التحرير، منشورات عكاظ، الرباط، 2005، ص208.

² - اعتبر علال الفاسي أن الوطنية المغربية انتقلت من السلفية للوطنية (الحركات، ص159). و الأمر كذلك بالنسبة لعبد الكريم غلاب بقوله بامتزاج السلفية بالوطنية (تاريخ والحركة الوطنية بالمغرب ج1 ص61). في حين اعتبر محمد حسن الوزاني الحركة الوطنية المغربية دعوة سياسية و سلفية في نفس الوقت (مذكرات حياة و جهاد، ج 01، ص329). أما شارل أندري جوليان فإنه في عدة مقاطع من كتابه يستعمل مصطلح السلفية للتعبير عن الحركة الوطنية. و قد اعتمد في ذلك على شخصية علال الفاسي التي كانت بالنسبة إليه نموذجاً لهذا التداخل إلى حد ذوبان المفهومين في بعضهما البعض. أنظر،

Charles-André Julien, Le Maroc Face Aux Impérialismes, op.cit., p, 156.

³ - تعود تسمية "السلفية الجديدة" إلى تقرير أرسلته إدارة الشؤون الأهلية سنة 1939 إلى مجلس البحر الأبيض المتوسط التي ظهرت في المغرب بعد الحرب العالمية الأولى و التي جمعت بين أحدث الأفكار الثورية و ما سمته بـ "السلفية الجديدة". أنظر،

⁴ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق 154.

⁵ - الشيخ أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي الصديقي، (1878م - 1937م)، هو شيخ الإسلام وحافظ المغرب العلامة المحدث الفقيه المقرئ، أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي الصديقي، من قبائل دكالة، يعتبر رائد الدعوة السلفية في مطلع هذا القرن بالمغرب. تتلمذ على يديه عدد كبير من الشباب الذين اعتنقوا أفكاره و دافعوا عليها. و قد تولى الإمامة والخطابة والإفتاء على المذاهب الأربعة في الحرم المكي. تلقى أبو شعيب الدكالي تعليمه الأولي بمسقط رأسه، على يد شيوخ وعلماء القبيلة وعلمائها من أمثال العلامة ابن عزوز والعلامة محمد الصديقي، و محمد الطاهر صديقي وغيرهم. انتقل إلى الريف حيث زاول بها دروس الفقه والحديث و القراءات. وفي سنة 1897 رحل إلى مصر فمكث بها مدة طويلة، و انتسب إلى الأزهر وأخذ فيه العلم عن علماء الأزهر مثل: شيخ الإسلام سليم البشري، والعلامة الشيخ محمد نجيت، و الشيخ محمد محمود الشنيطي اللغوي الشهير، والشيخ أحمد الرفاعي وغيرهم. و بعد ذلك قصد مكة المكرمة لمواصلة التعلم، وأجازه عدد كبير من شيوخ العلم من البلاد العربية كاليمن و العراق والشام إضافة إلى بعض علماء الهند، و قد حظي عند أمير مكة، خلال هذه الفترة، بالخطوة الحسنة فأكرمه وبألف في احترامه وتعظيمه وقدمه في مجالس العلماء، و لاه بعض الوظائف الدينية، كالخطابة في الحرم المكي، والإفتاء في المذاهب الأربعة. و في سنة 1907 عاد إلى المغرب واستقر بمدينة فاس، وقربه السلطان عبد الحفيظ، و تهاافت عليه علماء فاس و طلبتها وأعيانها. في هذه الفترة أعلن مواجهته البدع و مقاومة الخرافات ونصر السنة. في سنة 1910 أرسله المولى عبد الحفيظ إلى مكة لاقتناء أملاك تحبس على الحرمين ثم عاد إلى المغرب في السنة الموالية 1911 وقد وذاع صيته في كل البلاد العربية، فولاه قضاء مراكش، واشتهر بالزاهة والعدل. في سنة 1912 تم تعيينه وزيراً

العربي العلوي¹ في فاس. فقد كانا بدون منازع رائدا هذا التيار السلفي الجديد في المغرب. وخاصة و أن نشاطهما تزامن مع مقاومة الريف التي كانت دافعا حاسما ليقظة الشباب المغربي فقد انتظم هؤلاء الشباب في مجموعات في عدد من المدن مثل فاس أين كان الشيخ العربي العلوي محورا لهم. وفي الرباط حيث كان الشيخ أبي شعيب الدكالي، الذي لقب بـ "الشيخ عبده المغرب"²، مركزا لاستقطاب عدد من الشباب الآخرين. كما تأسست مجموعة أخرى في الشمال في مدينة تطوان. وقد كان لهذه المجموعات دورا كبير في نشر الوعي الوطني. بعدما أصبحت تتناول الشؤون العامة بأسلوب جديد لم يتعود عليه المغاربة. وقد تمثلت جل تحركاتهم و أنشطتهم في المحاضرات وتبادل الزيارات فيما بينهم وإقامة المناظرات العلمية. كما سَعَوْا

للعدل والمعارف. و في سنة 1932 م قدم استقالته لأسباب صحية فمنح إذ ذاك اعترافا له بالجهود التي بذلها في مهامه؛ لقب "وزير شرفي". توفي في سنة 1937م، وشيعت جنازته في حفل رهيب حضره الأشراف والعلماء والوزراء، و كل أطراف المجتمع المغربي. و دفن بالضرير المكي بالرباط. أنظر، إيمان المعزوزي، الشيخ شعيب الدكالي. مرجع سابق، ص 26 - 39.

¹ - محمد بن العربي بن محمد الهاشمي العلوي المدغري من مواليد 1884م، بالقصر الجديد بمدغرة الرشيدية، بواحة تافيلالت. و هو فقيه مغربي، يعتبر من مؤسسي السلفية الوطنية في المغرب، حيث جمع بين الدعوة إلى السلف ومقاومة الاستعمار، وأعطى روحا جديدة للسلفية التي لا تهم فقط بتصحيح العقيدة بل تولي أيضا اهتماما بمصير المغرب ومتطلبات مستقبله. لذلك وصف بـ "أب الحركة الوطنية". بعد أن حفظ القرآن وجوده، ودرس الحديث وبعض المتون والشعر الجاهلي، اصطحبه والده إلى فاس سنة 1898 وأسكنه في "مدرسة الصفارين" وبقي معه بفاس بضع سنوات يشد أزره، ويذل معه كل الصعوبات التي تعترض دراسته التي كان يتابعها بـ "المدرسة الصباحية". و قد كان في بدايته صوفيا في "الطريقة التجانية"، التي عرفت انتشارا كبيرا في المغرب كباقي الطرق الأخرى مثل "الدراوية" و "الغيساوية" وغيرهما، وكان يدافع عن الطرق وأهلها، إلا أنه بعد قراءته لكتاب "الفرقان بين أولياء الرحمن"، و "أولياء الشيطان" لابن تيمية. ثم أصبح مع أبي شعيب الدكالي من زعماء السلفية الجديدة في المغرب. و قد كان من المتابعين للعديد من الجرائد الإصلاحية مثل "المنار" و "الشهاب" و "العروة الوثقى". كما كان لأستاذه أبي شعيب الدكالي تأثيرا كبيرا عليه فقد اتصل به ابن العربي العلوي وأخذ عنه صحيح الإمام البخاري للقسطلاني والموطأ وجامع الترمذي ومقامات الحريري والنخبة في الاصطلاح لابن حجر وتفسير النسفي، فكان سببا مباشرا في تحوله الفكري الجذري. و يعتبره محمد عابد الجابري مناضلا سلفيا كبيرا سواء أثناء الحماية أو فيما بعدها. وبعد التوقيع على معاهدة الحماية سنة 1912م وإرغام الفرنسيين المولى عبد الحفيظ على التنازل عن العرش واستقراره بطنجة، انتقل الفقيه محمد بن العربي من فاس إلى طنجة كأستاذ لأبناء عبد الحفيظ، ثم عاد إلى مدينة فاس سنة 1915م، وبعدها عين قاضيا بفاس الجديد والأحواز، وكان قضاء فاس. وبقي بهذا المنصب مدة، ثم ترأس مجلس الاستئناف بالرباط سنة 1928، ثم وزارة العدل سنة 1938. وكان من المؤيدين السلطان محمد بن يوسف في صراعه مع نظام الحماية. ورفض بيعه ابن عرفة، فتعرض من جديد للنفي إلى تيزنيت، وعُذِّب على كبر سنه، وعاد إلى فاس بعد أن بقي في المنفى سنتين. وتوفي سنة 1964، ودفن في تافيلالت مع أبيه وأجداده. تنفيذًا لوصيته. أنظر، محمد الوديع الأسفي السلفي المناضل الشيخ محمد العربي العلوي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1، مصدر سابق ص 329.

إلى تأسيس عمل صحفي من خلال إصدار مجلة تحت عنوان "أم البنين"¹.و قد نسجت هذه المجموعات في بينها شبكة من العلاقات كبيرة بدأت في أول الأمر بنقاشات فكرية في بينها حول عدة مسائل متعلقة بالسبل و الطرق التي يمكن العمل بها ميدانيا.و قد كان لذلك أثر كبير على ظهور المنظومة الفكرية للسلفية الجديدة.بعدها اتفقت كلها على نفس التصور و المنهج. من جهة أخرى فقد كان للنقاش الفكري الذي قامت به هذه الجماعات مع شيوخ الطريقة و الزوايا دورا كبيرا في بلورة فكرها و منهجها.بل كان ذلك مدخلها الأساسي للدخول إلى المعتزك السياسي المغربي ففي العديد من المرات ارتجل أحد هؤلاء الشباب كلمة في التجمعات الشعبية و في المساجد أو في مناسبات أخرى.ليوجه جملة من الانتقادات في حق الطريقة و شيوخ الزوايا.و قد أدى ذلك إلى وحدة في الرؤية الفكرية التي جمعت هؤلاء الشباب و حددت رؤيتهم المستقبلية.و قد برز في هذه الحرب الأخوان محمد مكي الناصري و محمد بن اليماني الناصري.ففي سنة 1925 أصدر محمد مكي الناصري كتابا تحت عنوان "إظهار الحقيقة وعلاج الخليفة" الذي كان بمثابة بيان للحركة السلفية الجديدة.لأنه استطاع أن يحصل على إجماع قلما ناله كتاب آخر².فقد تضمن هذا الكتاب الإيديولوجية السلفية الجديدة وخطوطها العريضة وأهدافها³.و قد تم تدعيمه و توضيحه و إثرائه بمؤلفات أخرى اعتبرت من المراجع الأساسية لهذا التيار من بينها الكتاب الذي ألفه شقيقه وأستاذه محمد بن اليماني

¹ - ذكر علال الفاسي أنه ضمن الأنشطة التي كان يقوم بها الشباب المغربي في مدينة فاس إصداره لجريدة تحت عنوان "أم البنين" التي كانت تصدر بانتظام في أربعين صفحة و تكتب باليد على طريقة المصنف ثم يتم توزيعها على الجماعات السرية بفاس و الرباط و مراكش و طنجة و تطوان. كما كانوا من حين لآخر يتصلون بإخوان لهم في الخارج من أجل التنسيق في عدة أنشطة من بينها التكثيف من النشاط الصحفي.أنظر، علال الفاسي،الحركات،مصدر سابق،ص159.

² - صدرت أول نسخة له في سنة 1925 بمطبعة النهضة بتونس.و قد ختم بالكثير من التقریضات (المدح) من بينها التي قدمها شقيقه و أستاذه محمد بن اليماني الناصري التي جاء فيها"هذا علاج الخليفة تلوح فيه الحقيقة لمن أراد الطريقة و حاز خير سليقة" و تقریظ آخر لرئيس العلماء و شيخ الجماعة الرباطية سيدي أبي حامد البطاوري جاء فيه" هذا دواء البرية تبين منه المزية لمن أحب المزايا و حاز خير السجية فالعلم كثر ثمين لمن نحاه بنية معتكفا بحماه بالعزم و الأريحية"و نظرا لما كان لهذا الكتاب من تأثير فقد هدد صاحبه بالقتل مما أدى بالسلطان يوسف و حمايته كما طلب منه صلاة التراويح في مسجد الرباط.اين كان يصلي تعبيرا عن موافقته على مضمون الكتاب.أنظر،محمد مكي الناصري إظهار الحقيقة و علاج الخليفة،تخريج و تحقيق محمد برعيش الصفريوي ، منشورات السبيل،طوب بريس،الرباط،2010،ص،219.

³ - محمد معروف الدفالي،أصول الحركة الوطنية،مرجع سابق،ص224.

الناصري تحت عنوان "ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار"¹. الذي صدر سنة 1927. وقد تضمن هذا الكتاب فصلا كاملا تحت عنوان "لا طرق في الإسلام"². لأنه كان ردا على ما كتبه بعض شيوخ الطريقة لإعادة الاعتبار لمكانتهم الاجتماعية بعد صدور كتاب "إظهار الحقيقة"³. و قد شكل هذين المؤلفين المرجع النظري و العملي للسلفية الجديدة. فقد أصبحت أكثر عملية و انسجاما مع مقتضيات المرحلة التي كانت صراعا بين السلفية و الطريقة. فهذين الرسالتين كان لهما الأثر الكبير في نفوس الناس مما أدى إلى ثائرة الخصوم و حماتهم من المستعمرين⁴.

لم تقتصر السلفية الجديدة على تقديم برنامجها في حالته النظرية فقط. و لكنها اتجهت إلى مجال صياغة توجهاتها الفكرية إلى مقترحات و بنود يمكن أن تشكل برنامجا عمليا و متكاملا و قد مس عدة جوانب، منها الاجتماعية و الثقافية. فتحت تأثير نشاط النخبة السلفي الوطنية ألغيت الكثير من ممارسات و التقاليد التي كانت الطريقة تحييها في عدة مناسبات فأصدر السلطان محمد بن يوسف عدة ظهائر سنة 1933 منعت العديد من الطرق مثل، "العيساوة" و "حمادشة"، من القيام بعدة ممارسات و صفتها تلك الظهائر بالهمجية. و قد ذكر علال الفاسي أن أحد المستشرقين و هو "جوزيف دير مانجيم *Joseph Mangin*" صدمه ذلك المنع و تأسف على النهاية التي آلت إليها الطريقة في المغرب. فحتى باريس أدركت القوة التعبوية

¹ - صدرت أول نسخة له في سنة 1927 في الرباط. و قد كان محل تقييد من طرف العديد من زعماء الحركة الوطنية من بينهم عمر عبد الجليل أحد قادة الحزب الوطني و حزب الاستقلال و قد جاء فيه "نحن شباب القوم روح الأمة في حاضرها و أملها في مستقبلها و لا نرضى بأن نستكين لأصحاب الطرق. فهم أفنوا حياتهم في تسكين و تمهيد روح السعي و التقدم و الآباء في الأمة. و ما ذلك إلا خوفا من أن تخسر تجارتهم أو يخفق نجمهم إذا انتبه الشعب من رقادده. و تبصر في ماضي آباءه و أجداده. و شمر على ساعده للقيام بواجباته. أنظر، محمد بن اليماني الناصري، ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار، المطبعة الأهلية، الرباط، 1927، ص، 12.

² - محمد بن اليماني الناصري، ضرب نطاق الحصار، مصدر سابق، ص 156.

³ - من بين هذه الكتب "نهاية الانتصار و غاية الانكسار على صاحب الإظهار" للأحد شيوخ الطريقة المسمى الشرقي الشرفاوي و كتاب آخر تحت عنوان "تحفة المنصفين و تذكرة المخالفين" لشيخ طريقي آخر يسمى مصطفى الغربي. و لذلك رد عليهما أحد السلفيين الجدد بكتاب تحت عنوان "لا شرقية و لا غربية" بالإضافة إلى ما أورده محمد بن اليماني الناصري، في عدة مقاطع من كتابه بجمعهما معا. مثل قوله "إن نقدك يا شرقي أو يا غربي لا يدل على أنك تبصر فضلا عن أن تتعاطى الفن فضلا عن أن تستقل بالانتقاد". أنظر، محمد بن اليماني الناصري، ضرب نطاق الحصار، مصدر سابق، ص، 34.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1، مصدر سابق ص 331

التي أصبح يتمتع بها هذا التيار في المجتمع المغربي¹. و على غرار " السلفية المجددة" اعتبرت السلفية الجديدة نفسها حركة وضعت هدف إصلاح الأمة المغربية هدفا أساسيا لها وبالنسبة لأوضاعها آنذاك فإنه كان على هذه السلفيون الجدد أن يواجهوا ثلاثة مستويات من التحديات و هي الطرقية أولا، التي كانت سبب وجودهم، و محاربة الاستعمار ثانيا، و ثالثا معالجة "المغرب المريض" الذي أصابته الكثير من الانحرافات في مختلف المجالات. إلا أنهم على الجانب الثقافي منها لتقديرهم له بأنه سيصلح الجوانب الأخرى.

فقد كتب مكي الناصري في "إظهار الحقيقة" أن "الترقية من القسم الذي لا تقتضيه أصول الدين و لا تتناوله أدلة الشرع، و هذا ما يسمى بالبدعة و الضلالة و هو مردود على صاحبه لقيام البرهان على منعه من الكتاب و السنة"². فقد كانت مواجهة الطرقية بالنسبة للسلفيون الجدد أهم مدخل من مدخلات إصلاح الأمة. لأن ذلك يؤدي إلى تحرير العقل من الجمود و الركون والغوص في الروحانيات المنحرفة. فإذا كانوا يعتبرون الدين الإسلامي عماد المجتمع. وأساس كل حركة، و منطلق أي تفكير، فإن الضرورة تقتضي تنقيته من تلك البدع و الخرافات التي ألصقها به شيوخ الطرقية الذين "حصلوا على مراكز عظيمة في القلوب، و استعمروا متسعاً كبيرة كانت فارغة في النفوس، لما لهم من القدرة على تملك المشاعر، و السيطرة على الإحساس والوجدان"³. و لم يكتفي السلفيون الجدد بمحاربة الطرقية في جانبها النظري، و لكنهم قاموا بذلك عمليا من خلال التنقل إلى الأماكن التي كانت موعدا لتجمع الطرقيين لممارسة العديد من طقوسهم وعاداتهم مثل "الحضرة التي يوهمون بها الناس أنهم وقتئذ يكونون في حضرة الله تعالى، و ما هم إلا في حضرة الشيطان لعنه الله، و محي مددهم و عددهم"⁴. و لم يتركوا هؤلاء مجالا ظهر فيه شيوخ الطرقية و إلا و بحثوا فيه و كشفوا انحرافاتهم التعبدية فيه. و إبعاده عن أي أصل شرعي صحيح سواء من القرآن أو السنة

¹ - ذكر علال الفاسي أنه في سنة 1933 التقى بالمستشرق الفرنسي "إميل دير مانجم Joseph Mangin صاحب كتاب "حياة محمد". و قد كان قد كتب حول السلفية في المغرب سنة 1925 بصورة إيجابية متمنيا لها في خاتمة كتابه بالنجاح. و لكنه تأسف أمام علال الفاسي عن النهاية المأساوية للطرقية فتعجب منه الفاسي مستفسرا منه هذا التناقض بين ما كتبه حول السلفية في المغرب و موقفه من توقيف نشاط بعض الطرقية أجابه بما يلي: "لم أكن أظن أنكم ستنجحون إلى هذا الحد و بمثل هذه السرعة". أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 155.

² - محمد مكي الناصري إظهار الحقيقة، مصدر سابق ص 161.

³ - المصدر نفسه، ص 181.

⁴ - المصدر نفسه.

النبوية الشريفة.التي "يجب إتباع فضائلها كلها لأنها رأس الكمالات بأسرها أما الابتداع فهو رأس الفضائح و المصائب والسبب في اضمحلال الأمم و انحطاطها"¹.

فقد كان مقصدهم في التركيز على النصوص الشرعية هو التجديد الإسلامي الذي كان أصلا مشتركا لكل الحركات السلفية،مع خلاف وسيلة تحقيقه.و هو بطبيعته مخالف لمضامين الطريقة التي كانت تتصف بالجمود و الركود و تجميد العقل." فالطرقيون و الحزب الرجعي يدعون إلى التوكل و الراحة و الركون إلى عدم العمل.و هذا هو غاية ما تتطلبه نفوس الكسالى.فهم يقصدون أقبح ما في الإنسان و هو الكسل و التوكل و حب الحطام"².أما "حزب الإصلاح فإنه يخاطب العقل أي أحسن ما في الإنسان.و يقول للناس جميعا إذا أردتم رضى الله فأعملوا بما في كتابه.و إذا أردتم الغنى فخذوه و اكتسبوه من وجوهه الشرعية"³.

لقد كان مدخل السلفيون الجدد للمجتمع هو التعريف بالدين الصحيح و النقي الذي يحرك المجتمع المغربي نحو عزته و ازدهاره.و لذلك هاجموا الطريقة و شيوخها و أعطوا لذلك أولوية كبيرة.فالنسبة لهم مواجهة الاستعمار تبدأ بالقضاء على درعه الواقى في المجتمع المغربي و هم الطرقيون.لأن هؤلاء زرعوا الضعف و الهوان في النفوس فشلت هذه الأخيرة عن الحركة و رضيت بالذل و الهوان الذي جاء به الاستعمار.فقد أدى تواطؤ هؤلاء معه إلى فقدانهم صفة الوطنية عنهم التي كان معناها الوحيد آنذاك يؤدي لمواجهته لا التعاون معه⁴. و قد اتخذت السياسة الاستعمارية في خطابهم، مجالا كبيرا في أدبيات السلفية الجديدة.فقد اعتبرته تحصيل حاصل لأوضاع المغرب منذ مطلع القرن العشرين.بما أصابه من جمود و تخلف في جميع المجالات.و بالنسبة إليهم فإن سيطرة جنس بشري على آخر لا تقبله طبيعة الإنسان و إلا إذا كانت منحة.و لذلك قبل أن يستعمر المغاربة أصابهم تخلف و تقهقر حضاري كبيرين و بالنسبة لهم فإن الاستعمار ما كان له أن يحقق ما حققه من قهر و ظلم لو لم يجد من بين تلك الشعوب التي استعمرها من الدعم و المساندة من حيث لا يعلمون في غالب الأحيان فاستبداد تلك الشعوب من طرف بني جلدتها لتحقيق مصالحهم و أغراضهم التي تتنافى مع مصالح أممهم و شعوبهم.فالتدخل الأجنبي لم يتم في المغرب بتلك السهولة أحيانا

¹ - محمد مكي الناصري إظهار الحقيقة،مصدر سابق ص 168.

² - محمد بن اليماني الناصري، ضرب نطاق الحصار،مصدر سابق،ص،06.

³ - المصدر نفسه،ص،08

⁴ - المصطفى الرئيس،الزاوية الكتانية ،مرجع سابق.

كثيرة لو لم يجد من الدعم و المساندة من طرف الأفراد و المجموعات.و ما قام به زعماء الطريقة يؤكد ذلك فالنسبة لهم الكثير من المكاسب التي حققها الاستعمار في المغرب كانت نتيجة دعم هؤلاء له. و قد كانت مقاومة الريف حاضرة في وجدان هؤلاء.فقد ساهم في ضرب هذه المقاومة و إضعافها كثيرا شيوخ الطريقة.من بينهم "الدرقاوة" و"الخماشلة" و "الوزانيون" الذين قدموا الكثير من المساعدات للإسبان والفرنسيين لضرب هذه الثورة من الداخل¹.و قد ذكر ذلك الخطابي فيما بعد مسميا إياه بـ"تخلف و جهل شيوخ الطريقة".و اعتبرهم من أهم ما قصم ظهره و أفشل جهاده،لأنهم كانوا بين ظهرانيه².

قبل أن يكشف السلفيون الجدد الاستعمار في ممارساته الميدانية،قاموا بتحليله من الناحية الفكرية.و بصورة خاصة لما تم تسليطه على المغرب بما يعرف بنظام الحماية. فالنسبة لهم هو" ابتداء إنجليزي،و دأب الفرنسيون على تطبيقه ضرورة لا اختيارا.و لكن الفرنسي هو رجل الإدارة المباشرة،و هي الطبيعة التي تلائم مزاجه"³.وعندما رأى منظروا الفكر الاستعماري ما كلفهم الاستعمار المباشر من تكاليف مادية و بشرية بتطبيقه في الجزائر و غير بعيد عن المغرب،لجأوا إلى هذا "الاختراع الشيطاني لإخفاء الحقيقة عن الشعب المقهور و عن العالم الخارجي.و هو حيلة لتقديم القبح الاستعماري في صورة مزيفة لكي يصدقها شعب يوجد بلده و ثرواته محط الأطماع"⁴.و لمواجهة الخطابات الاستعمارية التي كان الفرنسيون يستعملونها لتزيين صورة الحماية في المغرب و جعلها ضرورة، كما قال بذلك ليوتي،عندما صرح بأنه لا يوجد بلد آخر يصلح له الحماية مثل المغرب.و أن " مبدأ نظام الحماية و ما ترتب عنه من عواقب سيستمر بصفة نهائية لما فيه من فائدة و امتيازات للمغرب مجتمعا و مخزنا"⁵.ويعتبر مثل هذا التصريح تناقضا حتى مع معاهدة الحماية في 30

¹ - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p 186.

² - ibid, p, 360.

³ - محمد حسن الوزاني،الحماية جناية على الأمة،دراسات و تأملات،مؤسسة محمد حسن الوزاني،فاس،1994،ص،26.

⁴ - محمد حسن الوزاني،الحماية جناية ،مصدر سابق، ص، 17.

⁵ - قال ذلك ليوتي في خطاب ألقاه أمام السلطان مولاي يوسف في 07 ديسمبر 1919.بعد عودته من الجبهات القتالية في أوروبا.فحمل معه رسالة من الحكومة الفرنسية لشكر السلطان على تعاونه مع فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى. و ليؤكد له أن نظام الحماية الفرنسية في المغرب جاء لمصلحة المغاربة.أنظر،

Louis Hubert Gonzalve Lyautey, Louis Miège, Lyautey, Paroles d'actions , op.cit , p , 341 .

مارس 1912 التي حددت مهمة فرنسا في المغرب على أنها "وصاية إدارية" أكثر منها إدارة مباشرة و دائمة.

و هكذا و حتى عندما أراد الاستعمار تبرير أفعاله بالعلوم القانونية، فإنه في حقيقة الأمر قام بانتهاك كرامتها وتلطّيح شرفها و تزيف مبادئها¹. بالإضافة أن ما قامت به فرنسا ميدانيا هو "تجريد ذلك المغربي، المحكوم عليه بالبقاء تحت الحجر أبد الدهر، من حقوقه و مسه بالحرمان و التحريم في كل نواحي معيشتة"². فقد فرض هذا النظام الأكثر بطلانا و نفاقا و إجراما من طرف دولة غاشمة على شعب من ضحاياها³. إنه استغلال بلا حياء و كأن العالم يعيش في العهد القديم⁴.

لقد كانت مقاربة السلفيون الجدد في كشف الاستعمار نظرية بما جاء به من شعارات زائفة و مخادعة. و عملية بما قام به في أرض الواقع من ممارسات أضرت بالمغرب مجتمعا و سلطة. و قد كان مدخلهم في ذلك الطرقية التي ساعدته ودعمته واعتبرته دعما لها وبذلك فالطرقيون "لا يعرفون للوطنية و الغيرة معنى. لأنهم لو كانوا كذلك ما عمدوا إلى مواطنيهم، الذين كانت نيتهم حسنة و ضميرهم طاهر، بمحض الشهوة و الهوى وقبلوا لهم ظهر المجن وأساءوا إليهم"⁵. فقد انتشرت طقوسهم بين العامة الذين هم كالأنعام، في كل الأمم والأقوام، و العجب دخولها على كثير ممن يدعون من الخواص والعلماء وانتصارهم لذلك، و كأنه من عزيز الكمالات في الدين الإسلامي⁶. فقد تعاونت الطرقية مع الاستعمار على قهر المغاربة، والحرص على تخلفهم، و ركودهم، و تقهقرهم، حتى أصبحوا في غالب الأحيان يهنتون به، ويعتبرونه أصلا ثابتا "فالعامة يمنعهم من الرجوع جزمهم بأن الحق مع من يقدونهم و أن ما يقوله غيرهم بدعة محدثة". على حد تعبير مكي الناصري⁷.

1 - محمد حسن الوزاني، الحماية جنائية، مصدر سابق، ص، 18.

2 - المصدر نفسه، ص، 20.

3 - المصدر نفسه.

4 - المصدر نفسه، ص، 26.

5 - محمد بن اليماني الناصري، ضرب نطاق الحصار، مصدر سابق، ص، 23.

6 - محمد مكي الناصري، إظهار الحقيقة، مصدر سابق، ص، 181.

7 - المصدر نفسه، ص، 214.

بالنسبة للسلفيين الجدد أن "علاج الأمة الناجع و دوائها النافع"¹. سيكون بإصلاح أحوال المجتمع المغربي. فقد كان هذا الإصلاح ثالث مهم بعد الطرقية والاستعمار. بالرغم من أنهم من الناحية الميدانية كانوا يعملون على الجبهات الثلاث لتدخلها و تشابكها فيما بينها. و بعد تشخيص عميق لأحوال هذا المجتمع، توصلوا إلى أنه مصاب في عمقه بأزمة عميقة. و قد كان الاستعمار نتيجة و سبب في آن واحد، نتيجة لأن "المغرب المريض" لم يستطع منذ منتصف القرن التاسع عشر أن يصلح أحواله بالرغم من المحاولات الهامة التي قام بها بعض السلاطين مثل الحسن الأول الذي سعى لبناء الدولة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بين 1873 و 1894². بالرغم أنه كان يدرك تلك النتيجة المؤلمة التي انتهى إليها المغرب عام 1912³. وقد أظهرت هذه المحاولة معالم طريق الإصلاح، و لكن وفاته المفاجئة سنة 1894 وانشقاق السلطة المركزية من بعده ألغت كل إمكانية للإصلاح المخزني. نظرا للتجاوزات الخطيرة التي عرفها نظام البيعة العلوية⁴. و لذلك لم يكن لاستعمار إلا نتيجة لتلك التطورات بشكل من الأشكال.

ولكنه أصبح سببا عندما استغل الاستعمار هذه الظروف التاريخية، بالإضافة إلى اختلال موازين القوى بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط للسيطرة على العديد من الشعوب و بينها المغاربة. و بالرغم من انه حمل شعارات رنانة تضمنت العديد من القيم الحضارية من تقدم و رقي، و ما إلى ذلك. و لكن في حقيقة الأمر فإنه استغل المغرب ماديا و معنويا. و حرص على بقاءه عاجزا لا يستطيع النهوض والحركة. لذلك حملت هذه السلفية الاستعمار مسؤولية تخلف الإنسان المغربي. ولم تقدر له أي دور في تطويره و ترقيته. كما آمنت بذلك السلفية المجددة. و طالبت به في أدبياتها لذلك كان الإنسان محوريا للسلفيون الجدد. فطالبوا بتطويره و تنميته و ذلك من خلال إحداث ثورة داخل المجتمع المغربي في عقائده الدينية و نظمه الاجتماعية و

¹ - محمد مكي الناصري، إظهار الحقيقة، مصدر سابق، ص، 213.

² - محمد العربي معريش، المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص، 241.

³ - المرجع نفسه، ص، 68.

⁴ - Abdallah Laroui , les origines , op.cit, p , 76 – 80 .

مبادئه العامة¹. "فعلاج الأمة الناجع فيها والدواء النافع لها، إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كلف في بدايته"².

و من ذلك فإن التوجه الإصلاحى الاجتماعى للسلفيين الجدد تميز بميزتين أساسيتين، فقد كان ذو طابع تغيرى معيارى عميق أولا. و ثانيا بمرجعية محددة فكريا تتمثل فى المنظومة الإسلامية. و لكن بشرط إحيائها و تنقيتها من الشوائب والبدع والخرافات التى ألصقتها بها الطريقة. فقد كان ذلك شرطا منهجيا لهذا الإصلاح. ولتحقيق ذلك يجب إلغائها فلا وجود أصلا لطرق فى الإسلام " لأنه بدونها خير منه بها. و ليست ضرورية لوجود الدين. لأنه تام بدونها فما الأحوج لها إذا. ولم يكن ناقصا قبل وجودها. والمنتمين إليها ليسوا أهدى ممن كان قبلهم من المسلمين، ومن معاصريهم المسلمين الغير المتمسكين بها. و لم تأت هذه الطرق بشيء زائد على ما فى الكتاب والسنة يحتاج إليها الإسلام والمسلمون". على حد تعبير صاحب "ضرب نطاق الحصار" محمد بن اليماني الناصري³.

و قد اعتبر السلفيون دفاعهم عن المرجعية الإسلامية مرده لما فيها من قابلية للتجديد والتطور فمضامينها تملك من الخصائص ما لا تملكها منظومة أخرى ومن بينها باب الرأي و الاجتهاد الذى يعتبر أصلا من أصولها. و لو لم يطبق هذا الأصل فى عدد من المحطات من التاريخ الإسلامى لاندثرت وانتهت هذه المرجعية. ففي العديد من الفترات التاريخية تمكن المغاربة من تطوير أنظمتهم الإسلامية، و تمكنوا من وسائل التطور حسب مقتضيات الحياة العصرية. و "ذلك عن طريق توسيع المبادئ والقواعد التى توجد فى الشرع الإسلامى. لا بواسطة اقتباس الأنظمة من البلاد الأوربية اقتباسا قد لا يكون موفقا و لا تقتضى به مصلحة"⁴. وفي رد السلفيين الجدد على من نسبوا تخلف مجتمعهم للشريعة الإسلامية. اعتبروا أن ذلك مرده إلى عصور التقهقر التى توالى على الإسلام. وأثقلت كاهله وأعاقته عن النهوض والتقدم. وما رافق ذلك من عجز و جهل و كسل للعلماء المسلمين الذى "أصبحوا فى خشية من المسيطرين فانقلبوا بهذا مقلدين جامدين"⁵. فالحضارة الإسلامية تميزت عن غيرها من

¹ - محمد معروف الدفال، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 250.

² - محمد مكي الناصري، إظهار الحقيقة، مصدر سابق ص 213.

³ - محمد بن اليماني الناصري، ضرب نطاق الحصار، مصدر سابق، ص 161، 162.

⁴ - محمد حسن الوزاني، الإسلام و المجتمع و المدنية، دراسات و تأملات، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1987، ص 48.

⁵ - المصدر نفسه، ص 47.

الحضارات بمناعتها الداخلية و حيويتها. فعبّر التاريخ الإنساني كل التجارب البشرية بحثت عن عناصر فكرية خارجية عنها كقيم مضافة حتى حققت الارتقاء. أما الأمة الإسلامية فإن نهضتها دائما تمت من خلال مقوماتها الداخلية التي كلما أعادت بعثها من جديد حققت تطورا. فالرقي والتقدم في الإسلام لم يبتعدا أبدا عن أصوله الأولى. و لم يهجر المسلمون نظامهم الأول في أصوله و كلياته. "و قد يظهر هذا النظام من الخارج أنه جامد، ولكنه في حقيقة الأمر هو دقيق و يتطور حسب الضرورات البديهية"¹.

بالرغم من جذرية المشروع التغييري للسلفيين الجدد، فإنهم كانوا من أنصار مرحلة التغيير وآمنوا بأن ردود أفعال المجتمعات على مشاريع النهضة بطيئة جدا. ويلزمها الكثير من العمر من حياة الأمم، لا الأفراد. ومن خلال مقارباتهم التحليلية لأوضاع المجتمع، و في البحث في سبل تطويره، فإن رؤيتهم كانت مستقبلية بعيدة في مداها الزمني لأنها كانت موجهة للشباب الذي كانوا يعتبرونه ضمان التحرر و النهضة. "فعلاج تلك الأدواء (جمع الداء) الفتاكة يجب أن تكون من جهة الناشئة الحديثة... فلم تعرف قلوبهم تلك المفسد ولا وضعوا زمام أمرهم في يد أحد فيقودهم حيث شاء، بل هم أحرار، فإذا ظهر لهم الحق لم يلبثوا أن يطيروا إليه". على حد تعبير صاحب "الإظهار..."². و بهذه الصفة فإن مشروعهم كان موجها للإنسان المغربي للنهوض به معنويا وأديبا. وتحريره من كل القيود. وعلى رأسها أسباب الاستعمار الموجودة في نفوس المغاربة، حتى أصبحوا يعتقدون أن الاستعمار قدر لا يمكن لأي أن يبعده عنهم، بل السعي لذلك كفرو خروج عن الملة، كما كان يقول بذلك شيوخ الزوايا و الطريقة. و لذلك تحرير هذا الإنسان يبدأ من تحريره من نفسه الراكدة أولا. و إعادة بعث روحه الميتة.

فقد كان ذلك مقاربة جديدة للوطنية قامت بها السلفية الجديدة، حيث "امتزجت الدعوة السلفية مع الدعوة الوطنية. وكان ذا فائدة مزدوجة في المغرب الأقصى على السلفية وعلى الوطنية معا" حسب علال الفاسي³. و سبل خدمة الوطن عديدة و إن أهمها إعلان الحقيقة في كل بلد و في كل زمان⁴. وهو ما يمكن اعتباره مدخلا للفعل الوطني، من خلال النموذج الذي

¹ - محمد حسن الوزاني، الإسلام و المجتمع و المدنية، دراسات و تأملات، مصدر سابق، ص 48، 49.

² - محمد مكي الناصري، إظهار الحقيقة، مصدر سابق، ص، 213 - 214.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 154.

⁴ - محمد مكي الناصري، إظهار الحقيقة، مصدر سابق، ص، 154.

رسمه السلفيون الجدد لتصورهم و آمالهم¹. فقد حولوا الدين إلى محرك للوطنية الحقبة التي تحرر الإنسان المغربي من الجمود والركود والانحرافات و البدع. و تحرر الوطن من الاستعمار. و يؤدي كل ذلك إلى تحرير هذا الإنسان المغربي فوق تلك الأرض المغربية. و هو نفس مشروع الناصر الريفي عبد الكريم الخطابي. الذي كانت البصمة الكبيرة في نشأة هذه السلفية الوطنية الصاعدة. و إذا كانت نهاية مقاومة الخطابي هزيمة عسكرية فإنها كانت تصعيدا نفسيا كبيرا لنخبة المدن التي أصبحت تسعى لتجاوز آثار ذلك الإخفاق². فقد أيقظت هذه المقاومة سائر المغاربة بعد أن أيقظت الحرب الكبرى بعضهم³.

على عكس السلفية المجددة فإن السلفية الجديدة استطاعت أن تتحول إلى قوة اجتماعية بخطاب امتزجت فيه الحمية الدينية مع الحمية الوطنية. و توحدت من أجل تحرير المجتمع المغربي من الركود و الجمود اللذان كان من ورائهما شيوخ الطرقية والزوايا، والمتحالفين مع الاستعمار قلبا و قالبا. و لذلك أعلنوا حربا شعواء عليهم. فكشفوا ممارساتهم الضالة المضللة و كذلك فعلوا مع الاستعمار، للتعريف بحقيقة مسمياته المتعددة. و ممارساته الواحدة فسموها بـ " القبح الاستعماري " الذي كان استغلال لقدرات المغرب البشرية والاقتصادية. فقد ظهر السلفيون الجدد " في وقت تكالب فيه العدو الفرنسي المحتل لنهب خيراته و إفساد هوية أهله بشتى وسائل الحرب، و لذلك وظف ضعاف العقول والأنفس والدين"⁴. و لعلاج هذه الأوضاع اعتبرت السلفية الجديدة تحرير المغاربة من قيود الطرقيين مدخلا لمواجهة الاستعمار. و لذلك اعتبروا الإصلاح فكرة و منهاج. وبالتالي أضحت السلفية المغربية بهذا المعنى خطبا وطنيا يقاوم الاستعمار ومخططاته الإستنزافية لقدرات الأمة من جهة، ويقاوم تدهور الأحوال الداخلية الذي حملوه جل مسؤوليته للطرقية، من جهة أخرى. يعتبر ذلك شكل من أشكال تأثرها بمبادئ الحركة الإصلاحية في المشرق العربي.

وبذلك تكون السلفية المغربية قد تأثرت بشكل كبير بمبادئ السلفية النهضوية في المشرق العربي. ففي كثير من الأحيان كانت دلائلهم و حججهم مما قاله جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. والشيخ محمد رشيد رضا و عبد الله النديم الإدريسي و محمد بدر الدين

¹ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 256.

² - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق، ص 23.

³ - مولاي الطيب العلوي، تاريخ المغرب السياسي، مرجع سابق، ص 24.

⁴ - محمد مكي الناصري، إظهار الحقيقة، مصدر سابق، ص 151.

النعساني وغيرهم من الشخصيات¹. والأهم من كل ذلك أن السلفية الجديدة لم تجعل من نظام الحماية جزءاً من حل أزمة المجتمع المغربي. بل على العكس من ذلك فالنسبة لها يعتبر الاستعمار سبباً أساسياً لانتهيار أوضاع المغرب مجتمعا و سلطنة. وإزالته و تحرير المغرب من أهدافهم الأساسية. و من أسباب وجود قضيتهم. فمن أهم مظاهر "إعلان الحقيقة" إدانة الاستعمار و وصفه بالجريمة الكبرى، التي ترتكب باسم الحضارة و لذلك وجبت مواجهته لا مهادنته. أو البحث عن مواطن الاستفادة منه كما كان الحال بالنسبة للحجوي و جماعته².

و بالنسبة للحركة السلفية فإن أهم وسائل هذه المواجهة هي إصلاح أحوال الإنسان المغربي بتحريره معنويا قبل أن يكون ذلك ماديا. ففي سياق تحليل السلفية الجديدة لأوضاع المغرب اعتبرت الإنسان محور مشروعهم بتحريره من الطريقة المتحالفة مع الاستعمار. و لا يتم ذلك إلا بالنهوض بالمغاربة و تعليمهم و توعيتهم بكل المخاطر المحيطة بهم. و لعل سجلاتهم الكلامية التي كانوا يقومون بها مع شيوخ الطريقة في المساجد و الأماكن العامة كانت بغرض إحداث توعية عامة تمس كل الشرائح الشعبية. و إن كانت أولوياتهم مركزة على الشباب والناشئة. فحتى مناسبة صدور "بيان السلفية الجديدة" كان في سياق مواجهاتهم مع عدد من شيوخ الطريقة³. و قد تعددت أساليب الاتصالات التي كان السلفيون الجدد يقومون بها مع هذه الشرائح. من مناظرات علمية مع شيوخ الطريقة. و إصدارات متعددة الأوجه و المضامين. و أنشطة تعليمية في المدارس الحرة التي كانوا من وراء تأسيسها. فقد كان العلم بالنسبة لهم غاية و وسيلة و اعتبروه سلاح العصر الذي ارتقت به الأمم الأخرى. و بلغت ما بلغته من العز والقوة. و لذلك اتجهوا كغيرهم من الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي إلى المساهمة في بناء المدارس الحرة، و ترميمها والإشراف عليها، و التدريس بها تطوعا في غالب الأحيان. فقد كان إيمانهم بفاعلية سبيل التعليم مصدره مكانة العلم والعلماء في الإسلام

¹ - المصطفى الرئيس، الزاوية الكتانية، مرجع سابق.

² - محمد حسن الوزاني، الحماية جنائية، مصدر سابق، ص، 26.

³ - لقد كانت مناسبة تأليف محمد المكي الناصري لكتابه "بيان الحقيقة و علاج الخليفة" بعد أن ألقى الناصري لقصيدة هاجم فيها الطريقة و الطريقين فرد عليه احد شيوخهم و هو الشرقي محمد الشرقاوي بقصيدة انتصر فيها للطريقة و هاجم الشباب السلفي فاندلعت بذلك معركة شعرية من بين مظاهرها إصدار ذلك الكتاب. أنظر، محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص، 225.

الذي كان مرجعيتهم الأساسية.و في الكثير من الأحيان كان التعليم ممرا للوطنية¹. فالفكرة الإصلاحية التي تستهدف إصلاح الفرد "تطلبت أن يوجد الناطق بفكرة الإصلاح حيثما وجد موضوع الإصلاح نفسه، في المقاهي والأسواق، وفي كل ما تنكشف فيه العيوب الاجتماعية التي يدعو إصلاحها"².

لقد تحولت السلفية الجديدة إلى قوة اجتماعية. وأسست الكثير من المظاهر التنظيمية التي عبرت عن أفكارها. و تبنت منهجها التغييري. و أصدرت عدد من الصحف لتعريف العامة و الخاصة بأفكارها و مبادئها. و إذا كانت هذه الأخيرة موجهة ضد ثنائية الطرقية والاستعمار فإنها سعت كذلك لتحرير الإنسان من ركوده و جموده و تقليده. و تنقية قلبه من مفسد الطرقية التي كانت تدعو النفوس للكسل وتقصد أقبح ما في الإنسان، و هو التوكل وحب الحطام³. و كانت دعوة السلفيين الجدد موجهة لتحرير الإنسان المغربي عن طريق أحسن ما لديه و هو العقل⁴. فقد عبر ذلك الطرح مالك بن نبي بقوله بأنه لا يكفي لهذا الإنسان المستعمر (بفتح الميم) القول بأنه غير قادر على التحرك لأن الاستعمار في بلده⁵، فذلك يعتبر "تلك العملة الشائعة التي يفسر بها حسنوا النوايا عجزهم. كما يستخدمها الدجالون للدفاع عن مشروعات الشعوذة والمخاتلة. والاستعمار باسم قرير العين. مع أن أقل جهد في التأمل يكفي للقضاء على سبب كل ذلك و هو القابلية للاستعمار"⁶.

بعد انطلاق الحركة الوطنية المغربية في مطلع الثلاثينات واحتجاجها على السياسة البربرية الفرنسية، ظهر أن السلفية الجديدة كانت بحق رافدا أساسيا من روافد الحركة الوطنية المغربية. بل كادت أن تكون هي نفسها لتداخلهما مع بعضهما البعض. فكثيرا من المؤرخين و المعاصرين للحركة الوطنية المغربية استعملوا مصطلح "السلفية" للدلالة على الحركة الوطنية المغربية، كما هو الحال لشارل أندري جوليان⁷.

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، ج 01، مصدر سابق ، ص 42.

² - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، ص، 83.

³ - محمد بن اليماني الناصري، ضرب نطاق الحصار، مصدر سابق، ص، 06.

⁴ المصدر نفسه.

⁵ - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، 89.

⁶ - المصدر نفسه.

⁷ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit., p,156

2 . دور جامعة القرويين:

لقد كانت جامعة القرويين بالنسبة للمغرب الأقصى سلطة و مجتمعا على مر العصور مركز إشعاع علمي وثقافي و حضاري واسع امتد إلى كل أنحاء المغرب. و قد جاء في "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لصاحبه علي ابن أبي زرع الفاسي و في ذكره عن "الخبر عن جامعة القرويين و وصفته" أنه " كان موضع جامعة القرويين أرضا بيضاء يعمل بها أصناف الجص و بها أيضا أصناف الشجر لرجل من هوارة كان قد حازها والده من قبله حين بنيت المدينة. و حين أتى وفد القيروان إلى إدريس رضي الله عنه فأنزلهم حوله بعدوة القرويين"¹.

لم تكن جامعة القرويين من خلال موقعها الجغرافي و تاريخها الحافل²، مجرد جامعة تقليدية لتكوين الأئمة والعلماء في المجال الديني، بل كانت تمثل ضمير المغرب وثابتا من ثوابت الشخصية المغربية، فخرجوها هم النخبة الذين كانوا على مر العصور يستدعون لتسيير دواليب الحكم في البلاد ومواجهة التحديات الخارجية. وكان علمائها يُستشارون و يفصلون في أمور الحل والعقد³. إذ لم يكن العلماء المتخرجون من جامعة القرويين في عزلة

¹ - أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص54.

² - تقع جامعة القرويين بمدينة فاس على العدوّة الغربيّة التي اشتقت منها اسمها (عدوة القرويين) بفاس البالي (المدينة القديمة بفاس) وهي من تأسيس فاطمة الفهرية سنة 859م. وانطلاقا من هذا التاريخ تطورت البناية على يد الدول التي تعاقبت على حكم المغرب فعند التأسيس كانت القرويين مسجد صغير. ثم قام الزناتيون بتوسيع المسجد. لتصبح مساحته 3000 متر مربع. وفي عهد المرابطين توسع المسجد بشكل كبير ليتخذ مساحته الحالية ليصبح بما يعرف بـ "الجامع الأعظم". وفي العهود الموالية عرف القرويون اهتماما بالجانب الفني. فقام المرينيون بتأثيث البناية وإنشاء مدارس الطلبة وبناء باب ضخيم يشبه باب جامع الأندلس وفي العهد السعدي تم تزيين الصحن الكبير للمسجد بالرخام. وفي العهد العلوي تم ترميم البلاط وتجهيز الجامعة بالساعات وتأسيس الخزائن العلمية. أنظر، أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، مصدر سابق، ص، 54-75.

³ - أهل الحلّ والعقد هو مصطلح إسلامي يقصد به أهل الاجتهاد، حسب مفهوم علماء الأصول، وحسب الإمام النووي هم العلماء والرؤساء ووجوه الناس الذين يرجع الناس إليهم في الحاجات والمصالح العامة. والبعض يرى أنهم الأشراف والأعيان واتجاه آخر يرى أنهم أولول الأمر المذكورين في الآية "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ" و حسب "الماوردي" في الأحكام السلطانية فإن أهل الحل و العقد هم الذين يمثلون الأمة في اختيار الخليفة باعتبار أن نصب الإمام من الفروض الكفائية على الأمة بمجموعها، يتصدرهم العلماء المختصون (أهل الاجتهاد) والرؤساء، ووجوه الناس وأعيانهم. بقوله " إذا اجتمع أهل العقد والحل للاختيار تصفحوا أحوال أهل الإمامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا وأكملهم شروطا، ومن يسرع الناس إلى طاعته، ولا يتوقفون عن بيعته" أنظر، الماوردي، الأحكام السلطانية، دار الكتب العلمية

عن تسيير الشأن الديني والوطني بمجالاته. فقد كانوا يبتون في القضايا المحلية والمعاهدات الدولية ويبايعون السلطان. ولا تتم البيعة إلا إذا كانت موقعة بتوقيعات علماء فاس، فيكتسب السلطان المبايع هبة اجتماعية ضرورية لاستقرار حكمه. وقد ارتبطت القرويين على مر التاريخ بوظيفتين أساسيتين الأولى تتمثل في إقرار السلطة السياسية وإعطاء الشرعية الضرورية لها، والثانية إلى ما تقتضيه سير الدولة من المصادقة على ما تقوم به هذه السلطة من ممارسات مختلفة¹. أو حتى بمعارضتها و الثورة عليها كما حدث في بعض المحطات التاريخية للمغرب². فقد ظلت بيعة علماء القرويين، خلال القرون الكثيرة التي أعقبت تأسيس جامعة القرويين، حدثاً حاسماً في إقرار السلاطين على عروشهم بالنظر إلى أنها كانت المجمع الذي يضم الطبقة العالية من علماء الدين والقادرين على التأثير المعنوي الحاسم على الفئات العريضة من مختلف الشرائح الشعبية. فقد بقيت على مر القرون ذلك المركز الروحي للمغرب برمته وخصوصاً في العهود التي كانت فيها مدينة فاس عاصمة العلويين الأشراف. وقد ظلت كذلك إلى سنة 1912 عقب إعلان الحماية الفرنسية و تحويل العاصمة إلى الرباط بعد الأحداث التي تعرف بـ "الأيام الدموية لسنة 1912"³.

لقد اعتبر ليوتي جامعة القرويين "البيت المظلم"⁴. وعبر مرارا عن تخوفه من وضع فرنسا في المغرب من تهديد " أصحاب هذه البرانيص والجلابيب الذين يترددون على القرويين

بيروت، 2000 ص 24. و قد داوم المغرب على نظام البيعة وجعله أساس حكمه وقاعدة استمراره، وانفرد من بين الدول الإسلامية بالحفاظ عليه والتشبث به، إذ استمرت البيعة أساسا لاختيار الملوك المغاربة وخلفائهم وأمرائهم. منذ عهد الدولة الإدريسية إلى اليوم ومن و من شروط البيعة لملوك الدولة العلوية الشريفة إقامة الدين وطاعة الله ورسوله، إقامة الشرع بما يرضي الله ويحفظ مصالح العباد بجلب المنافع ودفع المضار، والتمسك بالمذهب الإمام مالك، والإخلاص لثوابت الأمة ومقدساتها، والدفاع عن الوطن ولم أجزائه وجمع شتاته والدفاع عنه. انظر، Abdallah Laroui, *Les origines*, op.cit. p , 71

¹ - Abdallah Laroui, *Les origines*, op.cit. p, 77.

² - كما كان دور للقرويين في تنصيب الملوك فقد كان لهم دورهم الحاسم في خلعهم خاصة غير المرغوب فيهم فقد كانوا من وراء إسقاط الدولة المرينية في عهد عبد الحق المريني الذي ازداد في عهده نفوذ اليهود فانطلقت الثورة ضده من جامعة القرويين بزعامه خطيب القرويين عبد العزيز الوريغلي، حيث تمرد عن طاعة المرينيين، كما كانوا من وراء تنصيب أبا عبد الله الحفيد نقيب الشرفاء الأدارسة سلطانا، كما أباحوا دم يهود فاس. أنظر: محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987 ص 181-186.

³ - عرفت مدينة فاس مباشرة بعد إعلان الحماية الفرنسية و احتجاجا على توقيع معاهدة الحماية مظاهرات شعبية قوية انطلقت من جامعة القرويين تعرف بـ "الأيام الدموية لفاس" و قد أدى ذلك إلى سقوط أكثر من 800 مغربي. وكانت سببا مباشراً في نقل العاصمة السياسية إلى الرباط. أنظر. Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat Français, op.cit., T1, p126 – 130.

⁴ - Louis Hubert Gonzalve Lyautey, Jean Louis Miège, Lyautey, *Paroles d'action*, op.cit. p, 417, 418.

ليخلق حولهم الطلبة و يبنوا فيهم من روحهم الإسلامية المتعصبة"¹.و لذلك سارع للتدخل فيه بما يعرف بقضية إصلاح جامعة القرويين للتمكن من احتوائه، وخوفاً من أن يكون الإصلاح كمبادرة من داخل القرويين، و يكون معاكساً لمنظومة الحماية الفرنسية في المغرب. خاصة و أنه راجت بعد الحماية فكرة إصلاح المخزن للقرويين. بالإضافة أن سلطات الحماية اعتبرت الإصلاح ضرورة حتى لا تعطي مبرراً للطلبة للهجرة نحو المشرق و نقل الأفكار الإصلاحية إلى المغرب². كما كان يرغب ليوتي في تخريج دفعات جديدة من القضاة يأخذون بعين الاعتبار نظام الحماية كمعطى جديد في المغرب بدل أصحاب الحرس القديم للقرويين أو "أصحاب العمائم القديمة" حسب تعبير ليوتي³.

كما أن المجتمع المغربي، و بالأخص المجتمع الفاسي، الذي كان منه عناصر ذكية و نشيطة بفضل أسفارها في أوروبا و مطالعتها في الصحافة العربية لأهم القضايا العصرية. مما أدى إلى استحواذ فكرة تطوير النظام التعليمي لديهم. و بطبيعة الحال فإن القرويين ستمسها هذه الرياح و تفلت من أيدي المراقبة الفرنسية لها. و لذلك فإن سلطات الحماية سيطرت عليها فكرة مفادها أنه في حالة عدم الاهتمام بهذه المؤسسة بما تقتضيه مصالحها. فإن ذلك سيتم من دونهم، بل ضدهم⁴. و لذلك تعددت المشاريع الإصلاحية للقرويين في الفترة الممتدة بين 1914 و 1934، بغرض السيطرة عليها وإفراغها من أي مضمون وطني معارض لمنظومة الحماية⁵.

بالرغم من أن ظهور المشاريع الإصلاحية لجامعة القرويين كانت بعد إعلان الحماية على المغرب. إلا أنه كانت هناك محاولات قبل ذلك في سياق مشاريع الإصلاح في نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20. فظهرت حركة إصلاحية وسط النخبة المثقفة دعت إلى التجديد الثقافي عن طريق إصلاح التعليم. فقد تضمن بند من بنود دستور 1908 لجماعة لسان

¹ - Louis Hubert Gonzalve Lyautey, Jean Louis Miège, Lyautey, Paroles d'action, op.cit. p, 419.

² - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T1, op.cit. p ,241.

³ - Louis Hubert Gonzalve Lyautey, Jean Louis Miège, Lyautey, Paroles d'action, op.cit. p, 420..

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 261.

⁵ - استعمل نظام الحماية كل الوسائل للسيطرة على القرويين و إبعادها عن دورها الوطني. و قد تم ذلك في عدة محطات. وقد اعتبرتها باريس من أخطر المؤسسات على استقرار نظام الحماية في المغرب. أنظر: محمد عمراني، جامعة القرويين، في مابين 1914-1934 منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط ، 1988، ص 146، 162، 160.

المغرب مشروعا ثقافيا تجديديا عن طريق إصلاح التعليم وجامعة القرويين بالذات¹. كما تعالت الكثير من الأصوات من الداخل تطالب بالإصلاح. و يبدو أن ذلك كان صدى للإصلاحات التي عرفها كل من جامع الزيتونة في تونس والأزهر في مصر².

و في سنة 1914 بدأت فرنسا أول تدخل لها في جامعة القرويين عن طريق مشروع إصلاحي كن من وراءه ليوتي. و بقدر ما توجس خيفة من الدور الذي ستقوم به هذه المؤسسة في مواجهة مشروع تأسيس نظام الحماية، لم يكن باستطاعته أن يتدخل مباشرة فيه خوفا من معارضة العلماء والمخزن لما تطرحه المسألة الدينية من حساسية مفرطة في المجتمع المغربي و حتى بالنسبة للمخزن. و لذلك حاول ليوتي الالتفاف على هذه المؤسسة من خلال فرض رقابة على الحبوس التي كانت المصدر الرئيسي لتمويلها. كما أراد فتح قنوات حوار مع عدد من العلماء خاصة مع الذين كانوا ينتظرون فائدة من نظام الحماية مثل محمد بن الحسن الحجوي. و ابتداء من ماي 1914 فتح ليوتي ملف القرويين مع مساعديه في الإقامة العامة. و قد أدى ذلك إلى ظهور مشروع المندوب الفرنسي للداخلية "مرسي *Mercier*" الذي كان يهدف إلى إقامة جسر بين القرويين و المؤسسات الرسمية سواء أكانت فرنسية أو مخزنية. و قد تضمن هذا المشروع مجموعة من الإجراءات³ من أهمها اعتماد مبدأ تعيين شيخ القرويين عوض تزكيته من طرف هيئة كبار العلماء كما جرت العادة منذ القدم. و كذلك تحديد هيئة ثابتة للتدريس وتقديم مرتبات شهرية لهم. وعدم ترك أية فرصة لعالم آخر لم يرد اسمه في هذه القائمة لتقديم دروس كما كان في الماضي كذلك. إلا أن أهم مظهر تميزت به هذه الإصلاحات هو تأسيس "المجلس التحسيني للقرويين" الذي كان بمثابة أعلى هيئة في الهيكل التنظيمي للقرويين. الذي كان تحت رئاسة محمد بن الحسن الحجوي. وقد أدت هذه الإجراءات إلى تدخل مقنع لسلطات الحماية في تسيير هذه المؤسسة. مما أثار شكوكا في

¹ - علال الفاسي، حفريات عن الحركة الدستورية في المغرب قبل الحماية، مصدر سابق، ص 75.

² - محمد عمrani، جامعة القرويين، مرجع سابق، ص 114.

³ - شمل هذا النظام مائتين و اثنين مادة ظهرت فيه بوضوح أفكار محمد بن الحسن الحجوي حتى قيل أنه هو من وضعه. بحيث أعطيت له فرصة لتجسيد أفكاره الإصلاحية. أنظر، محمد عمrani، جامعة القرويين، مرجع سابق، ص 146-147.

داخله خاصة بعد إبعاد عدد من كبار الشيوخ من العلماء عن التدريس الذي أصبح مهنة رسمية لا مهمة رسالية يقوم بها من يؤمن بمضمونها كما كان ذلك في الماضي¹.

و قد أدت هذه التغيرات الجذرية إلى تملل و إثارة للشكوك حول أهدافها الحقيقية مما أدى إلى عدم التفاعل معها من داخل المؤسسة و أفقدها قيمتها و فاعليتها. فلم تجد مناخا فكريا مساعدا لها. وبقيت هياكلها فارغة من أي نشاط حقيقي. مما أدى بسلطات الحماية للتخلي عن هذه الإصلاحات إداريا و ماليا. و ترك حالة القرويين في وضع متدهور. فلا هي انسجمت في النظام الجديد و لا هي حافظت على تقاليدھا القديمة².

بقيت مسألة الإصلاح الشغل الشاغل للنخبة المثقفة. والإصلاحية منها على وجه الخصوص التي كانت القرويين بالنسبة لها من أهم الآليات الإصلاحية. و لذلك كانت هذه النخبة من وراء إعادة طرح هذه القضية عدة مرات فيما بعد. خاصة بعد أن عرف المغرب الكثير من المظاهر التنظيمية مثل الأنشطة التعليمية التي بدأ عدد من العلماء السلفيين المجددين في تقديمها مثل الشيخ أبو شعيب الدكالي والشيخ محمد العربي العلوي. كما كان للحركة الطلابية على يد مجموعة من الطلبة القرويين، الذين ظلوا متشبثين بجامعتهم و ملتفين حول شيوخهم، وجودا مؤثرا في داخل الجامعة. كل هذه العوامل و غيرها دفعت بسلطات الحماية إعادة طرح مشروع إصلاح القرويين. و قد كان ذلك سنة 1933 من طرف منظر استعماري آخر يدعى "بول مارتي *Paul Marty*" من خلال مقال له في مجلة أفريقيا تحت عنوان "مغرب الغد *le Maroc De Demain*" و قد تضمن مشروعا آخر كان يهدف في ظاهره إصلاحا لأحوال القرويين للحفاظ على مركزها في المجتمع المغربي. وكذلك حتى تحافظ فرنسا على سياسة إسلامية مغربية تحول دون دخول المؤثرات المشرقية. خاصة في فترة الثلاثينات التي كان فيها زخم فكري كبير في العالم الإسلامي. و لكنه كان في حقيقته كان ذلك المشروع كلمة حق أريد بها باطل الأمر. لأنه كان لا يقل خطورة عن مشروع "مرسي". فإذا كان من الناحية

¹ - من بين الشيوخ العلماء الذين أبعدوا من التدريس بالقرويين عبد الرحمان بن القرشي و أحمد بن الجليلي و احمد بن الخياط. و قد كان هؤلاء من أعمدة القرويين. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 264.

² - عندما لاحظ ليوتي عدم تفاعل علماء القرويين مع إصلاحاته و عدم استيعاب أهدافها الحقيقية. قام بتجميد الإعتمادات المالية بحجة الأزمة المالية بسبب الحرب العالمية الأولى. بالإضافة إلى استدعاء الحجوي إلى الرباط من طرف السلطان. و في حقيقة الأمر فإن ليوتي أدرك أن الوقت لم يحن بعد للتحكم في القرويين التي بالرغم من الحماية فإنها حافظت على مناعتها الداخلية من خلال ما كان يعرف بالحرس القديم للعلماء. أنظر، محمد عمراني، جامعة القرويين، مرجع سابق، ص 162.

المبدئية ضرورة إصلاح هذه المؤسسة. فإن هذا المشروع كان ذو خلفية إيديولوجية استعمارية بحتة. لأنها كانت تسعى لمنع تسرب الأفكار الإصلاحية من المشرق. كما كان تخوفا من تكرار تجربة المدارس الحرة التي نجح فيها الفاسيون وأصبحت تعمل ضد مصالح فرنسا كما تخوف "مارتي" كثيرا من التطور الداخلي للقرويين الذي تم بعيدا عن الرقابة الفرنسية وسمح بصعود العديد من العلماء الشباب المجددين¹.

لقد بقيت النظرة الاستعمارية مهيمنة على كل مشاريع الإصلاح لجامعة القرويين سواء في نظام 1914 أو 1933 أو غيرها من المشاريع. فكلها كانت تسعى لإخضاعها للرقابة الفرنسية بمختلف الأشكال والوسائل. سواء عن طريق المجلس التحسيني أو الهيئات الأخرى التي استحدثت بظاهر إصلاحية ولكن حقيقتها كانت غير ذلك. فكل هذه التنظيمات كانت تسعى للقضاء على النشاط السياسي والثقافي الذي كانت تمارسه جماعة من الشباب القرويين في المساجد و الزوايا ،و ذلك بإخضاع القرويين للرقابة الخفية لسلطات الحماية. ولكنه وفي نفس الوقت ،و ربما من حيث لا يعلم، حافظ عليها كمؤسسة تاريخية ساهمت في تشكيل الوعي المغربي في عدة محطات تاريخية. و لذلك عندما استغلت مجموعة من الشباب الإصلاحية ذلك الهيكل و توحدت حول نفس المشروع فكرة ومنهاجا واستطاعت أن تعيد له الاعتبار ليس كما كانت تريده سلطات الحماية، ولكن كما كانت تقتضيه المصلحة الوطنية. و قد ظهر ذلك من خلال الدور الذي كان لجامعة القرويين سواء في الحركة السلفية المجددة، أو الجديدة التي تطورت وأصبحت حركة وطنية بمضمون وطني تحرري. و حافظت على مكانتها كـ "حصن للوطنية" حسب تعبير شارل أندري جوليان².

لقد أجمع كل الدارسون على أن الحركة الوطنية المغربية انطلقت من فاس. و بالضبط من جامعة القرويين. فرغم التهميش واستمرار حالة الجمود في التعليم وتجديد رقابة الإدارة الاستعمارية عليها، فقد بقيت كآخر ملاذ للمجتمع المغربي للمحافظة على الشخصية المغربية و المساهمة في تأصيل الحركة الوطنية المغربية. فهذه الأخيرة اعتمدت بصورة كبيرة على هذه المؤسسة لمواجهة نظام الحماية. سواء من خلال حركة الشباب التي تربت و تكونت بين جدرانها. أو من خلال حركة التجديد الثقافي التي عرفت والتي أحدثت ديناميكية جديدة فيها، و

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit., p 150.

² - *ibid.*

هذا بالرغم من حرص الإدارة على عدم تسرب هذه الأفكار الجديدة إليها. فقد كانت دروس الشيخ أبي شعيب الدكالي والشيخ محمد العربي العلوي مرجعا أساسيا لهؤلاء الشباب. فقد ذكر علال الفاسي الدور الذي قام به العلوي، و وصفه له بما كان له من "الجرأة و الإقدام والثبات ما جعله يلقي في دعوته نجاحا كبيرا و إقبالا عظيما"¹.

كما ذكر الكثير من الشباب المغربي لما كان لحرب الريف من تأثير على القرويين واعتبرها مناسبة كبيرة للتعبير عن موقف وطني جديد لم تألفه هذه المؤسسة من قبل. خاصة و أن زعيمها الخطابي درس في هذه المؤسسة و تخرج منها قبل أن يقود مقاومته في الريف². فقد كان الخطابي أثناء اتصاله بالقبائل يبت فيهم روح الوطنية الحقيقية التي تتماشى مع دين الإسلام و الشريعة المطهرة. التي تعلم أصولها في القرويين³. و عندما كان يحثهم على الجهاد كانت كل دلائله و قرائنه من الكتاب و السنة⁴ وليس من قبيل الصدفة أن تتزامن انطلاق الحركة التجديدية من القرويين مع انتصارات الخطابي. فقد ذكر علال الفاسي ذلك بقوله: " فقد دخل الريف في حرب فرنسا و نحن من حول أستاذنا نعمل لهذه العقيدة و نجاهد في نشرها. و كانت تجتمع بفاس ثلة من الشباب حول ابن العربي و في الرباط مثلها حول الشيخ أبي شعيب"⁵. كما كان انتصاراته صدى كبيرا لدى شباب القرويين الذين أسسوا له الكثير من الجمعيات المساندة له للتعريف بأهداف مقاومته⁶.

لقد كان دور القرويين واضحا في الحركة الوطنية المغربية من خلال عدة مظاهر عبرت عن مضمونها الوطني⁷. فقد اتصل الشبان المغاربة الوطنيين الذين كانوا يقومون بالتدريس مع سكان مدينة فاس من تجار و حرفيين و مختلف الشرائح الشعبية، في مختلف الأنشطة التعليمية سواء كانت خاصة التي كانت تقدم علوم الدين للطلبة. أو عامة مثل حلقات التوعية التي كانت تلقى أمام جمهور المصلين، خاصة بعد أوقات الصلوات حيث كانوا يحلقون حول عالم شاب للاستماع إلى دروسه التي كانت في ظاهرها تتحدث عن المقتضيات الدينية من

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق 154.

² - محمد علي الداهاش، صفحات من الجهاد المغربي ضد الاستعمار 1912 - 1927، مرجع سابق، ص 88.

³ - المرجع نفسه، ص 94.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق 154.

⁶ - Zakia Daoud, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, op.cit., p 310.

⁷ - محمد عمراني، جامعة القرويين، مرجع سابق، ص 338.

الفقه والعقيدة والسيرة النبوية و التاريخ الإسلامي.و لكنها كانت في عمقها مناسبة للتطرق لمسألة النهضة الوطنية .قد كان كل ذلك مناسبة للتذكر بمجد الأمة الإسلامية،و العهد الذهبي للإسلام.إلا أنه في حقيقتها كانت ذات بعد انبعاثي استخدمت عدة أدوات بيداغوجية للتوعية العامة.فالتاريخ كان للعبارة من خلال مختلف محطات تاريخ الأمة الإسلامية انطلاقا من السيرة النبوية و مرورا بمختلف مراحل الخلافة الإسلامية.فقد كان المدرس غالبا ما يسقط ذلك المجد الإسلامي الذي كان في الماضي عزة و نصرا على الحاضر الذي كان ضعفا وهوانا و انحطاطا.مما كان يوحي بدعوة للانبعاث باستعمال ذلك الزخم الكبير الذي كانت تتميز به مكونات المنظومة الإسلامية،مثل السيرة النبوية والتاريخ .

يعتبر علال الفاسي من رواد هذه الحركة التعليمية¹.و وصفها بأنها كانت شعبية عامة تفتتح بالدرس القومي واستخلاص العبر من التاريخ الإسلامي².فقد كانت هذه الدروس تضم إلى جانب طلبة الجامعة والمدارس الثانوية والنخبة المثقفة في البلاد آلاف المغاربة من الرجال والنساء الذين كانوا يجدون فيها من الأسلوب الجديد الذي يحاول الخروج بهم إلى التفكير بحالهم ومصيرهم³.و" إنه كان لهذه المحاضرات الدائمة أثرها الفعال في نشر المبادئ الصحيحة والأفكار النيرة وتأييد الحركة الوطنية في الأوساط الشعبية كما كان لها الفضل في تكوين ثلة من الشباب المثقف وتوجيهه إلى الوجهة الصحيحة في القومية والسلفية"⁴.كما كان لطالب آخر دورا كبيرا في هذه الحركة و هو عبد العزيز بن إدريس الذي دأب على تفسير أرجوزة "رقم الحلل في نظم الدول" لابن الخطيب.والتي اعتبرتها سلطات الحماية بأنها

¹ - يعتبر علال الفاسي رائد حركة الدروس في القرويين بمساعدة والده عبد الواحد الفاسي،وقد بدأها بشكل سري بضريح عبد القادر الفاسي. ثم انتقل إلى القرويين لتصبح دروسا عامة حضرها آلاف الأشخاص من مختلف الفئات الشعبية من حرفيين وتجار وعمال ونظرا لتأثيراتها الكبرى خاصة في الذكرى الثالثة لإصدار الظهير البربري عندما تحول الفاسي إلى خطيب سياسي. و قد أخرج بذلك الشيوخ القرويين التقليديين من بينهم عبد الحي الكتاني الذي اعتبر دروسه تهيجية.و كانوا من وراء حرمانه من الشهادة وفراره إلى فرنسا لمدة سنة وبعد عودته سمح له بالتدريس بشرط بقائه تحت رئاسة ومراقبة رئيس المجلس العلمي. ولكنه لم يلتزم بهذا الشرط فقد حذر في درس له من اليهود و وصفهم بالخنونة في كل المراحل والأماكن. مما أدى إلى منعه بشكل نهائي من التدريس في القرويين.أنظر: أسيم القرقر،علال الفاسي، إستراتيجية مقاومة الاستعمار، أفريقيا الشرق،الدار البيضاء،2009،ص،17.

² - علال الفاسي، الحركات،مصدر سابق،،ص177 .

³ - المصدر نفسه،ص178.

⁴ - المصدر نفسه،ص179.

تعرضا لأمر سياسي. والغرض منها إحداث البلبلة والفوضى¹. أما عبد الهادي الشرايبي فقد كان يقدم دروسا عامة حول الثقافة الإسلامية اعتبرتها سلطات الحماية خارجة عن الضوابط وتناول للسياسة². وقد شبه "روبير مونتاني Robert Montagne" تلك الأنشطة بـ "الدعوة المرابطية والموحدية"³. ونظرا لحالة الوعي التي نشأت في الأوساط الفاسية خاصة، والمغربية عامة، فقد قامت سلطات الحماية بمنع هذه الدروس الخاصة مستعملة في ذلك المجلس العلمي للقرويين الذي كان ابتكارا فرنسيا فكرة و أشخاصا. وبالرغم من توقيف هذه الدروس فإنها شكلت بدون شك أرضية خصبة انطلقت منها الحركة الوطنية فيما بعد⁴.

لقد ظهر تأثير القرويين في الحركة الوطنية المغربية في عدة محطات من مسارها. فقد كانت "قروينية" المنشأ. سواء من خلال رجالها أو من حيث مضمونها. ففي أول ظهور لهذه الحركة بمناسبة الاحتجاج على الظهير البربري كان القرويين إطارا تنظيميا و نظاميا لهذا الاحتجاج. و مباشرة بعد صدور هذا الظهير البربري، برز العامل الديني كموجه للاحتجاج ضد هذا الظهير⁵. فقد استغل الشباب القرويني قدسية المرجعية الدينية للمجتمع المغربي من أجل

¹ - الشيخ عبد العزيز بن إدريس بن عبد الرحمان العمراوي الحسني ولد سنة 1907 من قبيلة إيموزار استكمل دراسته في جامعة القرويين و حرم مع محمد علال الفاسي و محمد إبراهيم الكتاني من نيل الشهادة بسبب نشاطهم السياسي. حقق مع علال الفاسي وشكيب أرسلان أجزاء من كتاب "العبر لابن خلدون" طبع منه جزآن بمطبعة النهضة بمصر سنة 1936 وكتب كتابا للسيرة النبوية بالأمازيغية. كان يُلقنه للسجناء الوطنيين الذين لا يتقنون اللغة العربية. ومارس التدريس في القرويين وعرف عنه بأنه كان خطيبا لامعا ومؤثرا ومهيجا خاصة في أزمة الظهير البربري داخل جامعة القرويين حيث كان يقدم كتاب في الشعر عنوانه "أرجوزة رقم الحلل في نظم الدول" لابن الخطيب. وبرز كذلك في المظاهرات الشعبية مما أدى إلى سجنه عدة مرات من طرف سلطات الحماية. أصبح من الوطنيين. ومن الذين أمضوا على وثيقة الاستقلال في جانفي 1944. و من الأعضاء الأربعة الذين اختيروا لتقديمها إلى الملك محمد الخامس يوم 11 جانفي 1944م. بعد الاستقلال شن حربا كلامية على الشيوعيين الذين اتهموا باغتياله بمراكش في أفريل 1959.

² - عبد الهادي بن عبد الكريم الشرايبي، ولد في مدينة فاس سنة 1910، تلقى تعليمه الأولي في المدارس الحرة، وتابع تعليمه الثانوي والعالي في جامعة القرويين إضافة إلى تمكنه من تعلم اللغتين الفرنسية والإنجليزية. قدم دروسا في جامعة القرويين وكان من الشبان المغاربة المنشطين للحركة الوطنية المغربية. كان عضواً في الحركة القومية التي أسسها محمد حسن الوزاني سنة 1937 وكان رئيس تحرير جريدتها الأسبوعية "الدفاع" الناطقة باسم الحركة القومية تم نفيه في الصحراء 1937، مع محمد حسن الوزاني. اعتبرت دروسه في جامع القرويين ومن بينها درس "حماة الإسلام" نشاطا محرزا على العصيان لذلك منع من أي نشاط. مارس نشاطا دبلوماسيا بعد الاستقلال وتوفي سنة 1987 بالمغرب.

³ - Robert Montagne, la crise nationaliste au maroc, politique étrangère, 2eme année n06, déc, 1937, pp3-30

⁴ - محمد عمراي، جامعة القرويين، مرجع سابق ص 308.

⁵ - Robert Montagne, tendance du jeunes Maroc. C.H.E.A.N., n34

مقاومة السياسة البربرية. وكانت جامعة القرويين بالنسبة لهم المكان المناسب للتجمع و التعبير عن آرائهم في جو كانت تنعدم فيه الحريات العامة. كما استغلوا مختلف المناسبات الدينية التي كانت تقام في القرويين لإلقاء خطبهم الوطنية وكشف السياسة الاستعمارية فـ"حركة اللطيف"¹ التي كانت أول رفض للسياسة الاستعمارية بشكل علني و منظم و بآليات عصرية لم يعهدها المغاربة. و قد بدأ ذلك من القرويين بقراءة أول لطيف يوم الجمعة 4 جوان 1930. و فشلت كل محاولات سلطات الحماية في خنق هذه الحركة. وبقيت قراءة اللطيف متواصلة في كامل أيام الأسبوع في القرويين وبعد كل صلاة. ثم توسعت لتشمل الضريح الإدريسي وجامع الحمراء. و كانت صلاة اللطيف في جامع القرويين تنتهي عادة بصعود خطيب من شبان الحركة الوطنية المغربية للمنبر فيقوم بإلقاء خطبة حماسية يدعو فيها للوحدة وفضح السياسة البربرية. وأدى هذا إلى تجنيد كبير للفاسيين. كما عرفت هذه الحركة تصعيدا كبيرا، ففي 18 جويلية 1930 تحولت خطبة اللطيف إلى مظاهرات عارمة مست كل أحياء المدينة القديمة لفاس وكان من ورائها مجموعة من الشبان الوطنيين. و في نفس الوقت كانت هذه المظاهرة موجهة ضد المؤسسة الدينية التقليدية التي لم تتحرك إزاء هذا الظهير متهمين إياها بالتخاذل.²

لقد قامت جامعة القرويين بدور مهم في مواجهة السياسة البربرية بصورة عامة والظهير البربري لسنة 1930 بصورة خاصة. وهذا بالرغم من سياسة سلطات الحماية التي كانت تسعى لتهميش دوره من أي نشاط وطني، و تدجينه وتحويله إلى آلية من آليات نظام الحماية. و إفراغه من مضمونه الجهادي. وإبعاده عن دوره الريادي التاريخي. سواء عن طريق هيأت المراقبة أو المشاريع الإصلاحية. ففي أول هجوم استعماري على المنظومة القيمية للمجتمع المغربي قامت هذه المؤسسة برد فعل قوي، بالرغم من حالتها المتدهورة. وعلى

¹ - بعد صدور الظهير البربري وجد شباب القرويين صيغة للتعريف بخطورة هذا الظهير من جهة ولتوسيع دائرة الرفض من جهة ثانية من خلال تلاوتهم عقب كل صلاة ما يلي: "اللهم يا لطيف نسألك اللطف بما جرت به المقادير، و لا تفرق بيننا و بين إخواننا البرابرة" و قد تم تلاوته في مدينة فاس و سلا و الرباط و غيرها من المدن المغربية. و سيتم التطرق إليه بالتفصيل في الفصل القادم.

² - من ضمن الذين تزعّموا هذه المظاهرات من الشبان المغاربة عبد العزيز ابن إدريس، عبد السلام بن إبراهيم الوزاني ومحمد الحاج الصفريوي والهاشمي الفيلالي. و وجه الشبان المغاربة غضبهم نحو رموز المؤسسة الدينية مثل رئيس المجلس العلمي أحمد بن جيلالي أنظر، أسيم القرقر، علال الفاسي، إستراتيجية مقاومة الاستعمار، مرجع سابق، ص 51.

عكس ما كان منتظرا فإن الشيوخ التقليديين لهذه المؤسسة لم يتزعموا هذه الحركة الاحتجاجية مما سمح بظهور مجموعة من الشبان المغاربة، الذين عوضوا هذا العجز، وغطوا هذا الفراغ، وتزعموا حركة الاحتجاج. وصعدوا إلى المنابر الخطابية، وكشفوا السياسة الفرنسية عندما حاولت التفريق بين مكونات المجتمع المغربي وتقسيمه على أساس ديني. وقد استغل الشبان المغاربة هذه الفرصة ليتحولوا إلى قادة وطنيين بامتياز منطلقين من جامع القرويين لتحريك المجتمع الفاسي خاصة والمغربي عامة. وبهذه الممارسة أصبحوا زعماء وطنيين بامتياز. وتحولت القرويين إلى مركز تأثير مباشر على سير الأحداث و تطورها بعد 1930. فقد كانت " هذه المعركة فاتحة عهد كفاح وطني في الداخل و الخارج. و هكذا وجد المغاربة أنفسهم وجها لوجه مع الحماية الفرنسية، يقاومون سياستها و هم في الحقيقة إنما يعملون للاحتفاظ بوحدة بلادهم و تحرير أبنائها" على حد تعبير علال الفاسي¹.

إذا كانت حركة اللطيف التي انطلقت من القرويين قد توقفت بسبب قمع سلطات الحماية لها فإن الشباب القرويين، الذي أصبح ممثلا عن المغاربة اتجه لاستخدام وسائل أخرى لا تقل أهمية عن الاحتجاج والتظاهر. و من بينها كتابة المناشير والعرائض انطلاقا من جامع القرويين. فعند إحياء الذكرى الأولى للظهير البربري في ماي 1931 ظهرت حركة صحفية جدارية من خلال عدد من المناشير والعرائض تحدثت عن خطورة السياسة البربرية الفرنسية كما ذكرت كذلك بما قام به هؤلاء الشباب من معارضة لتلك السياسة. و قد كانت فرصة لهؤلاء الشباب للتحرك مرة أخرى. فقد ظهر أنهم اكتسبوا تجربة ثرية في تعبئة المغاربة استغلوها في مواجهة كل ما يصدر عن سلطات الحماية من قوانين تعسفية. وفي الذكرى الثانية للظهير البربري في سنة 1932 تم العثور على عدة مناشير تتضمن الدفاع عن الإسلام والتذكير بخطورة السياسة البربرية².

في سنة 1932 أصدرت باريس قرار لا يقل عدوانية عن الظهير البربري لسنة 1930. تمثل في قانون الخدمة العسكرية الإجبارية بالنسبة للمغاربة. و قد مثل ذلك تناقضا

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص، 169.

² - ظهر أحد الشبان المغاربة المسمى إبراهيم بن محمد الوزاني كمحرك لهذه الذكرى. وبعد سجنه وتعذيبه من طرف الباشا تحول إلى قضية رأي عام بالنسبة إلى فرنسا بعد تدخل الفرنسي الاشتراكي روبرت جان لونكي "Robert Jean Longuet" للدفاع عنه وظهرت قصيته بشكل كبير على أعمدة مجلة "المغرب". أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 03، مصدر سابق، ص 208.

كبيراً مع مقتضيات نظام الحماية الفرنسية الذي لم يكن يسمح لفرنسا بالتدخل المباشر في شؤون المغاربة، إلا عن طريق السلطة الشرعية المتمثلة في السلطان. فمباشرة بعد أن تسرب الخبر إلى المجتمع الفاسي بدأ هذا الأخير في التعبير عن تدمره ورفضه لهذا القانون. فقد عرفت مدينة فاس إضراباً عاماً. فأغلقت كافة الدكاكين التجارية وملتت المساجد. وحدثت تعبئة عامة في جامع القرويين استعداداً لحركة لطيف ثانية للتعبير عن رفضهم لهذا القانون ووجد الشبان المغاربة في هذا القانون فرصة أخرى لاستعمال القرويين كقاعدة خلفية لحركتهم، ولكن هذه المرة ليس عن طريق التظاهر نظراً لحالة التأهب التي كانت عليها سلطات الحماية بعد احتجاجات الظهير البربري. ولكن هذه المرة عن طريق البيانات واللوائح التي كانت توجه للسلطات الاستعمارية، وحتى للسلطان المغربي باعتباره كان غطاءً رسمياً للسياسة الفرنسية بامضائه لهذه الظهائر. ولمعارضة هذا القانون تم توجيهه سنة 1932 رسالة مشهورة للسلطان تم قراءتها في جامع القرويين تضمنت تحميله المسؤولية الشرعية حول هذا القانون، وقد جاء بنبرة حادة، وإنكار فرض الخدمة العسكرية على المغاربة والتهديد بالهجرة في حالة تطبيق هذا الظهير¹.

في نفس سنة 1932 أعلنت سلطات الحماية عن توزيع الشباب القرويين لأكثر من ألف منشور وصل من مصر عن طريق البريد الإنكليزي. وقد جاءت هذه المناشير تحت عنوان "من مصر إلى المغرب". وقد تضمنت هذه المناشير مطالبة المغاربة بمقاومة السياسة البربرية ورفض الخدمة العسكرية، ودعوة شعوب العالم الإسلامي للتضامن مع المغاربة². وقد جاء في التقارير الفرنسية خطورة هذه المناشير لأنها عبرت عن علاقة تنظيمية بين المشرق والمغرب³. خاصة وأن صاحب المنار محمد رشيد رضا خصص الكثير من صفحات مجلة المنار لهذه القضية. واتصل مع مجموعة من علماء الأزهر بالملك فؤاد و قدموا له

¹ - جاء في إحدى الرسائل الموجهة للسلطان المغربي التي تم قراءتها في جامع القرويين ما يلي "بلغنا أنه صدر منكم ظهيرا يفرض الخدمة العسكرية على المغاربة، إننا نذكركم بأننا بايعناكم بأن تحكمنا حسب الكتاب والسنة وأن ديننا يحرم تقديم خدمة عسكرية للنصارى، إنكم بهذا الظهير ستكونون قد ابتعدتم عن الشرع وأن الحكومة التي تحميكم إنما هي خارقة لعهد الحماية وتعهداتها باحترام معتقدات وأعراف هذا البلد. لذلك نرجوكم أن تتراجعوا عن ذلك وإلا فإننا نخبركم من الآن سنرحل عن هذا البلد إلى الشرق ونحملكم المسؤولية أمام الله". أنظر، A.D.N., Série K, Gouvernement Marocain, n 32.

² - Ibid.,

³ - Ibid.,

بيانا تضمن مطالبة السلطات الفرنسية بتوضيحات حول هذه القضية¹. و لذلك قامت بتقوية الأجهزة الأمنية و تم تشديد الرقابة على العديد من الشبان المغاربة من بينهم علال الفاسي ومحمد بن عبد الجليل و محمد حسن الوزاني و غيرهم².

لقد أدت هذه الحركة الاحتجاجية التي انطلقت من القرويين عن طريق المناشير إلى تراجع سلطات الحماية عن الظهير الخاص بالخدمة العسكرية، وكأنها أدركت خطورة "البيت المظلم" كما قال بذلك ليوتي منذ مدة. وبالموازاة مع هذه المناشير عرفت القرويين حركة ثقافية واسعة روادها من طلبة وأساتذة بالقرويين أمثال علال الفاسي و محمد بن عبد الله وإبراهيم الكتاني و عبد الهادي الشرايبي والهاشمي الفيلالي و عبد العزيز بن إدريس. حيث قام هؤلاء ببعث حركية ثقافية تضمنت قضايا سياسية وكشفت السياسة الاستعمارية. فمن أهم مظاهر هذه الحركية تنظيم يوم شوقي بمسرح السراجين. الذي عبر بصورة استعراضية، و أمام أعين إدارة سلطات الحماية، عن ربط المغرب بالمشرق. وإظهار الصلة القومية بين الشبان المغاربة والأمة العربية التي كانت محورا لشعر أحمد شوقي. وفي نفس الوقت لإثارة انتباه الرأي العام العربي عامة و المصري خاصة لاهتمام المغرب بنهضة الشرق. و متابعتها من خلال الشاعر أحمد شوقي الذي كان من روادها³.

و قد عرف شباب القرويين قفزة نوعية في إدراكهم لأبعاد المسألة الوطنية على أنها تتجاوز الظروف الخاصة بالمغرب لتتشارك مع منطقة المغرب العربي. خاصة و أن الفعل الاستعماري موحد في أهدافه الكبرى، بالرغم من اختلاف آلياته و سائله بين منطقة و أخرى.

¹ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج 01، 1930-1940، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 93.
² - ذكر هذه الإجراءات كل من علال الفاسي و محمد حسن الوزاني و القادري، أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 148. و علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 168. و علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 165. و القادري، مذكراتي، مصدر سابق، ص 93.

³ - من أهم مظاهر علاقة الشبان المغاربة بنهضة المشرق اهتمامهم بشعر شوقي ومتابعتهم له. وحتى عند وفاته تأثروا وحزنوا له فنظموا له يوما تأبينيا في نوفمبر 1932 حضره عددا من الشعراء من مختلف مدن المغرب وألقوا فيه قصائد تأبينية. مثل ما جاء في

إحدى القصائد للشاعر محمد القري ما يلي:	سلام على الشاعر العبقري	سلام على الناصر الأدي
أمير البيان أمير القريض	وحامي العروبة والعرب	
تركت الرعية تبكي عليك	بكاء اليتيم حنان الأب	
تركت العروبة ثكلى على	حياتك تبكي شجب	
فمن للعروبة ينصرها؟	ومن ذا يقوم مقام الأب؟	

و في هذا السياق ساهم هؤلاء الشباب في تأسيس هذا الوعي المغربي من خلال حضورهم في جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين تأسيسا ونشاطا¹. فقد اعتبر "روبير روزيت Robert Rêzette أن محمد الفاسي و الحاج أحمد بلافريج كانا من وراء تأسيسها². و قد برزت القرويين في هذا الاتجاه الوحدوي المغربي في تنظيم الشباب المغربي للمؤتمر الثالث لهذه الجمعية في سنة 1933³. فإذا كان عدد من الطلبة القرويين قد حضروا المؤتمر الأول في تونس و الثاني في الجزائر⁴. فإنه لأول مرة شارك الشبان المغاربة خريجي القرويين في نشاط سياسي تنظيمي بكل الأبعاد. فقد كان هؤلاء في الفترة السابقة يعتمدون على الوسائل التقليدية من دروس ومحاضرات و مناشير في كشف نظام الحماية، و لكن هذه أول مرة قاموا بنشاط نظامي تنظيمي تمثل في تأطيرهم لهذا المؤتمر فجل أعضاء اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر كانوا من القرويين⁵. و قد حددت هذه اللجنة جدول أعمال تمثل في تحضير المعلمين و

¹ - كان تأسيس جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين نتيجة لحركة سياسية كبرى للمهاجرين الجزائريين في فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى. و قد كان تأسيس نجم شمال أفريقيا في سنة 1926 نتيجة لذلك. كما عرفت سنة 1927 نشاطا كثيفا لطلبة المغرب العربي و في 15 ديسمبر 1927 عقد مجموعة من الطلبة لم يتجاوز عدد هم خمسة عشر في إحدى مقاهي حي سان جرمان بباريس و تحدثوا عن تأسيس هيئة جامعة للطلبة الجزائريين. ثم تبع ذلك عدة اجتماعات ناقشت الظروف المادية و المعنوية للطلاب المغاربة بفرنسا. و قد خرجت هذه الاجتماعات بضرورة تأسيس جمعية خاصة بطلبة المغرب العربي حملت اسم "جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين" *Association des Etudiants Musulmans Nord Africains*. و قد أنتخب مجلسها الإداري من الرئيس و هو الشاذلي سالم و الطاهر صقر نائبا عنه و أحمد بن ميلاد أمينا عاما و محمود العراي أمين المالية. و أعضاء مراقبون و هما رمضان بن الشاذلي و الزاوش الطاهر. و قد أعلن عنها في الجريدة الرسمية في 01 جانفي 1928. و كان من أهدافها حسب قانونها الأساسي أنها ترمي إلى "تتين روابط المودة و التضامن بين طلبة شمال أفريقيا و ذلك بإنشاء ناد و مكتبة و إصدار مجلة باللغة العربية و الفرنسية". أنظر، محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، مرجع سابق، ص 283.

² - Robert Rêzette, *Les Partis politiques Marocains*, Librairie Armand colin, Paris, 1955, p 76.

³ - انعقد المؤتمر الأول في تونس بالمدرسة الخلدونية في أوت 1931 حيث تناول تدريس اللغة العربية في شمال إفريقيا، إصلاح التعليم بالزيتونة، إصلاح التعليم بالقرويين، التعليم المهني و الفلاحي في إفريقيا الشمالية. أما المؤتمر الثاني فانعقد بنادي الترقى في الجزائر في أوت 1932، حيث شمل جدول أعماله تدريس اللغة العربية في المدارس الأهلية و الحكومية و جعلها لغة رسمية و تغيير برنامج التاريخ العربي و توسيع نطاق تعليمه و فتح الأبواب في وجه الطلبة المتخرجين بعد إتمام دراستهم. أنظر، محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، مرجع سابق، ص 288، 289.

⁴ - يتعلق الأمر بمحمد بن عبد الله الذي حضر المؤتمر الأول في تونس و عبد الهادي الشرايبي و محمد كامل الكتاني و محمد بنونة و عبد الخالق الطريس. أنظر، محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، مرجع سابق، ص 287، 288، 289.

⁵ - تكونت اللجنة التحضيرية للمؤتمر من العلماء الشباب القرويين وقدماء ثانوية مولاي إدريس. برئاسة محمد الفاسي والمهاشمي الفلالي كاتباً وأعضاء آخرون مثل محمد حسن الوزاني، عمر بن عبد الجليل محمد اليزيدي، إبراهيم الكتاني، الحسن بن العياد عبد القادر برادة، عبد الهادي الشرايبي، إبراهيم الكتاني، أحمد مكيوار. أنظر، محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 292.

المدرسين بشمال أفريقيا. و تنظيم البعثات العلمية بأوروبا و الشرق. و تحسين حالة الطلبة التعليم العالي بأفريقيا الشمالية و بالخارج. و تعليم اللغة العربية بالجزائر. و دراسة أوضاع التعليم الابتدائي بالمغرب الأقصى. و تقديم نظام جديد لجامع الزيتونة وجامعة القرويين. و قد تم تحضير كل الظروف المادية والمعنوية لعقد المؤتمر في فاس بجامع القرويين من 19 إلى 23 سبتمبر 1933. كما صاحب ذلك زخما شعبيا و إعلاميا كبيرين و حضر الفاسيون أنفسهم لهذا الحدث المغربي الكبير. و فتح أعيان فاس بيوتهم لاستقبال ضيوف المغرب العربي¹.

و يبدو أن سلطات الحماية أدركت أبعاد تنظيم هذا المؤتمر في المغرب، وبالقرويين بفاس بالذات. فحدث نقاش بين رجال الحماية بين من كان يرى صعوبة المنع تفاديا لأية مضاعفات خاصة و أن الجمعية سبق لها أن عقدت تظاهرات مماثلة في تونس و الجزائر بدون حوادث. أما الطرف الآخر، الذي رجح كفة المنع لصالحه، فقد اعتمد على تقارير سرية أشارت إلى أن الوطنيين المغاربة سيجدون في هذه "المؤسسة الهائجة" مكانا نشيطا للدعاية ضد نظام الحماية. وإمكانية قيام مظاهرات على هامش المؤتمر تذكيرا بالاحتجاجات على الظهير البربري. بالإضافة إلى أن عقد هذا المؤتمر بالقرويين بالذات سيعطي للمؤتمرين فرصة للخوض في القضايا السياسية. كما سيسمح بتعرف وطنيين من مدن أخرى من المغرب مثل سلا و الرباط و مراكش والقنيطرة و تطوان، و غيرها من المدن، على هذه الحركية النشيطة التي كانت تعرفها القرويين. و تزول بذلك تلك الصورة القديمة عن مؤسسة جامدة كانت تعيش في الماضي، و لم تستطع مسايرة الأحداث².

و أهم ما كانت تخاف منه سلطات الحماية بمنعها لعقد هذا المؤتمر هو حدوث اتصال وطني مغربي في مؤسسة عريقة مع كل ما يترتب على هذا اللقاء من تداعيات. من بينها انتقاد السياسة الاستعمارية في ميدان التعليم. و ما يترتب عن معارضة الجمعية في مؤتمراتها السابقة لمسألة التجنيس في الجزائر و تونس و للسياسة البربرية في المغرب³. و بالنسبة لهؤلاء فإن ما كان يخاف منه الرافضون لمنعه سيحدث بعقده كذلك. و لذلك اتخذت سلطات الحماية كل التدابير قبل صدور قرار المنع. مثل عرقلة أعمال اللجنة التحضيرية بتحريض

¹ - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 292.

² - محمد عمراني، جامعة القرويين، مرجع سابق ص 332.

³ - محمد عمراني، جامعة القرويين، مرجع سابق ص 332.

الطلبة غير المنتسبين للقرويين على عدم حضوره. وعدم تسليم جوازات سفر للمشاركين من الجزائر و تونس بالتنسيق مع السلطات الاستعمارية. وعشية عقده أعلم المنظمون باستحالة عقده لأسباب إجرائية واهية تمثلت في نفاذ آجال طلب الترخيص¹.

وبالرغم من ذلك فإن اللجنة التحضيرية، التي عقدت اجتماعا لها، قررت نقل المؤتمر إلى فرنسا، حتى لا يذهب مشروعهم أدراج الرياح، كما جاء في بيان الجمعية². وفي الفترة الممتدة بين 26 و 29 ديسمبر 1933 عقد المؤتمر الثالث لجمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين بنفس جدول الأعمال، و بنفس الهيئة القيادية الفاسية القروينية فترأسه محمد الفاسي و افتتح جلساته، و حضره آخرون مثل الحاج أحمد بلافريج، و علال الفاسي الذي ألقى قصيدة تدعو لوحدة شعوب المغرب العربي في كفاحها و نضالها³. كما كانت هناك مشاركات أخرى لشباب القرويين تمثلت في عدد من العروض قدمها هؤلاء الشباب مثل العرض التي قدمه عمر بن عبد الجليل حول المعلمون و الملمات في المغرب. و حالة طلبة التعليم العالي في المغرب و الخارج لمحمد الفاسي. و جامعة القرويين و النظام الجديد لعالل الفاسي⁴.

لقد كانت سلطات الحماية تريد من وراء منع عقد هذا المؤتمر بجامعة القرويين للحيلولة دون الزيادة في الشهرة لها في الخارج. إلا أن ذلك ما حدث فعلا. فقد أصبح ذكر القرويين في باريس و كأن المؤتمر تم فيها فعلا. مما زاده من شهرتها و شعبيتها. و ذلك حتى من حيث رمزية هذا المؤتمر الذي تم جغرافيا في باريس و لكنه مغنويا كان في القرويين. فقد علق المؤتمرون أمام مدخل قاعة المؤتمرات راية وحدت كبيرة مثلثة الألوان من الأخضر والأبيض والأحمر. كما حضر المؤتمر وفد عن نجم شمال أفريقيا برئاسة مصالي الحاج. و ألقى فيه كلمة

¹ - جاء قرار المنع الفرنسي عندما انتهت كل التحضيرات بحجة شكلية إلا أن أسباب المنع الحقيقية تمثلت في خطورة عقد هذا المؤتمر في مدينة فاس وفي جامعة القرويين بالذات التي كانت مصدرا للكثير من الاضطرابات منذ مطلع الثلاثينات وكذلك من أجل منع حدوث لقاء بين الوطنيين من كامل المغرب أولا ومن المغرب العربي ثانيا. أنظر، محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، مرجع سابق، ص، 292 .

² - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، مرجع سابق، ص، 292.

³ - محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحرين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982، ص 61. و قد جاء في القصيدة ما يلي: أهلا بوافدة البلاد أديتم فرض الولاء.

كلنا إخوة إذا دهمتنا قذفات المدافع النارية

⁴ - محمد عمراني، جامعة القرويين، مرجع سابق ص 334.

حماسية تضمنت وحدة الشعور بين شعوب المغرب العربي¹. كما تأثرت قراراته بالنضال الذي قام به القرويون لمواجهة السياسة البربرية في المغرب. فجاءت توصية حملت عنوان "تداء إلى الشعب الشمال الأفريقي" تضمنت عدم إدخال أبنائهم للمدارس التنصيرية بالمغرب العربي لأنها كانت تعتمد على سياسة التفريق بين مكونات هذه المجتمعات². بالإضافة إلى قرارات أخرى مثل تنظيم المدرستين الثانويتين اليوسفية و الإدريسية، وتأسيس مدارس أخرى في مختلف المدن. والإكثار من عدد المنح الخاصة بطلبة التعليم بالخارج، العمل على إنشاء جمعية أحباء الطلبة بالمغرب الأقصى والمطالبة من المغاربة مساعدة الجمعيات المنشأة لدعم الطالب، و الإنفاق على طلبة المعاهد الإسلامية من الميزانية المغربية، وإنشاء رواق خاص بطلبة المغرب الأقصى في كل مدن المشرق العربي التي يؤمها طلبة المغرب، وحذف الرقابة السياسية على الدروس بالقرويين. وأخيرا إعادة النظر في نظام القرويين³.

إذا كانت سلطات الحماية قد منعت عقد هذا المؤتمر بالمغرب خوفا من تسرب الأفكار الوطنية والوحدوية للمغرب العربي إلى المغرب، فإن نقله إلى فرنسا سمح بشباب القرويين بالاحتكاك مباشرة مع هذه الأفكار والتعرف على زعمائها وقاداتها. فاتصلوا بصاحب الفكر الثوري المغربي مصالي الحاج مباشرة و تعرفوا على أفكاره الثورية. و هو الآخر وجد دعما كبيرا في هذا الجزء الصغير من الشبيبة المغربية المثقفة التي حولت من جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين إلى "بؤرة متقدمة للدعاية الإسلامية على حد تعبير بنجامين سطورا Benjamin Stora"⁴. و قد استطاع هؤلاء الشباب بعيدا عن أعين المخبزين الفرنسيين، الذين كانوا يتابعون أنشطتهم في القرويين، تجاوز علاقات الصداقة الشخصية التي كانت لهم مع طلاب المغرب العربي ليساهموا في العمل لوحدة المغرب العربي. و التنظير الواعي بضرورة هذه الوحدة فازداد وعيهم ليصبح أكثر شمولية بالقضايا القومية و أصبح عملهم يتم على مستوى محور حضاري عربي إسلامي⁵. و يبدو أن ذلك كان كافيا لسلطات الحماية بأن تمنع حضورهم

¹ - محمد قناش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين، مصدر سابق، ص 61.

² - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 294.

³ - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 295.

⁴ - بنيامين سطورا، مصالي الحاج، رائد الوطنية الجزائرية 1898 - 1974، ترجمة مصطفى ماضي والصادق العماري، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، الجزائر 2002، ص 103.

⁵ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 298.

في المؤتمر الرابع لجمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين الذي تم عقده في تونس في أكتوبر 1934. وبالرغم من ذلك عبروا عن حضورهم المعنوي فيه بإرسالهم لعدة برقيات تأييد وتشجيع للمؤتمرين. تم قراءتها في الجلسة الافتتاحية له، وتضمنت إيمان الشباب القرويني بوحدة المغرب العربي والكفاح من أجل استقلاله¹.

لقد أدى حضور القرويين في جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين إلى حدوث نقلة نوعية في طبيعة جامعة القرويين التي لم تعد مجرد مؤسسة تقليدية ذات منظومة فكرية بالية. فمنذ الحماية الفرنسية بقيت هذه المؤسسة تتأرجح بين رغبة إصلاحية حركتها إرادة داخلية لترقية هذه المؤسسة، وبدعم مخزني في عدة مرات، الذي كان يسعى هو لتطويره حتى لا يقوم به طرف آخر. ويخرجه من دوره التاريخي المقدس. وبين مناورة سلطات الحماية التي كانت تسعى للسيطرة عليها و التحكم فيها بما يحقق مقتضيات الحماية الواردة في معاهدة فاس في مارس 1912. وقد فشل المشروعان. وبقيت القرويين مثل ذلك الجسد بدون روح. إلا أن الشباب الوطني، الذي كان يتحرك في أروقتها و ساحاتها، استطاع أن يبعث فيها روحا جديدة لم تألفها. لأنها لم تكن موجودة لا في كنانيش محمد بن الحسن الحجوي. ولا في مشروع "مرسي" لسنة 1914 و لا مشروع "بول مارتى" لسنة 1931. لقد كانت هذه الروح مستمدة من البعد الحضاري للمغرب أمة ومجتمعا. و من الحركة الإصلاحية التي قادها السلفيون المجددون ضد الاستعمار و الطريقة المتحالفة معه. ومن دروس الشيخ أبو شعيب الدكالي في الرباط والشيخ محمد العربي العلوي في فاس. و هي الروح التي جعلت من القرويين قلعة للنضال الوطني، ومقاومة نظام الحماية في العديد من المحطات.

فإذا كان الاحتجاج على الظهير البربري في ماي 1930 بداية لذلك النشاط فإن الشباب القرويني كان له كذلك دورا كبيرا في تنشيط العديد من المحطات التي تلت ذلك الاحتجاج بداية من مطلع الثلاثينات. ففي سنة 1934 تم تأسيس "كتلة العمل الوطني" التي كانت أول حزب في الحركة الوطنية المغربية. و كان ستة من الممضيين العشر على لائحة المطالب المقدمة للمراجع العليا في الرباط وباريس من المحسوبين على القرويين، وثلاثة منهم من خريجها².

¹ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 295.

² - يتمثل الستة أعضاء المنتمين للقرويين في عبد العزيز بن إدريس و علال الفاسي و أحمد الشرفاوي و محمد غازي و محمد مكي الناصري و أبو بكر القادري، أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية

فقد سمحت القرويين باندماج عجيب بين اتجاهين متناقضان في ظاهرهما أحدهما إصلاحي ليبرالي منفتح على الحداثة، والآخر سلفي، ولكنه إصلاحي تجديدي. فقد استطاعا الاتجاهان الاتفاق على ميثاق جمع بين منظومتين فكريتين متناقضتين مذهبيا. وأسقطت هذه الوحدة الأطروحة الكولونيالية التي لطالما جاء في أدبياتها "المتعصبون القرويون" وغيرها من التعابير التي كانت تتهم هؤلاء بالجمود و"الرجعية" و"الغوغائية" تارة و بالعودة إلى القرون الوسطى تارة أخرى. فقد جاء في وثيقة المطالب تعبير دقيق و محكم عبر عن تحكم دقيق لهؤلاء في أبجديات الممارسة السياسية. و هم الذين كانوا من خريجي "الحلقات" و "المتون". من متن " المرشد المعين على الضروري من الدين" لابن عاشر. و"تحفة الحكام في نكت العقود و الأحكام" لابن عاصم و "مختصر الشيخ خليل" للشيخ خليل بن إسحاق المالكي. و "جمع الجوامع في أصول الفقه" لابن السبكي. وغيرها من البرامج التي كانت تقدم في القرويين في مختلف المراحل. و كانت بالنسبة لهم مخزنا فكريا قاعديا ضروريا للتحصيل العلمي. و لكنهم في نفس الوقت لم يتوقفوا عن المطالبة بترقية هذا التعليم و عصرنته بما يتماشى مع تطور متطلبات الأمة¹.

لقد جاء في وثيقة المطالب لسنة 1934 بندا خاصا بجامعة القرويين بالمطالبة بأن تبقى من معاهد التعليم الديني، و إنشاء مجلس أعلى لترقية التعليم يمس كامل المغاربة. و تنظيم التعليم الديني بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام ابتدائي و ثانوي و عالي تخصيص جامعة القرويين للعلوم الدينية من "علم الأصول" و "علوم الفقه" و "علوم الحديث" و علوم الشريعة". مع تطويرها من حيث البرامج و وسائل التدريس². و إعطاء حرية كاملة للمدرسين للتطرق لمختلف قضايا المجتمع المغربي. كما جاء في نفس الوثيقة ضرورة الانفتاح على الجامعات الشرقية مثل الأزهر و الزيتونة بجلب الأساتذة منها³.

لقد استطاعت جامعة القرويين أن تسقط تلك الأطروحة الفرنسية التي كانت سلطات الحماية تروج لها و تتهمها بالجمود. فقد كان أسلوب مواجهتها لنظام الحماية عميق في

المغربية، ج 04، حركة المطالب و الدعوة إليها، 1934 - 1936، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، مؤسسة جواد للطباعة و التصوير بيروت، 1985، ص 365.

¹ - محمد عمراني، جامعة القرويين، مرجع سابق ص 148-159.

² - المرجع نفسه، ص 337.

³ - المرجع نفسه، ص 338.

مضامينه، و بيداغوجي في آلياته، وعلمي في تحليليه و تدرجه. مقحم في حجيته و براهينه. و لذلك استطاعت كشف تناقض منظومة الحماية بين ما أعلنته نظريا، و ما طبقته ميدانيا. أو بما سماه الوزاني ذلك النظام بأنه "جناية على الأمة"¹.

بالرغم مما نسب من جمود لجامعة القرويين، وبالرغم من عدم نجاح أي مشروع لنظام الحماية لإصلاحها بهدف احتوائها. فإنها تفاعلت كثيرا مع المحيط السياسي والثقافي و تحولت في نهاية العشرينات ومطلع الثلاثينات إلى مقر للنخبة المثقفة والسياسية في فاس والمغرب عامة. و إذا كان دور شيوخ القرويين في المجتمع قد تراجع منذ عقد الحماية. إلا أن ذلك الدور قد انتقل إلى نخبة الشباب القرويني الذي شارك في بناء وعي وطني مؤسس. وواجه منظومة الحماية في مشاريعها التي هددت وحدة المجتمع المغربي. واستطاع كشف آلياتها التي كانت تتستر وراء شعارات واهية. و لذلك كان هؤلاء الشباب من وراء تحطيم أسطورة الماريشال ليوتي في بناء "المغرب العصري". فقد تحولت جامعة القرويين بحق إلى قلعة للدفاع عن الهوية الوطنية. و مركزا للوطنيين الشباب الذين ارتبطوا بها أشد ارتباط. و عبروا فيها عن كل مكنوناتهم الوطنية في وقت لم يكن مسموحا للتعبير عن ذلك في أي مكان آخر. و بقيت بصمتها حاضرة في الوعي المغربي الذي عبرت عنه الحركة الوطنية فيما بعد في نضالها و كفاحها من أجل استقلال المغرب. فعندما قامت فرنسا بخلع السلطان محمد بن يوسف في 20 أوت 1953 عارضت جامعة القرويين ذلك و رفض العديد من علمائها مبايعة صنيعة الحماية محمد بن عرفة. و قد كان لذلك أثرا كبيرا في عودة محمد بن يوسف سلطانا شرعيا على المغرب².

¹ - دراسة قام بها محمد حسن الوزاني عام 1945 تحت عنوان "Le Protectorat Crime De Lèse-nation Le Cas Du Maroc" بعد مرور ثماني سنوات على نفيه و سنة قبل إطلاق سراحه. و قد عبر المؤلف في هذه الدراسة عن انتقاده شديد اللهجة للسياسة الاستعمارية التي تمجتها فرنسا بالمغرب في عهد الحماية كما قام بفضح سياسة الماريشال ليوتي باعتباره مؤسس هذه السياسة. و بعد استقلال المغرب و في إطار جمع تراث محمد حسن الوزاني بعد وفاته سنة 1978. صدر الكتاب بالفرنسية سنة 1992. و قد تم ترجمته من طرف أحد رفقاءه و هو محمد بن جلون تحت عنوان "الحماية جناية على الأمة، المغرب نموذجا" الذي صدر سنة 1994.

² - يعتبر الشيخ محمد العربي العلوي من أهم علماء جامعة القرويين الذين كانوا من المؤيدين للسلطان محمد بن يوسف في صراعه مع نظام الحماية. ورفض بيعه ابن عرفة، فتعرض للنفي إلى تيزنيت في الصحراء، وتم تعذيبه على كبر سنه، وعاد إلى فاس بعد أن بقي في المنفى سنتين. وتوفي سنة 1964. أنظر، محمد الوديع الآسفي، السلفي المناضل الشيخ محمد العربي العلوي، مرجع سابق.

3 . الحركة الصحفية الخطية:

ظهرت الصحافة الوطنية المغربية كعامل منشط للوعي الوطني بشكل منظم في مرحلة الثلاثينات من القرن العشرين. سواء في المنطقة السلطانية أو المنطقة الخلفية. وذلك بظهور العديد من الجرائد والمجلات في كل من تطوان و فاس والدار البيضاء والرباط و مراكش، وغيرها من المدن المغربية. وبالرغم من مضايقات سلطات الحماية لهذا الحركة، إلا أنها استطاعت أن تتحول إلى عامل مهم في تعبئة المغاربة ضد نظام الحماية. وفي التعريف بمضامين الحركة الوطنية المغربية بمختلف اتجاهاتها¹.

بالرغم من هذا الظهور المتزامن للحركة الصحفية مع انطلاق الحركة الوطنية المغربية في مواجهة الظهير البربري سنة 1930، إلا أن جذورها تعود إلى ما قبل هذا التاريخ بكثير². فقد عرف المغرب نشاطا صحفيا منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر³. وعلى العموم فإنه يمكن التمييز بين مرحلتين متباينتين في تاريخ الصحافة المغربية التي شكلت مصدر وعي للحركة الوطنية المغربية في نضالها ضد نظام الحماية. ففي مرحلة ما قبل إعلان الحماية على المغرب سنة 1912 كانت الصحافة المغربية صورة عن الصراع الذي كان قائما بين المغرب وبين القوى الاستعمارية. عندما كان المغرب يسعى بكل الوسائل الدبلوماسية للحفاظ على استقلاله، وإبعاد مشروع استعمار، الذي بدأ يتضح منذ سقوط الجزائر في جويلية 1830. فإن هذه القوى كان لكل واحد منها رؤية استعمارية في أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط. وكان المغرب في عمق هذه الرؤية، بل مفتاحها نظرا لموقعه الجغرافي باعتباره مدخلا غربيا لبحيرة البحر الأبيض المتوسط. كما هو الحال لبريطانيا وإسبانيا. أو مظهرها

¹ - جامع البيضاء، دور الصحافة في النضال السياسي في الحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الاستقلال في ندوة المقاومة المسلحة 1900-1934، الجذور و التجليات، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، أغادير 1991 ص، 271-283.

² - كانت أول محاولة إصدار نشرة عمومية بالمغرب سنة 1448 عندما نشر الشيخ محمد بن غازي المكناسي محاولته الخطية التي جمعها و نشرها ثم كان يأمر أصحابه و تلامذته أن يأتوه بأصداء تلك النشرة. كما كان كل يوم الأربعاء يبرز لهم مجلته الخطية. في حين أن ظهور الطباعة الحديثة في المغرب في سنة 1859. أنظر، زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، نشأتها وتطورها، الجزء الأول وزارة الأنباء المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1968، ص، 07.

³ - في سنة 1820 صدرت أول جريدة بالمغرب بمدينة سبتة تحت عنوان "المتحرر الإفريقي". أنظر، زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص، 07.

للتعبير عن قومية صاعدة للظهور كقوة إقليمية. وقد كان الاستعمار إحدى الوسائل لتعبير عن ذلك الوجود القومي كما هو الحال لألمانيا وإيطاليا. أما باريس فقد أعطت لنفسها أولوية في المغرب للحصول على ما أسمته "الضرورة السياسية والعسكرية والاقتصادية لفرنسا" على حد تعبير "أوجان أوتيان" *Eugène Étienne* ¹. وقد كانت الصحف الصادرة في تلك الفترة صورة عن ذلك الصراع. وبالرغم من أنها لم تكن صحافة بالمعنى العصري لها، ولكنها عبرت من حيث مضمونها بوضوح عن حقيقة ذلك الصراع الذي كان دائرا تحت مسميات عديدة، من أهمها "المسألة المغربية".

لقد كانت تلك الصحافة تعبر عن رغبة وطنية أدركت حقيقة الحركة التي كانت تسير العالم آنذاك. ولذلك حاولت الخروج من الضعف والانهيال الذي كان عليه المغرب. بما يحافظ على سيادته المهددة بمشروع احتلال متعدد الأطماع والأطراف. كما كانت كذلك تعبيرا إعلاميا عن "القضية المغربية" وهي مهمة الصحافة في كل زمان ومكان. بالتعبير عن هواجس واهتمامات دولها ومجتمعاتها. وقد كانت الظروف حينها تعبيرا عن هذه الثنائية ². فغالبية المقالات والمواضيع التي كانت تناولها تلك الجرائد كانت حول مناورات دبلوماسية لدولة أوروبية مع المغرب. أو خبر عن تحرك عسكري لسفينة من سفن هذه الدول مياه المغرب. أو معلومات عامة حول بعض قضايا الثنائية بين المغرب وإحدى هذه الدول. كما كانت في بعض الأحيان لسان حال لمصالح دولة أوروبية ³.

ومما يثير الانتباه أن هذه الإصدارات كانت مستقلة عن بعضها البعض. وعادة ما كانت مرتبطة بمدينة دون أخرى. فقد كانت صحافة مدن أكثر منها صحافة المغرب كوطن. ولعل تلك الاستقلالية التي كانت تتمتع بها هذه المدن من حيث بنيتها الاجتماعية والثقافية الموروثة عن التاريخ البعيد للمغرب، كانت من وراء ذلك. ولكن ذلك لم يخرجها من خطها الوطني من حيث توجهها. لأنها كانت تعبر عن أوضاع المغرب التي كانت تشترك فيها جميع المدن. و كنتيجة

¹ - تم التطرق لهذه الشخصية سابقا

² - زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص 80.

³ - *Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, des origines à 1956, publication de la Faculté, des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat 1996, p 17.*

لذلك ظهرت صحافة في العديد من المدن سواء في الشمال أو الجنوب. مثل صحافة تطوان و صحافة طنجة والرباط و فاس الدار البيضاء وغيرها من المدن المغربية¹.

ظهرت في الشمال المغربي حركية صحفية نتيجة التوغل الإسباني فيه من خلال عدد من المراكز التي أحدثها الإسبان و حولوها إلى منطلقات لأنشطتهم في مواجهة الأوضاع حتى في مدريد فهناك الكثير من المحطات الحاسمة في التاريخ الإسباني انطلقت من الشمال المغربي، و من أهمها ثورة فرانكو سنة 1936. و من أهم الصحف التي صدرت في هذه المنطقة قبل الحماية سنة 1912 "صدى تطوان" و "مخبر تطوان" في سنة 1860². وشهدت العاصمة الدبلوماسية لـ "المغرب المريض" مدينة طنجة تبلور هذا الصراع بين الوطنية المغربية والمشروع الاستعماري الذي كان يعمل على تقويض دعائم الاستقلال³. فعرفت هذه المدينة ميلاد العديد من الجرائد مثل جريدة "عين طنجة" سنة 1870. و "المغرب الأقصى"، و "انبعاث المغرب" سنة 1883 و "الأيام المغربية" سنة 1884 و "المغرب" سنة 1889 التي تعتبر أول جريد عرفها المغرب باللغة العربية و جريدة "السعادة" التي أصدرتها السفارة الفرنسية سنة 1904 وقد كانت ناطقة رسمية باسم الحماية الفرنسية بالمغرب⁴. وجريدة "أنباء المغرب" سنة 1905 ومجلة "الصباح" سنة 1906 وجريدة "الاستقلال المغربي" سنة 1907. و "لسان المغرب" سنة 1908

¹ - زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص 82.

² - زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص 133

³ - محمد خير فارس، المسألة المغربية 1900-1912، مرجع سابق، ص 446.

⁴ - جريدة "السعادة" أول تجربة صحافية عربية ظهرت في المغرب، صدرت سنة 1904م بمدينة طنجة بمبادرة من القنصلية العامة الفرنسية. وكان وراء تلك التجربة "أوجين مارغوت"، المسؤول عن الإعلام والأخبار في القنصلية، والذي عهد بمسؤولية إدارة الجريدة إلى شخص جزائري يدعى مولاي إدريس بن محمد الحيزاوي، وكان دور الجريدة، كما كتب مديرها في أحد أعدادها هو «شرح الموقف الفرنسي حول القضية المغربية (للأهالي)، والدفاع عن مصالح بلادنا أمام الأطماع الأجنبية». وصدرت باسم "الصباح" يوم 7 نوفمبر عام 1904م في أربع صفحات، ثم غيرت اسمها إلى جريدة السعادة ارتكز دورها أولا في التعريف بمزايا فرنسا الحضارية ونقل أخبار الدولة الفرنسية إلى المغرب، ثم كانت الجريدة تتابع الأحداث في تونس والجزائر مشيدة بـ "إنجازات فرنسا" في كافة المجالات، وكانت تغطي أخبار المقاومة والمقاومين في البلدان المغاربية الثلاثة، إذ كانت تنشر أخبار العمليات التي تحدث في هذه البلدان وتصفها بالأعمال الإرهابية. مثلما تناولته كذلك عن الريف والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، مثلت "السعادة" أول وسيلة إعلامية بلسان عربي بالمغرب من أجل ترويح أطروحتها الاستعمارية. أنظر، زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص 145.

و"الحق" سنة 1911. و لئن تعددت العناوين فإن مضامين كل هذه الجرائد كانت تتمحور حول الأوضاع الداخلية لهذه المدن مع أخبار حول الأوضاع الخارجية من حين لآخر¹. أما في مدينة فاس فقد أجمعت كل الكتابات حول الصحافة بالمغرب على أن هذه المدينة كانت أول مدينة مغربية أصدر بها رجلا وطنيا في المغرب الأقصى جريدة باللغة العربية سنة 1906 تحت عنوان "الطاعون" للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني². وكانت تكتب بخط اليد و تطبع في المطبعة الفاسية. من أربع صفحات. وقد كان الكتاني دائما يدعو في رسائله علماء الدين إلى الاهتمام بالجرائد الأجنبية و إصدار جرائد للدفاع عن حقوق الأمة و وجهة نظرها. و لذلك بادر إلى إصدار جريدة للدفاع عن المصالح الوطنية. والرد عن الأقلام الأجنبية. حيث كان صاحبها يجمع لديه عدد من علماء مدينة فاس ويساوي عدد النسخ التي يريد توزيعها بين الناس ويوزع عليه القراطيس ويستكتبهم المقالات وهم محللون حوله³. و قد كان إصدار جريدة "الطاعون" بعدما عجز الكتاني عن إرسال مقالاته إلى الجرائد الخارجية. خاصة و أن جريدة "السعادة" كانت تكتب الكثير من القضايا التي كانت تخدم الأطماع الأجنبية. و لذلك وجب الرد عليها⁴. و لذلك أصدرها صاحبها للرد على الصحف الصادرة في طنجة التي كانت تدافع عن النفوذ الأجنبي في المغرب حسب محمد خير فارس⁵. فقد كانت

¹ - زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص 133 - 173.

² - هو الشيخ أبو الهدى محمد الباقر بن محمد عبد الكبير الكتاني إمام مصلح و فقيه محدث، ولد سنة 1901 و تربى تحت رعاية والده. و لم يكد يبلغ ثمان سنوات حتى زج في السجن مع والده الشيخ محمد الكتاني و كل الأسرة الكتانية. و لما استشهد والده كفله جده الإمام الشيخ عبد الكبير الكتاني. و قد تلقى علومه الأولى في الكتاب في مدينة فاس و منذ نعومة أظفاره برزت عليه علامات النبوغ لحفظه الكثير من المتون المتداولة آنذاك و كان يجلس في الحلقات التي كان يعقدها كبار علماء القرويين أمثال جده عبد الكبير الكتاني، و الشيخ المهدي الوزاني و الشيخ بن محمد ابن الحياط الزكاري و أحمد بن الجيلاني. و في سنة 1920 انتقل إلى الرباط و درس ن علماء آخرون مثل الشيخ محمد المدني ابن الحسني، و الشيخ أبو شعيب الدكالي. و في سنة 1921 انتقل إلى الحجاز و درس عند علماء آخرون مثل الشيخ عمر بن حمدان الحرسى و عبد القادر بن توفيق الشليبي. و قد كان له نصلا وطنيا كبيرا. و منع بقرار إداري بالدخول إلى البوادي و الأرياف من طرف سلطات الحماية. و كان من المؤيدين لبيان الاستقلال في جانفي 1944. و كان من مؤسسي رابطة علماء المغرب في مدينة سلا. و كان له العديد من المواقف الوطنية. توفي في سنة 1964 و دفن بالزاوية الكتانية بمدينة سلا. أنظر، محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، تقديم محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحقيق نور الهدى عبد الرحمن الكتاني، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2005، ص 26 - 46.

³ - محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، مصدر سابق، ص 26.

⁴ - المصدر نفسه، ص 30.

⁵ - محمد خير فارس، المسألة المغربية 1900-1912، مرجع سابق، ص 444.

تكتسي صبغة الصحافة السياسية.و كان نخبة من الشبان المتحمسين للنهضة الوطنية و العلماء الواعون و على رأسهم الشيخ محمد الكتاني. فكانوا يصدرون هذه الصحف بشكل رسائل صغيرة يبينون فيها تدهور سياسة الحكومة و دسائس الدول الأجنبية و لا سيما فرنسا التي أرادت ابتلاع المغرب و يفضحون مناورات العملاء و صنائع الاستعمار الذين كانوا يمهدون له بمختلف الأقوال و الأعمال¹.

في سياق مضمون جريدة "الطاعون" صدر في مدينة فاس جرائد أخرى لنفس الهدف الوطني مثل جريدة "سنان القلم" التي أصدرها صاحبها محمد العابد بن سودة سنة 1907 و كذلك للرد على مقالات "السعادة" " من تدخل في شؤون المراكشيين" كما كان يرد في معظم مقالاتها. كما كان لهذه المجلة توجهها أدبيا. فقد عرفها صاحبها في العدد الأول بأنها "مجلة أدبية يتأنس بمطالعتها الأديب و يطلع بها على كل نمط غريب و يكشف بها عن حال صدر منه الذل و يقمع بها من أراد الدفاع عن ذلك كصاحب السعادة"². كما كانت هذه الجريدة من مؤيدي البيعة الحفيفية في أوت 1907 التي جاء فيها بأنها تعبير عن الرأي الوطني المتحرر من الإقطاعية والانهزامية، وارتكاز على نظام الشورى المتمثل في مجلس الأعيان لتتمكن الأمة من تحمل مسؤوليتها كاملة ثم لتوافق على كل إجراء بما لا يضر بدينها ولا عوائدها ولا استقلال سلطانها³. و في دفاعها على خطها الوطني الأصيل و الرد على بعض ما جاء في جريدة السعادة ذكر محمد العابد بن سودة في إحدى افتتاحياته بأن صاحب هذه الجريدة "أصبح في أمره مهول و يهيم في كل واد رجما بالغيب بعدما اقتحم طريق الشتم والغيب المنافي للمحبة الوطنية التي تجلب الخير وتبعد كل الشرور"⁴.

لقد تمكنت جريدة "سنان القلم" أن تتحول إلى مرآة عكست حقيقة الأوضاع التي كانت قبل إعلان الحماية على المغرب. لأنها و غيرها من الجرائد والمجلات الأخرى استطاعت أن تصور المسألة المغربية في أدق تفاصيلها فمن جهة رغبة وطنية للحفاظ على الاستقلال عبرت عنها هذه المضامين و من جهة أخرى تكالب القوى الاستعمارية بكل الوسائل بما فيها عدد من الجرائد التي كانت تعبر عن ذلك على رأسها جريدة "السعادة". التي واجهتها عدد من الصحف

¹ - محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، مصدر سابق ، ص 33.

² - زين العابدين الكتاني ، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص، 192.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - المرجع نفسه، ص 193.

الوطنية التي تضمنت فكرا وطنيا. مثلما كان الأمر لجريدة "المفاكهة" التي صدرت في سنة 1908 بمدينة فاس من طرف عبد الحي الكتاني. و واجهت هي الأخرى ما سمته خزعبلات الجريدة الطاغية "السعادة" التي تحقق المغاربة من خيانتها وسوء دسائسها وعظيم ضررها¹ كما خاطب الكتاني الرأي العام الفرنسي أو بما سماهم "عقلاء الشعب الفرنسي" الذين لا يرضون بالسب و المهاجمة و إذلال الشعوب الأخرى². و في مقارنته بالقصف الفرنسي لمدينة الدار البيضاء في جويلية 1907 اعتبر أن الفرنسيين عاملوا أهل المغرب بما عاملهم به الألمان في مدينة باريس في حرب 1870 التي "مازلت رنانة في آذانهم"³. و اتهموا حينها الألمان بعدم مراعاة القواعد الإنسانية. و إذا كان البروسيون حينها قصفوا مدينة ستراسبورغ و أحرقوا سكانها وأصابوا كنيسة الكبرى، فإن الفرنسيين كذلك فعلوا وأكثر من ذلك في قصفهم للدار البيضاء، و قتلهم للسكان وتحطيمهم للمساجد و الجوامع⁴.

بعد انعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء في سنة 1906 و ما نتج عنه من قرارات مجحفة في حق المغرب. فقد عبرت شروطه عن حالة ضعف و انحطاط كان المغرب يعيشها سواء على المستوى الداخلي بما يعرف بالعهد العريزي الثاني أو المستوى الخارجي بتصاعد الأطماع الأجنبية و تحولها إلى صيغ تنفيذية تجسدت في عدة موثيق أورو متوسطية، و التي انتهت بقرارات هذا المؤتمر. و قد أدت هذه الأخيرة إلى ردود أفعال داخلية قوية من طرف النخبة المغربية التي عبرت عن ذلك من خلال عدة وسائل وكانت الصحافة إحداها. وفي هذا المضمون اصدر الشيخ محمد بن يحي الصقلي في سنة 1906 جريدة تحت عنوان "تنبيه المستبد" التي انضمت إلى الخط الوطني الذي كانت تعبر عنه "الطاعون" و "المفاكهة" و "سنان القلم" وغيرها. و قد قسمت مواضيع هذه المجلة إلى قسمين، الأول الذي كان الشيخ الصقلي يشرف عليه شخصيا و قد خصصه هو الآخر للرد على مواضيع جريدة "السعادة" التي سمها بـ "التعاسة" فأعتبر خطتها شنعاء و تهورا كبيرا وتجاوزا لكل الحدود. وكانت تتبع سياسة خرقاء و مسلكا غير قويم و رمت بالإنسانية و المروعة من وراء ظهرها و لم تارع لا قانون

¹ - زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص، 200.

² - المرجع نفسه 201.

³ - المرجع نفسه 202.

⁴ - المرجع نفسه 202.

الصحافة ولا الإنسانية¹. و جعل من قلة الحياء شعارا له. واعتبر نفسه ناصحا أمينا و لكنه كان الأجدى و الأنفع أن ينصح نفسه. ويبتعد عن الخزعبات والمخزيات و المعجرفات². و حتى عندما تظاهر بالدفاع عن المصالح القومية للأمة فإنه كان أبعد عنها. فتظاهر بالتمدن و الإنسانية و أن ما سواه ليسو بذلك. و لكن في حقيقة الأمر هو و "جريدته أضحوكة للمغاربة الكبار و لعبة محروقة للصغار لأنه لم يعلم أن للمغرب رجالا في الكتابة والإشياء لا يضاؤون وإذا ركبوا صهوة الأفكار لا يجارون عن نصرة وطنهم وملتهم لا يحيدون، وبحبل الله مستعصمون"³. أما القسم الآخر فقد خصته الجريدة لكتاب آخرون أمثال الشيخ العباس بن أحمد التازي والشيخ أحمد بن الحاج العياشي سكيرج وعبد الكريم بن العربي بنيس. و قد كانت مواضيع هؤلاء تتمحور حول نفس الخط الافتتاحي للجريدة أي مواجهة الضغوط الأجنبية من الخارج و الرد على ما كانت تكتبه جريدة "السعادة" و لكن بأسلوب مغاير لأسلوب رئيسها محمد الصقلي. فقد كانت مقالاتهم ذات توجه أدبي فني و لكن بمضامين سياسية فكانوا يكتبون قصائد شعرية و مقالات نثرية حول مواضيع سياسية و يردون فيها على مقالات "السعادة" بطرق ليست سياسية من حيث ظاهرها و لكن في عمقها كانت كذلك⁴.

عرفت مدن أخرى من المنطقة السلطانية حركة صحفية نشيطة و لكنها اختلفت في أهدافها عما ذكر حول صحافة فاس. لأنها كانت بأقلام استعمارية و توجهت لخدمة هدف باريس في المغرب و هو تحضير الأرضية النفسية للتدخل الفرنسي في وقته المحدد. كما هو الحال في الدار البيضاء التي صدر بها جريدة " لافيحي ماروكان *La Vigie Marocaine* " التي صدرت سنة 1908 و" لوبوتي ماروكان *Le Petit Marocain* " التي صدرت سنة 1912⁵. و إذا كان لسان هذه الجرائد فرنسية فإن المصالح الاستعمارية الفرنسية وصلت إلى حد إصدار جريدة بالدار البيضاء بلسان عربي و لكن لخدمة نفس الأغراض كما هو الحال لجريدة "الأخبار المغربية" التي أصدرها أحد رجال القانون المتعاونون مع هذه المصالح المسمى بدر

¹ - المرجع نفسه 200.

² - زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص 203.

³ - المرجع نفسه 204.

⁴ - جاء في إحدى القصائد التي كتبها أحمد بن الحاج سكيرج ما يلي: أخو الشقاوة طول الدهر ما صدقا فيما تقوله من باطل زهقا
لذاك قامت ليوث الضرب صائلة يرمون أحشائه بما به احترقا

⁵ - *Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 72.*

الدين البدرابي سنة 1912 حيث رحبت هذه الجريدة في افتتاحياتها بالتوغل الفرنسي في المغرب و اعتبرته تحضيراً و إيصالاً للحضارة الغربية الضرورية للمجتمع المغربي في تلك الظروف¹.

لقد كانت الحركة الصحفية قبل إعلان الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912 تعبيراً عن طبيعة الصراع الذي كان دائراً بين القوى الاستعمارية، و بصورة خاصة فرنسا، و بين القوى النخبوية المغربية التي تفتنت لهذا المشروع واستعملت الصحافة لكشف هذا المشروع الذي تسربت أفكاره إلى داخل المغرب و أصبحت جريدة "السعادة" ناطقاً رسمياً له منذ صدورها سنة 1904 بمدينة طنجة بمبادرة من القنصلية العامة. فكانت صحافة فاس تعبيراً صادقاً عن هذا الموقف. و كانت كل جرائدها دفاعاً عن استقلال المغرب، الذي لم تدافع عنه آنذاك السلطة المركزية التي كانت غارقة في خلافاتها الداخلية بعد سقوط مخزن باحماد سنة 1900. ثم ازدادت أوضاعها تدهوراً بعد الخلاف العريزي الحفيظي منذ قصف الدار البيضاء في جويلية 1907. و قد عبر صاحب جريدة "سنان القلم" محمد بن سودة بقوله أن ما حصل حينها هو خداع الحاكمين الإقطاعيين و عملاء السفارات للأمة و السلطان².

بالإضافة إلى ذلك واجهت هذه الجرائد الأطروحة الاستعمارية القائلة بتحضير المغاربة و تقديمهم و كشفت زيف ذلك و مغالطته التاريخية لحقيقة الوقائع. و بقي ذلك النضال قائماً على أعمدة هذه الجرائد بتقديم الأدلة و شرح المواقف و غيرها من القضايا إلى أن انتهت هذه المقاومة بسقوط المغرب تحت طائلة نظام الحماية الذي ظهر في عقد مارس 1912. مما أدى إلى تحول جذري في اهتمامات الصحافة الوطنية التي لم تعد تواجه مشروع ذلك الخطر المحدق لأنه أصبح أمراً واقعاً. ظهرت نتائجه في الحجر الفرنسي على كل الحريات و خصوصاً حرية التعبير بما فيها الصحافة. و لم تترك سوى الجرائد الموالية لها و على رأسها "السعادة". و من المفارقات العجيبة أن هذا الحجر الذي مارسه سلطات الحماية هو نفسه الذي كانت تشتكي منه قبل ذلك و كانت باريس عن طريق قنصليتها العامة في طنجة تطالب مراراً

¹ - Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 75.

² - زين العابدين الكتاني، الصحافة المغربية، مرجع سابق، ص 211.

المخزن المغربي بعدم تكميم الأقواه و ترك حرية التعبير للصحافة التابعة لها بالرغم من الضرر الذي كانت تلحقه بمصلحة المغرب أمة و سلطة¹.

منذ ذلك التاريخ أصبحت اهتمامات النخبة المغربية تتجه نحو مواجهة هذا الأمر الواقع من خلال البحث عن صحافة ما بعد سنة 1912. إلا أن ذلك لم يكن بالعمل السهل. فقد قامت سلطات الحماية بتقييد كبير للنشاط الصحفي بإصدارها لظهير 27 أبريل 1914². و قد كان وراء هذا القانون مجموعة من الأسباب دفعت بالجنرال ليوتي لإصدار هذا الظهير. فنظرا لطبيعة النظام الأساسي للاحتلال الفرنسي في المغرب المتمثل في الحماية التي كانت وصاية إدارية لا حكما مباشرا. و لذلك كان من المفروض أن يطبق في المغرب نفس قانون الصحافة الصادر في فرنسا في جويلية 1881³. إلا أن ذلك كان سيسبب لها تحديات متعددة المصادر فمن جهة كانت باريس محل دعاية مضادة كبيرة من طرف الدول الأوروبية التي لم تهضم بعد التوغل الفرنسي في المغرب مثل إسبانيا التي شجعت كثيرا عدد من الصحف المعادية للمصالح الفرنسية مثل جريدة "الحق" الصادرة في طنجة سنة 1911 والتي قامت بحملة مضادة للمصالح الفرنسية في المغرب واستطاعت أن تؤثر على الرأي العام المغربي بشكل كبير خاصة وأن السلطات الإسبانية في الشمال كانت تقوم بتوزيعها إلى غاية مدينة فاس⁴. و من جهة أخرى لم تسهل مهمة سلطات الحماية ما كانت تقوم به بعض الصحف الفرنسية من تهجم على المؤسسات المخزنية المقدسة التي أضافت متاعب للسلطات الحماية مثل حالة جريدة "l'émancipation"⁵.

يعتبر ظهير 1914 أول قانون لتأطير النشاط الصحفي في المغرب بما يخدم مصالح سلطات الحماية. ويحول دون أي نشاط يمس بالمصالح الفرنسية في المغرب سواء كان

¹ - Amina Aouchar, la presse marocaine dans la lutte pou l'Indépendance 1933-1956 Ed .Wallada ,Casablanca,1990, p 53.

² - Amina Aouchar, la presse marocaine, op.cit., p , 17.

³ - Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 95..

⁴ - لمواجهة هذه الجريدة قامت سلطات الحماية بمحاكمة رئيس تحريرها أحمد رفعت ومساعدته محمود زكي المصريين بتهمة إثارة الرأي العام ضد فرنسا، أنظر: Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 91.

⁵ - نظرا لما قامت به جريدة "l'émancipation" ذات الميولات اليسارية بتهجم على المؤسسات المغربية التقليدية والملوك الكبار احتجت ضدها سلطة المخزن عن طريق باشا مراكش الذي بعث برسالة للمقيم العام تتضمن احتجاجا ضد هذه الجريدة متهما إياها بنشر الكفر ودفع العمال للتمرد، أنظر: Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 97.

مصدره خارجيا، والذي كان متمثلا حينها أساسا في الدعاية الألمانية العثمانية والإسبانية المضادة للمصالح الفرنسية في المغرب. والحرص الكبير الذي كانت تقوم به الصحافة الشيوعية المعارضة بطبعها للنظام المخزني التقليدي المتحالف مع نظام الحماية و عدد الصحف العربية الواردة من مصر ولبنان وسوريا والمشرق العربي بصورة عامة. وحتى من الدول المجاورة كما هو الحال بالنسبة للجزائر و تونس. فبحجة الحرب العالمية الأولى و حتى في ما بعدها في الفترة الممتدة إلى غاية 1933 أصدرت سلطات الحماية أكثر من مائتي قرار منع دخول الصحف للمغرب من مختلف البلدان واللغات بما يحقق عزلة المغرب والمغاربة عن التطورات التي كان العالم يعيشها بعد الحرب الأولى، وبالتالي عدم تسرب الأفكار التحررية للمجتمع المغربي¹.

كذلك الأمر بالنسبة للداخل من خلال منع أي نشاط صحفي وطني في المجتمع المغربي فبالرغم من أن هذا الظهير استمد روحه من القانون الفرنسي للصحافة إلا أنه تضمن العديد من العراقيل التي تحد من أي نشاط صحفي يطرح على أعمدته قضايا نظام الحماية². فبالنسبة لهذا الأخير اعتبر حرية الصحافة بالنسبة للمغاربة بمثابة مغامرة تتمثل في ترك بين يدي هؤلاء سلاح يمكن أن يوجه ضده في أي وقت³. وبالرغم من التعديلات التي مست هذا القانون عدة مرات لظروف مختلفة فقد بقي مهيمنا على النشاط الصحفي خلال كامل فترة الحماية وبصورة خاصة على الصحافة الصادرة باللغة العربية التي بقيت محاصرة وفق هذا الظهير وحتى بالنسبة للظهائر التي صدرت بعده⁴.

نتيجة لهذه الظروف استطاعت الصحافة الناطقة بالفرنسية الصادرة بالمغرب، والتي تخدم منظومة الحماية في مختلف مجالاتها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أن

¹ - اعتمدت قرارات المنع هذه على ظهير 27 افريل 1914 و قانون حالة الطوارئ لـ 02 أوت 1914 و ظهير 1920 الذي يعتبر امتداد لقانون الطوارئ أما مبررات المنع فكانت تم الأغراض غير السليمة و الحملات العدائية الخارجية و إثارة السكان ضد فرنسا و غيرها من المسوغات التي كانت ذات خلفية أمنية بامتياز أنظر: *Amina Aouchar, la presse marocaine, op.cit. , p , 18.*

² - تضمن هذا القانون بندين إضافيين عن القانون الفرنسي يتمثل في الإعلان المسبق قبل صدور أي عنوان صحفي لدى وكيل الدولة بالنسبة للجرائد باللغات الأجنبية و الى الكتابة العامة بالنسبة إلى الجرائد الصادرة باللغة العربية أو العبرية وأن يكون المدير مقيما بالمغرب و متمتعاً بجميع حقوقه المدنية ولم يسبق له أن تعرض للحبس. و تضمن البند الثاني ضرورة دفع كفالة مالية تقدر بستة آلاف فرنك فرنسي. أنظر: *Amina Aouchar, la presse marocaine, op.cit. , p , 31.*

³ - *Christiane Souria-Hoebrechts, la presse maghrébine :Libye, Tunisie, Maroc ,Algérie, Evolution historique situation en 1965. Organisation et problème actuels; Ed. Du C.N.R.S. Paris 1975, p 40*

⁴ - *Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française op.cit. p 95.*

تهيمن على الواقع بظهور عدد كبير من الجرائد والمجلات اليومية والأسبوعية، فكانت كل واحدة منها تدافع عن منظومة الحماية كمشروع ملائم للشعب المغربي. وأنها حتمية بالنسبة له حتى يستطيع التقدم والخروج من دائرة التخلف، والاستفادة من الحضارة الغربية¹. وفي المقابل انعدمت الساحة من أي نشاط صحفي باللغة العربية مستقل عن إدارة سلطات الحماية فمنذ 1912 إلى 1930 لم تصدر سوى تسعة عناوين بلسان عربي و لكنها كانت في خدمة نظام الحماية في مختلف المجالات. فقد حرصت الإدارة على هذا التوجه بضمان مديري هذه الجرائد الذين كانوا من الأجانب بالإضافة إلى طبيعة المواضيع التي كانت هذه الصحف تتطرق إليها و التي كانت ذات الطابع الإخباري والفني والأدبي في غالب الأحيان².

لمواجهة هذا الوضع سعى الوطنيون المغاربة في مطلع العشرينات إلى تعويض هذا الواقع بالبحث عن متنفس آخر لها. و كان من بين ما توصلت إليه و لو بصعوبات كبيرة الإطلاع على الصحف المشرقية والجزائرية والتونسية التي كانت تدخل المغرب بصورة سرية نظرا لمنع سلطات الحماية دخولها. فقد كانت هذه الأخيرة بالنسبة إليهم نافذة للتعبير عن مطالبهم وآرائهم من نظام الحماية من خلال أقلامهم التي كانت تحت أسماء مستعارة. بالإضافة إلى ما كانت هذه الجرائد والمجلات تكتبه من أخبار حول المقاومة المسلحة المغربية، وبصورة خاصة مقاومة عبد الكريم خطابي في الريف، ومن خلال هذه الصحف كذلك تعرف الشباب المغاربة على حركة المقاومة السياسية التي انطلقت بعد الحرب العالمية الأولى في المشرق العربي بصورة عامة وفي مصر بصورة خاصة، فكثير من زعماء الحركة الوطنية المغربية تأثروا بسعد زغلول مؤسس حزب الوفد في مصر، وبقدر ما اعتبروا عبد الكريم الخطابي زعيما للجهاد المسلح اعتبروا زغلول زعيما للجهاد السياسي³. وتأثروا بموته و

¹ - Christiane Souria-Hoebrechts, la presse maghrébine op. cit., p 40

² - تتمثل هذه العناوين في جريدة "الأخبار المغربية" الصادرة سنة 1912 بالدار البيضاء وهي إخبارية وجريدة "الترقي" الصادرة سنة 1913 بطنجة وهي أدبية وجريدة "أخبار تلغرافية" الصادرة سنة 1917 بفاس وهي إخبارية ومجلة "الإصلاح" الصادرة سنة 1917 بتطوان وجريدة "الجنوب المغربي" الصادرة سنة 1922 بمراكش وهي أدبية اقتصادية وجريدة "إظهار الحق" الصادرة في سنة 1924 بطنجة وهي أدبية وجريدة "أخبار العالم" الصادرة سنة 1924 بطنجة وكان اهتمامها ديني ومجلة "الاتحاد" الصادرة سنة 1927 بتطوان وهي إخبارية ناطقة باسم الإقامة الأسبانية، أنظر: محمد المنوني المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001، ص288

³ - لقد كان لسعد زغلول تأثير متميزا على الحركة الوطنية المغربية دون غيره، فقد اطلع الشباب المغربي على صحافته وخطبه وعندما انتقل عدد منهم سنة 1925 إلى القاهرة بغرض التعلم التقوا به واستمعوا إليه و تأثروا به، وبعد عودتهم إلى المغرب كانوا

أقاموا له حفلات التأبين عند موته¹. و قد شجعهم في ذلك الكثير من الجرائد وبصورة خاصة الجزائرية التي فتحت صفحاتها لأقلام مغربية فتدربوا على الكتابة الصحفية واستطاعوا التعبير عن آراء ومواقف سياسية. مثل جريدة "الجمهورية الجزائرية" لفرحات عباس. و الشهاب و البصائر للعلماء المسلمين الجزائريين².

لقد أدى احتكاك الشباب المغاربة بالصحافة المشرقية والمصرية على الخصوص إلى ظهور رغبة ملحة في التعبير عن مطالبهم الوطنية الناشئة، مع حاجتهم الشديدة لآليات داخلية للتواصل ونشر آرائهم، والتعريف بها لدى الشعب المغربي وبالنظر إلى منع سلطات الحماية لصحافة مغربية بلسان عربي، فقد اتجه هؤلاء الشباب إلى صحافة خاصة في شكل مخطوطات سرية حيث كانت تكتب باليد في عدة نسخ وتوزع بصورة سرية على الأشخاص والجماعات السرية، وقد عرف جامع القرويين هذه الظاهرة في أواخر العشرينات عندما كان طلبته يتبادلون هذه المنشورات بصورة سرية. وقد ذكر علال الفاسي أنه أسس مع مجموعة من الإخوة مجلة شهرية سرية باسم "أم البنين" التي كانت تكتب باليد في أربعين صفحة وتوزع على مختلف الجماعات السرية بفاس والرباط ومراكش وطنجة وتطوان³. وقد عرف هذا النمط الجديد من "الصحافة الخطية"⁴ انتشارا كبيرا في أوساط الطلبة القرويين بفاس في أواخر عشرينات القرن العشرين بشكل ظهر و كأنه "ثورة صحفية"⁵.

محل اهتمام طرف المغاربة الذين اعتبروهم دعاة النهضة الشرقية في الوسط المغربي عامة، وعندما أصدر الوزاني جريدته الأسبوعية "عمل الشعب" في أوت 1933 حرص على أن يكون شعارها مقولة سعد زغلول حول الصحافة التي تتمثل في " الصحافة حرة تقول في حدود القانون ما تشاء، و تنتقد ما تريد، فليس من الرأي أن نسأها: لم تنتقدنا؟ بل الواجب أن نسأل أنفسنا: لم نفعل ما تنتقدنا عليه؟

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج، 01، مصدر سابق، ص 432.

² - كتب محمد حسن الوزاني في العديد من أعداد جريدة "الجمهورية الجزائرية" التي كان يصدرها فرحات عباس، و "الشهاب" التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين، و "الإصلاح" التي كتب فيها مقالا تحت عنوان "كيف يتمتع بالحق في المغرب غير صاحبه؟ بالإضافة إلى المقالات التي كان يصدرها في كبريات الصحف اليومية الباريسية كتمارين تطبيقية أثناء مزاولته للدراسة في "مدرسة الصحافة" بباريس.

³ - علال الفاسي الحركات، مصدر سابق، ص 159.

⁴ - محمد معروف الدفالي أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق ص 305.

⁵ - سميت الصحافة الخطية بالثورة الصحفية من طرف إدريس بن الماحي و هو أحد محرري جريدة "السيف القاطع" و قد ذكر ذلك الأستاذ محمد المنوني في تصنيفه للمصادر العربية للمغرب. أنظر، محمد معروف الدفالي أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق ص 305.

لقد كان لجامعة القرويين، التي كانت مركزا حيويا لحركة النخبة المغربية الإصلاحية في فترة العشرينات، دورا كبيرا في التأسيس لهذه الصحافة. فقد رأى فيها هؤلاء آلية مهمة للتعبير عن أفكارهم و تصوراتهم الجديدة. و قد ساعدتهم في ذلك عدم قدرة سلطات الحماية السيطرة المطلقة على هذه المؤسسة من خلال مشاريع الإصلاح و خاصة بعد فشل مشروع "مرسي" في سنة 1914. مما ترك هذه المؤسسة في حالة شبه فراغ استغله الشباب القرويني في تحركاتهم الوطنية الصاعدة¹. و غير بعيد عن القرويين قامت "المدرسة الناصرية"² بدور حاسم في التأسيس لهذا النوع من الصحافة. و خاصة في الفترة التي كان يشرف عليها محمد غازي الذي يعتبره الكثير أول وضع اللبنة الأولى للصحافة المغربية عن طريق هذه النشرات الخطية. و حتى عندما ظهرت صحافة الحركة الوطنية المغربية ظهرت متأثرة كثيرا بهذا الانطلاقة بالرغم من طبيعتها البسيطة والأولية. و في داخل هذه المدرسة كان إدريس بن الماحي الحسني من رواد هذا النوع من الصحافة بإصداره لعدد من هذه الجرائد و مساهمته في الكتابة في عدد آخر منها³. و من أهم هذه الصحف الخطية التي صدرت له في هذه الفترة في مدينة فاس. جريدة "الدين القيم" و "القمر" الصادرتان في سنة 1926⁴. و "السيف القاطع" التي صدرت سنة 1927 و تناولت قضايا إصلاح المجتمع من جميع الجوانب و بالرغم من مضايقة

¹ - تم التطرق لهذه القضية بالتفصيل سابقا.

² - تأسست المدرسة الناصرية ضمن حركة المدارس الوطنية الحرة في المغرب في فترة العشرينات. بزاوية سيدي أحمد بن ناصر الشهيرة في مطلع العشرينات من القرن العشرين. و كان مديرها محمد الغازي كما كان يدرس بها بعض الشباب في سنة 1927 من نجباء طلبة القرويين. و قد كانت مصدر قلق دائم لسلطات الحماية لأنشطتها التعليمية و الصحفية. و بدأت في محاصرتها في أنشطتها إلى أن قامت بنفي مديرها إلى الدار البيضاء. و غلق مقرها بدعوى إنما اتخذت مقرها في زاوية هي في نفس الوقت مسجد تؤدي فيه الصلوات. الأمر الذي جعلته سلطات الحماية مطية لمنع نشاطها بحجة تنافي إيوائها للمدرسة. و الحقيقة أن هذه المدرسة تحولت إلى ملتقى لدعاة الحركة السلفية ضد الطريقة. و بالرغم من ذلك فإن النخبة السلفية المجددة واصلت في تأسيس مدارس أخرى مثل "سيدي النالي" و "النجاح" و "الدرب الطويل" سيدي برمضان" و غيرها من المدارس الحرة التي أصبحت ظاهرة مميزة في المغرب بين 1914 و 1930. أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات حياة و جهاد، ج 01، مصدر سابق، ص 259.

³ - هو الفقيه العلامة الأستاذ إدريس بن الماحي بن محمد الإدريسي القيوطي الحسني الجوطي الفاسي، المولود بفاس في 13 سبتمبر 1909 التحق في سن مبكرة بإحدى الكتاتيب القرآنية بباب المنية، ليتعلم الكتابة والقراءة والحفظ، و ختم القرآن مرتين، ثم التحق بعدها بجامعة القرويين سنة 1932م، حيث حصل فيه على الشهادة الثانوية عام 1933م، كما نال الشهادة العالمية من القسم الأدبي بالقرويين سنة 1936م. اشتغل بالتدريس، حيث عين مدرسا بمدرسة أبناء الأعيان بفاس، ثم تقلد منصب النائب بثنائية مولاي إدريس بفاس، قبل أن يعين في نفس الثانوية أستاذا، وقد تخرّج عليه كثير من التلاميذ النجباء. وكان يصدر جريدتين خطيتين في قالب متوسط الأولى باسم ((السيف القاطع))، والثانية باسم ((اللواء)) توفي سنة 1971 بمدينة بفاس

⁴ - Amina Aouchar, la presse marocaine, op.cit. , p, 30.

سلطات الحماية لها فإنها بقيت صامدة و استطاعت أن ترفع في أعدادها و حتى في إخراجها الذي أصبح في ست صفحات.مما اعتبرها البعض دعامة أساسية في ثورة الصحافة الخطية¹. كما كان إدريس بن الماحي مساهما في إصدار "الإسلام" سنة 1926 و التي حملت شعار محاربة أوضاع الانحلال و "اللواء" سنة 1928 التي كانت أدبية و إخبارية².

بالإضافة إلى هذه الجرائد أصدرت شخصيات أخرى عناوين أخرى لم تقل أهمية عنها مثل أسبوعية "الهدى" و "المنار المغربي" الصادرتين سنة 1928 من طرف علال الجامعي و جريدة "الصراط المستقيم" الصادرة سنة 1928 من طرف مجموعة من النخبة الإصلاحية سمت نفسها "جماعة الخميس" التي كانت تعالج قضايا فكرية وحضارية جد راقية مما جعل قرائها من النخبة المثقفة³. و في نفس هذه الحركة الصحفية الخطية النشيطة ظهر علال الفاسي بقلمه الجريء في العديد من المنشورات سواء كانت يومية أو أسبوعية أو التي كان من وراء تأسيسها مثل مجلة "أم البنين" التي استمد الفاسي تسميتها من فاطمة الفهرية التي كانت من وراء بناء جامع القرويين في القرن التاسع ميلادي⁴. و قد كانت تصدر شهريا و تكتب باليد من طرف أحد الخطاطين في المدرسة الناصرية و يحررها معظم مضامينها علال الفاسي بنفسه. و يقوم بتوزيعها سرا على طلبة القرويين وفي مدرسة مولاي إدريس الثانوية. و ترسل بعض النسخ منها للرباط لتوزيعها على الشباب الوطني. خاصة وأن هذه المدينة كانت تعرف فقرا من حيث هذا النشاط الصحفي⁵. و إذا كانت "أم البنين" سياسية إصلاحية التوجه فإن علال الفاسي قام بإصدار نشرة أخرى ذات بعد ديني و أدبي و حتى علمي. و قد كانت في صيغة مجلة صدرت سنة 1928 تحت عنوان "مجلة المجلات" التي بالرغم من قصر عمرها فلم يزد إصدارها عن عدان إلا أنها كانت من أرقى الصحف أدبيا و علميا⁶.

¹ - محمد معروف الدفالي أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق ص 306.

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه ص، 307.

⁴ - تم التطرق لهذه القضية بالتفصيل سابقا.

⁵ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 159.

⁶ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 159.

و عرفت مدينة سلا نهضة ثقافية و سياسية و ظهر عدد من الشخصيات الوطنية التي ستصبح فيما بعد من القادة الوطنيين. و يذكر أحد هؤلاء و هو أبو بكر القادري¹ أنه بالرغم من أن هذه المدينة لم تعرف حركة وطنية منظمة قبل عام 1930 و لكنها كانت تعرف وعيا وطنيا تجلى في القيام بأعمال و نشاطات ثقافية و رياضية. و في هذا السياق تأسست في سنة 1927 جمعية سرية تحت اسم "الجمعية الودادية" و قد جاء في قانونها الأساسي أنها "عبارة عن جماعة من الشباب المغربي أخذ على عاتقه الاستقامة الدينية والأدبية و تخلق بالدين الإسلامي و حفظ كيانه الوطني و العمل لنصرة الحق... و لخدمة الوطن المفدى و إنقاذه من وهدته"². و قد أصدرت هذه الجمعية سنة 1928 جريدة خطية تحت عنوان "الوداد" وكانت تهتم بالشؤون الثقافية والوطنية و ترأس تحريرها سعيد حجي الملقب بأبي الصحافة المغربية³. و كان من أعضائها مصطفى الغربي الرباطي وبن العربي. وكانت تصدر أسبوعيا و صدر منها أكثر من ستين عددا و جعلت شعارها مقولة سعد زغلول تتمثل في "الحق فوق القوة" و "الأمة فوق الحكومة" و قد كان لها خطا افتتاحيا جريئا تمثل في محاربة الاستعمار والاستعباد⁴ و عالجت صفحاتها مختلف المواضيع السياسية و الثقافية والأدبية. و قد كان لهذه المجلة ملاحق كانت تصدرها نفس الجمعية مثل "الوداد الشهري" و "المدرسة" و "الوطن"⁵. و قد كان هذا

¹ - من مواليد سنة 1914 بمدينة سلا بالمغرب. و يعتبر من وطني هذه المدينة حيث كان من الأوائل الذي نشطوا الحركة الوطنية السلاوية بمختلف المظاهر. الثقافية و الصحفية... وكان من المنشطين لحملة معارضة الساسة البربرية في مدينة سلا . كما كان من موقعي وثيقة الاستقلال جانفي 1944 و سجن عدة مرات من اجل مواقفه الوطنية. و بعد استقلال المغرب مارس عدة وظائف علمية و سياسية من بينها عضو مجلس الدستور. و عضو أكاديمية المغرب. بالإضافة عضويته القيادية في حزب الاستقلال. كما له العديد من المؤلفات التاريخية و الأدبية. توفي في 2 مارس 2012.

² - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق ، ص، 142.

³ - من مواليد مدينة سلا سنة 1912. و وصفه رفيقه و ملازمه أبو بكر القادري بأنه كان من الشباب الوطني المتزعم لقضية بلاده و وطنه و كان من الصحفيين الذي أسسوا للصحافة المغربية في بدايتها و أعطوا لها ثقلا فكريا و نهضوا و دعوة وطنية سليمة و رسالة في البعث الإصلاحي و السياسي و الوطني . و بالرغم من صغر سنه فقد عرف نبوغا مبكرا و كان له العديد من الأنشطة السياسية و الثقافية و الاجتماعية. فكان عضوا في كتلة العمل الوطني و شارك في تحضير مطالب الشعب المغربي لسنة 1934 و المطالب المستعجلة لسنة 1936. و كان من وراء هضنة صحفية كبيرة و بالإضافة إلى الصحافة الخطية التي ساهم بها أصدر في جريدة "المغرب" اليومية سنة 1937 و بقي يشرف عليها إلى غاية وفاته سنة 1942. عن عمر لا يتجاوز الثلاثين سنة. و قد اعتبرت بفاجعة الحركة الوطنية. أنظر، أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج2، مصدر سابق ، ص، 38-39.

⁴ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج2، مصدر سابق، ص، 36.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 35.

التنوع في النشاطات والصحف عبئا كبيرا على هذه الجمعية. بالرغم من أن أصحابه قليلون ولكن مطامحه واسعة جدا. و لذلك كانت صعوبة التحقيق بالنسبة للظروف التي تأسست فيها على حد تعبير القادري¹.

بالرغم من بساطة هذه الصحافة وبدائية وسائلها فقد كانت بمثابة ثورة صحفية لأنها استطاعت تكسير الحاجز "القانوني" و "التفسي" الذي ضربتهما إدارة سلطات الحماية على النشاط الصحفي في المغرب، وتمكنت من طرح أفكار جديدة بالنسبة للمجتمع المغربي. فالذين اشرفوا عليها من حيث الإعداد والتحرير والنشر والتوزيع قاموا بذلك من منطلقات إصلاحية شاملة لكل مناحي الحياة. فقد كان مذهبهم في ذلك التعريف بالمذهب الإصلاحي و بثه بين مختلف شرائح المغاربة و لذلك عناوين كل إصداراتهم فيها هذه الرمزية الإصلاحية². و ليس من قبيل الصدفة أن يصبحوا فيما بعد زعماء وطنيين ومنشطين للحركة الوطنية. وعندما اندلعت الحركة الوطنية المغربية سنة 1930 في مقاومتها للسياسة البربرية، اعتمدت في رصيدها النضالي على مختلف الأدبيات التي كانت تطرحها هذه الصحف. وبالتالي فإنها بدون شك شكلت رافد أساسيا من روافد هذه الحركة³.

لقد أدى هذا البعث الصحفي، الذي أحدثته "الصحافة الخطية"، إلى عدة تأثيرات على الحركة الوطنية المغربية من بينها ما عرفته هذه الحركة في مطلع الثلاثينات كمحطة هامة في نضالها التحرري ضد نظام الحماية الفرنسية، بإصدارها في باريس لـ مجلة "مغرب Maghreb" في جويلية 1932. و قد كان لهذه المجلة دورا كبيرا في دفع الحركة الوطنية المغربية من خلال طرح قضايا المغرب تحت نظام الحماية أمام الرأي العام الفرنسي والأوروبي. كما أنها استطاعت صياغة لائحة مطالب خاصة بالشعب المغربي على رأسها السياسة البربرية الفرنسية، وكشف المحتوى الاستعماري لنظام الحماية المتناقض تماما مع بنود معاهدة فاس لـ مارس 1930⁴. لقد استطاعت مجلة "مغرب" بالرغم من محدودية تأثيرها في المغرب، خاصة بعد منع عدد كبير من أعدادها الدخول إلى المغرب، أن تساهم في نشأة الحركة الوطنية

¹ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج2، مصدر سابق، ص، 35.

² - Amina Aouchar, la presse marocaine, op.cit. , p ,34 – 71.

³ - ibid.

⁴ - TLILI, Bachir, Le Mouvement national marocain à La veille de la deuxième guerre mondial (1932-1937), in, les mouvements politiques et sociaux dans les années 1930, Acte du troisième séminaire sur l'histoire du mouvement national (17,18et 19 mai 1985, pp15-111.

المغربية. وقد ظهر أن الروح الوطنية التي بعثتها كانت بحاجة إلى نقلها لداخل المغرب. ففي أوت 1933 قامت مجموعة من الشباب الوطنيين بإصدار جريدة أسبوعية من مدينة فاس باللغة الفرنسية تحت عنوان "عمل الشعب *L'action du peuple*" و قد استطاعت هذه الجريدة خلال فترة صدورها من أوت 1933 إلى ماي 1934 أن تتحول إلى ناطق رسمي باسم الوطنية الناشئة و المعبرة عن إبداع ظهر من خلاله امتزاج أفكار "الحي اللاتيني" مع أفكار "السلفية الجديدة" التي ترعرعت في أروقة "جامعة القرويين". و قد كان السياسة البربرية الفرنسية فرصة تاريخية لإخراج هذا الإبداع إلى الوجود¹.

لقد كانت كل من مجلة "مغرب" التي صدرت في جويلية 1932 و جريدة "عمل الشعب" التي صدرت في أوت 1933 نتيجتين مباشرتين لما عرفه المغرب في إطار "الصحافة الخطية". و قد استطاع من خلالها الشباب المغاربة التعبير عن طموحاتهم الوطنية و كشفهم لسياسة نظام الحماية على صفحاتها، إلا أنها و في نفس الوقت كانتا حافزين مباشرين لمباشرة هؤلاء الشباب للقيام بنشاط وطني سياسي في أطر تنظيمية و ببرامج وطنية تحررية، و لعل التجربة الكتابية و النضالية التي اكتسبوها هي التي سمحت لهم بالقيام بهذه النقلة النوعية ذات الطبيعة التنظيمية و التي عرفت الكثير من التطورات و التغيرات².

¹ - سيتم التطرق بالتفصيل لهاته المحلة و لجريدة "عمل الشعب" فيما بعد كمظهرين من مظاهر الحركة الوطنية في الثلاثينات.

² - ظهرت هذه النقلة النوعية في ما يعرف بوثيقة "مطالب الشعب المغربي" أو "مخطط الإصلاحات المغربية" في 01-12-1934. أنظر:

Mostefa Bouaziz, *aux origines de la koutla démocratique, Université Hassan II, Ain Chok, Publications de la faculté des lettres et des sciences Humaines, Casablanca, séries thèses et mémoires-n 3.p, 39*

4 . دور الأمير شكيب أرسلان:

اعتبر محمد حسن الوزاني أنه لا يمكن أن يؤرخ للحركة الوطنية المغربية دون التحدث عن الدور السري والعلني الذي كان للأمير شكيب أرسلان فيها¹، وبصورة خاصة ما كان مع بعض قادتها في الداخل والخارج منذ فترة العشرينات². وإذا كان أكبر داعية للعروبة و الإسلام نظرا لنشاطه الكبير لقضايا الأمة العربية والإسلامية، فإنه كان له كذلك دورا كبيرا في النهضة و التحرر في المغرب العربي. فبنفس المثل تدخل في سائر الحركات الوطنية المغربية بجميع وسائل التأييد و التشجيع و النضال³.

لقد ذكر علال الفاسي العلاقة الوطيدة التي كانت بينه و بين الأمير والشبان المغاربة بصورة عامة⁴، معتبرا ذلك من طبيعة شخصيته ونظرته الإستراتيجية لمسألة إصلاح العالم

¹ - من مواليد جبل الدروز بلبنان سنة 1869، تأثر منذ شبابه بوضعية العالم الإسلامي الذي كان في حالة سقوط متواصلة بفعل الاستعمار في جميع مناطقه في الشرق و الغرب، و تحلفه الحضاري الذي بحث في أسبابه و نتائجه من خلال كتابه "لماذا تأخر المسلمون و تقدم غيرهم ؟" لقب بـ "أمير البيان" و اعتبره مالك بن نبي "قيادة أركان حركة النهضة في العالم العربي الإسلامي". أقام لفترة طويلة في مدينة لوزان بسويسرا، و بمناسبة الظهير البربري الذي أصدرته فرنسا في المغرب في 16 ماي 1930، الذي اعتبره سياسة تنصيرية لدولة علمانية، تحول إلى طرف فاعل في الحركة الوطنية المغربية، لازمه محمد حسن الوزاني في حدود سنة ككتاب له في سويسرا سنة 1932، دور شكيب أرسلان في الحركة الوطنية بالمغرب، أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، الجزء 03. مرحلة الانطلاق و الكفاح 1930-1934، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1984، ص: 310، زار شمال المغرب في أوت 1930 و طلب من المغاربة نقل قضيتهم إل عصبة الأمم و الرأي العام الفرنسي عن طريق حكومته و برلمانه، و مقاطعة السلع الفرنسية، باعتبار هذه سياسة جد مؤثرة على من "يقصدون المال أكثر من الله" على حد تعبيره. توفي سنة 1946 أنظر، دهان سامي، الأمير شكيب أرسلان، حياته وآثاره، دار المعارف، بيروت، 1960.

² - محمد حسن الوزاني مذكرات، ج3 مصدر سابق، ص: 310.

³ - المصدر نفسه، ص: 313.

⁴ - ذكر علال الفاسي كيف قضى ليلة مع شكيب في جنيف واصفا ذلك بما يلي "اجتمعت معه ليلة في منزله بجنيف، فقرأ علي رسائل وردت إليه من الملايو والصين والهند وأفغانستان وإيران والبلاد العربية وإثيوبيا ومن إفريقيا وأمريكا، وكلها تشكو من أحوال المستعمر وكان الأمير يعلق في حديثنا معه على كل واحدة منها يأخذ رأينا فيها ثم يستيقظ مبكرا ليحجب عن جميعها وكان من جملة هذه الرسائل رسالة أندونيسيا تحكمه في الخلاف القائم بين العلويين وبين غيرهم، ورسالة من أحد التجار المسلمين في إثيوبيا يشكو من اضطهاد النجاشي للمسلمين ورسالة من تركي يشكو فيها الكبت الديني الذي تقوم به حكومة أتاتورك، وقد تولى الأمير الدفاع عن كل هذه القضايا وغيرها، وأرسل للنجاشي عدة رسائل يعظه فيها بالتخلي عن ظلم المسلمين ولكن طلبه لم يحظ بالقبول ولا حتى بالجواب، الأمر الذي أغضب الأمير وجعله يقف من الحبشة موقفه المعروف عند الاحتلال الإيطالي. أنظر علال الفاسي، شكيب أرسلان، منشورات دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط 1959.

العربي والإسلامي بقوله "و شكيب ليس من أولئك القادة الإقليميين أو المحليين، ولكن البطل الذي عم كفاحه كل جوانب المحليين ولكن البطل الذي عم كفاحه كل جوانب الأرض المسلمة، ولذلك لا مناص من أن يكون تفكيره تفكيراً شمولياً لا تقف به الحدود ولا تضيق به الاعتبار، إنه لبناني وشامي وعربي، ولكنه مع هذا وذاك عثماني ومسلم"¹. وفي نفس السياق يذكر الفاسي ما قام به الأمير من أجل القضية المغربية من خلال اتصال فرنسا به حول مسألة سوريا و لبنان². وكذلك موقفه من النفي الذي تعرض له الفاسي سنة 1936³.

تعود البدايات الأولى لعلاقة الأمير شكيب أرسلان بالمغرب الأقصى إلى سنة 1925 عندما تبنى ثورة عبد الكريم الخطابي في الريف. فأعجب بها واهتم بها واعتبر الخطابي قائدا عربيا ودعا من خلال مراسلاته ومقالاته إلى ضرورة مساندته. ففي رسالة إلى رشيد رضا سنة 1923 تحدث أرسلان عن بطولات الخطابي في مواجهته للزحف الإسباني. وفي رده على أحد الكتاب المصريين المعجبين بمصطفى كمال أتاتورك ذكر شكيب في رسالته لرشيد رضا أنه إذا كان "مصطفى كمال هو من بطل الأبطال بلا نزاع و هو الذي أعاد تركيا من العدم لكن ليس بأعظم بطولة من محمد بن عبد الكريم القائم بشمال المغرب لأن الجيش الإسباني الذي قاتله ابن عبد الكريم سنة 1921 و إستصل منه 25 ألف وغنم منه 170 مدفعا إلخ كان 200 ألف مع أن الجيش اليوناني الذي قاتله الترك لم يتجاوز 150 ألف ثم الآن عند إسبانية

¹ - علال الفاسي، شكيب أرسلان، مصدر سابق.

² - ذكر علال الفاسي أن الموقف المتحفظ لشكيب من المفاوضات الفرنسية السورية اللبنانية دفعت بفرنسا عن طريق مندوبها "بيار فينو" لطلب مقابلة شكيب من أجل الحصول على موافقته وقد تم ذلك ويقول الفاسي أن شكيب من أجل تعديل موقفه اشترط من فينو تأييد سوريا في مسألة لواء إسكندرونة أمام عصبة الأمم وكذلك يارضء الأمانى القومية للشعب المراكشي، ويقول الفاسي أن فرنسا فعلا بقيت متصلة مع شكيب في مسألة المطالب المغربية لو لا التحول الذي وقع سنة 1937 بسقوط الحكومة الشعبية. أنظر: علال الفاسي، شكيب أرسلان، مصدر سابق.

³ - يقول الفاسي "كان آخر مرة اتصلت فيها بالأمير يوم كنت في طريق منفاه سنة 1937 حيث اجتمعت صدفة وبطريق السر مع تاجر جواهر شامي على ظهر الباخرة التي كانت تنقلني من مدينة (ليبرفيل) عاصمة الجابون إلى مدينة (بورجنيتيل) فعرف الشاب السوري الذي لا أذكر اسمه، قضية اعتقالي و إبعادي، ورغب مني أن أدله على خدمة يقدمها إلي، فقلت له اكتب إلى الأمير شكيب رسالة بالنيابة عني أخبره فيها خبر ما رأيته، وأعطيته عنوانه، وقد علمت بعد رجوعي أن الشاب كتب للأمير، وأن شكيبا رحمه الله نشر رسالته وأقام الدنيا العربية وأقعدتها احتجاجا على سوء المعاملة التي ارتكبتها الفرنسيون معي. ولكني بالأسف، ما عدت من منفاه سنة 1946، وبدأت أفكر في الاتصال به من جديد حتى توفاه الله إليه بعد أن أقر عينيه باستقلال سوريا ولبنان وتأسيس الجامعة العربية. أنظر: علال الفاسي، شكيب أرسلان، دعوة الحق... مصدر سابق.

هناك 160 ألف و عبد الكريم هو للهاجم و بعد فأين اليونان خمسة ملايين من إسبانية التي هي 40 مليوناً و أين منطقة عبد الكريم التي هي كلها 450 ألف نسمة من تركية 13 مليوناً¹. و تأسف الأمير شكيب أرسلان لإعجاب المشاركة بأنقرة و زعيمها أتاتورك بالرغم أنه احتقر شأن العرب و صغر من شأنهم، و لا احد منهم يذكر الأمير الخطابي. و لا أحد يهتم بأمره و لا يرسل إليه تأييداً و لو سراً². و من أجل ذلك و نظراً لذلك الإهمال المتعمد بدأ الأمير شكيب أرسلان في الكتابة عن الخطابي كتابة للتعريف بقضيته. و طالب من أنه يجب الإشادة بذكر عبد الكريم و تكررا الكلام عنه في الجرائد العربية³. و ألزم محمد رشيد رضا أن يقوم بواجبه بالكتابة عن الخطابي "مقالة طنانة" وأن يطلب ذلك من أصحابه و الإكثار من الكتابة حول ثورة الخطابي حتى يظهر للعيان أن عمل مصطفى كمال وانتصاره على دولة صغيرة كاليونان ليس فيه مفخرة عظيمة ما ينسي مفاخر أجل. و القيام بذلك هو الذي "يخفف من هذه الغلواء الأنقرية التي أصبحت لا تطاق"⁴. و لذلك على الكتاب العرب أن لا يتركوا صفحاتهم مفتوحة فقط للترك و ما فعلوا و لا يوجد عندها ذكر لما قام به الخطابي في الريف و لا السنوسية في طرابلس الغرب. و لذلك يجب استدراك ذلك لأن مجد العرب لا يظهر إلا بإظهار مآثر هؤلاء وغيرهم⁵. و في علاقة الأمير شكيب أرسلان بالمغرب بصورة عامة و ثورة الريف بصورة خاصة لا يستبعد الوزاني أن تكون هناك علاقة تنظيمية بينهما نظراً لوجود وفدا لبعض قادتها في جنيف لطرح القضية على عصبة الأمم. و من "المحتمل جداً أن يكون قد تم الاتصال بينهما لما فيه خير الريف وأهله المجاهدين الأحرار"⁶.

وذكر الأمير شكيب أرسلان كتابه "حاضر العالم الإسلامي" محمد بن عبد الكريم الخطابي قائلاً: "لا نبالغ إذا قلنا أن الأمير محمد بن عبد الكريم متولي كبر (أشعل) الثورة على الإسبانيول في شمال سلطنة المغرب، هو في الثورة الحاضرة بطل الإسلام و أسده الضرعام و العلم المفرد الذي سار بذكره القاصي والداني و الخاص والعام بين جميع الأمم لا بين المسلمين

1 - أحمد الشرباصي، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، دار الكتاب العربي بمصر، القاهرة، 1963، ص، 644-645.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه ، ص، 645.

4 - المصدر نفسه.

5 - المصدر نفسه.

6 - محمد حسن الوزاني مذكرات، ج3 ، مصدر سابق، ص314.

وحدهم"¹.و اعتبر أرسلان عبقرية عبد الكريم الخطابي لم يسبق لها مثيل على وجه الكرة فإذا استطاع أي رجل عظيم في دولة عظيمة أن يجمع بين الوسائل المتاحة له و النتائج التي حققها،فهذا لا يوجد فيه دواعي الإعجاب لأن "هذا الرجل بسط يده إلى ما حوله فامتلات بالوسائل و الأسباب الكافلة بحصول المرام،ففاز بالغلبة على العدو أو أتم بمقصد من المقاصد العالية"².أما إذا "بسط رجل يده وجدها خلاء من كل شيء سوى بعض المواهب الفطرية وإذا نظرنا فيما حوله لم يجد من جميع أسباب القوة سوى قوة الإرادة فذلك هو زعيم الريف و ذاك هو الرجل العظيم،و ذاك هو الخطابي"³.

لم يتردد أرسلان في اعتبار عبقرية الخطابي فريدة من نوعها و تجوزت بكثير عبقریات الكثير من الرجال من اعتبرهم العالم عظاما.لأنهم قاموا بثورات وصنعوا أمجادا لأممهم.كما قام بذلك الماريشال الفرنسي "فوش" و الماريشال الألماني "هندبرغ" في الحرب العالمية الأولى.أو ما قام مصطفى كمال أتاتورك الذي أحيى الدولة التركية.أو ما قام به لينين في روسيا القيصرية سنة 1917.و قد تجاوزت عبقرية الخطابي كل هؤلاء و آخرون لأنه هزم الإسبان و هو بالقياس إلى واحد من أربعين في العدد.و أقل من ذلك في العتاد⁴.و بالرغم من ذلك استطاع أن يقهر جيشا عصريا عدده مائة و خمسة و سبعون ألف جندي و قد كان ذلك من "بواهر الآيات و خوارق العادات و أخذ محمد بن عبد الكريم مكانه في التاريخ و أخجل جميع عظماء الرجال بعظمة عمله و صغرهم في أعين أنفسهم حتى إذا ما أخذت أحدهم هزة وعجب بنفسه فتذكر عظمة عمل عبد الكريم رأى نفسه غير عظيم بجانب ذلك العبقرى الكبير"⁵

¹ - شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج03، مصدر سابق ص، 184.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - قارن أرسلان الخطابي مع عدد من القادة العسكريين و الزعماء السياسيين بقوله "لهذا لا نجد في شخصية الماريشال فوش قائد جيوش الحلفاء الذي حاز الغلبة القاطعة في أعظم حرب عرفها التاريخ و لا في شخصية الماريشال هندربورغ الذي وقف في وجهه في وجه قوى تفوق قواه عدة مرات مدة تزيد على أربع سنوات،و لا في شخصية الغازي مصطفى كمال الذي أحيى الدولة التركية بعد أن أرادت إنكلترا أن تطويها طي السجل للكتاب،و لا في شخصية لينين الذي ثل عرش أعظم قيصرية في العالم و حل محلها بحكومة صعليك مفاليس لم يسبق لها مثيل على وجه الأرض، ما نجده من حقيقة الرجولية و البطولة و جد الفضل و الخصل التي في شخصية محمد بن عبد الكريم الريفى الذي تغلب على دولة إسبانية و أحبرها على الجلاء من دولة الريف أنظر،شكيب

أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج03، مصدر سابق، ص 185

⁵ - المصدر نفسه . ص، 187.

وبالنسبة للأمير أرسلان فإن عبد الكريم لم يؤيده أي واحد من دول العالم و إذا كان ذلك منتظرا من طرف الدول الاستعمارية المسيحية مثل فرنسا التي كانت عداوتها للخطابي لا تقل عن عداوة إسبانيا له و لذلك تدخلت عسكريا فيما بعد. أما انكلترا فقد كانت مرعبة من الانتصارات التي حققها الخطابي في الريف لأنها ستحول الريف إلى منطقة نشاط ينبعث منها العالم الإسلامي. و متخوفة كذلك من إمكانية تدخل فرنسا و تفقد هي مكانتها التاريخية في مضيق جبل طارق¹. و إذا كان لكل ذلك ما يبرره فإن موقف العالم الإسلامي هو الذي يدعو للحيرة لأنه تخلق عن واجب قومي و ديني و هو مساندة الخطابي. ولم يفكر في معاضدته بشيء. فانصرف كل واحد لحال أمره. بل بالعكس انتشر في مصر و تركيا بما يضر للرابطة الإسلامية و اعتبر قسم من العرب أن سياسة الإتحاد الإسلامي مضرّة بالمسلمين و هذا ما أراح أوروبا كثيرا لأنه أزال من أمامها خطر ذلك الإسلام الذي يقف في وجهها متماسكا بعضه مع بعض².

كتب الأمير شكيب أرسلان في مطلع سنة 1925 إلى عضو بارز في عصبة الأمم للتدخل و كسر الحصار عن ثورة الريف و كشف حرب الإبادة الإسبانية الفرنسية في الريف وتوقيفها هذه جاء فيها أنه "إذا كانت هذه الجمعية المرصدة لحقن الدماء في العالم لا تتدخل في حقن الدماء التي تسيل في الريف فما محلها إذن من الإعراب؟"³. و تعجب أرسلان من عدم محاولة عصبة الأمم حتى القيام بسعي للصالح بين الطرفين لعل ذلك يوقف هذه الحرب لن عدم التجربة من الأصل فعلامة سيئة⁴. و في أكتوبر 1925 أرسل ببرقية طويلة إلى كل من الرئيس الأمريكي و رئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي شرح فيه المآسي التي أصيبت بها مراکش. و طالب أمريكا بتحمل مسؤوليتها الدولية و اتخاذ ما يجب من الإجراءات تجاه هذه المآسي. و من بينها إرسال بعثات صحية تخفف من ويلات الحرب و تخلص الأبرياء من الشيوخ و النساء و الأطفال المعرضين للموت بآلات الحرب الجهنمية⁵.

¹ - شكيب أرسلان، حاضر العالم الإسلامي، ج3، مصدر سابق ص، 191.

² - المصدر نفسه، ص 192.

³ - أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، والترجمة والنشر، القاهرة، 1963، ص، 128

⁴ - المرجع نفسه، ص، 129.

⁵ - المرجع نفسه، ص، 129.

لقد وصل تأثير الأمير إلى الطلبة المغاربة في القاهرة و نابلس، حيث كان لهؤلاء إلى جانب طلبة الحي اللاتيني بباريس، دورا كبيرا في كتابة المقالات في العديد من الجرائد و المجلات بوحى من الأمير. ويبدو أن هذه الاتصالات وغيرها هي التي وطدت الظروف لزيارته التاريخية للمغرب في أوت 1930. و قد كانت هذه الزيارة محضرة من قبل رجال الإصلاح الديني في الجزائر والوطنيين في المغرب العربي. كرد فعل على ما قامت به السلطات الفرنسية من تحديات للأهالي في المنطقة¹. فقد قام الشيخ احمد توفيق المدني الذي كان على اتصال دائم بالأمير شكيب أرسلان بإطلاع رجال الحركة الوطنية بشمال المغرب بقرب زيارة الأمير لهم بمدينة تطوان². وهذا ما تبينه المراسلات التي تمت بين الأمير وعبد السلام بنونة التي تظهر كذلك علاقة الطلبة المبعوثين إلى نابلس بالأمير شكيب أرسلان منذ 1928³.

إذن فيعود اتصال الأمير شكيب أرسلان بالشبان المغاربة في باريس إلى الفترة التي كانوا يزاولون دراساتهم العليا. وأثناء زيارته من حين لآخر لباريس حيث كان يعقد جلسات مطولة مع مختلف الشباب العرب ومنهم المغاربة على وجه الخصوص⁴. خاصة عندما طلبوا منه مساعدتهم في إعادة أحد الشبان الوطنيين المغاربة المتنصرين إلى الإسلام⁵. ثم تكررت الاتصالات وتوسعت. فتحول بيت أرسلان في جنيف إلى مركز لنشاط سياسي كبير في اتجاه كل أنحاء العالم الإسلامي و قد كان للمغرب حظا كبيرا في ذلك. فلطالما انتقد أرسلان تجاهل المصلحين العرب والمسلمين لهذه الجهة من العالم العربي الإسلامي. وفي سياق هذه الحركة الكبيرة اطلع الأمير شكيب أرسلان على السياسية الفرنسية الجديدة في المغرب العربي. فترك

¹ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 262.

² - المرجع نفسه.

³ - الطيب بنونة، نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، مطبعة الأمل، ط01، طبعة 1980، ص 107-108.

⁴ - محمد حسن الوزاني مذكرات، ج3، مصدر سابق، ص314.

⁵ - يذكر محمد حسن الوزاني هذه القصة قائلا "لما تنصر محمد شقيق عمر بن عبد الجليل، (أحد قادة الحركة الوطنية المغربية) في باريس كتبنا نحن الطلبة المغاربة إلى شكيب في جنيف و طلبنا منه أن يساعدنا على إرجاع صديقنا إلى حظيرة العقيدة الإسلامية فأرسل لنا بحثا إضافيا يشرح فيه مزايا الإسلام على النصرانية، و تناول فيه خاصة قضية الفلسفة الصوفية التي كان الشاب المتنصر ينتهم الإسلام بأنه ضعيف فيها فكان هذا في نظره داعيا إلى " التماس الحقيقة" كما قال لنا في رسالة تعميده في علم اللاهوت المسيحي، و قد حمل إليه رسالة شكيب أخوه عمر لما قدم من المغرب... أما البحث القيم فلم يحدث أدنى اثر في نفس المتنصر العنيد..." أنظر: محمد حسن الوزاني مذكرات، ج3 مصدر سابق ص314

الأمير مدينة لوزان في جوان 1930 وحل ببافيس والتقى بأعضاء جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا. للإطلاع على التفاصيل و حتى يتمكن من صياغة سياسة إزاء ذلك¹.

وهكذا فإنه بالإضافة إلى الاتصالات الفردية التي كانت تتم بين الأمير وشبان الحركة الوطنية المغربية فإن أهم دعم قام به الأمير شكيب أرسلان للحركة الوطنية المغربية كان بمناسبة الاحتجاج على الظهير البربري. فعندما صدر هذا الأخير في 16 ماي 1930، و بالإضافة لرد الفعل الداخلي الكبير على هذا القانون²، فقد كان له دورا كبيرا في التشهير به خارجيا بفعل الحملات الإعلامية المتواصلة التي قام بها الأمير ليس فقط على الظهير البربري في المغرب فقط، بل على السياسة الفرنسية البربرية بصورة عامة في المغرب العربي، لأنه كان يعتبر هذا الظهير " نازلة فادحة تتجاوز آثارها القطر المغربي لتشمل كل الأقطار الإسلامية لما تتضمنه من تهديد للإسلام شريعة وللمسلمين شعوبا"³. و لئن كان هذا الاحتجاج محدد في هدفه المتمثل في كشف مضمون الظهير و من وراءه السياسة البربرية، فإن أبعاده تجاوزت بكثير ذلك، فقد كان ذلك مساهمة في انطلاق الحركة الوطنية المغربية التي شهدت تطورات كبيرة بعد سنة 1930. إذ وقع إجماع بين كل الذين كتبوا عن هذه الحركة أن هناك علاقة وطيدة بين صدور الظهير مع الاحتجاج عليه داخليا، والدور الذي قام به الأمير في كشف هذا القانون أولا، و المساهمة في نشأة الحركة الوطنية المغربية ثانيا. فهذه الأخيرة انتقلت من المعارضة النظرية إلى المواجهة المباشرة مستفيدة من نصائح "مكتب إعلام البلدان الإسلامية" الذي أسسه الأمير شكيب أرسلان سنة 1928 بجنييف حسب شارل أندري جوليان⁴.

لقد سمح الاحتجاج على الظهير البربري للأمير شكيب أرسلان بأن يتصل بصورة مباشرة مع الشباب المغاربة من خلال الزيارة التاريخية التي قام بها للمغرب سنة 1930 التي تعتبر حدثا سياسيا هاما ليس لأنها تمت في ظروف دقيقة كان يمر بها الشعب المغربي على إثر إصدار الظهير البربري فقط، ولكن لأنها سمحت للأمير بأن يتصل مباشرة بالشبان المغاربة في المغرب بالإضافة إلى اتصاله بهم في أوروبا من قبل. وقد أعلن أرسلان أن سبب زيارته للمغرب سياحي محض باعتباره كان متواجدا في منطقة الأندلسية بجنوب اسبانيا في تلك

¹ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 262.

² - سيتم التطرق لهذا الظهير مضمونا و نتائجنا في الفصل القادم.

³ - الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص، 279 - 283.

⁴ - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p, 161*.

الفترة. حرصا على تحقيق الأبعاد الحقيقية لهذه الزيارة. فبالإضافة إلى السبب المباشر المتمثل في كشف الظهير البربري، فإن الأمير كان يهدف إلى الاتصال المباشر بالحركة الوطنية المغربية بغرض بعثها وتوجيهها. و ذكر عبد الكريم غلاب أنه "إلى غاية 1930 لم يكن هناك اتجاه معين ولا جماعة تنطق باسم المغرب كله، وإنما هناك جماعات وأفراد لا يزالون يتلمسون طريقة للإعراب عن ما يساير أفكارهم وضمائرهم"¹ ولئن كان هذا صحيحا نظرا لما أحدثته من زلزال كبير صدور الظهير البربري. فإن الفضل كذلك يعود بدرجة كبيرة إلى الأمير شكيب أرسلان الذي كانت لزيارته التاريخية الفضل الكبير في الاتصال عن كثب بزعماء الحركة الوطنية وهم مجتمعين في مكان واحد وشاعت الأقدار أن تكون مدينة تطوان.²

وهكذا فإن زيارة الأمير للمغرب لم تكن صدفة أو بغرض سياحة للديار الأندلسية كما أعلن ذلك، فقد كانت بمثابة مهمة سياسية نتيجة عن صدور الظهير البربري.³ ونظرا لوضعيته القانونية، بصفته لاجئا في سويسرا، بالإضافة إلى الحصار الذي كان مضروبا عليه من طرف فرنسا، التي منعت من الدخول إلى كل أرض تحت نفوذها، فإنه أعلن بأن تواجهه بالمغرب كان سياحيا لا سياسيا.⁴ إلا أن السلطات الإسبانية التي وافقت على هذه الزيارة واتخذت موقفا حياديا فيما يخص قضية الظهير البربري⁵ علمت بالمغزى الحقيقي لهذه الزيارة عن طريق مقيمها العام بتطوان في تقريره إلى مدريد حيث جاء فيه أن "زيارة الأمير لتطوان لم تكن مجرد سفر من أجل الفسحة وإنما كانت تخضع لبرنامج وضعه الأمير بنفسه نظرا للمركز الذي كان يحتله بصفته المرشد لجميع الحركات الوطنية في البلاد الإسلامية عموما والعربية

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، ج01، مصدر سابق ص76.

² - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر تطوان، 1980، ص 14

³ - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص15.

⁴ - طلب شكيب أرسلان من الحاج عبد السلام بن نونة في رسالة كتبها بتاريخ 12 جوان 1931 أن لا يكتبه حول الموضوع تفاديا لوقوع هذه المراسلات في يد الفرنسيين أو الإسبان وتكون حجة عليه بأنه عل صلة وثيقة بالحركة الوطنية المغربية، انظر، الطيب بنونة، نضالنا القومي، ص، مصدر سابق، ص 107-108.

⁵ - لم تتبع اسبانيا في الشمال سياسة بربرية على الطريقة الفرنسية واتخذت موقف الحياد من الظهير البربري الفرنسي نظرا لأوضاعها الداخلية التي لم تكن مستقرة بالإضافة إلى حداثة عهدها بتجربة حرب الريف، لذلك لم تكن مستعدة لمواجهة اضطرابات أخرى، أنظر: محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص 17

خصوصاً¹. وقد كان موقف مدريد من هذه الزيارة حيادياً كأقل تقدير بسماعها للأمير بالدخول إلى منطقة الشمال والاتصال بالشبان المغاربة وهذا بالرغم من الاحتجاجات المتتالية للحكومة الفرنسية². بل أكثر من ذلك تفاعلت مع هذه الزيارة بشكل ايجابي حيث قام القنصل الاسباني بمدينة تطوان باستقبال شكيب أرسلان وتكريمه كموقف تحد للموقف الفرنسي³.

بدأ الأمير زيارته للمغرب في 10 أوت 1930 بوصوله إلى مدينة طنجة من الأندلس بجنوب اسبانيا حيث بدأ في ترتيب هذه الزيارة من خلال الاتصال بالسلطات الاسبانية للسماح له بالدخول إلى منطقة الشمال. وقد ظهر ذلك في رسالة لأحمد التوفيق المدني إلى أحد الوطنيين المغاربة المسمى محمد داود تضمنت معلومات حول تواجد الأمير في إسبانيا وعن وشك قيامه بزيارة لمدينة تطوان، كما جاء في برقية بعث بها المدير العام لإدارة المغرب و المستعمرات بمدريد إلى المقيم العام بتطوان في 7 أوت 1930 جاء فيها معلومات حول الأمير وعن رغبته في السفر إلى إفريقيا ومن بينها سبتة و طنجة. وكما جاء في هذه البرقية عدم وجود أي مانع لدى السلطات الاسبانية للقيام بهذه الزيارة من طرف الأمير⁴. وقد كان تواجده في طنجة ضروري نظراً للطابع الدولي لهذه المدينة. و بالتالي فإنها محطة أساسية للمرور إلى مناطق أخرى. وفي 14 أوت 1930 وصل شكيب أرسلان إلى مدينة تطوان حيث وجد في استقباله عدد كبير من الوطنيين من الجنوب والشمال. أمثال الحاج أحمد بلافريج و محمد اليزيدي و محمد العباس و الحاج محمد بنونة و محمد حسن الوزاني و علال الفاسي، وغيرهم من الوطنيين المغاربة من المنطقة السلطانية والمنطقة الخليفية⁵.

فقد كان مجرد هذه اللقاء انتصاراً للقضية الوطنية المغربية التي كانت في بداية تشكلها وبلورة فكرها. فإذا كانت تعيش انقساماً جغرافياً بفعل الممارسة الاستعمارية التي قسمت

1 - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص 20

2 - بعثت فرنسا العديد من البرقيات لإسبانيا تطلب من خلالها منع دخول الأمير شكيب أرسلان للشمال إلا أن إسبانيا لم تستجب لهذه الرغبة وسمحت له بالدخول، أنظر، محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص 32-44.

3 - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص 35.

4 - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص 19 - 24.

5 - استقبل الأمير في تطوان عدد كبير من الوطنيين المغاربة من الشمال والجنوب من بينهم بن نونة محمد بلافريج محمد اليزيدي محمد العباس الحاج عمر بن عبد الجليل ومحمد الغالي و أبوبكر القادري وغيرهم، أنظر: بن جمعة بوشوشة، شكيب أرسلان مفكراً وسياسياً، المغاربة للطباعة والإشهار، تونس 2008، ص 200

المغرب إلى منطقتين للنفوذ الاستعماري فإنها كانت مهددة بانقسام آخر أكثر خطورة من الأول و هو التقسيم العرقي و الفصل بين المكونات الثقافية المجتمع المغربي التي شكلت عامل وحدة للمغاربة على مر التاريخ.و إذا بالسياسة البربرية تسعى لضرب هذه الوحدة في صميمها.و لذلك عندما زار الأمير شكيب أرسلان المغرب من أجل الحفاظ على الوحدة الثقافية،حقق كذلك الوحدة الجغرافية بذلك اللقاء الذي تم بين وطنيي الشمال و الجنوب أثناء تواجده بمدينة تطوان ضيفا في بيت كبير الوطنيين المغاربة الحاج عبد السلام بنونة.فقد كان بين الرجلان الكثير من الصلات و العلاقات قبل هذه الزيارة و قد اتفقا حول عدد من القضايا الوطنية و القومية حتى قبل أن يلتقيا في أوت 1930 بتطوان¹.و أثناء تواجده بتطوان عقد الأمير أرسلان المجالس و الندوات و ألقى المحاضرات عن الأندلس التي كتب رحلته إليها.و أقام له سكان المدينة حفلا تكريم كبير اعترافا بجليل خدماته في سبيل نصره القضية المغربية حضرها جمهور غفير من المثقفين و و كل شرائح المجتمع التطواني.و أقيمت فيه الكثير من الكلمات و الخطب و القصائد المحتفية بالأمير.و رد عليها هو الآخر بكلمة مطولة تضمنت إعجابه بالأمة المغربية و تضمنت مطالبة المغاربة بضرورة القيام بنهضتهم الفكرية و السياسية.ولا تتم هذه النهضة إلا بالاستقلال. كما قام بلقاءات خاصة مع الطلبة المغاربة تناولت أوضاع العالم العربي وما قام به الاستعمار من تحطيم للبنية الفكرية للعالم العربي.و قدم له نظراته الإصلاحية التي ربط فيها بين الوطنية و العروبة معتبرا إياهما وجهان لعملة واحدة.و لا تقوم قائمة لإحداهما إلا بقيام الأخرى.

و نظرا لما أحدثته هذه الأنشطة من تحريك للوجدان الوطني بصورة لم يعهدها المغاربة من قبل.فبلاغة الأمير غنية عن التعريف و إمامه بأوضاع العالم لم يكن ناقصا.فقد كان يعيش في أوروبا و اطلع عن قرب على كل التيارات التي كانت تشهدها و قد أحدث ذلك هلع في باريس التي استعملت كل الوسائل الدبلوماسية للضغط على مدريد لتوقيف هذه الزيارة التي و إن تماطلت في الاستجابة في الأول فإنها خضعت في نهاية الأمر و لكن بعد فوات الأوان فقد

¹ - يعود الفضل في ربط الصلات المعنوية بين الحاج عبد السلام بنونة و الأمير شكيب أرسلان إلى شخصية من المشرق العربي يعرف بـ "يونس البحري" المعروف بـ "السائح العراقي" الذي تحدث لكل منهما عن الآخر و رغبهما في التعرف على بعضهما البعض و فعلا قام المبادرة الأمير شكيب أرسلان الذي أرسل جريدة "الأمة العربية" إلى الحاج عبد السلام بنونة.ثم تواصلت العلاقات بينهما إلى أن تم ذلك اللقاء في مدينة تطوان في أوت 1930.انظر،حسن الصفار،حزب الإصلاح الوطني 1936-1956 دراسة تحليلية، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير.مطبعة الرسالة،الرباط،2006، ص21.

كان الأمير شكيب أرسلان قد انتقل سرا إلى مدينة طنجة لعلمه بهذه المناورات و توقعه لاستجابة السلطات الإسبانية لها لمواصلة هذه الزيارة¹. حيث استقبل في هذه المدينة استقبالا حافلا خاصة و أن زيارته توافقت مع احتفالات المولد النبوي الشريف فاحتفل أعيان طنجة بالحدثين، واستقبلت الجماهير الأمير بحماسة كبيرة" فقدموا إليه أفواجا أفواجا بين مصافح و معانق و مقبل لليد"². و بنفس الحماس والوتيرة فتح الأمير شكيب أرسلان نقاشا وطنيا مع أعيان المدينة و زعماء الحركة الوطنية حول القضية المغربية و سبل حلها. و فلم يكن للأمير ردا آخر على تساؤلاتهم حول الحلول الكفيلة للخروج من تلك الوضعية ما عدا التي ذكرها في تطوان، و تتمثل في تصفية الاستعمار أولا و تحقيق الوحدة العربية ثانيا. و قد دقت هذه التصريحات أجراس الإنذار في الرباط و باريس لأن الأمر هذه المرة أخطر من سابقته فقد كان يحدث في مدينة ذات نظام دولي منذ 1923 و متفتحة على كل لأحداث و بها حركة صحفية نشيطة من مختلف الجنسيات و بإمكانها نقل ما صرح به الأمير، وغيرها من مظاهر الخطورة التي شكلتها هذه الزيارة من ضغط نفسي كبير على باريس جعلها تستعمل كل الوسائل للحصول على قرار طرد للأمير من المغرب في مدة لا تتجاوز أربعة وعشرين ساعة. و بالرغم من انه رفض استلام القرار ولكنه غادر المدينة عن طيبة خاطر مودعا أهلها وأعيانها وزعماء الحركة الوطنية³.

عندما عاد الأمير شكيب أرسلان إلى لوزان بسويسرا فإنه شن حربا شعواء ضد الظهير البربري من خلال جريدة "الأمة العربية" الصادرة باللغة الفرنسية و وصفه بأنه حاول إحياء أمجاد فرديناند و إيزابيلا كما أراد أن يطبق أفكار الأب "دو فكو" و الكاردينال لافيغري في الأرض المغربية. و لم تكن هذه الحملة بدون تأثير فقد تضامن المسلمون من الجزائر إلى جزيرة جاوة باندونيسيا مع المغاربة وأعلنوا احتجاجاتهم على فرنسا⁴. و إذا كان الاحتجاج على الظهير البربري نقطة بداية للحركة الوطنية المغربية في مواجهتها للاستعمار الفرنسي فإن تدخل الأمير شكيب أرسلان أعطى لهذه الحركة بعدا قوميا و حضاريا فأصبحت الوحدة العربية والإسلامية من بنودها. و ليس من قبيل العاطفة العامة و لكن كدلالة سياسية أكثر

¹ - بن جمعة بوشوشة، شكيب أرسلان مفكرا وسياسيا، مرجع سابق ، ص، 200.

² - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق ، ص 29.

³ - بن جمعة بوشوشة، شكيب أرسلان مفكرا وسياسيا، مرجع سابق ، ص، 201.

⁴ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 264.

تحديدا و أكثر ملائمة و خدمة للأهداف السياسية التي كانت تجمع بين الوحدة في شقها العربي والإسلامي¹.

فقد ساهم تدخل الأمير شكيب أرسلان في إخراج الحركة الوطنية المغربية من مجموعات من الشبان في مختلف المدن المغربية إلى مجموعة موحدة بمطالب محددة لمواجهة الاستعمار الفرنسي فجمع بين الوطنيين المخلصين في صفوف الجمعيات السرية التي كانت تعمل في الخفاء في فاس و الرباط و سلا و تطوان وغيرها من المدن المغربية². و ألف بينهم و بين طبقات الشعب. وحدث تضامنا بين الشمال والجنوب واجتمعوا كلهم على قراءة اللطيف³. وقد بقي التواصل بين الشبان المغاربة والأمير متواصلا ففي سبتمبر 1931 فتح الأمير في جينيف مكتبا سياسيا أصبح ملتقى للوطنيين المغاربة⁴. و شجعهم على التفاعل مع مختلف الأنشطة الخارجية. وفي ديسمبر 1931 شارك وفد مغربي في المؤتمر الإسلامي بالقدس لعرض القضية المغربية حيث أصدر المؤتمر قرارا بالاحتجاج على فرنسا لدى عصبة الأمم⁵.

إذا كانت فرنسا قد استطاعت إخراج الأمير شكيب أرسلان من المغرب لأنه أعلن الحرب الفكرية عليها مما أدى إلى حالة طوارئ في مراجعها السياسية في الرباط و باريس. إلا أن ذلك لم ينهي مواصلة الأمير لهذه الحرب على السياسة الفرنسية البربرية في المغرب. فقد اعتبرها مدخلا للقضاء على الشخصية العربية الإسلامية في المغرب. ووصفها بـ"النقطة السوداء" في مقالاته و منشوراته في مختلف المجلات و الجرائد. و حتى في رسالة له للزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي⁶. و ذهب في مقالات أخرى أن السياسة البربرية طريقة لتفريق المغاربة الذي وحدهم الإسلام. و لذلك ضرب هذه الوحدة من شأنها تنصيرهم كذلك فالسياسة البربرية الفرنسية في المغرب العربي كانت مرادفا للسياسة التنصيرية⁷.

¹ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 264.

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - محمد حسن الوزاني مذكرات، ج3، مصدر سابق ص316:318

⁵ - شارك في هذا المؤتمر كل من محمد بنونة ومكي الناصري اللذان كانا يقيمان في القاهرة و مكي الكناني الذي كان يقيم في دمشق Jacques Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, Édition du Seuil, paris, 1970, p220

⁶ - محمد سالم أحمد عمارة، شكيب أرسلان، دراسة في فكره السياسي، 1869-1946، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1996، ص132.

⁷ - المرجع نفسه .

"فسياسة فرنسة هذه قديمة في المغرب مر عليها عشرات السنين و المسلمون يسمعون و يبصرون و هم ساكتون خانعون و دول الإسلام تداري فرنسا و تسكت،و كلما تمادى سكوت المسلمين اشتد طمع الفرنسيين في نجاح سياسة التنصير".كما قال بذلك في إحدى رسائله لمحمد رشيد رضا¹.و لذلك نجاح هذه السياسية سيؤدي إلى ضياع المغرب كما ضاعت الأندلس².

من اجل إيجاد الدعم الرسمي لحركته هذه قام الأمير شكيب أرسلان بمراسلة قادة وملوك العرب و طالبهم بالمقاطعة الاقتصادية لفرنسا و الكتابة إلى عصبة الأمم.و الجمعيات العربية التي طالبها بالقيام بمظاهرات وتعبئة الشعوب العربية ضد هذا الخطر المحدق بالمغرب أولا و لكنه قادم للجميع لا محالة.فلقد تعرف الأمير أثناء إقامته الإجبارية في أوروبا على وسائل الضغط على القرارات التي تتخذها الدول خاصة إذا كانت هذه القرارات عنصرية و موجهة ضد مجتمع دون آخر.و لذلك اعتمد على مبدأ التشهير بالسياسة البربرية بإرسال الرسائل إلى العديد من الشخصيات النافذة في الأوساط العربية والفرنسية.وفي أواخر سنة 1930 بعث برسالة إلى عبد الحميد سعيد رئيس جمعية الشبان المسلمين في مصر و بين له من خلالها خطورة مضامين السياسة البربرية على المغرب وعلى العالم الإسلامي الذي أصبح مطالبا بالدفاع عن هذه القطعة التي تعتبر جزء منه.و بالنسبة له هذه المسألة تخص جميع المسلمين و لذلك وجب كشفها لدى الرأي العام العالمي في الصحافة وفي كل وسائل الإعلام.فالسلاح هنا هو كشف الفضيحة والتشهير بها.وهو نازلة أصابت المسلمين في دينهم.وعليهم مواجهتها بما يجب.و على العالم الآخر أن يعلم ما تقوم به فرنسا في المغرب³.

كما كان يجب حتى على الفرنسيين الأحرار أن يعلموا بخطورة هذه السياسة حتى على المجتمع الفرنسي.و لذلك راسل الأمير عدد من قادة الحزب الاشتراكي الفرنسي وأعلمهم بمضمونها ومن بينهم "بيير رونوديل Pierre Renaudel" الذي أرسل له رسالة شرح له فيها خطورة هذه السياسة وطلب منه أن يطرح هذه القضية في البرلمان الفرنسي.فقد ظهر على

¹ - جاء ذلك في رسالة بتاريخ 09 نوفمبر 1930.أنظر، أحمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، ج2، ص، 719.

² - الطيب بنونة، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 337.

³ - المصدر نفسه ص، 107.

الأمير الكثير من الثقافة السياسية باستغلاله للصراعات السياسية الفرنسي بين مختلف التشكيلات السياسية بما يخدم القضايا الوطنية¹. و قد استطاع الحصول على وعود من بعض هؤلاء بتبني القضية المغربية في البرلمان الفرنسي بعدما راسلهم الأمير شكيب أرسلان بمذكرتين كل واحدة منها مكونة من ثلاثين صفحة. و بعدما تأكدوا بوسائلهم الخاصة بصدق ما ذكره لهم الأمير في رسائله إليهم².

و في الرسائل المتبادلة بينه و بين محمد رشيد رضا اتخذت السياسية البربرية مجالا مهما منها. فقد طلب من العلماء والإصلاحيين منهم على الخصوص بكشف مخاطر الظهير البربري على الإسلام و حثهم على نشر المقالات لتحريض المسلمين ضد هذه السياسة و إطلاعهم على حقائقها و مخاطرها³. ففي إحدى الرسائل ذكر الأمير أنه "عسى أن تكون هذه الحادثة لانتباه المسلمين إلى صيانة دينهم. فإذا كانوا قد خسروا ممالكهم و أراضيهم وسكتوا مقتنعين بأن المستعمرين يتركونهم مسلمين وهذا أهون الشرين ونسوا أن الذي ليست له دنيا ليس له دين. و كان المستعمرون قد بثوا دعاية كاذبة بين المسلمين تلقاه كثيرهم بالقبول وساعد على رواجها المسلمون الجغرافيون والصحف الملحدة وهي أن أوروبية لا تبالي بالدين. وأنت ترى أن جميع دول أوروبية مسيحية متعصبة مفتخرة بنصرانيتها"⁴. و لذلك فإن "حادثة البربر كشفت الغطاء و قصرت فئة حجة الفئة الخبيثة و أنشأت يقظة عظيمة لا بد أن تزداد بتوالي الأيام"⁵.

لقد طرح الأمير شكيب أرسلان المسألة البربرية في المغرب من جميع الجوانب و قام بكل جهوده للتشهير بخطورتها. فقد اعتبرها اعتداء على صريح على الإسلام. و أسقط ما صرح به المقيم العام بأن الظهير البربري استجابة لطلب المغاربة أنفسهم. و قد رد عليه الأمير بقوله "أذهبت إلى لجنة دولية مختلطة فقرر البربر هذا أمامها؟ الحقيقة أن المقيم العام و رهطه العاملين لتنصير البربر الذي يزعمون هذا الزعم و لا يصدقهم أحد"⁶. و هي مرحلة

1 - الطيب بنونة، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 107..

2 - أحمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 722.

3 - الطيب بنونة، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 104.

4 - أحمد الشرباصي، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 722 - 723.

5 - المرجع نفسه.

6 - محمد سالم أحمد عمارة، شكيب أرسلان، دراسة في فكره السياسي، مرجع سابق، ص 134.

أخرى لتنصير المغرب و ضياعه بعد ضياع الأندلس. فالجغرافية حاضرة بكل قوة في هذه السياسة. و حذر المسلمين من تخاذلهم في دنياهم لأن ذلك سينتهي بهم بالتخاذل في أمر كامل دينهم. خاصة و انه في حال نجاح فرنسا في هذه السياسة في المغرب فإنها ستعممها في كامل مستعمراتها التي فيها الكثير من الأراضي الإسلامية في الغرب و الشرق.

و في تحليل عمق هذه السياسة البربرية اعتبر الأمير شكيب أرسلان أن دعم الفاتيكان لها أظهر حقيقة الصراع على أنه امتداد للحروب الصليبية. كما أنه من جهة أخرى خاطب الرأي العام العالمي للتدخل في هذه القضية لأنه بالنسبة إليه هذه ليست مسألة داخلية كما كانت فرنسا تدعي. فحرية الأديان مصونة بالقانون الدولي العام و كل مسلم في هذه الدنيا له الحق التدخل فيها. و لذلك طالب كل العلماء المسلمين مثل محمد رشيد رضا بالتدخل و رفع أصواتهم عالية لأن وقتها قد حان. و كان من وراء فكرة إرسال وفد من العلماء من مصر و الشام إلى المغرب و زيارة القبائل البربرية للتعرف على حقيقة المسألة البربرية و معرفة مدى رغبة البربر في التنصر و التأكد من وجود المنصرين و التعرف كذلك ظروف تعلم البربر للدين الإسلامي. و إذا كان ذلك ما يريد البربر فإن العالم الإسلامي يكون قد أراح ضميره¹.

اقترح على الحاج عبد السلام بنونة في رسالة له تقييد هذه المسألة بجمع كل أدلتها و تحويلها إلى كتاب أبيض تحت عنوان "الحادث الأكبر في محاولة الفرنسيين تنصير البربر" و ترجمته إلى لغات أوروبية و شرقية و إرسال نسخ منه إلى النواب و الشيوخ و الوزراء و رجال الصحافة في فرنسا و ألمانيا و إيطاليا. وإلى عصبة الأمم حتى يعلم الجميع بخطورة هذه السياسة الصليبية². و قد استجاب الوطنيون المغاربة لهذا الطلب بتأليفهم سنة 1931 للكتاب المشهور باللغة الفرنسية تحت عنوان "عاصفة في المغرب، أو أخطاء سياسة بربرية" بإمضاء مستعار حمل اسم مسلم بربري. و قد جاء الكتاب كما أراده الأمير شكيب أرسلان بغرض تعريف الحركة الوطنية المغربية الرأي العام الفرنسي، بحقيقة السياسة البربرية، لأن

¹ - محمد سالم احمد عمارة، شكيب أرسلان، دراسة في فكره السياسي، مرجع سابق، ص 135.

² - الطيب بنونة، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 370.

هذا الرأي تم تضليله بالكثير من الدعايات التي كانت تصدرها الصحافة المغرصة بأقلام دعاة تلك السياسة من المستعمرين و المنصرين المتواطئين¹.

ألفت لجنة العمل المغربية في أوروبا سنة 1932 كتابا آخر تحت عنوان "السياسة الاستعمارية بالمغرب الأقصى". و قد كان لهذين الكتابان الكثير من التوضيح لدى الرأي العام العالمي الذي أظهر الكثير من التجاوب معهما². و لذلك حملت باريس الأمير أرسلان مسؤولية التطورات التي عرفها المغرب بعد صدور الظهير البريري. ففي رسالة له إلى محمد رشيد رضا طلب منه عدم إرسال جريدة المنار إلى الوطنيين المغاربة بباريس و خاصة إلى الحاج احمد بلافريج فهم تحت اشد المراقبة و لا سيما في علاقاتهم معه. لأن فرنسا تريد أن تزعم أنها هي لم تفعل شيئا بموجب هذه الحركة، و إنما هو شكيب أرسلان قام بها و هيج الطلبة و هؤلاء هيجوا الشعب، ثم هو نفسه أرسل إلى مصر فحركها و مصر حركت العالم الإسلامي³.

رغم قصر فترة زيارة شكيب أرسلان للمغرب إلا أنها كانت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للحركة الوطنية المغربية فتواجهه في هذه الفترة في الشمال لم يكن للإطلاع على أحوال البلاد و العباد فقط و لكنها كانت كذلك بغرض إعطاء "تعليماته و توجيهاته للوطنيين المغاربة الذين وفدوا عليه من كل المدن المغربية"⁴. وعليه فإن نشأة الوطنية المغربية التحررية تدين بالكثير للأمير. لأنها أحدثت حركية سياسية برزت مباشرة بعد مغادرة شكيب أرسلان للمغرب. ولا يستبعد أن يكون الطرفان قد قاما بضبط معالم خطة نضالية. فقد أصبح الحاج عبد السلام بن نونة أكبر مساعديه بالمغرب وأسس معا بمدينة تطوان الفرع المغربي لـ "اللجنة السورية الفلسطينية"⁵ وهو نفس الفرع الذي تطور فيما بعد إلى "اللجنة السورية الفلسطينية المغربية"⁶ وفي سبتمبر 1930 أي أسبوعان فقط بعد مغادرته للمغرب تأسست في مدينة تطوان أول هيئة

¹ - جاء الكتاب في أربعة و سبعين صفحة من الحجم الصغير و يشتمل على سبعة فصول هي لحة تاريخية ظهر 16 ماي 1930 الشعب المغربي ضد الظهير، الانعكاسات على العالم الإسلامي، القضية البربرية و الرأي العام الفرنسي، وسال العلاج، الخاتمة. وبالرغم من إيجازه فإنه عرض وجهة النظر المغربية بأسلوب جيد ومنطق صحيح و مدعم بحجج متعددة المصادر و الاتجاهات. أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات، ج3، مصدر سابق ص178.

² - محمد سالم احمد عمارة، شكيب أرسلان، دراسة في فكره السياسي، مرجع سابق، ص 137.

³ - أحمد الشرباصي، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 736.

⁴ - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p 161*.

⁵ - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، ص 66.

⁶ - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p 161*.

وطنية سرية لمباشرة العمل الوطني تحت اسم "الهيئة الوطنية الأولى" و قد كان أعضاؤها من الوطنيين الذين استقبلوا الأمير شكيب أرسلان وتحدثوا معه واستقبلوه في تطوان و طنجة. و من بينهم الحاج عبد السلام بنونة ومحمد داود واحمد غيلان ومحمد طنانة ومحمد بنونة¹. وفي 16 نوفمبر 1930 أسس الشبان المغاربة في القاهرة أول جمعية وطنية مغربية تحت اسم "جمعية الدفاع عن القضية المغربية" برئاسة عبد الخالق الطريس². و قد أصبح لدى الوطنيين المغاربة وعيا بأن المغرب في هذه الظروف بحاجة إلى جهود كبيرة من أبناءه القادمين منه لأنهم هم الذين يمكنهم العمل والتحرك لصالح القضية الوطنية نظرا للمناخ المساعد الذي كانوا يعيشون فيه في الخارج³.

عرف الشمال المغربي في الفاتح من شهر ماي 1931 أول ارتداد لعلاقة الأمير شكيب أرسلان بالقضية المغربية. فقد قدم الوطنيون المغاربة أول لائحة مطالب الأمة المغربية. التي شكلت قفزة نوعية في تاريخ الحركة الوطنية المغربية في الشمال والجنوب على حد سواء لأنها كانت الوثيقة الأولى من نوعها التي عرفها هذه الحركة التي عرفها هذه الحركة. و قد جعلت هذه المبادرة من الحاج عبد السلام بنونة "أب الوطنية المغربية"⁴. فمنذ أن بعث الأمير أرسلان تلك الروح الجديدة والحركية النشيطة والوطنيون ينتظرون فرصة مواتية للتعبير عن كل ذلك. وقد كانت فرصة التغيير السياسي الذي عرفته مدريد مواتية للقيام بهذه الخطوة فقد قام النظام الجمهوري الإسباني في 14 أبريل 1931 . و قد كان ذلك بحد ذاته بادرة إيجابية للوطنيين المغاربة الذي سارعوا لاستغلال هذا الانفتاح السياسي بما يخدم قضيتهم. و للتعبير على ذلك شرعوا في إعداد وثيقة المطالب المغربية التي تم الوصول إلى نسختها النهائية والموافقة عليها بتاريخ 1 ماي 1931. حيث تم التوقيع عليها من طرف أكثر 800 مندوب من مختلف الطبقات الاجتماعية.

لقد كان هذا الإنجاز بالتنسيق المتواصل مع الأمير شكيب أرسلان الذي كان مطلعاً على كل تفاصيلها و حيثاتها، عن طريق الحاج عبد السلام بنونة. فهذا الأخير اعتبر أرسلان "الأب

1 - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص 66 .

2 - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص، 19.

3 - المرجع نفسه ، ص 20.

4 - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص 18.

الروحي لهذه النهضة الفتية"¹.و لذلك كان أول من أرسل له النسخة النهائية بتاريخ 02 ماي 1931².ويبدو أن تشجيع إرسال هذه المبادرة هو الذي دفع بالوطنيين المغاربة بنقل مطالبهم إلى مدريد.فشكّلوا وفدا من أبرز المتحدثين متكونا من محمد الطيب بوهلال الذي ترأس الوفد واحمد غيلان واحمد بن عبد الكريم اللبادي وعبد السلام حجاج و قد ذهب قبلهم الحاج عبد السلام بنونة إلى مدريد لتحضير الظروف السياسية لهذه المبادرة³.وبعد وصول هذا الوفد إلى مدريد في جوان 1931 استقبله رئيس الجمهورية الإسبانية الثانية(1931-1939) "ألكالا زامورا *Niceto Alcalá-Zamora y Torres* واستلم منه اللائحة وقدم لأعضائه وعودا بتنفيذ مضامينها.التي كانت منظمة تنظيما دقيقا يوحى بوجود بصمة للأمير شكيب إرسال فيها⁴.خاصة و أنه كان من مشجعي الوطنيين العرب والمغاربة على وجه الخصوص باستغلال كل الظروف السياسية المتاحة عند جميع الأطراف.وخاصة إذا كان هؤلاء من الجمهوريين التقدميين كما هول الحال لـ"زامورا". لذلك دفع بوطني الشمال لاستغلال ذلك الانفراج الذي عرفته السياسة الإسبانية بتغير نظامها.فقد كان للأمير علاقات طيبة مع الجمهوريين والاشتراكيين منهم على وجه الخصوص.و لعل إطلاعه على تفاصيل هذه اللائحة وما شملتها من ظروف من شأنه أن يؤكد دور الأمير في هذه المبادرة.ففي رسالة له لمحمد رشيد رضا بتاريخ 22 ماي 1931 أكد له و صول ذلك الوفد إلى مدريد و طبيعة مهمته فيها و الدور الذي قام به هو فيه وغيرها من المعلومات بقوله "وسياتي وفد من تطوان و الريف إلى مجريط (مدريد) بمطالب معلومة وعلى رأس الوفد الحاج عبد السلام بنونة والاستدعاء (اللائحة)مضي من طرف خمسمائة من تطوان لوحدها و فيه عدة مئات من الريف.وإني من هنا لم أقصر في الحث.وعملت لهم بروغراما(برنامجا) و ذهب أحمد بلافريج من باريس سرا

¹ - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص، 26.

² - الطيب بنونة ، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 257.

³ - محمد بن عزوز حكيم، وثائق سرية، مصدر سابق، ص 68 .

⁴ - تمثلت أهم النقاط المدخلة لهذه العريضة في تمسك سكان المنطقة الشمالية بجلالة السلطان و خليفته و رضاهم بنظام الحماية كوسيلة تقدمهم نحو التقدم و الرقي. و تمثلت الطالب في انتخاب المجالس البلدية و إنشاء مجلس شؤون عام منتخب .و ضمان حرية الصحافة و الاهتمام بالتعليم و النهوض بالفلاحة.أنظر، حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص، 20.

إلى تطوان ثم أقام بسبته و كانت النهضة بسببه. ورجع بلافريج و أخبرني بكل ما وقع و كتب لي "بنونة" أنهم سائرين إلى مجريط(مريد) وسيكتب لي منها"¹.

اعتبر روبير روزيت شكيب أرسلان مصدرا للكثير من التوافق الموجود بين مختلف أحزاب الحركات الوطنية في العالم العربي لأنه هو الذي كون أول قاداتها و زعمائها. لقد استطاع أن يجمع بين تكوينه الإسلامي التقليدي ومعرفته الكاملة بالمجتمع الغربي وهي صفة نادرة ما نجدها عند القادة المسلمين². فقد كانت له أكثر من أي احد كان القدرة على الجمع بين العروبة والوطنية في منظومة فكرية واحدة حركت الشعور الوطني ضد الاستعمار³. فقد أدرك أرسلان أنه لا يمكن أن تكون هناك وحدة عربية بدون استقلال مسبق للدول العربية. فقد مزقت الصراعات الاستعمارية جسم الأمة العربية. وإذا كان الهدف هو تحقيق وحدة هذه الأمة فإنه يجب تحقيق استقلال هذه الدول العربية و هو العمل الذي يجب أن يتم في نفس الوقت في كل العالم العربي. فالوطنية بالنسبة للأمير شكيب أرسلان وسيله ضرورية لتحقيق "الأمة العربية" كمفهوم رمزي فكري و حضاري⁴. و في هذا السياق الفكري و الحركي تدخل الأمير شكيب أرسلان في المغرب بعد صدور الظهير البربري. و استطاع يحوله إلى وسيلة بامتياز لنشر فكرة الوحدة العربية في المغرب. فقد انطلقت الحركة الوطنية المغربية وتبنت البعد العربي الإسلامي بمفهومه الحديث لا التقليدي.

لقد ظهر فيما بعد كيف استطاع الأمير التأثير على الوطنية المغربية التي وجهها منذ البداية ضد السياسة البربرية وبالتالي حدد لها هويتها المستمدة من الخط الافتتاحي لمجلة "الأمة العربية"⁵. و لعل هذا الذي دفع بالحاج عبد السلام بنونة إلى التحدث مع الأمير شكيب أرسلان عن تأسيس حزب الإصلاح في الشمال وهو مازال في المرحلة الجنينية. فقد دارت بين الرجلان عدة مراسلات حول الموضوع ففي واحدة منها بتاريخ 3 فيفري 1933 ذكر الأمير شكيب أرسلان للحاج عبد السلام بنونة مجموعة من التوجيهات و الآراء حول الصيغ التنظيمية للقيام بذلك مثل جمع المال و تعويد الناس على التبرعات بشكل منظم لأجل القضية

¹ - أحمد الشرباصي، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 755.

² - Robert Rêzette, *Les Partis politiques*, op.cit. p 16.

³ - *ibid.*

⁴ - *ibid.*

⁵ - *ibid.* p 18.

العامة التي تتطلب أرضية مالية صلبة للانطلاق¹. و بقي الاتصالات قائمة بينهما حول العديد من القضايا النظامية و التنظيمية. فقد كان الأمير أرسلان بالنسبة للوطنيين المغاربة مصدرا هاما لا يمكن الاستغناء عنه. خاصة و انه هو نفسه كان يعتبر ذلك من صميم أولوياته. فطالما انتقد أرسلان المصلحين من المشرق إهمالهم المتعمد للمغرب رجالا و مجتمعات².

أما شارل أندري جوليان فقد اعتبر الشباب المغاربة انتقلوا باحتجاجهم على الظهير البربري من المعارضة الإيديولوجية إلى المواجهة المباشرة. و قد استفادوا كثيرا من دعم و نصائح الأمير شكيب أرسلان الذي أسس منذ سنة 1928 بمدينة جنيف "مكتب الإعلام للدول الإسلامية" و تجاوزت اهتماماته القضايا السورية لتصل إلى المسألتين الليبية والمغربية من خلال أعمدة مجلة "الأمة العربية" التي أصبحت تتناول السياسة الفرنسية والإيطالية في شمال أفريقيا³. و بالنسبة لجوليان فإن أرسلان استغل مسألة الظهير البربري للتدخل في القضية المغربية من أبوابها الكبيرة عندما اتصل به عدد من الشبان المغاربة من بينهم محمد بلافريج و محمد الفاسي⁴. و قد استطاع بواسطة نفس المجلة أن يشعر العالم الإسلامي بالخطر الذي يهدد المغرب في دينه من طرف حركة التنصير التي كانت تتم رعاية سامية للكنيسة الكاثوليكية مما أدى ذلك إلى حدوث تضامن كل المسلمين في العالم من الجزائر إلى جزيرة جاوة بأندونيسيا. فقد احتج كل هؤلاء على السياسة الفرنسية. ولم يكن كل ذلك بدون تأثير على باريس التي أصبحت في حرج دولي أمام هذه التعبئة العامة التي كان من ورائها الأمير شكيب أرسلان. وعندما كان ينتظر من هذه الحركة كشف السياسة البربرية في المغرب فقط، فإن النتائج المتوصل إليها تجاوزت كل الحدود و التوقعات. لقد تحول الأمر إلى تيار وطني مؤسس بخلفية فكرية محددة. و تجاوز في حركته كل التوقعات والآمال⁵. فلم تظهر قضية الظهير البربري الوعي الوطني المغربي فقط بل أدمجت المغرب الأقصى المسلم في

¹ - الطيب بنونة، نضالنا القومي، ص، مصدر سابق، ص ، 316-317.

² - أحمد الشرباصي، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 644-645

³ - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p161*

⁴ - *ibid.*

⁵ - *ibid.*

الوحدة الإسلامية التي اقتضت أن يتقاسم كل المسلمين في العالم مع إخوانهم المغاربة محنهم. فقد تمكن شكيب أرسلان من حبك خيوط القضية فأخذت أبعاد شرقية¹.

لقد نصح الأمير المسلمين في العالم بأسره أن لا يقتصروا على إرسال الاحتجاجات إلى الجرائد و الحكومات العربية، لأن ذلك لا مفعول له بل يجب أن يرسلوها إلى عصابة الأمم و إلى الدول الكبرى و إلى حكومة فرنسا نفسها و إلى برلمانها ومجلس شيوخه². وبالنسبة لجوليان فإن وسائل الضغط التي استعملها الأمير شكيب أرسلان على فرنسا لم تكن سياسية أو إعلامية فقط. بل تجاوزت ذلك لتصف إلى المقاطعة الاقتصادية لفرنسا بأن يكف كل مسلمي العالم عن كل معاملة للبيع والشراء معها لأن المقاطعة هي "أحدى الأسلحة التي يخشاها الأوروبيون أكثر من غيرها فهم يعبدون المال عوضا عن الله"³. و لعل تلك النتائج الباهرة التي تحصل عليها المغاربة، ليس فقط في محاربة السياسة البربرية فقط، و لكن بما حققته القضية الوطنية من قفزة نوعية من حيث مضمونها و آلياتها. وكل ذلك يعود إلى العمل الحرفي بنصائح شكيب أرسلان⁴. فقد غمرت البرقيات و العرائض الهيئات القومية و الدولية و تألفت لجان ببرلين والقاهرة وحتى بجزيرة جاوة باندونيسيا للدفاع عن مسلمي المغرب الأقصى. و أعلنت الهند مقاطعتها التجارية لفرنسا⁵.

لقد كانت بداية حضور الأمير شكيب أرسلان في الحركة الوطنية المغربية من خلال مواجهة السياسة البربرية الفرنسية. فقد جند أرسلان خلال هذه المواجهة كل الوسائل و لم يترك بابا إلا وطرقه لكشف المشروع الفرنسي التنصيري لإسقاط المغرب بعد سقوط الأندلس غير البعيدة عنه جغرافيا. وقد كان من وراء الحرج الكبير الذي وجدت باريس نفسها دبلوماسيا وأصبحت في العديد من المرات مطالبة بتقديم توضيحات في العديد من منابر دولية. و نظرا لاستجابة الوطنيين المغاربة لكل مبادراته و توجيهاته فإن الأمير شكيب أرسلان واصل تواجده في الحركة الوطنية المغربية حتى ما بعد "عاصفة المغرب". ومن ضمن ما ساهم فيه الأمير شكيب أرسلان الحركة الصحفية التي انطلقت مباشرة بعد، أو حتى أثناء، الاحتجاج

¹ - شارل أندري جوليان إفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص، 172.

² - المصدر نفسه، ص، 172.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه، ص، 173.

⁵ - المصدر نفسه.

على الظهير البربري فمن ضمن ما اقترحه على عبد السلام بنونة جمع التبرعات المالية في كامل أنحاء المغرب و إرسالها إلى الطلبة المغاربة لإصدار صحيفة عربية أو باللغة الفرنسية داخل فرنسا نفسها تتحدث باسمهم و حتى يطلع الرأي العام الفرنسي ما يجري في المغرب¹. و هي المجلة التي صدرت باللغة الفرنسية فيما بعد في باريس في جويلية 1932 تحت عنوان "مغرب Maghreb". و قد كان رئيس تحريرها المحامي الفرنسي الاشتراكي "روبير جون لونكي Robert-Jean Longuet". و قد كان إرسال وراء هذا الاختيار لتجنب تدخل السلطات الفرنسية في شؤونها. و قد وقعت اتصالات بينهما و اتفقا على العديد من التفاصيل². التي جاءت في رسالة له لعبد السلام بنونة حتى ينقلها للشبان المغاربة خاصة المتواجدين في باريس مثل بلافريج أو من الذين طلب منهم الانتقال إلى هناك للمشاركة في المشروع كما هو الحال لمحمد حسن الوزاني³.

يبدو أن تسمية شارل أندري جوليان الأمير شكيب إرسال بالموجه الأساسي للوطنيين المغاربة فيه الكثير من الصحة⁴. و لكن الأصح من ذلك أن إرسال تحول إلى ذلك الموجه لأنه تبني القضية المغربية بشكل لم يرق به أي احد آخر حتى من طرف بعض المغاربة أنفسهم. فكل مراسلاته مع الحاج عبد السلام بنونة تؤكد ذلك. و أكثر من ذلك فقد كانت القضية المغربية حاضرة في أكثر من خمسين رسالة تبادلها مع محمد رشيد رضا بين 1929 و 1933 و قد جاء في هذه الرسائل العديد مما اعلم به رشيد رضا بما قام به أو سيقوم به في شأن القضية المغربية. فمن ضمن ما ذكره الأمير شكيب إرسال تدخله لدى ملوك العرب حيث راسل عدد

¹ - الطيب بنونة ، نضالنا القومي، ص، مصدر سابق، ص، 370.

² - المصدر نفسه، ص، 374.

³ - من مفارقات محمد حسن الوزاني في حديثه عن تأسيس مجلة "مغرب" عدم ذكره لأي دور للأمير شكيب إرسال واعتبر ذلك نتيجة رغبة من جانين فرنسي و مغربي. ثم يغوص في التفاصيل التقنية و السياسية و المشاكل التي تلقاها قبل سفره إلى باريس وغيرها من النقاط إلى غاية إصدارها. و ثم يتطرق لمضامينها. و لكن بدون أي ذكر لدور لشكيب إرسال. أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات، ج، 03، مصدر سابق، ص، 206-219. و تفسر ذلك إما أن إرسال دفع بالمغاربة لتأسيس صحيفة ناطقة باسمهم بدون أن تكون "مغرب" بحذ ذاتها. بالرغم من ذلك يتناقض هذا الطرح مع الرسائل المتبادلة بين إرسال و عبد السلام بنونة التي ذكرت الكثير من الإشارات إلى اتصالات تمت بين إرسال و الفرنسي "لونكي". و حتى ثنائته على صدرها بقوله "مجلة المغرب تدافع عن مسلمي المغرب أكثر من جيش و لا يقدر احد منعها لأن مديرتها إفرنسيا" أنظر، الطيب بنونة ، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 274، 284، 306. و تبقى هذه القضية على ضوء المعطيات المتوفرة بدون تفسير تاريخي مقنع.

⁴ - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p 161*.

من هؤلاء و ترجى تدخلهم لصالح القضية المغربية كواجب ديني و سياسي في الحفاظ على الإسلام و المسلمين في الشرق و الغرب.و قد ربط أرسلان هذا الطلب بالفراغ القيادي الذي أصبح عليه العالم الإسلامي بعد زوال الخلافة الإسلامية العثمانية. " لأنه يجب أن تفهم فرنسا أنه إذا كانت الدولة العثمانية قد ذهبت فلا يزال للإسلام ملوك يسألون عنه"¹.

لقد كان طرح أرسلان في هذا الاتجاه تعبيراً عن إدراك كبير للأهداف البعيدة للسياسة البربرية في المغرب. فهذا الأخير لم يكن معنياً بها لوحده، وإن كان أول من مسته هذه النازلة. فكل المسلمين سلطة و مجتمعاً معنيون بها. فالمنظومة الفقهية الإسلامية تعطي الحق للمسلم بالاستتجاد بخليفته لإغاثته بنفس الكيفية التي أغاث بها الخليفة العباسي المعتصم بالله تلك المرأة المسلمة في مدينة عمورية حينما صرخت بقولها المعروف "وامعتصماه!!!" و وصل ذلك للخليفة و كان ما كان. حتى أنه ذكر كيف أنه بعد زيارته لتطوان سألته أعيانها "عن أمور كثيرة تتعلق بالعالم الإسلامي و بتركيبه و غيرها، و كان نصيب كبير من الأسئلة عن حكم ابن سعود و عقيدة النجديين، و كيف ينظرون لسائر المسلمين. و قد (أجابهم الأمير) بواقع الحال و اطمأنت أفكارهم و مما لا جدال فيه أنهم بغاية السرور من حالة الأمن التي آل إليها الحجاز بفضل الله ثم بفضل ابن سعود"².

فقد كان ذلك بالنسبة له و عي المغاربة بامتدادهم الحضاري و القومي خارج الحدود الجغرافية و ابعد من ذلك. و لذلك لهم من الحق على هذا العالم الإسلامي شعوباً و حكماً ما يفرض عليه دعمهم في حربهم ضد السياسية الفرنسية التنصيرية. التي تقصد المغاربة كما تقصد هدم الدين. و من واجب حامى هذا الدين كما هو الحال لملك مصر فؤاد لأنه " يجب على الملك دينا و سياسة مد اليد للقضية البربرية لأنها مسألة دينية إسلامية و من حقه التدخل فيها"³. و عندما وجد أرسلان تجاوباً من طرف الملك فؤاد حول طلبه بنية هذا الأخير مراسلة الحكومة الفرنسية في الموضوع، فقد أراد الأمير أن يكون لما يقوم به هذا الملك ذا تأثير كبير على فرنسا فأعاد رسالة أخرى له يعرض فيها بأن " تحرير الكتاب إلى رئيس الجمهورية

¹ - أحمد الشرباصي، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 725 .

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

يكون أوقع نظرا لأهمية الحادثة"¹.و في نفس هذا السياق اتصل أرسلان بملوك آخرون مثل ملك اليمن الإمام يحيى الذي كان قد كتب له حول الموضوع قبل الملك المصري بشهرين والتمس منه الكتابة إلى فرنسا بواسطة جيبوتي.فقد التزم أرسلان على عدم السكوت عن مقاومة مساعي التنصير في كل محل تظهر فيه آثاره².

لقد تحول الأمير شكيب أرسلان بالنسبة الوطنيين المغاربة إلى قبلة التحرر و التفوا حوله أينما حل.و بقيوا على صلة به حتى في بيته بجنيف فأقاموا عنده و كانت كلما ضاقت بهم الدنيا وسعت عنده.فاستقبلهم و فتح كل الآفاق السياسية أمامهم و حرص على أن يكونوا من ضمن مكونات العالم العربي والإسلامي ودفع بممثلين عنهم للمشاركة في المؤتمرات الإسلامية بالقدس سنة 1931 و القاهرة سنة 1936³.و عندما ترأس "جمعية الثقافة الإسلامية" التي تأسست بفينا سنة 1932 كان محمد حسن الوزاني من أعضاء مكتبها الإداري⁴.كما كانوا هم له دعما و مساعدة في تحرير مجلة "الأمة العربية" و في كتابة مراسلاته⁵.و حتى عندما اختلفوا اتجهوا إليه للفصل في أمرهم⁶.

و ليس من قبيل المبالغة أن يكون الفضل في بعث الحركة الوطنية المغربية للأمير شكيب فقد توصل إلى جمع شتات الشباب المغاربة.فقام بتوحيدهم وتوجيههم التوجيه السياسي الكفيل بتحرير الديار المغربية من الاستعمار الفرنسي والاسباني على حد سواء بعد

1 - أحمد الشرباصي، أمير البيان شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 726.

2 - المصدر نفسه.

3 - محمد سالم احمد عمارة، شكيب أرسلان، دراسة في فكره السياسي، مرجع سابق، ص 145.

4 - محمد حسن الوزاني ، مذكرات، ج 03 ، مصدر سابق، ص318.

5 - المصدر نفسه.

6 - بعد الخلاف الذي ظهر بين محمد حسن الوزاني و علال الفاسي في مطلع سنة 1937 حول تأسيس أول حزب سياسي في المغرب. و نظرا لخطورة هذا الانشقاق على الحركة الوطنية المغربية فقد تدخلت عدد من الشخصيات لرأب الصدع و من بينهم الأمير شكيب أرسلان كان أول و اكبر الذين بذلوا أقصى الجهد للقضاء على الخلاف في بدايته حيث راسل ال وزاني و علال الفاسي و جاء في رسالة له بتاريخ 07 أفريل 1937 للوزاني انه "لم يجد في أسباب الخلاف عقبات غير قابلة للاجتياز." كما اقترح حل هذا الحزب الذي كان سبب الخلاف .و اقترح كذلك لجنة مؤقتة أمينها العام الأول هو الوزاني .و مما جاء في الرسالة ما يلي : "يا ولدي الحبيب أنا في المغرب لا ناقة لي و لا جمل و ما جاءني من التدخل في شؤون المغرب إلا لتعرضه لعداوات انتم تعلمونها و لكني كمسلم لا أقدر ان لا افكر في امورك و المسلم الصادق المخلص لا يفرق في الإسلام بين مغرب و مشرق ...فبحق حرمتي و محبتي لديكم جميعا تغلبون العقل على العاطفة و تعودون كما لتخدموا وطنكم..." . أنظر محمد حسن الوزاني مذكرات حياة و جهاد، ج 05، مصدر سابق، ص42.

أن كان عملهم قبل ذلك في شكل جماعات وأفراد يبحثون في أفكارهم عما يمكن أن يحررهم¹. أو بما قال به علال الفاسي بأن "شكيب أصبح زعيم هذه الحركة يسير بها وبرجالها في الداخل والخارج لمكافحة المستعمر الفرنسي، وكان هو وحده الذي يحس في أعماقه بأنه على ثغرة من ثغر الجهاد العربي والإسلامي، ويحرر وطنه ليكون جزءاً لا يتجزأ من بلاد العرب ثم من دولة الإسلام².

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية... مصدر سابق ص76.

² - علال الفاسي، شكيب أرسلان، مصدر سابق.

5 . المؤثرات الشرقية (المشرقية):

لقد أرجع "أدومنت بورك" التأثيرات الشرقية إلى ما قبل إعلان الحماية سنة 1912. فقد سعى كل من الأتراك والمصريين إلى إفشال مشاريع التدخل الأجنبي في المغرب¹. و قد ظهرت هذه التأثيرات في شكل مساعدات عسكرية ودعاية مضادة ضد فرنسا بالاتصال مع زعماء المقاومة المسلحة مثل الريسوني وأحمد الهيبة لمساعدتهما عسكريا وتنسيق جهودهما مع مقاومة الأطلس المتوسط التي كانت تقودها قبائل "زيان" بقيادة موحا وحمو الزياني². و في إطار حركة النهضة التي عرفها العالم العربي الإسلامي، التي انطلقت من المشرق العربي تأثرت الحركة الوطنية المغربية بمجموعة من المؤثرات الشرقية³. فالبرغم من عزلة المغرب جغرافيا، و ثقل المذهب المالكي عليه سلطة و مجتمعا، فإن المغاربة وصلتهم تلك المؤثرات المشرقية³.

تميزت مصر بشكل خاص بتأثيرها على حركة الوعي الوطني بالمغرب. نظرا لحيوية حياتها السياسية. خاصة في صراع الحركة الوطنية مع القصر والإدارة الاستعمارية الإنجليزية⁴. فقد استقر أكثر من ألفين (2000) مغربي في القاهرة والإسكندرية لمختلف الأسباب و كان الكثير من الشباب المغاربة يرتادون جامعة الأزهر. خاصة في الفترة التي كان فيها محمد عبده مديرا لها. فقد كلف عبده وكيلا خاصا بالمغاربة لمتابعتهم و توفير أحسن الظروف لإقامتهم العلمية⁵. كما كان لجريدة "المنار"، التي أصدرها محمد رشيد رضا سنة 1898، صدى كبيرا في الأوساط المغربية. فقد كان الشباب المغربي ينتظرها بفارغ الصبر للإطلاع على مضامينها⁶.

¹ - Edmund Burke, III, *Prélude au protectorat Du Maroc*, op.cit. 100 – 120 .

² - ذكر شارل أندري جوليان أنه كان هناك مخططا مشتركا بين مصر و تركيا لإفشال الحماية الفرنسية على المغرب. و قد تم ذلك من خلال بعثات عسكرية و حملات إعلامية مضادة في أوساط القبائل المغربية. و قد ذكرت تقارير قنصلية فرنسية في مدينة طنجة أن هناك تحضيرا لثورة في سبتمبر 1912 حيث سيتم إعلان هذه الثورة في شهر رمضان. كما كان لرجل الأعمال التركي عارف الطاهر الذي كانت له اتصالات كبيرة في داخل المغرب و قد كان ذلك بمتابعة ألمانية. إلا ركود المغاربة و لامبالاقتهم كانت من وراء فشل هذا المشروع. كما فشلت مشاريع مماثلة في تونس و ليبيا. أنظر،

Charles-André Julien, *Le Maroc Face*, op.cit., p 152.

³ - Edmund Burke, III, *Prélude au protectorat Du Maroc*, op.cit. 100 – 120 .

⁴ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، العلاقات الخارجية للحركة الوطنية المغربية، منشورات عكاظ، الرباط 2012، ص 39.

⁵ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face*, op.cit., p 152.

⁶ - *ibid.*

فقبل الحماية كان لهذه المجلة أكثر من خمسين (50) مشترك في مدينة فاس فقط¹. و بعد الحماية وبالرغم من منع دخولها للمغرب، إلا أنها بقيت تصل لشباب القرويين بمختلف الوسائل. و كانوا هم بدورهم يقومون بنسخها و توزيعها في الأوساط الشعبية. و لذلك كانت تخصص عدد من صفحاتها لأخبار المغرب. كما كانت ثورة الريف (1921-1926) من أهم الأحداث التي تابعتها باهتمام كبير. و نقلت أخبارها و تفاصيلها و كتب فيها الأمير شكيب أرسلان الكثير من المواضيع حول المسألة المغربية، مثل مقاومة عبد الكريم الخطابي، و السياسة البربرية².

تمثل التأثير المصري في حركة الوعي المغربي من خلال مجموعة من المظاهر تمثلت في الأحزاب السياسية المصرية باختلاف توجهاتها. إلا أنه كان لحزب الوفد بزعامة سعد زغلول ثم مصطفى النحاس (بعد وفاة زغلول سنة 1927) تأثيرا متميزا على هذه الحركة. فقد اطلع الشباب المغربي على صحافته وخطب زعيمه. بعدما انتقل عدد من جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية مولاي إدريس إلى القاهرة سنة 1925 من أجل مواصلة تعليمهم و التقوا بسعد زغلول واستمعوا إليه وتأثروا به. و استطاعوا معايشة الوسط المصري الذي كان يعرف نشاطا سياسيا كبيرا³. بالرغم من عدم استطاعتهم الالتحاق بالمعاهد التعليمية الكبرى في القاهرة لظروفهم المادية الصعبة و لعرقلة القنصل الفرنسي "كايار" في مصر لهم. إلا أنهم عاشوا في الوسط المصري الذي كان يعرف زخما سياسيا كبيرا بعد الحرب العالمية الأولى⁴.

تمثل ذلك في الحركة الوطنية المصرية ونشاطها الصحفي. فقد حضروا تجمعات السياسيين المصريين وخاصة سعد زغلول. و اهتموا بكل التيارات السياسية التي كانت في مصر. و اطلعوا على مختلف البرامج السياسية في الصحف المصرية. و تابعوا كل الأنشطة

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face*, op.cit., p 152.

² - أحمد الشرباصي، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 722.

³ - يتعلق الأمر بالعربي الديوري و محمد بن المهدي الفاسي و العربي قصارة و قد كانوا من جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية مولاي إدريس، الذين انتقلوا سنة 1925 سرا إلى القاهرة بغرض مواصلة تعليمهم فانتقلوا إلى مدينة وهران ثم إلى مرسيليا عن طريق البحر و منه إلى الإسكندرية. و شاءت الأقدار أن يسافروا في نفس السفينة التي كان فيها سعد زغلول بعد عودته من لندن عبر فرنسا، و منذ ذلك الوقت تأثروا به. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1 مصدر سابق ص 318.

⁴ - من المفارقات أن "كايار" هو الذي كان قنصلا بمدينة فاس أثناء فرض الحماية الفرنسية على المغرب. و لذلك تابع موضوع الشباب المغربي في القاهرة باهتمام كبير حيث زاد عن كونه نشاطا قنصليا محضا. أنظر، مذكرات، ج1 مصدر سابق ص 320.

السياسية. فقد كانت فرصة كبيرة بالنسبة لهم بمعايشتهم للحركة الوطنية المصرية بعد الحرب العالمية الأولى التي كانت في أكثر أيامها نشاطا و حيوية. فقد كانت القاهرة في تلك الفترة عاصمة فكرية و تعليمية و سياسية تمكنت من جذب الكثير من المفكرين من أقطار العالم الإسلامي¹. و بذلك فإنهم " تمكنوا من قضاء مدة إقامتهم في القاهرة في مدرسة الكفاح و التربية الوطنية و التجربة السياسية" على حد تعبير الوزاني².

كان هؤلاء الشباب المغربي بعد عودتهم إلى المغرب محل اهتمام من طرف المغاربة فقد تم استدعائهم من طرف سلطات الحماية، و قامت بتحقيق طويل معهم حول طبيعة نشاطهم في القاهرة و الشخصيات المصرية التي التقوا بها و عن كل جوانب الفترة التي قضاها في مصر. و قد كان وراء ذلك القنصل الفرنسي في القاهرة " كايار " الذي شدد في تقاريره التي كان يرسلها لباريس و الرباط على ضرورة متابعة أنشطة هؤلاء الشباب المغاربة بعد عودتهم من مصر نظرا لتحركاتهم الكثيفة في المشرق العربي. فقد سجل هذا القنصل كل تفاصيلها في تقاريره السرية. ورغم الستار الحديدي الذي حاول إقامته نظام الحماية على المغرب، فإن الشبان المغاربة نوعوا في اتصالاتهم و لم يقتصروا على اتجاه واحد. فقد "مكنهم التعددية الليبرالية لمصر من فرص متنوعة لربط الاتصال مع مختلف التيارات الفكرية"³.

لقد اعتبر المغاربة هؤلاء الشباب " دعاة النهضة الشرقية في الوسط المغربي عامة"⁴. و كانوا محل اهتمام أينما حلوا و أقاموا. و كانت تعقد لهم التجمعات الشعبية في أية مدينة حلوا بها. فقد كانت " رحلتهم و مشاهداتهم و ذكرياتهم تعشق النفوس أخبارها و تتلهف الاستماع إليها في كل مكان"⁵. و لكن هذه التحركات كانت كذلك محل مضايقة من طرف سلطات الحماية التي كانت تمنع أنشطتهم أينما حلوا. و بالرغم من أن تأثيرهم لم يكن شاملا لكل مدن المغرب و لكنه كان واضحا في المجتمع الفاسي. فقد تزامنت حركتهم مع ما كانت تعرفه مدينة فاس من نشاط وطني في فترة العشرينات. بالإضافة إلى مدن أخرى مثل الرباط و سلا و تطوان. و لذلك ظهر تأثيرهم ذو فاعلية كبيرة. لأنه تم في بيئة كانت تعيش مخاضا وطنيا هاما ظهرت

¹ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق ، ص 41.

² - محمد حسن الوزاني ، مذكرات ، ج 1 ، مصدر سابق، ص 320.

³ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 24.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - محمد حسن الوزاني ، مذكرات ، ج 1 ، مصدر سابق، ص 320.

نتائج في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين. فقد تم في تلك البيئة التي سعت بكل الوسائل للاستثناء عن حالة اليأس و الاستسلام التي تميز بها المغاربة الذين شهدوا فشل المقاومة المسلحة الواحدة بعد الأخرى. و خاصة مقاومة الريف في سنة 1926.

قام بذلك مجموعة الشباب المغربي الذي أعاد بعث الموقف المغربي الرفض لنظام الحماية و لكن باعتماد مبدأ يختلف عما سبقه من مواقف سواء في الجنوب أو الريف. لأنه كان "إصلاحيا" لا " ثوريا ". و لكنه في جميع الأحوال كان استمرارية له. و قد كان هؤلاء الشباب المغربي العائد من المشرق العربي من مكونات هذا "الموقف الجديد" لما نقلوه من مصر و المشرق العربي عامة من وعي وطني، و تجربة في التنظيم السياسي من خلال معابنتهم لأنشطة الأحزاب المصرية، و بصورة خاصة حزب الوفد. و راقبوا كل ذلك عن كثب و أدركوا مفاتيحه. فقد اندمجوا في المجتمع الشرقي بصورة كاملة¹. ثم سعوا لنقل ذلك إلى الأوساط المغربية. التي كانت تعيش مرحلة إعداد و تأهب و في مخاض سياسي كان على وشك الانطلاق وإعطاء ثماره². و لذلك كانت مساهمة هؤلاء واضحة في انطلاق الحركة الوطنية المغربية إلى درجة أن هذه الأخيرة اتخذت من نشيد حزب الوفد نشيدا رسميا لها حتى كاد أن يكون نشيدا وطنيا. و يبدو أن مضامين التقارير الأمنية للقنصل الفرنسي في القاهرة "كايار" كانت تتحدث عن هذه المخاطر بالنسبة لنظام الحماية³.

هكذا فإنه كان لحركة الإصلاح التي عرفها المشرق العربي، أثرها البارز في نشأة و تطور الحركة الوطنية المغربية من خلال التوافق الذي تم بين الوطنية والحركة الإصلاحية في المشرق والمغرب، فكلاهما دخل في صراع مع الاستعمار ومع الموالين له. و بهذا مثلت وحدتهما ثورة ضد التخلف والتقهقر الحضاري والتدخل الأجنبي. وبرز ذلك في المؤلفات

¹ - لقد تجاوز تأثير هؤلاء الشباب الجانب السياسي. و ظهر حتى في طبائعهم الاجتماعية. فقد احتفظوا بالبدلة العصرية الشرقية و الطربوش مثل النخبة المصرية. و حتى لغتهم اليومية بقيت فيها بعض التعابير المقلدة للهجة المصرية بكيفية متعمدة و مقصودة لجلب الانتباه و حتى يتميزون عن أقرانهم الشباب المغربي .

² - محمد حسن الوزاني ، مذكرات ، ج 1 ، مصدر سابق، ص321.

³ - ذكر الوزاني في مذكراته أن من مظاهر تأثير الشباب المغربي بحزب الوفد اتخاذه لنشيد هذا الحزب بمثابة نشيدا وطنيا و من أهم

ما جاء فيه : رسول السلم إلى مصر أدر في الطرف لنا خيرا

و حي العلم لنا بالبشرى و أنش في الطرف لنا زهرا.

إن أبناء النيل بنو أعلى من سلفوا قدرا.

قد قمنا قلبا و لسانا تحي لنا و لهم الذكرى.

الإصلاحية التي كانت بمثابة مرجعيات مذهبية لحركة الإصلاح هذه. و بالرغم من منع دخول هذه الكتب إلى المغرب من طرف سلطات الحماية، إلا أن الشبان المغاربة حرصوا على التوصل بها و إدخالها للمغرب و مطالعتها بشغف كبير، و حتى نسخها و توزيعها في مختلف المدن المغربية التي تفتقد هذه الحرية مثل الدار البيضاء و الرباط. لأنها كانت "مستنهضة للهمم و مثيرة للمشاعر الوطنية" و من أهم هذه الكتب ما كتبه جمال الدين الأفغاني مثل "القضاء والقدر" و "الرد على الدهريين". و كتب محمد عبده مثل "العروة الوثقى" و "رسالة التوحيد" و "الإسلام و الرد على منتقديه" و "الإسلام و النصرانية" و "العلم و المدنية". و كتب محمد رشيد رضا مثل "تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده". و كتب أخرى مثل " الثورة العربية الكبرى" لأمين سعد، و "تاريخ الإسلام السياسي" إبراهيم حسن و "حاضر العالم الإسلامي" لـ "لتروب ستودار" الذي عربه عجاج نويض و علق عليه شكيب أرسلان. و لهذا الأخير أيضا " لماذا تأخر المسلمين و تقدم غيرهم" و "مجموعة الخطب الوطنية" لمصطفى كامل. و سلسلة أحمد أمين حول تاريخ الإسلام و هي "فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام" و "ظهر الإسلام" و "طبائع الاستبداد" و "أم القرى" لعبد الرحمن الكواكبي. و "التاج المرصع بجواهر القرآن و العلوم" لطنطاوي جوهري. و غيرها من المؤلفات التي كانت تحمل روحا إصلاحية تضمنت أحوال العالم العربي الإسلامي و سبل النهوض به¹. بالإضافة إلى المجالات العربية والإسلامية التي كانت تغد إلى المغرب من مصر وفلسطين وسوريا والجزائر، خاصة بعد أن أصبح بعض الشباب المغربي يساهم بكتاباته في بعض هذه المجالات والجرائد فالمؤثرات المشرقية نفذت إلى أبعد نقطة في المغرب².

لقد وجدت هذه الدعوة في المغرب من علماء القرويين بفاس من آمن بتعاليمها وعمل من أجل نشرها مثل أبوشعيب الدكالي، الذي لقب بـ "الشيخ عبده المغرب"، ومحمد العربي العلوي³. فالأول تأثر كثيرا بمضامين جريدة "المنار" عندما كان من أكثر الفاعلين في جامعة القرويين، و لذلك استطاع نشر الأفكار الإصلاحية للشيخ عبده. وغيره من المصلحين. كما كان لتدريسه في القرويين لمدة ثلاث سنوات الأثر الكبير في تكوين عدد من النخبة المتحمسة

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1، مصدر سابق ص329.

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، مصدر سابق، ص ، 32.

³ - تم التطرق لدور هذان الرجلان سابقا.

للتغيير أمثال علال الفاسي وغيره من طلبة جامعة القرويين الذين عملوا في الحقل الوطني فيما بعد¹. والشيخ محمد بن العربي العلوي في فاس. فقد كانا بدون منازع رائدا هذا التيار الإصلاحية في المغرب. وخاصة و أن نشاطهما تزامن مع مقاومة الريف التي كانت دافعا حاسما ليقظة الشباب المغربي. فقد شهدت مدنا عديدة من المغرب مثل فاس و سلا و الرباط و طنجة انعكاسات هذا التيار الذي كان يدعو إلى العودة إلى الإسلام الأصيل عدو البدع و محرر الشعوب².

من المؤثرات الأخرى القادمة كذلك من الشرق التي كان لها تأثير في نشأة الوطنية المغربية في مطلع الثلاثينات "حرب التحرير التركية" التي قام بها الشبان الأتراك. فالمغاربة اعتبروا في الأول كغيرهم من المسلمين، هذه الحرب كأنها حربهم لأنها كانت "ضد الاستبداد و الحكم المطلق"³. فانتقلت أدبياتها إلى المغرب مثل رواية "الانقلاب العثماني" لجرجي زيدان التي لم تخل منها أية مكتبة مغربية. فقد اطلع عليها الشباب المغربي بشغف كبير لأنها استطاعت أن تصور لهم النهضة التركية، وأنظمتها السرية، ونشاطها في سبيل الحرية و الإعتاق من الاستعمار مهما مصدره سواء داخليا أو خارجيا. و أصبحت تراجم زعماء النهضة التركية معروفة لدى هؤلاء الشباب على ظهر قلب من بينهم مدحت باشا⁴. فقد كان هذا الأخير

¹ - يشير شارل أندري جوليان أنه من بين واحد و أربعين (41) شخصية وطنية نشطت في الحقل الوطني ستة عشر (16) منهم من خريجي جامعة القرويين. أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face*, op.cit., p 157.

² - Spillmann Georges, *Du protectorat*, op.cit , p , 48.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1، مصدر سابق ص334.

⁴ - أحمد مدحت و يعرف بـ "مدحت باشا" ابن حاجي حافظ أشرف أفندي، ولد في إسطنبول سنة 1822 نشأ في بلغاريا نظرا لمهنة والده الذي كان قاضيا في الأقاليم البلغارية حفظ القرآن الكريم أثناء طفولته و تعلم اللغة العربية و الفارسية عمل كاتبا في مجلس الصدر الأعظم و هو شاب لم يبلغ عشرين عاما. ثم أرسل إلى بعض الولايات للنظر في شكاوى رعايا الدولة العثمانية. و قد كان من وراء عزل العديد من الولاة بعد اكتشاف انحرفهم مثل والي بلغاريا. حيث أطلق سراح الثائرين على هذا الوالي و استطاع إعادة الاستقرار للعديد من الأقاليم. و في سنة 1860 عين برتبة وزير. ثم أسندت له ولاية الصرب التي كانت تعيش اضطرابات كثيرة. و في سنة 1870 عين واليا على بغداد. حيث استطاع القيام بنهضة علمية من بين أهم معالمها إنشائه لأول مطبعة في بغداد و إصداره لجريدة " الزوراء". ثم رجع إلى إسطنبول عندما كانت تعيش أزمة سياسية حادة بين دعاة التجديد و الإصلاح الذي كان مدحت باشا من بينهم و دعاة المحافظة على الأوضاع الذين كانوا يرفضون تغيير الأوضاع. الذين كان يدعمهم السلطان عبد العزيز. كان على رأس مظاهرة انطلقت من جامع السلطان محمد الفاتح طالبت بإصلاح الأوضاع و أدت إلى تنحية الصدر الأعظم محمود نديم و تعيينه محله. و قد قام بإصلاحات سياسية من بين أهم مظاهرها إصدار الدستور العثماني في

"مصلحا كبيرا و أبا للأحرار الذين التفوا حوله و حملوا رسالته الإصلاحية".على حد تعبير الوزاني¹. لأنه كان نموذجا للرجال الذين حاربوا الظلم والاستبداد، عن طريق الثورة الدستورية فبالنسبة له يعتبر الدستور الخلاص الوحيد للأمم المستعمرة (بفتح الميم) سواء من الاستعمار أو من الاستبداد.و قد تحول ذلك إلى طرح أساسي من أطروحات الحركة الوطنية المغربية التي جعلت من الدستور مسألة محورية في مطالبها، بل سببا لوجودها. بما يعرف بالحركة الشورية التي اعتبرت حل المشكلة المغربية يمر بحل "المشكلة الداخلية" التي كانت تتمثل في الاستبداد السياسي،و ذلك بإصدار الدستور.و "المشكلة الخارجية" المتمثلة في الاستعمار².

عندما انتصرت هذه الحركة في تركيا سنة 1908 بتقليص كبير لصلاحيات السلطان العثماني. اعتبرت الحركة الوطنية المغربية ذلك استمرارية لما قام به مدحت باشا. فقد أحدث ذلك صدى كبيرا في العالم الإسلامي الذي كان في حالة إحباط كبير نظرا لتتابع النكسات والنكبات فرأى في هذا الانتصار إمكانية لعودة مكانة العالم الإسلامي المادية والمعنوية.و قد اعتبرت أدبيات الشباب المغربي نشأة دولة تركيا بعد الحرب العالمية الأولى انتصارا للوطنية الثورية لأنها نجحت في تأسيس دولة حديثة،و في نفس الوقت انتصرت ضد المحتلين اليونان الذين كانوا واجهة فقط للأطماع الاستعمارية لكل من فرنسا و بريطانيا.و قد كان هذا الانتصار على هذه القوى.و بالتالي شجع ذلك الشعوب العربية والإسلامية على الاقتداء بهذا النموذج. الذي استطاع صد التدخل الاستعماري وأدى إلى ظهور دولة فتية تحت اسم "الجمهورية التركية". التي تم الاعتراف بها سنة 1923.و قد كان لذلك تأثيرا كبيرا على الشباب المغربي الذي اعتبرها ثورته فتابع وقائعها و جعل انتصارها من آماله العريضة. لأنها كانت بالنسبة لهم انتصارا عسكريا و قوميا وسياسيا لشعب له الكثير من الصلات التاريخية و الحضارية مع المغاربة.و قد عبر ذلك أحد الشعراء الشباب المغاربة الشباب يدعى محمد الجزولي بقصيدة تحت عنوان " ذكريات من ربيع الحياة" مدح فيها الانتصارات التي حققها مصطفى

سنة 1876.و في جانفي 1877 أبعد من منصبه و نفي إلى الطائف حيث توفي فيها سنة 1884 مخوقا في ظروف غامضة. أنظر، صديق دملوجي، مدحت باشا، حياته، مذكراته، محاكمته، الدار العربية للموسوعات ، بيروت 2002.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1، مصدر سابق ص 335.

² - لقد كان الدستور مسألة إستراتيجية في المشروع السياسي للوزاني. فقد اعتبره ضرورة للتحرر و للبناء الوطني على حد سواء و بعد تأسيس حزب الشورى و الاستقلال سنة 1946 أصدر الوثيقة المشهورة بـ "مذكرة 23 سبتمبر 1947" التي كانت مشروعا متكاملا للتحرر و بناء مجتمعا متكاملا. سيتم التطرق بالتفصيل لهذه القضية لاحقا.

كمال أتاتورك بحماس كبير معتبرا إياه منقذا للأوطان. وهي موجهة للمسلمين جميعا في مغارب الأرض و مشارقها¹. فقد قام الأتراك بالكثير للمغاربة و لغيرهم من الشعوب الإسلامية و في الكثير من المحطات التاريخية بالرغم من أن ذلك لم يؤدي إلى نتائج ملموسة في الميدان حسب جوليان².

كما كانت متابعة الشبان المغاربة لأخبار الشام والتطورات التي عرفها بعد الحرب العالمية الأولى من المؤثرات الشرقية الأخرى. فقد تأثر هؤلاء و تألموا كثيرا بقصف دمشق في 24 جويلية 1920. و ردد كثير منهم قصيدة الشاعر أحمد شوقي التي وصفت الدمار الذي ترتب عن قصفها من طرف فرنسا. فكانوا يرددون أبياتها و كأن ذلك القصف تم في مدينة مغربية. و ذكر الأمير عادل أرسلان شقيق الأمير شكيب أرسلان، و أحد قادة الثورة الدرزية، أن كثيرا من الجنود المغاربة فروا من الجيش الفرنسي أثناء الحملة الفرنسية على الشام سنة 1920 و التحقوا بأسلحتهم بصفوف المقاومة السورية، و قاتلوا إلى جانب المقاومة السورية. و قدموا بطولات كبيرة تركت أثرها بين سكان الشام الذين أصبحوا يروون تفاصيلها في كل مكان³. فقد كان شعار هؤلاء المغاربة حينها " الكل في الهم شرق ". بالرغم بأن هم المغرب لم يكن يقل عن هم المشرق⁴.

بعد ذلك كان للحركة الوطنية في الشام أثر واضح على الشبان المغاربة الذين تابعوا أخبار الثورة السورية الكبرى، التي قادها سلطان الأطرش سنة 1925، باهتمام وتأثروا بنهايتها المأساوية. و كأنهم كانوا معنيين بها. ولا يمكن تفسير ذلك إلا بتلك الروابط التاريخية و الحضارية الموجودة بين الشعوب العربية الإسلامية. بالإضافة أن العدو كان واحدا بين الشام

¹ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 35. و مما جاء في القصيدة ما يلي:

أيا مصطفى من بين صفوة قومه و يا منقذ الأوطان من قبضة العدا
و أضحكت ثغر الشرق بعد تهجم و أنسيته من همه ما تكبدا

² - Charles-André Julien, *Le Maroc Face, op.cit., p 152.*

³ - ذكر ذلك الأمير عادل أرسلان للوزاني في جنيف سنة 1932. كما ذكر له أنه ما زال يتذكر أسمائهم و قبائلهم و ذكر الوزاني أن عادل أرسلان تحدث معه باللهجة المغربية و كأنه مغربيا. وعندما سأله عن سر ذلك قال له بأن مرور المغاربة في الشام كان له أثر كبير. فقد كانوا رجالا يأتم المعنى و أبطالاً في المعارك. جاء ذلك في الشهادة الشفوية التي قدمها لي عبد الكريم الوزاني الذي كان قريبا جدا من الوزاني في أواخر أيامه. وقد ذكر سياقها الوزاني في مذكراته. أنظر، محمد حسن الوزاني، ج1 مصدر سابق ص 337.

⁴ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 34.

والمغرب.و مهما اختلفت المسميات بين "انتداب" أو "حماية" فإن الممارسة الاستعمارية واحدة.و" كلاهما شر مستطير على العرب شرقا وغربا"¹.

عندما اقتحم الوطنيون المغاربة بقضيتهم العالم العربي الإسلامي، وبالضبط في شرقه اكتشفوا أنها لم تكن سوى صورة من صور المواجهة المفتوحة بين العالم العربي الإسلامي و الغرب الاستعماري، فتفاعلوا مع هذه الصورة العامة، واندمجوا فيها و أصبحوا جزءا لا يتجزأ منها².فارتبطوا بالمشرق و كأنهم جزء منه.و أصبح هو منهم.و وجد الشبان المغاربة أنفسهم مدفوعين للتحرك في المشرق.و حتى بالنسبة للذين تلقوا دراستهم في فرنسا³.و قد اعتبر "روبير مونتاني Robert Montagne" أنه بالرغم من التكوين العصري لعدد من الشبان المغاربة إلا أن انجذابهم كان كبيرا للتيار الذي كانت فيه حمولة دينية و قومية.و قد جنح بهم ذلك نحو الشرق.فقد كانت القضايا الأكثر إثارة لخواطرهم ومشاعرهم هي المتعلقة بمحاربة السياسة الاستعمارية في جميع مظاهرها،و الثقافية منها على وجه الخصوص.ومرد ذلك أن المسألة الثقافية كانت مدخلا أساسيا للاستعمار⁴.ولذلك طالب "مونتاني" بضرورة قطع أي اتصال مع المشرق.

لذلك كانت سلطات الحماية في المغرب،سواء في الشمال أو الجنوب،في مرحلة العشرينات من القرن العشرين،وبالضبط في مرحلة ما بعد حرب الريف، تسعى جاهدة للحد من "عدوى الشرق".بعزل المغرب ثقافيا وسياسيا⁵.خاصة وأن الوطنية المغربية كانت تسعى لضمان التأييد الملائم لقضيتها في العالم العربي الإسلامي.وكانت تنتظر منه تفهما كبيرا لها.و ذلك لتقوية موقفها داخليا سواء أمام الجماهير المغربية أوسلطات الحماية فـ"العالم الإسلامي يشبه أنبوب كبير إذا نقرت على طرف منه تردد الصدى بكامله"على حد تعبير الماريشال ليوتي⁶.و لذلك تذر الأمير شكيب أرسلان من عدم تدخل العرب والمسلمين في السياسة البربرية الاستعمارية في المغرب.واعتبر الدفاع عن المغاربة مسألة تعنيهم كلهم حكما و

1 - محمد حسن الوزاني،مذكرات،ج1، مصدر سابق ص 337.

2 - محمد العربي المساري،المغرب خارج سياج الحماية،مصدر سابق، ص35..

3 - المصدر نفسه، ص 39.

4 - المصدر نفسه، ص 40.

5 - المصدر نفسه، ص 39.

6 - المصدر نفسه، ص 31.

محكومين. فراسل ملوك العرب للتدخل لصالح المغاربة معتبرا ذلك فرض عين عليهم للفراغ القيادي الذي عرفه العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العثمانية. " لأنه يجب أن تفهم فرسا أنه إذا كانت الدولة العثمانية قد ذهبت فلا يزال للإسلام ملوك يسألون عنه" حسب تعبير أرسلان¹. لقد كانت أهمية المشرق كمركز للنهضة العربية الإسلامية سببا في إلهام الشبان المغاربة في اختياره كمجال جغرافي و حضاري للتحرك فيه. و قد كان ذلك في العشرينات من القرن العشرين عندما كانت الحركة الوطنية المغربية في مرحلة جنينية. فقد كانت الجماعات الوطنية التي برزت في الرباط و فاس و تطوان متشعبة بأطروحات المصلحين مثل جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و محمد رشيد رضا و شكيب أرسلان. كما كنت مهتمة بالنهضة السياسية التي عرفتها مصر بعد الحرب العالمية الأولى. و تأثرت كثيرا بما قام به مصطفى كمال أتاتورك بتأسيسه لدولة تركيا الحديثة. و قد استطاع هؤلاء الشبان المغاربة أن يتعاملوا بمنطق انتقائي مع كل عامل من هذه العوامل، فوظفوا بأولوية دقيقة الذي كان يفيدهم في سياق معركتهم الوطنية ضد نظام الحماية حتى قبل أن تنطلق الحركة الوطنية المغربية بشكل منظم². و بقي ذلك التأثير حتى فيما بعد عندما بدا الاحتجاج على السياسة البربرية في سنة 1930. فبعد صدور الظهير البربري تحولت القاهرة إلى مركز خارجي لفصح هذه السياسة، و كشف أبعادها الخطيرة على الأمة العربية الإسلامية قاطبة. و ليس فقط المغرب. و أصبحت القاهرة تردد صدى تلك المقاومة السياسية القوية التي كانت تعرفها المدن المغربية في احتجاجها على السياسة البربرية الفرنسية. و تفاديا لخلق الحركة الاحتجاجية داخليا و عدم معرفة العالم بما يحدث في مراكش، أوفدت الحركة الوطنية المغربية الناشئة احد الشبان المغاربة، و هو الحسن بوعياذ ممثلا لها عنها في المشرق، حيث انتقل سرا إلى القاهرة و استغل علاقاته القديمة بكونه كان طالبا بها و قام بحملة واسعة على الظهير. و أسس جمعية من المغاربة المتواجدين في مصر من اجل تأطير الاحتجاج على هذه السياسة. و قد كان هذا النشاط من وراء تفاعل المؤسسات المصرية المركزية بمناهضة هذا الظهير. و على رأسها جامع الأزهر.

¹ - أحمد الشرباصي، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، مرجع سابق، ص، 725 .

² - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياق الحماية، مصدر سابق، ص 35.

و هكذا و حتى عند البدايات الأولى للحركة الوطنية المغربية فقد كان للمشرق، و لمصر خاصة، دورا حاسما فيها¹. فقد استعمل الشبان المغاربة القنوات المشرقية التي كانت مفتوحة لهم في المشرق منذ نهاية الحرب العالمية الأولى لاستنكار سياسة سلطات الحماية. فأسسوا "اللجنة الشرقية للدفاع عن المغرب" في 23 نوفمبر 1930 في القاهرة. و قد كان عبد الخالق الطريس من وراء تأسيسها الذي أدرك أن المغرب في هذه المرحلة بحاجة إلى مجهودات جبارة من طرف أبناء المهاجرين إلى المشرق لأنهم هم الوحيدين الذين يعيشون في جو جد مناسب لخدمة القضية المغربية². و من أهم مظاهره الدعم الكبير دعمها كثيرا من طرف عدد كبير من الوطنيين المصريين. وهي اللجنة ذاتها التي قامت بنشر كل الوثائق التي كانت تكشف السياسة الاستعمارية في المغرب على رأسها السياسة البربرية. فقد أصدرت بشأنها هذه اللجنة العديد من الوثائق من بينها ترجمتها للكتاب الذي صدر في باريس في نهاية 1930 تحت عنوان "عاصفة في مراكش أخطاء السياسة البربرية". و عندما انعقد المؤتمر الإسلامي بالقدس في 07 ديسمبر 1931 تمت دعوة الوطنيين المغاربة الذين كانوا متواجدين في القاهرة فحضره محمد مكي الناصري ومحمد بنونة و قدما تقريرا حول أخطار السياسة البربرية الفرنسية في المغرب تحت عنوان "حرب صليبية في مراكش"³. فقد تحول المشرق إلى قاعدة خارجية متقدمة لكشف أهداف السياسة البربرية الفرنسية. ليس فقط من طرف الشبان المغاربة، فقد ذكرت الإقامة العامة أنها تلقت في 22 أكتوبر 1930 نسخة عن عريضة موجهة إلى رئيس الحكومة الفرنسية بخصوص الظهير البربري موقعة من طرف جزائريين و تونسيين و مغاربة مقيمين في مصر و فلسطين منهم عالم أزهري و ثلاثة طلاب في الأزهر و طالب في كلية العلوم في نابلس⁴.

لقد كان من أهم نتائج تفاعل المشرق مع البدايات الأولى للحركة الوطنية المغربية تضامن المغاربة مع القضية الفلسطينية. ففي 16 جانفي 1930 صدر عن الإقامة العامة بالرباط مذكرة لحكام النواحي تحذرهم من " تصرفات خطيرة يقوم بها الشبان المغاربة في

¹ - الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص، 23.

² - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص، 20.

³ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص، 60.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 155.

أنحاء المغرب تمثلت في جمع التبرعات لفائدة المنكوبين في أحداث فلسطين¹. و قد جاء في هذه المذكرة أن جزءا كبيرا من هذه الأموال سيذهب إلى اللجنة التنفيذية العربية لتمويل التحريض العدائي ضد المصالح الفرنسية في المشرق. و قد أدى ذلك إلى التعاطف الذي حدث بين المغاربة و المشاركة أثناء أحداث جبل الدروز في سنة 1925 و 1926². و قد صدرت تعليمات أخرى في 29 سبتمبر 1931 بعد تجدد النزاعات في فلسطين تضمنت منع دخول أي احد للمغرب لا يحمل تأشير صادرة عن القنصلية الفرنسية في القدس. مع الإشارة ان هذه الأخيرة كانت تعرض كل طلبات التأشيرة على مكتب المنظمة الصهيونية في فلسطين بالتنسيق مع السلطات البريطانية. و قد كان وراء ذلك التشديد إصدار المؤتمر الإسلامي بالقدس لسنة 1931 توصية بتشكيل لجان تضامن مع الفلسطينيين في المغرب³.

إذا كان المغاربة قد عبروا عن صلتهم القومية بالقضية الفلسطينية فلأنه كان هناك نشاط للشبان المغاربة في المشرق. و إذا كان قد سمح هذا التواصل بتدعيم القضية المغربية فإنه كذلك سمح للمغاربة بالتفاعل مع القضية الفلسطينية وغيرها من القضايا التحررية العربية. و عندما أدركت سلطات الحماية خطورة هذا التفاعل الذي كان يتم في اتجاهين قامت بكل الإجراءات لمنعه بمختلف الوسائل. في 18 مارس 1930 أصدرت الإقامة العامة قرارا بمنع دخول مجلة "الشبان المسلمين" المصرية إلى المغرب. و في 03 أبريل مس المنع مجلة "الفتح" و قد كان ذلك إشارة إلى تدمير الإدارة الفرنسي لاحتضان هذين المجلتين، و غيرها من المجلات المشرقية، القضية المغربية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى. و ذكرت الكثير من الصحف الفرنسية صدمة فرنسا في الموقف المصري الداعم للقضية المغربية بتلك الصورة في وقت كانت تعتبر المراجع العليا في باريس مصر صديقا قديما لفرنسا والفرنسيين⁴. و لمواجهة هذا الحصار استغل الوطنيون المغاربة الموقف الإسباني الذي كان يعاكس السياسة الفرنسية في المغرب منذ ما قبل إعلان الحماية. فاستغلوا المنطقة الشمالية للحفاظ على هذه الصلات مع المشرق. فقد كانت مدينة تطوان نقطة اتصال أساسية. فقد ذكر عبد السلام بنونة

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 184.

² - المصدر نفسه ص 185.

³ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 62.

⁴ - الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص 368.

في رسالة له لشكيب أرسلان أن جرائد المشرق مثل "الفتح" و"المساء" كانت تباع في ساعات و يعود السبب أن هذين المجلتين كانتا تنشران الكثير من الأخبار حول القضية المغربية¹. إذا كان الاحتجاج على الظهير البربري بمثابة بداية الحركة الوطنية المغربية². فإن أقوى صدى خارجي للاحتجاج على هذا الظهير تم في مصر. و إذا كانت هناك احتجاجات من العراق عن طريق "جمعية الشبان المسلمين" ببغداد، و من مدينة يافا بفلسطين ببيان "الجمعية الإسلامية المسيحية"، و من مسلمي جزيرة جاوة بأندونيسيا، و من القدس باحتجاج "المجلس الإسلامي الأعلى". و من الهند ببيان "جمعية طلبة كنهو"³. و قد تأثر الشبان المغاربة المتواجدين في القاهرة بموقف مسلمي الهند و لذلك قاموا بتعزية الجالية الهندية في وفاة الزعيم الإسلامي الهندي "مولانا شوكت محمد علي" سنة 1931⁴. و إذا تعددت الاحتجاجات من مختلف أقطار العالم الإسلامي ضد هذا الظهير، فإن كل الذين تحركوا ضد الظهير في المشرق والشرق عامة جاءهم الخبر من القاهرة على حد تعبير الحاج الحسن بوعباد⁵.

لقد أدرك الشبان المغاربة أبعاد سياسة نظام الحماية في المغرب بعزل هذا الخير عن امتداده القومي و الحضاري. و قد ظهر ذلك بشكل واضح بعد نهاية المقاومة الريفية سنة 1925. و لذلك ركزوا في تحركاتهم على الإبقاء على هذه الصلات التي تمتد في عمق التاريخ. و قد كانت النهضة التي شهدتها العالم العربي الإسلامي مناسبة لهؤلاء الشبان لربط المجتمع المغربي بها. فنقلوا كل أدبياتها وصحافتها إلى مراكش. واستعملوا مختلف الوسائل في الجنوب و الشمال. فقد فتح هذا الفكر الإصلاحي آفاق المستقبل المشرق أمام رواد الحركة الوطنية المغربية⁶. و قد كان غرضهم في ذلك إثبات الهوية المغربية الحقيقية على إنها عربية

1 - الطيب بنونة، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 405.

2 - سيتم التطرق لذلك بالتفصيل في الفصل الثالث.

3 - سيتم التطرق لذلك بالتفصيل لاحقا. و تناولنا لها في هذا العنصر فقط بغرض توضيح أثر مصر في نشأة الحركة الوطنية المغربية

4 - تألف الوفد المغربي من عدد من الشبان المغاربة الذين كانوا في القاهرة و هم محمد بنونة و الحسن بوعباد و محمد الطنجي و عبد القادر الرباحي و الطيب السيتي و العربي برادة. و قد استقبلهم شقيقه "مولانا شوكت علي" وشكرهم كثيرا على مبادرتهم و وعدهم بأنه سيعمل للدعاية للقضية المغربية في كل مكان حتى تفهم فرنسا أن العالم الإسلامي موحد في فكره و عقيدته و حتى في جغرافيته. و وعدهم بدعوته لتشكيل وفد من كبار قادة العالم الإسلامي لزيارة المغرب و الوقف على حقيقة السياسة الفرنسية العنصرية و فضحها في مختلف المحافل الدولية. أنظر، الطيب بنونة، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 413.

5 - الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص، 159.

6 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج، 01، مصدر سابق، ص، 428.

إسلامية. وإسقاط كل محاولات نظام الحماية بعزل المغرب مجتمعا و سلطة عن ذلك الانتماء.و كذلك فضح ممارسات نظام الحماية.حيث كانت السياسة البربرية الفرنسية نموذجا قائما لذلك. لقد حافظ الوطنيون المغاربة على هذه القاعدة الخارجية لتحركاتهم ضد نظام الحماية.و أكدت العديد من المحطات التاريخية منذ مطلع العشرينات أهمية المشرق بالنسبة للمغرب حركة وطنية و مجتمعا و حتى سلطة.و بقي ذلك متواصلا في عدة محطات تاريخية.حتى أنه في بعض هذه المحطات كان "المشرق هو الصوت الوحيد الذي ارتفع للحفاظ على المغرب في سنوات القمع الشديد سواء في المنطقة الخليفة أو السلطانية"¹.لهذا كانت مصر انطلاقا من ثورتها السياسية بعد الحرب العالمية الأولى" تبحث عما حولها.كم أن حولها بدأ يبحث عنها"² فتحولت نهضتها السياسية إلى حديث على كل لسان في الوطن العربي.و لم يشذ المغرب عن تلك القاعدة.فقد بقي الشبان المغاربة يتطلعون إلى المشرق ليستمدوا منه جزءا كبيرا من نهضتهم الثقافية والسياسية.و قد برز ذلك بشكل جلي في مختلف محطات نضال الحركة الوطنية المغربية منذ مطلع الثلاثينات إلى غاية الاستقلال.

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج، 01، مصدر سابق، ص 428.

² - المصدر نفسه، ص 428.

6 . المؤثرات الغربية (الفرنسية):

على عكس المؤثرات الشرقية، فإنه لم يكن هناك تأثيرا كبيرا و واضحا للعالم الغربي (الميتربول) على حركة الوعي المغربي بعد الحرب العالمية الأولى. فالأصداء القليلة جدا التي كانت للمسألة المغربية في باريس و مدريد، وغيرها من العواصم الغربية، في تلك الفترة كان من ورائها اليسار الفرنسي والإسباني. فقد تظاهر هذا التيار ضد حرب الإبادة والتقتيل الجماعي الذي كانت تقوم به كل من باريس ومدريد في المغرب بقمعهما بوحشية كبيرة القبائل المغربية في الأطلس الأوسط والصحراء وفي جبال الريف بمسميات مختلفة. من أهمها "حروب التهدة"¹. و كانت في حقيقتها مقاومة وطنية مغربية بامتياز². وبالكاد أن نجد أية علاقة كانت قائمة بين الشبان المغاربة والثقافة الغربية. "فالمغاربة لم يكونوا في فترة العشرينات ناضجين للقيام بأية حركة لجلب التأييد لقضيتهم الوطنية من باريس أو مدريد أو أية عاصمة غربية" حسب محمد العربي المساري³.

لكن من جهة أخرى فإنه كان لمقاومة عبد الكريم الخطابي في الريف الكثير من التداعيات على العالم الغربي وبصورة خاصة على فرنسا التي، وإن لم تكن معنية بها في بداية هذه المقاومة، فإن البرلمان الفرنسي شهد نقاشات حادة حولها. خاصة بعد الهزائم العسكرية المتتالية التي منيت بها إسبانيا في الريف. ويمكن القول أن هذه المقاومة شكلت أول مناسبة طرحت فيها القضية المغربية في الأروقة السياسية الفرنسية من زاوية غير التي ألقت طرحها هذه السياسة في السابق. بحيث كانت كل النقاشات السياسية قبل المقاومة الريفية تتم حول سبل وآليات تطبيق نظام الحماية في المغرب. و تحقيق "إنجاز الماريشال ليوتي"⁴. وفي خضم تلك النقاشات السياسية ظهر اليسار الفرنسي بموقف مؤيد لقضية الريف كشعب معتدى عليه من طرف "النظام الإمبريالي الإسباني" فاعتبر أحداث الريف حرب استعمارية ورأسمالية لصالح أرباب الأموال والشركات الاحتكارية. كما أنها كانت تسعى لإبادة المغاربة في هذه المنطقة. فظهر كمدافع على القضية الوطنية المغربية في هذه الفترة. التي

¹ - للإطلاع على موقف اليسار الفرنسي من السياسة الاستعمارية في المغرب و موقف اليسار منها، فإنه يمكن العودة إلى الدراسة الكاملة حول الموضوع التي قام المؤرخ الفرنسي "جورج أوفد Georges Oved" و المتمثلة في:

Georges Oved, *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain* T1,T2,Éd, L'Harmattan, Paris,1984.

² - *ibid.* T1, p,31.

³ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص43.

⁴ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p 16.

كانت متمثلة في مقاومة عبد الكريم الخطابي في الريف¹. و قد ظهر ذلك في عدة مبادرات قام بها هؤلاء لصالح هذه القضية من أهمها الوثيقة التي قدمها زعماء الحزب الشيوعي للبرلمان الفرنسي في 27 ماي 1925 تحت عنوان "ضد الحرب في المغرب" *Contre La Guerre Au Maroc*². بالرغم من الزخم الكبير الذي أحدثته مقاومة الريف من خلال المناقشات البرلمانية و السياسية، وبالرغم من محاولة الخطابي تحريك الرأي العام الغربي لصالح قضيته³، فإن رواد هذه التعبئة لم يكونوا من المغاربة. و لم يكن في تلك الفترة بإمكان الشباب المغاربة التحكم في الآليات السياسية والإعلامية التي كانت ستسمح لهم بالتدخل في قضية الريف في ذلك المستوى. ولكن سيكون ذلك متاحا بشكل جزئي ابتداء من منتصف العشرينات من القرن العشرين بعد رحيل الماريشال ليوتي عن المغرب. و في هذا السياق ظهرت تعبئة الشيوعيين للمغاربة بشكل جلي من بينها دعوتهم للإضراب الذي تم يوم 12 أكتوبر 1925 ومس الكثير من العمال الشمال الأفريقيين في مصانع السيارات خاصة، والمناجم⁴ وقد ذكر علال الفاسي أن "العمال المغاربة قاموا بعدة مظاهرات تضامنية سنة 1925 وعقدوا مؤتمرا عاما بجنوب باريس ووجهوا تحية للزعيم عبد الكريم وأعلنوا تأييدهم المطلق له لطرد المستعمرين الإسبان"⁵. كما ذكرت مصادر أخرى أن تجمعا عماليا آخر تم تنظيمه في 17 ماي 1925 نظمه عمال مغاربة وجزائريين وتونسيين وقد ظهر فيه أحد الخطباء الجزائريين يدعى محمد بن الأكل دعا فيه عدم تصديق الدعاية الإمبريالية في حرب الريف وندد بحرب الإبادة التي تقوم بها الإمبريالية العالمية في الريف. و طالب باسم الجزائريين بتحرير الريف⁶. كما ظهر في هذا التجمع أحد السينيغاليين الذي ندد باستعمال الأفارقة في حرب الإبادة التي تقوم بها القوى

¹ - خصص جورج أوفد ثلاثة فصول من كتابه حول المقاومة الريفية و علاقة اليسار الفرنسي بها. أنظر،

Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T1 .op.cit, p , 200 - 315.*

² - *ibid p , 229.*

³ - أرسل عبد الكريم الخطابي شقيقه الأمير محمد الخطابي على رأس وفد إلى مدينة جنيف، و بقي فيها حوالي سنة و هو يقدم العرائض والمذكرات طلبا لتدخل عصبة الأمم في العدوان الاستعماري على الريف. أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج1 مصدر سابق ص 346.

⁴ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T1, op.cit., p , 261.*

⁵ - ذكر علال الفاسي أن مؤطري تلك المظاهرات كانوا مغاربة و هم عبد الرحمن بن العربي من تافيلالات و محمد بن محمد من تيزنيت. أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 146.

⁶ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 44.

الإمبريالية في الريف¹. و ذكر الوزاني أنه بعد تأسيس نجم شمال أفريقيا في باريس سنة 1926 بزعامة مصالي الحاج، الذي كان من أخلص أصدقائه مع قادة النجم الآخرون². نشط كثيرا في مجال الدعاية ضد حرب الريف بالمغرب³.

لقد كانت مقاومة الريف بزعامة عبد الكريم الخطابي أهم قضية تفاعل معها الغرب، وفرنسا بالذات، خلال فترة العشرينات من القرن العشرين. و شهد بذلك الشبان المغاربة. و لكن بدون أن يكون لهم دورا في تنشيطها. و لكن صدى تلك الحركة التي تمت في باريس ساهمت في توعيتهم بقضية التحرير الوطني. فقد مثلت مقاومة الريف حدا فاصلا في مسألة وعي المغاربة بقضيتهم الوطنية التحررية سواء في الداخل أو الخارج. وقد تصاعد ذلك كثيرا بعد سنة 1930. ففي هذا التاريخ أصدرت سلطات الحماية الظهير البربري الذي، احتج ضده الشبان المغاربة في الداخل و سعوا لأني يكون لذلك صدى في الخارج. و سمح لهم كذلك بأن يكون لهم قضية و برنامج عمل. وإذا كان المشرق عامل نهضة و قفزة وطنية نوعية بالنسبة للشبان المغاربة في هذا الظرف الحساس. بتدعيمهم من طرف العديد من المؤسسات الفكرية والدينية والجمعيات النشيطة. و الكثير من الوطنيين و القوميين و رجال الإصلاح من مصر والعراق وفلسطين والشام. فإن هذا الدعم لم يكن متوفرا في باريس ومريد بتلك الصورة الكبيرة و "الآلية المشرقية". وقد سمح ذلك بظهور اليسار الفرنسي كقوة دعم لهم. فأطروحته الفكرية تضمنت تدعيما للحركات الوطنية. لأن ذلك من صلب الفكر الاشتراكي المعادي للاستعمار والإمبريالية. و لذلك تحول المغرب بالنسبة لليساريين الفرنسيين إلى أرضية خصبة

¹ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 44.

² - جاء ذلك في مذكراته حول نجم شما أفريقيا أو بما سماه بـ "جمعية نجم الشمال الأفريقي" و قد ذكر كذلك أنه انخرط فيه عندما كان طالبا في باريس. و أنه كانت له صلات وثيقة مع قاداته من بينهم مصالي الحاج و السي الجيلالي و إيماش و راجف و الطيب بن دياب (من تونس). و قد ذكر أنه كان للنجم اتصالات بالمراسلات داخل المغرب. حيث ذكر أنه في رسالة مؤرخة في 07 سبتمبر 1927 موجهة لأحد الوطنيين المغاربة و هو عبد الرحمان زنيبر تم عرض أهداف النجم و أنشطته و أنه يعمل "لبث الشعور بالواجب نحو الأمة و الوطن" و جاء في نفس الرسالة التي كانت يامضاء مصالي الحاج انه على المغاربة "إما الخضوع ليفعل بهم الاستعمار ما يشاء مما يؤدي إلى زوالهم كأمة. أو الاستيقاظ لاسترجاع كامل حقوقهم و حرياتهم المسلوبة... و لا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتعاون بين الشعوب المغربية..". انظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج2، مصدر سابق ص 459 - 564.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص 403.

لتجربة مبادئ هذا المذهب في ما يخص موقفهم من المسألة الاستعمارية. والقيام بنشاطي ميداني معادي لها¹.

حتى الوطنيين في الشمال تفاعلوا مع مدريد بشكل إيجابي منذ 14 أبريل 1931 بعد الانتخابات البلدية التي عجلت بسقوط النظام الملكي وإعلان الجمهورية. فقد كان هذا الحدث بداية عهد جديد بالنسبة لهم. لأنهم تفاعلوا كثيرا بهذا التغيير نظرا لما كان للجمهوريين من المواقف الكثيرة المتعاطفة مع القضية المغربية حتى في العهد الملكي². و لذلك شارك هؤلاء الوطنيين في المظاهرة العارمة التي قام بها الاشتراكيون الإسبان في مدينة تطوان لطرده المقيم العام الجنرال "كوميس خوردانا" الذي كان من مناصري حروب الإبادة الإسبانية في الريف. و كان يكن بالكثير من العداء للحركة الوطنية في الشمال³. و كنتيجة لذلك استمع عبد السلام بنونة لنصيحة "صديق المغرب" الأمير شكيب أرسلان " بتجربة النظام الجمهوري الإسباني الذي قد يكون أحسن من النظام الملكي"⁴. و كانت نتيجة ذلك التفاعل بين الشبان المغاربة في الشمال واليسار الإسباني هو وثيقة "مطالب الأمة المغربية لفتح ماي 1931"⁵.

من الناحية المبدئية لم يتطلع الشبان المغاربة نحو الغرب للاستفادة منه، لأنه كان بالنسبة لهم مصدرا للمشكلة المغربية بحد ذاتها. كما أن علاقاتهم التاريخية و الحضارية مع المشرق غطت إلى حد كبير تلك الحاجة للدعم الخارجي لهم. إلا أن موقف اليسار في فرنسا و ما قام به من حملة تضامن مع المغاربة في حرب الريف، و حتى ما قامت به المنظمات الاشتراكية الإسبانية ضدها، جعل بعضهم يراجع هذه النظرة. بالإضافة إلى مشاركة عدد من المغاربة في الحرب العالمية الأولى، و تعرفهم على الأوجه الأخرى لأوروبا. كل ذلك دفع بعدد من المغاربة للتطلع للوجه الخفي والمشرّف لأوروبا. وبقدر إدانتهم للوجه الآخر لها المتمثل في الاستعمار فإنهم كانوا ينظرون إلى إمكانية كبيرة للاستفادة من المبادئ الأساسية في الفكر الغربي مثل القيم الديمقراطية وحرية الفرد، والعدل والحرية والمساواة والتعليم⁶. وقد اعتبر هؤلاء أنه

¹ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T1*, op.cit., p , 16.

² - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص، 24.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - الطيب بنونة ، نضالنا القومي، مصدر سابق ، ص، 204.

⁵ - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص، 26.

⁶ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج، 01، مصدر سابق، ص 429.

يمكن الاستفادة من هذه القيم لصالح المغرب. فقد كان عدد من الشبان المغاربة يعتقدون أن الفكر الغربي يتضمن نموذجا إنسانيا إيجابيا. و لكن بدون أن "تكشف جودته تلك الممارسات السيئة المعاكسة التي كانت نفس الدولة، سواء فرنسا أو إسبانيا، تتبعها في المغرب". على حد تعبير عبد الكريم غلاب¹. فهذه الاستفادة لا يمكن لها أن تخفي الوجه الآخر للمغرب الذي كان المغاربة، وغير بعيد عنهم الجزائريين والتونسيين وغيرهم من الشعوب المستعمرة (بفتح الميم) يعانون منه. و قد حصل مثل هذا الاتجاه في الحركة الوطنية الجزائرية في مطلع القرن العشرين عندما أرادت جماعة النخبة الاستفادة من الحضارة الغربية، وكان ذلك تعبيرا عن رغبة هؤلاء في الاستغاثة بفرنسا الديمقراطية وحقوق الإنسان والقيم الحضارية ضد فرنسا الاستعمارية والاستبدادية التي سعت للقضاء على الجزائر أمة و شعبا منذ سنة 1830. كما قال بذلك المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله².

لقد اتجه غالبية الشبان المغاربة للمشرق للاستفادة منه باعتباره امتدادا تاريخيا وعمقا حضاريا للمغرب. و لكن بعضهم اتجه للمغرب لاستغلال اختلافاته المذهبية التي أدت باليسار إلى إدانة الاستعمار باعتباره مظهرا إمبرياليا³. وللاستفادة من القيم الإنسانية و حقوق الإنسان التي تضمنتها الحضارية الغربية. وكذلك لممارسة النشاط الوطني الذي منعوا عنه في المغرب شمالا و جنوبا. و بالتالي فإن هذا الاتجاه سواء نحو الشرق أو الغرب كان بغرض فك الحصار على القضية المغربية. وإذا كانت القاهرة مقصدا لغالبيتهم في تلك الفترة فإن آخرون اتجهوا إلى باريس ومريد لنفس الهدف⁴. فرغم قلة هؤلاء فإن فاعليتهم ظهرت من خلال تلك "الدينامكية" التي أحدثوها في الحركة الوطنية المغربية في مطلع الثلاثينات.

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج، 01، مصدر سابق، ص 429.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج، 03، مرجع سابق، ص، 170.

³ - لا يمكن لباحث حول تاريخ الحركة الوطنية المغربية أن يتغاضى الصلة الكبيرة التي كانت لها مع الشخصيات الاشتراكية في فرنسا. و من أهمها "جان لونكي" و "بيير رونوديل". فكلاهما زرا المغرب و كان لهما الكثير من الدعم لها. مثل عضويتهم في الوفد الذي قدم برنامج الإصلاحات المغربية للسلطات الفرنسية. و غيره من المظاهر التي كانت تعبر عن دعم اليسار للوطنيين المغاربة. إلا أن هذا التوافق عرف هزة قوية في سنة 1936 عندما تسلم اليسار الفرنسي مقاليد الحكم في باريس عن طريق الجبهة الشعبية ولكنه لم يقدم شيئا للمغاربة. و لا للجزائريين و لا لغيرهم من الشعوب المستعمرة. بل بالعكس كانت فترة حكمهم قمعا للحركة الوطنية المغربية التي تلقت اشد ضرباتها سنة 1937 في عز العهد الاشتراكي في باريس.

⁴ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج، 01، مصدر سابق، ص 429.

لقد كانت تلك الحركية انعكاسا لذلك التأثير الذي أحدثته الحضارة الغربية على هؤلاء الشباب الذين زاولوا دراساتهم في المدارس والمعاهد الفرنسية. فقد ساهم "الحي اللاتيني"¹ في تكوين الثقافة السياسية للعديد من شباب البلدان المستعمرة (بفتح الميم). و كان من ضمن المقيمين فيه عدد من الطلبة المغاربة الذين أصبحوا بتكوينهم التقليدي القاعدي في المغرب أمام تحد ثقافي حضاري حاسم. فقد كانوا يعيشون يوميا في احتكاك مباشر مع حركة النضال اليسارية المتواجدة بكثافة في أروقة الجامعات والمعاهد. وأمام تجمعات وتظاهرات سياسية مختلفة المشارب الفكرية، و طالعوا صحافة متنوعة و معبرة عن اتجاهات متنوعة ومتناقضة في كثير من الأحيان. ودرسوا عند أساتذة أكاديميين من ذوي المستوى العالي، و بعض هؤلاء الأساتذة كان يتحكم في اللغة العربية. وله دراية واسعة بالإسلام وثقافة وتاريخا. و لذلك تجاوبوا معهم². و كل هذه التحديات والتفاعلات اليومية فرضت عليهم تبني نظرة إستشرافية جديدة، و القيام بإثراء موروثهم الفكري القادمين به من مدنهم و قراهم. فأصبح لزاما عليهم تبني روحا نقدية جديدة. و اكتشاف الوسائل العصرية للعمل السياسي وآليات التسيير الحزبي التي لم يتعرفوا عليها في ديارهم. و حتى أقرانهم الذين اتجهوا إلى المشرق كانوا يجهلونهم فموقفهم من الحضارة الغربية لم يكن رفضا و إلغاء لها، ولكن كان كله رغبة في الاستلها من منها و التمكن من آلياتها للتحرر من الاستعمار أولا، و ثانيا ببناء دولة عصرية ذات منظومة سياسية واقتصادية واجتماعية عصرية. ويكون لهم فيها دورا أساسيا. لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم "ممثلي الشعب بامتياز"³. لذلك اندمجوا بسرعة في هذا المناخ الجديد. و قاموا بكل جهودهم لتبنيه والذوبان فيه. و إذا كان الشبان المغاربة العائدين من المشرق قد سعوا لنهضة

¹ - يعتبر من أكبر الأحياء الباريسية يقع في مفترق اكبر شارعي باريس و هما "سان ميشال" و "سان جاك" و يطل على نهر السين من الضفة اليسرى. و تعتبر جامعة السوربون القلب النابض لهذا الحي. و سمي باللاتيني نظرا للاستعمال المكثف للغة اللاتينية في العديد من الجامعات و المعاهد الكبرى المحيطة به. مثل جامعة السوربون و جامعة باريس 1 و جامعة باريس 3. و نظرا للنشاط الأكاديمي المكثف الذي عرفه الحي منذ القدم تحول إلى مركز اجتماعي و حتى سياسي. فالكثير من الأحداث المصرية التي عرفتها فرنسا انطلقت من هذا الحي. مثل أحداث 1968 التي كانت سببا في استقالة ديغول. كما كانت مركزا للحركات الطلابية للشعوب المستعمرة (بفتح الميم) حيث التقى فيه العديد من طلبة هؤلاء الشعوب في الدراسات العليا و فيه تعرفوا كذلك على معظم التيارات السياسية و الثقافية التي كانت فرنسا تعرفها. و فيه تعلم هؤلاء الطلبة الكثير من الممارسات السياسية خاصة و أن اليسار الفرنسي جعل منه منطلقا لتحركاته. و بالرغم من أهميته الأكاديمية و الاجتماعية فإنه لم يكن محل دراسة تاريخية و اجتماعية دقيقة حسب شارل أندري جوليان. أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face*, op.cit., p 157.

² - *ibid.*

³ - Rêzette, Robert, *Les Partis*, op.cit, p64.

مجتمعهم بتأكيد بعده الحضاري، فإن هؤلاء العائدين من باريس ومدرّيد ولوزان قد أبهروا، و حتى صدموا، مجتمعهم بنمط حياة جديد عليه و طريقة تفكير لم يألفها. و لذلك كاد أهليهم و ذويهم و أقرانهم على أن لا يتعرفوا عليهم، نظرا للتغيير الجذري الذي أصابهم¹.

لقد كانت فرنسا تعتبرهم من حلفائها وأتباع "المجمع الفرانكفوني" لأنها اعتقدت أن قلوبهم وعقولهم امتلأت بالثقافة الفرنسية. ولكنها صدمت بأول موقف عبروا عنه سنة 1930 عند مناهضتهم القوية للظهير البربري. ولذلك صنفتهم بعد ذلك مع مثيري المشاكل و الاضطرابات. وأعادت النظر في إجراءات انتقال الطلبة المغاربة إلى الخارج و بشكل خاص إلى فرنسا². لقد كانت معركة "الظهير البربري" في باريس من أهم نتائج تفاعل الشبان المغاربة مع المجتمع الغربي، والفرنسي على وجه الخصوص. فقد وصل صدى السياسة البربرية خافتا وضعيفا إلى باريس³. لأن الدوائر الرسمية الفرنسية عملت كل ما في وسعها لتغطية "أحداث الظهير" سياسيا بعدم التفاعل معه. و إعلاميا بعدم تطرق جل الصحافة الفرنسية له. فقد كانت باريس متخوفة من إفساد التداعيات السياسية والإعلامية، وحتى الدينية للظهير البربري لاحتفالها الكبير بالذكرى المئوية لاحتلالها للجزائر الذي جعلت منه حدث القرن العشرين. و لكن وجود بعض الشبان المغاربة في باريس لمدة طويلة نسبوية سمحت لهم بالتعرف على الآليات السياسية والإعلامية الفرنسية، خاصة وأنهم تابعوا عن قرب المعركة البرلمانية والسياسية التي جرت في الدوائر الفرنسية حول حرب الريف و "حروب التهدة" التي مست أعماق المغرب شمالا وجنوبا وفي الصحراء وفي جبال الأطلس. فحينها تعرفوا على الأوساط السياسية والإعلامية التي تملك تأثيرا في الوسط الفرنسي، و لها القدرة على طرح مثل هذه القضايا على الرأي العام الفرنسي. و لها تأثير نوعي و دقيق عليه. فاعتمدوا عليها لكشف "المؤامرة الإمبريالية"⁴.

بالرغم من "مؤامرة السكوت" التي نفذتها الصحافة الفرنسية اليمينية في باريس حول السياسة البربرية، فإن البيئة الغربية، والفرنسية على الخصوص، و من خلال ما سمحت به من حرية واختلافات، ساعدت الشبان المغاربة في تحريك الرأي العام الفرنسي لصالح القضية

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face*, op.cit., p 157.

² - ابتداء من سنة 1930 رفضت سلطات الحماية تسليم جوازات السفر لعدد من الطلبة المغاربة، أنظر، Julien ,Charles-André, *Le Maroc*, op.cit, p157.

³ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 69.

⁴ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2*, op.cit., p ,25.

الوطنية من خلال "أحرار فرنسا"، كما سماهم الوزاني (الذي كان من أهم الشبان المغاربة الذين تفاعلوا بشكل كبير مع هذه البيئة)¹. فقد قامت الصحافة اليسارية بنشر الكثير من الأخبار حول أحداث الظهير البربري سواء في المغرب أو العالم الإسلامي في الشرق والغرب. كما قاموا بنقل الاضطهاد الذي تعرض له الوطنيين المغاربة من طرف سلطات الاحتلال. فقد كتب الصحفي اليساري المشهور "دانيال غيران" في المجلة الأسبوعية "Monde" ² الكثير من المقالات حول الموضوع. من بينها مقاله حول التعذيب الذي تعرض له الشبان المغاربة الذين تظاهروا ضد الظهير البربري في مدينة فاس. وكانت مقالاته المتعددة من وراء تخفيف سلطات الحماية لإجراءات القمع³. وفي نفس السياق كتب "غيران" العديد من المقالات لفصح تلك المؤامرة "اليمينية" من بينها مقالا في نوفمبر 1930 تحت عنوان "فرنسا تتحكم في المغرب" تضمن الأهداف الكبرى لهذا الظهير والمتمثلة في "تفكيك المجتمع المغربي بتجريد القبائل البربرية من الإسلام"⁴. كما كانت هناك صحف ومجلات أخرى ساهمت في دعم الشبان المغاربة في حركتهم الوطنية الناشئة من بينها "أوروبا Europe"⁵. التي كتب فيها صحفي آخر يدعى "إميل ديرمانكام" العديد من المقالات التي ساهمت في تدعيم الشبان المغاربة في حركتهم الوطنية الناشئة، من بينها ما كتبه في سبتمبر 1930 التي اعتبر فيها القضية البربرية قضية خطيرة لأنها ذات طابع ديني محض و لكنها اتخذت أبعادا سياسية و لغوية و قانونية⁶. و قد

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 174.

² - مجلة أسبوعية عالمية ثقافية و سياسية باللغة الفرنسية أصدرها أحد الشيوعيين يدعى "هنري باربوس Henri Barbusse" سنة 1928 و توقفت عن الصدور سنة 1935 بعد وفاته. و قد اعتبرها صاحبها عند صدورها " غير متحيزة. و كانت تهدف من خلال عناؤها الحصول على البعد العالمي و كذلك لجمع كل المبدعين الثقافيين و الفنانين في العالم لتدعيم الثورة الشيوعية العالمية. و كانت تتكون هيئته تسييرها الدولية من أسماء معروفة عالميا من بينهم ألبرت إنشتاين و مكسيم غوركي.

³ - كان "دانيال غيران" صديقا للوزاني في الدراسة الجامعية، و عندما ألقى القبض على هذا الأخير في فاس أثناء الاحتجاجات على الظهير البربري في مدينة فاس في جويلية 1930 و تعذيبه مع بقية المقبوضين. كتب "غيران" مقالا في جريدة "لوموند" ذكر فيه أن الوزاني فقد بصره تحت التعذيب. مما اضطر سلطات الحماية إلى تكذيب الخبر والتصريح بأن الأمر تعلق بتكسر زجاج نظارته.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 174.

⁵ - مجلة أدبية فرنسية تأسست سنة 1923 و أصدرت عددها رقم ألف (1000) سنة 2012 مازلت تصدر إلى اليوم. و عرفت بقرها من الدوائر الشيوعية منذ إصدارها. و قد أعلنت منذ تأسيسها على أنها ترمز للقارة التي تربط بين الشرق و العالم الجديد. و لذلك كانت و بقيت مفترق طرق تربط بين مختلف الحضارات الإنسانية. و قد كانت منبر العديد من الأقلام المعادية للاستعمار و ساعدت الحركات التحريرية من خلال العديد من الأقلام اليسارية.

⁶ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 175.

كانت نفس السياسة محل إدانة وفضح من طرف "أحرار إسبانيا". فقد طالب نائب يساري حكومته بالضغط على باريس لتوقيف هذه السياسة العنصرية لأنها ستشعل كل المغرب بما فيه المنطقة الشمالية. التي لم تطبق فيها إسبانيا سياسة شبيهة بالسياسة البربرية الفرنسية¹. بالرغم من أنه لم هناك أية علاقة مباشرة بين الشبان المغاربة والمجتمع الغربي خلال فترة العشرينات من القرن العشرين. و قد يعود ذلك لعدم نضجهم السياسي للاستفادة من تلك الآليات السياسية العنصرية. خاصة وأن المشرق العربي فتح لهم كل الأبواب لتكوينهم وتدعيم قضيتهم. إلا أن مشاركة المغاربة في الحرب الكبرى، بالإضافة إلى التداعيات التي أحدثتها حرب الريف، و"حروب التهدة"، في مختلف الأروقة السياسية والإعلامية فتحت أعينهم على أن تطلعهم نحو الشمال لا يقل أهمية وفائدة عن تطلعهم نحو الشرق². بالرغم من أن أوروبا كانت من وراء مآسي المغرب باستعمارها والاستيلاء على مقدراته فإن عدد من الشبان المغاربة اعتبروا تلك الحملات السياسية والإعلامية المضادة للحروب الاستعمارية التي تمت في باريس و مدريد فرصة تاريخية يمكن الاستفادة منها. ومن الشخصيات السياسية الفرنسية اليسارية الذين قاموا بها، مثل الزعيم الاشتراكي الكبير "بيير روناوديل *Pierre Renaudel*" و المناضل الاشتراكي الكبير "روبير جان لنكي *Robert-Jean Longuet*". كما أن الذين أسعفهم الحظ بمواصلة دراستهم و تكوينهم في باريس و مدريد اكتشفوا وجها مشرقا لأوروبا بإمكانهم الاستفادة منه ضد وجهها الآخر المظلم³. فاستثمروا تكوينهم الأكاديمي والسياسي، بالإضافة إلى المناخ السياسي الملائم الذي كانوا يعيشون فيه، من حرية في التعبير والحركة، في فضح السياسة الاستعمارية في المغرب و كسب الدعم للقضية المغربية التي كانت تعيش إرهاباتها قبيل انطلاقها بعد الظهير البربري في 16 ماي 1930. فالنصوص القانونية لهذا الظهير ترجمها الوزاني في صائفة 1930. حتى أن الشباب القرويني لم يدرك خطورتها و أبعادها إلا بعد إطلاعه على القراءة العربية لهذه النصوص. لأن الوزاني الذي كان أصدق تعبير عن هؤلاء الشباب قام بالترجمة الروحية لا الحرفية. لأنه كان معني بالسياسة البربرية فأدرك

¹ - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص، 19.

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج، 01، مصدر سابق، ص، 429.

³ - المرجع نفسه.

خطورتها.و تمكن من نقل العناصر"البربروفيلية"¹ للظهير البربري.و لذلك تحمس الشبان المغاربة لمقاومة ذلك الظهير بتلك الإرادة والتصميم و التضحية².

كان ذلك من أهم مظاهر دعم الثقافة الغربية للشبان المغاربة. الذين بقدر تشبعهم بها و تحكمهم في لغتها لم ينفصلوا عن عمقهم التاريخي والحضاري.فقد قام أحدهم وهو محمد الفاسي بجهود فكرية كبيرة لإقناع بقية الشبان بضرورة الاستفادة من هذه الثقافة.فألف كتابين باللغة الفرنسية حول التقاليد و الأعراف الفاسية كدلالة على عمق و وحدة المجتمع المغربي³.و لم يزد تكوينه الفرانكفوني مع عدد آخر من الشبان المغاربة،سوى إصرارا على تمسكهم بهويتهم الثقافية الأصلية.من خلال لغتهم العربية و تاريخ بلدهم.و حتى قراءتهم و إعجابهم بمبادئ الثورة الفرنسية أدى بهم إلى إعادة تحيينها بإسقاطها على واقعهم الاستعماري⁴. " لقد اكتشف هؤلاء الشباب عن طريق الصحافة،و مختلف الحوارات التي كانت تتم بين مختلف الطلبة(في الحي اللاتيني)،آليات الكفاح السياسي والاجتماعي للشعوب المستعمرة(بفتح الميم).و تمكنوا عن طريق الشيوعيين الفرنسيين،وحتى رفقاءهم الجزائريين و التونسيين،من موقعة القضية المغربية في سياق الصراع الدولي الذي كان بين الشعوب المضطهدة و الإمبريالية العالمية"⁵.

لقد أصبح عدد كبير من هؤلاء من ضمن الوطنيين الذين قادوا الحركة الوطنية المغربية إلى غاية الاستقلال في الشمال والجنوب أمثال محمد الحسن الوزاني،أحمد بلافريج محمد اليزيدي عبد القادر بن جلون،محمد الفاسي،مسعود شيقر،عبد الكبير الفاسي،محمد الخلطي، أحمد بنونة،مكي الناصري،عبد الخالق طريس،سعيد حجي.و بالرغم من أن بعضهم واصل تكويننا آخر في المشرق العربي مثل أحمد بلافريج و مكي الناصري وعبد الخالق الطريس و أحمد بنونة الذين انتسبوا إلى جامعة الملك فؤاد بالقاهرة.وحسن بوعباد الذي

¹ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2*, op.cit., p , 27.

² - *ibid*.

³ - كتب محمد الفاسي هذان الكتابان بالتعاون مع أحد الأدباء الفرنسيين يدعى " إميل درمنغام *Dermenghem Emile* " و عنوانهما هو " قصص فاسية *Contes Fasis* " صدر سنة 1926.و " قصص فاسية جديدة *Nouveaux Contes Fasis* " صدر سنة

1928 أنظر ، Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain*, T2, op.cit, p , 372.

⁴ - Georges Oved, *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain*, T2, op.cit, p , 372.

⁵ - *ibid*.

دخل جامعة الأزهر. أما مؤسس الصحافة المغربية سعيد حجي فقد انتقل إلى جامعة نابلس بفلسطين¹.

لقد استطاعت هذه الفئة من المثقفين "الثوريين" التعامل والاندماج بسهولة مع الفئة الأخرى التي لم يكن تكوينها غربيا ولا حتى مزدوجا باعتبارها خريجة جامعة القرويين. ولكن أفرادها لم يتوقفوا عن التعبير عن استيائهم من نظام التدريس التقليدي المتبع في هذه الجامعة فثاروا عليه، وانتقدوه بشدة وطالبوا باتباع طرق التدريس الحديثة المتبعة في المشرق العربي، وفي مصر خاصة. ولم يترددوا في المطالبة بتعديل جذري لنظام القرويين في العديد من المرات مثلما حدث في أوت 1921 بقيام مجموعة من علماء ووجهاء فاس بتوجيه عريضة إلى حاكم الناحية تضمنت التعجيل بإصلاح هذه المؤسسة²، ولكنهم وفي نفس الوقت كانوا من أكثر المتمسكين بالمضمون الحضاري لهذه المؤسسة، والمدافعين عن الحضارة العربية الإسلامية، ومتحفظين من الحضارة الغربية الأوروبية ومن كل محاولة لتغريب المجتمع المغربي. ومثل علال الفاسي وأحمد مكنوار وعبد الكريم غلاب ومحمد البصري وعبد الهادي بوطالب ومحمد العربي العلوي نماذجاً معبرة عن هذه الفئة³. التي استطاعت أن تضع توازناً دقيقاً بين أصالتهم وحاجتهم للتجديد، والسياسي منه على وجه الخصوص⁴.

غادر المارشال "ليوتي" المغرب في أكتوبر 1925، وحل محله "ثيودور ستينغ" مقيماً عاماً. وقد قام هذا الأخير بعدة تغييرات في السياسة الفرنسية في المغرب. فقد سعى "ليوتي" لتطبيق نظام الحماية في المغرب بصورة مختلفة عن النموذج الاستيطاني الذي كان قائماً في الجزائر. وحرص على أن لا يتم "جزارة" المغرب بتحويله إلى مستعمرة استيطانية. فقد عرفت فترته

¹ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p, 90 -94.

² - تضمنت ذكر لما قامت به فرنسا من إصلاح في مختلف المجالات، وبررها أصحابه بتفادي هجرة الطلبة إلى المشرق لأخذ العلوم غير الموجودة في هذه الجامعة، وبالتالي تتفادى فرنسا تأثير الشباب المغربي من التيارات الفكرية والسياسية مثل الجامعة الإسلامية والرابطة العربية والحركة الوطنية التحررية وما يترتب عنها من كره للأجنبي، ويمكن لفرنسا أن تمنع حدوث هذا إن هي قبلت بإصلاح هذه المؤسسة. أنظر، محمد حسن الوزاني،... ج 01، (مصدر سابق)، ص 259.

³ - يعتبر علال الفاسي نموذجاً قائماً بذاته لهذه الفئة بدعوته إلى السلفية التجديدية على خط محمد عبده ورشيد رضا وجمال الدين الأفغاني، وفي نفس الوقت بانفتاحه على الحداثة وتفاعله معها ومن مفارقات هذا الرجل أن عدد كبير من الذين عمل معهم في الحقل الوطني كانوا من خريجي المدارس الغربية. ويعتبر رمزا من رموز الحركة التحررية المغربية. أنظر، محمد العلمي، علال الفاسي رائد الوطنية، المغربية، مطبعة الرسالة، المغرب، 1980.

⁴ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p, 90 -94.

بين 1912 و 1925 غزوا عسكريا لكامل المغرب لتثبيت السيطرة الفرنسية والقضاء على المقاومة في كل أنحاء المغرب. و لكن هذه الفترة شهدت كذلك سعي ليوتي للقيام بـ "الإنجاز العظيم ببناء دولة المغرب العصرية". حسب تعبير "جورج سبيلمان"¹. ولذلك عرفت فترته التركيز على تنصيب مؤسسات الحماية المركزية و المحلية. وإعادة بعث السلطة المخزنية بجميع مظاهرها التقليدية من "الصدر الأعظم" في أعلى هرم السلطة الشريفة العلوية إلى "القائد" على مستوى القبائل. و لكن كل ذلك تحت إشراف كلي للإقامة العامة². التي بقيت صاحبة السلطة الفعلية. و قد كان ذلك من مظاهر ذلك "الإنجاز العظيم". كذلك لم تشهد فترته استيطاناً زراعياً واسعاً. ولكنها شهدت تركيزاً كبيراً لحركة رؤوس الأموال في المدن التي كانت تحت سيطرة الفرنسيين. فقد كان شعار ليوتي هو "تطوير المغاربة وهم في مواقعهم التقليدية وعدم إقحامهم بشكل انقلابي في النظام الجديد"³.

لقد حرص ليوتي على عدم نقل النموذج الاستيطاني للمغرب من خلال سياسته. و لكن حرصه كان أكبر على عدم نقل النموذج الاجتماعي و الثقافي الفرنسي للمغرب. ولذلك لم يظهر في فترته كمقيم عام في المغرب أي أثر للتنظيمات الفرنسية في جميع الميادين في المغرب. و إذا كان ليوتي قد نجح في منع تسرب أي مظهر فرنسي للحياة المغربية مجتمعا وسلطة، فإنه عند مغادرته له سنة 1925 لم يترك ورائه ذلك "الإنجاز العظيم" و "المغرب العصري" الذي جعل منه أولوية شخصية أكثر منها لباريس. ففي كثير من الأحيان اصطدم مع هذه الأخيرة عندما تعارضت مشاريعها في المغرب مع "إنجازه" كما حدث أثناء الحرب العالمية الأولى. فحينها وافقت باريس على وجهة نظر ليوتي بكيفية المحافظة على المغرب بالرغم مما مثله من خطورة على موازين القوى العسكرية⁴. لقد انهار نظام الحماية حتى قبل مغادرة ليوتي للمغرب⁵. و قد أرجع ذلك إلى "مشاركة عدة آلاف من المغاربة في الحرب الكبرى جنبا إلى جنب مع الفرنسيين وغيرهم من الشعوب المضطهدة كالجزايريين والفييتناميين. و لضعف الحواجز من جهة الشرق حيث دخل إلى المغرب سيل عظيم من التونسيين والأهالي

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p, 15 – 39.

² - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T1, op.cit. p, 175 – 182..

³ - ibid. , p , 190.

⁴ - جمال قنان، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 281.

⁵ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T3, op.cit. p, 279.

الجزائريين ذوي العقلية الغربية التي كانت (تمقت) الحكم الفرنسي...بالإضافة إلى عدم حرص باريس على تحقيق أي تقدم ميداني لهذا النظام¹. فقد اعتبر ليوتي تسرب أي تأثير خارجي إلى المغرب مجتمعا و سلطة مضر بنظام الحماية بحد ذاته. و لذلك لم يستطع المغاربة في هذه الفترة التعرف على النموذج الغربي لاتخاذ موقف منه. و قد كان ذلك من أهم أسباب انهيار الشبان المغاربة ببعض مظاهر الحياة الغربية بعد أن تعرفوا عليها فيما بعد.

لقد أدى تعيين "ثيودور ستينغ" كمقيم عام في المغرب في أكتوبر 1925 إلى تغيير جذري في طبيعة السياسة الفرنسية المغربية. فلم يكن باستطاعة هذا المقيم مواصلة تطبيق "سراب ليوتي"، ليس فقط لأن ذلك كان غير قابل للتحقيق بشهادة ليوتي نفسه، و لكن لأن "ستينغ" كان حاكما عاما في الجزائر بين سنتي 1921 و 1925. و عندما استدعي للمغرب كان من أجل تطبيق تلك "السياسة الفرنسية الجزائرية" فيه. سواء من خلال قمع مقاومة الريف بتلك الطريقة الوحشية التي كانت بالنسبة إليه "عادية و مطلوبة" في تلك الظروف. ولذلك "استطاع صوت المدافع في جبال الريف حسم الموقف لصالح فرنسا وإسبانيا في ظرف أسبوعين فقط" على حد تعبير جورج سبيلمان².

لقد نجح "ثيودور ستينغ" في نقل "النموذج الجزائري" إلى المغرب سواء من خلال عملية "التهدة" في الريف، التي كانت في حقيقتها إبادة لسكانه³. مثل التي قام بها الاستعمار الفرنسي في الجزائر منذ 1830. وحتى هو قام بفصل من فصولها أثناء فترة توليه لمنصب الحاكم العام في الجزائر التي شهدت فيها قمع مقاومة "التوارق"⁴. ولكنه نجح كذلك في التحول إلى "رائد الاستيطان الفرنسي في المغرب"⁵. "فلطالما تباهى بإنجاز فرنسا في الجزائر حيث استطاع مليون واحد من المستوطنين تحقيق مستعمرة صلبة ومتطورة على جميع الأصعدة"⁶

¹ - مقتطف من التقرير السري الذي أرسله المارشال ليوتي إلى باريس سنة 1920 الذي تحدث فيه بشكل صريح جدا عن أسباب فشل نظام الحماية في المغرب. و قد جعل من احتكاك المغاربة مع غيرهم من أهم أسباب ذلك. و قد تساءل الوزاني حول عدم نشر السلطات الفرنسية لهذا التقرير رغم أنه أرسله ليوتي خمس سنوات قبل مغادرته للمغرب. أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات، ج1، مصدر سابق ص، 197 - 213.

² - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p, 42.

³ - تم التطرق لبعض مظاهر هذه حرب الإبادة سابق.

⁴ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط 2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 314.

⁵ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p, 44.

⁶ - *ibid*.

لذلك فتح الأبواب على مصراعها أمام عدد كبير من المستوطنين الذين لم يتمكنوا من تحقيق حلمهم الاستيطاني في الجزائر. فاعتبروا المغرب فرصة للقيام بذلك. وقد اتجه "ستيغ" كذلك إلى الفرنسيين في فرنسا وفتح أمامهم الأبواب. فقد اعتبر أن من أكبر مهامه في المغرب هي استدراك أكبر عيوب "إنجاز ليوتي" والمتمثل في عدم وجود توازن ديموغرافي بين المغاربة والفرنسيين¹.

لقد أدى ذلك الانفتاح الذي قام "ستيغ" في المغرب إلى تغيرات عميقة في المغرب. وقد كان ذلك من أهم أهدافه، ولذلك هلل المستوطنون في الجزائر بالعهد الجديد في المغرب. خاصة وأن السلطة الفعلية في الإقامة العامة كانت بين أيدي عدد من الموظفين السامين القادمين من الجزائر مثل "لويس دوكلوس Louis Duclos" و"أوربان بلان Urbain Blanc" و"فرانسوا بيترى François Piétri"². الذين نجحوا في تقوية الجهاز الاستعماري الذي رسخ أساليب الحكم المباشر بتلبيته لطموحات و رغبات المستوطنون الجدد في المغرب و المتناقضة مع مبادئ نظام الحماية³. ولكنه في نفس الوقت فإن ذلك الانفتاح صاحبه مظاهر لم تكن في تقدير سلطات الحماية بالرباط. ولا حتى باريس. فقد دخل إلى المغرب كذلك الكثير من المظاهر الاجتماعية والسياسية وحتى الثقافية الفرنسية. فبعد أشهر من تعيينه أعلن "ستيغ" في خطاب له سنة 1926 بأنه "سيفتح المجال السياسي والنقابي أمام الفرنسيين المتواجدين في المغرب حتى يتم سماع صوتهم"⁴. وقد أدى ذلك إلى حركية سياسية و اجتماعية سريعة في المغرب فقد أصبحت كل التنظيمات السياسية و الاجتماعية تسارع للدخول للمغرب و بدأت في تنصيب مختلف فروعها و تمثيلياتها.

قام اليسار الفرنسي بتأسيس الفروع التابعة له في مختلف المدن المغربية. سواء تعلق الأمر بالحزب الاشتراكي الذي أسس فروعه في الدار البيضاء والرباط و فاس ومكناس ومراكش⁵. وكذلك الأمر بالنسبة لـ "الحزب الراديكالي" الذي أصبح ممثلا في المغرب ابتداء

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat à l'indépendance*, op.cit., p, 44.

² - عبد الحميد إحسان، الإدارة المركزية في عهد الحماية الفرنسية، 1912 - 1940، منشورات أمل، الرباط، 2015، ص 183.

³ - المرجع نفسه، ص 205.

⁴ - Georges Oved, *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain*, T2, op.cit, p ,13.

⁵ - *ibid*, p , 17.

من سنة 1927 في عدد من المدن مثل وجدة و فاس والرباط ومراكش¹. كما كان لفرع "رابطة حقوق الإنسان" نشاطا كبيرا في المغرب من خلال انتقاده للطريقة التي تم من خلالها قمع سكان الريف². وفي نهاية سنة 1929 أسست "الكنفدرالية العامة للشغل" الفرنسية أول فرع لها في المغرب³.

كانت تلك الحركية التي قام بها نظام الحماية في المغرب من أجل تنشيط الحياة السياسية و الاجتماعية موجهة للفرنسيين. ولكن ذلك لم يمنع من تأثيرها الكبير على الشبان المغاربة. فقد تأثر عدد منهم بتلك الحركية عندما كان في باريس، كما تأثر البعض الآخر في داخل المغرب بحد ذاته. فما كان باستطاعة سلطات الحماية أن تمنع ذلك التأثير و التأثير. فالحركة الصحفية التي عرفها المغرب ابتداء من سنة 1926، التي كان من ورائها عدد من الفرنسيين، دفعت بهؤلاء الشبان للبحث عن مجال صحفي عصري خاص بهم للتعبير عن طموحاتهم الوطنية الناشئة. و قد كان لهؤلاء تجربة ثرية في "الصحافة الخطية"⁴، و لكنها لم تصبح كافية لما عرفه المجتمع المغربي من تحولات عميقة، خاصة بعد رحيل الماريشال ليوتي. و قد أدرك ذلك هؤلاء الشبان لذلك بدؤوا في التفكير في تأسيس صحافة وطنية تتوفر على جميع المواصفات العصرية، أي كالتي كان يصدرها الفرنسيون في المغرب مثل "لوكري ماروكان *Le Cri Marocain*". و يستطيعون من خلالها التعبير عن طموحاتهم الوطنية. وفي هذا السياق كانت محاولة عبد اللطيف صبيحي سنة 1929 لإصدار "جريدة سياسية مسلمة"⁵. و لكن مشروعه لم ير النور. و لم يتم إصدار أية جريدة مغربية في هذه الفترة. خاصة بعد تسارع الأحداث بإصدار الظهير البربري في 16 ماي 1930⁶.

لقد كان يجب على الشبان المغاربة الاتجاه إلى باريس لإصدار أول لسان حال لهم تمثلت في مجلة "مغرب *Maghreb*" التي صدرت في جويلية 1932 و كانت أول نشاط صحفي لهم توفر على جميع المواصفات العصرية⁷. و بالرغم من صدورها في فرنسا فإن إهتمامها كانت

¹ - Georges Oved, *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain*, T2, op.cit, p ,19.

² - *ibid*, p ,20.

³ - *ibid*, p 21.

⁴ - تم التطرق لبعض مظاهر هذه حرب الإبادة سابق.

⁵ - Jamaâ Baida, *la presse marocaine d'expression française op.cit. p,199*.

⁶ - *ibid*.

⁷ - سيتم التطرق لهذه المجلة في الفصل الثالث في عنصر " الحركة الوطنية لصحفية "

مغربية. لقد كانت هذه المجلة تعبيراً عن رغبة هؤلاء الشباب في أن يكون لهم لسان حال بموصفات عصرية. كما عكست تأثرهم بتلك الحركة الصحفية النشيطة التي عرفها المغرب ابتداء من سنة 1926. وليس من قبيل الصدفة أن يعبر عن تلك الحاجة مجموعة الشبان المغاربة الذين تلقوا تعليماً فرنسياً سواء في المدارس الفرنسية بالمغرب أو في فرنسا. فتأثروا بالحدثة السياسية الغربية إلى حد كبير¹. و قد كانت الصحافة من مقتضيات هذه الحدثة للتعبير عن طموحاتهم، وتمثيل القضية الوطنية. و قد كان كل ذلك مظهراً غريباً لم يتبناه الشبان المغاربة فيما وراء البحار، و لكن في داخل المغرب عن طريق مجموعة من المؤسسات الغربية من بينها "مدرسة نظام الحماية بحد ذاته"².

بالإضافة إلى ذلك فقد استفاد المغاربة من هذا "المناخ الديمقراطي"، الذي كان موجهاً للفرنسيين. فتفاعلوا معه بمظاهر تنظيمية أخرى للقيام بعدد من النشاطات الثقافية والاجتماعية ولكنها تحولت فيما بعد إلى قواعد تنظيمية صلبة اعتمد عليها الشبان المغاربة في تأطير حركاتهم الاحتجاجية. وقد كانت الجمعيات من أهم مظاهر تأثر المغاربة بأساليب التعبير الغربية و لئن مارس المغاربة هذا النشاط منذ 1920 بتأسيسهم لـ جمعية قداماء ثانوية مولاي إدريس فإن نشاط هذه الأخيرة بقي محدوداً في "ربط العلائق الودية بين أعضائها و إثبات الألفة و المساعدة بينهم في جميع ما يرجع بالنفع عليهم"³. ثم تأسست جمعيات في مدن أخرى. ففي الرباط تأسست "جمعية قداماء ثانوية مولاي يوسف" و في سنة 1927 تأسس في مدينة سلا "النادي الأدبي"⁴. و لكن هذه الجمعيات تحولت فيما بعد إلى نوادي سياسية لتبادل الرأي حول أوضاع المجتمع المغربي والبحث في وسائل النهوض به. خاصة وأن سلطات الحماية في بادئ الأمر أبدت بشأنها مرونة فسمحت لها بالنشاط وقدمت لها بعض المساعدات و نظمت رحلات لأعضائها إلى فرنسا حيث استقبلوا من طرف مختلف الشخصيات السياسية الفرنسية⁵. إلا أنه فيما بعد أصبحت سلطات الحماية تنظر إليهم بعين الريبة. ففي 01 فيفري 1929 بعث الوزير المفوض المعتمد بالإقامة العامة برسالة إلى رؤساء الأقاليم الفرنسية

¹ - El-houari Setta , Mohamed Hassan Ouazzani (1910-1978), *l'homme politique sa pensée et son action politique marocaine moderne, faculté de droit et de science politique d'Aix-Marseille III, Aix-en-Provence, 1995, p, 194.*

² - *ibid.* p , 42.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1، مصدر سابق ص 353.

⁴ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 283.

⁵ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 284.

تضمنت معلومات إستخباراتية عن اجتماع سري لجمعية" قداماء تلاميذ المدرسة الثانوية بالرباط "مع جمعيات أخرى من المغرب لمناقشة"المسائل التي تعني الشعب المغربي و مشاركة الشبان المغاربة في تسيير إدارة بلادهم"¹. فقد أدرك الشبان المغاربة أن الهيئات التنظيمية من أهم شروط نجاح العمل الوطني.و بالرغم من وجود مثل هذه الجمعيات في المجتمع المغربي من قبل، إلا أن هذه التنظيمات التي تبنوها في منتصف العشرينات من القرن العشرين كانت تقليدا لمما قام به الفرنسيون في المدن المغربية. كما كان لها أبعاد أكثر من مجرد شعور تضامني، أو من أجل التكافل الاجتماعي.و قد ظهر ذلك جليا ابتداء من مطلع الثلاثينات عندما قام الشبان المغاربة بنشاط وطني يتوفر على العديد من المواصفات العصرية.

إذا كان بعض الشبان المغاربة بعد الحرب العالمية الأولى هم من ذهبوا إلى باريس و مدريد للاستفادة من المجتمع الغربي، فإنه ابتداء من منتصف العشرينات من القرن العشرين انتقلت العديد بعض المظاهر الغربية إلى المغرب. مما أدى إلى احتكاك المغاربة معها بشكل واسع أكثر من المرة السابقة. وقد اعتبر الوزاني، الذي كان نموذجا قائما بذاته للشبان المغاربة الذين اندمجوا في المنظومة الغربية، أن" الحماية حملت إلى المغرب شرورا و مصائب و ويلات...و لكن انفتاحه على العالم الخارجي... وإقامة الأجانب، والفرنسيين خاصة، دفع بالمغاربة إلى التزود بالثقافة الحديثة عامة والفرنسية خاصة للتسلح في الصراع المستمر مع المحتلين و مواجهتهم بنفس سلاحهم..."².

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1، مصدر سابق ص 365.

² - المصدر نفسه، ص، 294 - 295 .

الفصل الثاني :

الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية:

مرجعية الإصلاح في سياق الوحدة 1930- 1936

- الظهير البربري 16 ماي 1930
- التنظيم السري "الزاوية " و "الطائفة"
- الحركة الوطنية المغربية الصحفية 1932- 1934
- مطالب الشعب المغربي (كتلة العمل المغربية) : 1934 – 1936

1 . الظهير البربري 16 ماي 1930:

ذكر علال الفاسي في كتابه "دفاع عن الشريعة" عند تحليله للأبعاد الكبرى للظهير البربري أن رغبة الاستعمار أينما حل كانت تتمثل في " تكوين شعب مستعمر على صورته ثقافيا واجتماعيا، يتكلم لغته ويدين بدينه، وإذا فشل في ذلك، فإنه يسعى إلى جعله صورة مشوهة لا تشبه الصورة المقصودة، ولا حتى الأصل الأول لهذه الصورة"¹. أنه تعليق معبر عن أهم ما حاولت المواد الثمانية للظهير البربري الوصول إليه. فإذا كان هذا الظهير الصادر عن سلطات الحماية في 16 ماي 1930 " آخر ما اهتدى إليه الفكر الاستعماري الفرنسي للقضاء على مقومات المغرب العربي"²، فإنه كذلك قد استطاع إخراج الحركة الوطنية المغربية التي كانت تبحث عن آفاق لها، و سببا لانطلاقتها حتى تخرج من مأزقها التاريخي الذي وقعت فيه منذ فشل المقاومة الريفية. فقد استطاع أن يحدد لها هدفا على المدى القريب، وهو مواجهة هذا الظهير بحد ذاته، وعلى المدى البعيد بالوقوف في وجه نظام الحماية بشكل عام. لم يعلم منظروا السياسة الاستعمارية في المغرب أن هذا الظهير سيتحول صك لاعتماد الحركة الوطنية المغربية³.

لم يكن الظهير البربري لسنة 1930 أول قانون أصدرته سلطات الحماية بالمغرب. كما أنه لم يكن فعلا منعزلا عما قامت به فرنسا في مناطق قريبة من المغرب. فقد كان حلقة من حلقات السياسة البربرية التي اتبعتها فرنسا في المغرب العربي الإسلامي منذ سنة 1830 و المستمدة من أطروحات تم تحضيرها للغرض الاستعماري للتفريق بين شعوب هذه المنطقة التي استطاعت عبر التاريخ أن تحقق انسجاما كبيرا فيما بينها. فقد كانت هذه السياسة جزءا من المنظومة الفكرية الاستعمارية التي استمدت منها فرنسا سياستها. و طبقتها في هذه المنطقة بغرض إلحاقها و دمجها في المجموعة الفرانكفونية. و ذلك عن طريق ربط إحدى مكوناتها الأساسية، والمتمثل في الأمازيغ بالأصول الأوروبية. على أنهم هم الوحيدون الذين يملكون قابلية استيعاب الحضارة الأوروبية. و من أهم ما جاء في هذه الأطروحة أن اعتناق الأمازيغ للإسلام كان سطحيًا، و يستدلون على ذلك ببقاء الكثير من طقوسهم القديمة في شكل

¹ - علال الفاسي، دفاع عن الشريعة، مطبعة الرسالة، الرباط، 1966، ص 03.

² - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 161.

³ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص 66.

ممارسات اجتماعية. كما ادعت هذه النظرية على أنهم بقوا في حالة تمرد على مر التاريخ على كل الدول التي تداولت في حكمها في هذه المنطقة في شرقها و وسطها و غربها¹.
لقد كانت الحماية الفرنسية على المغرب مزودة بخبرة استعمارية هائلة ناتجة عن التعامل المباشر مع مناطق ومستعمرات مختلفة الأجناس والعادات، و حتى الأديان. و قد استفاد نظام الحماية كثيرا من هذه التجربة. خصوصا تلك التي اكتسبتها فرنسا في الجزائر وتونس و ذلك للوحدة الجغرافية والتاريخية والبشرية و الحضارية للشعوب المكونة للمغرب العربي الإسلامي. فالجزائر كانت أول منطقة في شمال إفريقيا اتصل فيها الاستعمار الفرنسي عن طريق الغزو بالتركيبة البشرية المحلية وتعامل مع إحدى مكوناتها والمتمثلة في "الأمازيغ" أو "القبائل". فقد تحول هؤلاء بالنسبة إليه إلى مجال بشري لممارسة السياسة البربرية. وبعد توقيع عقد الحماية سنة 1912 ظهرت نتائج هذه الممارسة بصورة جلية في تعامل فرنسا مع القبائل الأمازيغية القاطنة بجبال الأطلس المغربية. فقد ظهر الفرنسيون في المغرب و كأنهم أصحاب خبرة في التعامل مع هذه القبائل².

لقد كان توظيف المكونات المتنوعة لشعوب المنطقة بغرض التفريق بينها، من خلال التركيز على العنصر الأمازيغي بتحويله إلى هدف لسياسة معينة، سابق لما عرفه المغرب في سنة 1930. بما يعرف ذلك بالسياسة البربرية في الجزائر³. فمنذ 1830 اعتمدت فرنسا في سياستها على هذا العنصر سعيا منها لتحويله إلى عامل فرقة و تشتيت للمجتمع الذي لطالما عرف تماسكا تاريخيا على مر مختلف العصور. و تعرف هذه الممارسة كذلك بـ "الأسطورة القبائلية"⁴. على حد تعبير شارل روبير أجرون¹. أو بما عبر عنه علال الفاسي بأنه "آخر ما

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 66.

² - عبد الحميد إحسان، أصول سياسة فرنسا البربرية إلى غاية سنة 1930، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 1987، ص، 20.

³ - تعتبر السياسة الفرنسية البربرية في الجزائر من مظاهر السياسة الاستعمارية باعتبارها وسيلة من وسائلها منذ القرن التاسع عشر، اعتمدت على دراسة اللغة البربرية بلهجتها بغرض تفريق السكان و تقسيمهم إلى عرب و بربر و أقلية و أغلبية لكي تظل كلمة الفصل للفرنسيين. و قد بدأت هذه السياسة في الظهور و التبلور في القرن التاسع عشر عبر عدد من الخطات ففي الأربعينات بدأها العقيد "كاريت" ثم توسع فيها و عمقها الدكتور "وارنيه" في الستينات. و في الثمانينات و التسعينات واصلها وكشف عنها "كميل صابتييه". و قد تبنتها إدارة الشؤون الأهلية و الكنيسة. أنظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثامن، 1830-1954، عالم المعرفة، 2014، الجزائر، ص 30 - 41.

⁴ - شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، جزءان، ترجمة محمد حمداوي و آخرون، شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر

2013، ص، 217 - 240.

اهتدى إليه الفكر الاستعماري الفرنسي للقضاء على مقومات المغرب العربي وإدماجه في الحضيرة الفرنسية. لأن الفرنسيون ظلوا منذ احتلالهم للجزائر يبحثون عن الوسيلة التي تهيب لهم الامتلاك الدائم لشمال أفريقيا و تعميره بمسيحيين من العنصر اللاتيني وكان يقف حجر عثرة في سبيلهم هؤلاء السكان المتمسكون بإسلامهم و بوحدتهم وعروبته²

لقد بدأ الاهتمام الفرنسي بمنطقة القبائل في الجزائر منذ الاحتلال سنة 1830، وبصورة خاصة بعد تنظيم الحملة العسكرية عليها سنة 1854. فقد كان ذلك الاهتمام منصبا على دراسة هذه المنطقة من جميع الجوانب. من حيث مكوناتها الاجتماعية، وتقاليدها، وعاداتها. و كل طقوسها الاجتماعية. و قد كان هناك اعتقاد راسخ عند المنظرين الاستعماريين بأنه يجب البحث عن إمكانية إيجاد قرائن أنثروبولوجية عن وجود إمكانية اندماج بين العنصر الأوربي والعنصر الأمازيغي. فقد ذكر " ألكسيس دي توكفيل" في سنة 1837 انه " إذا أغلقت علينا بلاد القبائل فإن روح القبائل ستبقى مفتوحة لنا. و ليس من المستحيل الولوج إليها"³. وقد بقي هذا المشروع كفكرة لها أنصار يسعون لتجسيدها منذ الاحتلال. فالنسبة لهؤلاء إن "الجنسية البربرية تنحدر من أصل روماني. و أن القرى القبائلية حافظت على التنظيم الروماني كما هو"⁴. و بالرغم من أن هذه السياسة تم توسيعها لتشمل كافة مناطق القبائل إلا أنها لم يكن لها انعكاسات ميدانية واضحة نظرا لما كانت تمثله فكرة "المملكة العربية" من أولوية في السياسة الفرنسية آنذاك. و نظرا للموقف العدائي الذي اتخذته المستوطنون من هذا المشروع فإنهم حرصوا سكان منطقة القبائل ضدها. حيث نشروا بينهم عدة أكاذيب من بينها أن هذه السياسة عنصرية و موجهة ضدهم و هي لصالح العنصر العربي على حساب العنصر القبائلي⁵. و

¹ - اعتبر دانيال ريفي أن الفضل الكبير في دراسة السياسة البربرية في المغرب العربي (الجزائر، المغرب ، تونس) يعود لشارل روبر أجرون الذي قام بدراسة أساسية حول الموضوع. ولا يمكن لأي دارس أي يقتحم الموضوع بدون الرجوع لدراساته. أنظر ، *Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T2, op.cit. p 270.*

² - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، مصدر سابق ص 161.

³ - شارل روبر أجرون ، تاريخ الجزائر المعاصرة ، ج 02 ، مرجع سابق ، ص 218.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 220.

⁵ - كان الدكتور "فارييني Warnier" من أشد المعارضين للسياسة العربية كما سعى لإثارة سكان منطقة القبائل ضد سياسة الإمبراطورية حيث نشر بينهم أن سياسة الإمبراطورية موجهة لتحسن ظروف العرب على حساب العنصر القبائلي. وكان من أنصار "المملكة القبائلية" مقابل "المملكة العربية" لتي كان يريدونها نابليون الثالث. أنظر، أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 08، مرجع سابق ، ص 39.

يعتبر هذا الطرح بحد ذاته عنوان مشروع كامل للتفرقة بين العرب و الأمازيغ ليس لإسقاط مشروع "المملكة العربية" فقط ولكن للقضاء على المجتمع الأصلي بصورة نهائية. ففي هذا السياق بدأت الأقاليم الاستعمارية تكتب عن منطقة القبائل دون غيرها لتحقيق ما يعرف بـ "الخصوصية القبائلية" التي تهدف إلى ربط أصل العنصر الأمازيغي بأوروبا¹.

لم تتراجع هذه السياسة بعد ثورات 1871 في الجزائر. بالعكس واصل منظري هذه السياسة نشر الاعتقاد الذي يقول بتفوق العنصر البربري على العنصر العربي. وقد أدى سقوط الإمبراطورية الثانية إلى إطلاق العنان للعديد من المؤلفات التي كرست هذه النظرة². حيث وسعت فرنسا في مجال اهتمامها بمنطقة القبائل. وبقيت هذه السياسة من أهم مظاهر السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر إلى غاية الحرب العالمية الأولى بمختلف الوسائل و المسميات. و لكن بنفس الهدف من خلال التركيز على العنصر "القبائلي" وإبراز الهوية الأمازيغية على أنها الأصلية في الجزائر وذات علاقة وطيدة بالهوية الأوروبية المسيحية. أما الهوية العربية فهي دخيلة وجاءت بفعل "عملية الغزو" فـ "القبائليين هم السكان الحقيقيون للجزائر. إنهم الأقرب للحضارة الأوروبية، وهم الأكثرية وهم مستقبل الجزائر، وبالتالي وجب الاهتمام بهم وتطويرهم ماديا ومعنويا"³.

أما في المغرب فإن طرح السياسة البربرية جاء في سياق وملابسات تاريخية مختلفة عن الجزائر. فالقانون الأساسي الفرنسي في الجزائر اختلف عنه في المغرب. فإذا كان الأول إدارة مباشرة واستيطاني في أساليبه وأهدافه، فإن الثاني ليس كذلك، فهو قائم على مضمون معاهدة الحماية لسنة 1912. وبالرغم من أن سلطات الحماية لم تكن تهتم كثيرا بطبيعة هذا القانون الأساسي، إلا أنها اتبعت سياسية استعمارية مغربية محدودة وحذرة عسكريا إلى حد

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 08، مرجع سابق، ص 39.

² - صدر سنة 1871 كتابا لنائب بمجلس الشيوخ يدعى "بومل *Pomel*" جاء فيه أن هناك دورا خفيا ينتظر العنصر البربري الذي كان ضحية العرب. و من واجب فرنسا أن تعطي الأولوية له و طر العنصر العربي للصحراء. و في سنة 1884 طالب نائب آخر يدعى "غاسطو *Gastu*" باندماج سكان القبائل مع الأوروبيين لأن لهم نفس العادات و التاريخ. و هناك عدد آخر من الكتاب ساروا في نفس الاتجاه. أنظر، شارل روبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 02، مرجع سابق، ص 222.

³ - شارل روبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 02، مرجع سابق، ص 228. و تتضمن السياسة البربرية الفرنسية في الجزائر الكثير من المضامين و التفاصيل و طرحها في هذا السياق فقط من أجل ربطها بالسياسة البربرية الفرنسية في المغرب. سواء من حيث الفكرة أو المنهج.

كبير.بالإضافة إلى ظروف الحرب العالمية الأولى¹،التي فرضت على فرنسا الكثير من التعديلات في سياستها الاستعمارية في عدد من المستعمرات باستثناء الجزائر².التي كان الحفاظ عليها بالنسبة لفرنسا " مسألة إستراتيجية مرتبطة بوجودها في أوروبا.و في العالم.و كأنها كانت أكثر من مجرد مستعمرة"³.

تعود ممارسة السياسة البربرية في المغرب إلى السنوات الأولى التي تلت إعلان الحماية.فقد وجد ليوتي صعوبة كبيرة في إخضاع القبائل الأمازيغية القاطنة في الحواري الغربية من الأطلس المتوسط وفشلت كل الأساليب التي استعملها للقضاء على المقاومة. فقد اعتمد على القوة العسكرية التي لم تجد نفعا رغم الهجوم الشامل الذي قام به في جوان 1913 و نوفمبر 1914.و لم يستطع كذلك دخول هذه المناطق باسم السلطان تارة.ومعتدا على بعض رجال المخزن تارة أخرى.ولم تسهل الحرب العالمية الأولى مهمة ليوتي في تحقيق ذلك. فقد طلب منه تقليص الوجود العسكري الفرنسي في المغرب خدمة للمجهود الحربي في أوروبا.و لذلك استمع إلى نصيحة عدد من الموظفين في الإقامة العامة، الذين طرحوا أمامه إمكانية تحقيق عدة مكاسب عن طريق السياسة البربرية.فمعظم هؤلاء الموظفين قادمين من الجزائر و شهد الكثير منهم تطبيق العديد من السياسات فأرادوا نقلها للمغرب.خاصة و أن مصالح الإقامة العامة كانت قد بدأت بعدة دراسات أنثروبولوجية حول المغرب.و كان ليوتي قد شجع العديد منها منذ تعيينه سنة 1912.و قد وجد فيها حلا ملائما بدون تكاليف عسكرية كبيرة. كما أنها تحقق هدف أي تمثل في السيطرة على العديد من القبائل التي صمدت كثيرا في وجه توسعاته العسكرية في مناطق جبال الأطلس مثل"بني مطير"و"بني مكيلد" و"كروان" و"زيان"⁴.بالإضافة إلى هدف استراتيجي بعيد يتمثل في ضرب المجتمع المغربي في وحدته

¹ - منذ الأيام الأولى من اندلاع الحرب العالمية الأولى تلقى الجنرال ليوتي تعليمات من باريس تلزمه بإخلاء المغرب الداخلي وإرسال جميع الفرق العسكرية المرابطة في المغرب إلى الجبهة الأوروبية،فحسب باريس فإن "مصير المغرب سيقدر في اللورين". أنظر،محمد بكرأوي،المغرب و الحرب العالمية الأولى 1914-1920، دار المعارف،فاس،ص 129 .

² - قبل الحرب العالمية الأولى كانت باريس تخشى أنه في حالة حرب أوروبية قد يقوم الجزائريون بحرب مثلما حدث في سنة 1871 و لذلك كان يجب عليها أن تبقي بين 200 ألف و 300 ألف عسكري لمنع ثورة وطنية.أنظر أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية،ج3، مرجع سابق ، ص، 203 .

³ - Alain Lardilier ,Le Peuplement Français En Algérie, De 1830 A 1900, Les Raisons De son Echec, Editions De L'Atlantique, Paris , 1992 , p, 72 – 76 .

⁴ - تم التطرق لهذا في عنصر المقاومة العسكرية في الفصل الأول

وتماسكه البشري. وعليه بدأ ليوتي في مطالبة ضباطه في تطبيق هذه السياسة ميدانيا¹. خاصة و أنه جاء في التقارير التي أرسلها الضباط الميدانيون إلى ليوتي، خاصة في بلاد "زيان" بجبال الأطلس الأوسط أن " القبائل البربرية تشكل واقعا إثنيا يجب أخذه بعين الاعتبار و ضرورة أخذ البربري على ما هو عليه بعاداته و أعرافه و قوانينه"².

نتيجة لهذا و تحت ضغط كبير من طرف ليوتي أصدر السلطان مولاي يوسف ظهيرا حول هذه السياسة في 11 سبتمبر 1914 نص على أن " القبائل البربرية الموجودة بالإيالة الشريفة تبقي شؤونها جارية على مقتضى قوانينها وعوائدها الخصوصية تحت مراقبة الحكومة"³. ومن خلال الإطلاع على مضمون هذا الظهير تبين أنه رفع الكثير من الأعراف الأمازيغية إلى مستوى التشريع بعدما كانت في السابق ممارسات اجتماعية عرفية غير مدونة في أية مسطرة قانونية⁴. لذلك كان هذا الظهير أول قانون صدر بغرض التفريق بين مكونات المجتمع المغربي. و لم يكن له أي رد فعل من طرف المغاربة نظرا لأحداث الحرب العالمية الأولى التي تزامنت مع إصداره بالإضافة إلى أن تطبيقه تم بطريقة سرية تبعا لتعليمات ليوتي. بالإضافة أن المقاومة المسلحة كانت في هذه المرحلة على أشدها، و بالتالي فإن رفض المغاربة كان كليا للحماية وليس لجزئية من جزئياته مثل إصدار ظهير خاص بالسماح بممارسة بعض الأعراف التقليدية في منطقة من المناطق. ولكن إصداره سنتين بعد إعلان الحماية الفرنسية من طرف السلطة الشرعية و التاريخية للمغرب أكد أن هذه السلطة أصبحت أداة من أدوات الحماية الفرنسية أكثر منها سلطة وطنية و شرعية عبرت عن استمرارية الدولة المغربية⁵. و قد كان ذلك من مظاهر سياسة ليوتي التي جعلت من السلطان مثل " الجوهرة الثمينة التي تستعمل لتزين العقد فقط " على حد تعبير "دانيال ريفي"⁶.

¹ - وجه الكولونيل هنريس تعليمة إلى مساعديه في المناطق الأمازيغية تتضمن عدم تطبيق التنظيمات المخزنية في هذه المناطق و إحلال محلها الأعراف التقليدية الخرافية. انظر، عبد الحميد إحسانين، أصول سياسة فرنسا البربرية، مرجع سابق، ص 137.

² - المرجع نفسه.

³ - عبد الحميد إحسانين، أصول سياسة فرنسا البربرية، مرجع سابق، ص 138.

⁴ - Georges, Hertz, Walfram, Naissance du Nationalisme Marocain, in "L'âge Nouveau", 06-06-1938

⁵ - حاول عدد من الدارسين الدفاع عن السلطان يوسف بأن هذا الأخير رفض إمضائه ولم تستطع سلطات الحماية الحصول على مصادقته إلا بعد أن أقنعت أنه هذه الممارسة قام بها السلطان مولاي الحسن سنة 1885 لصالح قبائل سوس. و بالرغم من ذلك فإنه ندم ندما شديدا على ذلك. انظر، عبد الحميد إحسانين، أصول سياسة فرنسا البربرية، مرجع سابق، ص 140.

⁶ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T2, op.cit. p 131.

لذلك واصلت سلطات الحماية توسيع مجال هذا الظهير. خاصة و أنها لمست الكثير من النتائج بتراجع بعض مظاهر المقاومة العسكرية في جبال الأطلس الأوسط.و إن كان ذلك من نتائج تراجع الجيش الفرنسي بفعل الحرب العالمية الأولى¹.و في جميع الأحوال فإن الماريشال ليوتي سار بقوة في هذا المسار و دعمه بكل الوسائل المادية والمعنوية².و في 22 سبتمبر 1914 قامت سلطات الحماية بتوسيع ظهير 1914 بتعليمات "مقيمة" (نسبة الإقامة العامة) تضمنت إرجاع مبدأ التحكيم للأعراف الأمازيغية كما أعطى الحق للأطراف المتنازعة في اللجوء لهذه الأعراف في القضايا التحكيمية الاجتماعية تحت إشراف جماعات قبلية عوض المحاكم الشرعية وأصبح الحق لهذه الجماعات القبلية التدخل في كل النزاعات والفصل فيها طبقا لهذه الأعراف من باب التحكيم النهائي الملزم. بالرغم من أنها كانت في السابق من الممارسات الكثيرة للقبائل و لكن من باب "إصلاح ذات البين"³.

في الفترة الممتدة بين 1915 و 1920 لم يصدر نظام الحماية أي تشريع بربري نظرا لظروف الحرب العالمية الأولى. التي تظاهر الماريشال " ليوتي" خلالها بأنه حريص على وحدة المغرب تحت سيادة السلطان. فقد كانت باريس بحاجة ماسة لسلطته المقدسة على المغاربة حتى تستفيد من عدد كبير من قواتها التي كانت متواجدة في المغرب لنقلها إلى الجبهة الأوروبية. خاصة في سنة 1917 عندما عرفت هذه الجبهة الكثير من التعقيدات. و أجبرت ليوتي على التضحية بالمغرب للحفاظ على الألتزاس و اللورين⁴. إلا أن سلطات الحماية قامت ببعض الإثراء لظهير 1914. مثلما قامت به في 09 جانفي 1915 عندما أصدر " ليوتي" أمرا بتكوين لجنة خاصة بـ "الدراسات البربرية" تمثلت مهمتها في جمع الأبحاث والمعلومات الخاصة بالقبائل الأمازيغية في المغرب كله و استنباط نتائج عملية تساعد سلطة الحماية في تنظيم هذه القبائل بما يحقق المصالح الفرنسية⁵.

ابتداء من سنة 1921 عرفت السياسة البربرية المغربية انتعاشا كبيرا يعود لما قام به مجموعة من الموظفين السامين في الإقامة العامة يتمثلون في كل من "أوربان بلان Urbain

¹ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T2, op.cit. p 271.

² - ibid, p 273.

³ - ibid, p 272.

⁴ - جمال قنان، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، مرجع سابق، ص 281.

⁵ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T2, op.cit. p 271.

Blanc" و"بول مارتى Paul Marty" و"جورج هاردي Gorges Hardy"¹ فهؤلاء كان لهم دور كبير في إعطاء بعدا ثقافيا للسياسة البربرية في المغرب. بإحداث المدارس "الفرنسية-البربرية" في نهاية 1922 في المناطق الأمازيغية. على أن يقوم بالتدريس فيها معلمين من الأمازيغ أنفسهم. و إبعاد "المعلمين العرب" تفاديا للكثير من السلبيات التي عرفتتها هذه التجربة في الجزائر.² وبنفس طريقة "السياسة القبائلية" في الجزائر أراد المشروع البربري في المغرب فصل الأمازيغ المغاربة عن بعدهم التاريخي والحضاري من خلال قطع صلاتهم بالحضارة العربية الإسلامية. فمنشور أبريل 1921 نص على القيام بكل التدابير التي تبعد الأمازيغ عن البعد العربي الإسلامي. فمصلحة فرنسا تكمن في "إبعاد البربر عن العرب"³. وفي 15 يونيو 1922 اصدر ظهير آخر ينظم النظام العقاري في البلاد الأمازيغية و هو في الحقيقة نقل للملكية العقارية المغربية للأجانب بالمناطق الأمازيغية و تنعدم فيها المحاكم المكلفة بتطبيق القواعد الشرعية⁴.

ابتداء من سنة 1921 واصلت سلطات الحماية "الفتوحات الثقافية"⁵ في كل المناطق الجبلية بالوسط و الجنوب وقد كان ذلك مرافقا للحملات العسكرية التي عادت بقوة بعد الحرب الكبرى. وفي سنة 1923 منع تدريس القرآن واللغة العربية في المدارس "الفرنسية - البربرية" بغرض "تكوين شباب مغربي جاهز للاندماج في المنظومة الثقافية الغربية"⁶. و منذ سنة 1924 انتقلت اهتمامات منظري السياسة البربرية إلى التشريع القضائي عندما طالبت اللجنة الخاصة بتنظيم العدلية البربرية بضرورة إصدار مرسوم سلطاني ينظم الجماعات القضائية البربرية و يحدد اختصاصاتها. إلا أن رفض حكومة السلطان مولاي يوسف إصدار هذا المرسوم حال دون تحقيق ذلك. ورغم ذلك واصل دعاة التشريع البربري الخاص إصرارهم على هذا المرسوم الذي تحقق لهم في عهد المقيم العام "لوسيان سان Saint Lucien" (1929-1933) مستغلين في ذلك

¹ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T2, op.cit. p 272.

² - ibid, p 273.

³ - عبد الحميد إحسانين، أصول سياسة فرنسا البربرية ، مرجع سابق ، ص 142.

⁴ - المرجع نفسه، ص 144 .

⁵ - Daniel Rivet Lyautey Et L'institution Du Protectorat, T2, op.cit. p 273.

⁶ - عبد الحميد إحسانين، أصول سياسة فرنسا البربرية ، مرجع سابق ، ص 145 .

وضعية المخزن الجديدة التي شجعت الإقامة العامة على المضي قدما في السياسة البربرية حيث توجت بإصدار أشهر تشريع بربري في المغرب العربي والمعروف بظهير 16 ماي 1930¹. لقد سبق إصدار الظهير البربري مجموعة من النقاشات و الحوارات نشطها عدد من منظري هذه السياسة الذين قاموا خلال فترة العشرينات بالكثير من الدراسات الأدبية و الفنية التي تمحورت حول البربر في مؤسسات خاصة أنشأت لهذا الغرض. ومن أهمها "معهد الدراسات العليا المغربية" بالرباط الذي ضم العديد من الأساتذة والساسة والمثقفين الفرنسيين وبدأت تظهر العديد من المؤلفات باللغة الفرنسية التي ركزت على إبراز "الخصوصية البربرية" في المجتمع المغربي. و من أهمها "الأدب البربري" و"الأرشيف البربري". و"دراسة في الأدب البربري في المغرب". و قد شملت تلك الدراسات المجال الأدبي من قصص و روايات مثل "قصص مغربية في السهول والجبال" و"مغرب الغد" و"الفتاة البربرية" و"حكايات شعبية بربرية". و غيرها من المؤلفات التي كانت أرضية ثقافية خصبة اعتمدها سلطات الحماية لطرح ضرورة الاهتمام بهذا المكون الرئيسي للمجتمع المغربي" الذي سعى"روبير مونتاني Robert Montagne"، الذي كان أحد أعمدة السياسة البربرية في المغرب، إبرازه من خلال العديد من مؤلفاته من بينها "الحياة الاجتماعية والسياسية للبربر" والموسوعة الضخمة التي كانت تحت عنوان "البربر والمخزن"². و قد صرح أحد المتحمسين للسياسة البربرية أنه " بالرغم من وجود القانون الإسلامي في المغرب، فإنه من حق فرنسا تطبيق ما تراه مناسبا في البلاد البربرية لأنها أخضعتها بقوة السلاح"³.

¹ - في سنة 1927 أصبح محمد بن يوسف (محمد الخامس) ملكا على المغرب و عمره لا يتجاوز 18 سنة خلفا لوالده مولاي يوسف المتوفى. و قد كان قليل التجربة في الحكم. مما أدى إلى نوع من الفراغ في المخزن استغلته الإقامة العامة في تمرير عدد من مشاريعه من بينها الظهير البربري لسنة 1930. أنظر، Mostefa, Bouaziz , aux origines de la koutla démocratique, op.cit. 48

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 20.

³ - يتعلق الأمر بـ "جورج سودون Gorges Surdon" و هو رجل قانون فرنسي و كان من اكبر المتحمسين للسياسة البربرية في المغرب العربي. و قد إهتم بدراسة الأعراف الأمازيغية و تحمس كثيرا لمنهجية سياسة بربرية نشيطة جدا. و قام بالترويج لها خصوصا و أنه كان أستاذا متخصصا في القانون الإسلامي و العرفي بمعهد الدراسات العليا بالرباط. و قد تقلد عدة مناصب من بينها رئيس العدالة البربرية و مفوض لدى الحكومة الشريفة. و لذلك قام بدور هام بفضل نفوذه و الثقة التي منحه إياها المقيم العام " سان لوسيان ". إلا أن دوره تقلص كثيرا بعد أحداث 1930. و أصبح مستشارا للعدلية الشريفة. أنظر، عبد الحميد إحسان الإدارة المركزية في عهد الحماية الفرنسية، 1912 - 1940، منشورات أمل، الرباط، 2015، ص 197. أصدر كتابا تحت عنوان *Institutions et coutumes des Berbères du Maghreb, (Maroc, Algérie, Tunisie, Sahara): leçons de droit coutumier berbère*

تعود الظروف المباشرة لصدور الظهير البربري لـ16 ماي 1930 إلى النقاش الذي جرى حول العقود العدلية العرفية التي كان الجهاز القضائي العرفي يصدرها. الذي لم يكن معترف به من طرف القضاء الشرعي. و لذلك كان دائما يرفضها في مختلف القضايا الإدارية و القضائية. و قد استعملت سلطات الحماية هذه القضية العمومية لفتح المجال للحديث عن ضرورة إدماج هذه التنظيمات في المنظومة القضائية المغربية¹. ولذلك شكلت لجنة في 07 ديسمبر 1929 لدراسة و تنظيم "العدلية البربرية"². و قد عقدت هذه اللجنة جلساتها ابتداء من فيفري 1930، و كانت مناقشتها تتمحور حول صيغة هذا القانون الذي سيدمج قانون "إزرف" أي الأعراف البربرية، في المنظومة القانونية المغربية الشرعية. حيث طرحت في هذه اللجنة "الصيغة البربرية الجزائرية"³ كنموذج لإتباعه في المغرب. إلا أن رغبة أعضاء هذه اللجنة في ضرب وحدة المجتمع المغربي دفع بهم إلى تبني مشروع قانون أكثر تطرفا. أي بما صرح رئيسها "كورديه" بأن فرنسا تريد في المغرب "تجنيب خضوع القبائل البربرية للإسلام. وإن يتم تطور الأعراف في اتجاه الحضارة الغربية. لأن ذلك يدعم رغبة فرنسا التي تريد أن ترى نفوذها ينمو و يتدعم في المغرب خصوصا عند البربر الذين يرغبون في التطور في اتجاه الحضارة الغربية سواء من حيث قيمها أو مؤسساتها"⁴. و في أفريل 1930 انتهت هذه اللجنة اجتماعاتها بتوصلها للصيغة النهائية لمشروع الظهير البربري لـ16 ماي 1930. و قد بني على مجموعة من المبادئ بغرض الحد من تدخل القضاء الشرعي في سير الحياة اليومي للقبائل الأمازيغية. مثل "تحويل الجماعات سلطات قضائية واسعة في المجال المدني و الجنائي و إنشاء محاكم استثنائية عرفية. و منع المحاكم الشرعية من التدخل في قضايا الأمازيغ. و تحويل المحاكم الفرنسية حق النظر في الجرائم المرتكبة في المناطق البربرية"⁵.

¹ - عبد الحميد إحسانين، الإدارة المركزية في عهد الحماية الفرنسية، مرجع سابق، ص 198.

² - تكونت هذه اللجنة من عدد كبير من رجال القانون من أنصار السياسة البربرية. و قد ترأسها "كورديه Cordier" رئيس محكمة الاستئناف الفرنسية بالرباط و كان من أهم أعضائها الجنرال "نوجيس Noguès"، الذي سيصبح مقيما عاما للمغرب بين 1936 و 1943، و قد كان جل أعضائها من المدنيين. الذين كانوا من وراء السياسة البربرية في المغرب. أنظر، عبد الحميد إحسانين الإدارة المركزية في عهد الحماية الفرنسية، مرجع سابق، ص 198.

³ - عبد الحميد إحسانين، أصول سياسة فرنسا البربرية، مرجع سابق، ص 229.

⁴ - عبد الحميد إحسانين، أصول سياسة فرنسا البربرية، مرجع سابق، ص 229.

⁵ - عبد الحميد إحسانين، الإدارة المركزية في عهد الحماية الفرنسية، مرجع سابق، ص 199.

في ظل هذه الأوضاع قدمت الإقامة العامة نص الظهير للسلطة العلوية الشريفة للتوقيع عليه و تحويله إلى تشريع يعتمد عليه في المسائل القضائية لدى القبائل الأمازيغية. و من المفارقات الغريبة أنه تم إمضائه من طرف السلطان المغربي مولاي محمد بن يوسف بسهولة غير متوقعة حتى من طرف الإقامة العامة¹. و بالرغم من تحذير الوكيل العام للإقامة العامة " أوربان بلان " بعدم نشر هذا القانون في الجريدة الرسمية و عدم إبلاغ الصحف به فإن المقيم العام "سان لوسيان" أراد الإعلان عن نجاحه في ما عجز فيه سلفه بما فيهم الماريشال ليوتي. فدعا الصحافة لمقر الإقامة العامة و أعلمها بهذا القانون معتبرا إياه " انتصارا سياسيا عظيما للحضارة الغربية في هذه الأرض". إلا أن ما ترتب عنه فيما بعد من ردود أفعال مغربية لم تصدم سلطات الحماية فقط، بل أدى بها إلى إعادة النظر بصورة جذرية في سياستها إزاء الشبان المغاربة الذين بدؤوا من الاحتجاج على هذا الظهير لصياغة موقف وطني متكامل تجاوزت مطالبه تلك الظرفية المرتبطة بالظهير البربري و طرحت القضية الوطنية في أبعادها الكبرى التي كانت تهدف لمواجهة نظام الحماية ككل و ليس فقط جزء من سياسته.

يتكون الظهير البربري لـ 16 ماي 1930² من ديباجة قدمته على أنه مواصلة لما تم إصداره إلى غاية 1930 من ظهائر سابقة حول العرف البربري. و من ثمانية فصول نظمت كيفية النظر في القضايا العدلية التي تطرح في المناطق التي يسري فيها هذا العرف بتوزيعها إلى ثلاثة مستويات : القبيلة ومحاكم العرف الابتدائية والمحاكم الإستئنافية الفرنسية³. و قد أصبحت بنية المجتمع المغربي مهددة بالزوال بفعل هذه الفصول. و من أهمها ما جاء فيها على أن المخالفات التي يرتكبها المغاربة في القبائل الأمازيغية يثبت فيها رؤساء القبائل عوض المحاكم

¹ - اتفق معظم الدارسون على أن إمضاء محمد بن يوسف للظهير بسهولة. و لكنهم اختلفوا في تفسير ذلك بين كونه كان صغير السن (21 سنة عند إمضائه للظهير) . و انعدام تجربته السياسية. و عدم إدراكه لأبعاده الخطيرة. و بين من اعتبر أن مستشاريه لم يوضحوا له خلفياته و خطورته. حتى أنهم اعتبروا عملاء للإقامة العامة. حتى أن روم لاندو كتب أن السلطان اعتبر أنه فيه خير للأمازيغ و لذلك أمضاه بسهولة لأن " الأشرار هم الذين كانوا وراء هذا الفعل و هم مستشارو المقيم الأقوياء و المشبهين " أنظر لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق، ص 177. أما روبر أجرون فقد اعتبر أن السلطان تعرض لضغوط كبيرة من طرف المقيم العام " سان لوسيان " لإمضائه. لأن الصدر الأعظم رفض هو الآخر تسجيله في القيد الرسمي للوزارة الأولى و صرح بأن هذا القانون يرمي إلى إخراج البربر من الإسلام. و في جميع الأحوال فإن مسؤولية السلطان بقيت قائمة في إصدار هذا الظهير. و قد تطرق جوليان لعدد من هذه الآراء جوليان للعديد من هذه الآراء. أنظر،

Charles-André Julien, *Le Maroc Face*, op.cit., p 160.

² - أنظر الملحق الخاص بالظهير البربري.

³ - المرجع نفسه.

الشرعية¹.و تضمن فصل آخر إنشاء "محاكم عرفية" تنظر في كل القضايا المدنية.وبصورة خاصة ما يرتبط بالأحوال الشخصية وقضايا الإرث.حيث أرجعت هذه الأخيرة إلى الأعراف الأمازيغية لا النصوص القرآنية كما كانت في السابق².كما تضمن الفصل السادس إرجاع الاختصاص القضائي للمحاكم الفرنسية في الجنايات التي ترتكب في المناطق الأمازيغية مهما كان مرتكبها سواء من المغاربة أو الفرنسيين.ويعتبر هذا الفصل أخطر ما جاء في هذا الظهير لأنه " جرد الحكومة الشريفة من سيادتها على القبائل البربرية و أحدث محاكم عرفية لم يعرف المغرب في تاريخه بحال"على حد تعبير علال الفاسي³.بالإضافة أنها تتناقض مع كل المعاهدات والاتفاقات.وعلى رأسها معاهدة الحماية لسنة1912.حتى أن بعضهم ذهب في قراءته لهذا الظهير البربري من خلال هذا الفصل بأن سلطات الحماية كانت بصدد استبدال معاهدة الحماية بنصوص أخرى تسمح بالإدارة المباشرة في المغرب.وكان الظهير البربري والسياسة البربرية بصورة عامة، إحدى هذه القوانين.ونظرا لشدة الاحتجاجات المغربية ضده فإن فرنسا لم تواصل ذلك بنصوص أخرى⁴.ولذلك ألغي هذا الفصل بالذات في أول مراجعة لهذا الظهير في 8 افريل 1934⁵.

لقد أكدت مضامين الظهير البربري أنه من أخطر التشريعات الفرنسية الاستعمارية لأنه كان عنصريا في طبيعته.لأنه كان يهدف إلى تقسيم المجتمع المغربي على أساس العرق و الأصل.ولأنه وضع نظاما عدليا متميزا حسب العرق الذي ينتمي إليه المتقاضين.أما المحاكم فقد أسندت مرجعيتها القانونية للعرف لا للشرع.وألغيت كل المحاكم الشرعية في المناطق الأمازيغية وأصبحت المسائل العقارية والأحوال الشخصية بما فيها قوانين للإرث تعود إلى هذا العرف. مما فتح المجتمع المغربي على تغييرات اجتماعية عميقة⁶.

لقد كان منظري السياسة الاستعمارية في المغرب،الذين كانوا من وراء الظهير البربري لسنة 1930،يريدون تحقيق أهداف ليست مرتبطة بالمغرب فحسب.و لكن بالنسبة لكل

¹ - أنظر الملحق الخاص بالظهير البربري.

² - المرجع نفسه.

³ - علال الفاسي الحركات، مصدر سابق، ص164.

⁴ - عبد الحميد إحسان، أصول سياسة فرنسا البربرية ،مرجع سابق ،ص229.

⁵ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p, 65.

⁶ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 68.

منطقة المغرب العربي. و لذلك لم تتمثل أهميته بالنسبة لهؤلاء من حيث مضمونه فقط، و لكن حتى من حيث تاريخ إصداره. الذي كان محطة فاصلة في تاريخ هذه المنطقة. فقد تزامن إصدار هذا الظهير في المغرب في 16 ماي 1930 مع الاحتفالات الفرنسية الضخمة بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر. ومع انعقاد المؤتمر الأفخاريستي بقرطاج في تونس بين 7-11 ماي 1930 الذي انعقد بعد مرور نصف قرن على الاحتلال الفرنسي لتونس. و نظرا لما صرح به رجال الدين في باريس حوله، فقد اعتبره المغاربة على أنه محاولة من الكنيسة المسيحية الكاثوليكية لتنصير مسلمي شمال أفريقيا. و لذلك تظاهروا ضده و فضحوا مضامينه¹. و بقدر ما شهدت منطقة المغرب العربي في هذه الفترة هجوما استعماريًا صليبيًا استعملت فيه كل الوسائل الدينية و العرقية. فإن هذه الأحداث كانت كذلك بمثابة بداية للنظام الاستعماري فيها².

لم تتوقع سلطات الحماية بالمغرب أن ردود الفعل المغربية على الظهير البربري ستكون بذلك الحجم و التأثير. بالرغم من بعض الأصوات الفرنسية التي انتقدت الظهير واعتبرته " خرقا واضحا للقانون و انتهاكا لمبادئ نظام الحماية على حساب السلطان، و خطأ سياسيا فادحا. و رغبة مسيحية لإلغاء الشرع الإسلامي"³. و حتى بعض الذي دعوا إليه اعترفوا فيما بعد بأن هذا التشريع تم تقديمه بطريقة خاطئة. و أقروا بأن الفروقات الموجودة بين العرب و البربر ليست مهمة إلى درجة الفصل بينهما تشريعيا و اجتماعيا. و حتى الكنيسة الكاثوليكية بالرباط اعتبرت أن روح الظهير تميزت بهجوم قاسي على مكونات المجتمع المغربي بدون مبرر⁴.

لكن في حقيقة الأمر لم يكن أحد من منظري هذه السياسة يتوقع أن يكون هذا الظهير بداية لحركة احتجاج وطنية واسعة و قوية ليس ضد مضمونه فقط، بل ضد كل نظام الحماية بجميع مكوناته نظرا للأحداث التي توالى فيما بعد. فبعد أن تعرف المغاربة على هذا القانون في مدينة سلا⁵، انطلقت حركة الاحتجاج من المسجد الكبير بهذه المدينة بتلاوة

¹ - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 261.

² - المرجع نفسه.

³ - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit*, p , 160.

⁴ - Le Tourneau, Roger, *Evolution politique du l'Afrique de Nord musulmane, 1920-1961*, Armand Colin, Paris, 1962. p 32.

⁵ - ذكر أبو بكر القادري (الذي كان من مدينة سلا) في مذكراته تفاصيل تعرف المغاربة على الظهير البربري 16 ماي 1930 معتبرا أن أول من تنبه لخطر الظهير هو عبد اللطيف الصبيحي الذي " أتيح له أن يطلع بإدارة الأمور الشريفة التي كانت واسطة

"اللطيف" وهي صيغة وجدها الشبان المغاربة للتعريف بخطورة هذا الظهير من جهة ولتوسيع دائرة الرفض من جهة ثانية من خلال ترديد ما يلي: " اللهم يا لطيف نسألك اللطف بما جرت به المقادير، و لا تفرق بيننا و بين إخواننا البرابرة"¹. وقد انطلقت هذه الحركة من مدينة واحدة في أول الأمر ثم انتشرت بسرعة كبيرة لتشمل مدنا أخرى. فوصلت إلى الرباط عن طريق مجموعة من الشبان الوطنيين لهذه المدينة من بينهم محمد اليزيدي²، ومنه إلى مدينة فاس طيلة شهر جويلية وأوت من سنة 1930. و حيث عرفت هذه المدينة " أحداث الظهير البربري" التي كانت فاصلة في مسار الأحداث. و منها كذلك تطورت هذه الأحداث واتخذت صيغا تنظيمية تجاوزت مسألة الظهير فقط. و طرحت القضية الوطنية في بعدها التحرري. و قد جمعت هذه الأحداث بين الخطابات التي كانت تتم في المساجد وحتى خارجها. حيث ظهر مجموعة من الخطباء الذين ألهبوا الشارع الفاسي وحركوه ضد هذا الظهير خاصة ضد نظام الحماية عامة³. و تحولت القضية من تعبير عن سخط ضد مرسوم عنصري صليبي إلى رد فعل وطني واع ومنظم. واعتمد على آلية احتجاجية لم يتعود عليها المغاربة قبل هذا التاريخ تمثلت في الخروج إلى الشارع للتعبير عن موقف وطني شامل. فتغيرت جغرافية الاحتجاج. فخرج من

بين القصر الملكي و الإقامة العامة الفرنسية. و قد بدا يعلن عن استنكاره له مع أصدقائه في النادي الأدبي الإسلامي السلواوي. و أصبحوا يطوفون في المجتمع و يشرحون أخطاره و أضراره. و طالبوا بمقاومته بكل الوسائل الممكنة" أنظر، أبو بكر القادري مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق ، ص، 50 .

¹ - أرجع القادري قصة قراءة هذا اللطيف إلى أحد الوطنيين المغاربة و هو عبد الكريم حجي الذي " طاف على الكتاتيب بمدينة سلا و طلب من فقهاء أن يلجأوا إلى الله بطلب اسم الله اللطيف أن يرفع عنهم البلاء الذي نزل بهم بصدر ظهير 16 ماي و أن يلطف بهم . (و هي ممارسة مغربية معروفة بأن يلجأ المغاربة لتلاوة اللطيف عند حلول نازلة كالقحط و الجراد أو الزلزال) و هكذا تعالت الأصوات في المساجد و الكتاتيب مستغيثة بالله العظيم أن يلطف بالمسلمين بما جرت به المقادير". كما ذكر القادري تفاصيل أخرى متعلقة بموقف سلطات الحماية بعد سماعها للطيف و ما ترتب عنه. أنظر، أبو بكر القادري، مصدر سابق ، ص، 51.

² - من القادة الرئيسيين لحزب الاستقلال من الرباط معروف بانتمائه الشعبي ابن "شاوش" درس في معهد مولاي يوسف، وتخرج من معهد الدراسات المغربية العليا بتكوين عربي أساسي، مارس وظيفة مترجم إلى غاية سنة 1930 حيث انخرط في النشاط السياسي بمناسبة الاحتجاج على الظهير البربري. عرف استقامة كبيرة في أداء مهامه النضالية. و تميز برجل الثقة الكبير في الحزب.

³ - من أهم هؤلاء الشباب عبد السلام بن إبراهيم الوزاني الذي ظهر كخطيب بارع بتحكمه في أسلوب الخطابة بوصفه للظهير البربري بالكارثة العظمى كما طلب الفاسيين بالدفاع عن الدين والشرعية والقيام بكل قوة لرفض فصل الأمازيغ عن المجتمع المغربي، ففي أحد الخطب قال ما يلي: "هيا نخرج بصوت واحد متضرعين إلى الله تعالى بقلوب خاشعة عيون دامعة حتى نصل إلى ضريح مولاي إدريس ننوسل إليه تعالى بإيماننا الصادق و يقيننا المبين أن يلطف ويشب أقدامنا ويحفظنا في ديانا " أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3 ، مصدر سابق ص 83.

ساحة جامع القرويين والمساجد والمدارس القرآنية المحيطة به إلى الشارع المغربي، بفعل جهود الشبان المغاربة الذين تكونوا في جامعة القرويين و أصبحوا فيما بعد أساتذة فيها¹. وقد انضم إلى هؤلاء آخرون تمثلوا في الطلبة المغاربة العائدين من فرنسا². فاجتمعت جهود كل هؤلاء في تأطير مختلف مظاهر الاحتجاج التي بدأت في مدينة سلا منذ 20 جوان 1930. ثم عرفت الكثير من المظاهر في مختلف المحطات³. إلا أن تأثيرها وقوتها لم تظهر إلا بعد أن انتقلت إلى مدينة فاس في مطلع جويلية 1930. فقد عرفت هذه المدينة سلسلة من الاحتجاجات

¹ - من أهم طلبة وأساتذة القرويين الذين شاركوا في الاحتجاج على الظهير: علال بن التهامي الوزاني عبد العزيز بن إدريس، الغالي الكتاني، العشمي فيلاي، عبد السلام المراكشي عثمان العمراني، محمد بن طالب الشامي، العباس بناني، الحاج أبو بكر الشريبي، الغالي السبتي، أحمد مكوار، محمد مكوار... أما فيما يخص علال الفاسي فقد وقع بشأنه خلاف حول مشاركته الفعالة في الاحتجاج على الظهير البربري. فقد ذكر خروجه إلى المظاهرات ثم اعتقاله بقوله "ولما وصل المتظاهرون لدار شيخ المدينة عمدت إليهم السلطة فاعتقلت منهم خمسة وعشرون شابا جلدتهم بالسياط من بينهم أصدقاء عبد العزيز بن إدريس وفي مساء اليوم بعثت السلطة فاعتقلتني". أنظر علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 165. ويؤكد عبد الكريم غلاب هذا الطرح و يعتبره قائدا لها بقوله "... ثم أعتقل بعد ذلك جماعة أخرى من الشباب في مقدمتهم المرحوم علال الفاسي" أنظر، عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج 01، مصدر سابق، ص 70. إلا أن محمد حسن الوزاني في مذكراته ينفي أي دور قيادي لعالل الفاسي بقوله "فظلنا نتساءل منذ الساعة الأولى للمظاهرة للقرويين أين علال الفاسي الذي غاب عنها لسبب غير معروف فلم يكن مع المعتقلين الجلودين... وهكذا لم يحضر علال المظاهرة ولا حركة الاعتقال وعملية الجلد ولم يكن أحد في المدينة يجهل خبر المظاهرة" أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 3، مصدر سابق ص 94 - 95. أما الحسن بوعباد الذي يعتبره الوزاني مع عائلته محميين لإنجلترا فدافع عن علال الفاسي بقوله "والحقيقة أنه رحمه الله لم يكن إلا واحدا ممن التزموا بقرار لجنة التنسيق تنفيذا لما اتفق عليه مسبقا من ضرورة تنظيم المظاهرات يوميا" أنظر، الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص 16.

² - عبر الطلبة المغاربة في فرنسا عن احتجاجهم على الظهير البربري في الحي اللاتيني بباريس و عبروا عن رفضهم لهذا المشروع و عزمهم على نقل هذا الرفض إلى المغرب بعد عودتهم إليه، و لذلك كان صيف سنة 1930 ساخنا نظرا لاندلاع الاحتجاج بقوة على هذا الظهير، و ليس غريبا أن عدد كبيرا من الذين أطروا هذا الاحتجاج في مدينة فاس هم من الطلبة الذين كانوا يزاولون دراستهم في فرنسا أمثال محمد حسن الوزاني.

³ - انطلقت الاحتجاجات يوم 20 جوان 1930 من المسجد الكبير بمدينة سلا و في نفس الوقت في المسجد الكبير بمدينة الرباط و في يوم الاثنين 30 جوان أعلن كامل سكان سلا صيامهم. و في 4 جويلية أقيمت أول مظاهرة في جامع القرويين بمدينة فاس ثم تواصلت المظاهرات و الاحتجاجات في كامل الأيام طيلة شهرين العديد من المدن المغربية إلا أن أهمها كان في فاس و سلا و الرباط. و قد تظاهرت سلطات الحماية في أول الأمر بعدم اكتراثها للأمر و لكن تصاعد الاحتجاجات و توسع رقعتها الجغرافية و استمراريتهما أدى بها في الأخير للتدخل و قمع المتظاهرين. و قد كان ذلك بداية لمسار طويل من الأحداث. أنظر، أبو بكر القادري مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج 01، مصدر سابق، ص 52 - 53.

والمظاهرات. من أهمها الإصطدامات التي تمت يوم الجمعة 18 جويلية 1930 في هذه المدينة¹ وجاءت تسميتها في التقارير الأمنية الفرنسية بـ "أحداث مدينة فاس" وحملت سلطات الحماية مسؤوليتها "الشبان المغاربة الذين أدركوا أبعاد هذا الظهير"². واعتبرتها خطيرة جدا لأنها انتهت، وعلى غير العادة، بقائمة مطالب مرتبطة بمسألة الظهير. ولكنها كانت كذلك عميقة في أبعادها السياسية. ولذلك كانت تعبيرا عن بداية نشاط الحركة الوطنية المغربية. لقد تجاوزت هذه اللائحة المطلب الظرفي المرتبط بالظهير، وطرحت قضايا أخرى فيها الكثير من الدلالات السياسية المستقبلية³ ولذلك واجهت سلطة الحماية هذه الحركة الفاسية/المغربية بقمع و ترهيب بما اعتبرته "متناسبا" بعد تقييمها للموقف⁴.

لقد اعتبرت سلطات الحماية حركة أحداث الظهير البربري خطيرة خاصة بعد تواصل المظاهرات و تطور ردود الأفعال على الظهير البربري في الداخل. فقد وصلت الكثير من الأخبار حولها للسلطان الشاب محمد بن يوسف. الذي تدخل في الأول صورة غي مباشرة بدون أن يؤدي ذلك إلى توقيف الاحتجاجات⁵. ولذلك كان تدخله هذه المرة بصورة مباشرة باستقباله لوفد من مدينة فاس ترأسه وزير العدل سابقا عبد الرحمان القرشي، الذي استقال

¹ - بالرغم من كثرة المظاهرات و الاحتجاجات التي كانت يومية كما يرويها معظم الذي شهدوها و كتبوا عنها مثل الوزاني و الحاج حسن بوعباد و علال الفاسي و آخرون كثيرون. فقد عرف هذا اليوم تصعيدا كبيرا لعملية الاحتجاج على هذا الظهير في مدينة فاس نظرا لتحضيره سياسيا من طرف مجموعة من الوطنيين على رأسهم محمد حسن الوزاني و قيامهم بأول مظاهرة سياسية في تاريخ المغرب انتهت بسجن عدد من الوطنيين من بينهم الوزاني، ثم تشكيل وفد ليقدم عريضة إلى الملك محمد الخامس في أوت 1930. أنظر، الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص، 13.

² - Le Tourneau, Roger, Evolution politique du l'Afrique de Nord, op.cit, 32.

³ Ibid., p , 35.

⁴ - Georges Spillmann, Du protectorat a l'indépendance, op.cit., p, 53.

⁵ - أثناء الاحتجاج على الظهير البربري تم قراءة بيان في مختلف المساجد نسب إلى السلطان محمد ابن يوسف جاء فيه أن الظهير استجابة "لعوائد قديمة للقبائل البربرية يرجعون إليها في حفظ النظام، ويجرونها في ضبط الأحكام، وقد أقرهم عليها الملوك المتقدمون... وتمشوا على مقتضاها منذ مدة مديدة وسنين عديدة، وكان آخر على من أقرهم على ذلك مولانا الوالد قدس الله روحه اقتداء بمن تقدمه من الملوك، وإجابة لآمالهم وإصلاح لحالهم اقتضى نظرنا الشريف تجديد حكم الظهير المذكور... وقد قامت شردمة من صبيانكم الذين يكادون لم يبلغوا الحلم، وأشاعوا و لبس لما صنعوا، أن البرابرة بموجب الظهير الشريف تنصروا وما دروا عاقبة فعلهم الذميم وما تبصروا، فخرجت المسألة من دور التضرع والتعبد إلى دور التحزب والتمرد... فأمركم أن تلتزموا السكينة والوقار وأن ترجعوا إلى سلوك الجادة والاعتبار..." ونظرا لاستنكار المغاربة لهذه اللغة وهذا التهديد مما أدى إلى تزايد حدة الاحتجاجات فهناك من نفى أن يكون السلطان على علم بهذا البيان إنما من كتابة الصدر الأعظم محمد المقرئ الذي كان أداة طيعة في يد سلطات الحماية. أنظر أبو بكر القادري، مذكرات، ج ، 01، مصدر سابق ص 69.

في عهد والده السلطان يوسف بسبب هذه السياسة البربرية. وتعود قصة هذا الوفد إلى تفاقم الأزمة وتصاعد الحركة الاحتجاجية مما دفع بسلطات الحماية إلى إعادة تقييمها للوضع الذي كانت تعتبره في الأول "سحابة صيف سرعان ما تنقشع ويعود الصحو إلى سماء السياسة"¹. ولكن بعد المسار الذي عرفته الأحداث في مدينة فاس على وجه الخصوص منذ بداية أوت 1930، اتجهت إلى تهدئة الأمور بفتح حوار مع زعماء الحركة الاحتجاجية، الذين طالبوا بمقابلة السلطان باعتباره السلطة الشرعية بالنسبة للمغاربة وحتى بالنسبة لبنود اتفاقية الحماية مارس 1912 و للحد من موجة الاحتجاج وافقت سلطات الحماية على هذا المطلب وسمحت للجنة من الشبان المغاربة لمقابلة السلطان بتاريخ 26 أوت 1930². حيث ظهر عبد الرحمان ابن القرشي كخطيب مؤثر على السلطان المغربي بشرحه لخطورة السياسة البربرية على الشعب المغربي المسلم، وكيف أنها كانت سبب استقالته من منصبه في عهد والده السلطان مولاي يوسف.

وقد وصف أبو بكر القادري هذا اللقاء بأنه كان " حارا و مؤثرا في الوقت نفسه فتحدث عبد الرحمان القرشي في موضوع السياسة البربرية بكلام العارفين بخبايا السياسة الاستعمارية التي كان شاهدا على دسائسها و مكائدها... لقد تحدث بلغة العارف التقي الورع الوطني الذي لا تأخذه في الله لومة لائم فكان كلامه مؤثرا و كانت عباراته صادقة... حتى أن السلطان لم يستطع حبس دموعه و بدا عليه حزن و أسى"³. كما قدم هذا الوفد للسلطان لائحة من المطالب تضمنت "احترام سلطة السلطان الدينية و الدنيوية" و "إصدار ظهير مولوي يجعل من سائر الحواضر والبوادي خاضعة لحكم الشريعة الإسلامية" و "تنظيم المحاكم

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat à l'indépendance, op.cit., p. 56.*

² - وقع اختلاف في عدد أعضاء هذه اللجنة بين رواية عبد الكريم غلاب الذي يقول بثلاثة عشر عضوا تم انتخابهم من طرف أعيان المدينة بدون ذكر أسمائهم، استبعدت السلطات الفرنسية ستة منهم وهم: علال الفاسي، محمد الحسن الوزاني، عمر بن عبد الجليل، أحمد مكوار، حمزة الطاهري، أحمد بوعباد، أنظر، عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 71. في حين يرى الوزاني أن عدد الذين اختارهم الأعيان عشرة أعضاء هم الشيخ عبد الرحمان بن القرشي، محمد بن عبد السلام خللو، الهادي بن المواز، محمد بن المفضل بن جلون، إدريس بن محمد الوزاني، عبد الواحد الفاسي، محمد السديولي، عمر بن عبد الجليل علال الفاسي، محمد بن الحسن الوزاني، إلا أنه تم استبعاده مع علال الفاسي. و بقي الوفد بثمانية أعضاء. أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات ج 3، مصدر سابق ص 98. واتفق القادري مع رواية الوزاني في قائمة الأعضاء ولكنه اعتبر أن عمر بن عبد الجليل انسحب بعد استبعاد الوزاني و علال الفاسي. أنظر، أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج 01، مصدر سابق، ص، 71.

³ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج 01، مصدر سابق، ص، 71.

الشريفة وإصلاحها" و"توحيد برنامج التعليم في سائر المدارس لتعليم المغاربة سواء في المدن أو في البوادي و تعميم اللغة العربية التي هي لغة القرآن، و تعميم الدين الإسلامي" و" احترام اللغة العربية لغة البلاد الدينية و الرسمية في كامل الإدارات و خاصة المحاكم و عدم إعطاء أي لهجة من لهجات البربرية أي صفة رسمية و عدم كتابتها بالأحرف اللاتينية و" إيقاف حركة المبشرين على اختلاف مذاهبهم و منعهم من التجول في القبائل و حضور الأسواق و المواسم و منعهم من نشر أي شيء يمس بكرامة الإسلام و حرمة النبي، صلى الله عليه و سلم. ولا تعطى لهم من ميزانية الدولة الشريفة أي دعم لبناء الكنائس و مندييات التبشير و عدم السماح لهم بإحداث الملاجئ الأيتام و مراكز التكوين للبنات. و منع الرهبان من التدريس في المدارس الحكومية" و"عدم التعرض للفقهاء بالقبائل و إعطائهم الحرية للوعاظ و العلماء و شيوخ الطرق الصوفية و السماح لهم بالتجول في البلاد المغربية و تعليم الناس أحكام دينهم و حثهم على إقامة شعائره" و" اعتبار جميع السكان بالبلاد المغربية ما عدا الأجانب تحت رعاية السلطان. و خاضعين للمحاكم الشرعية و المخزنية التي تصدر الأحكام باسمه. و اعتبار جميع المغاربة مسلمين ما عدا اليهود" و" منح العفو العام لجميع المسجونين و المنفيين في سبيل هذه القضية و عدم التعرض لكل من خاض فيها"¹.

لقد كانت الاحتجاجات على الظهير البربري أول نشاط وطني قام به المغاربة لمواجهة نظام الحماية منذ نهاية حرب الريف. كما كانت أول موقف بالنسبة للسلطان الشاب محمد بن يوسف ثلاث سنوات بعد أن حل في مكان والده يوسف. فقد كان إمضائه على الظهير متسرعاً و لم يدرك حينها خطورة مضامين ذلك الظهير. كما أن المقيم العام "سان لوسيان" أراد شرعية شريفية للقانون، ولذلك حرص على ختم السلطان الذي كان "حامي ذمار (حرم) الدين"². و قد أدى ذلك إلى موقف مغربي وقف فيه المغاربة لأول مرة منذ الحماية، وجهها لوجه مع سلطانهم. و قدموا له لائحة مطالب تجاوزت تلك اللحظة الراهنة التي تمت فيها الاحتجاجات. و قد ظهر تأثيره الكبير بذلك الموقف و قد اعتبر علال الفاسي أنه من أهم مظاهر تأثير السلطان أنه وعد ذلك الوفد بدراسة مطالبه و الإبقاء عليه في الرباط بضعة أيام حيث كان محل تكريم حتى من

¹ - لقد أورد أبو بكر القادري صورة عن تلك اللائحة التي تم تلاوتها أما السلطان و تضمنت كل المطالب التي كان عددها ثلاثة عشر مطلباً (13) أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق، ص75 - 76.

² - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق، ص178.

طرف السكان قبل أن تلزمه الإدارة الفرنسية بالرجوع إلى فاس ويلقى القبض على كامل أعضائه¹. و قد كان ذهول السلطان كبيرا من خلال ما سمعه من أعضاء الوفد من خطورة السياسة البربرية على وحدة المغرب امة ومجتمعا، وحتى سلطة، جعلته "يصاب بالصدمة من هول الموقف ولم يعد يثق في الإدارة الفرنسية. وأصبح متحفزا من أي إصلاح تقترحه عليه"² لقد ظهر أن السلطان محمد بن يوسف تعرف لأول مرة على حركة الشبان المغاربة وموقفهم من منظومة نظام الحماية الفرنسية، وسيكون لهذا الاحتكاك الأولي آثاره في المستقبل. عندما أصبح زعيما وطنيا. وتحول حتى بالنسبة لهؤلاء الشبان إلى ضرورة إستراتيجية للتحرر من هذا النظام حينها هم الذين سينطوون تحت المشروع السلطاني للتحرر الذي حمل شعار " ثورة الملك الشعب"³.

أما في الخارج فقد ظهر أن لحركة الاحتجاج على الظهير البربري امتدادات هامة. فقد اعتبرت البلاد العربية الإسلامية نفسها معنية بالدفاع عن المغاربة باعتبارهم جزء من جسم الأمة العربية الإسلامية. و قد حضر هذا المعطى عند الحركة الوطنية المغربية التي أرسلت ممثلا عنها إلى المشرق لشرح خطورة هذا الظهير على أنه لا يهدد المغاربة لوحدهم فقط ولكنه تهديد كذلك لكامل المسلمين من طنجة إلى جاكرتا⁴. وبسرعة أصبحت "القضية البربرية" مدخلا لطرح القضية المغربية من خلال شخصيات عالمية مثل الشيخ محمد رضا و الأمير شكيب أرسلان⁵. والفرنسي "جان روبر لونكي" صاحب مجلة "مغرب" الذي نقل القضية المغربية إلى باريس نفسها حيث طرحت السياسة البربرية كانهراف خطير لمبادئ الثورة الفرنسية "حرية، مساواة إخاء"⁶. و قد قام الطلبة المغاربة والشبان المغاربة بصورة عامة بنشاط مكثف لكشف السياسة البربرية في المغرب. وعرفت هذه الفترة اتصالات مكثفة بين الشبان المتواجدين الداخل المغربي والمتواجدين في باريس على وجه الخصوص من أجل "استنهاض

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 167.

² - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance, op.cit., p. 60.*

³ - سيتم التطرق لدور السلطان محمد بن يوسف و تحوله إلى زعيم وطني في الفصول لقادمة.

⁴ - يتعلق الأمر بالحاج الحسن بوعباد الذي كتب حول النشاط في كتابه المشهور "الحركة الوطنية والظهير البربري، لون آخر من نشاط الحركة الوطنية في الخارج" الصادر سنة 1979.

⁵ - تم التطرق لدور شكيب أرسلان في الفصل السابق

⁶ - تم التطرق لهذا في الفصل السابق

أحرار فرنسا كي يقوموا بواجبهم في مناصرة الشعب المضطهد"¹.و من أهم نتائج هذا النشاط التواصل بين الشبان المغاربة في المغرب و باريس صدور كتاب في منتصف عام 1931 أثار ضجة كبيرة رغم صغر حجمه عنوانه "عاصفة بالمغرب، أو أخطاء سياسة بربرية"² تحت اسم مستعار يحمل اسم مستعار "مسلم بربري"³. ويبدو أن سبب هذه الضجة ليس في مضامينه فقط التي كانت جريئة جدا، و لكنه لأنه كشف مظهر من الفكر الاستعماري الفرنسي في عقر داره والمتمثل في السياسة البربرية، ليس فقط في المغرب و لكن حتى في الجزائر و تونس، و قد تم ذلك أمام "أحرار فرنسا"⁴.

كما كانت الحملة المضادة على الظهير نشاطا صحفيا خارجيا مكثفا في المشرق العربي و خاصة في مصر. من خلال العديد من الجرائد و المجلات. فمجلة "المنار" خصصت مجموعة كبيرة من أعدادها للحديث عن أوضاع المغرب وما هددته من أخطار ناتجة عن السياسة البربرية العنصرية⁵. أما جريدة "الفتح"، لصاحبها محب الدين الخطيب، فقد كانت أول جريدة

¹ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج01، مصدر سابق، ص، 90.

² - تضمن الكتاب مقدمة تاريخية حول السياسة البربرية ثم مضامين ظهير 16 ماي 1930 و موقف الشعب المغربي منه، و صداه في العالم الإسلامي من خلال ما نشرته عدد من الصحف من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، حول القضية البربرية أمام الرأي العام الفرنسي و ما كتبه بعض الصحف الفرنسية و مجلة "مغرب" على وجه الخصوص، وأخيرا فصلا متضمنا الحلول لهذه المعضلة تحت عنوان "الدواء". و خاتمة. أنظر، أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج01، مصدر سابق، ص، 91.

³ - و وقع اختلاف حول صاحب هذا الكتاب. فقد ذكر القادري أن الجماعة في باريس أبلغته أن الكتاب ألفه مجموعة من الشباب الوطني في طليعتهم المرحوم عمر بن عبد الجليل. أنظر، أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج01، مصدر سابق، ص، 90. أما الوزاني، و بالرغم من أن هناك من يعتبره صاحب مشروع الكتاب فإنه لم يشر إلى كاتبه و اكتفى بقوله أن "الحركة الوطنية المغربية المضادة للسياسة البربرية فكرت في ضرورة القيام بالتعريف بها بشكل يجعلها مفهومة في حقيقة أمرها لدى الرأي العام الفرنسي الذي ضلته كثير من الصحف و المطبوعات و الكتب المغرضة بأقلام دعاة تلك السياسة" أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات ج3، مصدر سابق ص، 178. و قد جاء في كتاب الطيب بنونة أن الأمير شكيب أرسلان اقترح على الحاج عبد السلام بنونة في رسالة له تقييد المسألة البربرية بجمع كل أدلتها و تحويلها إلى كتاب أبيض تحت عنوان "الحادث الأكبر في محاولة الفرنسيين تنصير البربر" و ترجمته إلى لغات أوروبية و شرقية. أنظر، الطيب بنونة، نضالنا القومي، مصدر سابق، ص، 370. في حين ذكر "جورج أوفيد" أن الاستعلامات الفرنسية اعتبرت محمد الفاسي صاحب الكتاب. و ذكر أنه في سنة 1971 أخبره أحد الوطنيين المغاربة و هو محمد الخلطي أن الفكرة كانت لأحد الصحفيين اليساريين و هو "دانيال غيران". الذي كان يكتب في مجلة "موند". ثم وصل إلى خلاصة أن الكتاب كان نتيجة عمل جماعي للوزاني و بلافريج و محمد الخلطي و محمد الفاسي. أنظر،

Georges Oved, *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p, 373.*

⁴ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج01، مصدر سابق، ص، 91.

⁵ - الحاج الحسن بوعياد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص، 25.

تطرقت لهذا الظهير وتتبع تفاعلاته بين ماي وسبتمبر 1930. حيث كتبت كثيرا عن خطورة هذا الظهير وأخطاره المحدقة بالمغرب والأمة الإسلامية. و قد جاء في إحدى مقالاتها "هذا هو الظهير الذي كان مكان دهشة العالم الإسلامي وتعجب العقلاء من صدوره عن دولة تزعم أنها تحمل لواء المدنية والعلوم وجاء هذا الظهير ليحطم أسطورتها هذه ويقيم العالم الإسلامي ويقعده ضدها"¹. كما جاء في أعداد أخرى عدة مقاطع نثرية وأبيات شعرية للتعبير عن المصيبة التي حلت بالمغرب الأقصى والعالم الإسلامي². و قد أدى ذلك إلى منع دخولها إلى المغرب. و قد جاء في احد أعدادها حول هذا المنع ما يلي "قرروا منع الفتح من دخول المملكة الشريفة، وكيف لا يمنعونه من دخولها وقد صار يصل إلى كل منزل من مدينة من مدائن المغرب الأقصى، وصار أضعاف أضعاف الصحف المحلية التي تطبع هناك"³. كما كتبت صحف أخرى حول هذا الموضوع مثل مجلة "الشورى" لصاحبها محمد علي الطاهر و "الهداية الإسلامية" وغيرها من الصحف و المجلات التي تبنت القضية البربرية و اعتبرتها مسألة تهم كامل العالم العربي و الإسلامي⁴.

كما كان للعديد من الجمعيات الإسلامية في المشرق العربي دورا كبيرا في كشف حقيقة الظهير البربري مثل جمعية "الشبان المسلمين" و "جمعية اللواء الإسلامي" و "الدفاع عن المسلمين المغاربة" و جمعية "الهداية الإسلامية"⁵. ومن المؤسسات الدينية التي كان لها دور في دعم المغاربة في محنتهم هذه جامع الأزهر الذي أصدر الكثير من البيانات التي كشفت السياسة البربرية في المغرب وسمحت بتلاوة "اللطيف" في رواق المغاربة بمسجد الأزهر⁶. وفي سنة 1931 مثل كل من مكي الناصري ومحمد بن نونة القضية المغربية في مؤتمر

¹ - الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق ، ص ، 10.

² - مما جاء في هذا السياق قصيدة لمحمد صادق عرنوس الملقب بشاعر المسلمين وصدرت على مجلة "أعمدة الفتح" تحت عنوان "مصيبة تصغر دونها المصائب" أنظر، الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص، 34. جاء فيها:

واحسرتاه على صوت يصيح بنا	لدفع ما هو فيه من بليات
لبيك تلبية المصدور يرسلها	أسى ووجدا وترجيحا وآهات
صوت من المغرب الأقصى شكايته	غريبة بين أنواع الشكايات
شعب يكلف أن ينسى عقيدته	بذاك يحكم فيه الظالم العاني!!

³ - الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص، 24.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3 ، مصدر سابق ص 161.

⁵ - الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص، 140.

⁶ - المصدر نفسه، ص79.

الخلافة الإسلامية بالقدس ونقلنا إليه خطورة فحوى هذه السياسة، فأصدر المؤتمر بندا خاصا بالمغرب يدين فيه السياسة الفرنسية العنصرية الصليبية في المغرب¹. كما كانت عصبة الأمم منذ سنة 1930 حتى سنة 1934 محل مراسلات احتجاج من طرف جمعيات وشخصيات إسلامية لوقف ما تقوم به فرنسا من سياسة عنصرية في المغرب².

لقد اعتبر "جورج سبيلمان"، الذي رأى أن قمع سلطات الحماية للوطنيين المغاربة أثناء الاحتجاج "سياسة مطلوبة ومتناسبة مع الموقف العام"³، أن حركة الاحتجاج الداخلية لقيت تشجيعا كبيرا من الخارج بشكل لم تكن سلطات الحماية في الرباط تتوقعه. و لا حتى الحكومة الفرنسية في باريس. و أوعز ذلك إلى انه في تلك الفترة كل الرياح في الخارج هبت ضد المصالح الفرنسية. فبالموازاة مع إصدار الظهير البربري في 16 ماي 1930 قام الفرنسيون بنشاط خارجي استفزازي تمثل في احتفالهم الاستعراضي في الجزائر بالذكرى المئوية للاحتلال. و كذلك في انعقاد المؤتمر الأفخاريستي بقرطاج في تونس بين 7-11 ماي 1930 الذي أحيى هو الآخر مرور نصف قرن على الاحتلال الفرنسي لتونس. و كل ذلك كان لصالح المشاعر المعادية لفرنسا. و بصورة خاصة في العالم العربي الإسلامي⁴. و لذلك " يجب الاعتراف أنه أصبح من الصعب الدفاع عما تقوله سلطات الحماية بأن هذه الاحتجاجات ضد الظهير البربري في الداخل والخارج محدودة التأثير. وأنها لا تؤثر على مستقبل الوجود الفرنسي في المغرب، و في شمال أفريقيا، الذي أصبح غامضا ويطرح أكثر من سؤال في الرباط و تونس و الجزائر و حتى في باريس"⁵.

وبالرغم من أن الزاوية التي طرح بها " سبيلمان " لهذه القضية كانت كولونيالية بحتة فإنه أدرك خطورة ما قامت به فرنسا في سنة 1930 بأنه كان استفزازا لمشاعر العرب و المسلمين في المغرب العربي. و العالم العربي الإسلامي عامة. فعندما احتفل قساوسة الكنيسة الكاثوليكية في المؤتمر الأفخاريستي بقرطاج في ماي 1930 " تذكر التونسيون مأساة الأندلس

¹ - المصدر نفسه، ص 174.

² - الحاج الحسن بوعباد، الحركة الوطنية و الظهير البربري، مصدر سابق، ص 313.

³ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance, op.cit., p. 53.*

⁴ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance, op.cit., p. 61.*

⁵ - *ibid.*

التي أصبحت في شمال أفريقيا.و كذلك بالحملة الصليبية التاسعة¹.و كذلك عندما احتفل الفرنسيون بمئويتهم في الجزائر في سنة 1930 فإنهم " فتحوا جروحا قديمة و وجهوا ضربة مصدمة إلى شهامة الغنصر (الجزائري) المقهور مرة ثانية.و قد دفعوا بمهرجاناتهم و أفراحهم و استعراضاتهم غير الضرورية،الجزائريين إلى أن يضغطوا بقوة من أجل حقوقهم و أن يشدوا أحزمتهم استعداد لجولة جديدة مع فرنسا" على حد تعبير أبو القاسم سعد الله².

لقد تحولت قضية الظهير البربري إلى قنبلة،على حد تعبير"روبير مونتاني"³.لأنها فجرت موقفا كان بصدد التحضير منذ سنة1925.فمنذ تلك الفترة بدأ الشباب المغربي،سواء المنتمي للتيار التقليدي السلفي الإصلاحى الداخلى،أو المنتمي للتيار الليبرالى الخارجى،فى البحث عن قنوات جديدة للتعبير عن مطالب الحركة الوطنية المغربية،فأسسوا الجمعيات الثقافية والنوادي وانتقلوا إلى باريس للبحث عن آليات جديدة للتعبير حتى يكون لهم مكان تحت الشمس في المغرب.لذلك ظهروا بشكل مختلف جذريا وملفقا للنظر.لقد ولد مغربا جديدا مختلفا عن المغرب القديم/المريض.سواء من حيث موقفه من نظام الحماية،أو من حيث وسائل التعبير عن ذلك لأن الاحتجاجات التي عرفتھا المدن المغربية أكدت على أن هناك رؤية مستقبلية،و تحضيرا على المدى البعيد لموقف وطني شامل من الحماية.و ليس لسياسة من سياساته⁴ فلأول مرة تم إدانة هذا النظام بشكل علني في الداخل والخارج وشهدت مدينة فاس نفس "الأيام الدموية"التي حدثت سنة1912.لقد انتهت الاحتجاجات ضد الظهير البربري بقمع فرنسي للمغاربة كعادة "فرنسا المعاندة"⁵.و لكنها كانت فاتحة عهد كفاح جديد للمغاربة في الداخل والخارج.و بغض النظر عن طبيعة أحداث القضية البربرية إن كانت منظمة⁶،أو غير

¹ - مما جاء في تقارير مكتب الأخبار التونسي الذي اعتبر هذا المؤتمر ظاهرة مريبة في السياسة الاستعمارية في شمال أفريقيا.انظر، محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص،261.

² - أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية،ج03، مرجع سابق،ص،328 .

³ - Robert Montagne, La crise nationaliste au Maroc, in , "Politique étrangère", 2eme année n 06, décembre1937,p07

⁴ - Robert , Montagne ,La crise Nationaliste Au Maroc op.cit p ,12.

⁵ - أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية،ج03، مرجع سابق،ص،316 .

⁶ - اعتبر بعض من كتبوا حول القضية البربرية أنه تم تنظيمها من طرف منظمة " الرابطة المغربية " التي تأسست في أوت 1926 مباشرة بعد حرب الريف.أنظر، محمد ضريف،الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق،ص،62.

ذلك¹. فقد تكون شعور عام بأن هناك تصعيدا للموقف الاحتجاجي لحركة الشبان المغاربة في شكل أكثر تنظيم وتعبئة. وهذا ما أثبتته تطور الأحداث في أعقاب حركة الاحتجاج عندما انطلقت الحركة الوطنية المغربية في حركية منظمة و نظامية.

¹ - اتفق صانعوا هذا الحدث على عدم وجود سابقة تنظيمية لحركة الاحتجاج على الظهير. وهذا ما ذهب إليه محمد حسن الوزاني بقوله "وقتما قامت حركة اللطيف احتجاجا على الظهير البربري الصادر في 16 مايو 1930 لم تكن مدبرة من أية منظمة أو هيئة". أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 298. ونفس الرأي يقول به عبد الكريم غلاب بقوله "وبحثت كل جماعة بكل مدينة في غير نظام العام الذي يجب أن يكون ردا على هذا الظهير". أنظر، عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 69. أما علال الفاسي فلا يشير لذلك لا بالنفي أو التأكيد و اكتفى بقوله "وطبيعي أن لا تقف كتلة الشباب إزاء هذه التدابير مكتوفة الأيدي" أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 165.

2 . التنظيم السري : "الزاوية" و "الطائفة":

اعتبر عبد الكريم غلاب أن الفترة التي تلت حركة الاحتجاج على الظهير البربري، و قمع سلطات الحماية لها تعتبر "فترة إخصاب"¹، لأنها سمحت للحركة الوطنية المغربية الناشئة أن تنتقل إلى مرحلة أخرى من مراحل مقاومتها لنظام الحماية. فبالرغم من أن هذه الحركة الاحتجاجية لم تأتي بنتيجتها المباشرة المتمثلة في إلغاء الظهير البربري لـ 16 ماي 1930²، إلا أنها استطاعت أن تنقل الوطنية المغربية إلى وضعية أخرى اختلفت عن الأولى جذريا من حيث آلياتها وأساليبها، وحتى من حيث أهدافها. فقد أصبحت هذه الأخيرة أكثر شمولية و وضوحا عما كانت عليه في السابق. لأنها انتقلت من مقاومة السياسة البربرية الفرنسية من خلال ظهيرها الأخير إلى لفت نظر المغاربة للمسألة الوطنية. و دفعتهم نحو التكتل حول فكرة وطنية محددة. وبعثتهم على النضال في سبيلها³.

لقد استنفذت هذه الحركة مخزونها النضالي الآني الذي كان مرتبطا بحيثيات الظهير البربري. كما أنها نجحت في تعبئة مجتمع المدن المغربية الكبرى مثل فاس وسلا والرباط والدار البيضاء ومراكش والقنيطرة وغيرها من المدن. و استطاعت إحداث قطيعة بين مرحلة العشرينات من القرن العشرين، التي كان المغاربة أثنائها في الريف والصحراء والأطلس المتوسط يسعون لطرد المحتل بلغة السلاح، ومطلع الثلاثينات التي استطاع فيها الشبان المغاربة توحيد مجتمع المدن حول مشروع وطني بمضمون تحرري لتعويض الإحباط النفسي الذي أصاب المغاربة بعد هزيمة عبد الكريم الخطابي سنة 1926. وانتقلت بذلك المقاومة من البادية إلى المدينة، ومن المسلح إلى السياسي. و قد أصبح هذا الأخير يبحث عن آليات جديدة لمواجهة نظام الحماية في مرحلة ما بعد الظهير البربري. وقد كان يفترض أن تكون وسائل هذه المرحلة في مجملها سياسية باعتماد برنامج يجمع بين التنظيم الأفقي بتوسيع المجال الجغرافي لهذه الحركة الوطنية الناشئة حتى يشمل المزيد من الأوساط الحضرية المغربية في الجنوب و الوسط والشمال. أما تنظيمها العمودي فقد يسعى لتعميق المطالب الوطنية التي

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 75.

² - بالرغم من إلغاء الفصل السادس من الظهير البربري لسنة 1930 ، الذي كان أخطر فصل فيه ، في سنة 1934 فإنه بقي العمل ببقية مضامينه إلى غاية استقلال المغرب حيث تم في 16 ماي 1956 بظهير شريف من إمضاء السلطان محمد بن يوسف. أنظر،

أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق ، ص، 124.

³ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 76.

ظهرت لأول مرة أثناء الاحتجاج ضد الظهير البربري. فظرفية هذه المطالب لم تكن تسمح لبقائها بشكل مستمر. و قد كانت "السلفية الجديدة" محورا أساسيا لهذا البناء. لأنها كانت أكثر قدرة على التعبئة. وعلى العمل الجماعي والحركة. وكانت عناصرها كذلك أكثر استعدادا للاصطدام مع نظام الحماية. و كانت لها قدرة كبيرة على فرز قيادات وطنية أظهرت قدرتها التعبوية أثناء الاحتجاج ضد الظهير. فأثناء أحداث السياسة البربرية تشكلت كل الشروط الموضوعية للمواجهة بين الشبان المغاربة و نظام الحماية¹.

لقد سمحت بنود هذا البرنامج في التقاء الجماعات وتوحيد الحركة بعد أن كانت كل واحدة معزولة في كل مدينتها. كما أدت لتكوين الخلايا ونشر الحركة بين أفراد الشعب و مواصلة دروس التوعية العامة والخاصة. وإنشاء الصحف للتعبير عن هذا المضمون الجديد للوطنية المغربية. وأخيرا الاتصال بالسلطان المغربي لإخراجه من دائرة وصاية سلطات الحماية الفرنسية. خاصة بعد نجاح تجربة أوت 1930². فأثناء الاحتجاج على الظهير البربري حدثت اتصالات متعددة بين مختلف الجماعات التي تشكلت في العشرينات في العديد من المدن المغربية مثل فاس والرباط وسلا و تطوان و طنجة. و قد كان ذلك من مظاهر تصاعد الوعي الوطني³. وإذا كانت تلك الاتصالات قد سمحت بالتنسيق الكبير في مواجهة الظهير البربري فإنها تطورت فيما بعد لتصبح ذات هدف أوسع وأشمل، تمثل في بحث الحركة الوطنية عن ذاتها وعن انطلاقة نظامية وتنظيمية لها. خاصة وأن تلك الجماعات حافظت على تلك الاتصالات حتى بعد سنة 1930 في صيغ مختلفة. و بالرغم من وجود ملامح برنامج سياسي لهؤلاء الشبان المغاربة الذين احتجوا ضد الظهير البربري، فإنه لم يتمكنوا من تأسيس هيئة تستوعب تلك الحركية والروح الجديتين الناشئتين. ولذلك تحولت هذه الهيئة وذلك البرنامج الوطني التحرري إلى مقصدين جديدين للشبان المغاربة للحفاظ على تلك الدينامكية الجديدة⁴.

فالظهير البربري استطاع أن يحقق وحدة بين الرجال والأفكار. وقد تكتل الشبان المغاربة حول رفض السياسة البربرية و تنصير الأمازيغ. و بالرغم من أن سلطات الحماية سعت لإقناع

¹ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية بين السلفية المجددة و السلفية الجديدة، مرجع سابق، ص 317.

² - المقصود به ذلك اللقاء الذي تام بين الوفد المغربي الذي تأسس عقب الاحتجاج ضد الظهير البربري و السلطان محمد بن يوسف و قد قدم له لائحة مطلبية مفصلة. و تم التطرق إليه سابقا.

³ - تم التطرق إليه سابقا في عنصر عوامل نشأة الحركة الوطنية المغربية.

⁴ - Rèzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 68.

هؤلاء الشباب بتأويلهم الخاطئ لمضامين الظهير البربري. إلا أنهم أصروا على تلك القراءة لأنها سمحت لهم بالتكتل حول برنامج "السلفية الجديدة". و قد كانت مسألة الهوية العربية الإسلامية للمغرب من أهم بنوده. في حين تم التجاوز في حقه من طرف نظام الحماية في سنة 1930¹. لكن بالرغم من توفر عوامل الوحدة البشرية والفكرية، إلا أن تأسيس هيئة تنظيمية لتعبر عن هذه الوحدة، وتجسد تلك الأفكار في برنامج منسجم بقيت ورشة مفتوحة أمام الشبان المغاربة². ولكنهم لم يتوقفوا عن التعبير عن رغبتهم الملحة لتجسيدها ميدانيا فهؤلاء أدركوا اتفاقهم المبدئي منذ سنة 1930 وكان عليهم التكتل في تنظيم موحد والتعبير عن برنامج وطني واضح ومنسجم و واقعي. وهذا ما ستؤكدده الأحداث فيما بعد³. و هذا ما عبر عنه القادري في مذكراته بقوله "أن الفكر الوطني بعد سنة 1930 عرف تطورا، فلم يعد مركزا على مقاومة الظهير البربري، ولكن أفكار الشبان المغاربة اتسعت ونضجت، وأصبح الاتصال بين هؤلاء الشبان الموزعين في مختلف المدن المغربية ضرورة نضالية للخروج بتصور مشترك لكيفية مواجهة نظام الحماية ليس في شق سياسته البربرية فحسب، بل في كامل منظومته الاستعمارية"⁴.

ويعتبر شارل أندري جوليان أن الوطنيين المغاربة خلال حملة 1930 حققوا عدة مكاسب داخلية و خارجية. فلأول مرة تم إدانة نظام الحماية في المغرب عالميا، ومن مختلف الأطراف العربية الإسلامية، وحتى الفرنسية. وإذا كان هؤلاء الوطنيين قد قدروا هذا المكسب في ظرفيته، فإنه كان عليهم أن يستغلوه بما يخدم مرحلة ما بعد 1930. فلا يمكن لأحد أن يسمع أصواتهم الوطنية في المغرب والعالم، وحتى فرنسا، إلا إذا خرجوا من فراغهم التنظيمي والنظامي. و أصبح لهم هيئة سياسية و برنامج⁵. لقد كانت مهمتهم الأساسية ثنائية، أولا في

¹ - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية بين السلفية المجددة و السلفية الجديدة، مرجع سابق، ص 317.

² - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 68.

³ - *ibid.*, p 69.

⁴ - ذكر أبو بكر القادري تفاصيل اتصاله بجماعة فاس والرباط بقوله: "وهكذا كنت أزور الأخ محمد اليزيدي كل يوم خميس أتذاكر معه فيما جد من أحداث، وآخذ رأيه في بعض القضايا التي تعرض لنا. كما كنت أزور الشيخ محمد مكي الناصري بمقره ببوقرون فأستفيد من معلوماته و نعلق على بعض الأحداث... ولم تكن جماعتنا الوطنية بسلا مرتبطة بأي جماعة وطنية أخرى سواء بفاس أو غيرها. و إنما كانت هناك اتصالات و مذكرات تعاون في بعض الأحيان..." أنظر، أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج 01، مصدر سابق، ص، 130.

⁵ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit., p 170.

صياغة برنامج وطني تحرري أكثر شمولية مما كان عليه في السابق، وثانيا بإنشاء هذه الهيئة التي ستستوعب هذا البرنامج و تطبقه في أرض الواقع¹. و قد كان لهم الكثير من الفرص لتحقيق ذلك. خاصة وأن الشباب المغاربة الذين تكونوا في "الحي اللاتيني" بباريس حصلوا على الكثير من التجربة السياسية التعبوية بفعل احتكاكهم بالأحزاب الاشتراكية التي تعاطفت معهم واحتضنتهم نضاليا، ودفعتهم للإقتداء بتجربتهم التنظيمية التي تحولت إلى مصدر إلهام للحركات الوطنية في المغرب العربي، كما قام بذلك مصالي الحاج عندما أسس في فرنسا نجم شمال إفريقيا سنة 1926².

و قد اعتبر الوزاني أن حركة اللطيف، وبالرغم من تعبئتها الواسعة للمغاربة، فإنها لم تستطع أن تملأ ذلك الفراغ التنظيمي الذي كانت تعيشه الحركة الوطنية المغربية. فقد كانت عبارة عن تلاوات وأدعية في المساجد بعد كل صلاة. ثم مهرجانات خطابية في الساحات العمومية. بدون أن يتم توجه هذه التعبئة تنظيميا بما يضمن فاعليتها. و " هذا ما دفع بالشبان المغاربة الإقدام على محاولة الانتقال من الوضع الأول إلى وضع تزود فيه الحركة الناشئة بشيء من التنظيم والتوجيه"³. ومن هنا بدأ التفكير في ملء هذا الفراغ مسابقة للظروف. وتماشيا مع الإمكانيات البشرية الهائلة التي أفرزتها الاحتجاجات على الظهير البربري⁴.

مما سبق فإن سنة 1930 تعتبر بالنسبة للحركة الوطنية المغربية محطة مفصلية على مستويين على الأقل، أولا فقد كانت بداية رسمية وفعلية لمقاومة المدن التي حلت محل البادية، فقد تحولت مدن مغربية مثل فاس وسلا والرباط والقنيطرة و تطوان و طنجة... إلى مراكز وطنية تحررية بامتياز. وثانيا باعتبارها كانت بداية شكل جديد من أشكال المقاومة الوطنية، فبعد فشل مقاومة الريف سنة 1926 عرف المغرب مقاومة أخرى تضمنت نفس أهداف ثورة الريف، ولكنها اختلفت معها في الوسيلة التي كانت سلمية غير مسلحة. و كذلك في جغرافيتها حيث أصبحت المدينة مجالها الحيوي. و كل ذلك زاد في تعقيد الأوضاع بالنسبة لنظم الحماية. فقد صرح المقيم العام " سان لوسيان " أثناء إعلانه عن الظهير البربري في الإقامة العامة أن عام 1930 سيكون فاصلا في تاريخ تطور السياسة الفرنسية في المغرب. و

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit., p ,170

² - *ibid.* p , 171.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3 ، مصدر سابق ص 299.

⁴ - المصدر نفسه.

قد أصاب في ذلك كثيرا و لكن بتحويلها إلى "سنة عدائية"¹ بالنسبة لفرنسا ليس في المغرب فحسب و لكن في كل منطقة المغرب العربي².

أما في المغرب وعندما كانت الحركة الاحتجاجية ضد الظهير البربري في أوج أيامها،و للتخفيف من حدتها،و خاصة من أجل استيعابها،قبلت سلطات الحماية بمبدأ تدخل المؤسسة الملكية بصورة مباشرة،بعدما فشل التدخل الأول غير المباشر.بالإضافة انه كان هذا مطلباً وطنياً لزعماء الاحتجاج.فقبلت به سلطة الحماية من حيث المبدأ و لكنها أفرغته من محتواه الحقيقي من خلال أجرأته الميدانية.فحفاظا على الطابع الشكلي لمهمة هذا الوفد،ولضمان توقيف حركة الاحتجاج بصورة نهائية،رفضت وجود عدد من الأعضاء ضمن هذا الوفد الذي ترأسه عبد الرحمان ابن القرشي واستقبله السلطان يوم22 أوت 1930.فتم إبعاد كل من علال الفاسي و محمد حسن الوزاني و عمر بن عبد الجليل³.إلا أن هؤلاء المبعدين و في اليوم الموالي لإبلاغهم رفضهم في هذه اللجنة اجتمعوا سرا يوم23أوت1930 في مدينة فاس مع مجموعة أخرى من الوطنيين ليصبح عددهم عشرة⁴ وأقسموا على مواصلة كفاحهم وأسسوا تنظيمين سريين عرفا تحت اسم "الزاوية"،و"الطائفة"⁵.

بالرغم من أهمية هذه الخطوة التي اتخذها هؤلاء الشبان المغاربة بتأسيسهم لهذا التنظيم السري،لم يكن هذه أول مرة اعتمد فيها هؤلاء على العمل التنظيمي السري.فبعد الحرب العالمية الأولى ظهر هذا التوجه لدى بعض الشباب المغربي برغبته في تنظيم صفوفه و

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p, 61.

² - ليس بالصدفة أن تتأسس جمعية علماء المسلمين سنة 1931 كرد فعل على الاحتفال المتوي.انظر، أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية،ج03، مرجع سابق ، ص، 440 . وفي تونس ذكر الحبيب بورقيبة في مذكراته أن المؤتمر الأفخارستي المنعقد سنة 1930 كان سببا في دفع نضاله إلى الأمام لأنه رأى بمرارة كيف أن الأوروبيين يحتفلين بأزياء صليبية كانوا يتجولون بكل حرية في مدينة تونس المسلمة.أنظر فيصل الشريف و آخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية،مقاربة،1881 - 1964 ، جامعة منوبة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس، 2008 ، ص، 78 . أما في المغرب فإن ما بعد الظهير البربري أكد هذا الاتجاه.

³ - يتمثل المبعدون من الوفد في علال الفاسي،محمد حسن الوزاني، والتحق بهم عمر بن عبد الجليل بمحض إرادته.

⁴ - قدر عددهم بعشرة واتخذوا أسماء مستعارة من أسماء الصحابة تيمنا بهم و يتمثل هؤلاء في علال الفاسي الذي ستنار اسم (عمر) و محمد حسن الوزاني(عثمان) المبعدين من اللجنة التي اختيرت للقاء السلطان محمد بن يوسف بالإضافة إلى سبعة آخرون هم: حمزة الطاهري(أبو بكر)،الحاج العربي بوعياذ(علي)،أحمد بوعياذ(سعد)،الحاج الحسن بوعياذ(سعيد)،عبد القادر التازي (طلحة) ،محمد الديوري(الزبير)،عبد الرحمان برادة(عبد الرحمان بن عوف)،أحمد مكوار(أبو عبيدة).أنظر، أبو بكر القادري،مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية،ج01، مصدر سابق ، ص، 137.

⁵ - علال الفاسي،عقيدة وجهاد،المطبعة الاقتصادية،1960،الرباط،ص ، 9 - 11.

تمتين روابطه و تحديد اتجاهاته باعتماد أساليب خفية.و قد ظهر أن هؤلاء الشباب تأثروا كثيرا بما سمعوه و قرؤوه عن فاعلية تلك التنظيمات في بعض الدول.و ما حققته من نتائج.و قد كانت الأحداث التركية رائدة في ذلك من خلال أخبار حركة تركيا الفتاة و الانقلاب التركي الذي سجلته و خلده أعلام كتاب كبار كانوا من دعاة النهضة الوطنية في الشرق العربي و الإسلامي¹.و قد كانت المقاومة الريفية دافعا لهؤلاء للسير في هذا المنحى.فقد أحدثت هذه المقاومة تصعيدا نفسيا كبيرا لدى المغاربة و الشباب منهم على وجه الخصوص.و قد عبر هؤلاء عن ذلك الاعتزاز بما حققته من مكاسب عسكرية بتأسيسهم لعدد من الخلايا لبث مبادئها و كسب أنصارها في مختلف أنحاء المغرب.فقد كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم من عمق مقاومة الخطابي. و لذلك نشروا أفكارها و مبادئها و أسسوا لها مثل هذه الجمعيات لتدعيمها بما يلزم من رجال و وسائل للسير بها إلى الأمام و للخروج بها عندما يحين الوقت و تسمح الظروف إلى ميدان العمل الصريح و الكفاح العلني².

جاء في تقارير سرية أرسلتها سلطات الحماية في 17 ديسمبر 1923 إلى حكام الأقاليم في مختلف أنحاء المغرب أن هناك جمعية سرية تحمل اسم "المغرب الجديد" تقوم بالدعاية لثورة الريف و لزعيمها عبد الكريم الخطابي³.و أن هدفها الأساسي هو العمل على استقلال المغرب شمالا و جنوبا. و جاء في هذا التقرير كذلك أنه لها رمزا تمثل في نجمة خماسية كتب في وسطها عبارة " الله ينصرنا على الكفار" وطالب التقرير حكام الأقاليم بالبحث عن آثار هذه الجمعية في تراب أقاليمهم من خلال متابعة أنشطة الشبان المغاربة⁴.و بالنظر إلى تاريخ إنشاء هذه الجمعية فإنه يمكن اعتبارها أول هيئة تنظيمية سرية أسسها الوطنيون المغاربة

¹ - يعتبر الوزاني الوحيد الذي قدم في مذكراته معلومات دقيقة حول العمل السري في فترة العشرينات.فقد كان من مؤسسي عدد منها و نشط في العدد الآخر. لذلك سنعتمد بصورة كبيرة على ما جاء به من معطيات حول هذا الجانب.أنظر، محمد حسن الوزاني،مذكرات،ج1، مصدر سابق ص 359 - 371. و من المفارقات أنه بحد ذاته تناول هذا الإهمال المتعمد لهذه الجمعيات من طرف زعماء الحركة الوطنية المغربية الذين كتبوا مذكراتهم و لم يشيروا لها و اعتبر ذلك من باب " التحريف و التشويه و مسخ الحقائق و الأحداث و الخصومة السياسية" التي أدت هؤلاء إلى الإهمال المتعمد لذكر بعض الجمعيات السرية و كأنها لم تكن موجودة " فآثر بذلك السكوت المغرض و إرضاء النزعة الشخصية و الإساءة للحقيقة التاريخية.أنظر، الوزاني، المصدر السابق، ص 362 - 363.

² - محمد حسن الوزاني،مذكرات،ج1، مصدر سابق ص 360.

³ - محمد معروف الدفالي،أصول الحركة الوطنية بين السلفية الجديدة و السلفية الجديدة،مرجع سابق،ص 291.

⁴ - محمد حسن الوزاني،مذكرات،ج1، مصدر سابق ص 364.

كدعم لمقاومة الريف و كذلك كوسيلة لتعبئة المغاربة من اجل القضية الوطنية.و قد اعتبر الوزاني أن الخطابي كانت له يد في تأسيس هذه الجمعية نظرا للعلاقة العضوية التي كانت بينهما. " كما أنه كان يستعملها في اتصالاته لتحقيق أهدافه التي لم تكن قاصرة على إقليم الريف فقط، بل كانت تعني الوطن بأكمله"¹.

و ذكر الوزاني أن أول جمعية سرية تأسست في المغرب السلطاني في فترة العشرينات هي "حماية الحقيقة" أو "أنصار الحق"². في سنة 1925 بالرباط عندما كانت المقاومة الريفية في أشد أيامها. و قد كان الهدف منها " خوض معركة التصحيح والإصلاح والتجديد ومواجهة الطرق الضالة التي كانت أدوات التأخير و تسخير العقول واستغلال العوام لما كانت تبثه من خرافات و أوهام وعوائد باطلة موالية للاستعمار"³. و قد حاولت هذه الجمعية إصدار مجلة للتعبير أفكارها وآرائها التجديدية، و قامت بتحضير مسودة أول عدد إلا أن عدم الترخيص لها من طرف سلطات الحماية حال دون أن ترى هذه المجلة النور. ولذلك لجأ أعضائها إلى الكتابة الصحف الجزائرية و التونسية و المصرية⁴. كما كان للمدرسة الحرة بالزاوية الناصرية عدد من المبادرات التنظيمية السرية مثل تأسيس " جمعية الحماسة " في سنة 1926 بفكرة و تنفيذ من طرف محمد المختار السوسي. و قد تمثل هدفها في " النهوض بالمغرب عن طريق توضيح الإسلام الصحيح الخالي من الشوائب و مقاومة كل افتئات على تعاليمه الأصلية. و مواجهة الطرق الدينية لأنها أساءت للإسلام في المغرب لسنوات طويلة"⁵. إلا أنه يذكر أنه إذا كانت هذه الجمعية قد أعلنت أهدافا ثقافية لها فإنه كان لها نشاطا سياسيا سريا أسندت قيادته لعلال الفاسي تمثل في نشر الوعي في أوساط المغاربة⁶.

لقد أعطى الشباب المغاربة أنهم كانوا في الفترة الممتدة بين 1925 و 1929 في تحول و بحث عن ذواتهم من خلال تلك الصيغ التنظيمية. و كذلك لاستيعاب التأثيرات التي أحدثتها مقاومة الريف. و تأطيرها وتحويلها إلى مادة وعي وطني. و حتى عندما انتهت هذه المقاومة

1 - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1 ، مصدر سابق ص 364.

2 - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق، ص 186.

3 - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1 ، مصدر سابق ص، 363.

4 - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1 ، مصدر سابق ص، 362.

5 - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق، ص 188.

6 - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية بين السلفية الجدد و السلفية الجديدة ، مرجع سابق، ص 297.

فإنهم واصلوا هذه المبادرات التنظيمية في مختلف المجالات التي كانت في أغلبيتها الساحقة ثقافية وأدبية وفنية ولكنها كانت تتضمن كذلك على نشاط سياسي سري جدا. و لذلك كانت سلطات الحماية تتحسس تحركاتهم وتبحث عن خلفياتها. و قد ظهر ذلك من خلال التقارير السرية التي ترسلها إلى حكام الأقاليم. فقد كانت شديد الحذر بما ينبعث من صفوف الشبان المغاربة من اتجاهات سياسية ودعوات إصلاحية¹. إلا أن على العكس من ذلك اعتبر "روزيت" هذه الجمعيات لم تكن أكثر من دوائر سياسية أدبية كان الشباب المغربي الراقي يلتقي فيها للمناقشة و تبادل الأفكار. فيتحدثون كثيرا عن أحوال مجتمعهم. و ينتج عن كل ذلك الكثير من التذمر والاستياء من الأوضاع القائمة. ولكن كذلك كثير من التردد والغموض. و لم يكن بإمكانهم الاتفاق حول أي برنامج محدد. ولم تكن تلك الاجتماعات تنتهي في أحسن الحالات إلا برغبة بلعب أدوار ريادية في مستقبل الحياة السياسية للمغرب². فقد كان وعيهم من خلال تلك اللقاءات كبيرا بضرورة تغيير الأوضاع مستقبلا. ولكنهم إلى غاية نهاية العشرينات لم يقوموا بأية مبادرة ميدانية³. ويعود السبب " لعدم تفاعل العوامل النفسية مع السياسية حتى تحدث تلك الحركية المطلوبة"⁴.

لكن ذلك الانسجام و التفاعل حدث إلا بعد أن قامت سلطات الحماية باستفزازهم في هويتهم في الظهير البربري 16 ماي 1930. و لذلك كانت استجابتهم مباشرة في أحداث السياسة البربرية. و أثناء تلك الأحداث شعروا بحاجة ماسة لهيكل تنظيمي لاستيعاب هذه الدينامكية الجديدة. و في خضم تلك المعركة، و على عكس المرات السابقة لم يكن هناك لا غموضا و لا ترددا في رؤيتهم. و اتفقوا كذلك على برنامج واضح. و لذلك أسسوا لكل ذلك "الزاوية" و " الطائفة " كتتنظيمين سريين لمواصلة هذه القفزة الوطنية و الحفاظ على مكاسبها الميدانية.

ولعل أول تساؤل يطرح حول هذه الخطوة يتمثل في علاقة تسمية "الزاوية" و "الطائفة" بالنشاط الوطني، خاصة وأن زعماء هذا النشاط كانوا ينتمون للسلفية الجديدة وعرف عنهم عدائهم الشديد للطرق والزوايا. حيث نعتوها في أدبياتهم بالضالة المضللة، والتي تسببت في

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج1 ، مصدر سابق ص 371.

² - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 66.

³ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 66.

⁴ - *ibid*.

الكثير من الأمراض والاحرفات للمجتمع المغربي. فكيف يمكن لهؤلاء أن ينبذوا مضمونا ويتبنون عنوانه؟ على حد تعبير الوزاني¹. فبالنسبة لهذا الأخير فإن هذين التنظيمين بنيا على تناقض من حيث الشكل في علاقتهما مع الدعوة السلفية الجديدة التي كان معظم الشبان المغاربة من روادها. وفي جميع الأحوال فبالنسبة له فإن هذا لم يكن ضرورة اللهم إذا كان مؤسسيهما "غير متحررين تماما من آثار ورواسب النفوذ الطرقي السائد وقتئذ في الأوساط المغربية فتأثروا بها غير شاعرين"². إلا أن حقيقة التسمية أعمق مما ذهب إليه الوزاني. حيث ذكر عبد الله العروي في كتابه "الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية" أن الزاوية موجودة في مخيال المجتمع المغربي من حيث لا يشعر. فهي ظاهرة تاريخية اجتماعية متجذرة فيه. وظهرت تمثلاتها في أشكال جد متنوعة، وحتى متناقضة، على مر التاريخ المغربي، لذلك بقي مفهومها فضفاضاً و متحولاً نظراً لانعكاساته المتنوعة التي تمس مختلف الجوانب لم الاجتماعية والثقافية³.

فالزاوية كانت مراكز اجتماعات علنية و معروفة في الأرياف و حتى المدن. كما هو الحال بالنسبة للزاوية الناصرية و الوزانية، حيث كان مريديها يلتقون فيها لأغراض مختلفة من بينها تلاوة الأوردة الصوفية. فتحولت بهذه الصفة إلى نادي يلتقي فيه المنخرطين، أو " المريدين ". وهكذا سواء في المدن أو الأرياف المغربية ظهرت هذه الزوايا كمقرات لأنشطة دينية واجتماعية. حيث يتم فيها الفصل في الكثير من القضايا سواء كانت دينية أو اجتماعية فقد كانت مؤسسة محورية بالنسبة للمجتمع المغربي. وبالتالي نبذها جملة واحدة أمر صعب حتى بالنسبة للشبان المغاربة أو السلفيين الجدد الذين استعملوها ايتيمولوجيا⁴.

ومن جهة أخرى فإن البنية التنظيمية التي نشأت تحت اسم "الزاوية" و"الطائفة" لم تكن حزباً، بمعايير النظامية، والتنظيمية المعروفة، وبقيت مرتبطة بالمجتمع المغربي من حيث بنيته الدينية والسياسية. فقد اعتبر " روزيت"، الذي يعتبر أول من درس الظاهرة الحزبية في المغرب " الحزب المغربي" زاوية نظراً للتشابه الكبير بينهما فكلاهما يعتمدان على "الزعيم الأوحد" و الفرد الذي يطيعه ويقدسه. فيسمى مناظلاً في الأحزاب و " مريداً" في الزاوية. و بالتالي فإن

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص، 301.

² - المصدر نفسه، ص، 302.

³ - Abdallah, Laroui, les origines, op cit. , p , 131.

⁴ - ibid. , p ,133 .

العلاقة بينهما مبنية على التقديس لا التشاور و التفاعل.فبنية الحزب في هذه الحالة هي نفس بنية الزاوية. ولذلك عندما أنشئ الشبان المغاربة "الزاوية" و " الطائفة " لم يفكر مؤسسيه في التنظيم الحزبي¹.

ويبدو أن أعضاء "الزاوية" و " الطائفة " لم يعتبروا أنفسهم ضمن أحزاب.فقد ذكر غلاب أن الحركة الوطنية المغربية لم تنشأ بدافع الحكم أو الانفصال أو رغبة في تشكيل برلمان إنما نشئت في أواسط العشرينات كبلورة لجميع الأحاسيس والمشاعر الشعبية التي تم توجيهها نحو الاستعمار فقط².وهكذا فإن هذه الأطروحة تعتبر الحزب المغربي نتيجة اتحاد مشاعر وطنية نخبوية تبلورت في المدينة.و قد أرادت هذه النخبة إنشاء تنظيمًا مختلفًا عما كان منتشرًا كثيرًا في البادية.فكانت "الزاوية" و " الطائفة " أول تعبير عن هذه الرغبة ولكنهما حافظا على نفس روح الزاوية التقليدية من حيث الأحاسيس والمشاعر التي كانت موجهة هذه المرة لتحرير المجتمع من الاستعمار كمهمة أولية و أخيرة³.

ومهما يكن فإن تأسيس "الزاوية" و "الطائفة" في أوت 1930 نقل الحركة الوطنية المغربية من سياق فشل الخيار العسكري إلى سياق هيمنة الخيار السياسي الإصلاحي⁴. وعند احتجاجها على السياسة البربرية انتقلت هذه الحركة من الدروس والوعظ والإرشاد في المساجد، إلى البناء التنظيمي، والالتفاف حول برنامج محدد⁵.و إذا كانت بنود هذا الأخير في أول الأمر ضمن مسار الاحتجاج على الظهير البربري، فإنه عرف فيما بعد توسيعًا ضمنيًا و أصبح يطرح المسألة الوطنية من جميع أبعادها.و هكذا فإن الشبان المغاربة بدؤوا مسارًا جديدًا اختلف جذريًا عما سبقه.من حيث مطالبهم التي أصبحت واضحة و محددة.و حتى من حيث وسائل تحقيق هذه المطالب باعتمادهم الآليات التنظيمية العصرية.و قد ظهر كل ذلك أربع سنوات بعد أحداث السياسة البربرية عند تأسيس " كتلة العمل الوطني " في ديسمبر

¹ - Rèzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains, op.cit., p, 7 – 11.*

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، ج 01، مصدر سابق ، ص 16- 17 .

³ - نور الدين الزاهي، الزاوية والحزب، مرجع سابق، ص 174.

⁴ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق ص ، 24

⁵ - المرجع نفسه ، ص 26 - 28

1934. التي كانت قفزة نوعية كبيرة من الناحية التنظيمية.و حتى من الجوانب الأخرى للحركة الوطنية المغربية¹.

نظرا للطابع السري الذي تميز به هذا التنظيم فإن هيكلته وأنشطته الوطنية بقيت غير معروفة، خاصة لشرط القسم الذي كان يفرض على كل منخرط فيها². ولذلك بقي الغموض يكتنفها. فقد تراوح الحكم علي فاعليتها بين من اعتبرها ذات تأثير كبير على النشاط الوطني وبين من انتقدها وقلل من حجم تأثيرها. ومما أجمع عليه مؤسسيها الأوائل أن هيكلتها التي انطلقت بها تتمثل في وجود هيئة عليا تعرف بـ "الزاوية" التي تعتبر أعلى مستوى في هذا التنظيم. فقد كانت عند تأسيسها تضم عشرة أعضاء، ثم ارتفع فيما بعد إلى عشرين عضوا بعد ضم أعضاء آخرون من مدن أخرى لتوسيع نشاطها عبر كامل المغرب³. و تتخذ القرارات الهامة في ما يخص النضال الوطني، من بينها مناقشة التطورات الناتجة عن الاحتجاج على الظهير البربري. فهي من كانت وراء توقيفه حفاظا على الحركة الوطنية الناشئة. وتميز قانونها الأساسي ، الذي وضعه إلى كل من علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني، بالصرامة الكبيرة في التعامل مع مختلف القضايا، ولذلك لم تستطع سلطات الحماية التعرف عليها رغم شكوكها الكبيرة بوجود تنظيم سري. التي جاءت في تقاريرها ومراسلاتها⁴.

و كانت الزاوية بمثابة مركز تنظير للحركة الوطنية حيث كان يتم دراسة كل ما يرتبط بمسار النضال. لقد كانت بمثابة "هيئة أركان سياسية"⁵.و حتى يصل تأثيرها إلى المستوى

¹ - سيتم التطرق بالتفصيل لـ " كتلة العمل المغربي " من حيث التأسيس و الأهداف و المسار في الفصول القادمة.

² - يذكر كل من انخرط في هذا التنظيم أن أول شرط يجب أن يلتزم به هو القسم على أن لا يذكر ما يتعلق بهذا التنظيم مهما كانت الظروف . لذلك لم يبدأ هؤلاء الحديث عنه إلا بعد الاستقلال بفترة فمثلا علال الفاسي لم يذكره في كتابه المشهور به "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي" لأنه كتبه سنة 1948 في الوقت الذي مازال المغرب يناضل فيه من أجل الاستقلال أما كل من الوزاني والقادري وعبد الكريم غلاب فإنهم ذكروه في مذكراتهم لأن هذه الأخيرة كتبت بعد الاستقلال .

³ - بالإضافة إلى عشرة الأوائل المذكورين سابقا تم ضم كل من أحمد بلافريج، محمد اليزيدي، محمد الغازي، أحمد الشرقاوي، محمد السبتي، عمر السبتي، عبد السلام بن نونة، عبد العزيز بن الإدريس، بوشنة الجامعي، الهاشمي الفيلالي. ويسجل على هذه الشخصيات أنها من مدن مختلفة من المغرب من الشمال والجنوب والوسط. أنظر، أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق ، ص، 139.

⁴ - Note De Renseignement. Objet Mouvement des jeunes Marocains, A.D.N. Maroc, Inventaire n°6, Cabinet Militaire De La Résidence Général, 1 MA / 8 / 75 CM, Registre Correspondance 4 Octobre 1930.

⁵ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3 ، مصدر سابق ص، 300.

القاعدي أنشئت "الطائفة" التي تعتبر المستوى الثاني من هذا التنظيم¹. واتخذت مهمتها بعدا تنفيذيا، حيث كانت تتلقى قرارات "الزاوية" وتحولها إلى صيغ تنظيمية تنفيذية. فقد كانت ذات أهمية بالنسبة لهذا التنظيم السري وقد أعضاؤها بستين عضو عند تأسيسها. ثم تزايد بعد توسع نشاط هذا التنظيم عبر كامل المغرب. ونظرا لطبيعتها السرية فإن أعضائها لم يكونوا يعرفون بعضهم البعض رغم تواجدهم في المدينة الواحدة في بعض الأحيان. مما فرض على هذا التنظيم إيجاد هيئة تنفيذية محدودة العدد سميت بـ " لجنة السافر " تضطلع بمهمة التنسيق بين أفراد الطائفة وربط الاتصال بين مختلف الفروع والجماعات في كامل المغرب وتمثل أعضاؤها في ، علال الفاسي، محمد اليزيدي، عمر بن عبد الجليل، محمد الغازي ومحمد حسن الوزاني (انسحب منها فيما بعد)². أما على المستوى القاعدي فقد تم تجنيد المغاربة بمختلف شرائحهم الاجتماعية في صيغ تنظيمية صغيرة تعرف بـ " الخلايا " التي كانت منتشرة في الأوساط الحرفية والمهنية وفي أوساط الأحياء الشعبية. وكانت مهمتها تتمثل في نشر الوعي الوطني في الأوساط الشعبية ومواجهة ما كانت تنشره سلطات الحماية من أخبار كاذبة حول قضايا وطنية مثل الظهير البربري وما تعلق به من حرب المناشير والبيانات. أما من حيث عدد أفرادها فكان مختلف حسب أهمية المنطقة التي تتواجد فيها الخلية. وعلى العموم لم يكن يتجاوز سبعة أعضاء من بينهم منسقا يعرف بـ "المسير"³.

تعددت وسائل عمل هذا التنظيم تبعا لطبيعته السرية من جهة، وبالنظر إلى الأحداث التي عرفها المغرب في هذه الفترة من جهة ثانية. إلا أنه اعتمد على الاتصال بالشعب المغربي في جميع القضايا، سواء لإعلانه بما يتعلق بنشاط الحركة الوطنية أو في الرد على سلطات الحماية. وتعتبر السياسة البربرية من أهم القضايا التي كانت محل بيانات و نشرات لهذا التنظيم، فهذه السياسة هي التي كانت سببا مباشرا في نشأته، وكذلك في نشاطه، لذلك تمحورت مطالبه عبر هذه العرائض في إلغاء الظهير البربري شكلا ومضمونا، وتقديس اللغة العربية واعتبارها لغة الشعب المغربي، واعتبار الدين الإسلامي دينا وحيدا للمغاربة، وإبعاد هيمنة نظام الحماية على السلطان، والمطالبة بإعادة الاعتبار لهذا الأخير بممارسة مهامه المقدسة

¹ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية، مرجع سابق ص 26.

² - اتفق كل من عبد الكريم غلاب والقادري و علال الفاسي في هذه المعلومات في حين لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للوزاني الذي انتقد هذا التنظيم ولم يبق فيه طويلا لذلك لم يدم طويلا في لجنة السافر. أنظر: الوزاني، مذكرات، ج 3. مصدر سابق ص 301.

³ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية، مرجع سابق ص 27.

والموروثة عن أجداده. والمطالبة بتوحيد القضاء لكامل الشعب المغربي بدون استثناء أي عنصر منه سواء كان أمازيغيا أو غير ذلك¹. ولضمان بقاء الاتصال مع المغاربة، اعتمد هذا التنظيم على وسائل أخرى تضمن ذلك، من بينها حلقات التوعية العامة والخاصة. فقد كان أعضاء الزاوية يقومون بأنشطة توعية عامة في المساجد وفي أماكن التجمعات كالأسواق. فقد ذكر علال الفاسي أنه كلف من طرف "الجماعة" بأن يقوم بإلقاء دروس شعبية عامة بجامعة القرويين مع التركيز على السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى ما كان يقدم من دروس أكاديمية لطلبة الجامعة والمدارس الثانوية².

لقد كان هذا التنظيم السري "الزاوية" و"الطائفة" من أهم مظاهر الوطنية المغربية في مطلع الثلاثينات. وقد أحدث نقلة معيارية في نشاط الحركة الوطنية المغربية الحضرية الناشئة لأنه استطاع توفير ثلاثة عناصر ضرورية لأي فعل وطني تحرري تتمثل في الرجال والبرنامج والتنظيم. وبالرغم من هذا الزخم الحركي الذي أحدثه هذا التنظيم، فقد اختلف الحكم على ضرورته و فاعليته للحركة الوطنية من طرف الوطنيين المغاربة الذين ساهموا في تأسيسه و تنشيطه. ويمكننا أن نميز بين موقفين منه، فالأول اعتبره حدثا فاصلا في تاريخ المغرب ونسب إليه الكثير من المكاسب والمنجزات ويتمثل هؤلاء في كل من علال الفاسي وعبد الكريم غلاب وأبو بكر القادري. و آخرون من ساروا في اتجاههم و نقلوا مضامينهم. فلال الفاسي الذي لم يتحدث عنه إلا في التقرير الذي ألقاه في المؤتمر العام لحزب الاستقلال في جانفي 1960. فخلاله تحدث لأول مرة حديث عنه بقوله " وفي جو هذه الحركة الشعبية العارمة وقع بفاس حادث عظيم يلذ لي اليوم أن أعلنه لأول مرة، لأنه الحدث الذي كان له الأثر الفعال في تكوين أول حزب سياسي وطني وأعظمه في المغرب... وفي جو المعركة التي كانت تحتدم بين الشعب وبين الفرنسيين في مساجد فاس والرباط وسلا وغيرها من أنحاء المغرب، اتفقنا نحن ثلة قليلة أن ننتحي جانبا وننظر في عمل شيء دائم يواجه هذا الفيض الشعبي نحو حركة بناءة تسير رويدا نحو المثل الاستقلالي الذي فكرنا فيه (لذلك) قررنا تأسيس جمعية سرية"³. وبهذه الطرح فإن علال الفاسي نسب لهذه الجمعية كل منجزات

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق 146.

² - المصدر نفسه، ص 177.

³ - علال الفاسي، عقيدة وجهاد، مصدر سابق ص ص 9-12

الحركة الوطنية،حتى التي جاءت بعد ذلك بكثير.فقد اعتبرها التعبير العلني باسم كل التنظيمات التي تأسست فيما بعد المتمثلة في كتلة العمل والحزب الوطني وحزب الاستقلال،وقد كانت في تقديره "الأبوة والرحم" لكل الأنشطة الوطنية بمختلف أشكالها سوء الثقافية أو الدينية أو السياسية¹.

أما عبد الكريم غلاب فكان طرحه في نفس اتجاه علال الفاسي عندما اعتبر أن هذا التنظيم كان يعمل من أجل الاستقلال،وإن كانت المطالب الإصلاحية معلنة، فلم تكن سوى عملا ظاهريا يخفي حقيقة هدفه المتمثل في الاستقلال وتحرير المغرب شماله وجنوبه. ولذلك لم يقبل بين صفوفه سوى أفراد مستعدون للتضحية².وبالنسبة له فإن هذا التنظيم أخرج الحركة الوطنية من الغموض إلى الوضوح،لأن فكرة الوطنية لم تعد غامضة في أذهان الشبان المغاربة،الذين لم يعودوا يستندون على العاطفة في مقاومة الاستعمار.و اتجهوا لتأطير هذه العاطفة وترجمتها في صيغ تنظيمية دقيقة. فهذه التنظيمات هي التي سمحت لهم بالتعرف على تصرفات إدارة الحماية وأصبحوا يطلعون على كل التقارير التي تصدر عنها بحكم تواجد أفراد هذا التنظيم السري في كل مستويات الإدارة بما فيها المركزية. فكثير من المقالات التي كانت تصدر في الصحافة المغربية مثل مجلة "مغرب" الصادرة في باريس كانت تعتمد على معلومات تصلها من الخلايا الوطنية السرية التي كانت "الزاوية"و"الطائفة"من بينها³.وقد أكد أبو بكر القادري هذا الطرح حيث اعتبر هذا التنظيم السري بمثابة الجماعة الوطنية الأولى التي كان لها الفضل في إرساء القواعد الأولى للحركة الوطنية المغربية،وكان لها الدور الهام الحيوي في تنظيم الحركة الوطنية على أسس ثابتة نشأ عنها حزب الاستقلال سنة 1944 الذي "قدر الله له أن ينهض بالمطالبة بالاستقلال وبتنظيم البلاد على أساس الملكية الدستورية..⁴". و أكثر من ذلك حيث اعتبر القادري أن النشاط السري لهذين التنظيمين استمر إلى غاية سنة

¹ - علال الفاسي،عقيدة وجهاد،مصدر سابق ص ص 9 - 12

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1،مصدر سابق،ص، 76.

³ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1،مصدر سابق،ص، 119.

⁴ - أبو بكر القادري،مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية،ج01، مصدر سابق ، ص، 140.

1953. ومعتبرا أن أهم إنجاز لـ "الزاوية" و"الطائفة" هو الاتصال بالسلطان محمد الخامس، والتنسيق معه في العمل الوطني في إطار هذا التنظيم السري¹.

و على عكس ما جاء به كل من الفاسي وغلاب و القادري حول محورية هذا التنظيم بالنسبة للحركة الوطنية المغربية، فإن الوزاني لم يكن على نفس الموقف بالرغم من تواجده القيادي فيه. فقد كان في فترة الثلاثيات ضمن ما سماه "جوليان" بـ "الخماسية الوطنية"². كما سماه "روزيت" بـ "القائد الحقيقي للوطنية المغربية في هذه المرحلة"³. إلا أنه اعتبر هذا التنظيم من أهم سلبيات العمل الوطني فيها. فبعد أن أرجع ظروف تأسيسها إلى فراغ الساحة الوطنية في مطلع الثلاثينات من أي هيئة قيادية، حيث كانت الاحتجاجات على الظهير البربري تتم في سياق حركة تلقائية. وهذا ما أدى باتفاق الوطنيين على تأسيس كل من "الزاوية" و"الطائفة" على أن تكون الأولى "قيادة عملية" والثانية "جمهرة محدودة من الأنصار والمنفذين"⁴.

و قد انتقد الوزاني تشكيلتها البشرية معتبرا إياها ذلك "الكشكول البشري غير المنسجم لأنه يضم شيوخا وكهولا لا تجمعهم بالشباب صلة سوى العمل الوطني"⁵. كما اعتبر "الزاوية" هيئة أركان متكونة من أعضاء لا يبررون كلهم تواجدهم فيها. فالكثير من أعضاء "الطائفة" التي تقتصر مهمتها في الطاعة العمياء لـ "الزاوية". إلا أنه يوجد بها من هو أحق بعضوية "الزاوية" من عدد كبير من أعضائها. و قد فسر ذلك التصنيف باعتبار شخصية وإقصاء

¹ - يعتبر القادري الوحيد من قال بهذا، بل ذهب لأكثر من ذلك معتبرا أن السلطان محمد الخامس انضم للتنظيم السري بقوله "إن اتصال (الوطنيين) بجلالة الملك... كان على أساس تعرفه على الطائفة و أداء بعض أفرادها القسم أمامه... كما أنه أدى

للجماعة القسم أمام كتاب الله على العمل لاستقلال المغرب..." أنظر أبو بكر القادري، مذكراتي ج 01... مصدر سابق ص 140

² - نسب جوليان قيادة الحركة الوطنية في مطلع الثلاثينات لمجموعة متكونة من خمسة أشخاص وهم محمد حسن الوزاني و علال الفاسي و أحمد بلافريج و عمر بن عبد الجليل. و اعتبر أن كل لحركات الاحتجاجية في هذه الفترة كان من ورائها هؤلاء. أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit., p 171.

³ - ذكر "روزيت" أنه ابتداء من سنة 1930 إلى غاية 1934 كان الوزاني الحرك الرئيسي للحركة الوطنية المغربية بدون منازع بكونه المنظم الرئيسي للحملة المضادة للظهير البربري. فلم يكن يذكر آنذاك لا علال الفاسي و لا بلافريج اللذان سيغيطان فيما بعد اسمه. أنظر، Rêzette, Robert, *Les Partis politiques*, op.cit, p, 74.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 3، مصدر سابق ص، 299.

⁵ - المصدر نفسه.

من طرف بعض أفراد "الزاوية" لبعض أفراد "الطائفة" خوفا من أية منافسة ومزاحمة لهم¹. واصل الوزاني تساؤله عن سبب وجود هذا التنظيم السري سواء من حيث الاسم الذي اعتبره متناقضا مع مضمون الحركة السلفية الجديدة التي أعلنت حرب على الطرق والزوايا، فالنسبة إليه كان "قيام أساس هذا التنظيم السري على غير أصالة وإحكام"². أما فيما يخص العمل الداخلي فإن تطبيق مبدأ الشورى والتسيير الجماعي، كان ظاهريا لأن "معظم القرارات التي كانت تتخذها نتيجة تأثير أقلية فرضت نفسها"³.

بالرغم من ذلك سجل الوزاني لهذا التنظيم طيلة فترة ست سنوات (1930 - 1936) بعض الإيجابيات مثل نشر التعليم، توجيه الرأي العام، التعريف بالقضايا الوطنية في الداخل والخارج، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحداث حركية صحفية تمثلت في إصدار مجلة "مغرب" في باريس وتقديم "مطالب الشعب المغربي لفرنسا"⁴. وأخيرا يعتبر الوزاني الصورة التي قدمها لهذا التنظيم هي صورة الواقع الذي عاشه. ولذلك بالنسبة له تعرضت "الزاوية" بالذات للكثير من الانتقادات من طرف أعضاء "الطائفة" الذين كانوا يشعرون بأنهم مبعدون وبمثابة "كمية مهملة تسير من الخلف وتوضع في الطليعة في ساعة الشد، حيث يطلب منها التضحية"⁵.

يعتبر موقف الوزاني من التنظيم السري غامضا ومتناقضا إلى حد كبير، فقد كان من مؤسسيه الأساسيين ومنشطيه المحوريين ومن الذين وضعوا قانونه الأساسي وأدوا القسم على الالتزام به وعدم البوح بأسراره. كما كان متواجدا في كل محطات نشاطه في ستة سنوات على الأقل. وهي التي كانت فيها الحركة الوطنية المغربية موحدة وفي سياق إصلاح. فلا نكاد نجد حركة إلا وكان الوزاني ضمن منشطيه الأساسيين. إن لم يكن زعيمها كما هو الحال في الاحتجاجات على الظهير البربري. وقد كلفه ذلك في عدة مرات سجنا واضطهادا ونفيا. وبقي على هذا الحال إلى غاية نهاية سنة 1936 عندما تصدعت "كتلة العمل المغربي".

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق، ص 300

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه، ص 303.

⁴ - المصدر نفسه، ص 304.

⁵ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق، ص 305.

فانسحب منها وأسس حركة سياسية جديدة قائمة بذاتها. تعرف بـ "الحركة القومية"¹. ويبدو أن الخلاف الجذري مع علال الفاسي كان من وراء انتقاد الوزاني لهذا التنظيم. ولغيره من مظاهر الحركة الوطنية المغربية التي لم يكن مشاركا فيها كالحزب الوطني وغيرها من المظاهر. لذلك يمكن اعتبار موقف الوزاني من التنظيم السري "الزاوية" و "الطائفة" ليس مرتبطا بحد ذاته بهذا التنظيم، ولكنه كان ضمن سياق شامل تمثل في انتقاده للطرف الآخر من الحركة الوطنية المتمثل في علال الفاسي وجماعته في كل ما قاموا به وما داموا هم الذين استعملوا هذا التنظيم هيكلية و تنظيميا ونشاطا لفترة ما بعد انسحابه منه فإن انتقاد الوزاني كان نتيجة حتمية لذلك. فموقفه من التنظيم السري هو جزء من الكل. وبالتالي ظهر انتقاده للتنظيم السري بأنه كان يشوبه الكثير من التناقض والغموض. فقد اعتبر القادري الوزاني "دعامة أساسية في وضع مطالب الشعب المغربي وتحريرها. حيث ظهر بأفكار خلاقة ونظرة شاملة. كما انه تعرف على مكامن الداء لوضع العلاج"². ولكنه تساءل كذلك عن الأسباب الحقيقية لانتقاد الوزاني لـ "الزاوية" و "الطائفة"، لأنه بالنسبة إليه كان مسؤولا عن تلك التركيبية البشرية التي انتقدها و غيرها من مظاهر هذا التنظيم السري و بالتالي "كان يملك سلطة التغيير فلماذا لم يقم بها في حينها؟"³. بل بالعكس فإن الوزاني ذكر الكثير من مظاهر القوة لهذا التنظيم مثل نظامها الداخلي الذي كان شوريا. و لا يتم العمل في أي أمر إلا بعد التداول و الاتفاق. بالإضافة إلى التسيير الجماعي. و تساوي الجميع أمام قانونه الداخلي و لا رئيس و لا مرؤوس فيها⁴. إن أية قراءة صحيحة لموقف الوزاني من هذا التنظيم يجب أن تتم في سياق شامل مرتبط بالتطورات التي عرفتتها الحركة الوطنية المغربية منذ سنة 1936 فحينها فقد يمكن فهم ذلك الموقف و الكثير من مواقف الوزاني خلال فترة كفاح المغاربة ضد نظام الحماية. و حتى بعد ذلك⁵.

¹ - سيتم التطرق إليها لاحقا

² - أبو بكر القادري، رجال عرفتهم في المغرب و المشرق، ج4، مطبعة النجاح، 1991، ص80.

³ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج01، مصدر سابق، ص، 141.

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق، ص، 303.

⁵ - لقد شكل الخلاف بين محمد حسن الوزاني و علال الفاسي حلقة طويلة من حلقات الحركة الوطنية المغربية. و ذلك منذ ظهور رغبة تأسيس حزب سياسي بعد كتلة العمل المغربي واختلافهما حول زعامته. و هذا ما سيتم تناوله في الفصول القادمة و قد بقي ذلك الخلاف متواصلا بعد استقلال المغرب في سنة 1956 و لكن في صيغ جديدة تعلق بمسألة الحكم و الديمقراطية و غيرها

لقد اعتبر "جوليان"، الذي كان مساهما في العديد من المحطات النضالية للمغاربة، أن الحركة الوطنية المغربية في مطلع الثلاثينات اتخذت شكلا متغيرا حسب الظروف التي كانت تؤثر فيها و تتأثر بها. فكانت "الزاوية" بمثابة "مركزا للأبحاث والدراسات المذهبية". و "الطائفة" كهيئة لاختيار المنخرطين في النضال الوطني. أما "كتلة العمل الوطني" فقد كانت تنظيما علنيا قام بصياغة وثيقة "مطالب الشعب المغربي" في ديسمبر 1934 ثم لائحة "المطالب المستعجلة" في أكتوبر 1936¹. لقد سمحت هذه الهيكلية التي اتخذت أشكالا متعددة بالمحافظة على استمرارية النشاط الوطني. فقد كانت "كتلة العمل الوطني" واجهة رسمية تحدثت باسم المغاربة و قدمت العديد من اللوائح لسلطات الحماية في الرباط. وللمراجع العليا في باريس. و كلما كانت هذه الكتلة تمنع من النشاط من طرف سلطات الحماية، كان التنظيم السري "الزاوية" و "الطائفة" يحل محلها للحفاظ على مكاسب ذلك النضال بشكل سري و فعال. و قد نجح في ذلك في الكثير من المرات لأن المناضلين الفاعلين في "كتلة العمل المغربي" كانوا بالضرورة النضالية منخرطين في "الزاوية" و "الطائفة". و قد حدث ذلك "التناوب النضالي" في العديد من المحطات. ومن أهمها "أحداث المدن" في أكتوبر 1937².

لقد أدركت سلطات الحماية خطورة ذلك التنظيم. فقد جاء في الكثير من تقاريرها الأمنية في الثلاثينات أن هناك حركية منظمة في أوساط الشبان المغاربة ومرد هذه الحركة تشكيلات تعمل في الخفاء. ففي أكتوبر 1930 جاء في رسالة سرية وجهتها الإقامة العامة لمختلف دوائرها في أنحاء المغرب أن هناك تهيجا في المدن الكبرى للمغرب وخاصة في فاس والرباط وسلا والدار البيضاء ومراكش مصدره منظمات جنينية (نسبة للجنين) مؤلفة من الشبان المغاربة الذين عبروا عن معارضتهم الشديدة لنظام الحماية منذ أحداث الظهير البربري³. و قد أصبح اتجاه هؤلاء نحو التجمع و التكتل. و قد عبروا عن ذلك بأشكال علنية تارة، و بأشكال خفية تارة أخرى⁴. وقد جاء في هذه التقارير أن هذه الحركة من ورائها الدعاية الأجنبية التي استغلت سخط البرجوازية الحضرية وسعي الشبان المغاربة لتحقيق أهدافهم

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face Aux Impérialismes*, op.cit., p, 171.

² - سيتم التطرق لهذه الأحداث لاحقا

³ - Note De Renseignement. Objet Mouvement des jeunes Marocains, Archives diplomatiques de Nantes ,Maroc, Inventaire n°6, Cabinet Militaire De La Résidence Général, 1 MA / 8 / 75 CM, Registre Correspondance 4 Octobre 1930.

⁴ - *ibid.*

القومية لإثارة المشاكل في داخل المغرب¹. و طالبت هذه التقارير بضرورة متابعة هذه التحركات بجمع كل المعلومات المرتبطة بها من حيث الشبان المغاربة الذين كانوا يقومون بتنشيطها و من حيث الأنشطة التي كانوا يقومون بها².

لقد كان لتنظيم السري " الزاوية " و " الطائفة " دورا كبيرا في بعث الحركة الوطنية المغربية تنظيميا ونظاميا. فبعد أن كان الشبان المغاربة يعبرون هواجسهم النضالية بأحاسيس ومشاعر هنا وهناك. و قد ظهر ذلك خاصة بعد انتكاسة الريف سنة 1926. و كذلك في حركة الاحتجاج على الظهير البربري. الذي كان في بدايته في شكل موجة احتجاج شعبية غاضبة قام بها المغاربة بعد أن تم التعدي على مقوم من مقومات هويتهم. و لكن بعد تأسيس هذا التنظيم في أوت 1930 استطاع أن يحدث الانطلاقة العلمية والعملية للحركة الوطنية المغربية. لأنه كان هيئة جمعت بين الرجال والبرنامج. و قد أثبت ذلك كل التطورات التي عرفتتها الحركة الوطنية المغربية في العديد من محطاتها.

¹ - Note De Renseignement. *Objet Mouvement des jeunes Marocains, Archives diplomatiques de Nantes op.cit.*

² - جاء في هذه التقارير أن يجب وضع بطاقات متابعة لكل واحد من الشبان من حيث حالته المدنية و وضعيته الاجتماعية و كل ما يتعلق به من تفاصيل حول الوقائع و التحركات. من حيث تواريخها و مضامينها و كل شيء يمكن أن يسجل فيها. لأن هذه البطاقات سيتم من خلالها التعرف على ملمح الشخص المقصود و بالتالي اتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب. أنظر،

Note De Renseignement. Objet Mouvement des jeunes Marocains, ibid.

3 . الحركة الوطنية المغربية الصحفية 1932-1934 :

1. مجلة " مغرب " Maghreb " 1932 – 1934 :

عرفت الحركة الوطنية المغربية ابتداء من جويلية 1932 محطة هامة في نضالها التحرري بإصدارها لـ مجلة "مغرب" من طرف الاشتراكي الفرنسي "روبير جان لونغي" Robert Jean Longuet¹. وإن كانت هذه المحطة تعبيراً عن مواصلة اهتمام اليسار الفرنسي بقضية المغرب بعد أن كان دور كبير نقل أحداث الظهير البربري إلى الرأي العام الفرنسي فإنها كانت بالنسبة للحركة الوطنية المغربية نقلة نوعية في مسارها، ونتيجة من نتائج تفاعل الشباب المغربي مع هذا التيار في "الحي اللاتيني" في باريس. فأتثناء الاحتجاج على الظهير البربري تعرف هؤلاء الشباب على "روبير جان لونغي"، وإتباعاً لنصيحة الأمير شكيب أرسلان توثقت وتعززت هذه العلاقة بعد اتصال عدد منهم في باريس². وأدى كل هذا إلى ميلاد مجلة "مغرب" كمنبر صحفي اهتم بقضايا المغرب في كفاحه ضد نظام الحماية. وقد حرص "لونغي" على أن تتكون هيئة التحرير من شخصيات يسارية فرنسية وإسبانية كبيرة حتى تكون لـ "مغرب" مصداقية في الأوساط السياسية الفرنسية. وكذلك حتى يتمتع الشباب المغاربة من الحماية السياسية لهؤلاء. خاصة وأنهم كانوا من الشخصيات المؤثرة في الحياة السياسية الأوروبية³.

¹ - سياسي يساري فرنسي حفيد كارل ماركس و ابن "جاك لونغي" من مسيري الحزب الاشتراكي الفرنسي، محامي اهتم في كتاباته بالقضايا الاستعمارية، وقد زار المغرب للدفاع عن أحد الوطنيين في مدينة الرباط المسمى أحمد الجبلي العيدوني الذي اعتقلته السلطات الاستعمارية بتهمة توزيع منشور تحريضية و مراسلة الملوك و الرؤساء لفصح السياسة البربرية، ومنذ ذلك الحين توثقت علاقته مع الوطنيين المغاربة، وأصبح من أهم المنابر الخارجية و الفرنسية على وجه الخصوص للدفاع عن هذه القضية إلى غاية الاستقلال، و حتى فيما بعده، و في سنة 1956 كان في الجزائر مدافعاً عن مناضلي جبهة التحرير الوطني، و في سنة 1965 محامياً عن الطرف المدني في قضية بن بركة، صاحب المؤلف المشهور "Karl Marx, mon arrière-grand-père" الذي ترجم إلى عد لغات، توفي سنة 1987 بباريس.

² - اتصل به كل من محمد حسن الوزاني و أحمد بلافريج و عمر بن عبد الجليل في مطلع سنة 1932 في مكتبه في باريس و عبروا له عن إعجابهم الكبير بدفاعه المستميت عن المغربي أحمد الجبلي العيدوني الذي أطلق سراحه. و قالوا له أنهم جاءوا للتعرف على حفيد كارل ماركس حتى يقولون له أنه يوجد المغرب مئات المغاربة مثل حالة الجبلي و لم يجدوا من يدافع عنهم لذلك اقترحوا عليه الاستقرار في

المغرب للقيام بذلك. أنظر ، Georges Oved , La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 34.

³ - تكونت من عدد من الشخصيات الكبرى في اليسار الفرنسي و قد كان من بينهم والده "جون لونغي Jean Longuet" و الاشتراكي الكبير "بيير رونوديل Pierre Renaudel" بالإضافة إلى آخرون مثل "إتيان أنتونولي Etienne Antonelli"، و غاستون

وبالرغم من الاختلافات الواردة حول ظروف إصدار هذه المجلة¹، فقد كان لها دورا حاسما في طرح قضايا المغرب أمام الرأي العام الفرنسي والأوروبي بصورة عامة. بحيث استطاعت التعريف بالواقع الاستعماري في المغرب و كشفت التجاوزات التي كانت تقوم بها السياسة الاستعمارية. كما ساهمت في نضج الحركة الوطنية وتنظيمها وهيكلتها. وتمكنت من صياغة لائحة مطالب خاصة بالشعب المغربي طرحت في العديد من المرات على أعمدتها وصفحاتها من تاريخ صدورها سنة 1932 إلى غاية منعها نهائيا بالدخول للمغرب في ماي 1934 و توقف صدورها في أكتوبر 1935. مثل، كشف النظام الاستعماري في المغرب، وإصلاح العدالة، و تعليم المغاربة، والسياسة البربرية، وأملاك الوقف والأزمة الاقتصادية، والاستعمار والحضارة، والإدارة المحلية، والميزانية مصادرة الأملاك². ومن خلال هذه المواضيع تم ضبط لائحة مطالب تمثلت محاورها فيما يلي³:

- محاربة الظهير البربري وإظهار خطورته على وحدة المغرب الثقافية والترايبية.
- مواجهة سياسة التعليم الفرنسية في المغرب المبنية على التمييز بين الفرنسيين والمغاربة.
- مقاومة التنصير المسيحي الذي كان يتوغل في جبال الأطلس بصفة خاصة.
- كشف ظلم الإدارة الاستعمارية وتعسفها اتجاه الشعب المغربي على جميع المستويات (العدالة، الضرائب، أعمال السخرة).

برغري Gaston Bergery، و" فرنسوا ألبير François Albert " وجورج موني Georges Monnet " بالإضافة إلى الإسباني " أورتيغا

غاسيا Ortega Gasset ". أنظر ، 35 ، p ، op.cit. ، Georges Oved , La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2,

¹ - ظهر خلاف كبير حول تأسيس هذه المجلة بين رأي عمر عبد الجليل (من قادة حزب الاستقلال) الذي يعتبر شكيب أرسلان من وراء فكرة إصدار هذه المجلة مستغلا في ذلك علاقاته الوطيدة مع التيار اليساري، و قد ظهر في جريدة " الأمة العربية " التي كان يصدرها أرسلان من جنيف شهرين قبل صدور المجلة (العدد 05 و 06 لشهر ماي وجوان على التوالي من سنة 1932) مقال له يحي فيه الجهود المبذولة من طرف الذين يسهرون على إصدار هذه المجلة، في حين يعتبر محمد حسن الوزاني أن مجموعة الوطنيين في مدينة فاس هي التي أخذت هذا القرار ووفرت له الجانب المادي، أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات، ج3 ص209. في حين يعتبر "جون روبير لونغي" مدير المجلة أن الوزاني كان الوحيد الذي أدرك الدعم الذي يمكن للقضية المغربية أن تحصل عليه من إصدار مجلة من فرنسا، و لذلك تحمس للفكرة، في حين لم يستسيغوا هم إصدار مجلة تتحدث عن القضية المغربية من طرف فرنسي، ولذلك اعتبر نفسه مصدوما من التصريحات التي صدرت عن بعض الشخصيات الوطنية المغربية التي تقلدت مناصب وزارية بعد الاستقلال والتي ادعت لنفسها أنها كانت وراء إصدار هذه المجلة. أنظر،

Mohamed Hassan, Ouazzani, Combats d'un nationaliste marocain, éd, fondation M.H. Ouazzani, FES, 1987, T1, p 13.

² - Bachir Tlili , Le Mouvement national marocain à La veille de la deuxième guerre mondiale (1932-1937), in, les mouvements politiques et sociaux dans les années 1930, Acte du troisième séminaire sur l'histoire du mouvement national , 17, 18 et 19 mai 1985, pp 15-111.

³ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 81.

لقد استطاع الشباب المغربي الذي كان يكتب في مجلة "مغرب"¹ إثبات وجود تيار مغربي في الخارج ساهم في توعية الرأي العام الفرنسي. وكشف انحرافات السياسة الاستعمارية و في وضع مشاكل المغاربة على بساط السياسة الفرنسية. فقدت لعبت هذه المجلة دورا مهما في تطوير العمل الوطني، باعتبارها أول لسان للحركة الوطنية المغربية في الداخل و الخارج كما جاء في عدد من أعدادها في شكل نداء للشعب المغربي على أنها " أول لسان حر انطلق في الدفاع عن حقوقه والتعبير عن رغائبه و متمنياته"² كما كانت "نتيجة عظيمة لجهود متضافرة قامت بها نخبة من الفرنسيين الوجهاء في ميدان السياسة، الغيورين على المصلحة الحقّة لأمتهم، و سمعة بلادهم الطيبة، تلك المصلحة وهذه السمعة اللتان لا تثبتان إلا مع نصرّة الحق وصيانة العدالة في حدود التعهدات والضمانات، وفي دائرة كرامة الإنسان أيما كان جنسه ولغته و عقيدته"³.

لقد استطاعت مجلة "مغرب" أن تقدم خدمة كبيرة للقضية المغربية على المستوى الإعلامي والسياسي. ولذلك وجدت تقبلا كبيرا لدى المغاربة الذين اعتبروها ترجمة لهم و لأفكارهم. و بقدر ما قدمت هذه المجلة خدمة للشعب المغربي، كذلك فعلت بالنسبة لفرنسا والشعب الفرنسي لأنها قامت بالمراقبة كوظيفة أساسية في الممارسة الديمقراطية. فقد كتب في أحد أعدادها الزعيم الاشتراكي الفرنسي "بيير رونوديل" *Pierre Renaudel*، الذي كان رئيس لجنة مناصري هذه المجلة، أن دور الصحافة في العالم الحر مهم جدا خاصة عندما تعلق الأمر "بنظام استعماري استعمل منظومة الحماية لتحقيق مصالحه التوسعية ولو على حساب كرامة و قداسة الشعوب الأخرى. و لذلك من الواجب في مثل هذه الحالات أن تجلب الصحافة نظر الدولة إلى مثل هذه الوقائع التي تعبر عن ممارسات غير إنسانية و يجب إصلاحها وتقويم اعوجاجها باتخاذ كل الوسائل الضرورية التي تحول دون تجدد مثل هذه الأعمال"⁴.

لقد ظهرت مصداقية هذه المجلة من خلال قيامها بمهمتها الأساسية المتمثلة في الإعلام بتقديم الحقائق حول المغرب بكل مصداقية. و قد كان رئيس تحريرها " لونغي" مطالعا

¹ - هم محمد حسن الوزاني الذي كان أكثرهم كتابة في كل الأعداد. و أحمد بلافريج الذي كان نادر الكتابة فيها. و عبد القادر بن جلون وزوجته، محمد اليزيدي، عمر عبد الجليل، عبد اللطيف الصيحي. و محمد الخلطي. أنظر،

Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 199.

² - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T1, op.cit., p , 111.*

³ - *ibid.* , p , 126.

⁴ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T1, op.cit., p , 126.*

على كل ظروف الحماية لتقديم حقيقة ما كان يعانيه المغاربة تحت هذا النظام. وبالإضافة إلى ثقافته السياسية العالية التي كان يتمتع بها، فقد بقي في المغرب لمدة كافية سمحت له بالتعرف على حقيقة الأوضاع. التي لم يكن الفرنسيين يعلمون عنها الكثير نظرا لخضوعهم تحت الدعاية الرسمية اليمينية التي جعلت من التواجد الفرنسي في المغرب "إنجازا حضاريا كبيرا"¹ و لذلك كانت مهمة "مغرب" في إظهار الحقيقة للرأي العام الفرنسي، بفضح ما قام به النظام الاستعماري تحت مسميات متعددة. فبالرغم من تسميتها المغربية فإن المجلة تناولت قضايا استعمارية في مناطق أخرى مثل الشام و العراق و تونس و حتى الهند².

فقد جاء في العديد من مقالاتها أنه "إذا كان الإعلام يسعى للتعريف بالحقائق، فإنه يتضمن بالضرورة إزالة الغموض، و يقتضي ذلك إعلام الشعب الفرنسي بأن المغرب ليس تلك المملكة التي كان سكانها يتمتعون فيها بحسنات فرنسا في مختلف المجالات"³. فقد ظهرت تلك "الإجازات العظيمة لنظام الحماية؟" في الواقع المر الذي يعيشه المغاربة في كل نواحي حياتهم اليومية. فقد أدت الحرب الشرسة التي أعلنت على المغاربة أثناء قمع المقاومات العسكرية إلى تهجير الفلاحين من أراضيهم حيث حل محلهم فئة جديدة من الملاك قدمت من الجزائر و جزيرة كورسيكا⁴. أما الإجازات التي كانت سلطات الحماية تتبجح بها و تنشرها أبقاها الصحفية في المغرب و في باريس فقد كانت مخصصة للمستوطنين الأوروبيين الذين سكنوا في الأحياء الراقية ذات الشوارع الكبيرة والنظيفة. أما المغاربة فقد بقوا داخل أسوار مدنها القديمة في وسط الأوحال. و تفتقر إلى أدنى مواصفات الحياة الخاصة بالإنسان⁵.

و من الناحية الثقافية فقد فضحت "مغرب" ما كانت تدعيه سلطات الحماية تدعيه أنها قامت بتعليم المغاربة و تثقيفهم ثقافة عصرية تتماشى مع الحضارة فإن ذلك كان كذبا و تزيفا للحقائق. فقد قامت الإدارة التعليمية الفرنسية في المغرب بنظام تعليمي عنصري. فلم تكن تسمح لغالبية المغاربة بمزاولة تعليما نوعيا. و لم تكن المدارس الثانوية تسمح بتمدرس للمغاربة يتجاوز الفئة الثالثة التي كانت تتمثل في الحرفيين والأعمال المهنية. ورفضت سلطات الحماية إصلاح جامعة القرويين و كان كل همها في تحويلها إلى مؤسسة يتم من خلالها

¹ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 35.*

² - *ibid., p ,375.*

³ - *ibid., p 36.*

⁴ - Mohamed Hassan, *Ouazzani, Combats d'un nationaliste marocain T1, op.cit., p , 150.*

⁵ - *ibid., p 177.*

السيطرة على المغاربة. كما تم تهميش اللغة العربية وعزلها من المدارس الأمازيغية¹. أما قطاع العدلية فقط حولته سلطات الحماية إلى وسيلة لقمع المغاربة. وقد كانت أحداث الظهير البربري مثالا قائما بذاته. فقد اعتبر "لونغي" في العديد من المقالات أن هذه الممارسات، التي من كان من ورائها أعوان إدارة الحماية، مثل "المراقبين المدنيين" و"ضباط الشؤون الأهلية" أضرت بسمعة فرنسا كثيرا. خاصة من خلال بعض الإجراءات القمعية التي سمح بها المقيم العام "هنري بونصو" بنفسه، لعدد من المغاربة مثلما حدث للأحد الوطنيين المغاربة و هو عبد القادر التازي. وحتى بعض الفرنسيين المتعاطفين مع القضية المغربية عندما قامت سلطات الحماية بأمر من المقيم العام بنفي أحد المعلمين الفرنسيين الاشتراكيين في مدينة فاس يدعى "إيبانيز" إلى الجزائر لأنه كشف عن حقيقة الممارسة الفرنسية في المغرب أثناء دروسه².

ومثل هذه الكتابات وغيرها جلبت لمجلة "مغرب" الكثير من الحقد عليها والتخطيط لضربها من طرف من اعتبرهم الوزاني "حولوا الحماية من وصاية إلى جناية سواء من الفرنسيين أو المغاربة المواليين لهؤلاء"³. وفي كثير من الأحيان كان رئيس تحريرها "لونغي" محل هذه الحملات باعتباره حاميا قانونيا و سياسيا، وذلك اتهم عدة مرات من قبل معارضيه بالخيانة وكراهية فرنسا وغيرها من التهم. التي اعتبرها هو من طرف أعداء فرنسا قبل المغرب، لأن ما قامت به "مغرب" هو "قدرتها الكبيرة بالوثائق و القرائن و البراهين على كشف ممارسات الحماية. و الدفاع عن الشعب المغربي الذي كان ضحية مظالم المتسلطين الرأس ماليين، و القساوسة الحاقدين ولأنها كذلك تسعى لاسترجاع المغاربة لسيادتهم. والحفاظ على شرف الجمهورية الفرنسية العلمانية. و هذا هو نجاحها الكبير"⁴.

وبالنسبة لهيئة تحرير مجلة "مغرب" فإن المسألة لا ترتبط فقط بالممارسات التي كانت سلطات الحماية تقوم بها في مختلف المجالات، فهذه الأخيرة كانت نتيجة القراءة الخاطئة و المتعمدة بطبيعة التواجد الفرنسي في المغرب. فقد قامت سلطات الحماية بخرقه وتجاوزه فمملكة الأشراف العلويين لم تكن مستعمرة. و كانت تتمتع بنظام خاص نصت عليه مختلف المعاهدات الدولية. و قد نصت هذه الأخيرة على مجموعة من المبادئ من أهمها الحفاظ على

¹ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 36.*

² - *ibid.*, p , 376.

³ - Mohamed Hassan Ouazzani, *Le Protectorat Crime De lèse-Nation, Le cas Du Maroc, Fondation Mohamed Hassan Ouazzani ,Fès,1992, p 57.*

⁴ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T1, op.cit., p ,115.*

وحدة المغرب وسيادة السلطان. وطبيعة نظام الحماية باعتباره مرحلة مؤقتة وانتقالية. و لكن واقع الحال أظهر أنه كان " ممارسة ميكافلية"¹.

فالنسبة لمبدأ السيادة فإن الشبان المغاربة الذين كانوا يكتبون مقالات في مجلة "مغرب" لم يتوقفوا على تنبيه سلطات الحماية بأنه لا يحق لها بأن تقوم بأية إصلاحات جذرية تمس بمبدأ سيادة السلطان على المغرب بنص المعاهدات الدولية، ابتداء من معاهدة الجزيرة سنة 1906 إلى معاهدة الحماية في مارس 1912. بالعكس من أهم الالتزامات التي تضمنتها هذه المواثيق هو تطوير المغرب في مختلف المجالات بما لا يتناقض مع مبدأ السيادة المغربية فقد كتب أحمد بلافريج مقالا في أحد أعدادها بأن "المغرب كان منذ عهود تاريخية طويلة دولة مستقلة. ولا يمكن أن يكون مستعمرة ولكنه محمية. وكل ممارسة فرنسية في المغرب لا تأخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة فهي باطلة"². وقد كان هذا الطرح من العناصر الأساسية التي اعتمدت عليها "مغرب" لمواجهة السياسة البربرية سواء بتعبئة المغاربة أو من خلال إعلام الرأي العام الفرنسي الحرباً " السياسة البربرية متعارضة مع روح معاهدة الحماية لسنة 1912"³.

كذلك فإن مسألة الوجود المؤقت لفرنسا في المغرب بنص العهود و المواثيق كان محل تحليل و تفسير من طرف هيئة تحرير مجلة " مغرب ". فقد كانت مضامين عقد الحماية بحد ذاته بالنسبة لها من وسائل مواجهة الظهير البربري 16 ماي 1930. لأن هذا العقد تضمن الطابع المؤقت لصفته القانونية. فقد طرح على أعمدة "مغرب" تساؤلا محوريا حول هذه القضية و هو: كيف يمكن لنظام مؤقت بنص القانون أن يقوم بتشريع طويل المدى؟⁴. و لذلك كتبت الكثير من المقالات حول هذه المسألة. فقد اعتبر الوزاني في أحد أعدادها أن "نظام الحماية بالنسبة للمغاربة هو بمثابة وصاية. و تنص الأعراف الدولية على ضرورة نهاية هذا النظام. ولا يمكن استثناء الحالة المغربية عن هذه القاعدة"⁵. إلا أنه مما يجب الإشارة إليه أن مطالبة الشبان المغاربة بإنهاء عقد الحماية لم تكن في شكل قطيعة نهائية مع فرنسا. ففي

¹ - Mohamed Hassan Ouazzani, *Le Protectorat Crime De lèse-Nation*, op.cit., p ,25.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 03، مصدر سابق، ص، 219.

³ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2*, op.cit., p , 38.

⁴ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T1*, op.cit., p ,185 - 193.

⁵ - *ibid*.

الكثير من المقالات تحدث هؤلاء في مقالاتهم عن تعويض نظام الحماية بعلاقات تعاون استثنائية للمغرب المستقل مع فرنسا. ولم يكن ذلك "اجتهادا مغربيا ولا تمييزا عن الحالة العامة" لأن معاهدة الحماية بحد ذاتها تضمنت ضرورة تطوير هذا النظام بشكل سيسمح للمغاربة بتسيير شؤونهم بأنفسهم في إطار علاقات متينة مع فرنسا. إلا أن نظام الحماية لم يرق بهذه المهمة وحرص على إبقاء المغاربة في وضعية متدهورة. بل سعى لأن يتحول إلى نظام إدارة مباشرة من خلال العديد من تشريعاته وعلى رأسها الظهير البربري لـ 16 ماي 1930.

وانطلاقا من تشخيص لأحوال المغرب و المغاربة التي كانت نتيجة انحراف نظام الحماية لمهمته، فإن العديد من مقالات "مغرب" طالبت فرنسا الرسمية بتصحيح هذا التوجه. والعودة إلى روح معاهدة الحماية التي جعلت من التواجد الفرنسي في المغرب مؤقتا¹. و يترتب عن ذلك تحضير باريس المغرب للتقدم و التطور على جميع الأصعدة. ففي المجال السياسي يجب على نظام الحماية أن لا يحرم المغاربة من حقوقهم الأساسية من حريات فردية و عمومية و جعلها حكرا على الأوروبيين². كما يجب عليه أن يسمح للمغاربة بحرية التعبير عن آرائهم بدون يؤدي ذلك إلى زجر و قمع و قهر كما حدث في العديد من المرات و خاصة في أحداث الظهير البربري. و قد ذكر الوزاني في إحدى مقالاته في "مغرب" أنه حتى عندما أراد نظام الحماية الاعتماد على المغاربة في تسيير بعض أمورهم الإدارية المركزية و المحلية فإنه تعمد في اختيار عناصر متخلفة جدا و غير كفئة. و رديئة و لا تملك أي مقوم للقيام بذلك و عوض أن تسهر على حل المشاكل اليومية للمغاربة، فإن همها الوحيد في قمع أية محاولة يقومون بها المغاربة لتحسين أحوالهم الاجتماعية. و كانت فئة ممقوتة من طرف المغاربة. و لذلك يجب إنهاء التعامل مع هؤلاء "بني وي وي". الذين كان لهم دور كبير في تخلف المغرب³. ويتطلب ذلك "إنهاء النظام الذي أحدثهم و جعل منهم وسطاء بين فرنسا و المغاربة و تعويض ذلك بنظام عصري يسمح للشبان المغاربة بأن يكون لهم فيه دورا محوريا. و يعتبر ذلك من صلب المهام التي كانت منوطة لنظام الحماية⁴. و قد أعطى "

¹ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T1, op.cit., p ,185 - 193.*

² - *ibid.*

³ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 39.*

⁴ - *ibid.*

لونغي" تفسيرا للانحراف الذي عرفه نظام الحماية بتأثره بالنظام المجاور للمغرب الذي كان قائما في مستعمرة الجزائر. الذي " كان هو الآخر عقيما و لم يقدم للجزائريين النموذج الفرنسي الذي عبر في العديد من محطات التاريخ الفرنسي عن القيم السامية للشعب الفرنسي التي نادت بها الثورة الفرنسية. و اقتصر على تقديمه للنموذج الذي فرض الضرائب وسلب الحقوق وأراد إرغام السكان الأصليين على التنصر. لذلك وجب على النموذج الآخر لفرنسا أن يفضح ذلك الانحراف الذي يتم باسم فرنسا وبإمكانه أن يولد في المستقبل أياما عصبية بالنسبة لفرنسا. كما تنبأ بذلك حاكم الجزائر السابق مورييس فيوليت في كتابه هل ستعيش الجزائر؟¹.

لم تترك مجلة "مغرب" ميدانا من ميادين السياسة الفرنسية في المغرب إلا و كتبت فيه و قدمت حوله الكثير من المضامين و التحاليل. و فضحت سلطات الحماية. التي تضايقت كثيرا بخطها الافتتاحي. و لذلك اعتبرتھا عدو من وراء البحار، وتحركت كل مؤسسات الحماية في المغرب ضدها، و نظمت العديد من الحملات لمنع دخولها إلى المغرب. و كتبت هذه المؤسسات العديد من الرسائل إلى المقيم العام تطالبه فيها بمنع دخول هذه المجلة إلى المغرب والبحث عن كتابها ومعاقبتهم لأنها " قامت بحملة ضد فرنسا نفسها وأحطت بقيمتها الحضارية و لم تترك جانبا من هذه القيم و إلا و سودته. و لم تترك فيه جانبا يعتز به الفرنسي في المغرب"². و قد ردت "مغرب" على هذه الإدعاءات حيث جاء في أحد مقالاتها أن دورها كان يتمثل في " التعريف بالوجه الحقيقي لفرنسا الحضارة. وأنها عملت على التقريب والتوفيق بين الأهالي والمستعمرين بواسطة سياسة ترتكز على العدل و التعاون خاصة لا القهر و الاستغلال. و لأجل هذا فان كل الذين يعملون على التقريب بين هذه الشعوب والفرنسيين، فإنهم في الحقيقة يعملون من أجل فرنسا، ومشهرين الحرب على أولئك الذين

¹ - يتعلق الأمر بالكتاب الذي ألفه الحاكم العام الاشتراكي "مورييس فيوليت" أثناء الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر، ومنه استمد "ليون بلوم" خطة الجبهة الشعبية سنة 1936 المعروفة بمشروع "بلوم فيوليت" الذي ترتب عنه انعقاد المؤتمر الإسلامي. و قد أشار "لونغي" إلى موقف فيوليت في الجزائر الذي كان متقاربا مع نظراته إزاء السياسة الاستعمارية الفرنسية أنظر Georges Oved, *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain*, T2, op.cit., p, 39.

² - كتبت العديد من المؤسسات الاستعمارية في المغرب رسائل و برقيات إلى المقيم العام تطلب منه منع دخولها من أهمها هذه المؤسسات " المجلس البلدي المسلم و الإسرائيلي لمدينة فاس " و " الغرفة التجارية " و " الغرفة الفلاحية " أنظر، Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain* T2, op.cit., p , 40.

أصروا على المحافظة على القواعد القديمة للاستعمار التي أكل عليها الدهر وشرب.و يريدون تخليد الأحقاد والضغائن القديمة"¹.

لم تقتصر مكاسب مجلة " مغرب " للقضية المغربية على الحملات الإعلامية التي كانت تقوم بها على أعمدتها لصالح القضية المغربية.فقد كانت كذلك من خلال الزيارة التاريخية التي قام بها رئيس تحريرها إلى مدينة فاس في ربيع 1933 مما سمح له بالتزود بالكثير من الوثائق و المعطيات في كشفه لوسائل نظام الحماية في المغرب².و لذلك قرر القيام بحملة إعلامية واسعة لتعريف الرأي العام الفرنسي بهذه الممارسات.ففي 19 ماي 1933 وبمناسبة الذكرى الثالثة للظهير البربري نظمت هيئة تحرير هذه المجلة مع هيئة " أصدقاء العالم " ندوة في باريس.و قد كانت بمثابة أول حوار حول القضية المغربية للتعريف بها في الدوائر السياسية الفرنسية.و قد استعمل فيها "لونغي" رصيده لدى الأوساط اليسارية.وحرص على أن يكون من المدعوين عدد من الوجوه اليسارية الكبرى.كما أعطى فرصة للشبان المغاربة لتقديم القضية المغربية لهؤلاء مما أكسبها الكثير من الدعم.فقد ظهر الشبان المغاربة في هذا اللقاء على أنهم أصحاب قضية التي وصل صوتها إلى مختلف الدوائر السياسية الفرنسية³.

لقد أدت جراءة المواضيع المطروحة في هذه المجلة إلى عدة إجراءات قامت بها سلطة الحماية لمنع دخولها إلى المغرب كمحاولة سبتمبر 1932 عندما اعتبرت المجلة سببا في الإخلال بالنظام العام،وبعد فشل هذه المحاولة الأخيرة بفعل تدخل الرئيس "هيريو" الذي أجل

¹ - محمد حسن الوزاني مذكرات، ج3، مصدر سابق، ص 281 .

² - زار " لونغي" المغرب عدة مرات في إطار قضية " أحمد جبلي العيدوي"و تعرف على الواقع المغربي تحت الحماية الفرنسية.و لكن زيارته في سنة 1933 كانت بدعوة من الشبان المغاربة و الوزاني بصورة خاصة الذي استقبله في بيته و اعتبره ضيف المغرب و المغاربة.و قد وفر له كل ظروف الإقامة المريحة التي استمرت أربع أسابيع. و جاء الكثير من المغاربة للتعرف على صديق المغرب و التعبير له عن مشاعر التقدير و الإعجاب و الاعتراف بالجميل. و تحول بيت الوزاني إلى كعبة الزوار من كل مكان.و تنافس سكان فاس في إكرامه و التعبير له عن حسن الضيافة.و قد كتب "لونغي" الكثير عن هذه الزيارة في العدد 10 من مجلة "مغرب" بتاريخ 10 /04/ 1933 تحت عنوان " شهر في المغرب في ضيافة المغاربة". كما سمحت له هذه الزيارة بالتعرف على الأوساط الوطني في الشمال المغربي عن طريق أحمد بلافريج. أنظر،محمد حسن الوزاني،مذكرات حياة و جهاد ج 04،مصدر سابق ص 357 .

³ - وقعت الندوة بقاعة " المشرق الكبير Grand Orient " و حضرها احمد بلافريج و بن جلون حيث قاما بمداخلات جلبت انتباه كل الحضور الذين أعجبوا بالمنهجية التي اعتمداها الرجلان.و قد أدت هذه الندوة إلى تقديم أحمد بلافريج لعدد من البرلمانيين الفرنسيين الذين حضروا.و أعجبوا كثيرا بنبيله و فصاحته لسانه و معارفه الواسعة حول السياسة الفرنسية.أنظر،

Georges Oved , La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 40.

قرار المنع لعدة شهور. فإن مطاردة سلطات الحماية لها بقيت متواصلة إلى أن تم منع دخولها بصورة نهائية إلى المنطقة السلطانية (الجنوبية) في ماي 1934¹.

لقد حققت مجلة "مغرب" مكاسب لا يمكن لأي متتبع للحركة الوطنية المغربية تجاوزها، وقد كان ذلك كافيا وملبيا لحاجة وطنية جاءت مباشرة بعد الاحتجاج على الظهير البربري، إلا أن التطور التاريخي لهذه الحركة أثبت محدودية نتائج هذه المبادرة، فقد منع عدد كبير من أعدادها الدخول إلى المغرب بقرار مقيمي مثل ما حدث في سبتمبر 1932. مما أثر على قوة تأثيرها في داخل المغرب. مما جعل الشبان المغاربة يبحثون عن وسائل إعلامية ذات فاعلية و تصدر في المغرب حتى يتمكنوا من التأثير على مسار الأحداث. ولكن في الواقع لا يعتبر منع المجلة من الدخول إلى المغرب وحده من وراء بحث المغاربة عن أداة تعبيرية أخرى. فقد أصبحت في أعين الوطنيين المغاربة غير كافية، ولم تصبح قادرة على تلبية كل طموحات الحركة الوطنية الناشئة، لأنها كانت شهرية ومحدودة، وبالرغم من أن تأسيسها كان لأجل القصيدة المغربية فإنها في العديد من المرات تناولت مواضيع أخرى حول الجزائر و تونس و الشام. و من جهة أخرى فإن الوطنيين المغاربة أدركوا منذ الأعداد الأولى للمجلة أن هناك اختلافات مذهبية مع حلفائهم السياسيين اليساريين حول تفسير الظاهرة الاستعمارية، وحتى مع "الفيدرالية الاشتراكية للمغرب" التي كانت دائما تدعي بأنها تدافع عن المغربية. وقد حدث نقاش كبير بين الشبان المغاربة والاشتراكيين الفرنسيين حول طبيعة العلاقة الموجودة بينهما. فمهما تحمس "لونغي" و رفقاءه للقضية المغربية، فقد كان ذلك بكونهم من قادة اليسار الفرنسي و منظريه. و حتى قراءتهم للحماية الفرنسي في المغرب كانت في هذا السياق. و بالتالي فإن هذه القضية بالنسبة لهم كانت " تتمثل في استغلال الرأسمالية للمغرب بمختلف الأوجه و قد كانت مصلحتها تقتضي الحفاظ على المغرب و استغلاله بكل الطرق و الوسائل. و بالتالي فإن نضال رئيس هيئت التحرير لمجلة "مغرب" كان له دلالة اشتراكية أكثر من غيرها من الدلالات الأخرى"².

¹ - مس المنع عدد من المجلات اعتبرها نظام الحماية أخلت بالنظام العام و مست أمن الجيش و دعت إلى التمرد و التحريض شملت عددا من الجرائد و المجلات و هي: "مغرب" الصادرة في باريس و "مجلة السلام" و جريدة "الحياة" الصادرتان في تطوان.

² - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 41.*

إلا أن قراءة الشبان المغاربة للدعم الاشتراكي لهم لم تكن مطابقة تماما لهذا التوجه فتفسيرهم للظاهرة الاستعمارية لم يكن مبنيا على المفاهيم الاشتراكية مثل "صراع الطبقات" و"الإمبريالية" وغيرها من المفاهيم و المصطلحات. فالنسبة لهم كان الأمر متمثلا في سيطرة واستغلال نظام الحماية للشعب المغربي. و حل هذه القضية مرتبط بإنهاء هذه الحالة. و تقربهم من اليسار كان من أجل ذلك الهدف فقط لا غير. و في هذه الحالة فإن اليسار لا يمكنه أن يطلب منهم الانخراط في الحزب الاشتراكي الفرنسي. و كان عليهم أن يعلنوا ذلك لـ " صديق المغرب " " لونغي" عندما طلب منهم ذلك كضرورة نضالية. وقد اعتبر بلافريج أن جهاد المغاربة ليس " بجهاد طبقات بعضها ضد بعض، بل جهاد أمة مقهورة تتألم و تعمل و ترى أمة أخرى ممتازة، تحتكر بدون ضمير وازع، مجهودات أعمالها، وتجبرها على أن تبقى منغمسة في الجهل و تمنعها حتى من حقوق الإنسان الضرورية"¹. أما الوزاني فرأى في ذلك الطلب شكل آخر من الاندماج و الذوبان. الذي كانوا يرفضونه مهما كان مصدره² وحتى إذا كانت لهم رغبة في ذلك فإن ذلك يجب أن تتم بعد استقلال المغاربة وعودة سيادتهم و بالتالي يكون لهم قرار حرا في الانخراط في الأممية العالمية³. و بالرغم من هذا الموقف لم يقتنع هيئة تحرير مجلة "مغرب" التي كتبت حول الموضوع بأن هذا الموقف من طرف الوطنيين المغاربة كان غامضا. "لأن الأمر لم يكن يتعلق بتنازل من طرفهم بقدر ما كان مرتبطا بالاعتراف بوجود صراع الطبقات في المجتمع المغربي. و أن تهريبهم من هذه الحقيقة كان سببه إعطاء فرصة للمجتمع المغربي حتى يتطور و يقضي عليها"⁴. فقد ظهر من ذلك النقاش أن كل طرف بقي حبيس خلفية بنية الاجتماعية، أو "طبقة الاجتماعية". و ربما لم تكن القنوات الديمقراطية لكل منها صريحة. فالتمسك الشديد لشبان المغاربة بكفاحهم الوطني لتحرير بلدهم فاجأ، و ربما أغضب، قادة اليسار في باريس⁵. و لكن الذين كان يهمهم بالنسبة لـ "لونغي" أن هؤلاء الشباب كانوا يكافحون لتحرير بلدهم باسم قيم الحرية و العدالة الاجتماعية و التقدم الاجتماعي. وكان هذا بالنسبة له كافيا بأن يعترف كل اليساريين، وليس فقط الاشتراكيين، بأنها نفس القيم التي

¹ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج01، مصدر سابق ، ص، 290.

² - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit. p, 70.

³ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2*, op.cit., p , 42.

⁴ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2*, op.cit., p 378.

⁵ - *ibid.*, p , 42.

ارتبطوا على مر التاريخ¹ و أخيرا و بالرغم من اختلاف الشبان المغاربة مع اليسار في تفسير الظاهرة الاستعمارية، فإن ذلك لم يفسد للود قضية، و ما جمع الشبان المغاربة مع هذا اليسار في الثلاثينات كان أقوى وأكثر صلابة من أن يفرقهم خلاف مذهبي حسب رأي " لونغي" نفسه².

2. مجلة " عمل الشعب *L'action du peuple* " 1933 – 1934 :

لقد أصبح البحث عن لسان آخر للحركة الوطنية بالنسبة للشبان المغاربة أمرا حتميا تفرضه الضرورة النضالية. ومن شأنه تعزيز ما حققته مجلة "مغرب" من مكاسب للحركة الوطنية. خاصة بعد أن أدركوا أنه أصبحت لهم قوة تعبوية بإمكانهم استغلالها بشكل مستقل عن دعم اليسار. وأصبح لديهم رصيда مهما من المقاومة السياسية بإمكانهم استثماره انطلاقا من أرض المغرب. فقد ذكر ذلك الوزاني، الذي يعتبر صاحب المشروع الجديد للجريدة، بقوله بأن مجلة "مغرب" لم تعد تلبي كل حاجات الحركة في النشر لأنها كانت محدودة. كما أن " الحركة أصبحت بحاجة إلى التطور تطورا حاسما بحيث لا تظل سائرة في التقليد ولا تبقى سجيئة السلبية بالاققتصار على حصر النشاط الوطني في الاحتجاج المألوف على السياسة البربرية فقد أصبح الكل يعرف موقفنا. و لذلك كنا بحاجة إلى أن لا نبقي في نقطة البداية بترديد نفس النداء و تلاوة نفس الدعاء وإرسال نفس الصيحة"³. و قد أدى به ذلك التشخيص لأوضاع الحركة الوطنية الفتية أنه يتجه نحو الصحافة كحل " للانتقال بهذه الحركة من طورها البربري إلى طور الكفاح الوطني العام"⁴. نظرا لما أصبح لها من نفوذ و تأثير. فقد أصبحت لهم أقلام صحفية قوية جدا ظهرت في أعمدة "مغرب" بالإضافة إلى متابعة عدد منهم لدروس عليا في مجال الصحافة كما هو الحال للوزاني الذي عبر عن ذلك بأنه انساق إلى الصحافة

¹ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 42..*

² - بقي "لونغي" على علاقة مع الوطنيين المغاربة و بصورة خاصة الوزاني حتى بعد الاستقلال . حيث بقي يتراسل معه . و بقيت الزيارات متبادلة بينهما. و حتى أن الوزاني زراه مع عائلته التي كانت مشتاقة للتعرف عليه بعد علموا عن نضاله في سبيل القضية المغربية الكثير. كما تأسف للإهمال الذي تعرض له بعد الاستقلال من طرف الذين كانوا معه في الكفاح. حتى السلطات المغربية فإنها لم تعامله بما كان يليق بمكانته التاريخية. و قابل ذلك تكريم أكبر خصوم الحركة الوطنية مثل الجنرال "نوجيس" الذي سمي — "صديق المغرب " انظر، محمد حسن الوزاني مذكرات، ج4، مصدر سابق، ص 16 – 17 .

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 03، مصدر سابق، ص، 346.

⁴ - المصدر نفسه ، ص، 347.

كحل للقضية الوطنية لأنه تخصص فيها و تخرج من مدرستها في باريس.و حتى عندما مارسها في مجلة "مغرب" فلم يكن غريبا عنها و لا كانت هي غريبة عنه¹.

لقد كانت عودة الوزاني إلى المغرب سنة 1933 حدثا هاما في مسار الحركة الوطنية المغربية لأنها أدت إلى انطلاقة جديدة اختلفت عما سبقتها أثناء الاحتجاج على السياسة البربرية. فقد عاد بتجربة ثرية في المجال السياسي و بصورة خاصة في الحقل الإعلامي. فقد بقي في أوروبا مدة سنتين بصورة متواصلة تنقل خلالها بين باريس و لوزان و مدريد. و تقرب كثيرا اليسار في هذه العواصم وتعرف على زعمائه الفرنسيين و الإسبان. خاصة أعضاء هيئة مساندة مجلة "مغرب" التي كانت تضم أعمدة هذا اليسار. بالإضافة أنه كان من المحررين الأساسيين في هذه المجلة. كما كان من المقربين للأمير شكيب أرسلان في جنيف لمدة زمنية كافية جعلته يتعرف أثناءها على عدد من الزعماء و القادة السياسيين العرب. و مارس كذلك الكتابة الصحفية في جريدة " الأمة العربية" التي كان يصدرها أرسلان².

فكل هذه العوامل جعلت من هذه العودة أكثر من مجرد عودة أحد المنفيين الوطنيين إلى بلاده. لأنها أحدثت تغييرا جذريا في الحركة الوطنية المغربية التي كانت مازلت تعيش على إحياء ذكرى الاحتجاج ضد الظهير البربري. و لم تكن قد رسمت لها آفاقا جديدة. و قد تزامنت كل ذلك مع تعيين "هنري بونصو *Henry Ponsot*" كمقيم عام جديد في المغرب في أوت 1933³ و كان تعيينه بمثابة بداية مرحلة جديدة بالنسبة للشبان المغاربة نظرا لعدد من الإجراءات التخفيفية لنظام الحماية فقام بعدد من إجراءات التهدئة في المغرب، من بينها إلغاء الفصل السادس من الظهير البربري في 08 أفريل 1934⁴. كما سعى لإبعاد الشبان المغاربة عن التأثير

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 03، مصدر سابق، ص، 349.

² - تم التطرق لعلاقة الوزاني مع الأمير شكيب أرسلان سابقا

³ - يعتبر المقيم العام الرابع في المغرب قدم من بيروت، أين مارس مندوبا عاما لفرنسا في الشام لمدة طويلة حيث عرفت فترته تصاعدا كبيرا في الحركات و قد كان يعتبر أن توقيف الحركات الوطنية التحريرية أينما كانت من صلب الحفاظ على مصالح فرنسا الاستعمارية. و لكن ليس حتما بقمعها بصورة متواصلة. و قد كان من وراء فشل المفاوضات الأولى مع عبد الكريم الخطابي في سنة 1926 حيث اشترط عليه استسلاما مطلقا و بدون أي شرط. إلا أنه حاول خلال ثلاث سنوات قضاها على رأس الإقامة العامة بالرباط (1933-1936) توقيف الاتجاه التصاعدي للحركة الوطنية المغربية بعدة إجراءات من بينها السماح بالنشاط الصحفي لإبعاده الشباب المغربي عن تأثير الاتجاه اليساري الفرنسي و إلغاء أية إمكانية لدخولهم في العمل السري. أنظر،

El-houari Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, op.cit. p, 11.

⁴ - *Georges Spillmann, Du protectorat a l'indépendance, op.cit. p, 65.*

الخارجي مهما كان مصدره. سواء كان "يساريا أو أرسلايا"¹ و كان يعتبر انه إذا كان سلفه "تيودور ستينغ" قد سمح للفرنسيين المتواجدين في المغرب بالكثير من الحرية السياسية و الإعلامية، فلماذا لا يسمح ذلك للمغاربة؟². وقد أعطت هذه التدابير للوطنيين المغاربة انطباعا بأنهم بصدد سياسة مقيمة جديدة في المغرب، فأرادوا امتحان مدى تقبلها للمتغيرات الوطنية من خلال أول خطوة تزامنت مع تعيين هذا المقيم العام في المغرب في أوت 1933. ففي نفس الفترة أصدر الوزاني جريدة أسبوعية باللغة الفرنسية من مدينة فاس تحت عنوان "عمل الشعب *L'Action Du Peuple*". و لم يكن ذلك بالأمر الهين ليس من جهة سلطات الحماية كما كان متوقعا من طرف صاحبها الوزاني، و لكن من جهة زملائه الوطنيين الذين لم يتقبلوا هذه الخطوة. ولذلك كان هذا الصحفية " وزانية" أكثر من كونها تابعة لحركة الشبان المغاربة³.

لقد صدر العدد الأول من جريدة "عمل الشعب" في 04 أوت 1933 و عبرت مضامينه عن انتقال نوعي في الحركة الوطنية المغربية من "عهد اللطيف" إلى عهد "الوطنية التحررية" فقد كان إصداره بمثابة بداية "حرب القلم". التي لم تكن تقل أهمية عن الحروب الأخرى التي خاضها المغاربة لمواجهة نظام الحماية. و جاءت افتتاحية العدد الأول تحت عنوان "إلى قرائنا" جاء فيه أهداف الجريدة التي اعتبرتها استمرارية لنضال المغاربة من أجل القضية المغربية

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit. p, 66.

² - *ibid.*, p 70.

³ - لقد أشار محمد حسن الوزاني في مذكراته إلى كل تفاصيل إصدار هذه الجريدة. و بالنسبة إليه فإنها كانت معاناة كبيرة. و قد ذكر أنه بعد عودته من فرنسا عرض مشروع إصدار جريدة مغربية باللغة الفرنسية على أعضاء "الزاوية" إلا أنهم صدموه برفضهم له مرجعين ذلك إلى أسباب مالية و غيرها من الأسباب التي لم تقنع الوزاني و اعتبرها بسبب أنه الوحيد الذي كان يتحكم في اللغة الفرنسية فخافوا أن يكون " مالكا لأداة الرأي الحر و التوجيه الوطني و العراك السياسي في المغرب" دون غيره من الوطنيين الشبان. كما اعتبر أنه كان ضحية " العنصرية القروية " و " العصبية الشخصية " التي كانت تعادي كل حداثة و عصنة التي لا تجاريهم و لا تنقاد إليهم. و قد كان محسوب عليها و كلفته عدائهم. و بالرغم من ذلك صمم على مشروعه الوطني الإعلامي بتمويله من ماله الخاص. و بالرغم من ذلك فإن أعضاء " الزاوية " طلبوا منه التريث و عدم إصداره لأسباب مجهولة. و قد اعتبر ذلك كشفا لحقيقة الأمر. و لذلك صمم على مشروعه أكثر من قبل و اعتبر ذلك أمر حريه و يتحمل كامل مسؤوليته فيه. و أعلن عن هذه الجريدة يوم 08 جويلية 1933 عند الاحتفال بالذكرى السنوية الأولى لإصدار مجلة "مغرب" الذي تم في مدينة سلا كرمز لانطلاق أول عملية احتجاجية على الظهير البربري من مسجد الكبير. و أمام أعضاء " الزاوية " و " الطائفة ". قد ذكر ترحيب الحاضرين بذلك بقوله " لقد استقبل ذلك الخبر وسط ابتهاج و حماس عظيمين مما دل على أن الجريدة جاءت في إبانها و أنها حققت أمنية وطنية عزيزة على الجميع. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 03، مصدر سابق، ص، 349 - 355.

التي عرفت تأزما متواصلا و خاصة بداية الاحتجاجات ضد السياسة البربرية سنة 1930.و لذلك من أهم ما تسعى إليه هذه الجريدة هو"الوصول إلى تفاهم بين الجانب المغربي و الفرنسي الذي أصبح ضروريا بعد ثلاث سنوات من الصراع ضد السياسة البربرية"¹.وعلى عكس الخط الافتتاحي لمجلة "مغرب" الذي كان منذ أول عدد له انتقادا لاذعا لنظام الحماية فإن "عمل الشعب" رفعت شعار الرغبة في الحوار مع هذا النظام في أول بيان لها.فقد جاء في هذه الافتتاحية أن من أهم أهداف الجريدة هو"العمل كصلة بين المغاربة والرأي العام الفرنسي في نطاق ذلك التفاهم المنشود على شرط أن يكون مجديا في تعبير الأوضاع وإرضاء المطالب المغربية في مجال التقدم و الإصلاح و الحرية كأهداف للحركة الوطنية المغربية"².

لم يكن للجريدة هيئة تحرير بما يحمله هذا المصطلح من معنى في عالم الصحافة.فقد اعتبر الوزاني نفسه صاحب الجريدة و رئيس تحريرها كما كان يكتب افتتاحياتها ويراقب سائر المقالات للمحررين الدائمين أو المؤقتين و لم يكن ينشر أي موضوع إلا بتأثيرته و ذلك للحفاظ على الخط الافتتاحي للجريدة و كذلك لتفادي الكثير من الضربات التي قد توجه إليها.خاصة وأنها كانت منتظرة ومتنوعة المصادر بما فيها الشبان المغاربة المتخرجين من القرويين ومن الجامعات المصرية،والذين تخوفوا في الأول كثيرا من جريدة لا يستطيعون مراقبتها لأنهم لا يتحكمون في لغتها³. و قاطعوها و لم يكتبوا فيها و لو بأسماء مستعارة كما كانوا يقومون بذلك في مجلة "مغرب".ولكنهم ادعوا فيما بعد أنهم كانوا من ورائها،و اعتبروها مفخرة للحركة الوطنية المغربية⁴.

لقد أعلنت جريدة "عمل الشعب" منذ أعدادها الأولى بأن هويتها "الدفاع عن المصالح المغربية".و اتخذت من مقولتين للزعيم الوطني المصري "سعد زغلول" حول حرية الصحافة شعارين لها⁵.وقد جاء في العديد من المقالات التي كتبها الوزاني،و تجاوز عددها الخمسين مقالا في الأربعين عدد التي صدرت بين أوت 1933 و ماي 1934 ، بأنها أصبحت لسان حال

¹ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p, 29.*

² - *ibid.*

³ - Jamaâ Baida, *la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 200.*

⁴ - *ibid.*

⁵ - تتمثل المقولتين في "الصحافة حرة،تقول في حدود القانون ما تشاء و تنتقد ما تريد،فليس من الرأي أن نسألها لم تنتقدنا؟بل الواجب أن نسأل أنفسنا: لم نفعل ما تنتقدنا عليه "و تتمثل الثانية في "إن كل تقييد للحرية يجب أن يكون له مبرر من الحرية نفسها و إلا كان ظلما".

الحركة الوطنية بدون منازع ولا يمكن الاستغناء عنه. و كل المعارك التي خاضتها كانت بمثابة معارك للحركة الوطنية المغربية. لأنها دافعت عن المغاربة. و واجهت نظام الحماية في عدة محطات. و لذلك أصبحت مواضيعها " تعبير عن الشباب المغربي الذي يستمد النهضة من التقدم بالسلم والعمل والتعليم والحرية، والدفاع عن القضية المغربية على أساس تفاهم عادل بين المغاربة والفرنسيين في إطار الحضارة العربية الإسلامية¹. لقد استطاعت "عمل الشعب" خلال فترة صدورهما أن تتحول إلى تيار وطني متكامل دافع عن المصالح المادية والمعنوية للشعب المغربي من خلال عدة مقالات هامة جدا في الكثير من أعدادها مثل، الحريات الديمقراطية والسياسة البربرية، و إصلاح التعليم و الفلاحة والعدالة والمساواة بين الفرنسيين والمغاربة ومسألة تعايش اليهود والمسلمين في المغرب ومواضيع أخرى تمحورت كلها في المشاكل الداخلية للبلاد والعلاقات الفرنسية المغربية. فلم تتوقف "عمل الشعب" عن مطالبة السلطات الفرنسية في الرباط و في باريس باحترام الاتفاقيات الدولية والثنائية التي حافظت على كيان الدولة المغربية مثل معاهدة الجزيرة لسنة 1906. ومعاهدة الحماية نفسها لسنة 1912.

لقد اعتبرت جريدة "عمل الشعب" نفسها أنها أكثر من مجرد جريدة كانت تطرح قضايا عادية. أو أنها كانت تتابع أخبارا حول قضايا لتعلم بها قرائها. فقد كانت تيارا وطنيا تفاعل مع القضايا الكبرى للمغاربة والتي مست حياتهم الاجتماعية والاقتصادية. ومس حتى القانون الأساسي للمغرب. وهذا ما حدث في فيفري 1934 عندما ألحقت باريس شؤون المغرب بوزارة "فرنسا ما وراء البحار" و تسمى كذلك بـ "وزارة المستعمرات"². من طرف رئيس المجلس الفرنسي " إدوارد دلاديه *Édouard Daladier* " بعدما كانت تابعة لوزارة الخارجية بحكم نظام الحماية. و قد كان هذا الإلحاق كدلالة على سيطرة القوات الفرنسية على كامل التراب المغربي بعد القضاء على آخر المقاومات العسكرية في الجنوب و الصحراء. و قد كان ذلك الإلحاق مساس خطير بمبدأ معاهدة الحماية لسنة 1912 التي حددت الصبغة القانونية للتواجد الفرنسي في المغرب على أنه حماية وليس بإدارة مباشرة. فمنذ ذلك التاريخ بقيت باريس تتعامل مع المغرب بهذه الصفة سواء من خلال مختلف مراسلاتها و حتى بتعيين المقيم العام لها الذي كان مرتبطا بوزارة الخارجية بصورة مباشرة. و يعتبر هذا الإلحاق بشكل من الأشكال

¹ - جريدة "عمل الشعب" العدد الأول في 1933/08/04، أنظر، *Mohamed Hassan, Ouazzani, Combats, T2. op.cit, p13*

² - لاندو روم، محمد الخامس، مصدر سابق، ص، 14.

استمرارية لما شرعت فيه فرنسا منذ سنة 1930 بإصدارها للظهير البربري الذي تضمن رغبة فرنسية بإعادة النظر في معاهدة 1912. و نظرا لخطورة هذا القرار فقد كان محل احتجاج من طرف العديد من المراكز في المغرب. و على رأسها السلطان الذي أرسل وزير خارجيته قدور بن غبريط لباريس محملا بمذكرة يطالب من خلالها إعادة إلحاق المغرب بوزارة الخارجية¹ نظرا لتعارض هذا الإلحاق بمبدأ نظام الحماية الذي نصت عليه معاهدة 1912. وقد كان كذلك فرصة للحركة الوطنية المغربية للتعبير عن متابعتها لكل ما يرتبط بالمغرب سلطة و مجتمعا. و بالإضافة إلى المظاهرات التي نظمتها في العديد من المدن المغربية. قام الشبان المغاربة بتحرير عريضة رفض أمضوها و فتوحها لكل المغاربة ثم أرسلت لباريس حيث حملت اسم "برقية فاس ضد الإلحاق". و كتب الوزاني في افتتاحية "عمل الشعب" حول الموضوع بتاريخ 09 فيفري 1934 تحت عنوان "المغرب تسطو عليه عصابة وزارية"² و قد جاء فيها تحليل لخلفيات هذا القرار و مصدره الذي كان يتمثل في "أكاديمية العلوم العسكرية" التي كان الماريشال ليوتي يترأسها و ضمت العديد من الشخصيات السياسية و الفكرية الفرنسية الاستعمارية. و قد كان من المصادفات الغريبة أن يكون ذلك القرار مصدره الماريشال "ليوتي" الذي يعتبر "مؤسس نظام الحماية في المغرب"³. و قد ظهر أنه "لم يكن هو بحد ذاته مؤمنا عندما كان في المغرب بين 1912 و 1925 و كان يتحدث عن النظام الدولي المغربي وشخصية المغرب، وسيادته، وخصوصيته بالنسبة للمستعمرات الفرنسية الأخرى"⁴. و لذلك فإن هذا القرار اعتبر "صدمة ومغامرة قام بها "دلاديه" لتوجيه الرأي العام الفرنسي عن الأزمة السياسية التي كانت فرنسا تعيشها. و طرح عدة تساؤلات حول مستقبل السياسة الفرنسية في المغرب بعد إلحاق هذا الأخير بوزارة لقيطة لا أساس لها من الشرعية السياسية و حتى الدبلوماسية. و بالتالي فإن المغرب سلطة و شعبا وحركة وطنية ترفض أن يصبح المغرب مستعمرة و سيعمل كل هؤلاء على عدم تطبيق كل التبعات القانونية المترتبة عن هذا القرار"⁵. و قد كان لهذه الحملة الإعلامية أثرها الواضح بباريس التي أعادت المغرب إلى وزارة

¹ - لاندو روم، محمد الخامس، مصدر سابق، ص، 14.

² - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p , 152 – 157.*

³ - *ibid.*

⁴ - *ibid.*

⁵ - *ibid.*

الخارجية مباشرة بعد سقوط حكومة "لدلبيه" الثانية في نهاية فيفري 1934. و قد اعتبرت "عمل الشعب" ذلك بمثابة "انتصار أنقذ البلاد و العرش"¹.

لم يكن يعلم المغاربة بالأسباب الحقيقية التي دفعت بالحكومة الفرنسية إلى إلحاق المغرب بـ "وزارة المستعمرات" إلا بعد أن ظهرت العديد من القوانين التي أعطت الحق للمستوطنين الأوروبيين بالاستيلاء على المزيد من أراضي المغاربة بحجة تعويضهم عن الخسائر المترتبة عن الأزمة الاقتصادية لسنة 1929. و قد ظهرت بدايات هذه العملية من خلال إنشاء "المحافظة العقارية المغربية" في فيفري 1934 كفكرة مستوحاة من قانون "فارنييه Warnier" في الجزائر لسنة 1873 الذي أحدث "الملكية الفردية"². خاصة و أن تلك المحافظة تحولت إلى "أداة قانونية سمحت لسلطات الحماية في النواحي في مختلف مناطق المغرب بضم آلاف الهكتارات من أراضي المغاربة إلى مستوطنات الأوروبيين بحجة "الصالح العام" وغيرها من الحجج الواهية التي كانت تنظم عمليات السطو على العقار المغربي.

وبالرغم من تلك الإجراءات فإن المعمرين كانوا يطالبون بالمزيد من الامتيازات. وللتأثير على سلطات الحماية بالمغرب قاموا بمظاهرات في الرباط أمام مبنى الإقامة العامة. و قد سميت بـ "حركة المعمرين المجزوزين"³. و قد كانت هذه المظاهرات قطرة الماء التي أفاضت الكأس وأعطت للوطنيين المغاربة فرصة التدخل المباشر في هذه القضية من خلال أعمدة جريدة "عمل الشعب" التي كتبت حول الموضوع بشكل مطول ومفصل فتحدثت عن تاريخ الاستيطان في المغرب بإنشاء أولى المستعمرات الفلاحية الفرنسية في المغرب التي تعود إلى سنة 1916⁴. و قامت بحملة إعلامية قوية في أعداد متتالية من "عمل الشعب" فقد وصفت افتتاحية العدد التاسع بتاريخ 03 فيفري 1934 تلك المظاهرات التي قام بها المستوطنون بـ "ثورة علي بابا"⁵. و كتب الوزاني مقالا تحت عنوان "الاستعمار المصان"⁶. و مقال آخر تحت عنوان

¹ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p , 152 – 157*.

² - شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 02، مرجع سابق، ص 322.

³ - قام المعمرون الزراعيون في المغرب في فيفري 1934 بضغط على الإقامة الفرنسية من أجل إعفائهم من دفع ديونهم و تظاهروا أمام الإقامة العامة و قاموا بحلق رؤوسهم كدلالة على أوضاعهم المالية المتدهورة و منه اتخذوا هذه التسمية .

⁴ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 409.

⁵ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p, 147*.

⁶ - *ibid.*, p, 150.

"إحصاء و مقارنة". وموضوع عنوانه "أيها المجزوز ادفع ما عليك من ديون"¹. و قد تضمنت كل هذه المواضيع بيان كل ما استولى عليه المعمرون منذ إعلان الحماية و مقارنة ذلك بوضعية الفلاح المغربي الذي كان ضحية هذا الاستعمار الفلاحي. و قد تم وصفت "عمل الشعب" حركة هؤلاء المعمرين بـ "ثورة اللصوص الذين تكتلوا للاستيلاء على ميزانية الدولة و نهب ما بخزينتها. فتحولوا بذلك إلى رضعاء مدى الحياة لأنهم أصروا على بقائهم في حالة رضع كل مقدرات الشعب المغربي"². و في العدد الحادي عشر كتبت "جريدة الشعب" حول الموضوع بمقالات أخرى مست جوانب أخرى من القضية من خلال تأثيراتها على الشعب المغربي مثل "الفلاح المغربي ينتظر عهد سلم و تقدم"³.

لقد استطاعت الحملات الإعلامية التي قامت بها "عمل الشعب" ضد حركة المعمرين بتوقيف أخطر حملة استيطانية كان الأوروبيون بصدد القيام بها. بالرغم من أن القانون الأساسي للمغرب لا يسمح لهم بالتوسع العقاري بصورة مطلقة كما كانوا يريدونها. و قد كان لمقالاتها الأثر الكبير على الموقف المغربي الذي تنبه لخطورة العملية ولذلك توالى الاحتجاجات في العديد من المناطق القروية المغربية ضد العديد من التوسعات الفلاحية. و قد أحدث ذلك تصعيدا وطنيا خطيرا لم يشهده المغرب من قبل. فكتب أحد العسكريين من مدينة فاس إلى قيادته أن الشباب المغربي عبروا عن تذمر المجتمع المغربي بشكل لم يسبق له مثيل عن طريق ما كانوا يكتبونه في "عمل الشعب"⁴. و يفسر ذلك الحقد الذي أصبح للمعمرين على هؤلاء الشباب وبصورة خاصة الوزاني إلى درجة أنهم قاموا بخطة لاغتياله في مقر جريدته⁵ و قد يفسر هذا المشروع ما نشرته "عمل الشعب" في العدد الثاني عشر والثالث عشر الصادر في 02 مارس 1934 الذي جاء فيه تفاصيل رقمية عن الموضوع من خلال بيان مجموع الأملاك العقارية المغربية المصادرة لصالح الاستيطان الأوروبي في المغرب. و

¹ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p, 147.*

² - *ibid.*

³ - *ibid., p, 157.*

⁴ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance, op.cit. p, 73.*

⁵ - ذكر الوزاني تفاصيل قصة مثيرة حول مشروع اغتياله من طرف المعمرون عندما طلبت منه السلطات المنية لمدينة فاس بالبقاء في بيته و عدم الخروج منه لأنهم توصلوا بمعلومات تفيد بحقد المستوطنون عليه نظرا للحملة الإعلامية التي قام بها ضدهم في جريدة "عمل الشعب" و قد رفض الوزاني الاختفاء. و قد أحدثت هذه القضية غليانا كبيرا بين أوساط سكان مدينة فاس. و لم تهدأ إلا بعد أن ضمنت سلطات المدينة حماية الوزاني و عدم تنفيذ المستوطنين لخطتهم. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 419 - 433.

قد مست هذه العملية أراضي الأوقاف الإسلامية و أراضي الجماعات القبلية.و الأراضي الخاصة بمختلف القوانين و التشريعات لقد اعتمدت "عمل الشعب" في هذه المعركة الإعلامية ضد المعمرين على معطيات رقمية دقيقة وضحت التصاعد الكمي والنوعي لهذه "الوصفية الاستعمارية" التي تمت في المغرب متناقضة بصورة كلية مع نصوص معاهدة الحماية¹.

لقد أثبتت المعركة الإعلامية التي قامت بها جريدة "عمل الشعب" ضد "حركة مجزوي الرؤوس" أنها تعبير عميق عن الشعب المغربي في كل مناطقه ومن جميع فئاته.فهؤلاء الشبان المغاربة الذين طالما وصفوا من طرف أبواق نظام الحماية من رجالها و صحافتها التي كانت تصدر في المغرب تحت عناوين مختلفة و لكن لأهداف موحدة لمنع أية حركة تغيير في المجتمع المغربي من طرف الشبان المغاربة خاصة عندما اقتحموا عالم الصحافة بقوة و بدأو في كشف و فضح خبايا نظام الحماية الذي كان له توجهها استيطانيا مغلفا بشعارات براءة خاطئة و مخادعة. و من أهم هذه الصحف التي شنت حملة على الشبان المغاربة و كانت "أشد خبثا وسفاهة"،على حد تعبير الوزاني²، "تقدم فاس" و"شمعة فاس" و"بريد المغرب" و"صدى المغرب" و"الصوت الفرنسي" و"الشمس المغربية".فقد كانت هذه الصحافة تسمى هؤلاء الشباب بـ"البرجوازيون الوطنيين" و"المثقفون الفرانكفونيون"،وغيرها من التسميات التي كان الغرض منها إبعادهم عن الانتماء العميق لمجتمعهم.إلا أن المعارك التي خاضتها "عمل الشعب"،كانت معارك الشعب المغربي و معارك الحركة الوطنية المغربية التي جعلت من هذه الجريدة هيكلا تنظيميا التفت حولها ضد سياسة نظام الحماية بجميع مظاهرها.ولذلك أثبتت في العديد من المناسبات سطحية هذه النعوت التي ألحقت بهم كانقطاعهم عن أصالة المجتمع المغربي.ومن أهم هذه المحطات ما قامت به "عمل الشعب" حول قضية الأوقاف التي قامت سلطات الحماية بالتدخل فيها والاستيلاء على أملاكها.وقد كان ذلك متعارضا مع معاهدة الحماية.وقد ظهرت مظاهر ذلك التدخل في إقحام عناصر فرنسي في"المجلس الأعلى للأحباس".الذي كان هيئة مغربية صرفة تشرف على الأوقاف وكانت تابعة للسلطان مباشرة لما كان لهذا الجانب من قداسة وبعد تاريخي في مملكة الأشراف العلويين.وقد أدى هذا

¹ - ذكرت " جريدة عمل الشعب" أنه في سنة 1934 قدرت مساحة الأراضي التي تمت مصادرتها بـ 825 ألف هكتار تمثلها أكثر من 3000 ضيعة و تمثلت في أجود الأراضي و أقربها للمدن و الطرق و الأنهار.أنظر، محمد حسن الوزاني،مذكرات،ج3 ، مصدر سابق ص 432.

² - محمد حسن الوزاني،مذكرات،ج3 ، مصدر سابق ص 368.

التدخل إلى زوال هذه الهيئة لتحل نحله هيئة من صنيعة نظام الحماية تحت عنوان "إدارة مراقبة الأحباس" التي أصبحت تابعة لسلطات نظام الحماية وتم من خلالها الاستيلاء على العديد من الأراضي الحبسية و تحويلها إلى الاستعمار الفلاحي. وقد قامت "عمل الشعب" بنشر كل العرائض والشكاوي التي قدمتها المؤسسات الوقفية في مختلف المدن المغربية إلى السلطان باعتباره الحامي الشرعي لهذه الأملاك. من بينها "عريضة الرباط" و "عريضة الدار البيضاء" و "عريضة فاس". و قد وجهت كلها إلى السلطان محمد بن يوسف. ففي عريضة الرباط التي نشرت في 20 فيفري 1934 جاء فيها أن "الأحباس التي تركها السلف الصالح و التي أوقف فيها قسما كبيرا منها أجدادكم أصبحت تصرف في غير مصارفها و تبذل في غير وجوها و يحال بين بينها وبين الوصول إلى أهلها و أصحاب الحق فيها"¹. وتضمنت العريضة وصفا لحالة الشعب المغربي بفعل السياسة الاستعمارية في مختلف الميادين بما "أصيب به الرعية من الفاقة والإملاق حتى كادت روحها تصل إلى التراق بما انتزع من أراضيها و أملاكها و فرض عليها من الضرائب المتعددة التي أدت غلى تحطيمها و إنهاكها حتى أصبحت أكثر القبائل جائعة عارية و هاجرت إلى المدن عسى أن تتخلص من نار الجوع الحامية..."². أما عريضة الدار البيضاء التي نشرتها "عمل الشعب" فقد جاء فيها أن "المسلم من حيث أنه مسلم لا يرضى بالتهاون في أمر دينه الذي خلق لأجله و الذي يؤثر الموت على الحياة في سبيله... فلم تبقى الأحباس وصارت إلى العدم"³. و جاء في عريضة فاس "أن الوزارة الحبسية أخذت غير الشكل الذي كان ينتظر منها. فاعتادت المراقبة غير القانونية و التصرف مباشرة في أجباس المسلمين و ولاية لغيرهم عليها. فقد أصبحت الأحباس في خطر فالكثير من المعاهد و المساجد عطل و الملايين التي جمعت هنا و هناك إستسلفت و شتى المآثر التاريخية الغالية بيعت أو نقلت"⁴.

لم تكن مخاطبة المغاربة للسلطان عبقر تلك العرائض مسألة عابرة أو سطحية. فإذا كان ذلك في ظاهره من باب الاستنجاد به في مواجهة نظام الحماية فإنه في مضمونه أعمق و أبعد من ذلك. لأن تلك العرائض، وغيرها من مظاهر مخاطبة الشعب المغربي للسلطان في

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 3، مصدر سابق ص 453.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه، ص 460.

⁴ - المصدر نفسه، ص 462.

الأزمات والشدائد عبرت عن طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين المؤسسة السلطانية و المغاربة و التي تمتد جذورها في عمق التاريخ. فقد بقيت هذه المؤسسة من ثوابت المجتمع المغربي على مر التاريخ. كما بقيت البنيات التقليدية للمجتمع المغربي أساسية بالنسبة للمجتمع المغربي. فعند سنة 1912 لم يكن هناك فارق بين نظام الدولة العلوية الشريفة و النظام الذي بناه السلطان الكبير مولاي إسماعيل في القرن السابع عشر¹. وبقي المغاربة يجلون السلطان باعتباره شريفا و حاملا للبركة². ولكنهم عرفوا دائما كيف يميزون بين قداسة الشخصية، التي كانوا حتما يعترفون بها والسلطة المحيطة به التي كانوا لا يعترفون بها³. و هذه الحقائق التاريخية تجسدت في الوطنيين المغاربة الذين اعتبروا السلطان رمزا وطنيا مقدسا لا يمكن المساس بهيبته. و بالرغم من العديد من المظاهر السلبية التي ظهرت في الممارسة السلطانية منذ إعلان الحماية، إلا أنهم كانوا يرجعون ذلك لعوامل أخرى من بينها الحماية بحد ذاتها بقولهم أن هذا النظام رهن صلاحيات هذه المؤسسة و لم يترك لها مجالا للتحرك. و خلال أحداث السياسة البربرية سنة 1930، و بالرغم من أن الظهير تم إمضائه من طرف السلطان محمد بن يوسف فإنه أثناء الاحتجاج لم يظهر أي اعتداء على هذه المؤسسة بل بالعكس اعتبروا الاستنجاد بها من صلب العمل الوطني. و حتى عندما قرأ ذلك البيان السلطاني في المساجد والكتاتيب الذي هدد فيه المغاربة و وصفهم بالكثير من الصفات الذميمة. وهددهم في حياتهم، فإنهم اعتبروا ذلك من عمل الصدر الأعظم الحاج محمد المقري كما قال بذلك القادري⁴. ولذلك تكونت تلك اللجنة المعروفة التي استقبلها السلطان في 30 أوت 1930. و كانت من أسباب تخفيف حدة الاحتجاجات⁵.

و من جهة أخرى هؤلاء الوطنيين كانوا يتضايقون كثيرا من سيطرة سلطات الحماية على السلطان. واستغلالها لاسمه و نفوذه في العديد المناسبات و الممارسات لتحقيق مصالحها الاستعمارية التي بقدر ما كانت تضر بالمجتمع المغربي كانت تفعل ذلك لشخص السلطان و

¹ - جون واتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، مطبعة دار أبي الرقاق، الرباط، ط3، 2013، ص55.

² - المصدر نفسه، ص207.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق، ص، 69.

⁵ - المصدر نفسه.

هيئته.و قد كانوا هم بأنفسهم من ضحايا هذا الاستغلال بما كانت تصف به كل أعمالهم بأنها عصيان و تمرد على سلطته الدينية و الدنيوية.فكانوا كل مرة يعتمدون طرقا و وسائل لإبعاد هذه التهمة عنهم.و لعل مضمون البيان الذي تلاه رئيس لجنة أحداث الظهير البربري عبد الرحمان القرشي الذي تضمن توضيح أهداف السياسة البربرية كما تضمن تبرئة هؤلاء من هذه التهم¹.و قد توالى في العديد من المرات مراسلة الوطنيون للسلطان و التظلم لديه من سياسة معينة لنظام الحماية.كما كانوا يسعون للتقرب منه و اعتماده كسند لهم في كفاحهم الوطني.و من أهم الوسائل التي اعتمدها لتحقيق تلك الضرورة النضالية طرح فكرة الاحتفال بعيد العرش على أعمدة جريدة "عمل الشعب".و قد اختير تاريخ 18 نوفمبر كتاريخ رمزي لذلك نظرا لتولي السلطان محمد بن يوسف العرش فيه.

ففي العدد الثاني عشر بتاريخ 20 أكتوبر 1933 نشرت "عمل الشعب" صورة للسلطان محمد بن يوسف بلباسه التقليدي و كتب تحتها " ذكرى تولى سيدي محمد خلف والده في 18 نوفمبر 1927" وطرحت الجريدة في المقال المرفق بتلك الصورة فكرة الاحتفال بذلك اليوم لسنة 1933 "عيدا رسميا للعرش" لأن ذلك يلبي رغبة شعبية و وطنية و قابلة للتحقيق. خاصة إذا ترتب عنها "صدور التفاتة كريمة كما يفعل جميع الرؤساء و الملوك في الدول المتحضرة من سيدي محمد بن يوسف و يقوم بالعفو عن جميع المساجين الوطنيين. وخاصة الشبان المعتقلين لأفكارهم السياسية و كثيرا منهم حكم عليهم ظلما و باطلا " و ختم المقال بجملة فيها الكثير من الدلالات بما جاء فيها من " تحية جريدة عمل الشعب للسلطان الشاب و تمنياتها له بالعمر المديد لتكريسه لخير شعبه "². بالرغم من عدم تفاعل سلطات الحماية مع هذه الدعوة فإنها بدون شك أوقعتها في حرج كبير خاصة بعد أن أكدت "عمل الشعب" تلك الدعوة في العدد الصادر يوم الثامن عشر نوفمبر 1933 بإرسال رئيس تحريرها الوزاني لتهنئة موجهة لشخص السلطان بنفسه جاء فيها أن هيئة تحرير "عمل الشعب" تحس بفرح كبير لا يوصف في هذا اليوم الذي هو يوم ذكرى تنصيب جلالته.و تمت له أخلص مشاعر

¹ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق ، ص، 71.

² - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p, 88.*

التعلق العميق. وعبر فيها الوزاني عن رغبته العميقة في التحالف مع السلطان من أجل أن "يتوجه بها نحو المصير الأملج"¹.

لم تتوقف "عمل الشعب" عن "مغازلة" المؤسسة السلطانية والسعي لجلب شخص السلطان إلى الدائرة الوطنية باستغلال كل المناسبات. و قد كانت استجابة هذه المؤسسة لاقتراح عيد العرش متحفظة بروح القبول والتشجيع. مما شجع هيئة التحرير على مواصلة بالاتصال بقصر السلطان. فكانت تهنئة 18 نوفمبر 1933 لشخص السلطان، و ما رافقها من احتفالات أعلنت أخبارها على أعمدة "عمل الشعب" في ذلك السياق. و في هذه المرة فقد تجاوزت هذه "المؤسسة الصامتة" مع هذا الحدث من خلال إرسال برقية شكر لرئيس هيئة تحرير "عمل الشعب"². مما جعل سلطات الحماية في حرج كبير لأنها لم يكن بإمكانها أن تدعي أن ذلك النشاط هو محاولة من طرف هؤلاء للتمرد على سلطته. و لذلك أصدرت في 31 أكتوبر 1934 قرار وزاريا رسم ذلك اليوم كيوم احتفال للمغاربة عرف بـ "يوم العرش". مع محاولة لإفراغه من محتواه بمنع مظاهر الاحتفال التي قد تحول السلطان إلى قائد وطني³.

ذكر "روزيت" أن الوطنيين المغاربة حققوا مكسبا هاما في نوفمبر 1933 بمناسبة عيد العرش. ومكسبا آخر أكثر أهمية في فيفري 1934 عندما فرضوا على باريس التراجع عن إلحاق المغرب بوزارة المستعمرات. و قد اظهر الحدثين وزن التأثير لكل دعاية منسقة حول شخص الملك و فكرة السيادة⁴. و لكن الأهم من ذلك أن كلا التبعثتين قامت بهما هيئة تحرير جريدة "عمل الشعب"⁵. و إذا كان مكسبها فيما يخص المسألة الوطنية مهما و متوقعا، فإن الأهم من ذلك هو بداية نجاح الوطنيين في استقطاب السلطان محمد بن يوسف لدائرة العمل الوطني و قد كان لـ "عمل الشعب" دورا فاصلا في هذا النجاح. و قد أكدت هيئة تحرير هذه الجريدة فاعلية هذا المسعى بالنسبة للحركة الوطنية المغربية. و لذلك واصلت العمل به بما قامت به في ماي 1934 عندما حولت الزيارة الربيعية السلطانية لمدينة فاس إلى حدث وطني حاسم.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3 ، مصدر سابق ص 479.

² - جاء الرد بإمضاء الصدر الأعظم محمد المقرئ وتضمن شكر السلطان للوزاني على مشاعره. أنظر، محمد حسن لوزاني مذكرات ج، 3 ، مصدر سابق ص 480.

³ - تضمنت فصوله الأربعة الكثير من الحدود للاحتفال مثل الفصل الثاني و الثالث و الرابع. أنظر، المصدر نفسه، ص 482 - 483.

⁴ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains, op.cit., p 82.*

⁵ - *ibid.*

و قد اعتبر "روزيت" أن الإعلان عن زيارة السلطان لمدينة فاس في 8 ماي 1934 جاء بمثابة فرصة تاريخية كبيرة بالنسبة لهيئة تحرير "عمل الشعب" لاستغلالها بكل قوة¹. ففي عددها التاسع والثلاثين (39) بتاريخ 4 ماي 1934 وجهت "عمل الشعب" دعوة بعبارات متزنة ودقيقة لسكان فاس من أجل تزيين المدينة بالأعلام. ليهبوا للهتاف بحياة السلطان الشاب².

لقد اعتبرت هيئة تحرير "عمل الشعب" هذه الزيارة مسألة إستراتيجية في كفاحها الوطني. و لذلك قامت بكل التحضيرات الضرورية لاستغلالها بكل أبعادها لصالح القضية الوطنية. فقد كان الإعلان عنها على أعمدتها مثيرا للعواطف الوطنية للمغاربة لأن "العاصمة الفكرية والسياسية للسلطنة الشريفة ستتزين بالألوان القومية المغربية لاستقبال الرئيس الأعلى للمملكة وولي العهد الشريف"³. و بعد نزول السلطان بالمدينة يوم 08 ماي 1934 كان حضور هيئة التحرير واضحا و مؤثرا في كل محطاتها. ففي كل منها سعى الوزاني و رفقائه لفت انتباه السلطان لوجودهم كقوة وطنية لها برنامجها. وعازمة على مواجهة سياسة نظام الحماية. و كان لهم طموحا كبيرا في أن يصبح السلطان ضمن هذه الأطروحة الوطنية. فالشعارات التي ردها سكان فاس أثناء مرور السلطان أمامهم كانت من تحرير "عمل الشعب" لأنها تضمنت "دعاية وطنية واضحة تضمنت الهتاف بحياة السلطان و المغرب و الإسلام. و بسقوط فرنسا و دعوة لله لتخليصهم منها. و رجاء من السلطان محمد بن يوسف بان يساعدهم في ذلك"⁴. و لم تكن هذه العبارات لتمر دون أن تترك أثرا في نفسية السلطان. فتحركت مشاعره و شدت في نفسه الغرائم فأدرك لصورة مباشرة بان له شعبا حيا و واعيا جديرا بالاعتماد عليه في المصائب⁵ و كذلك تركت أثرا كبيرا لدى سلطات الحماية. و لكن بصورة عكسية لأنها اعتبرت مثل هذه الشعارات " نداء للثورة على فرنسا في المغرب و دعوة للتحريض و التمرد"⁶. وحرصت كذلك

¹ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 82.

² - *ibid.*

³ - Mohamed Hassan, *Ouazzani, Combats d'un nationaliste marocain T2*, op.cit., p, 187.

⁴ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 82.

⁵ - Mohamed Hassan, *Ouazzani, Combats d'un nationaliste marocain T2*, op.cit., p, 187.

⁶ - *ibid.*

هيئة تحرير الجريدة أن تنظم استقبالا خاصا للسلطان غير بعيد عن مقرها للظهور بمظهر القوة المنظمة للمجتمع المغربي. خاصة إذا كان ذلك رغبة السلطان¹.

لم تقدر سلطات الحماية عواقب هذه الزيارة السلطانية التقليدية الربيعية إلا بعد أن أدركت أن هيئة تحرير "عمل الشعب" حولتها إلى موعد سياسي نضالي بامتياز. أو بما سماه الوزاني بـ "العيد الوطني الأول"². و بعد أن تفاعل معها السلطان كثيرا لأنه لم يشهد مظاهرات تأييد له منذ جلوسه على العرش العلوي منذ سبع سنوات³. حتى عندما أرادت القوات المخزنية إبعاد المتظاهرين عنه منعهم عن ذلك و طلب منهم ترك هذه الجماهير لتعبر عن فرحها و سرورها العميق و تمسكها بسلطانها محمد بن يوسف⁴. الذي تلقى تربية بعيدة عن كل ما كان يروج خارج القصر. و لم يكن مهياً لتحمل أعباء الحكم. و لكنه تعلمه أثناء الممارسة فبدأ يتعرف على المشاكل من خلال أول اتصال له بالوطنيين في سنة 1934. و لو رفض ذلك الاتصال بهم لربما كان للمغرب مستقبلا آخر. و لكن للأسرة العلوية في المجتمع المغربي موقع آخر لا يختلف كثيرا عن مواقع الأسر الأخرى مثل الكتانيين⁵.

لذلك كان لسلطات الحماية قراءة أخرى لهذه "الأحداث الفاسية". فقد كانت بالنسبة لها مشروع "تحالف مقدس" بين الوطنيين والسلطان. و سيؤدي ذلك حتما لخروج السلطان عن الدور الذي رسمته له معاهدة الحماية. بأن يكون أداة لنظامها لا للثورة عليه. و لذلك تدخلت قبل نهايتها و أوقفتها للحد من نتائجها⁶. و في نفس الوقت قامت بمهاجمة الخلية الوطنية

¹ - ذكر الوزاني أنه بلغهم أن السلطان يريد أن يمر بساحة البطحاء حيث كان المركز الجديد للجريدة. و قد قصد ذلك حتى يظهر لهم عطفه و تقديره. و وصف الوزاني ذلك الموقف بأنهم نظموا استقبالا رائعا بهذه الساحة بمشاركة الجماهير الفاسية. و عندما وصل السلطان و هو على فرسه في طليعة الموكب و قف قبالة مدخل البناية فأحاطت به الجماهير في حماس بلغ أشده ثم شخض بصره إلى شرفة مقر الجريدة "عمل الشعب" أين كان الوزاني و رفقاءه من هيئة التحرير و رفع يده للدعاء فازداد الحماس و تضاغن الهاتف. أنظر ، محمد حسن الوزاني مذكرات، ج، 4 ، مصدر سابق ص 25-27.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 4 ، مصدر سابق ص 24.

³ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains, op.cit., p 82.*

⁴ - *ibid.*

⁵ - جون واتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص ، 207.

⁶ - بعد أحداث اليوم الأول من الزيارة طلبت سلطات الحماية من السلطان عدم أداء صلاة الجمعة بمسجد القرويين يوم 10 ماي 1934. لأن ذلك سيكلفها إنزال ضخم للقوات العسكرية من القصر إلى المسجد. و إلا و الاقتصار على الصلاة بمسجد مولاي عبد الله بالقصر السلطاني. و قد رفض السلطان كلا الحلان و غادر فاس إلى الرباط. و لكن بيان سلطات الحماية كان مخالفا للوقائع و ذكر أن السلطان غضب من تلك الأحداث و قاطع الزيارة و رجع إلى الرباط.

التي كانت من ورائها بتوقيف صدور جريدة "عمل الشعب" في 16 ماي 1934 أي في الذكرى الرابعة لصدور الظهير البربري. و قد علق حينها مدير الشؤون الأهلية بالإقامة العامة هنري بينازيت *Henry Benazet* " بأن جريدة "عمل الشعب" أثبتت لإدارة نظام الحماية "أنه لا فائدة من منع دخول الجرائد العدوانية المشرقية. ثم منع دخول مجلة مغرب من فرنسا. و رفض إعطاء كل رخصة لإصدار جريدة باللغة العربية داخل المغرب. فقد تأسست عمل الشعب في ظل قوانين الحماية الخاصة بالصحافة، و كان لسانه فرنسيا، و لكنه أصبح له من الشعبية ما لم نكن ننتظرها حتى من جريدة عربية"¹. و قد أكد ذلك صدور آخر عدد بتاريخ 11 ماي 1934 تحت رقم أربعون (40). الذي خصص غالبية صفحاته للحديث عن هذه الزيارة. فوصفتها بالتاريخية والاستثنائية. واعتبرت ذلك بمثابة بداية عهد جديد. و وصفت فاس بـ " المدينة التي هتفت بالملوك المغاربة"².

استطاعت الحركة الوطنية المغربية الناشئة أن تضبط برنامجا وطنيا لأول مرة بفضل "عمل الشعب" و قد كانت بنوده محدد و واضحة. و هو ما كان غائبا من قبل³. فلأول مرة في تاريخ المغرب بعد الحماية صدرت صحيفة عبرت عن وجهة نظر الحركة الوطنية في المشاكل المغربية. و فضحت سياسة الحماية الفرنسية. و واجهت فئات المعمرين من ذوي المصالح سواء أرباب الشركات التجارية أو المزارعين. و تركت أثرا كبيرا على نظام الحماية. لقد كان صدور "عمل الشعب" بمثابة نقطة بداية تنظيم الحركة الوطنية المغربية. و منبر من داخل المغرب نحو سلطات الحماية و الرأي العام الفرنسي. و سمح بلسان حال دخل به الوطنيون المعترك الصحفي المغربي الذي كان يعج بصحف كثيرة متعددة المشارب والاتجاهات في غياب لسان حال لأهل البلد الشرعيين. و رغم أن صدورها كان باللغة الفرنسية إجبارا لا اختياريا⁴، مما جعل عدد قرائها محدودا. فقد ظهر تأثيرها على مسار الحركة الوطنية بإخراجها من وضع الاحتجاج السلبي إلى طور الاحتجاج الإيجابي. و لذلك تحولت إلى هدف للصحف الاستعمارية في كامل شمال أفريقيا التي اعتبرتها أداة لتحطيم النفوذ الفرنسي في هذه

¹ - *Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 207.*

² - *Mohamed Hassan, Ouazzani, Combats d'un nationaliste marocain T1, op.cit., p, 191.*

³ - *Rèzette, Robert, Les Partis politiques Marocains, op.cit., p 75.*

⁴ - كان القانون الفرنسي لا يسمح للمغاربة بإصدار صحيفة بالعربية إلا بإذن خاص من "الصدر الأعظم" الذي كان خاضعا للإدارة الفرنسية كلية، و لذلك استغلت الحركة الوطنية في الجنوب حالة الانفتاح في الشمال فأصدرت من تطوان صحفا ناطقة باسمها مثل مجلة "السلام" و صحيفة "الحياة". أنظر، عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 84.

المنطقة.و طالبت بضرورة توقيفها لأنها كانت تحديا و استفزازا،و تكرر ه يدل على تماطل فرنسي غير قابل للتفسير،و لا يمكن بقاؤها بحجة حرية الصحافة¹.و لذلك أصدر الجنرال القائد الأعلى لجيوش الاحتلال قرارا بمنعها نهائيا بتهمة " الإخلال بالنظام العام و المس بأمن جيش الاحتلال.و دعوتها للتمرد و التحريض".و مس نفس القرار منع مجلات و جرائد أخرى و هي "مغرب" التي كانت تصدر في باريس و " الحياة " و " السلام " الصادرتان في تطوان².

¹ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2*, op.cit., p, 199.

² - Rèzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 83.

4 . مطالب الشعب المغربي (كتلة العمل المغربية) 1934 - 1936 :

1 . السياق التاريخي لتقديم " مطالب الشعب المغربي " :

دخلت الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية في فراغ سياسي كبير نتج عن توقيف جريدة "عمل الشعب" عن الصدور. و منع مجلة "مغرب" من الدخول إلى المغرب ابتداء من 16 ماي 1934. ففقدت بذلك منبرا هاما كانت تعبر من خلاله عن مطالبها. و اعتمدت عليه في تفاعلها مع مختلف مظاهر السياسة الفرنسية المغربية سواء الصادرة من باريس كما كان الحال عند إلحاق المغرب بوزارة المستعمرات في فيفري 1934. أو من الرباط من خلال كشف ممارسات نظام الحماية في مختلف الميادين. مثل المظاهرات التي قام بها المستوطنون من أجل تسهيلات عقارية و مالية في الاستيطان. و لذلك كانت مقالاتهما من وراء احتجاجات المغاربة بمختلف الأشكال في العديد من المرات. فحتى قرار منع دخول مجلة "مغرب"، وتوقيف صدور جريدة "عمل الشعب" كان بعد سعي هيئة تحرير هذه الأخيرة لاحتواء المؤسسة السلطانية لصالح القضية الوطنية في ماي 1934. وقد أدى ذلك إلى بدايات الوعي الوطني ببداية تفاعل المغاربة مع هذه القضايا. وحتى الرأي العام الفرنسي هو الآخر تأثر بهذه الحركة الصحفية المغربية. فمن خلال مجلة "مغرب" وجريدة "عمل الشعب" وجرائد أخرى، اليسارية منها خاصة، مثل "موند Monde"¹، تعرف الفرنسيون الأحرار على القضية المغربية. وتعرفوا على إنجاز فرنسا الكبير في المغرب" الذي لم يكن ما كانت تتحدث عنه باريس والصحافة الاستعمارية تحت مسمى "المغرب العصري"، و لكنه تمثل في ما وصل إليه المجتمع المغربي من تدهور و تخلف. ولذلك اكتشفوا و صدموا أن هذا الإنجاز في المغرب، وغيره من المستعمرات، كان قهرا لشعوبها واستغلال لمقدراتها الاقتصادية والاجتماعية. وتعرفوا كذلك على التناقض الكبير الذي كان بين مضمون معاهدة الحماية 30 مارس 1912 وما مارسه نظام الحماية ميدانيا لتطبيقها. لقد حقق الوطنيون المغاربة الكثير من المكاسب الميدانية منذ 1930. سواء على المستوى المرجعي الفكري حيث أصبحت لهم مرجعية نضالية. و على المستوى النظامي أصبح لهم مشروع برنامج ظهرت بنوده الكبرى على أعمدة "مغرب" و "عمل الشعب". و على المستوى الميداني أصبحت لهم تجربة كبيرة في تأطير المجتمع المغربي و تنشيطه بما يخدم القضية

¹ - تم التطرق إليها سابقا كعنصر من العناصر الغربية المؤثرة في الحركة الوطنية المغربية.

الوطنية. إلا أن هذه الدينامكية كانت بحاجة إلى أجرائها سياسيا. وتحويلها إلى ممارسة نضالية وطنية مستمرة. و ليست مجرد ردود أفعال كما كانت خلال الأربع سنوات الماضية. و بالتالي تصبح حركة وطنية تحررية بكل الموصفات و المعايير. ويتمثل أهم هذه الأخيرة ضبط برنامج واضح يتضمن أهدافا وغايات كبرى. أكثر من أن تبقى أفعالها بمثابة ردود أفعال لما كانت تقوم به فرنسا سواء في باريس أو الرباط. و قد ذكر الوزاني أنه عندما احتج لدى سلطات الحماية حول توقيف صدور جريدة "عمل الشعب" أعلم حينها أن مطالبهم غير واضحة، فهي كل شيء ولا شيء في نفس الوقت¹. و قد اعتبر القادري أن "الوطنية الصحفية" أحدثت انقلابا في الأفكار و تغييرا في المواقف و لم يعد احتجاج المغاربة في الخفاء و من وراء الجدران لأن الصحافة الوطنية أصبحت تشهر بالاستعمار والمستعمرين و الحكام الظالمين. و هذه المظاهر دفعت باتهام سلطات الحماية للشبان المغاربة بأن " لا غرض لهم إلا التشويش و إثارة الأفكار و الانتقاد الهدام ولا يملكون مطالباً ولا برنامجاً. و لا يوجد لهم أي هدف"²

وفي جميع الأحوال فقد أصبحت حركة الشباب المغربي بعد منع "عمل الشعب"، بصورة خاصة، في مفترق طرق بين مواجهة نظام الحماية بنفس الكيفية التي تعودت على اعتمادها منذ مواجهة الظهير البربري. و ذلك بالتظاهر والاحتجاج كلما دعت الضرورة إلى ذلك. أو بالبحث عن طرق جديدة للتعبير رغباتها. و لئن كان للتظاهر والاحتجاج تأثير كبير في مواجهة السياسة البربرية، فإن ذلك لم يعد ممكنا فيما بعد ذلك نظرا لما حدث من تغيرات منذ أحداث السياسة البربرية. بالنسبة للطرف المغربي أو الفرنسي. وعلى كل حال فإن تلك الصيغة لم تعد ذات فاعلية وطنية واسعة. لأنها كانت مرتبطة بقضية واحدة و قد استنزفت فيه القدرات الوطنية بشكل كبير. و إذا كانت الحركة الوطنية المغربية قد انتقلت من "المرحلة البربرية" إلى "المرحلة الصحفية". فقد أصبحت مجبرة كذلك بأن تنتقل إلى "مرحلة الكفاح العام". حتى تحافظ على وجودها. فقد كان من متطلبات هذه المرحلة مواجهة تحد سلطات الحماية بصيغ جديد غير التي تعودت عليها في السابق. وقد أدى كل ذلك إلى ما حدث يوم 01 ديسمبر 1934 عندما قدم الوطنيون المغاربة للمراجع العليا في الرباط و باريس دفتر مطالب معتدلة وعملية يعرف بـ "مطالب الشعب المغربي" أو "مخطط الإصلاحات المغربية". و بفعل هذه الخطوة انتقلت الحركة

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج4، مصدر سابق ص 63 - 64 .

² - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج01، مصدر سابق ، ص، 293.

الوطنية المغربية إلى جديد. فقد أصبحت لأول مرة موحدة في نظامها وتنظيمها وإصلاحية في مرجعيتها السياسية¹.

بالرغم من أهمية وثيقة "مطالب الشعب المغربي"، التي أعلنت في ديسمبر 1934، بالنسبة للحركة الوطنية المغربية لما أحدثته من تغيير جذري في مسارها، فإنها لم تكن أول لائحة مطلبية قدمها المغاربة لسلطات الحماية. ففي جوان 1920 قدم مجموعة من "رجال النهضة المغربية" لائحة بنود إلى المقيم العام الماريشال ليوتي تضمنت مجموعة مطالب مثل، حرية التعبير، وحرية الصحافة، وإصلاح التعليم في الوسط المغربي². وقد اعتبر ليوتي هذه المطالب في مذكرة سرية وجهها إلى باريس في ديسمبر 1920 بأنها "تعبير عن تألم المغاربة من جراء إبعادهم عن الشؤون العامة"³. و تساءل في هذه المذكرة إن لم تكن باريس تكذب بإدعائها في كل مناسبة بأن تواجدتها في المغرب أساسه مذهب الحماية. والحقيقة عكس ذلك، لأنها تناقضت مع روحها⁴. لأن "الحماية تعني المراقبة و المرافقة و يتناقض هذا كلية مع الإدارة المباشرة"⁵ و قد اعتبر ليوتي تلك اللائحة إشارة لفرنسا بضرورة منح النخبة المغربية وسائل التطور في إطار تقاليدها قبل أن يعلنوا صراحة ميولاتهم العدوانية لأنه من الخطأ الكبير أن تتصور فرنسا بأنه يمكن لها الاستيلاء على هذه الأمة إلى الأبد بالاعتماد على قوة الاحتلال القابلة للانتهيار في أي وقت⁶.

وأثناء الاحتجاج ضد الظهير البربري قام الوطنيون المغاربة بتوجيه العديد من العرائض واللوائح التي كانت تعبر عن رفضهم للسياسة البربرية. و لكنها فيما بعد توسعت و ضمت بنودا أخرى لا تقل أهمية عن الظهير البربري. مثل مسألة التعليم، والعدلية، والتنصير، وغيرها من القضايا. فقد اعتبر القادري أنه "فقد بدأت تظهر ملامح حركة وطنية منظمة متجاوبة مع بعضها و تعم مدنا متعددة و لم تبق حركة مقتصرة على الاعتراض على الظهير البربري بل صارت تهتم بجميع القضايا و المشاكل التي يعاني منها الشعب المغربي كفقْدان الحريات

¹ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق ص، 30.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 4، مصدر سابق ص 91.

³ - Georges Spillmann, *Du protectorat à l'indépendance*, op.cit., p, 24.

⁴ - *ibid.*

⁵ - *ibid.*

⁶ - *ibid.*

العامة و قضايا التعليم و مشاكل الفلاح المغربي¹. إلا أنها بقيت مرتبطة بالسياسة البربرية في محورها العام وفي ظرفيتها. و لذلك لما وعد السلطان محمد بن يوسف بمراجعة هذه السياسة في أوت 1930 توقفت تلك الحركة الاحتجاجية المرتبطة بالسياسة البربرية². وبقيت علاقة الشبان المغاربة مع هذه الأحداث مجرد ذكرى يحيون "لطيفها" في كل سنة³. لقد كانت كل مطالب المغاربة قبل 1934 تعبيراً عن معاناتهم من سياسة نظام الحماية في مختلف الجوانب وعن رغبتهم في إصلاح أوضاعهم. و لكنها لم تكن شاملة جغرافياً ولا مرجعياً. فقد كانت من حين لآخر تعرف مدينة من المدن احتجاجات ضد مسألة معينة. و لذلك فإنها كانت تتوقف بمجرد زوال سبب اندلاعها بغض النظر عن مدى الاستجابة لها. و قد تجاوزت هذه المحلية المدينة. فقد قدم الوطنيون المغاربة في الشمال على رأسهم الحاج عبد السلام بنونة في 25 ماي 1931 وثيقة أساسية إلى مدريد تضمنت مجموعة من المطالب الأساسية للحركة الوطنية الشمالية الخليفة للحكومة الإسبانية الجديدة بقيادة "زمورا"⁴. وبقدر ما أن مدريد لم تتفاعل كثيراً هذه اللائحة، رغم استقبال رئيس الحكومة ذلك الوفد الذي كان يحمل هذه اللائحة و تقديم لهم وعوداً بدراستها و تنفيذها، فإنها حتى هي الأخرى كذلك لم تؤثر في المنطقة السلطانية الجنوبية. وقد يكون ذلك من نتيجة ربط مصير الشمال بالجنوب⁵، ولكنه عبر في نفس الوقت عن محلية الحدث و عدم شمولية مطالب تلك الوثيقة لقضايا المغاربة في الشمال والجنوب على حد سواء. و لكن ذلك لم يمنع الحماس الذي بعثته لدى الوطنيين في المنطقتين⁶. و ذلك بالرغم من أن وطنيي المنطقة السلطانية عند صياغتهم للائحة "مطالب الشعب المغرب" لسنة 1934 استشاروا "الوطنيين التطوانيين" و لكنهم لم يذكروهم في حيثيات هذه الوثيقة⁷.

¹ - أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق، ص، 293.

² - منذ السنة الأولى لذكرى احتجاجات الظهير البربري دأب الوطنيون المغاربة على تحويلها إلى فرصة للتعبير عن رغبتهم الوطنية

³ - تم التطرق لهذه القضية بالتفصيل سابقاً في عنصر "الظهير البربري"

⁴ - تضمنت اللائحة التي تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ المغرب في عهد الحماية مطالب تتعلق بحرية الانتخابات البلدية، و إنشاء مجلس شؤون عامة منتخب ينظر في قضايا المنطقة، والاهتمام بالتعليم على أساس اللغة العربية والإسبانية، والاهتمام بوضعية الفلاح المغربي، و ضمان حرية الصحافة و النشر و الاجتماع، أنظر، حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص، 26.

⁵ - Mostefa, Bouaziz, aux origines de la koutla démocratique, op.cit., p53.

⁶ - ibid.

⁷ - Charles-André Julien, Le Maroc face, op.cit, p, 176.

و في 01 ديسمبر 1934 قام الوطنيون المغاربة في المنطقة السلطانية بمبادرة ملأت ذلك الفراغ الذي عرفه نشاطهم منذ ماي 1934 بعد توقيف صدور جريدة "عمل الشعب" ومنع دخول مجلة "مغرب". وتمثلت هذه المبادرة في تقديم "مطالب الشعب المغربي" لكل الأطراف المعنية بالقضية المغربية. و لذلك تم تقديمها في نفس اليوم في باريس للحكومة الفرنسية. و في الرباط للمقيم العام " هنري بونصو" للسلطان محمد بن يوسف.

يبدو أن كل المحطات التاريخية الفاصلة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية كانت محل اختلاف بين الوطنيين المغاربة. من حيث صاحب فكرتها و غيرها من الحثيات هو ما حدث لـ "مطالب الشعب المغربي". حيث اختلفوا حول صاحب هذه اللائحة فكرة وتنفيذا. ولكنهم لم يختلفوا حول مضامينها التي كانت واحدة في كل مذكراتهم و كتاباتهم. فقد ذكر القادري أن مشروع وثيقة "مطالب المغاربة" انطلق من مدينة سلا غير بعيد عن الرباط. ففي جوان 1933 اقترح أحد وطنيي هذه المدينة و هو محمد حصار منذ جوان 1933 صياغة برنامج شامل لجمع المطالب الوطنية المغربية منذ الاحتجاج ضد السياسية البربرية و تحويلها إلى قاعدة مرجعية للحركة الوطنية المغربية. وحسب هذه الرواية فإن هذا الاقتراح وجد مثيله في كل من مدينة الرباط و فاس مما أدى الاتفاق على صيغة تنظيمية أدت إلى صياغة المطالب في شكلها النهائي المعروف¹. و قد كان نفس الاتجاه الذي ذهب إليه الجابري بقوله أن "مطالب الشعب المغربي" فكرة تعود لصيف 1933 من طرف وطنيي مدينة سلا، إلا أنها لم ترق إلى مستوى التجسيد لأن المنبر الصحفي الثنائي في باريس و فاس الذي كان متوفرا لم يستطع تغطية

¹ - ذكر القادري أن محمد حصار أحضر لهم وثيقة تشتمل على عد نقاط كبرنامج للعمل الوطني بأهداف محددة كرد على إدعاء سلطات الحماية بأنه لا يكن للشبان المغاربة برنامج و لكن كانت كل أنشطتهم تشويشا و فوضى. و بعد دراستها من طر جماعة سلا قرر أعضائها تحويله إلى فاس و الرباط لدراستها. و بعد الاتصال بهم تبين أن لهم نفس الفكرة. و بعد رجوع سعيد حجي من الشام في جويلية 1933 تحدث حول الموضوع مع محمد الزبيدي. و تقرر تكوين لجنة من عدد من الوطنيين المغاربة و هم عمر بن عبد الجليل و محمد الزبيدي و الحسن بوعباد و سعيد حجي و كان كل من علال الفاسي و الوزاني مستشاران لهذه اللجنة. و قد اشتغلت هذه اللجنة مدة أربعين يوما بشكل متواصل حيث اتصلت بالعديد من المغاربة الآخرين الذين كانت لهم تجربة في بعض القضايا. و قم تحضيرها و لم يتم العودة إليها إلا بعد صدمة ماي 1934 عندما وقع ما وقع بعد زيارة السلطان محمد بن يوسف لمدينة فاس. حيث تم تنقيحها و إضافة بعض البنود لها لتصبح جاهزة للتقديم في ديسمبر 1934. أنظر، أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق ص ، 293.

الحاجة الوطنية آنذاك¹. و قد ذهب غلاب في نفس هذا الاتجاه باعتباره هذه المطالب نتيجة عمل لجنة متكونة من مجموعة من الوطنيين المغاربة مع بعض الفروق في التفاصيل². إلا أنه من جهة أخرى خالف الوزاني هذا الطرح (كعاداته) واعتبر المطالب نتيجة عاملين أساسيين وهما، المأزق الذي وقعت فيه الحركة الوطنية المغربية بعد توقيف جريدة "عمل الشعب" لأنها فقدت منبرا إستراتيجيا بالنسبة لها. فقرار المنع تضمن كذلك منع دخول مجلة "مغرب" الباريسية و "الحياة" التطوانية. و بالتالي فقد الشبان الوطنيون وسيلة من أهم الوسائل المعتمدة في النضال الوطني و لطالما اعتبرها "خلق له و خلقت له"³. أما العامل الثاني الذي اعتبره الوزاني ساهم في صياغة هذه المطالب فهو شخصه بحد ذاته لأنه كان من ورائها من خلال الرحلة التي قام بها للبحث عن الأسباب الحقيقية التي كانت من وراء توقيف جريدة "عمل الشعب". و قد أدت به هذه الرحلة إلى مكتب مدير الديوان في الإقامة الذي نبهه لمسألة اعتبرها الوزاني في غاية الأهمية، وهي عدم وجود برنامج وطني ثابت غير متحول. ولا يخضع لـ "الموسمية السياسية". وحتى يكون فعلا أكثر من كونه رد فعل⁴. وهكذا ومن المفارقات التاريخية أن يكون الوزاني بطرحه هذا جعل لسلطات الحماية بشكل من الأشكال دورا في دفع الوطنيين لهذه الخطوة الحاسمة. لأنها بمنعها لجريدة "عمل الشعب" دفعت بالوزاني بالبحث عن حل للتواصل الوطني كبديل للصحافة. فكان لموقف سلطات الحماية من

¹ - الجابري محمد عابد، تطور الأنليجانسيا في المغرب العربي، دار الطباعة والنشر و التوزيع، بيروت 1984 ص 59.

² - ذكر عبد الكريم غلاب أن "مطالب الشعب المغربي" كانت نتيجة تحد قامت به سلطات الحماية التي وصفت الحركة الوطنية بالسلبية و الاكتفاء بالنقد دون تقديم البديل. و يعتبر هو الآخر أنها نتيجة عمل لجنة وطنية مع إضافة بعض الأسماء التي لم يذكرها القادري و هي أحمد مكوار و أبو بكر القادري نفسه. (رغم أنه ذكر في مذكراته أنه لم يكن عضوا و لكنه اطلع على نصوصها) كما ذكر غلاب أن تحضير هذه المطالب بدأ في ماي 1934 و ليس 1933 كما ذهب إلى ذلك القادري. أنظر، عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص، 128.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 3، مصدر سابق ص 349.

⁴ - ذكر الوزاني أنه بعد أن أعلم من طرف سلطات الحماية بقرار منع صدور جريدة "عمل الشعب" تأثر كثيرا و ذهب للإقامة العامة لكشف الأسباب الحقيقية لمنعها. استقبله مدير الديوان المدني "بروسترا" الذي أراه ملفا كبيرا تضمن عدد كبير من أعداد جريدة "عمل الشعب" و فيها هوامش و خطوط حمراء و أوراق مرفقة بها مكتوبة باليد و الآلة الراكنة و قال له أنه بحكم متابعتهم لكل ما كانت تكتبه هذه الجريدة فإنه توصل إلى نتيجة أنها فيها الكثير من المطالب التفصيلية و الدقيقة. حتى انه كانت تفاجئهم كل أسبوع بمطالب جديدة. و لا تذكر المطالب السابقة. ثم اقترح عليه فكرة توضيح المطالب الكبرى للوطنين المغاربة حتى تكون الإقامة العامة على بينة من أمرها. و قد رد الوزاني على ذلك بقوله "ما دام الأمر هكذا فسنكون عندكم واضحين و مفهومين من الآن". و منذ ذلك اللقاء بدأ التفكير في برنامج وطني للمطالب. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 4، مصدر سابق ص 63 - 64.

الحركة الوطنية التي اعتبرت حركة الشبان المغاربة "فوضوية" غير "وسلبية" و"غامضة" دورا في دفع هؤلاء الشبان لهذه الخطوة¹. أما علال الفاسي فلم يذكر تفاصيل وحيثيات هذه المطالب من أي جانب². و يبدو أن هذه الخلافات هي التي تفسر بعض التناقضات المذهبية الكبيرة في كتابات عدد من المؤرخين الذين تطرقوا لوثيقة "مطالب الشعب المغربي"³.

من خلال الإطلاع على مضامين "مطالب الشعب المغربي" يمكن الجزم بأنها من إحدى محطات المرحلة التي كان فيها الوزاني "قائدا للحركة الوطنية المغربية و ناطقا رسميا لها"⁴. ليس بتأكيد روايته لمسار الأحداث، و لكن لأن فقراتها وأدبياتها، وحتى بنودها، كانت في معظمها مستوحاة من مقالات مجلة "مغرب" وجريدة "عمل الشعب". فقد كان هناك تطابقا كبيرا بينهما. بالإضافة إلى التفاصيل الدقيقة التي ذكرها في مذكراته حولها فكرة و تسمية و مسارا و نتائج. فكل ذلك أكد أن دور الوزاني في صياغتها، إن لم يكن وحيدا كما قال هو بذلك، فإنه كان فاصلا كأقل تقدير⁵. و في نفس الوقت فإن هذه الريادة بقدر ما أثبتتها وثيقة "مطالب

1 - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج4، مصدر سابق ص 88.

2 - ذكر علال الفاسي في "الحركات" الكثير من تفاصيل النشاط الوطني في هذه الفترة و نسبها لـ "كتلة العمل المغربي" حتى قبل نشأتها بمناسبة إصدار وثيقة "مطالب الشعب المغربي" في ديسمبر 1934. كقوله " و في سنة 1932 قررت الكتلة تأسيس مجلة مغرب باللغة الفرنسية في باريس" (الحركات ص 176). و في موضع آخر "فقد قررت الكتلة بعد ذلك أن تصدر بفاس جريدة عمل الشعب باللغة الفرنسية أيضا" (الحركات ص 176). أما "مطالب الشعب المغربي" فقد ذكرها كآلآتي " فقررت كتلة العمل الوطني أن تضع حدا لتقولات الفرنسيين و تحدى السلطة بتقديم برنامج الإصلاحات المغربية" (الحركات ص 189). و قد يعود السبب لغيابه عن المغرب ابتداء من أوت 1933 لمدة سبعة أشهر. أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 180.

3 - ذكر "جورج أوفد" أنه من غير المعقول أن يتناقض مؤرخان فرنسيان في تحديد صاحب وثيقة المطالب و في مرجعيتها الثقافية فقد ذكر "روزيت" أنهما من كتابة الوطنيين المغاربة ذوي الثقافة العربية الإسلامية. في حين ذكر "لوتورنو" أن وثيقة المطالب صيغت بخلفية فرنسية. أنظر، Georges Oved, *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2*, op.cit. p, 77.

4 - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 74.

5 - برز دور الوزاني في إعداد بنود المطالب منذ توقيف جريدة "عمل الشعب" وسعيه لتعويضها بنشاط آخر في اتجاه ما لفت به انتباهه مدير ديوان الإقامة العامة برده على الوزاني، الذي جاء يشتكي توقيف جريدة "عمل الشعب"، بأن مطالب الوطنيين المغاربة فضفاضة و غير واضحة. ثم توجهه إلى أعضاء "الزاوية" وتقديم لهم مشروعا في ذلك الاتجاه. ثم في كل الخطوات التي تلتها مثل كيفية كتابتها. حيث تم بعقد سلسلة من الاجتماعات في بيته بفاس و في بيت محمد اليزيدي بالرباط بحضور بعض أعضاء التنظيم السري "الزاوية" و "الطائفة". وكان المتكلمون المعتمدون الذي يحسنون الفرنسي مثل اليزيدي و ابن عبد الجليل و المكي الناصري ثم انضم إليهم علال الفاسي حتى و إن كان لا يحسن اللغة الفرنسية. و قد كانت مراجعهم الأساسية هي جريدة "عمل الشعب" و نشرات أخرى كلها بالفرنسية من بينها الطبعة الكاملة للجريدة الرسمية باللغة الفرنسية. كما ساعدهم أحد أعضاء التنظيم السري في المكتبة العامة يدعى عبد الله الركراكي الذي أمدهم بالكثير من الوثائق السرية حول سلطات الحماية. و كان مسعود

الشعب المغربي" فإن هذه الأخيرة بحد ذاتها عبرت عن بداية نهاية دور "الزعيم" الذي ظهر به الوزاني منذ مطلع الثلاثينات. كما كانت بداية نهاية سيطرة الثقافة الغربية على أدبيات الحركة الوطنية المغربية لأنه "من عشرة أعضاء قدموا هذه الوثيقة أربعة منهم كانوا من ذوي الثقافة الفرنسي" على حد تعبير "روزيت"¹. وفي النهاية فإن هذا الخلاف، كغيره من الخلافات بين جماعة الوزاني وجماعة علال الفاسي، يعتبر ظاهرة مسيطرة لمعظم محطات الحركة الوطنية المغربية في نضالها ضد نظام الحماية².

2 . مضمون " مطالب الشعب المغربي " :

تتكون وثيقة "مطالب الشعب المغربي" أو "مخطط الإصلاحات المغربية" من مائة و أربعة و ثلاثون صفحة طبعت في القاهرة و أنيطت مهمة تقديمها للمراجع العليا في كل من الرباط و باريس إلى عشرة من الوطنيين تم اختيارهم من طرف التنظيم السري "الزاوية" الذي قام بتوزيعهم على ثلاثة وفود. وفد للسلطان محمد بن يوسف و آخر للمقيم العام " هنري بونصو" و وفد ثالث للحكومة الفرنسية في باريس. و بتنسيق محكم بين هذه الوفود تم تقديم هذه الوثيقة بتاريخ 1 ديسمبر 1934 في نفس التوقيت³. و سجلت بذلك بداية مرحلة جديدة

الشيكر يقوم بالترجمة من الفرنسية إلى العربية. و قد استمر هذا العمل إلى غاية شهر نوفمبر حيث أصبحت الوثيقة جاهزة للتقديم. و بقي فقط الاتفاق حول كيفية تقديمها. وحتى بعد أن تم تعيينه مع عمر بن عبد الجليل لتقديمها للسلطات الفرنسية في باريس فإنهما واصلتا تعديلها و تنقيحها وحتى من حيث شكلها وغيرها من التفاصيل إلى غاية صيغتها النهائية التي قدمت للمراجع العليا في باريس و الرباط. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج4، مصدر سابق ص 66 .

¹ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains, op.cit., p 87.*

² - كان الخلاف بين الوزاني و أتباعه مع الفاسي و أباعه ظاهرة فريدة من نوعها تميزت بها الحركة الوطنية المغربية في العديد من المراحل. فقد انتقد الوزاني التنظيم السري " الزاوية" و " الطائفة " بالرغم من انه كان من أعضائها. و اعتبر الآخرون أن مجلة " مغرب" كانت من طرفهم بالرغم من أن دور الوزاني في تأسيس هذه المجلة اعترف به رئيس تحريرها " لونغي" و بالرغم من أن جريدة " عمل الشعب " وزانية قلبا و قالبا و حتى قانونيا فإن جماعة الفاسي نسبتها للتنظيم السري. وكذلك الأمر بالنسبة لوثيقة " مطالب الشعب المغربي" سنة 1934 وسيظهر بطريقة أكثر مأساوية ابتداء من سنة 1937 بعد انفجار الكتلة وما ترتب عنها و سيتم التطرق له لاحقا.

³ - تكون الوفد الأول الذي توجه إلى القصر الملكي من محمد مكي الناصري،(الذي تغيب يوم التقديم و سافر إلى تطوان للاستقرار فيها من اجل ضرورة العمل الوطني)و محمد غازي،و أحمد الشرقاوي،و عبد العزيز بن إدريس و أبو بكر القادري.و وفد توجه إلى الإقامة العامة تكون من علال الفاسي و محمد اليزيدي و محمد الديوري،و وفد للحكومة الفرنسية بباريس تكون من محمد حسن الوزاني و عمر بن عبد الجليل. اللذان سلما البرنامج لوفد برلماني فرنسي من اليساريين من هيئة أصدقاء مجلة

للوطنية المغربية. لأنها تمثلت في تلك النقلة النوعية في مسارها التحرري. فقد كانت فعلا تلك الوثيقة تعبيراً عن انتقال الحركة الوطنية المغربية من مرحلة "الوطنية الصحفية" إلى مرحلة "الكفاح العام". الذي لم يعد كما كان في السابق احتجاج ضد السياسة البربرية فقط. أو فضح لطموحات كولونيالية للمستوطنين. أو رفض لقرار إلحاق المغرب بوزارة المستعمرات. ولكنه أصبح أمام موقف شامل من منظومة الحماية بكامل مضامينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وقد أدى ذلك الموقف إلى إتباع مقاربة نضالية "إصلاحية" تضمنت تفسيراً جديداً لهذه المنظومة مفهوماً وممارسة. فاعتبرت تنفيذ مجموعة البنود الواردة في "مطالب الشعب المغربي" ضماناً لتحسين العلاقة بين المغاربة ونظام الحماية بما يضمن تقدم و تطور المغرب. خاصة وأن الوطنيين بعد منع صدور "عمل الشعب" كانوا أمام خياران إما "التصعيد بالعنف و المغامرة و المخاطرة" أو "الحوار بالمطالبة بالمطالب المعتدلة و العملية" فلم يترددوا في اختيار الثاني. حتى يبرهنوا لنظام الحماية بما جاء في مقدمة "مطالب الشعب المغربي" على "حسن غايتهم". وعلى أنهم "ليسوا بمحطمين معاندين". ولا "بمهيجين محترفين" ولكنهم تمنوا في نفس الوقت أن تتفهم سلطات الحماية هذا المنحى و "تسلك سياسة رشيدة تصلح ما أفسدته الغلطات السابقة و تعيد للأمة الثقة في حسن نوايا الحماية"¹.

لقد تم صياغة "مطالب الشعب المغربي" بمنهجية سياسية دقيقة سماها علال الفاسي بـ "الهندسة السياسية"². التي جاءت بمقدمة تضمنت عرضاً تاريخياً حول نظام الحماية نظرياً بما نصت عليه مختلف مرجعياتها. وميدانياً بانحرافها عن روحها التي حددتها مختلف النصوص والمواثيق منذ معاهدة الجزيرة سنة 1906. إلى غاية عقد الحماية لسنة 1912 فتحوّلت إلى "سياسة عنصرية تقوم على المحسوبية و التجهيل و مضادة الحريات، و لذلك لم تعد حماية، و لكنها استعمار"³. كما جاء فيها الأسباب التي دفعت الوطنيين المغاربة صياغة هذه اللائحة المطالبة والأهداف المتوخاة منها. لقد قام الوطنيون المغاربة في هذه المقدمة بكل

"مغرب" الذي تولى تقديم برنامج المطالب المغربية إلى وزير الخارجية نيابة عن الوفد المغربي. و هم "جون لونغي Jean Longuet" و "بيير رونوديل Pierre Renaudel" و "جون بيو Jean Piot" و "فرانسوا دو تسان François De Tessan" أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face, op.cit.*, p 176

¹ - مما جاء في مقدمة وثيقة "مطالب الشعب المغربي" أنظر الملحق رقم 05

² - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 192.

³ - مما جاء في مقدمة وثيقة "مطالب الشعب المغربي" أنظر الملحق رقم 05.

جهودهم اللغوية لاختيار الكلمات الدقيقة والمعبرة على التوجه "الجديد" للحركة الوطنية المغربية. الذي لن يكون "تصعيدا وعنفا لما كان فيه من مخاطرة و دفع للهيجان"¹. ولكنه "تسلح بالهدوء و رباطة الجأش أمام الأحداث"². و"عزم على تكتيل الجهود لعمل محدد و إيجابي"³. ولتحقيق ذلك فإن الحركة الوطنية المغربية وضعت ذلك المخطط الذي كان كفيلا بتحسين أوضاع المغرب تدريجيا. فقد سعت هذه المقدمة إلى إيصال رسالة أساسية لكل المعنيين بأمر المغرب والمغاربة عنوانها بأن هناك حركة وطنية مغربية فتية و لها برنامج و أهداف. و ذات بعد شعبي. لذلك فقد كانت تسعى " لترجمة طموح الشعب المغربي في تقدم و رقي جديران بحضاراته و طاقاته و كفاءاته الفردية و الجماعية"⁴.

كما كان من مقتضيات تلك "الهندسة السياسية" التي كتبت بها هذه اللائحة أن تكون الأوضاع العامة للمغاربة منذ إعلان الحماية الفرنسية على المغرب في مارس 1912 من وراء مطالب هذه الحركة. فقد قام محرري هذا البرنامج بكل الجهود لتقديم مطالب متوازنة و متماشية مع الظروف العامة للمغرب. وكان حرصهم على فتح أبواب الحوار مع سلطات الحماية لحل المشكلة المغربية واضحا. كما ظهر حرصهم الشديد على توسيع دعم اليسار الفرنسي لهم و الحفاظ عليه "صديقا سياسيا" لهم. فالنسبة لهم فإن هذا الطرف يعتبر استراتيجيا. كما حرصت مضامين "مطالب الشعب المغربي" على الحفاظ على البعد الحضاري للمجتمع المغربي بدون أن يكون ذلك عائقا أمام الحداثة الغربية التي تمسكت بها كوسيلة للتقدم والرقى⁵.

كما كان حرص الوطنيين المغاربة واضحا علن تكون مطالبهم شاملة لجميع الميادين، و قد كان ذلك بالنسبة لهم امتحان صعب وضعتهم فيه سلطات الحماية يقتضي أن تكون مطالب الشعب المغربي واضحة و محددة و ليست مجرد ردود الأفعال لسياسات فرنسية معينة. التي كانت ضرورية، و أعطت نتائجها في أرض الواقع منذ الاحتجاج على السياسة البربرية. و لكنها لم تعد كافية. و لذلك جاءت هذه المطالب في هذه الوثيقة مبوبة إلى خمسة عشر فصلا

¹ - - مما جاء في مقدمة وثيقة " مطالب الشعب المغربي " أنظر الملحق رقم 05 .

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 77.*

مست جميع الجوانب¹. من الناحية السياسية نصت على إصلاحات متعلقة بالسياسة العامة حيث جاء في بنود هذا الجانب "إلغاء سياسة القواد الكبار". و"إحداث بلديات منتخبة للمسلمين و اليهود المغاربة"². و حتى تظهر ملامح العصرية في هذا المشروع فقد جاء في هذا البرنامج في "انتخاب مجلس وطني له كل الصلاحيات التشريعية، و يناقش و يصوت على الميزانية. و هو الهيئة الوحيدة التي لها الحق في استحداث الضرائب. و الحفاظ على الأملاك العمومية"³ ولا تكون قراراته نافذة إلا بعد المصادقة عليها من طرف السلطان. و قد اتخذ هذا الأخير أهمية كبيرة في هذا البرنامج حيث جاء في عدد من البنود "ضرورة الاعتراف بسيادته المقدسة على المملكة العلوية الشريفة التي جاءت هي الأخرى كثابت للدولة المغربية"⁴.

و في مجال الحريات العامة، التي كانت ذات أهمية خاصة بالنسبة للشبان المغاربة، نظرا لعلاقتها المباشرة بما سبق ذكره من إصلاحات في السياسة العامة. فلا أهمية لهذه الأخيرة في غياب هاش كبير للحريات العامة. و لذلك جاء في "مطالب الشعب المغربي" بنود متعلقة بهذا الجانب. و على رأسها "حرية التعبير عن الآراء والأفكار بكل الوسائل الشرعية". و "إلغاء الأحكام القضائية العقابية الجسدية مثل الجلد، وكل الإجراءات القضائية التعسفية"⁵. و "حرية الاجتماع والحق في إنشاء الجمعيات بكل أشكالها الثقافية والاجتماعية" وحرية الحركة في كامل أنحاء المملكة الشريفة بدون الحاجة إلى جواز سفر" وأخيرا "إلغاء الرق و تجارة العبيد"⁶

من الناحية الاقتصادية ظهر الشبان المغاربة تأثرهم الكبير بالنضالات الكبيرة التي قاموا بها أثناء نشاطهم الصحفي في كل من مجلة "مغرب" وجريدة "عمل الشعب". فقد جاء في هذه البنود "توقيف الاستيطان الرسمي الذي جاء بطلب من المستوطنين. و بدأ في تنفيذه من طرف سلطات الحماية بالرغم من تناقضه مع معاهدة الحماية"⁷. و طالب كذلك من هذا الجانب

¹ - مما جاء في فصول " مطالب الشعب المغربي " أنظر الملحق رقم 05 .

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - المرجع نفسه.

⁶ - المرجع نفسه.

⁷ - المرجع نفسه.

"عصرنة الفلاحة و الصناعات التقليدية" و " تأميم المناجم و سحبها من الشركات الاحتكارية العالمية التي بدأت تنفذ للمغرب"¹.

لم يكن مطالبة الوطنيين المغاربة بعصرنة المغرب بتزويده بالمؤسسات التي تقوم بذلك التي جاءت في البرنامج على النموذج الغربي، مطلباً للانسلاخ عن البعد الحضاري للأمة المغربية. فقد جاءت عدة مقاطع من هذا البرنامج حول المسألة الثقافية. فأصبحت من الأهم الأسس التي قام عليها "مطالب الشعب المغربي". فطالب باحترام الدين الإسلامي واسترجاعه لمكانته الريادية في المجتمع المغربي. باحترام الأعباس الإسلامية و تأسيس "المجلس الأعلى الحبسي" وتطبيق كل التشريعات المتعلقة به. و تنمة لذلك البعد جاء من ضمن هذه المطالب جعل " اللغة العربية لغز المغرب الرسمية"². و من خلال الإطلاع على الإثنى عشر بنذا الذي جاء حول اللغة العربية تظهر رغبة حقيقية في تحويلها إلى ممارسات رسمية في كل المؤسسات و المستويات³. و قد عبرت تلك البنود وغيرها على حرص كبير للحفاظ على الشخصية المغربية. و لذلك كانت الراية المغربية بنذا من بنوده " بتقديم الاحترام الواجب لها و رفعها فوق جميع الإدارات، و سن قانون لمعاقبة كل من أهان العلم المغربي"⁴.

لقد جاء محتوى المطالب المغربية في شكل نص قانوني من حيث الصيغة. و متماسك الفقرات. و ليبرالي المضمون موزع بين إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية مالية وأخرى متفرقة و كان يهدف إلى عصرنة المغرب وتحديث بنيته دون المساس ببعده القومي والديني⁵ وسعى إلى تصحيح نظرة نظام الحماية للشباب المغربي الذين كانت تعتبرهم عناصر امتلات أدمغتهم بأحلام الشباب والحقن السلبي على فرنسا. فتحولوا بعد تقديم المطالب إلى "حزب" له رأيه السليم الواضح في أسلوب الحكم و نظرة بعيدة في إصلاح الأوضاع⁶.

1 - - مما جاء في فصول " مطالب الشعب المغربي " أنظر الملحق رقم 05 .

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه.

4 - مما جاء في فصول " مطالب الشعب المغربي " أنظر الملحق رقم 05 .

5 - محمد عابد الجابري ، تطور الأنثليجانسيا في المغرب العربي، مصدر سابق.

6 - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص ، 134.

و لم يكن ذلك خاص بالمنطقة الجنوبية السلطانية.فحتى المنطقة الشمالية الخليفية اعتبرت نفسها معنية بهذه المطالب.حتى قبل تقديمها للمراجع العليا في باريس و الرباط¹ فعلى عكس وطنيي الجنوب الذي لم يتفاعلوا مع "لائحة عبد السلام بنونة" التي قدمها لمدير في 25 ماي 1931.فقد كان لـ"مطالب الشعب المغربي" ديسمبر 1934 لوطني الجنوب صدى كبيرا لدى وطنيي الشمال.ففي 9 ديسمبر 1934 قدمت هيئة العمل الوطني في شمال المغرب عريضة ممضاة من طرف عدد من الوطنيين إلى السلطان محمد بن يوسف أعلنت فيها التضامن التام مع الكتلة الوطنية العاملة في المنطقة السلطانية و التأييد المطلق لمطالب الشعب.و طلبت من السلطان بذل كل جهوده للمصادقة عليها من طرف السلطات الفرنسية².و في 22 ديسمبر 1934 أرسلت نفس الهيئة رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسي في نفس اتجاه تأييد تلك المطالب.حيث أعلنت فيها أنه "باسم الكتلة الوطنية في شمال المغرب و نيابة عن رعايا المنطقة الخليفية التضامن التام مع الكتلة الوطنية بالمنطقة السلطانية فيما أذاعته من المطالب الشعبية العادلة.وبالتالي اعتبار تلك المطالب الشعبية وحدها عماد التفاهم الممكن بين فرنسا و المغرب"³.

3 . مصير مطالب الشعب المغربي :

بقدر ما أحدثت حركة "مطالب الشعب المغربي" من نقلة نوعية في مسار الحركة الوطنية المغربية،باعتبارها ثورة هادئة،وإصلاحية تقدمية متفتحة على الحداثة الغربية. و

¹ - قدم حزب الإصلاح في الشمال للسلطات الإسبانية في سنة 1938 عريضة تحت عنوان " مطالب الشعب المغربي" و قد جاء في مقدمة هذه الوثيقة ما يلي "و قد اطلعنا على مطالب الشعب قبل تقديمها بالصفة الرسمية لجلالة السلطان و الحكومة الفرنسية و كان لنا حظا في درسها و مراجعتها فأيدناها و دافعنا عنها في كثير من الأحيان على صفحات لسان حالنا إذ ذاك " الحياة" الغراء لأن مطالب الشعب المغربي في جنوبه هي في الحقيقة حاجات شمال المغرب،لذلك أيدناها لأننا نريد أيضا أن يكون عملنا موحدا في جميع جهات المغرب".أنظر، حسن الصفار،حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق،ص،43.

² - قدمت هذه العريضة إلى الصدر الأعظم السيد الحاج محمد المقرئ وأمضاها التهامي الوزاني و الحسين بن عبد الوهاب و عبد السلام بن جلون و محمد المصمودي و محمد طنانة و محمد أعميار و محمد باغوز و محمد أفيلال و محمد داود و عبد السلام بن عبد الوهاب.أنظر، محمد ابن عزوز حكيم ،وثائق تشهد،مطبعة الساحل،الرباط،1980،ص 51 - 52.

³ - قدمت هذه العريضة بنفس الصيغة الأولية مع إضافة ملحق توضيحي خاص بالحكومة الفرنسي و قد تم إمضاها من طرف نفس الأعضاء.أنظر،إلى الصدر الأعظم السيد الحاج محمد المقرئ وأمضاها التهامي الوزاني و الحسين بن عبد الوهاب و عبد السلام بن جلون و محمد المصمودي و محمد طنانة و محمد أعميار و محمد باغوز و محمد أفيلال و محمد داود و عبد السلام بن عبد الوهاب.أنظر، محمد ابن عزوز حكيم ،وثائق تشهد،مصدر سابق ،ص، 52 - 53.

بالرغم من الصدى الكبير الذي أحدثته لدى الشبان المغاربة الذي أصبحوا يعيشون "ظاهرة وطنية تحررية صحية". لأنهم لأول مرة منذ سنة 1930 أصبحت لهم رؤية عملية لمسار القضية المغربية. إلا أن كل ذلك لم يقابله لدى الطرف الآخر أي تفاعل. و لم يتغير واقع السياسة الفرنسية في المغرب سواء في باريس أو الرباط. فقد كان الوطنيون يظنون أنهم ردوا على سلطات الحماية عندما سألتهم في ماي 1934 إلى أين يتجهون وماذا يريدون. كما كانوا يعتبرون أنه بتقديمهم لتك اللاتحة لباريس و الرباط فقد زالت أسباب جمود والتصلب من لدن سلطات الحماية. خاصة وأن روح بنود المطالب كانت إصلاحية ومتفتحة على نظام الحماية. بل أن هذا الأخير جاء في المطالب مدخلا لإصلاح أحوال المغرب والمغاربة. فقد ذكر علال الفاسي أن "مطالب الشعب المغربي" وضعت نظام الحماية الداخلي على بساط البحث وبينت للفرنسيين أنفسهم أن هناك وسيلة صالحة للحكم لم يهتدوا إليها هم¹. كما اعتبر "دانيال ريفي Daniel Rivet" أن "الوطنية المغربية في مرحلة الثلاثينات نصبت نفسها كطرف في منظومة الحماية. ولذلك طالبت بتطبيق ما تضمنته هذه المنظومة من إصلاحات التي تعبير من أساسها سبب وجود فرنسا في المغرب"². ولكن كل ذلك لم يحدث وإذا أصبح للوطنيين المغربية في هذا الفترة الحرجة "ثقافة الانتظار"، فإن فرنسا قابلتها بـ "مؤامرة السكوت"، التي كانت موقفا رسميا لفرنسا "الباريسية" و "الرباطية".

ففي الأوساط الفرنسية في باريس، باستثناء إجراء شكلي روتيني قامت به الحكومة الفرنسية بطلبها من الإقامة العامة دراسة البرنامج وتقديم هذه الأخيرة تقريرا عنه لمختلف المصالح المعنية بالقضية المغربية، فإن موقفها تميز باللامبالاة التي كانت إشاراته تصل بقوة للوطنيين المغاربة عن طريق حلفائهم اليساريين. فمجال انتشاره في الدوائر السياسية الفرنسية لم يتجاوز أقلية من البرلمان و بعض الصحفيين والجامعيين، وبالنسبة لكل هؤلاء الذين كانوا من اليسار فقد ارتبطوا بالقضية المغربية منذ أحداث السياسة البربرية سنة 1930. و بالتالي لم يكن هناك تغييرا في الخريطة السياسية الفرنسية بالنسبة للحركة الوطنية المغربية. لأنه لم تضاف وثيقة المطالب أي حليف جديد لها³.

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص، 194.

² - Daniel Rivet, *Le Maroc De Lyautey à Mohammed V, Le double visage du protectorat, Collection Destins Croisés, Denoël, Paris, 1999, p 358.*

³ - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p, 177.*

أما بالنسبة لسلطات الحماية في الرباط فإن موقفها كان انعكاسا لصمت باريس. وبالرغم أنها لم تتجه لرد فعل ردعي كما حدث في 1930 بعد الاحتجاج ضد الظهير البربري. أو في ماي 1934 بمنعها لصدور جريدة "عمل الشعب" ومنع دخول مجلة "مغرب". وقد يكون مرد ذلك لسياسة المقيم العام "هنري بونصو" الذي تفادى الاصطدام مع الوطنيين في عدة محطات. وقد يكون كذلك سببه عدم الإشهار بهذه المطالب في الأوساط المغربية بقمع أصحابها. فهناك من كان يرى أن المطالب لم يكن لها صدى في المغرب و لم تتجاوز معرفة مضمونها حدود بعض الدوائر الحضرية¹. و لكن في جميع الأحوال فإنها التزمت السكوت وحولت لائحة المطالب إلى لائحة. بالرغم مما قامت به الأحزاب اليمينية عن طريق صحافتها من تحريض على قمع هذه الحركة لأنها جعلت نظام الحماية في خطر لم يسبق له مثيل. ليس لأنه عارضته كما جرت العادة ولكنه أرادت احتوائه. ولكنه لم تسجل أية أحداث متعلقة بهذه المطالب. واكتفى المقيم العام "بونصو" بتعليقه عليها بأنها "أطروحة دكتوراه ممتازة"².

و لكن "مؤامرة السكوت" تخللتها تصريحات من رجال الحماية أظهرت اهتماما خفيا بهذه المطالب بدراستها والتعرف على أبعادها فقد ذكر علال الفاسي أن مستشار السلطان محمد بن يوسف "جيرار دان Gerard Dan" صرح له بأن "مطالبهم تشتمل على ثلاثة أقسام، قسم أول يمكن تنفيذه من الآن و قسم ثان يمكن تنفيذه بعد حين و قسم ثالث لا يمكن تنفيذه لأن فرنسا لا تريد مغادرة المغرب بمحض إرادتها"³. كما تضمنت رسالة المقيم العام "شارل نوجيس" في 9 أكتوبر 1937 إلى باريس إشارة إلى أن "مطالب الشعب المغربي لسنة 1934 كانت محل دراسة من طرف مصالح الحماية بشكل دقيق و معمق و من جميع الجوانب، وأنه يمكن أن تكون مصدرا لإصلاحاته في المغرب"⁴ فالى أي مدى مارست سلطات الحماية "مؤامرة الصمت" إزاء "مطالب الشعب المغربي" لسنة 1934؟.

و على كل حال فقد علق أحد الفرنسيين سنة 1944 بأن "إصلاحات 1934 كانت تريد أن تلتزم بروح المعاهدات الدولية. بتطبيقها تطبيقا صحيحا. و قد بقي الأمر كذلك طيلة عشر سنوات. لكن نظام الحماية رفض ذلك ففوت على نفسه حظا كبيرا. و لكنه سمح بنضج الأمة

¹ - Mostefa, Bouaziz, *aux origines de la koutla démocratique*, op.cit, p.55.

² - Jacques Berque, *Le Maghreb entre deux guerres*, collection Esprit, troisième édition, Seuil, Paris, 1979, p.104.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص، 195.

⁴ - Charles-André Julien, *Le Maroc face*, op.cit, p, 176.

المغربية"¹. ولذلك اعتبر "دانيال ريفي" أن "مطالب الشعب المغربي التي قدمت في 01 ديسمبر 1934 من طرف كتلة العمل المغربي للسلطان ورئيس الجمهورية الفرنسية والمقيم العام في نفس الوقت تعتبر بمثابة شهادة ميلاد رسمية للحركة الوطنية المغربية وهي في كامل تبلورها"². واعتبر "دوغلاس آي أشفورد" أن مطالب الشعب المغربي لسنة 1934 لم تناقش هدف الاستقلال ولم تقدم أي اقتراح يسمح للمغاربة بأن يكون لهم صوت في المسائل الخارجية أو الدفاع الوطني. كما كان الجزء الخاص بالإصلاحات الاقتصادية أكثر سداجة"³. و لكنها بالرغم من ذلك أثبتت و أكدت على أن "خطة الإصلاح هذه تعتبر بداية دخول الوطنيين في معترك السياسة الرسمية، وهي نفس الخطة التي نبهت الفرنسيين إلى التهديد المتزايد على سلطانهم في البلاد، و بينت للوطنيين مقدار الصعوبة التي سيواجهونها فيما إذا أرادوا أن يفاوضوا من أجل الإصلاح"⁴.

4. مطالب الشعب المغربي و كتلة العمل المغربية:

لقد طرحت وثيقة "مطالب الشعب المغربي" مشكلة إجرائية تمثلت في الهيئة التي ستقدم باسمها هذه المطالب. فالى غاية سنة 1934 لم تعرف الساحة المغربية ميلاد أي تنظيم سياسي أو هيئة معينة بالمفهوم التنظيمي الحزبي. فمذ أوت 1930 اعتمد الوطنيون المغاربة على السرية في هيكلة نشاطهم بتأسيسهم لـ "الزاوية" و "الطائفة". وفي أقصى الحالات كانت هيئة تحرير "عمل الشعب" الهيئة الوحيدة التي كانت تتمتع بنوع من الشخصية القانونية السياسية فقد لعبت دورا مزدوجا، بالإضافة أنها قامت بدورها الصحفي، فإنها أعطت للوطنية المغربية الناشئة قاعدة من المطالب كانت أكثر تبلورا من مجرد رد فعل على السياسة البربرية. و لذلك أعتبرت هيئة تحرير جريدة "عمل الشعب" بمثابة أول جنين لأول حزب سياسي مغربي المتمثل في "كتلة العمل المغربي"⁵.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 4، مصدر سابق ص 102.

² - Daniel Rivet, *Le Maroc De Lyautey à Mohammed V*, op.cit., p, 358.

³ - دوغلاس آي. أشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، مصدر سابق، ترجمه عن الإنجليزية عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكم، راجعه عبد الهادي بوطالب، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1963، ص 53.

⁴ - دوغلاس آي. أشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، المصدر نفسه، ص 54.

⁵ - Rèzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 75.

فحتى محرري البرنامج لم ينتبهوا لهذا الفراغ أثناء إنجازهم لبرنامج مطالب الشعب المغربي. وركزوا كل جهودهم على مضامينه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية¹. ولم تطرح المشكلة إلا عندما انتهت هذه المرحلة في المغرب التي امتدت بين شهر ماي و سبتمبر 1934. فعندها طرحت مشكلتان مرتبطتان بمسألة تنظيمية ضرورية حتى تقدم هذه الوثيقة إلى المراجع العليا في باريس والرباط بكل المواصفات الضرورية في مثل هذه الحالات فتمثلت المشكلة الأولى في عنوان هذه الوثيقة. فقد كان النص الأصلي لبرنامج باللغة الفرنسية² تحت عنوان "مخطط الإصلاحات المغربية" كترجمة مباشرة لـ "Plan De Reformes Marocaines" لأن تسمية البرامج السياسية بـ "مخطط" كان موضوعة غريبة بامتياز فكل البرامج التي كانت تصدر عن مختلف الهيئات والشخصيات اتخذت من "مخطط" مدخلا للتعريف بمضمونها الإيديولوجي سواء كان إصلاحيا أو انقلابيا³. أما المشكلة الثانية فتمثلت في عدم وجود أية هيئة سياسية تقدم باسمها هذه المطالب إلى باريس و الرباط. وذلك تم اعتماد تسمية " كتلة العمل المغربي *Comité D'action Marocaine*". حيث كانت هذه التسمية معتمدة من طرف العديد الحركات الوطنية حين أطلقتها على التنظيمات التي تأسست لغرض تحرري كما هو الحال لـ "الكتلة الوطنية السورية" التي كان لزعمائها علاقة وطيد مع الوطنيين المغاربة والجزائريين و التونسيين عندما اجتمع كل هؤلاء في مكتب الأمير شكيب أرسلان بجنيف.

بالرغم من أن مهمة "كتلة العمل المغربي" كانت تنحصر في تقديم " مطالب الشعب المغربي" فإن مهمتها تواصلت بعد ذلك. وأصبحت عنوانا لكل ما كانت تقوم به الحركة الوطنية

¹ - لم ترد أية إشارة لهذه المسألة في مذكرات الوطنيين المغاربة أثناء القيام بالتحضير في المغرب. سواء لدى علال الفاسي أو القادري. و حتى الوزاني لم يذكرها في المرحلة الأولى عندما كان التحضير يتم في المغرب قبل أن ينتقل مع عمر بن عب الجليل إلى باريس لإثرائها و تنقيحها و إخراجها في الصيغة النهائية.

² - هناك إجماع حول لغة المطالب التي اعتبرها الكثير أنها كتبت باللغة العربية ثم ترجمت إلى اللغة الفرنسية كما ورد ذلك في عنوانها " مطالب الشعب المغربي باللغة العربية" و قد اعتبر القادري، رغم أن لم يشارك في كتابتها(بتصريحه)، أن لغتها العربية و هو أمر مسلم به لا شك و لا ريب فيه لأنه كان يتابع العمل فيها و يقرأ التصحيحات و المراجعات التي أدخلت عليها. أنظر، أبو بكر القادري مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج1، مصدر سابق ص، 296. إلا أن الوزاني أصر على أن أصل المطالب كانت باللغة الفرنسية، لأن كل المصادر المستعملة في كتابتها كانت باللغة الفرنسية خاصة مقالات مجلة " مغرب " وجريدة " عمل الشعب ". و لكن " المصلحة اقتضت أن يقال أنها كتبت باللغة العربية سترأ لجهل نصف أعضاء اللجنة التي قدمت البرنامج للفرنسية و ترضية لهم بإيهام أن هؤلاء ساهموا في الوضع الأصلي للمطالب " أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات ج4، مصدر سابق ص، 71-72.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج4، مصدر سابق ص 70.

المغربية. وقد كانت حاجة الوطنيين المغاربة لمثل هذا التنظيم هي التي دفعت بهم لاعتماد الكتلة كإطار تنظيمي و نظامي لكل أنشطتهم في الداخل والخارج. فلا نكاد نجد حركة سواء كانت مظاهرة أو احتجاج أو بيان صحفي أو موقف من سياسة معينة، إلا و كان ذلك بتوقيع "كتلة العمل المغربية". فقد اعتبر روزيت أن الشبان المغاربة، ومنذ أحداث السياسة البربرية السياسية البربرية سنة 1930، كانوا يبحثون عن برنامج وتنظيم¹. فقد كان برنامج احتجاج "الحركة السلفية" ضد الظهير البربري متمثلا في مواجهة هذا الخطر الذي كان يهدد الهوية العربية الإسلامية للأمة المغربية. ثم تبلور ذلك البرنامج عبر العديد من المحطات، إلى غاية "مطالب الشعب المغربي" في ديسمبر 1934. وتأسيس كتلة العمل المغربية". وقد أدى ذلك إلى تحول الحركة السلفية الإصلاحية في المغرب الأقصى، التي كانت متماشية مع الإصلاح الديني في الجزائر، إلى حركة وطنية سياسية قطرية ممزوجة بحركة إصلاحية دينية². وإذا كانت هذه الظاهرة الانفصالية بين "الإصلاحية الدينية" و "الوطنية السياسية" تميزت بهما الحركة الوطنية المغربية و التونسية³. فإن الأمر لم يكن كذلك في الجزائر حيث "كان الإصلاح الديني يعمل لوحده في إطاره الحضاري العربي الإسلامي ثم تطلع (فيما بعد) إلى تجسيد هذه العاطفة محاولا ربط العلائق مع كل من تونس و المغرب الأقصى"⁴. وإذا كانت هناك قراءة لما حدث في المغرب الأقصى على أنه "انزلاقا من الأرضية الدينية إلى الأرضية السياسية"⁵. فإنه في حقيقة أمره هو "تطورا طبيعيا واقعيا مسائرا لما كان يقوم به رجال الإصلاح في الجزائر و تونس، فحركاتهم كلها انطلقت من منبع واحد هو الحضارة العربية الإسلامية"⁶.

منذ مطلع سنة 1935 دخلت الحركة الوطنية المغربية في حالة من الترقب و التوقع عما سيصدر من السلطات الفرنسية في باريس والرباط، باعتبارها بقيت في حالة انتظار ردود أفعال عن وثيقة "مطالب الشعب المغربي" التي قدمتها في نهاية 1934 لثلاثة أطراف كانت معنية بحل الأزمة المغربية بدرجات متفاوتة من حيث الأهمية. و قد توقع أن تنعكس حركتهم

¹ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 75.

² - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 253.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 253.

⁵ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 64.

⁶ - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 255.

بشكل إيجابي على أرض الواقع. إلا أن تطور الأوضاع أثبت أن وضعية الركود والمحافظة على الأوضاع هي التي بقيت سارية المفعول كأمر واقع. وأنه لا صدى لهذه الوثيقة من العاصمتين، بل وعلى العكس من ذلك فقد برزت في الميدان ممارسات و تجاوزات ذات طابع استيطاني. وفي ذلك الوقت ظهرت أهمية " كتلة العمل المغربي " كأداة للمواجهة ولكشف مثل هذه التجاوزات من خلال عدد كبير من العرائض والوفود والبرقيات وتوزيع المناشير وتوجيه الرسائل للاحتجاج على مواصلة نظام الحماية لسياسته الاستعمارية. وبالموازاة مع ذلك اتجهت الكتلة إلى القاعدة الشعبية لتوسيع التأييد لها تحضيراً لمحطة أخرى من محطات نضالها الوطني.

في 16 ماي 1935 و إحياء لعادة الاحتجاج على السياسة البربرية، قامت الكتلة برفع مذكرة إلى الحكومة الفرنسية احتجاجاً على بقاء السياسة البربرية في نفس وضعية ماي 1930 رغم تعديلها جزئياً في أفريل 1934¹. وفي نفس الوقت تضمنت المذكرة تذكيراً بلائحة المطالب المقدمة في نهاية سنة 1934. في نفس شهر ماي من سنة 1935 احتجت على مشروع برلماني إسباني يهدف إلى ضم مدينة طنجة إلى إسبانيا وإخراجها من النظام الدولي المفروض منذ معاهدة لندن سنة 1923². وفي 12 جوان 1935 قدمت مذكرة حول الإصلاح الإداري في المغرب مبينة إجحاف نظام الحماية بحق المغاربة في ميدان التوظيف. وفي ديسمبر 1935 كشفت أطماع الكولون في إعادة النظر في المجالس التمثيلية الفرنسية بما يخدم مصالحهم المالية التوسعية³.

إلا أن أهم ما قامت به الكتلة في هذه المرحلة هو مواجهتها للسياسة القمعية للمقيم الجديد "مارسيل بيروطون Marcel Peyrouton" الذي تم تعيينه في مارس 1936 خلفاً لـ "هنري بونصو" الذي اعتبر أنه كان قليل التأثير على السلطان والحكومة الشريفة. بالإضافة إلى "إتباعه سياسة ليبرالية أكثر من اللازم"⁴. ورفضه إتباعه سياسة المستوطنين لأنها تؤدي إلى

¹ - تم التطرق إلى هذا التعديل سابق في " الظهير البربري "

² - تحولت طنجة إلى مدينة الدولية بعد التنافس الاستعماري الشديد على المغرب و عدة تطورات سيتم التطرق لها بالتفصيل في الفصل السابع المتعلق بالزيارة السلطانية لمدينة طنجة.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج4، مصدر سابق ص 144.

⁴ - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p, 177.*

سلب كل ما يوجد عند المغاربة"¹. فقد أعلن "بيروتون" مباشرة بعد تعيينه عن سياسة عدائية اتجاه الحركة الوطنية المغربية معتمدا على تجربته مرحلة "القمع البروطوني" في تونس وما "حققته مثل هذه السياسة من مكاسب في تونس"². و لذلك أعلن حتى قبل وصوله إلى المغرب عن افتخاره بـ "إنجازاته التونسية" بقضائه على الحزب الدستوري في تونس. وأعلن أن مصير كتلة العمل المغربية" هو نفس مصيره. ولذلك هلك المستوطنون بمجيئه من خلال صحفهم واعتبروا مجيئه بداية عهد جديد في المغرب. من أهم خصائصه ضرب الحركة الوطنية المغربية الصاعدة. التي عندما كانت تنتظر من الحكومة الفرنسية استجابة لـ "مطالب الشعب المغربي" التي قدمتها منذ ديسمبر 1934. و يبدو أن باريس قطعت "مؤامرة الصمت" فأرسلت "بيروتون" كمقيم عام في المغرب في مارس 1936. و لذلك تفاعلت "كتلة العمل المغربي" مع ذلك وأوقفت "مرحلة الانتظار". و طالبت مقابلة "بيروتون" في نهاية للتعرف على حقيقة استجابة باريس لها بعد سنتين تقريبا من تقديم "مطالب الشعب المغربي"³. وقد كانت تلك المقابلة، بالرغم من أنها لأول مقيم عام في المغرب مع ممثلي الحركة الوطنية المغربية فإنها كانت تعرفا مباشر لأعضاء الكتلة، ليس على حقيقة السياسة الجديدة فقط، بل حتى على حقيقة هذا الرجل التي تمثلت في استحالة أي تقدم في القضية المغربية. بل بالعكس بإعلانه لتلك لسياسته التونسية كمرجع له، فإنه أصبح للحركة الوطنية المغربية مستقبلا فيه الكثير من القمع و الاضطهاد⁴. و قد توصلت الكتلة من خلال هذا اللقاء إلى حقيقة صادمة، وهي أن

¹ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 75.*

² - اتبع "بيروتون" في تونس منذ تعيينه فيها في جويلية 1933 كمقيم عام سياسة قمعية شديدة و حاول ضرب الحركة الوطنية التونسية بقوة. فقد كان يرفع شعار الإصلاحات ظاهريا و يهدد كل الرافضين لها بالقمع و قد استغل التوجه الجدي للوطنيين التونسيين بعد تأسيس "الحزب الدستوري الجديد" في أفريل 1934. و في صيف 1934 عرفت عدة مظاهرات و احتجاجات على سياسته مما أدى به إلى قمعه و نفي الحبيب بورقيبة مع سبعة وطنيين آخرين من بينهم المحمود الماطري. ثم تواصلت الاحتجاجات في سنة 1935 و 1936 و تصاعدت حدتها إلى غاية تعويضه بمقيم عام جديد هو "أرمان قيوم Armand Guillon" في مارس 1936 حيث انتقل إلى المغرب لتبدأ قصته مع الحركة الوطنية المغربية التي لم تدم سوى ستة أشهر. أنظر، فيصل الشريف و آخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق ، ص، 91.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ، ص، 203.

⁴ - وصف علال الفاسي لتفاصيل المقابلة بقوله "... و بعد أن بين له الأخ عمر بن عبد الجليل في جمل قصيرة الغاية من زيارتنا، و أنها استعجال الإقامة العامة في تنفيذ مطالب الشعب المغربي طلب بيروتون الكلام راعبا منا ألا نتكلم إلا بعد أن يفرغ، فاستمر في حديثه ثلاث ساعات يدور فيها فمه كما يدور على الكرسي يمينا و شمالا و لم يترك كلمة قدرة في شتم الدستوريين التونسيين و شتم رجال الجبهة الشعبية بفرنسا إلا نطق بها". أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ، ص، 203.

"مطالب الشعب المغربي" التي كانت سبب وجودها لا مجال لها في السياسة الجديدة لنظام الحماية. ولذلك ارتكزت إستراتيجية الكتلة بعد تعرفها على هذه الحقيقة على استغلال التناقضات المذهبية للسياسة الفرنسية. و ذلك بكشف موقف "بيروتون" من اليسار الفرنسي الذي كان شتما و قدحا و خطأ من قيمته و قدرته السياسية، في الوقت الذي كان هو فيه في باريس في اعز أيامه وأقوى مراحل. وكان على وشك استلامه للقرار السياسي في باريس من خلال "الجبهة الشعبية" التي انتصرت في انتخابات ماي 1936. فما كان من "كتلة العمل المغربي" سوى استغلال هذه الظرفية السياسية لصالحها من خلال استثمار رجالها لعلاقاتهم القديمة مع اليسار الفرنسي لتأليبهم ضده، للقيام بحملة إعلامية واسعة لتتحية ذلك "المزربان الفارسي" (الحاكم الفارسي المستبد) كما وصفه "جوليان"¹.

لم تكن الكتلة تخفي ذلك بل كان ذلك إستراتيجيتها في تحريك كل الأوساط اليسارية السياسية الصحفية، التي بقيت على صلة دائمة بالوطنيين المغاربة، و قد تعمقت هذه الصلة و أصبح لها بعدا تنظيميا من خلال "كتلة العمل المغربي" التي كانوا من مؤسسيها غير المباشرين باعتبارهم كان هم بحد ذاتهم أعضاء الوفد الذي قدم "مطالب الشعب المغربي" للحكومة الفرنسية في باريس². ولم تخف الكتلة رغبتها في تنحيته ليس فقط لمشروع سياسته المقيمية في المغرب فقط، التي كانت استجابة لغطرسة المستعمرين التي كانت تهدد أي مقيم عام، كما قال علال الفاسي³، و لكن كذلك "لأنه ارتكب أعماله الشنعاء مع التونسيين. و لا يمكن حفظ الكرامة الوطنية إلا بإعلان التضامن مع التونسيين ضدا عليه"⁴. و لذلك لم تتردد الكتلة في

¹ - طلب "جوليان" شخصا من "ليون بلوم" رئيس مجلس الوزراء تنحيته فورا نظرا لسياسته الخطيرة على استقرار فرنسا في المغرب. و لم يستجيب له "بلوم" خوفا من رد فعل المستوطنين الذين قد يشرون مشكلة في وقت كانت باريس في غنى عنه بعد توتر علاقاتها مع مدريد بفعل ثورة فرانكو في جويلية 1936. و ذكر "جوليان" أن "بيروتون" عندما أصبح وزيرا للداخلية سنة 1940 في حكومة فيشي قام بكل المحاولات لطرده من الجامعة الفرنسية. فلم ينسئ التسمية التي أطلقها عليه جوليان بتشبيهه بـ "المزربان

الفارسي". أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p, 177*.

² - تم التطرق لتشكلة الوفود الثلاث سابقا.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص، 204.

⁴ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص، 204.

نشر تلك البرقية التي كشفت دعم "بيروتون" ماليا للحركة الفاشية الفلاحية بقيادة "فرانكو" في شمال المغرب. و قد أحتت هذه القضية رد فعل قوي في باريس¹.

لقد كان للكتلة معركة أخرى حاسمة ضد "بيروتون" من خلال قضية المؤتمر السادس لـ "جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين"، الذي كان مقررا بمدينة فاس بالمغرب في سبتمبر 1936 طبقا لتوصية مؤتمرها الخامس الذي انعقد بمدينة تلمسان بالجزائر في سبتمبر 1935² وابتداء من شهر أفريل بدأت التحضيرات الضرورية لهذا المؤتمر. من تحديد الشخصيات التي ستحضره، وجدول أعماله، الذي ركز على مسألة التعليم³. وقد اعتبر "بيروتون" هذا المؤتمر مناسبة لاستعراض القوة الاستعمارية لنظام الحماية من خلال استيعابها لحركة طلابية مغربية لها الكثير من الصدى في أوساط الطلبة والمتقنين بصورة عامة. فقام بكل جهوده لاحتوائه وتحويله إلى فرصة لإبراز الوجه الجديد لنظام الحماية الذي استطاع السيطرة على المحمية و محو كل آثار السياسة الليبرالية التي اتبعها سلفه "هنري بونصو". من جهة، و من جهة أخرى تلبية رغبة باريس في تفادي ذلك الصدى الكبير الذي أحدثه مؤتمر تلمسان لسنة 1935⁴.

و في أوت 1936 أعلم "بيروتون" هيئة تحضير المؤتمر السادس بتغييرات حول برمجة هذا المؤتمر بتغيير مكانه من فاس إلى الرباط و تأجيل تاريخه إلى أكتوبر 1936. وبالرغم من قبول الطلبة لهذه التغييرات فإن رغبته في الظهور الاستعراضي فيه بافتتاح جلساته و إلقاء فيه خطابا افتتاحيا حول برنامجه في مجال التعليم دفعت بالطلبة إلى رفض هذا التوجه فأعلموه بأن "الجمعية ترفض حضوره لأنه شخصية سياسية والجمعية مؤسسة علمية، و لا

¹ - تعلق الأمر ببرقية سرية أرسلها "بيروتون" إلى البنك المغربي بمدينة تطوان يأمره فيها بتسليم مبلغ نصف ملون فرنك للحركة الفلاحية. و قد تحصلت عليها الكتلة بوسائلها الخاصة و قامت بنشرها في الصحف. و أحدثت الكثير من الاستياء في باريس، أنظر،

Georges Oved, La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p, 101.

² - محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 304.

³ - تمثلت في التعليم العربي بالمغرب، و التعليم الفلاحي والتجاري و الصناعي بإفريقيا الشمالية، و قواعد حفظ الصحة و الرياضة البدنية بالمدارس في شمال أفريقيا، وفتح الأبواب في وجه الطلبة. أنظر، محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 304.

⁴ - كان للمؤتمر الخامس بتلمسان تأثيرا كبيرا على السياسة الفرنسية. حيث جاء في أحد التقارير أن المؤتمر عقد في "عاصمة الإسلام القديمة للمغرب العربي" و هي عاصمة تاريخية تقابل الجزائر التي كانت العاصمة السياسية. كما ظهر التأثير الكبير للعلماء الجزائريين على المؤتمر عن طريق إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي الذي "خطب باللغة العربية و نادى بوحدة المسلمين في المغرب العربي و أظهر حقا أعمى ضد فرنسا" أنظر، محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 303.

تريد التدخل في شؤون السياسة سلبا أو إيجابا، كما أن المؤتمر يرفض حفلة الشاي التي يريد المقيم العام إقامتها"¹. و قد كان هذا الموقف كافيا لإبراز خلفية "بيروتون" من هذا "العرض السخي". و ذلك من قراره بإلغاء عقد المؤتمر. و قد كان ذلك مطابقا لرغبة الكتلة التي أعلمته بأن "موقفه في تونس و ما بدأ به في المغرب لم يترك في الفؤاد محلا يسمح بالجلوس معه على مائدة شاي واحدة"². ولم يكن "بيروتون" محل نقمة من طرف الكتلة فقط، فبدعم كبير من طرف المستوطنين واصل حملته المعادية لسياسة الجبهة الشعبية. مما أدى إلى رد فعل من طرف "المغرب الاشتراكي" الذي قام بحملة سياسية و إعلامية ضده انتهت بتنحيته في 16 سبتمبر 1936. و تعيين الجنرال "شارل نوجيس" مقيما عاما جديدا في المغرب³.

و إذا كانت الكتلة قد رفضت احتواء سلطات الحماية الفرنسية للمؤتمر السادس لـ "جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين"، فإنه نفس الموقف اتخذته بمقاطعتها لأشغال هذا المؤتمر الذي تم عقده في شمال المغرب بمدينة تطوان في 21 أكتوبر 1936 بدعوة من عبد الخالق الطريس الذي أعلن عن هذا اللقاء في صحف المغرب العربي لمناقشة مجموعة من النقاط⁴. و قد كان هذه المرة رفض الكتلة محاولة نظام فرانكو في مدريد احتواء وطنيي المنطقة السلطانية الجنوبية بعد أن تم له ذك بالنسبة لنظرائهم في المنطقة الخليفة الشمالية الخليفة⁵.

برزت " كتلة العمل المغربية" كهيئة جامعة للنشاط الوطني المغربي و معبرة عن الحركة الوطنية المغربية. ولكنها كانت تفتقر للهيكل التنظيمي لتأطير وهيكله هذا النشاط لمواصلته

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص، 204.

² - المصدر نفسه ص، 205.

³ - Georges Oved , *La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T2, op.cit., p , 101*.

⁴ - تمثلت في رفع المستوى الفكري بالشمال الأفريقي، و تقوية العلاقات المختلفة بين الأقطار الثلاث تونس و الجزائر و المغرب، و ربط الصلات بين هذه الأقطار و الشعوب العربية و الإسلامية على العموم، و توحيد مناهج التعليم في الأقطار الثلاث و تحقيق مشروع التاريخ المشترك بين الأقطار الثلاث، و استقلال الأحباس الإسلامية. أنظر، محمد بلقاسم وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 306.

⁵ - حضر المؤتمر الجنرال "أوركاز Orkaz" كمبعوث للجنرال فرانكو. والمقيم العام الإسباني "بيكيدير"، و خليفة السلطان مولاي الحسن بن المهدي. وقد أرسلت الكتلة عضوا ملاحظا بدون أن يتدخل حتى و لو أدى به الأمر إلى الانسحاب إذا طلب منه ذلك. و قد قدم فيه عبد الخالق الطريس مداخلة حول "الصلات الوثقى بين إسبانيا والمغرب طيلة ثمانية قرون من المودة و الإخلاص، و قال أن المغرب لا يمكنه أن يحيي بدون إسبانيا التي ستمنحه كل الحريات المنشودة من طرف المغاربة التي دائما منعها الطغاة الفرنسيون في شمال أفريقيا" أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج4 مصدر سابق ص 243.

بشكل أكثر فاعلية، خاصة وان ظروف تأسيس الكتلة اسما وبرنامجا لم تأخذ بعين الاعتبار عامل الاستمرارية بها كهيكل دائم و مستق ،بقدر ما كان الغرض آنذاك الخروج من مشكلة تقنية ظرفية تمثلت في إيجاد وعاء سياسي لتقديم "مطالب الشعب المغربي"، فهي، وإن لم تظهر بمشروع تأسيس حزب سياسي، فإنها تحولت فعلا إلى حزب اتخذ من هذه المطالب برنامجا، الذي لم يتوقف عن تذكير بارييس و الرباط عن ضرورة الرد عليها. ومن الوطنيين المغاربة قادة لها. فقد كان كل واحد من هؤلاء يتحدث و يتخذ المواقف باسمها و يبعث برقيات الاحتجاج و يعلن عن بيانات الاستنكار. و في نفس الوقت مواجهة نظام الحماية الذي واصل سياسته الاستعمارية للحصول على المزيد من المكاسب الاستيطانية كما حدث في الفترة القصير للمقيم العام "بيرروتون".

وابتداء من نهاية سنة 1936 ظهرت رغبة لدى الوطنيين في "كتلة العمل الوطني" التحول إلى حزب سياسي للخروج من الحالة المؤقتة/الدائمة إلى الحالة الدائمة/الدائمة، و هذا ما أدى إلى دخولها في أزمة سياسية بتصدعها إلى تيارين متناقضين متنافرين في التنظيم ومتفقين في البرنامج والأطروحات. ففي أكتوبر 1937 رفض الوزاني نتائج التصويت الذي جعل منه الأمين العام للحزب الجديد المزمع تشكيله و علال الفاسي رئيسا له ورغم كل محاولات رأب الصدع التي تمت من الداخل والخارج¹، فإنه ابتداء من فيفري 1937 انتهت "كتلة العمل المغربي" بشكل فعلي ليتم حلها بشكل رسمي في 18 مارس 1937 بقرار من المقيم العام "شارل نوجيس" ليحل محلها "الحركة القومية المغربية" بقيادة الوزاني الذي حافظ على جريدة "عمل الشعب" الناطقة بالفرنسية كمنبر صحفي لها. وفي 31 أوت 1937 أصدر جريدة "الدفاع" الناطقة باللغة العربية². أما الطرف الثاني فقد تمثل في "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" بقيادة علال الفاسي، الذي اصدر جريدة "العمل الشعبي" بالفرنسية و "الأطلس" بالعربية.

لقد كان هذا التصدع بمثابة زلزال كبير ضرب الحركة الوطنية المغربية. فقد جاء في ظرف تاريخي حساس و دقيق، تمثل في بداية الاتصال بالقاعدة الشعبية العامة، و عند القيام بمحاولة نقل الحركة الوطنية من العمومية إلى التنظيمية، ومن الفردية إلى الحزبية، وفي ظرف

¹ - حاولت أطراف عديدة التوفيق بين الطرفين من الخارج بمحاولة الأمير شكيب أرسلان بمراسلاته المكثفة من جنيف، و فرحات عباس من الجزائر و من الداخل عن طريق العديد من الشخصيات و الوفود. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات. ج، 05، ص 40..

² - سيتم التطرق للحركة القومية لاحقا.

تخلى عنها حلفاؤها اليساريون عندما تمكنوا من القرار السياسي في باريس¹. إلا أن تتبع مسار الحركة الوطنية المغربية منذ مطلع الثلاثينات سيتأكد أن التصدع كان نتيجة حتمية ومنطقية له، فقد كان بإمكانه الحدوث في صيف سنة 1933 عند إصدار "عمل الشعب" أوفي أبريل 1936 عند رغبة الوزاني في إصدار جريدة من فرنسا أوفي ماي 1936 بمناسبة انعقاد مؤتمر الحزب الاشتراكي الفرنسي.

وقد اختلف الدارسون للحركة الوطنية المغربية والمعاصرون لها في تفسير أسباب هذا التصدع، فمنهم من أرجعه إلى الخلاف الشخصي الموجود بين الزعيمين² الذي طفا إلى السطح بفعل السياسة الليبرالية التي شرع في تطبيقها المقيم العام "شارل نوجيس" ابتداء من ديسمبر 1936 بإتباعه سياسة انفتاحية تجاه الحركة الوطنية بإطلاق سراح معتقلي أحداث الدار البيضاء في نوفمبر 1936 (الوزاني و علال الفاسي و محمد اليزيدي) وترخيصه صدور عدد من الجرائد مثل جريدة "الأطلس" و "العمل الشعبي" و "صوت المغرب" لمحمد خلطي التي صدرت في باريس ودافعت عن حقوق العمال المغاربة في فرنسا و "عمل الشعب" التي أعاد الوزاني إصدارها، ومن مدينة سلا صدرت "المغرب" لسعيد حجي، و "العمل" لعبد اللطيف صبيحي، و "الوداد" لمحمد شيمو³. وأرجعها آخرون إلى اختلاف وتناقض في القوى الاجتماعية التي جاء منها كل

¹ - سيتم التطرق لموقف الجبهة الشعبية من الحركة الوطنية المغربية لاحقا.

² - يرجع البعض هذا الخلاف إلى أسباب مالية و تشجيع من طرف تأثيرات خارجية. أنظر، شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 147.

³ - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p, 85.

زعيم وبقي يتحرك في مدارها¹، و أرجع آخرون السبب إلى الاختلاف الإيديولوجي القائم بين الرجلين². وقد فجره المقيم العام "توجيس" بمؤامراته³.

ومهما كانت الأسباب التي أدت إلى هذا التصدع، فإن الخلاف بين الوزاني⁴ و علال الفاسي⁵ ارتبط بميلاد النشاط السياسي المغربي المنظم، وأدى إلى تغذية ما كانت مكونات المجتمع المغربي تعاني منه منذ مطلع القرن العشرين بين رغبة في الانقسام أو في الذوبان بين العرب والبربر، وبين الأندلسيين والأصليين، وبين "الأشراف" و"العلمانيين" و بين "الفاسيين"

¹ - اعتبر عبد الله العروي انشقاق الحركة الوطنية المغربية ظاهرة فريدة من نوعها لم تحدث لا في مصر و لا في تونس حيث شهدت الحركة الوطنية فيهما كذلك انشقاقا، و أرجع ذلك إلى الرموز التي كان تمثلها كل شخصية، فليست شخصية علال الفاسي الذي لم يكن قد تجاوز ثمانية عشر سنة هي التي كانت من وراء 'انتصاره، و لكن ترجع إلى ما كانت تمثله من رموز تعود إلى تحالف أسرته على مر التاريخ مع العرش مثل بقية العائلات المخزنية في معركة "وادي المخازن" ضد البرتغال سنة 1579، في حين كانت الجماعات اخلية الأخرى بما فيها الزوايا تنجح نحو الاستقلال الذاتي، إذن يرتبط الاختلاف بعمق تاريخي بقي دائما حاضرا في شكل تناقضات تقليدية للمجتمع المغربي. أنظر، علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص، 224.

Laroui, Abdallah, Esquisses historiques, centre culturel arabe, Casablanca 1993, p 127-129

² - يرتبط هذا بطبعة تكوين النخبة المغربية فالوزاني مرتبط بالمدرسة الغربية الليبرالية بتراتها و ثقافتها في تفسيره للظاهرة الاستعمارية و مواجهته لها، أما الفاسي فتكوينه في القرويين فرض عليه ثقافة تقليدية و بالتالي فالبحت عن حل للظاهرة الاستعمارية يمر بـ "العودة إلى الذات". أنظر،

Madani Mohamed, le mouvement national, op.cit. , p 54.

³ - حسب رواية الاشتراكي الفرنسي "جان روبر لونكي" أنظر، عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، المعركة من أجل الشورى و الاستقلال 1946-1955، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1988، ص 13-14

⁴ - ذكر الوزاني و بشكل جد مطول قصة هذا الاختلاف الذي سيشكل بداية مأساة سجلتها الحركة الوطنية المغربية أثناء الحماية و حتى فيما بعدها و أصبحت ملازمة لها، ويقول أنه خلال سنة 1936 بدأت تظهر نزوات الأنانية و حب الزعامة من خلال معارضة رفقائه في الكتلة ذهابه إلى باريس لحضور مؤتمر الحزب الاشتراكي الفرنسي في ماي 1936 حتى لا يتحول إلى زعيم مغربي وحيد في باريس، كما عارضوا أنفسهم مشروع إصدار مجلة أو جريدة مغربية في باريس من طرفه، و عندما أرادت الكتلة التحول إلى حزب في مطلع سنة 1937، ظهرت كل هذه الاختلافات القديمة إلى السطح حول طبيعة القانون الداخلي للحزب، الذي أوكلت مهمة إنجازها إلى الوزاني، و حول المناصب القيادية، و انتهى كل ذلك بما أصبح يعرف بتصدع الكتلة و ما ترتب عنه من نتائج. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 5، مصدر سابق ص، 13 - 54 .

⁵ - على عكس الوزاني الذي كتب الكثير حول هذه القضية بصورة مباشرة أو غير ذلك فإن علال الفاسي لم يذكر ذلك إلا باختصار شديد لا يعبر عن خطورة الأزمة التي أصابت الحركة الوطنية المغربية . حيث اكتفى بقوله "و بمجرد أن أعلنت النتائج أعلن الوزاني استعفائه من الكتلة و لا نريد أن ندخل أن ندخل في تفاصيل هذا الانشقاق الذي حدث و ما نتج عنه، و كل ما هنالك أن الأستاذ الوزاني أخذ يعمل لاكتساب أنصار جدد بإسم الحركة القومية بينما استمر الذين كانوا في الاجتماع العام عملهم ضمن الكتلة. انظر،

(سكان مدينة فاس) و"السلويين" (سكان مدينة سلا)، وبين "البدو" و"الحضر"¹. و أصبح من أهم المنعرجات التاريخية في مسار الحركة الوطنية المغربية عشية الحرب العالمية الثانية، و ظل حاضرا في تاريخها وفي تاريخ العلاقة بين قادة الحركة الوطنية إلى غاية الاستقلال وحتى فيما بعده².

وفي فيفري 1937 أصدر علال الفاسي كل من "العمل الشعبي" و"الأطلس" كجريدتين ناطقتين باسم "الحزب الوطني لتحقيق المطالب"، و واصل الوزاني إصدار "عمل الشعب" و أصدر جريدة ثانية تحت عنوان "الدفاع" للتعبير عن الهيئة التي رفض تسميتها حزبا، والتي أنشأها في أفريل 1937 تحت اسم "الحركة القومية"، وأصبح زعيم تيار سياسي قائما بذاته، وبدأ مشروعه السياسي للمغرب في التبلور عبر خطاب تطور بشكل تراكمي وفي صيغ مختلفة. انطلاقا من "الحقوق القومية" إلى الربط بين متطلبات مرحلة الحماية و ضروريات مرحلة الاستقلال، أو بما سماه هو بـحل "المشكلة الداخلية و الخارجية" في آن واحد³.

¹ - Tozy, Mohamed, Mohamed Hassan Ouazzani : liberté individuelle et pouvoir politique, In, Penseurs maghrébins contemporains, Casablanca, Eddif, 1993.

² - أصبح "الشوريون" عشية الاستقلال محل حملة اضطهاد وحشية نسبت من طرفهم إلى علال الفاسي وحزب الاستقلال، أنظر، المهدي المومني التجكاني، دار بريشة أو قصة مختطف، مطبعة النجاح الجديدة، 1987، ص 03 و ما يليها.

³ - تميز الوزاني عن غيره من الوطنيين المغاربة و العرب بطرح مشروع وطني مزدوج يتضمن مواجهة نظام الحماية و في نفس الوقت مشروع الدولة الوطنية المستقلة و هذا ما سيتم التطرق إليه في الفصول القادمة.

الفصل الثالث:

الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية :

مرجعية الإصلاح في سياق الانقسام 1937 – 1944

- . الحركة الوطنية و الجبهة الشعبية (المطالب المستعجلة) أكتوبر 1936.
- . من كتلة العمل المغربية" إلى الحزب الوطني لتحقيق المطالب 1937
- . من كتلة العمل المغربية إلى الحركة القومية المغربية 1937

1. الحركة الوطنية المغربية والجبهة الشعبية (المطالب المستعجلة): أكتوبر 1936.

1. السياق التاريخي لـ"المطالب المستعجلة":

لقد كانت سنة 1936 محطة تاريخية فاصلة بالنسبة لمسار الحركة الوطنية المغربية على أكثر من صعيد، وذلك نظرا للتغيرات الهيكلية العميقة التي عرفتتها هذه الحركة ابتداء من هذا التاريخ. ولم تكن هذه التغيرات محل صدفة، أو ظاهرة عارضة، بقدر ما كانت نتيجة تسارع سلسلة من الأحداث التاريخية، وذلك على مستوى السياسة الفرنسية في المغرب و في باريس على حد سواء. ففي ماي 1936 انتصرت "الجبهة الشعبية" في الانتخابات البرلمانية بنتائج ساحقة وأصبحت تتحكم في زمام الأمور¹. وبدأت بذلك مرحلة تاريخية جديدة ليس بالنسبة لفرنسا فقط، ولكن حتى بالنسبة للشعوب المستعمرة التي كانت تنتظر الكثير من التغيرات في السياسة الفرنسية الاستعمارية نظرا لموقف اليسار الفرنسي من المسألة الاستعمارية في هذه الفترة واستعماله لها كورقة انتخابية في خطابه السياسي في المناطق المستعمرة و منها المغرب والجزائر وتونس. وبصورة خاصة نظرا للوعود التي أطلقتها هذه الجبهة أثناء حملاتها الانتخابية التي كانت تتضمن إعادة النظر بصورة جذرية في السياسة الاستعمارية.

و لذلك وبعد انتصار اليسار الفرنسي في الانتخابات البرلمانية وتشكيل الجبهة الشعبية للحكومة كانت الشعوب المستعمرة تنتظر تجسيد هذه السياسة الجديدة على أرض الواقع. وبالنسبة للحركة الوطنية المغربية فقد تفاعلت بصورة مباشرة مع هذا الحدث ورأت في انتصار الجبهة الشعبية خروجاً من الطريق المسدود الذي كانت فيه منذ 1934 بعد تقديمها

¹ - واجهت فرنسا منذ مطلع سنة 1930 أزمة متعددة الأوجه، اقتصادية و سياسية و اجتماعية، و حتى أخلاقية. و قد تركت آثارا كبيرة في عمق المجتمع الفرنسي من خلال الارتفاع المخيف للبطالة انهيار الأوضاع الاجتماعية بصورة عامة. و فقد الفرنسيون ثقتهم في الديمقراطية البرلمانية، التي ظهرت في عجز متواصل للحكومات المتتالية سواء من اليمين أو اليسار، فكلها لم تكن تعمّر طويلا. و لمواجهة هذه الأوضاع تشكلت "الجبهة الشعبية" سنة 1935 و هي عبارة عن تحالف للأحزاب و المنظمات اليسارية لحل الأزمة التي كانت فرنسا تعيشها و مواجهة الخطر الفاشي و النازي المتصاعد في أوروبا. و في سنة 1936 نجحت هذه الجبهة في الانتخابات البرلمانية و أسست حكومة بقيادة " ليون بلوم " الذي طبق سياسة اجتماعية عريضة ما زلت الذاكرة الفرنسية تحفظها. إلا أن هذه التجربة لم تدم طويلا بعد فشلها في حل مختلف الأزمات مما أدى إلى زوالها في سنة 1938. و بالنسبة للحركة الوطنية المغربية و غيرها من الحركات الوطنية التحررية اعتبر هذا النجاح فرصة تاريخية لمطالبة اليسار الفرنسي بتنفيذ وعوده التي لطالما أعلن عنها من خلال انتقاده للاستعمار الذي كان ظاهرة رأسمالية يمينية بامتياز. و بالنسبة للوطنيين المغاربة كانت فرصة كبيرة للحصول على تقدم في القضية المغربية بحكم الصلة الوثيقة التي كانت لهم مع أعضاء الجبهة الشعبية الذي أصبح عدد منهم أعضاء في حكومة الجبهة الشعبية. أنظر،

لـ"مطالب الشعب المغربي"، خاصة وأن هذا الأخير تم تدعيمه من طرف اليسار الفرنسي فحكومة الجبهة الشعبية كانت تتضمن وزراء دعموا هذه الوثيقة بصورة شخصية ونقلوا محتواها للحكومة الفرنسية عندما كانوا في البرلمان الفرنسي و معارضين لحكومة اليمين آنذاك¹. ولتأكيد آمال المغاربة في حكومة الجبهة الشعبية على أنها فاتحة عهد جديد بالنسبة لهم أرسلت الكتلة من المغرب برقية لـ"ليون بلوم" تضمنت تهنئة و ابتهاج المغاربة بنجاح اليسار الفرنسي بتوليئه زمام الأمور في باريس باعتباره أبدى عندما كان في المعارضة تأييدا نظريا وعمليا لطموحات الوطنيين المغاربة. ولذلك أصبح هؤلاء ينتظرون تجسيدا لهذه السياسة على أرض الواقع².

لقد تمثل أهم مظهر لهذا التفاعل الإيجابي في مشاركة كتلة العمل المغربية في مجريات المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي الذي انعقد في 30 ماي 1936 بباريس بمشاركة محمد حسن الوزاني فيه³ الذي اعتبره فرصة لإخراج الحركة الوطنية المغربية من تناقضاتها الداخلية ومن ركودها والاتحلال الذي أصابها نتيجة "عوامل عديدة تمثلت في تصلب السياسة الفرنسية واستفزازات السلطات الاستعمارية والقمع الذي واجهت به الحركة المطالب الوطنية، وقلة وسائل الحركة كالصحافة وحرية الاجتماع المفقودتين، وانشغال الحكومة الفرنسية بقضايا داخلية كتفاقم نشاط وخطر المنظمات الفاشستية في فرنسا والمغرب، وكذلك بقضايا الخارج كحفظ الأمن والسلم في أوروبا"⁴.

وقد كان لهذه المشاركة صدى كبيرا، فقد استطاعت الكتلة عن طريق ممثلها أن تنقل إلى الجبهة الشعبية وضعية شاملة عن المغرب بما فيها مطالب الحركة الوطنية بما ورد في البيان

¹ - يتعلق الأمر بجورج موني Gorges Monnet وفرانسوا دوتيسان François de Tesson. أنظر:

Georges Oved, *La gauche française et le nationalisme marocain*, T2, op.cit. p. 93.

² - كانت البرقية من إمضاء علال الفاسي ومحمد اليزيدي. أنظر: Georges Oved, *La gauche française*, T 2, op cit p 97

³ - تعتبر مشاركة الوزاني في مؤتمر الحزب الاشتراكي الفرنسي في ماي 1936 من أهم القضايا التي عجلت بتصدع كتلة العمل المغربية، فبعد أن طلب الوزاني مشاركة وفد عن كتلة العمل المغربية في هذا المؤتمر الذي اعتبره حاسما في تشكيل الحكومة اليسارية مثلما حضرت شخصيات من الحركات التحررية من العالم العربي مثل رياض الصلح عن الكتلة الوطنية بلبنان وسوريا و مصالي الحاج عن حزب الشعب الجزائري وبورقيبة عن حزب الدستور الجديد ومن إفريقيا بمشاركة لامين كي عن السنغال. إلا أن طلبه لم يتلقى استجابة ورفض من طرف أعضاء الكتلة بحجج واهية مثل انعدام الجانب المالي لتمويل هذه المشاركة. إلا أنه أصر على المشاركة باستعمال موارده المالية الشخصية وكان حضوره بصفة مدير جريدة "عمل الشعب". ولكن وبعد الصدى الذي كان لهذه

المشاركة تبنتها كتلة العمل المغربية واعتبرتها مشاركة باسمها. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات ج 4، مصدر سابق ص 213

⁴ - المصدر نفسه، ص 207

الذي قدمه الوزاني للمؤتمر و تداولته أروقته.وقد كان هذا البيان يحمل عنوان "نداء الشعب المغربي إلى حكومة الجبهة الشعبية".وقد تضمنت هذه الوثيقة مدخلا حول انتصار اليسار الفرنسي ومجيء حكومة الجبهة الشعبية وانعكاسات ذلك على المغرب شعبا وسلطانا وحركة وطنية معتبرا ذلك فاتحة عهد جديد بالنسبة لفرنسا و بالنسبة لجميع الشعوب التي تشرف فرنسا على مصائر¹. ثم جاء في هذه الوثيقة مطالب الحركة الوطنية من الجبهة الشعبية التي كانت مستمدة من وثيقة "مطالب الشعب المغربي" الصادرة في 01 ديسمبر 1934 وتمثلت في المطالب السياسية التي جاء فيها الحقوق والحريات العامة والمطالب الاجتماعية التي تضمنت تحسين أوضاع الشعب المغربي والمطالب الاقتصادية التي تضمنت الحفاظ على الثروات الاقتصادية للمغرب وعدم تسخيرها لخدمة منظومة الحماية².

وبالإضافة إلى هذه الوثيقة قدمت الحركة الوطنية المغربية لمؤتمر الحزب الاشتراكي وثيقة أخرى لا تقل أهمية عن الأولى جاءت تحت عنوان "نداء إلى الشعب الفرنسي" وقد تضمن هذا النداء تحليلا مفصلا لأوضاع المغرب الناتجة عن الحماية من جميع الجوانب، حيث اعتبرها استعمارا للمغرب أرضا وشعبا، وانحرافا حتى على مضمون عقد الحماية الذي لم يكن من الناحية النظرية استغلالا كما حدث في أرض الواقع منذ مارس 1912. كما اعتبر المغرب أحد الأقطار التي عانت من الإمبريالية المتحالفة مع الرأسمالية بهدف منع المغاربة من التطور و الاستفادة من الديمقراطيات الفرنسية³. وقد أدى هذا التحالف إلى الرغبة في القضاء على المجتمع المغربي بنزع ملكيته العقارية، ومهاجمته دينيا وثقافيا بما قامت به الكنيسة من سياسة صليبية تنصيرية بتأييد من الإقامة العامة، وتعتبر السياسة البربرية نموذجا قائما بذاته على تواطؤ الكهنوت والسلطات الفرنسية في المغرب⁴.

و جاء في هذا النداء مبررات إصداره في هذا الوقت بالذات المتمثلة أساسا في "الانتصار الرائع الذي حققته الجبهة الشعبية، وعليه فإنه لا يسع الشعب المغربي إلا أن يغتبط بقرب حلول عهد جديد بالنسبة إليه"⁵. ومن مقتضيات هذا العهد الجديد أن تقوم حكومة الجبهة

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات ج.4، مصدر سابق ص215.

² - Georges Oved, *La gauche française*, T 2, op.cit p 97

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات ج.4، مصدر سابق ص217

⁴ - المصدر نفسه ص218

⁵ - محمد حسن الوزاني، مذكرات ج.4، مصدر سابق ص217

الشعبية بإصلاحات على جميع الأصعدة بداية من إعادة تعيين مقيم جديد ذو توجهات جمهورية لإصلاح أحول الشعب المغربي، وتطبيق مبادئ الإنسانية والحرية والعدل، وهو ما لم يحدث إلى غاية سنة 1936¹. ولضمان الحصول على التأييد الفعلي للقضية المغربية حاولت الكتلة أن تحصل على بند خاص بها ضمن مقررات اللجنة الاستعمارية للمؤتمر الاشتراكي، إلا أن هذا لم يحدث نظرا للتناقضات التي كانت على مستوى اليسار الفرنسي فيما يخص حدود تأييد مسألة تصفية الاستعمار، بالإضافة إلى الخلافات التي كانت بين جون لونكي وشارل أندري جوليان باعتبارهما الشخصيتين الأساسيتين اللتين كانتا محل ثقة ليون بلوم، و من وراء سياسة الجبهة الشعبية².

بالإضافة إلى هاتين الوثيقتين الهامتين الصادرتين عن الحركة الوطنية سنة 1936، استطاعت هذه الأخيرة أن تحقق في شهر جويلية من نفس هذه السنة مكسبا لا يقل أهمية عما سبق تمثل في استقبال نائب وزير خارجية الجبهة الشعبية المكلف بالشام و المغرب "بيير فيينو" *"Pierre Vienot"* للوزاني حيث استلم منه بصفته ممثلا للحركة الوطنية المغربية ملفا كاملا حول القضية المغربية تضمن عدة تقارير تتعلق بهذه القضية من جميع الجوانب بالإضافة إلى برنامج الإصلاحات المغربية. وقد اعتبر هذا اللقاء اعترافا رسميا بالحركة الوطنية المغربية. فلأول مرة اهتمت باريس بجدية وحسن التفات بالمطالب الوطنية

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات ج.4، مصدر سابق ص217

² - لقد كان مقترح تأييد الشعب المغربي كبند مستقل محل خلاف بين شارل أندري جوليان وجون لونكي، فقد كان هذا الأخير من أنصار هذا البند باعتباره من أكبر مؤيدي القضية المغربية منذ أن كان من وراء إصدار مجلة "مغرب" في باريس. أما شارل أندري جوليان فقد اعتبر أن الحزب الاشتراكي لا يمكنه أن يتبنى موقف الحركة الوطنية المغربية جملة وتفصيلا. و يعتبر ذلك جزء من الخلاف الذي كان بين الرجلين أثناء المؤتمر حول السياسة الاستعمارية للجبهة الشعبية التي كان يراها لونكي غير كافية و غير متحررة من السياسات السابقة، فاختلف بذلك مع جوليان. فتأثرت بذلك قضية الحركة الوطنية المغربية سلبا. أنظر

Georges Oved, *La gauche française T2*, op.cit p98 ويستغرب الوزاني كيف أن المغرب بعد الاستقلال قدر جوليان وأعطاه مكانة أكاديمية عالية تمثلت في عميد كلية الآداب بالرباط بين سنتي 1957 و1961 في حين تم تهميش روبر لونكي، وسمي ذلك بمقابلة الإحسان بالنسيان والإهمال. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات ج.4، مصدر سابق ص223.

للمغاربة¹. فقد ترك الوزير انطبعا ايجابيا لدى الوطنيين المغاربة الذين وعدهم بأن ينكب على دراسة مقترحاتهم مباشرة بعدما ينتهي من حل قضية الشام².

على عكس ما كان منتظرا من الوطنيين المغاربة فإن تجاوب الجبهة الشعبية مع مطالبهم لم يكن بنفس الحماسة التي أبدوها عند نجاحها في الانتخابات العامة. فقد اعتبر شارل أندري جوليان السياسة الاستعمارية للجبهة الشعبية جد متحفظة بشأن المغرب ولخصتها المقولة الآتية "التخلي نهائيا عن الشام، والكثير من الإصلاحات في تونس، والانتظار و التريث في المغرب"³. ولعل هذه المقولة التي دفعت بالجبهة الشعبية إلى عدم إحداث أي تغيير في أوضاع المغرب إلى غاية سبتمبر 1936 عندما تم تغيير المقيم العام بتنحية المقيم العام "مارسل بيرتون" و تعيين محله "شارل نوجيس" في سبتمبر 1936. فقد كان الأول محل شكوى من طرف الوطنيين المغاربة نظرا لموقفه من الحركة الوطنية المغربية برفضه أي حوار معها. و محاولته عرقلة نشاطاتها، وموقفه من انعقاد المؤتمر السادس لجمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين⁴. فقد كان هذا المقيم العام أداة المعمرين في المغرب لضرب هذه الحركة والقضاء عليها. فقد تزامن توليه الإقامة العامة في الرباط مع صعود الجبهة الشعبية. لذلك كان محل احتجاج كبير من طرف اليسار الفرنسي. و قد اعتبر أثناء المؤتمر الاشتراكي رمزا لسياسة استعمارية منبوذة. و وصفه ليون بلوم بحد ذاته بـ "الخطر العام" عندما تم تعيينه لخلافة "بونصو"⁵. و يبدو أن سياسته التونسية كانت من وراء تقليص مدة إقامته في المغرب التي لم تتجاوز ستة أشهر بتنحيته و تعيين "نوجيس". و لذلك أصبحت سنة 1936 فعلا محطة هامة بالنسبة للمغرب على أكثر من صعيد.

لقد أدى تكوين حكومة الجبهة الشعبية، خاصة بعد تغييرها للمقيم العام في المغرب، إلى بعث الأمل في صفوف كتلة العمل الوطني. فقد اعتبر أعضاؤها أن إمكانية التفاهم مع السياسة الفرنسية أصبحت قائمة لأن هذه السياسة أصبحت خاضعة لتيار كان يدعي دائما أنه غير متفق مع باريس "اليمينية" في اضطهاد الوطنيين وتجاهل كل مطالبهم. وانطلاقا من هذا الأمل

¹ - Robert Rèzette, *les partis politiques*, op. cit p 98

² - شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية ترجمة المنجي سليم و آخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط03، 1976، ص 139 .

³ - Georges Oved, *La gauche française T2*, op cit p 401

⁴ - تم التطرق لهذه سابقا.

⁵ - Georges Oved, *La gauche française T2*, op cit p98

عرفت الكتلة حركية ونشاطا أدى بها للخروج من حالة الانتظار التي فرضت عليها منذ تقديمها لـ "مطالب الشعب المغربي" في نهاية 1934. فقد بعثت روح جديدة في هذه المطالب وأصبح منتظرا من اليسار الفرنسي الاستجابة لها، لأنه تضامن معها في حينها وقال عنها أنها عادلة و طبيعية بالنسبة للشعب المغربي¹. ولاستغلال هذه الظروف السياسية والنفسية قامت الحركة الوطنية المغربية بمبادرة هامة تمثلت في إصدار ما يعرف بـ "المطالب المستعجلة للشعب المغربي" في أكتوبر 1936.

2. مضمون المطالب المستعجلة و رد الفعل الفرنسي عليها:

لقد كانت هذه المطالب بمثابة انطلاقة جديدة بالنسبة للحركة الوطنية المغربية باعتبارها أول لائحة مطلبية قدمتها هذه الحركة لحكومة الجبهة الشعبية. ففي أكتوبر 1936 عقدت الكتلة مؤتمرا استثنائيا بالرباط للاتفاق حول الصيغ التنظيمية الجديدة للتعامل مع هذه الحكومة². بالموازاة مع ذلك أرسلت وفدا لباريس متكونا من محمد حسن الوزاني وعمر عبد الجليل للاتصال بأصدقاء المغرب وتذكيرهم بالوعود التي قطعوها للشعب المغربي³. وقد أدى هذا المؤتمر إلى تبني وثيقة جديدة تعرف بـ "المطالب المستعجلة" التي جاءت مستوحاة من برنامج الكتلة لسنة 1934. وقد كانت موجهة للسلطان المغربي والمقيم العام في الرباط وحكومة الجبهة الشعبية في باريس. وتضمنت سبعة فصول غطت مختلف المجالات السياسية، الثقافية الاقتصادية والاجتماعية⁴. وقد كانت هذه المطالب معتدلة ذات طابع إصلاحية ولم تشر في أي بند من بنودها إلى مسألة السيادة المغربية. فقد كانت في روحها متماشية مع

¹ - عبد الكريم غلاب، الحركة الوطنية، مصدر سابق ص 146

² - عقد المؤتمر في منزل احمد الشرقاوي و قد حضره تسعين عضوا مثلوا مختلف مدن المغرب. وقد ظهر فيه علال الفاسي لأول مرة كزعيم وطني وحيد نظرا لتواجد الوزاني بفرنسا. ويعتبر روبر روزت ذلك عملا مقصودا من طرف علال الفاسي الذي اختار تاريخ 29 أكتوبر 1936 لعقد هذا المؤتمر الهام لإلغاء التأثير الغربي الذي كان يمثل الوزاني على الحركة الوطنية المغربية

وإخضاعها للتأثير المشرقي الذي أصبح يزحف على الحركة الوطنية. أنظر: Robert Rêzette, les partis politique, op. cit p 98

³ - تعتبر هذه المبادرة الثانية بعد التي قام بها الوزاني في ماي 1936 بحضوره مؤتمر الحزب الاشتراكي فبعد عودته في جويلية 1936 عن طريق إسبانيا كاد أن يعدم من طرف الجمهوريين في إسبانيا الذين اتهموه بمؤامرة فرانكو أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات ج4، مصدر سابق ص 255. أما المبادرة الثانية فقد كانت في أكتوبر 1936 رفقة عمر بن عبد الجليل بتكليف من طرف الكتلة لنقل

مطالب الحركة الوطنية إلى الجبهة الشعبية. أنظر علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 215

⁴ - الميثاق الوطني الملحق رقم 07.

عقد الحماية لسنة 1912. وكما جاء في ديباجة هذه الوثيقة فإن مضامينها هي أقل ما يمكن البدء به و يمكن تطبيقها ميدانيا¹.

اعتبر عبد الكريم غلاب أن "المطالب المستعجلة" بمثابة تحدي جديد لفرنسا في باريس والمغرب. خاصة وأنها كانت استمرارية لمسار مطالب الشعب المغربي التي قدمت في سنة 1934 من جهة، ومن جهة أخرى كانت امتحانا لحسن نوايا اليسار الفرنسي فيما يخص مسألة الاستعمار التي من ضمنها القضية المغربية². ولم يبق هذا التحدي نظريا من خلال وثيقة المطالب المستعجلة، ولكنه تم تحويله إلى أرض الواقع. فمن ضمن قرارات مؤتمر الكتلة بالرباط في 25 أكتوبر 1936 الاتصال بال جماهير المغربية لربطها بهذه النقلة النوعية في الحركة الوطنية المغربية. وفي غياب صحافة يمكن أن تبلغ من خلالها الكتلة عن مطالبها وتقوم بتعبئة الرأي العام المغربي حولها، تم برمجة سلسلة من التجمعات الشعبية في المدن المغربية فكان أول مهرجان في 2 نوفمبر 1936 بمدينة فاس لتظهر الحركة الوطنية لأول مرة كهيئة منظمة من خلال الظروف التي تم فيها هذا التجمع. وبشهادة الصحافة الفرنسية التي وصفت التجمع بالهام نظرا للمظهر الديمقراطي للتجمع وحسن التنظيم وروح الانتظام لدى الجماهير و فصاحة الخطباء الذين توالوا على منصته خاصة علال الفاسي الذي ظهر بمظهر الزعيم الأوحده و محمد حسن الوزاني الذي³. وقد انتهى هذا المهرجان الهام بتحرير لائحة موجهة للسلطان المغربي محمد الخامس. كما تم توجيه رسائل أخرى للسلطات الفرنسية في الرباط وباريس تضمنت تذكيرها بوعود اليسار الفرنسي وإعادة تأكيدها لمطالب الكتلة المغربية⁴.

¹ - ١ الميثاق الوطني الملحق رقم 07.

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص149

³ - كان حضور الوزاني بهذا المهرجان مفاجئا لأعضاء الكتلة بحكم تواجده بفرنسا لتقديم وثيقة المطالب المستعجلة "رفقة عمر عبد الجليل إلا أنهما قررا العودة بسرعة يوم 29 أكتوبر 1936 لحضور هذا المهرجان. ويعتبر الوزاني حضوره مفاجئا لبعض أعضاء الكتلة الذين حسب رأيه لم يكونوا راغبين في حضوره حتى ينفردوا بأمر المهرجان ويظهروا لوحدهم أمام الجماهير ولكن حضوره فوت عليهم الفرصة. خاصة وأنه كان أول خطبائه بتقديمه لخصيلة اتصاله بحكومة الجبهة الشعبية حيث اعتبر تجاوب هذه الأخيرة مع المطالب الوطنية منعدها وبالتالي فإن الحركة الوطنية أصيبت بخيبة أمل في حكومة الجبهة الشعبية واليسار الفرنسي بصورة عامة. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات ج4، مصدر سابق ص282-283

⁴ - تضمنت هذه اللائحة تأييدا لوثيقة المطالب المستعجلة "ومنح الشعب المغربي الحريات الأساسية. وجاء في البرقية الموجهة للسلطان المغربي ما يلي: "صاحب الجلالة سيدي محمد، إن ثلاثة آلاف من سكان فاس يمثلون سائر الطبقات والحرف قد اجتمعوا

لقد كان اجتماع فاس في 02 نوفمبر 1936 أول مهرجان من نوعه في تاريخ الحركة الوطنية المغربية، باعتباره اتخذ بعدا نظاميا وتنظيميا في آن واحد، حيث أثبتت الكتلة المغربية قدرتها على تعبئة الشعب المغربي حول مرجعية واحدة. كما ظهرت هذه الحركة بشكل منسجم من حيث مطالبها التي لم تعد عامة كما كانت في السابق. فقد قدمت الكتلة لائحة مطالب محددة للمراجع العليا في الرباط وباريس. ومرة أخرى خاطبت الحركة الوطنية السلطان المغربي باعتباره صاحب السيادة الرسمية على الشعب المغربي تطبيقا للفصل الثالث من معاهدة فاس لسنة 1912¹. وأجمعت الصحف الصادرة في فرنسا والمغرب على الروح الجديدة للكتلة المغربية التي لم تترك أية مأخذ قانونية أو سياسية للسلطات الفرنسية لعرقلة نشاطها وبالتالي فقد عبرت عن مسؤوليتها السياسية والقانونية اتجاه المغاربة. ولعل هذا ما شجعها على مواصلة هذه التجمعات فعقدت في 06 نوفمبر 1936 مهرجانا آخر في مدينة سلا وكان مطابقا لمهرجان فاس موضوعا وحماسا ونجاحا²

ولنتوحيج هذه الاتصالات الجماهيرية قررت كتلة العمل المغربي القيام بخطوة جريئة تمثلت في التخطيط لعقد مهرجان شعبي ضخم في مدينة الدار البيضاء بتاريخ 14 نوفمبر 1936 وذلك لوضع السلطات الفرنسية أمام الأمر الواقع وإجبارها على الاستجابة لمطالبها. إلا أن خطورة هذا المهرجان كانت في جغرافيته المتمثلة في مدينة تاريخية و مركزية بالنسبة للمجتمع المغربي على جميع الأصعدة. وفي تاريخ عقده، فقد كان بعد مدة وجيزة من نجاح مهرجانين لم تتخذ منهما السلطات الفرنسية موقفا نظرا لحالة القرار الفرنسي الذي كان في حالة من الفراغ و اللاموقف، فقد كان متأرجحا بين وضعية المقيم العام "توجيس" الذي كان في بداية عهده وبصدد التعرف على الملف المغربي خاصة بعد استقباله لمجموعة من الوطنيين والاستماع إلى مطالبهم، وبين نظرة باريس التي كانت بعد تأسيس حكومة الجبهة الشعبية

في بيت بن زاكور لتأكيد قرارات مؤتمر الكتلة الوطنية، وهذه المناسبة يرفعون إلى جلالكم آيات احترامهم وولائهم ويلتمسون من جنابكم منح الشعب المغربي الحريات الديمقراطية في مجال الصحافة والجمعيات، والتعليم، النقابة وستكون هذه التدابير التفات رمزية جديدة بكل تقدير في الظروف العسيرة الراهنة. وتفضلوا جلالكم وقبول تعلقنا الدائم" تعتبر هذه البرقية في سياق الاتصال مع السلطان المغرب محمد بن يوسف بغرض تحويله من "غنيمة الحماية إلى أول مكسب غنمه الوطنيون المغاربة..." أنظر: محمد العربي المساري، محمد الخامس من سلطان إلى ملك، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع القنيطرة، 2008، ص12.

¹ - محمد العربي المساري، محمد الخامس من سلطان إلى ملك، مرجع سابق، ص12.

² - الوزاني، مذكرات ج4، مصدر سابق ص285

تقتضي تريثا ودراسة للوضع المغربي على حدى بعد التفرغ من قضية سوريا ولبنان. إلا أن تصميم كتلة العمل المغربي على طرح الملف المغربي في تلك الظروف الفرنسية والمغربية دفع بإدارة سلطات الحماية بالرباط التي أرادت استغلال هذا الفراغ لصالحها، وبالتالي حجة لمنع هذا التجمع و قمع هذا التيار الوطني الصاعد و توقيف مساره المتسارع بحجة أنها رغبة السلطان. خاصة و أن موقف الكتلة من هذه الإجراءات تمثل في تصميمها على مواصلة نشاطها الوطني. و لذلك قامت سلطات الحماية بتصعيد هذا القمع باعتقال ثلاثة من زعماء الكتلة ومن أهم منشطى هذه التجمعات وهم محمد حسن الوزاني، علال الفاسي ومحمد اليزيدي، و فرض حالة الحصار على الأنشطة الوطنية بكل أشكالها¹.

و قد اعتبر ذلك خيبة أمل المغاربة في حكومة الجبهة الشعبية. فقد أبلغت الكتلة المغربية هذه الخيبة عن طريق موفدها إليها و هو عمر عبد الجليل الذي استعمل كل الوسائل في باريس لكشف هذا التوجه القومي لحكومة الجبهة الشعبية في المغرب. وقد أبلغ ذلك تفاصيل هذا القمع عندما استقبله بيار فينو نائب وزير الخارجية لشؤون الشمال الإفريقي الذي حاول تبرئة كل من الحكومة و الجنرال "توجيس" من مسؤولية الوقائع. كما كان لـ "روبير لونغي" دور في كشف هذه الممارسات سواء من خلال إصداره لصحيفة دورية تحت عنوان "المخبر المغربي" *"l'informateur marocain"* التي كانت تنشر كل الأخبار المتعلقة بالمغرب². أو من خلال التقرير الذي قدمه للجنة الاستعمارية للحزب الاشتراكي الفرنسي الذي كشف فيه عن بقاء ممارسات سلطات الحماية في المغرب كما كانت عليه قبل تولي الجبهة الشعبية الحكم، وبالتالي

¹ - ذكر شارل أندري جولي أن منع هذا المهرجان كان بمنارة قامت بها شرطة الدار البيضاء، بنشر إشاعة مفادها أن السلطان محمد بن يوسف سيلقي خطابا في المسجد الكبير بالدار البيضاء مما أدى إلى اتجاه موجات شعبية ضخمة اتجاه هذا المسجد. وحقبة الأمر الغرض من هذا إثارة تجمعات شعبية يمكن من خلالها ممارسة القمع واستعمال القوة. خاصة و أن باريس أدركت هذه المناورة التي راح ضحيتها الكثير من المغاربة أنظر: *Charles-André Julien, Le Maroc Face, op.cit, p184* أما عبد الكريم غلاب فقد اعتبرها مناورة من طرف إدارة الشؤون السياسية ضد المقيم العام "نوجيس" حتى تسير به نحو ممارسة العنف و بالتالي يفشل أي مشروع سياسي جديد في المغرب خاص بالجبهة الشعبية. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، ص 155. أما الوزاني فيعتبر ذلك مناورة من طرف رئيس ناحية الدار البيضاء الذي أقام الوطنيين المغاربة بالتبعية لفرانكو و التخطيط للقيام بعصيان مدي لصالحه. أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات ج4، مصدر سابق ص 287.

² - اختلف الوزاني مع علال الفاسي حول ظروف صدور هذه المجلة فإذا كان الفاسي يعتبرها من إصدار مبعوث الكتلة للجبهة الشعبية عمر عبد الجليل. أنظر: علال الفاسي، الحركات ، مصدر سابق ص 220 فإن الوزاني يعتبرها من إصدار روبر لونكي وقبل الحوادث بأكثر من شهرين ونصف. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات ج4، مصدر سابق ص 274

فإن وعود هذه الأخيرة بقيت حبرا على ورق. مما أقلق الأوساط اليسارية في باريس و الرباط التي لم تكن ترغب بأن يخيب آمال المغاربة في أول ممارسة سياسية لحكومة الجبهة الشعبية في المغرب¹. خاصة وأن الموقف في المغرب بقي في حالة تصاعدية من خلال المظاهرات والاحتجاجات التي عمت كامل مدن المغرب، رغم حملات الاعتقالات و المحاكمات الإدارية التي كانت سلطات الحماية تقوم بها بالتعاون مع عدد من الباشاوات المواليين لها².

لقد أثبتت أحداث نوفمبر 1936 أن الحركة الوطنية المغربية أدركت نموها وأصبحت على حد تعبير شكيب أرسلان حركة قومية لا تقل أهمية عن الحركات القومية العربية الأخرى في مصر والشام³. كما أثبت اليسار الفرنسي الذي لطالما وعد الشعوب المستعمرة من بينهم المغاربة بتغيير قوانينهم الأساسية في حالة توليه الحكم، إلا أنه وبعد حدوث ذلك في إطار حكومة الجبهة الشعبية في ماي 1936 فإن أحوال المغاربة والشعوب المستعمرة بصورة عامة لم تتغير في أرض الواقع وبقيت على حالها من خلال السياسات الاستعمارية. ولعل هذه الأحداث هي التي أخرجت كثيرا اليسار في فرنسا ودفعته إلى أن يحمل مسؤوليتها إدارة الشؤون السياسية التي أرادت إبقاء الأوضاع في المحمية على حالها. و تحت ضغط هؤلاء وبتأثير الدعاية الإعلامية التي قام بها اليسار في الأروقة السياسية الفرنسية. ونظرا لتطورات الحركة الوطنية في سوريا ولبنان، اضطر رئيس حكومة الجبهة الشعبية ليون بلوم أن يصدر قرارا للمقيم العام بالمغرب يتضمن تخفيف الأجواء المغربية إلى أقصى حد من خلال إطلاق سراح الأسرى والسماح بعودة الأنشطة السياسية والإعلامية للحركة الوطنية المغربية⁴.

¹ - Georges Oved, *La gauche française* T2, op. cit p107

² - عرفت هذه الفترة حملة اعتقالات واسعة مست قادة الكتلة الوطنية مما أدى إلى تعويضهم بصورة مستمرة، فبعد اعتقال الثلاثة تولى كل من محمد غازي ومحمد الديوري قيادة الكتلة مؤقتا، أما عمر بن عبد الجليل فقد اتجه إلى باريس للتمديد بهذه الممارسات. وقد تميز يوم الجمعة 27 نوفمبر 1936 بمظاهرات عنيفة مست معظم المدن المغربية مثل الدار البيضاء و فاس والرباط وسلا و وجدة و تازة..... وتم إلقاء القبض على الكثير من مناضلي الحركة الوطنية وتمت محاكمتهم بصورة استثنائية حيث كانت الأحكام قاسية جدا حيث تراوحت بين ستة أشهر و خمسة أعوام. أنظر: وليام هويسنتن، الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول، 1936-1943، تعريب إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002، ص 82

³ - جاء ذلك في رسالة بعث بها شكيب أرسلان إلى قادة الكتلة الوطنية المعتقلين. أنظر: علال الفاسي، شكيب أرسلان، دعوة الحق، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط 1959.

⁴ - وليام هويسنتن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 90.

لقد تضمنت إجراءات التخفيف هذه إطلاق سراح قادة الكتلة وهم كل من الوزاني و الفاسي و محمد اليزيدي والعديد من المناضلين وكاستمرارية لهذه الإجراءات، وحتى يثبت المقيم العام "توجيس" تحكمه في الوضع و تهميشه لإدارة الشؤون السياسية، فقد سمح بعودة العديد من المظاهر كإصدار الصحف الناطقة بالعربية مثل جريدة "الأطلس" والتي تحولت إلى لسان الكتلة المغربية و جريدة "المغرب" حيث كان سعيد حجي رئيس تحريرها وجريدة "الوداد"، كما سمح بإعادة إصدار جريدة "عمل الشعب". كما سمح في إطار هذه الإجراءات التخفيفية تأسيس النقابات المهنية.

2. من "كتلة العمل المغربية" إلى "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" 1937:

1. تأسيس الحزب الوطني :

انتهت مرحلة حاسمة من تاريخ الحركة الوطنية نقلت هذه الأخيرة من وضعية الانتظار والآفاق المسدود إلى حالة نشيطة وآفاق واسعة. لقد تحولت الحركة الوطنية بعد هذه الأحداث من ظاهرة محدودة إلى ظاهرة مست كل المجتمع المغربي. كما ظهر جليا أن الحركة الوطنية المغربية اتخذت بعدا تنظيميا واضحا. وللحفاظ على هذا الأخير أصبح لزاما على كتلة العمل المغربي أن تسير هذه التغيرات بإعادة النظر في تنظيمها. فقد عرفت كتلة "العمل الوطني" منذ أكتوبر 1936 تحولات عميقة في بنيتها وهذا التحول فرض على قادتها بذل جهودا كبيرة بغرض هيكلتها حتى تستوعب حركية المجتمع المغربي. وبدأ قادة الكتلة يتحدثون عن ضرورة تأسيس لجنة تنفيذية ومجلس وطني وفروع لها. وقد تحول هذا الطرح بعد الانتصار الشعبي في نوفمبر 1936 إلى حتمية بالنسبة للحركة الوطنية المغربية لضمان بقائها ومواصلتها للنضال الوطني التحرري¹. وهكذا اجتمعت كتلة العمل الوطني في جانفي 1937 لإعادة بناء هياكلها إلا أن نتائج هذا الاجتماع كانت بمثابة زلزال أصاب الكتلة خاصة والحركة الوطنية عامة و ذلك من خلال ما أصابها من تصدع و انقسام إلى تيار سياسي بزعامة علال الفاسي الذي أسس "الحزب الوطني لتحقيق المطالب". و تيار سياسي آخر بزعامة محمد حسن الوزاني الذي أسس "الحركة القومية"².

وعلى عكس محمد حسن الوزاني الذي كان انسحابه من الكتلة المغربية كليا فلم يبق أي اتصال هيكلي معها لا من حيث هيئتها ولا من حيث صحافتها، فإن علال الفاسي اعتبر هذا الانسحاب من الكتلة حدثا عابرا. و لم يتوقف عنده كثيرا. و رفض الدخول في تفاصيله أسبابا و نتائج. و اعتبر الكتلة "ميراثا نضاليا" له و لجماعته التي أيدته في انتخابات جانفي 1937 و جعلت منه زعيما واحدا للحركة الوطنية المغربية³. فقد استمر هؤلاء العمل ضمن كتلة العمل المغربي منذ جانفي 1937 إلى غاية مارس 1937 تاريخ حلها. و حتى بعد هذا التاريخ واصلوا

¹ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية، مرجع سابق ص 35

² - سيتم التطرق بالتفصيل لهذا الحزب لاحقا.

³ - سيتم التطرق لهذه المسألة فلاحقا (كتلة العمل المغربية، الحركة القومية المغربية).

نضالهم فيما كان يعرف بـ"الحركة الوطنية لتحقيق المطالب" إلى غاية جويلية 1937 عندما ظهر للعلن و بصورة رسمية"الحزب الوطني لتحقيق المطالب"¹.

اعتبر عبد الكريم غلاب أن فترة ما بعد جانفي 1937 تميزت بـ"تنظيم لكتلة العمل بدون إذن"² مستغلة في ذلك الانفراج الجزئي الذي عرفه المغرب منذ نهاية 1936. حيث قامت بتنظيم نفسها من حيث قوانينها الأساسية و هيأتها المركزية وفروعها في المدن المغربية، فعرفت انخراطا واسعا للمغاربة وبصورة علنية، فلأول مرة عرفت الحركة الوطنية هذه الممارسة الحزبية بجميع مظاهرها. فقد كان المنخرطون يسجلون في قوائم و يتلقون مقابل ذلك بطاقة الانخراط كما كانوا يؤدون القسم بالولاء للقضية الوطنية، وحتى للسلطان المغربي. كما كانت الصحف الصادرة باسمها المتمثلة في جريدة"الأطلس" التي كانت لسان حالها العربي وجريدة "العمل الشعبي" لسان حالها باللغة الفرنسية تعبران عن مطالبها التي لم تكن في حقيقة الأمر سوى إعادة تذكير المراجع العليا في الرباط وباريس بلائحة"المطالب المستعجلة" لسنة 1936 بالإضافة إلى كشف الممارسات الإدارية المحلية في مختلف الأقاليم المغربية كما هو الحال في مكناس ومراكش والخميسات³.

ونظرا لما تلقته هذه الأنشطة الوطنية من استجابة تجاوزت هذه المرة المدن لتصل إلى الأوساط الريفية. فقد أصبح ظاهرا للعيان أن النضال التحرري بعد أحداث نهاية 1936 أصبح وطنيا. مما أحدث قلقا في الأوساط الاستعمارية في المغرب خاصة في أوساط إدارة الشؤون السياسية و الأهلية التي كثيرا ما عبرت عن ذلك في تقاريرها إلى المقيم العام "نوجيس" الذي كان بدوره ينقلها إلى باريس وقد اعتبرها هذا تصعيدا جديدا، بالإضافة إلى الغطاء الذي كان اليسار الفرنسي يوفره في المغرب وفي باريس، والذي - حسب رأيه - وفر ضمانات إضافية للوطنيين المغاربة ضد أي محاولة أخرى ضد أنشطتهم⁴. وكتنازل ظرفي سمحت بباريس له

¹ - حدث اختلاف في تاريخ تأسيس هذا الحزب فإذا كان علال الفاسي يرجعه لشهر أفريل 1937 فإن عبد الكريم غلاب أرجع تأسيسه إلى شهر جويلية 1937 و كذلك شارل أندري جوليان. أما روبر روزيت فقد اعتمد أفريل 1937 كتاريخ عقد لاجتماعه التأسيسي و جويلية 1937 كتاريخ لإعلان عنه.

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج02، مصدر سابق ص 158

³ - سيتم التطرق للأحداث التي عرفتها هذه المدن لاحقا.

⁴ - اعتبر "نوجيس" نفسه مكبلا بقيود الجهة الشعبية لذلك كان يعبر عن مضامين هذه التقارير في رسائله لباريس التي تضمنت مخاوف الإدارات الأهلية من تصاعد التيار الوطني منذ مطلع 1937 رغم تعهد الوطنيين بالتخفيف من حدة هجماتهم حيث جاء

بالقيام بإجراء للحد من هذا التصاعد تمثل في إصداره لقرار بـ"حل كتلة العمل المغربي" في 18 مارس 1937¹.

لم يكن قرار حل الكتلة أكثر من مجرد إجراء إداري بدون أي تأثير ميداني، فالإضافة إلى الجدل القانوني الذي رافق تأسيسها ونشاطها²، فقد فقدت هذه الهيئة مبررات وجودها منذ أن انقسم واختلف مؤسسوها في مطلع سنة 1937، وبالرغم من أن كل الأنشطة الوطنية في المغرب و في باريس كانت تتم باسمها وتحت غطاءها منذ تأسيسها، فإن إلغائها القانوني لم يكن ليوقف هذه الحركية لأن هذه الأخيرة كانت نتيجة النقلة النوعية التي عرفتتها الحركة الوطنية المغربية منذ نهاية 1934 بإصدارها لوثيقة "مطالب الشعب المغربي" والتي تم إعادة بعثها بوثيقة "المطالب المستعجلة" في أكتوبر 1936 وحاولت الكتلة تجسيدها ميدانيا في نوفمبر من نفس السنة. وبالرغم من عدم حصولها على أي مطلب من مطالبها الإصلاحية، وبالرغم من بقاء الإدارة الفرنسية "حماية" في شعاراتها و "استيطاناً" في ممارساتها. فإن استفادتها من كل هذه المحطات لا يمكن تجاهلها. فقد كانت بدون أدنى شك من وراء "ثورة المدن"³.

و لذلك لم يكن قرار حلها ذا تأثير ميداني، خاصة و أن ورثة هذه الهيئة استغلوا مسألة شكلية تمثلت في منصوص قرار المنع الذي تضمن غلق المقرات التي شرعت الكتلة في فتحها في كامل المغرب دون أية بنود أخرى. فصحافتها بقيت نشيطة. و بالتالي فإن قرار 18 مارس 1937 المتضمن حلها قام بالغاء تسمية في أحسن الأحوال، مع بقاء هيكلتها الميدانية

في رسالة بعث بها حاكم ناحية فاس المسمى موريز إلى علال الفاسي بأنه "يلعب بالنار وعليه أن يجعل حدا لعملياته السياسية" أنظر:

وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 89

¹ - تم تبرير قرار الحل بأن أعضاء الكتلة يقومون بمؤامرة ضد السلطان نظرا لصيغة القسم التي تضمنت بالإضافة إلى الإخلاص لله والمغرب والمملك عبارة "العمل في دائرة كتلة العمل الوطني" وفي حقيقة الأمر فإن "نوجيس" صرح بتخوفه الكبير من تسرب

الدعوة الوطنية إلى القبائل حيث جاء في رسالة لوزير الخارجية الفرنسي ديل بوس عبارة "لو سمحنا بأن تنتقل العدوى إلى البوادي لوضعنا وجودنا في المغرب في خطر وهذا بدون أدنى مبالغة". أنظر، وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 90.

² - اختلف مؤسسو كتلة العمل المغربي حول طبيعتها القانونية، وجدوى تأسيسها فمحمد حسن الوزاني الذي يعتبر صاحب هذه التسمية لا يعتبرها لا حزبا ولا جمعية إنما هي مجرد عنوان للحركة الوطنية، وقادتها ظهوروا بحكم الظروف لا باستشارة أو اختيار أو تصويت. و كان من المفروض أن تنتهي كوفد بانتهاء مهمته باسم الحركة الوطنية. أنظر مذكرات حياة ج 04، مصدر سابق ص 104

، ج 05، مصدر سابق ص 14.

³ - وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 55

بدون أي ضرر و لذلك فإن كانت هذه النتيجة فعلا مقصودة من هذا القرار فقد تحول هذا الأخير إلى دعاية لصالحها¹.

وعندما اقتنع هؤلاء كغيرهم من الوطنيين في الجزائر و تونس أن الاستعمار لا يريد أن يؤسس هؤلاء تنظيمات سياسية تدافع عن المصالح المادية و المعنوية لشعوبهم، قرروا وضعه أمام الأمر الواقع بتأسيسهم لهذه الأحزاب². ففي المغرب عقدت "الحركة الوطنية لتحقيق المطالب" اجتماعا هاما في أبريل 1937 بالرباط حضره ممثلون عن جميع أنحاء المغرب انتهى بتأسيس هيئة كامتداد لفكرة الكتلة بالربط بأعمالها و تبني برنامجها تحت اسم "الحزب الوطني لتحقيق المطالب"³. وفي اليوم الموالي أصدرت جريدة "المغرب" التي كان يصدرها سعيد حجي بلاغا بإمضاء علال الفاسي يعلم فيه المغاربة عن تأسيس هذا الحزب و عن أهدافه و وسائل عمله و عن مقره المركزي في مدينة فاس الذي كان المقر المركزي لكتلة العمل المغربية⁴. وقد استغل هذا التنظيم الجديد/القديم مناسبة عودة السلطان محمد بن يوسف من فرنسا في نهاية أبريل 1937 فأرسل له برقيات باسمه تضمنت إشارات واضحة إلى سيادته على المغرب أرضا وشعبا، بالإضافة الحديث عن أكبر أبنائه على أنه ولي عهده⁵، وفي ذلك تعبير واضح عن وفاء

¹ - Robert Rêzette, *les partis politiques*, op.cit, p 104

² - من مظاهر وحدة المصير في منطقة المغرب العربي أنه في الجزائر بعدما تم حل نجم شمال أفريقيا تم تأسيس حزب الشعب الجزائري في 07 مارس 1937 و في تونس بعد أن أطلق سراح الحبيب بورقيبة في ماي 1936 و عقد المؤتمر الثاني للحزب الدستوري الجديد في ربيع 1937 الذي كان حاسما من حيث اختياراته.

³ - تم هذا الاجتماع في بيت محمد البيزدي و قد جاء بعد نشاط كثيف للحركة الوطنية لتحقيق المطالب في الداخل. و في الخارج بعد نشاط الوفد الذي أرسلته إلى باريس متكونا من عمر عبد الجليل و أحمد بلافريج لنقل أوضاع المغرب بعد حل الكتلة، و إدانة لسياسة "نوجيس" بعد عام تقريبا منذ توليه الإقامة العامة التي كانت مجرد وعود دون تغيير في أرض الواقع، متهمين إياه بضعفه. و قد اعتبر غلاب مهمة هذا الوفد من أجل الأثر الإعلامي فقط. تاريخ الحركة الوطنية ج 01، مصدر سابق ص 167 واعتبرها علال الفاسي من أجل قيمة المسؤولين بالمغرب و فرنسا لقبول تأسيس الحزب الجديد. الحركات، ص 228.

⁴ - يعتبر تاريخ تأسيس هذا الحزب من أهم التساؤلات، فعلال الفاسي أرجعه لاجتماع شهر أبريل 1937 (الحركات ص 228) وكذلك أبوبكر القادري (مذكراتي ج 01 ص 405) أما عبد الكريم غلاب أرجعه إلى شهر جويلية 1937 (تاريخ الحركة الوطنية ج 01 ص 167) وكذلك شارل أندري جولياني (le Maroc face, p 185). أما روبرت روزيت فقد اعتمد أبريل 1937 كتاريخ عقد مؤتمره التأسيسي و جويلية 1937 كتاريخ للإعلان عنه. (Robert Rêzette, *les partis politiques*, op.cit, p 105)

⁵ - بدأ الوطنيون هذه الممارسة منذ سنة 1930 عند الاحتجاج على الظهير البربري بغرض تحويل الهيئة السلطانية لصالح القضية الوطنية. فصيغة ولاية العهد آنذاك لم تكن موجودة في عقد البيعة السلطانية، وكان يتم تعيين السلطان بعد وفاة الأول من خلال أهل الحل والعقد. واعتبر استعمال الوطنيون هذه الصيغة هو إعلام السلطان بولاء الوطنيون له. والتقرب إليه واعتبر ذلك ذكاء. أنظر: وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 91

و ولاء الوطنيين لدولة الأشراف العلويين من خلال سلطانها. وتهميش لسلطات الحماية التي لم تذكر في هذه الرسائل إلا بصيغة الذم واعتبارها سببا في أوضاع الشعب المغربي خاصة بعد موجة الجفاف التي أصابت المغرب ابتداء من سنة 1935¹.

لذلك سعت سلطات الحماية لتوقيف هذا التيار باستعمال آليات قانونية وتفادي استعمال القوة. إلا أن قيادة الحزب استطاعت التحايل على هذه الآليات والحفاظ على هذا المكسب وبالتالي تحول هذا الحزب إلى واقع اجتماعي وسياسي بنص القانون الفرنسي². بالإضافة إلى الحملة الإعلامية التي قام بها وفد الحزب في باريس المتكون من أحمد بلافريج وعمر عبد الجليل حيث قدم هذا الوفد مذكرة تضمنت سياسة اليسار الفرنسي في المغرب منذ سنة 1912 باعتبارها لم تأتي بأي جديد للمغاربة بالرغم من وعوده منذ ماي 1936.

فقد جاء في هذه المذكرة محاولة الحركة الوطنية منذ ربيع 1936 التجاوب مع هذا اليسار واعتباره لصالح الشعب المغربي. إلا أن سياسة "دار فرنسا" بالرباط لم تغير في الميدان شيئا سواء على المستوى الاقتصادي حيث تم تهميش المغاربة من أي حركة اقتصادية، فقد كانوا ضحية سياسة الإقصاء. وأصبح الاقتصاد المغربي متمركزا ومحل احتكار من طرف المجتمع الكولونيالي. أما على المستوى الثقافي فإن حالة المغاربة لم تكن أحسن حال مما كانت عليه اقتصاديا لحرمانهم من التعليم العصري وعرقلة التعليم التقليدي. ومن الناحية الاجتماعية أدان التقرير النظام الصحي التمييزي الذي كان يهتم بالمدينة باعتبارها مركزا للكولون وإهمال كلي لمجتمع الريف الذي كان مغربيا بامتياز. ومن الناحية السياسية فإن عدم

¹ - يعرف المغرب وشمال إفريقيا بتكرار موجات الجفاف منذ مطلع القرن العشرين ويعتبر جفاف 1935 من أشدها وأكثرها تأثيرا على المغرب خاصة وأنه جاء أثناء ممارسات الحماية الفرنسية الاقتصادية بالإضافة إلى الظروف الدولية التي كانت تتميز آنذاك بالتوتر مما أدى بفرنسا بتسخير كل القدرات الاقتصادية المغربية. وما زال المغرب يتذكر هذا الجفاف لحد الآن نظرا لنتائجه الاجتماعية. أنظر: ألبير عياش، حصيلة الاستعمار الفرنسي في المغرب، ط2، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1985، ص182

² - ذكر علال الفاسي حوار له مع إدارة الشؤون السياسية بفاس، حيث اعتبرت هذه الأخيرة أن الوطنيين أعادوا تشكيل حركة سياسية محظورة لاستعماله نفس المقرر. واستطاع علال الفاسي إقناع هذه الإدارة بأن الولاء للحزب هو سياسي حيث تم تفادي سبب منع الكتلة وهو القسم الذي لم يعد موجودا في الانخراط في الحزب الوطني بتحويل. بالإضافة إلى تحويل مقر الحزب إلى مكان آخر. وقد قبلت هذه الإدارة بهذا الحل. أنظر: الحركات، مصدر سابق ص229-230. خاصة و أن تعليمات حكومة الجبهة الشعبية كانت تنص على عدم مواجهة الوطنيين في هذا الوقت رغم التذمر الكبير الذي كان يعبر عنه حكام الأقاليم من خلال مراسلاتهم للمقيم العام. أنظر: وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص93.

الاستجابة للائحة المطالب المستعجلة، ووقع الوطنيون في نهاية 1936 أثبت أن الممارسة الاستعمارية واحدة سواء ما قبل أو ما بعد صعود الجبهة الشعبية للحكم¹.

لقد كانت هذه المذكرة بمثابة إدانة للسياسة المغربية للييسار الفرنسي، الذي كان يعقد مؤتمره الرابع و الثلاثين (34) في مدينة مرسيليا في نهاية جويلية 1937. وقد تفاعل الحزب الوطني مع هذا المؤتمر بإرسال كل من علال الفاسي و محمد اليزيدي لبرقية تضمنت حالة المغرب بعد سنة من حكم الجبهة الشعبية. و المطالبة بـ "الإصلاحات اليسارية الموعودة". كما شارك ذلك الوفد فيه و قدم له نفس المذكرة التي كانت مرجعا أساسيا للكلمة التي ألقاها "بول شينيوي" *Paul Chaignaud*² أحد قادة الحزب الاشتراكي الفرنسي حول السياسة الفرنسية في المغرب حيث اعتبرها متناقضة مع مضامين عقد الحماية لسنة 1912. الذي حدد مهمة فرنسا في "توقيف الفوضى التي كان عليها المغرب آنذاك، و إعادة المغرب موحدا تحت حكم السلطان الشرعي، وإعادة تنظيم الإدارة و الاقتصاد، و حماية المغاربة، و تطوير المغرب..."³. أما ما قامت به فرنسا منذ 1912 فهو متناقض تماما مع هذه الشروط. فعند القيام بمسح عام لما قامت سلطات الحماية فإنه كان "...انعداماً للأمن و استغلالاً للفلاح المغربي من طرف الباشاوات و القواد و كل موظفي سلطات الحماية بمختلف درجاتهم... و فيما يخص الأشغال الكبرى المتعلقة بالاقتصاد و الطرق و البنية القاعدية فقد كانت لصالح المستوطنين الأوروبيين... و لم يزد الشعب المغربي سوى فقرا و تهميشا... و بعد مجيء الجبهة الشعبية أصبح المغاربة ينتظرون تغييرا لهذه الأوضاع لأن اليسار وعدهم بذلك.. إلا أن ذلك لم يحدث و بقيت الأمور على حالها... و أصيب المغرب مجتمعا و شعبا بخيبة أمل..."⁴.

لقد تحصل " الحزب الوطني لتحقيق المطالب" على أولى مكاسبه مباشرة بعد تأسيسه. فإذا كانت باريس قد وعدت وفد الحزب كل من بلافريج و عبد الجليل بدراسة محتوى هذه المذكرة و اتخاذ الإجراءات الضرورية بالاتصال مع الإقامة العامة⁵. فإن المؤتمر الرابع والثلاثين

¹ - مذكر الحزب الوطني لتحقيق المطالب بعد سنة من مجيء المقيم العام شار نوجيس. أنظر:

² - يعتبر "بول شينيوي" *Paul Chaignaud* من الاشتراكيين الفرنسيين ومن مؤسسي الفيدرالية الاشتراكية بالمغرب سنة 1926 انتقد الحزب الاشتراكي لتناقضاته ثم استقال منه سنة 1942 و انضم للحزب الشيوعي الفرنسي.

³ - *Parti Socialiste, section Française de l'internationale ouvrière, 34e congrès national tenu a Marseille, les 10, 11, 12 et 13 juillet 1937, compte rendu sténographique, librairie populaire, Paris, 1937, p118*

⁴ - *Parti Socialiste, section Française, op.cit, p221*

⁵ - *Georges Oved, La gauche française t2, op.cit, p113*

للحزب الاشتراكي و تحت ضغط هذه المذكرة وغيرها من التقارير حول الشعوب المستعمرة تبني مجموعة من القرارات كانت في صالح المستعمرات الفرنسية سواء بشكل مباشر أو عن طريق الحماية والانتداب من أهمها حرية الجمعيات و الصحافة وحرية العمل النقابي. أما فيما يخص المطالب المغربية فقد تبني المؤتمر لائحة تضمنت العفو العام عن كل الوطنيين وتطبيق القوانين الاجتماعية ومنح الحريات الديمقراطية وتنظيم العدالة على أسس ديمقراطية وتطوير التعليم الإسلامي وتنظيم الفلاحة، الصناعة المساواة في الضرائب بين الفرنسيين والمغاربة ومحاربة البؤس والفقر وتطوير الريف المغربي. ويظهر من خلال هذه القرارات المغربية على وجه الخصوص مطالب لطالما وردت في اللوائح المغربية وآخرها "المطالب المستعجلة" لسنة 1936¹. وهكذا وبالرغم من عودة هذا الوفد بيد فارغة وأخرى لا شيء، فإن هذا المذكرة بالنسبة للحزب الوطني تعتبر بمثابة إعلان عن تأسيس "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" في "باريس الرسمية"، و"مرسيليا اليسارية"، بعدما كان أمرا واقعا في "مغرب الحماية".

فلقد قدرت إدارة الشؤون الأهلية عدد المنخرطين في هذا الحزب لمدينة فاس وحدها أكثر من ستة آلاف منخرط في ظرف أسبوع بعد تأسيسه. وقد اعتبرت ذلك خطرا داهما لا يمكن السكوت عليه. واعتبر فتح المكاتب في مدينة فاس مسا بحرمة السيادة العامة بما فيها سيادة السلطان بحد ذاته². وقيل أنذاك أن تردد سلطات الحماية في اتخاذ إجراءات قمعية إزاء هذا النشاط مردها عدم إعطاء لعلال الفاسي وجماعته شرعية أخرى بعد التي تحصل عليها في نهاية 1936، وأي إجراء جديد في هذا الاتجاه من شأنه أن يجعل منهم أبطالاً وطنيين، وهو ما كانت تريد إدارة الحماية تفاديه. بالإضافة إلى الضغوط التي كانت تمارسها باريس من حين لآخر لمنع مثل هذه الإجراءات³. وهذا ما سمح بسرعة انتشار هذا الحزب فلول مرة وصل نفوذ الوطنيين إلى الأوساط الريفية خاصة في المناطق الأمازيغية في الأطلس الأوسط. فالأمر لم يعد منحصرًا في برقيات التنديد والمطالبة بالإصلاحات وإرسال

¹ - Parti Socialiste, section Française, op.cit, p221

² - نسب نوجيس في مراسلة له لباريس في 2 أوت 1937 إلى السلطان تصريحًا بقلقه من خلال عودة نشاط الوطنيين بذلك الزخم. أنظر: وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 92.

³ - Georges Oved, La gauche française t2, op.cit, p113

الوفود للرباط وباريس إنما أصبح في شكل احتجاجات ومظاهرات يومية في الشوارع ومقالات صحفية نارية من تحرير قادة الحزب في جريدة "الأطلس" و"العمل الشعبي" وفي جرائد أخرى¹.

2 . صحافة الحزب الوطني لتحقيق المطالب:

ففي 27 مارس 1937 اعتبرت جريدة "العمل الشعبي" نفسها لسان حال للحركة الجديدة التي اتخذت تسمية "الحركة الوطنية لتحقيق المطالب" وبدأت في إصدار "مطالب الشعب المغربي" لعدة أشهر. وبدأت الرسائل و اللوائح ترسل من جديد بإمضاء علال الفاسي و محمد اليزيدي للمراجع العليا بالرباط بما فيها المقيم العام والسلطان، وباريس بما فيها رئيس الحكومة و وزير الخارجية و نائبه المكلف بشمال أفريقيا. و قد حافظت هذه الهيئة الجديدة على الروح الإصلاحية لمطالب الحركة الوطنية المغربية في هذه الفترة. فقد جاء في جريدة "العمل الشعبي" أن الغاية من هذه الهيئة هو "الدخول في مفاوضات مع السلطات، واعتماد كل الوسائل الشرعية من أجل الحصول على حقوق الشعب المغربي..."² و قد اعتبرت نفسها "...إصلاحية بصورة أساسية وتعترف بنظام الحماية كقاعدة للتفاوض من أجل تحسين أحوال الشعب المغربي..."³. و لتفادي تحولها إلى حزب طلبت الإقامة العامة بإيحاء من باريس من زعمائها تحويلها إلى هيئة علمية من أجل القيام بدراسات علمية حول مختلف المسائل حتى تستطيع سلطات الحماية الاستفادة منها بما يفيد المغاربة. خاصة أن أدبيات الكتلة كثيرا ما استفادت منها سلطات الحماية. إلا أنهم رفضوا معتبرين أن مهمتهم الأساسية تتمثل في تربية الشعب و توحيد الجماهير المغربية للدفاع عن الحقوق المغتصبة⁴.

أما جريدة "الأطلس" فقد نشرت في عددها الرابع عشر مقالا تحت عنوان "الأرقام أصدق خبرا وأوفى بلاغة" تضمن الفروق الكبيرة في الإعتمادات المالية التي تنفقها الحكومة على أبناء المستوطنين الذين لم يكن عددهم يتجاوز 200 ألف مقارنة مع أبناء 8 ملايين من المغاربة خلال خمس سنوات. ومن خلال هذه الأرقام كشفت الجريدة عن جانب هام من جوانب

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p , 184.

² - جريدة "العمل الشعبي" العدد 4 بتاريخ 27 مارس 1937.

³ - جريدة "العمل الشعبي" العدد 5 بتاريخ 03 أبريل 1937.

⁴ - تصريح المقيم العام نوجيس أثناء مقابله لوفد الكتلة على رأسهم علال الفاسي. أنظر علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 227.

سياسة التمييز والإقصاء للمغاربة¹. وفي مقال آخر صدر عن نفس الجريدة حول سياسة المقيم العام "توجيس" الذي وعد بتغيير أحوال المغاربة إلا أن واقع سياسته لم تكن كذلك. حيث جاء فيه "...و الآن مرت علينا فترة من الزمان تقترب من السنة ونحن ننتظر ونترقب لتلك الإصلاحات كعلاج لبؤس بلادنا وتعاسة الطبقات العاملة فيها. فهل حان وقت إعلان خيبة تلك الآمال؟ فإننا صرنا لا نرى الجنرال إلا لتخدير الحركة، ومحاولة إخماد صوتها البعيد المدى في أعماق طبقات الشعب... إلا أن هم الحزب الوطني هو الدفاع عن هذه الطبقات التعيسة لأنها هي روح البلاد وهي قوتها الحية، فهو دائما إلى جانب الضعيف ضد كل قوي متجبر..."². لقد أصبحت صحافة الحزب أهم ميدان لمواجهة ممارسات نظام الحماية سواء في هيئاته المركزية أو المحلية المنتشرة في المغرب، بالإضافة إلى الباشاوات الذين كانوا أداة طيعة في يد الإدارة الفرنسية لتطبيق هذه السياسة وخاصة باشا مراكش الجلاوي³ الذي كان هدفا متكررا للوطنيين في مقالاتهم وخطاباته⁴. فاشتدت لهجة هذه الصحافة بعدما لم تسجل أي استجابة ولو جزئية من طرف إدارة الحماية، وأصبحت العناوين الصادرة في الصحف تعبر عن هذه الحالة مثل "أين تنفيذ العهود؟" و "تقدم ولكن إلى وراء" و "لا تقارب، ولا تفاهم، ولا تعاون قبل تنفيذ مطالب الشعب" و "عصورنا الوسطى"، فهذا المقال الأخير كان من تحرير علا الفاسي فجاء فيه "...ها نحن في هذا العام ندخل لطور العصور الوسطى المغربية كل ما عاناه البشر في الأزمنة المظلمة راجع إلى انتزاع الملك و اغتصاب الحق و فقد الحرية و الرمي بالجوع

¹ - جاء في هذه الدراسة أنه ابتداء من سنة 1932 إلى غاية 1936 تم تسخير مبلغ لفائدة أبناء المستوطنين قدر بعشر مرات عما تم إنفاقه لتعليم أبناء المغاربة.

² - جريدة "الأطلس" العدد 21، سبتمبر 1937

³ - يعتبر التهامي الجلاوي، باشا مراكش منذ سنة 1928، من الإقطاعيين الكبار الذين اعتمدت عليهم فرنسا في سياستها في المغرب و قد سمته بـ "سلطان الجنوب" تمتع بصلاحيات واسعة استمدتها من الرعب الذي نشره في إقليم مراكش حيث سخر المنطقة بجميع خيراتها في خدمة نزواته الشخصية، و كان من بين زائريه الوزير الأول البريطاني ونستون شرشيل الذي كان يقضي بعض عطله في ضيافة الجلاوي. ثم أصبح من المعارضين الشرسين للملك محمد الخامس و اتهمه بأنه أصبح "ملكا لحزب الاستقلال و ليس للمغرب"، و كان من وسائل خطة خلعه سنة 1953، و تنصيب بن عرفة ملكا على المغرب. وبعد عودة الملك محمد الخامس إلى المغرب طلب منه الصفح و العفو، توفي في مطلع سنة 1956 بعد معاناته من مرض السرطان. و يعتبر الشريف عبد الحي الكتاني من أشد أعداء الحكم العلوي لموقف هذا الأخير من الزوايا. و لذلك كثيرا ما كان يصرح أن نظام الحماية يتساهل كثيرا مع الملك و الوطنيين، بالإضافة إلى حقد شخصي على الملك محمد الخامس لأن عمه المولاي عبد الحفيظ قام بجلد أخيه الأكبر. أنظر،

Jacques Le Prévost, El Glaoui, El Glaoui, Éditions du Dialogue, Société d'éditions internationales, Paris, 1968.

و انتهاك الأعراض و الاضطهاد من أجل العقيدة، و كل هذا و ذاك قاساه المغاربة في سنين مضت و اشتد عليهم في هذا الشهر الحالي...¹ و في رده على ما تعرضت له إحدى القبائل من اضطهاد من طرف باشا مراكش الجلاوي كتب علال الفاسي "...أما في مراكش فالضرب اللاذع و التنكيل و النفي في مقدمة ما ارتكبه الجلاوي من فضائع من أوقعهم سوء (الحظ) في يده من عشيرته الأقربين..." و في كشف لسياسة سلطات الحماية بمنع ممارسة الشعائر الدينية كتب الفاسي "...و في آيت أورير من "زمور" تمنع الحكومة الناس من إقامة موسم قرآني من عاداتهم أن يقيموه سنويا إلا بشرط عدم تلاوة القرآن و عدم الدعاء لجلالة السلطان في وقت يسمحون فيه بإقامة أعظم موسم كنسي تنصيري في القبيلة نفسها، وإذا تكلم المسلمون رموا بالتعصب و إثارة الفتنة و بغض الدولة الحامية و عداوة الديمقراطية..."² و كتب محمد اليزيدي في مقال آخر في جريدة "الأطلس" في الرد على سياسة القمع التي كانت إدارات الشؤون الأهلية تمارسها ضد الوطنيين "...و قد يظن بعض المسؤولين أن مقاومة حركتنا بالعنف فيها الدواء الناجع للقلق الذي يسود الأوساط المغربية، و فيها رفع الاستياء الذي ملأ القلوب، و شغل الأفكار، حتى أمسى الناس سكارى و ما هم بسكارى، يجب أن يعلموا أننا ما كنا نخشى مقاومتهم في الوقت الذي كنا فيه أفرادا معدودين، فأحرى في هذه الأيام التي استوي فيها لفظ مغربي بلفظ الوطني، فأصبح أهل بلادنا كلهم يفكرون كما نفكر، ويشعرون بما نشعر، فلهم أن يسجنوا ولهم أن يعذبوا أو يقتلوا أو يصلبوا، أن كل ذلك لا يثني عن غايتنا ولا يؤثر شيئا في عزائنا..."³ و في التعبير عن تبني المغاربة للقضية الوطنية كتب أحمد بلافريج "...إن التفات الشعب المغربي حول الحركة الوطنية ملأ قلوب المستعمرين و النفعيين رعبا؟، وجعلهم يتساءلون عن هذه الروح التي دبت في هذا الشعب، بعدما حسبوه جثة هامدة، لا حركة فيها، وإذا بهم يتحرشون بها ويتكلمون عنها كسلطة ثالثة، بعد سلطة المخزن وسلطة فرنسا. لقد أصبحت بالنسبة لهم تأمر فتطاع و تقاوم فتتجح، و بالتالي وجب قمعها..."⁴.

لقد أدت جراءة هذه الكتابات الصحفية إلى نقاشات سياسية وأمنية لدى سلطات الحماية. فقد أعطت انطبعا للجميع أن الحركة الوطنية المغربية من خلال أدبيات الحزب الوطني قد قامت

¹ - أبو بكر القادري، مذكراتي، ج1، مصدر سابق ص 409

² - جريدة "الأطلس" العدد، 21 سبتمبر 1937

³ - المصدر نفسه .

⁴ - المصدر نفسه

بقفزة نوعية، في وقت كان سلطات الحماية تعتبر نفسها قد تحاشت تحويل هؤلاء الوطنيين إلى أبطال والتعريف بهم للمغاربة. فقد كانت تنتظر إدارة الشؤون السياسية من زعماء الحزب الوطني ما سمته "التزاما من طرف الوطنيين بما تعهدوا به من الحذر في صحفهم. والكف عن مهاجمة ممثلي المخزن، حتى أصبحت عرى السلطة تتفكك في المدن و الأرياف..."¹. وقد اعتبر حاكم إقليم فاس أن ما كان يخشاه من الترخيص الواسع للصحافة الوطنية بالصدور قد وقع، وكتب للمقيم العام "توجيس" يعلمه أنه "صدم من تفاقم لهجة التحامل في الصحافة الوطنية يوما بعد يوم"².

لقد قامت صحافة الحزب الوطني بنشاط هام لصالح المغاربة على المستوى المركزي بكشف نظام الحماية من خلال ممارساته التي اعتبرها متناقضة مع منصوص اتفاقية فاس لشهر مارس 1912، بالإضافة إلى عدم احترامه لما نصت عليه عصبة الأمم في الفصل المتعلق بالشعوب المستعمرة³. أو على المستوى الداخلي بفضح سياسات الباشاوات والقواد الذين كانوا الأيادي التي كانت تضرب بها سلطات الحماية المغاربة خاصة باشا مراكش الجلاوي الذي كان نموذجا لهؤلاء. وقد اعتبر علال الفاسي ذلك سببا في تجديد الحزب الوطني لأنه ظهر بالمظهر العظيم الذي تمثل في "جهاده المستميت من أجل الحريات الديمقراطية وكفاحه في سبيل الدفاع عن الطبقات المستضعفة من الشعب، وقيمه أنه لم يحصر عمله في الدفاع السياسي بل بذل جهود جبارة في تنظيم الجمهور وتربيته وتوجيه الجماعة المغربية نحو الحياة العصرية..."⁴. وقد كان هذا التجديد مبنيا على أسس ثابتة في عمق المجتمع المغربي وعبر تاريخه العريق. فكان الأساس الأول متمثلا في تمسك المغرب بالدين الإسلامي. فقد جاء في وثيقة تجديد المجتمع المغربي، أن هذا التجديد لا يجب أن يتنافى مع الأصول الدينية لهذا المجتمع. فهذه الأصول تضمنت منذ القدم قيما سياسية حافظت على كرامة الإنسان على رأسها

¹ - مما جاء في رسالة من مدير الشؤون السياسية للمقيم العام نوجيس. أنظر وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 92.

² - نفس المرجع السابق.

³ - نصت المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم المتحدة لسنة 1919 أن المجتمعات التي وصلت إلى مرحلة من التطور، ويمكنها التواجد كدول مستقلة تخضع بصورة مؤقتة للمساعدة في مختلف المجالات من قبل دولة متقدمة إلى حين أن تصبح فيه هذه المجتمعات قادرة على التقدم لوحدها، مع احترام كامل رغبات هذه المجتمعات. وقد اعتمدت الحركات التحررية ومن بينها المغربية على كشف الممارسات التي كانت تقوم بها هذه الدول، سواء في شكل انتداب أو حماية، على أنها متناقضة مع هذه المادة.

⁴ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 232.

حريته. وبالتالي فإن المساواة في الحقوق والواجبات، وفصل السلطات ومشاركة الشعب في تدبير مصالح دولته والانتخاب، وغيرها من المبادئ التي قام عليها الحزب الوطني هي من صميم ما جاء به القرآن وأكدته السنة النبوية¹. أما الأساس الثاني لهذا التجديد فتمثل في تمسك المغرب بالنظام الملكي، فهذا الأخير لم يعرف شكلا آخر للحكم منذ أربعة عشر قرن. فالعرش بالنسبة للحزب رمز وحدة المغرب في الماضي وضمان توازن مجتمعه في المستقبل. ولذلك يجب تطوير هذا النظام بما يتماشى مع تطور الأنظمة الدستورية كما يجري في إنجلترا وبعض البلدان الإسلامية². لقد حددت هذه وثيقة تجديد الحزب الوطني مفهوم الوطنية المغربية بالنسبة له على أنها تهدف إلى "تحرير المغرب في دائرة دينه، مع الإخلاص لعرشه المجيد"³.

3 . هيكلة و مبادئ الحزب الوطني :

لاستيعاب كل هذه التطورات والمضامين الجديدة التي أصبح عليها الحزب الوطني لتحقيق المطالب أصبح لزاما عليه إعادة تنظيم هيكلته بما يتماشى مع بعده الوطني ومضمون برنامجه وتصوراته السياسية. ولئن حافظ على هيكلة القاعدية لـ "كتلة العمل المغربي" فإنه قام بالكثير من الإثراء والتغير التي حولت الحركة من مجرد تنتظم سري "ينشط خارج القانون" على حد تعبير روبرت روزيت⁴، إلى هيئة حزبية منظمة تتمثل فيها مظاهر التنظيم و التأطير لكل جوانب المجتمع المغربي. و قد كانت هيكلته العمودية و الأفقية مستمدة من أنموذج الحزب الاشتراكي الفرنسي. فعدد كبير من قادة الحزب المغاربة عايشوا نضال اليسار الفرنسي منذ مطلع الثلاثينات. و يعتبر هذا الحزب الهيئة سياسية فرنسية الوحيدة أقام معها الوطنيون المغاربة علاقات وثيقة. و لم يكن ذلك بالضرورة نتيجة إيمانهم بالفكر الاشتراكي بقدر ما كان تمسكهم بمبدأ الحريات العامة. فمن أجل ذلك تعرف الوطنيون المغاربة على هيكلة هذا الحزب

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 232.

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - Robert Rèzette, les partis politiques, op.cit, p 249.

و آلياته في تأطير الجماهير. خاصة عندما كانوا في الحي اللاتيني بباريس. فقد شهد هؤلاء نضال اليسار الفرنسي فتفاعلوا معها استمدوا منه تجربة نظامية و تنظيمية ثرية¹.

تمثلت أعلى هيئة مركزية للحزب في "المجلس الوطني" و حسب القانون الداخلي للحزب الوطني فإنه أعلى سلطة في الحزب يتخذ القرارات الإستراتيجية المتعلقة بسياسة الحزب في كل نواحي المجتمع المغربي. و يضم ممثلين عن الحزب من مختلف أنحاء المغرب. و يعقد اجتماعات دورية و استثنائية بالنظر إلى ظروف النضال التحرري. ثم تأتي "اللجنة التنفيذية" كهيئة ميدانية مهمتها مستمدة من تسميتها. وقد كانت تتفاعل مع مختلف قضايا المجتمع المغربي في اتجاهين: الأول بما يتطلب في مواجهة نظام الحماية. و في هذا السياق قامت هذه اللجنة بالتركيز على "برنامج الإصلاحات المغربية" لسنة 1934، والذي تمت إعادة صياغته في "المطالب المستعجلة" لسنة 1936. فقد بقي كلائحة مطلبية وحيدة قديمة متجددة بالنسبة للحزب الوطني. وسعى بكل الوسائل في الداخل والخارج لتحويلها إلى ثابت وعامل وحدة لكل عناصر المجتمع المغربي بما فيهم فئة اليهود. حيث قام بمطالبة هؤلاء بعدم معاداة قيم الحركة الوطنية المغربية والتمسك بالمجتمع المغربي وعدم التفكير في حل مشاكلهم خارج "الدائرة المغربية" و عدم مطالبتهم بإدماجهم في المجتمع الكولونيالي عن طريق التجنس متأثرين بما قام به يهود الجزائر وتونس². أما الاتجاه الثاني فقد ارتبط بمختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمغاربة من خلال "الجان المركزية المتخصصة". التي كانت مهمتها تتمثل في القيام بدراسات متخصصة في مختلف جوانب المجتمع المغربي و تقديم بدائل وحلول عملية لواقع

¹ - يوجد عدد كبير من الوطنيين المغاربة درسوا في مدارس فرنسية في المغرب و واصلوا دراساتهم العليا في الجامعات و المعاهد الفرنسية كما هو الحال ل محمد حسن الوزاني، عمر عبد الجليل، و احمد بلافريج، مسعود الشيقر، عبد الكبير الفاسي، محمد اليزيدي، عبد القادر بن جلون، محمد الفاسي | محمد الخلطي، التهامي الوزاني، مكي الناصري.

² - سعى الحزب الوطني ل جلب اليهود المغاربة لتأييد المطالب الوطنية. خاصة و أن موقفهم لم يكن لصالح المطالب الوطنية، و سعوا لإتباع النموذج اليهودي في الجزائر و تونس باندماجهم في المجتمعات الاستيطانية. وذكر علال الفاسي سعيه للتقرب من اليهود المغاربة عن طريق "اللورد لوكاش" رئيس العصبة الدولية لمقاومة الحركات العدائية للسامية و كانت نتيجة ذلك عقد مؤتمر لهذه العصبة بالرباط حول أوضاع اليهود بحضور قيادة عليا من الحزب الوطني متمثلة في كل من بلافريج و اليزيدي. وذكر علال الفاسي أن هذا المؤتمر تبني برنامج مطالب الشعب المغربي و تمسك بالمغرب جنسية و سلطانا. أنظر، علال الفاسي الحركات، مصدر سابق ص 242.

الحياة اليومية الجماعية. و قدر عدد هذه اللجان بتسعة موزعة على مختلف جوانب المجتمع المغربي¹.

لقد تمثلت مهام "لجنة التعليم" في تأسيس المدارس العربية في التعليم الحر غير الخاضع لسلطة الحماية. كما اهتمت بجامعة القرويين بتنظيمها وإعادة بعثها بالبرامج العصرية التي تتماشى مع روح العصر، وزرع الأفكار السلفية التجديدية في أوساط طلبتها لمواجهة أية محاولة لتدجينها وتحويلها إلى آلية سلطات الحماية. و لإحداث تفاعل بين مختلف فئات الطلبة أنشأت في عدة مدن مغربية مثل فاس و الرباط و سلا و وجدة و مراكش "دار الطالب" حيث كان يلتقي فيها طلبة من التعليم الديني و العربي مع طلبة من المدارس العربية الفرنسية، و يتم فيها تبادل الخبرات العلمية و مستجدات الأساليب التعليمية العصرية. وفي نفس السياق قامت هذه اللجنة بإعادة بعث بعض المعاهد الدينية الراكدة كما هو الحال في وجدة و فضالة. كما قامت هذه اللجنة بمجهودات جبارة من أجل توعية المغاربة لدور تعليم المرأة المغربية كأساس لنهضة المجتمع. و نظرا لنسبة الأمية التي كانت مرتفعة في أوساط المغاربة نظمت هذه اللجنة دروسا ليلية منتظمة لصالح العمال و الحرفيين في مختلف المساجد و المراكز الثقافية، و قد كانت لهذه الدروس آثارها البارزة خاصة في مدينة مراكش². و جبال الأطلس الأوسط حيث يتمركز العنصر الأمازيغي، اهتمت لجنة التعليم بأبناء المناطق الأمازيغية لإسقاط الأطروحة البربرية التي طبقها نظام الحماية منذ 1912 للتفريق بين مكونات المجتمع المغربي المغاربة، حيث كانت التعليمات الصادرة من "دار فرنسا" تمنع هؤلاء بتعلم اللغة العربية. و لمواصلة الدراسات العليا لهؤلاء الطلبة قامت لجنة التعليم للحزب الوطني بإرسال بعثات تعليمية للخارج و بصورة خاصة لمصر³. وكانت هذه اللجنة من وراء محاولة تأسيس "جمعية أصدقاء الطلبة" بهدف جمع الطلبة المغاربة من مختلف المدارس في تنظيم واحد و لكن إدارة الحماية منعت نشاطها و قامت بحلها خاصة بعد مساهمتها في

¹ - محمد طلال، الحركة الوطنية في المغرب الأقصى 1919-1939، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة الجزائر 1976، ص، 125.

² - محمد طلال، الحركة الوطنية في المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص، 127.

³ - من بين الذين كانوا ضمن هذه البعثات عبد الكريم غلاب و عبد المجيد بن جلون وأحمد بن المليح و العربي بناني و عبد الكريم بن ثابت. و بعد إتمام دراستهم أصبح هؤلاء وفدا لصالح القضية المغربية. و من مؤسسي "رابطة الدفاع عن مراكش" في القاهرة.

نشاطات "جمعية طلبة شمال أفريقيا المسلمين". لقد كان هدف هذه اللجنة مواجهة نظام الحماية في المجال التعليمي، عن طريق تعليمه و تكوينه و ترقية ثقافيا¹.

في المجال الديني قامت "لجنة الإصلاح الديني والاجتماعي" بمحاربة البدع و الخرافات التي كان "أدعياء التصوف" يمارسونها. و من أهم ما قامت به هذه اللجنة بعث الممارسات الدينية الحقيقية. فاهتمت بحفظ القرآن و أعادت تكوينهم من خلال توحيد القراءة و التجويد و أبعدت عنها الإضافات التي كان من ورائها بعض ممارسات الطرق الصوفية. و أنشأت المكتبات الخاصة في المساجد ومراكز التكوين و دعمتها بالمؤلفات السلفية الصحيحة. و في مجال الاحتفالات الدينية حاربت هذه اللجنة المظاهر المنافية للدين مثل تقديم النحائر و هديها للأضرحة التي كانت تنسب للصالحين. و قامت بتحسينات في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي كان يعرف طقوسا لا علاقة لها بمضمون المناسبة. وأحييت مناسبات دينية أخرى للاحتفال بها مثل يوم الهجرة النبوية و طالبت بتحويل ذلك اليوم إلى عيد للمغاربة. فبقدر ما كان الهدف من هذه اللجنة تصفية الممارسات الدينية الاجتماعية من كل البدع والخرافات، فقد كانت تسعى كذلك كهدف حيوي إلى ربط الفكرة الوطنية ببعدها الديني حتى يصبح الدفاع عن الوطن هو من مقتضيات الدفاع عن الدين. فربط الفكرة الدينية بالفكرة الوطنية من أهم ملامح برنامج "السلفية الجديدة" التي يعتبر "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" من نتائجها بشكل من الأشكال².

كما كانت الظروف المعيشية للمغاربة من اهتمامات هذه اللجنة بالمطالبة بالحقوق المادية و المعنوية للعمال المغاربة، مثل حصر عدد الساعات اليومية للعمل بثمانى ساعات و رفع أجورهم. و تحويل يوم الجمعة إلى يوم عطلة بمطالبة التجار و الحرفيين في مدينة فاس إلى غلق محلاتهم و ورشاتهم³. و أهم نضال هذه اللجنة ما قامت به من أجل تكتيل قوة اليد العاملة المغربية هو السعي لتأسيس نقابة مغربية. فإذا كانت سنة 1937 فاصلة في النشاط الوطني السياسي، فقد كانت كذلك في مجال النضال الاجتماعي الذي أصبح محل تنظيم و استقطاب من طرف الوطنيين المغاربة. و هذا ما اعتبرته سلطات الحماية سببا كافيا لحرمان

¹ - محمد طلال، الحركة الوطنية في المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 128.

² - محمد معروف الدفالي، أصول الحركة الوطنية، مرجع سابق ص 247.

³ - مازال سكان فاس إلى اليوم يمارسون هذا التقليد الوطني بحيث تغلق كل المحلات التجارية بالمدينة القديمة يوم الجمعة و تمارس نشاطها العادي يوم الأحد بالرغم من كونه يوم عطلة رسميا.

المغاربة من ممارسة الحق النقابي¹. في حين سمح للعمال الفرنسيين والأوربيين بصورة عامة المقيمين في المغرب بممارسة هذا الحق من خلال إنشاء فروع للتنظيم النقابي الفرنسي المعروف بـ"الكونفدرالية العامة للشغل". و قد حاولت هذه الفروع في مختلف الأنشطة الاقتصادية استقطاب المغاربة و ضمهم إليها كوسائل ضغط على الحكومة الفرنسية². و لذلك وجد الوطنيون المغاربة في مواجهة مزدوجة، فمن جهة دخلوا في صراع مع هذه ممثلي النقابة على أعمدة الصحافة و مختلف الوسائل الدعائية لإقناع العمال المغاربة على عدم الانخراط في هذا التنظيم. و من جهة أخرى صراع آخر مع سلطات الحماية من أجل الحصول على حق تأسيس إتحاد نقابي مغربي مستقل عن الإتحاد الفرنسي. و يكون له الحق هو الآخر في الانضمام للاتحاد الدولي العام للشغل. كما انتقد الحزب الوطني اليسار الفرنسي الذي كان يتحكم في النقابة باستعماله للعمال المغاربة من أجل صراعات فرنسية محلية، فقد كتب علال الفاسي "هل من المعقول أن يصدر "ليون هنري جوهو" Léon Henri Jouhaux "الأمين العام للنقابة الفرنسية للشغل في باريس أوامر ناتجة عن اعتبارات محلية و ينفذها المغاربة في بلادهم التي هي أجنبية عن فرنسا. فيجب أن يضل المغرب بعيدا التأثير بالعوامل الداخلية الفرنسية..³ و لتعويض هذا الفراغ التنظيمي العمالي لجأ الوطنيون المغاربة إلى تأسيس جمعيات مهنية مرتبطة بطبيعة النشاط الاقتصادي، و لكن ذلك لم يسلم من مضايقة إدارة الحماية⁴. و بقي النشاط النقابي المغربي بالنسبة للحزب الوطني مظهرا من مظاهر النضال الوطني. فسلطات الحماية اعتبرت الفكرة النقابية جزءا من الفكرة الوطنية. و بالتالي منع الأولى من النشاط هو بالضرورة قمع للثانية⁵.

لقد اعتمدت سلطات الحماية في مواجهتها للحزب الوطني على نشر الإشاعات المغرضة المتعلقة بالأشخاص والجماعات. بالإضافة إلى نشر أخبار خاطئة بغرض إثارة الرأي العام المغربي ضد الأنشطة الوطنية. حيث كانت سلطات الحماية تعتمد على خبراء عسكريين مختصين في الحرب النفسية. فمن ضمن ما ركزت عليه هذه الدعايات التفريق بين مكونات

¹ - Albert Ayache, *Le Mouvement syndical au Maroc, T1, 1919-1942, L'Harmattan, Paris, 1982, p183.*

² - *ibid.*

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 237.

⁴ - Albert Ayache, *Le Mouvement syndical au Maroc, T1, op.cit, p, 249-252.*

⁵ - للتعرف بصورة مفصلة على الحركة النقابية المغربية تأسيا ومسارا و نتائج العودة للمرجع الذي ألفه البير عياش تحت عنوان:

Albert Ayache Le Mouvement syndical au Maroc, T1, 1919-1942, T2 1943-1948, L'Harmattan, Paris, 1982.

المجتمع المغربي كالعرب و الأمازيغ أو اليهود وغيرهم. وللرد على هذه الحرب النفسية أنشئ الحزب الوطني "لجنة الاستخبارات والدعاية"¹

لقد تمثلت مهمة هذه اللجنة في جمع كل أنشطة الضباط العسكريين المختصين في الدعاية، سواء كانت كتابات على الجدران في المدن المغربية أو بيانات مجهولة الإمضاء أو قصاصات صحفية منسوبة لكاتب مجهول أو حتى ما كان يتناقله المغاربة من أخبار في أسواقهم. وكل ما كان في نطاق هذه الحرب. وانطلاقا من هذه المادة تقوم هذه اللجنة بمواجهة هذه الأنشطة بحرب نفسية مضادة من خلال التجمعات الشعبية باستغلال كل المناسبات التي كان المغاربة يحيونها، حيث كانت فرصة لأحد أعضاء الحزب الوطني للاتصال مباشرة مع المغاربة، ودحض ما كانت تروجه إدارة الحماية بشأن النشاط الوطني. أو بوسائل أخرى كالنشرات الخاصة والبلاغات والبيانات التي كانت تطبع بسرعة وتوزع عن طريق مناضلي الحزب في مختلف مناطق المغرب كما كان هؤلاء يقومون بالاستخبار عن كل أنشطة إدارة الحماية كمكتب الشؤون الأهلية الذي كان الأداة القاعدية في نظام الحماية. وترسل هذه الأخبار إلى القيادة المركزية للحزب لاتخاذ ما يتناسب معها من مواقف. كما قامت هذه اللجنة بالبحث عن الآراء الشعبية فيما يخص النشاط الوطني لتحليلها ودراستها و ضبط هذا النشاط بما يتناسب مع المعطيات الاجتماعية لكل منطقة. فلقد استطاع الحزب الوطني عن طريق الاستخبارات الشعبية التوغل في مناطق جغرافية صعبة جدا مثل جبال الأطلس الأوسط التي كانت منطلقا للمقاومات المسلحة. وأصبحت بخيبة أمل بعد فشلها. ليعود إليها الأمل بعد تعرفها على أنشطة الوطنيين المغاربة².

لم يكن الحزب الوطني في عزلة عن الأحداث التي كان العالم العربي الإسلامي يعيشها فالقضية الفلسطينية كانت تعيش في هذه الفترة أحداثا متسارعة فيما يعرف بـ "الثورة

¹ - ترأس هذه اللجنة الهاشمي الفيلاي وهو أحد قادة الحزب الوطني و من رواد الحركة الوطنية ولد عام 1912 بتافيلالت بالجنوب المغربي. كان له دور كبير في العمل الوطني في فاس على وجه الخصوص، من خلال دوره في تأطير الحركة الطلابية بجامعة القرويين، حيث درس بعد هجرة أسرته من تافيلالت إلى فاس، وكذا من خلال التعليم الحر الذي كان من رواده الأوائل وعمل فيه أستاذا في كل من فاس و الدار البيضاء يعد الهاشمي الفيلاي واحدا من المعروفين في تاريخ الحركة الوطنية بـ "المعدين الثلاثة" إلى جانب الحاج أحمد مكوار، وعبد العزيز بن إدريس العمراوي، الذي قتل قرب مراكش بعد الاستقلال. و يذكره علال الفاسي بتقدير كبير فقد كان بيته مركزا للتجمعات السرية التي كان يعقدها الوطنيون في فاس خلال الثلاثينيات. كما قدم عن طريق هذه اللجنة خدمات جليلة للحركة الوطنية المغربية يجب أن تذكر بما تستحقه من تنوير وتقدير.

² - محمد طلال، الحركة الوطنية في المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 129.

الفلسطينية الكبرى". و قد كانت حاضرة في برنامجه وأنشطته ولذلك أسس "لجنة حماية فلسطين والأماكن المقدسة". ولم تكن هذه المرة الأولى التي يهتم بها الوطنيين المغاربة بالقضية الفلسطينية. فعلاقة هؤلاء بها تعود إلى نهاية حرب الريف 1921-1926 عندما انتقل عدد من الطلبة المغاربة للدراسة في الجامعات الفلسطينية، فتأثروا بالنضال الفلسطيني وقالوا حينها إن "الفلسطينيين رسموا لنا معالم طريق يمكن أن نسلكه حين نعود إلى المغرب"¹. كما تفاعل المغاربة مع "أحداث البراق" بالقدس في أواخر 1929². وفي سنة 1931 انضم وفد مغربي مكون من شخصيات وطنية إلى المؤتمر الإسلامي العام بالقدس الذي ندد بالسياسة البربرية الفرنسية. وكانت قراراته محل شرح من طرف الوطنيين المغاربة على نطاق واسع. وبعد حوادث فلسطين في سنة 1933 ألقى علال الفاسي قصيدة شعرية حيا فيها المتظاهرين لاسيما النساء الفلسطينيات وجاء في هذه القصيدة إشارة إلى تلاحم القضية الفلسطينية والقضية المغربية³.

لقد أثبتت أدبيات هذه اللجنة أن الحزب الوطني تفاعل كثيرا مع الثورة الفلسطينية الكبرى لسنة 1936. فقد كانت تنشر كل الأخبار العسكرية والسياسية المتعلقة بالثورة الفلسطينية الكبرى. وتعرف الرأي العام المغربي بخطر الصهيونية على العالم العربي

¹ - تعود فكرة إرسال الطلبة المغاربة للدراسة في فلسطين إلى الحاج عبد السلام بنونة رائد الوطنية المغربية في الشمال الذي اتصل بمفتي القدس الحاج أمين الحسيني الذي رحب بإرسال البعثات الطلابية إلى فلسطين وزكى بدوره المدارس الفلسطينية لاسيما مدرسة النجاح بنابلس. وبعد اتصالات مع مدير المدرسة محمد عزت دروزة وصلت سنة 1928 أولى البعثات الطلابية المغربية إلى فلسطين المتكونة من عشرة طلاب وبعد ذلك توالى البعثات الطلابية المغربية إلى فلسطين تباعا حتى عام 1935 أنظر: صفوان ناظم داود حسن، الحركة الوطنية المغربية والقضية الفلسطينية 1930-1948، جامعة تكريت، العراق، ص، 01-31.

² - عرفت بعض المدن المغربية مثل فاس و تطوان وسلا بعد أحداث البراق مظاهرات شعبية لدعم القضية الفلسطينية والاحتجاج على السياسة البريطانية المتواطئة مع الصهاينة، وذلك برفع وثيقة احتجاج وتنديد لرئيس الوزراء البريطاني "ماك دونالد" جاء فيها "نبغكم استياء عموم المغاربة المسلمين استياء عميقاً للحوادث المؤلمة التي وقعت في فلسطين والظلم الفادح الذي أصاب المسلمين بتلك الناحية جراء المساعي الصهيونية المضحكة وان المساعدة التي تقدمها السلطة الانجليزية تجعل أربعمئة مليون من المسلمين في سخط تام على السياسة الانجليزية" أنظر: صفوان ناظم داود حسن، الحركة الوطنية المغربية والقضية الفلسطينية، مرجع سابق.

³ - من الأبيات التي جاءت في هذه القصيدة:

إن البلاد يعيث فيها المستبدون الشداد	يتمتعون بخيرها و نزل نحرهم من سداد
أن يابون أن نسعى لعلم أو لفكر في اتحاد	والآن وقد خطت فلسطين لنا سبل السداد
حيا الاله فتاتها وحمى مواقفها الجياد	كوني فتاة العرب رائدة لنا يوم الجلال
ضمي الصفوف ووحدني لا تحتشي اهل العناد	لا تتركها فرقة ترمي بنا في كل واد

الإسلامي. وكانت من وراء المظاهرات التي شهدتها كل من فاس والرباط والدار البيضاء حيث حررت رسالة احتجاج وأرسلتها إلى القنصلية البريطانية جاء فيها "نستنكر هذه السياسة الغاشمة ونعتقد أن أرض فلسطين جزء من البلاد الإسلامية ونحن متضامنون أدبيا مع إخواننا الفلسطينيين، ولا يمكن أن نغض الطرف عما يجري في تلك البلاد والتي تربطنا بها روابط مقدسة..."¹. كما كانت تنشر بيانات "اللجنة العربية العليا"². وأخبار عن أنشطة الحاج الأمين الحسيني³. و طالبت من اليهود المغاربة عدم تأييد مطالب الحركة الصهيونية، حيث قام هؤلاء بإمضاء رسالة مشتركة مع الحزب الوطني تضمنت رفضهما لمشروع "بيل" لتقسيم فلسطين في سنة 1937⁴. و لرفض هذا المشروع قامت لجنة الحزب لحماية فلسطين والأماكن المقدسة بعدة تجمعات من أهمها التجمع الذي تم في الجامع الأعظم بمدينة سلا و الذي بعث برسالة لمفتي القدس لأمين الحسيني يستنكر فيها قرار التقسيم و اعتبره "...عار في جبين التاريخ، وإهانة للعروبة و التاريخ..."⁵. و في رسالة أخرى للقنصل البريطاني اعتبرت قرار

¹ - عبد الإله بلقزيز، والعربي مفضل، وأمانة البقال، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، 1947-1986، محاولة في التأريخ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992 ص 188

² - اللجنة العربية العليا هي الكيان السياسي الممثل للفلسطينيين في فلسطين تحت الإنتداب وهي لجنة سرية لتنسيق الجهود على مستوى الدول العربية لنصرة القضية الفلسطينية، تأسست في 25 أبريل 1936 بمبادرة من الحاج أمين الحسيني مفتي القدس وتألفت من زعماء العشائر والطوائف الفلسطينية بقيادة ورئاسة الحاج أمين الحسيني قامت الإدارة البريطانية بحلها سنة 1939 وذلك بسبب موجات من الثورات العربية ما بين 1936-1939. أعيد تشكيلها عام 1947 بقيادة راجب الناشبي بعد حل التشكيل الأول بقيادة الحاج أمين الحسيني، الذي اعترض اليهود عليه. ولم يعقد التشكيل الثاني لاحتجاج الفلسطينيين لأنه لا يمثلهم، وأن بريطانيا واليهود هم من اختاروا أعضاؤه. وبعد حرب 1948، لجأ أعضاء هذا التشكيل إلى إسرائيل أو هاجروا لأوروبا.

³ - الحاج أمين الحسيني هو المفتي العام للقدس ، ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى ، ورئيس اللجنة العربية العليا ، و أحد أبرز الشخصيات الفلسطينية في القرن العشرين ، ولد في مدينة القدس عام 1895 و شارك في عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الأول عام 1919 والمظاهرات الفلسطينية في عام 1920، في سنة 1929 تنحرك الثورة، ثم في سنة 1933 ثم تكون الثورة الكبرى عام 1939، ويتولى الحسيني مسؤولية اللجنة العربية العليا لفلسطين" ، ثم انتقل سرًا بين عدة عواصم أوروبية حتى انتهى به الأمر إلى برلين، وقد التقى في هذه المرحلة مع قادة دول المحور سواء في إيطاليا أو ألمانيا، ولم يكن الأمر مفاجئاً، فقد أجرى المفتي اتصالات سابقة مع القيادة الألمانية في بداية الحرب،. استطاع المفتي الهروب إلى ألمانيا في اللحظات الأخيرة قبل سقوط برلين، وتم القبض عليه في فرنسا، ورفضت فرنسا أن تسلمه بسبب خلافها مع المصالح البريطانية والأمريكية، وحرصاً على عدم استشارة المشاعر الإسلامية، وتدخل ملك المغرب ورئيس تونس أثناء وجودهما في باريس، وطالباً باصطحاب المفتي معهما يبدأ الحاج أمين الحسيني في تنظيم صفوف المجاهدين من القاهرة

⁴ - صفوان ناظم داود حسن، الحركة الوطنية المغربية والقضية الفلسطينية، مرجع سابق.

⁵ - عبد الإله بلقزيز و آخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، مرجع سابق ص 189

التقسيم"...إهانة في الصميم، و لجميع الشعوب الإسلامية، و احتقار الوطنية و ضربة في الأعماق للوحدة الإسلامية المقدسة..."¹. و للتأكيد على وحدة الحركة الوطنية المغربية في الشمال و الجنوب حول القضية الفلسطينية قامت "لجنة حماية فلسطين والأماكن المقدسة" بمهرجان مشترك مع "اللجنة القومية للدفاع عن فلسطين" التي أسسها "حزب الإصلاح"² في الشمال، و قد اعتبر ذلك بـ "يوم فلسطين" و تعهد كل من الحزبين بإحيائه سنويا في كامل أنحاء المغرب³.

و من خلال الإطلاع على مضامين أنشطة هذه اللجان و غيرها⁴، يظهر أن مشروعها كان يهدف إلى تحقيق هدف داخلي و آخر خارجي. فأما الأول فتمثل في تهميش إدارة الحماية عن الواقع اليومي للمغاربة، بإبعادها عن تسيير مشاكلهم و بالتالي القضاء على سلطتها و هيبتها. و هذا ما أشارت إليه الكثير من رسالات الحكام الإداريين على مستوى المغرب الذي اشتكوا كثيرا من لجوء المغاربة إلى ممثلي الحركة الوطنية لطرح مشاكلهم و اللجوء للمحاكم الشعبية لطرح خصوماتهم عوض المحاكم الرسمية⁵. و في الحقيقة أن الهدف البعيد لهذه

¹ - عبد الإله بلقزيز و آخرون، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، مرجع سابق، ص 190

² - تأسس هذا الحزب في ديسمبر 1936 بمدينة تطوان و هو امتداد لـ "كتلة العمل الوطني في شمال المغرب" التي أسسها عبد الخالق الطريس في فيفري 1936 و كان ذلك نتيجة السياسة الجديدة التي طبقتها إسبانيا الفرنكوية في شمال المغرب. و يعتبر أول حزب سياسي وطني في تاريخ المغرب. و تمثلت تصوراتها السياسية في مفهومه للوطنية التي جعلت من الاستقلال حلقة أولية في مسار التطور. و طالب الحزب بإتحاد الحركات التحررية كشرط أساسي لمقاومة الاستعمار. و اعتبر الشيوعية خطرا على التعاليم الإسلامية. و اعتبر الملكية في المغرب ثابتا تاريخيا لا يمكن المساس به. و اصدر مع حزب "الوحدة المغربية" بقيادة مكي الناصري أول وثيقة تطالب باستقلال المغرب و ذلك في 14 فيفري 1943. و في 16 مارس 1956 اندمج في "ظرف غامضة" مع حزب الاستقلال. و لم يعد يذكر له أمرا. أنظر: حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق.

³ - صفوان ناظم داود حسن، الحركة الوطنية المغربية والقضية الفلسطينية، مرجع سابق.

⁴ - لم يتم التطرق لنشاطات كل اللجان، و كان التركيز على بعضها باعتبارها كانت ذات أهمية و محورية بالنسبة لنشاط الحزب. و من اللجان الأخرى التي أسسها الحزب: لجنة الإغاثة الوطنية، لجنة التقويم الخلقي، لجنة الشباب الوطني، لجنة الشؤون الاقتصادية. و للمزيد من التفاصيل حول هذه اللجان يمكن العودة لمقررات و مهام اللجان الفرعية للحزب الوطني. أو لما كتبه عنها علال الفاسي بنوع من التفصيل في الحركات الاستقلالية، ص، 233-243.

⁵ - جاء في مراسلة مؤرخة في 06 أوت 1937 من أحد رؤساء النواحي لإدارة المقيم العام أن "المبعوثين الوطنيين يخرجون من المدن في كل اتجاه، للبحث في ما يشتكي منه الناس، فيأتي أبناء القبيلة للتشكي بالصحيح و غير الصحيح من الشكوى" و جاء في رسالة أخرى من طرف رئيس ناحية أخرى مؤرخة في 18 أوت 1937 أن "صغار الموظفين و التجار يأتون إلى مقر إقامة الزعيم الوطني المحلي الذي يرفع قضاياهم إلى الضابط المناسب في الدائرة أو الإقليم أو الناحية... إنه كسر السلم التقليدي للمراقبة، و إحلال لسلطة

الأنشطة يتجاوز الواقع الراهن آنذاك ليصل إلى مشروع بناء المجتمع المغربي لمرحلة ما بعد الاستقلال. وقد عبر علال الفاسي عن ذلك برغبة الحزب في "معانقة كل شيء في البلاد... و إلى تهيئة وسائل تحقيق برنامج الوطني بعد الاستقلال دون أن يجد معارضة أو مقاومة، لأنه يكون حينئذ قد هيئ و أنضج..."¹. أما الهدف الخارجي فظهر من خلال تعبير الحزب الوطني عن انتماؤه القومي و الحضاري. فقد تفاعل مع القضية المحورية للشعوب العربية والإسلامية بفعل الأواصر التاريخية للمجتمع المغربي مع امتداده القومي و الحضاري. و تسربت فكرة الإصلاح للشبان المغاربة التي تطورت فيما بعد إلى صيغ تنظيمية. وأفشل مشروع نظام الحماية المتمثل في غلق أبواب المغرب عن بقية بلدان العالم العربي الإسلامي بحجة الحفاظ على شخصيته المتميزة له².

لقد أدركت سلطات الحماية أن النشاط الوطني المتصاعد منذ افريل 1937 أتى بالكثير من النتائج الخطيرة على تواجدها في عمق المجتمع المغربي. فالكثير من تقارير ضباط الشؤون الأهلية التي كانت ترسل إلى الإقامة العامة كانت تشير إلى الزلزال الذي أصاب مشروع "تطويع الأهالي"³ الذي تحقق بشكل كلي بعد حرب الريف سنة 1926. كما جاء في

الوطنيين محل سلطة قواد القبائل و المراقبين المدنيين و ضباط الشؤون الأهلية" أنظر، وليام هويستون، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 93.

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 234.

² - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 246.

³ - هو التعبير الذي استعمله "بيير بارون *Pierre baron*" الذي يعتبر من الوجوه الفرنسية التي تركت أثرا في المغرب. و قد ولد في 5 فيفري 1893 في بيروت، ببلدة شمال فرنسا على الحدود البلجيكية. وكان من بين المستوطنين القادمين إلى المغرب حيث وصل إلى الدار البيضاء سنة 1916، وأصبح من المعمرين بضواحي الدار البيضاء، و في سنة 1926، انتدبه المقيم العام "تيودور ستيك" لرئاسة بعثة طبية غير رسمية موجهة لمنطقة الريف لتقديم الإسعافات للجند الفرنسيين بمعسكرات الاعتقال. و بعد أن استضافه الخطابي سمح له بزيارة جميع السجون الفرنسيين و الإسبان في المعسكرات قدم معلومات للجيش الفرنسي من أجل القضاء على ثورة الريف بتخريب خطوط الهاتف التي كان عبد الكريم الخطابي يستعملها. و بعد هجوم القوات الفرنسية والإسبانية على قوات الخطابي تم تكليفه باستعادة الأسرى الفرنسيين بمساعدة فريق من الأطباء، وفي هذه الفترة كان وسيطا بين الخطابي و الجنرال "سان خير خو" من الجهة الإسبانية ومع المقيم العام "ستيك" من الجهة الفرنسية. ثم سعى بعد حرب الريف إلى تمتين روابط الصداقة الفرنسية-المغربية فانتخب رئيسا لاتحاد البلدان الإفريقية سنة 1928. ثم أصبح من الدافعين على القضية المغربية مع شارل أندري جوليان. ثم طرده سنة 1952 من المغرب لوقوفه إلى جانب الحركة الوطنية المغربية. ثم قام بكتابة المقالات بالصحافة للدفاع عن أفكاره. و من ضمن مؤلفاته: "السياسة الأهلية بالمغرب" *"La politique indigène au Maroc"* الصادر عشية الحرب العالمية الثانية. و "الحقيقة حول المغرب 1952 *La Vérité sur le Maroc*" الصادر سنة 1953. و يعرف في الكتابات المغربية بـ "صديق المغرب" توفي

تقارير أخرى أن النجاح أصبح حليف الوطنيين في كل مكان. فقد... أثبتوا حضورهم، ولم تبقى أية مدينة في غير متناولهم سواء عملت الإدارة الفرنسية بالشرح أو عملت القمع...¹. وهذا النجاح ظهر للعيان حتى في عمق المناطق الأمازيغية التي لم تكن معنية في السابق بأنشطة الشبان المغاربة، إلا أنها بدأت تعرف بداية حركات التمرد والعصيان على الإدارة أكثر من المناطق الأخرى بفعل "...الدعاية الوطنية وكراهية الأجانب. أو مجرد الحنين للاستقلال والمغامرة و كل ذلك أحدث في القبائل روحا من التمرد في منتهى الخطورة..."². ولتوقيف هذا المد الوطني في المناطق الريفية أمرت سلطات الحماية بطرد كل العناصر الوطنية التي كانت منتشرة في هذه المناطق. وعدم السماح لها بالتحدث باسم السكان. وفي مدينة فاس اشتكى حاكمها العسكري الجنرال "أميدي بلان Amédée Blanc" من عدم السماح له باتخاذ الإجراءات الردعية للحد من الأنشطة الوطنية. خاصة بعد عدم التزام قادة الحزب الوطني بالكف عن تنظيم الاحتجاجات وتحريض سكان مدينة فاس ضد الإدارة المخزنية. فقد اعتبر هذا الجنرال نفسه أنه بحاجة لصلاحيات مطلقة لأن "المدينة بحاجة إلى من يمكك بزماتها"³.

4 . الحزب الوطني و حوادث سنة 1937.

بعد أقل من سنة من النشاط الذي قام به الحزب الوطني لتحقيق المطالب أصبح الوضع في المغرب مشابها لما كان عليه في نهاية 1936 من حيث الانسداد. فمن جهة نشاط وطني مكثف ومنظم بقيادة منتخبة ومنسجمة. و يملك قاعدة شعبية عريضة في مختلف أنحاء المغرب من المدن والأرياف، ومن العرب و الأمازيغ. وله لائحة مطالب محددة لم يتوقف عن اعتبارها ضرورية كحد أدنى نظرا لروحها الإصلاحية. وله صحافة ناطقة باسمه باللغة العربية والفرنسية، تعبر عن آرائه وتقدم مطالبه وتنتقد ممارسات سلطات الحماية في جميع الجوانب

يوم 18 نوفمبر 1957 بفرنسا. أنظر: تطويع الأهالي زمن الاستعمار الفرنسي، مغرب 1912-1939، ترجمة عبد الرزاق لكريط، مطبعة وراقة بلال، فاس، 2016، ص، 91-107.

¹ - وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص100.

² - جاء في تقارير عسكرية أن "سكان قبيلة" بن يازغة" هاجموا القائد والخليفة وأصابوهما بجروح. وذلك بسبب التحريض الذي قام به بعض الخطباء من مدينة فاس الذين شجعوا على التمرد... "وفي تقرير عسكري آخر جاء فيه أن "...قبائل تازة أعلنوا العداء للمخزن وانساقوا لعلال الفاسي انسياق الروح للروح... " أنظر: وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص93.

³ - جاء ذلك في رسالة وجهها الجنرال بلان إلى المقيم العام نوجيس يطلب من خلالها هذه الصلاحيات لأنه حسب تعبيره يعرف ما لنوجيس من عطف على هذه المدينة. أنظر: المرجع نفسه ص94.

وفي جميع أنحاء المغرب. لقد أصبح الحزب الوطني بنفوذه المعنوي منازعا لسلطة الحماية على حد تعبير عبد الكريم غلاب¹.

ومن جهة أخرى نظام الحماية الذي رفض مراجعة سياسته اتجاه المغاربة حتى في ظل حكم اليسار الفرنسي. الذي لم يغير شيئا في واقع المغاربة. وبدأ هذا النظام يعتبر المد الوطني خطرا زاحفا يجب توقيفه "لاستعادة هيبة دم اليعاقبة *Les Jacobins* الذي مازال يجري في دماء نظام الحماية...". على حد تعبير "موريز *Morize*" حاكم مدينة فاس² وبهذا الوضع أصبح الانفجار في مغرب الحماية مرتبط بعامل الوقت أكثر من ارتباطه بمعطيات أخرى. وفي ظل هذه الأوضاع عرف في نهاية سنة 1937 مجموعة من الأحداث أدت إلى هذا الانفجار أدت إلى هذا الاصطدام، الذي أرجعه إلى حالة شبيهة بحالة نهاية سنة 1936 بل وأكثر خطورة منها. ففي مطلع شهر سبتمبر 1937 عرفت مدينة مكناس "أحداث الماء"، أو بما يعرف بمشكلة وادي "بوفكران". وفي نهاية نفس الشهر شهدت مدينة مراكش "أحداث البؤس". وفي شهر أكتوبر من سنة 1937 عاشت مدينة "الخميسات أحداث" الدفاع عن الدين"³.

5 - 1 أحداث مكناس (الماء): أوت 1937

لقد عرف المغرب ابتداء من نهاية 1935 جفافا أثر بصورة كبيرة على المجتمع المغربي الذي كان بطبعه فلاحي بدرجة أولى. ولم تزد سياسة نظام الحماية في الأمور إلا تدهورا فإجراءاتاتها لمواجهته كانت مخصصة للمزارعين الفرنسيين دون غيرهم. مما أحدث بؤسا كبيرا في الأوساط الريفية المغربية. ففي نهاية أوت 1937 قامت إدارة الأشغال العامة التابعة للإدارة الفرنسية تحويل مياه وادي "بوفكران"، الحيوي بالنسبة لسكان مدينة مكناس الفلاحين والحضرين على حد سواء، فقد كان يواجهها للري و الشرب في نفس الوقت، وذلك لمصلحة بعض كبار المعمرين بالرغم من احتجاج المراقب المدني على هذا القرار.

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، ج، مرجع سابق، ص 177.

² - مما جاء في رسالة بعث بها موريز حاكم مدينة فاس للمقيم العام نوجيس "أعتقد بدافع مما يجري في دمي من دماء "اليعاقبة *les Jacobins* "يجب إلحاق بعض النكسات المهينة بالوطنيين التي من شأنها أن تحملهم على الكثير من التروي..." وقد استعمل مصطلح اليعاقبة الذي ينسب في الثورة الفرنسية لعهد الإرهاب. أنظر: وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 97.

³ - لا تعتبر الأحداث الوحيدة و لكنها الرئيسية و هي التي حركت الأوضاع في المغرب في نهاية سنة 1937. فقد عرفت مدن أخرى أحداثا مثل القنيطرة و المحمدية و صفرو و الرباط .

اعتبر الحزب الوطني هذه القضية فرصة لكشف سلطات الحماية في مكان عرف استقرارا منذ الاحتجاج على الظهير البربري لسنة 1930. في وقت كان فيه المقيم العام "توجيس" متواجدا في باريس. و لذلك نصب نفسه طرفا في هذه القضية وبدأ بمواجهة سلطات الحماية في هذه المشكلة بمختلف الوسائل. فقد بدأت "حرب الماء"¹ بصورة قانونية لتتحول فيما بعد إلى استعمال العنف و القوة من طرف سلطات الحماية. و بالموازاة مع هذه الحرب القانونية² قام الحزب بالتشهير لهذه القضية في جرائده باللغتين مثل "الأطلس" و "العمل الشعبي" و "المغرب" و جاءت هذه المقالات ثنائية الهدف، فمن جهة مواجهة مشروع فرنسا في مكناس بالذات. و من جهة ثانية كشف هذه السياسة التي لم تكن لصالح المغاربة. ففي مقال كتبه أحمد بلافريج في جريدة "الأطلس" تحت عنوان "حيرتهم" جاء فيه "أن بيننا و بين فرنسا سوء تفاهم، فهم يزعمون أن المغاربة يقولون أن فرنسا لم تقم بأي شيء في المغرب، و الحقيقة أننا نقول أن فرنسا في كل ما عملته في المغرب لم تعتبر فيه مصلحة المغاربة و هنالك على ما أظن فرق واضح بين التعبيرين..."³. وفي مقال آخر تضمن الهدف الحقيقي من إصلاح النهر جاء فيه أن الإدارة الفرنسية إذا كانت تدعي أن مشروع أشغال "وادي بوفكران" بدأ في نوفمبر 1936 من أجل إصلاحه و مضاعفة منسوبه المائي الذي ضعف بفعل ضعف

¹ - يعتبر الماء إحدى العناصر الرئيسية للصراع في المغرب فنظام الحماية كان بحاجة ماسة إليه لري الضيعات الأوروبية التي تم الاستيلاء عليها من طرف الكولون عن طريق تحويل مياه الأنهار و قد تزايدت هذه الظاهرة بسرعة لعاملين: الأول تصاعد الاستعمار الفلاحي و الثاني بفعل سنوات الجفاف التي عرفها المغرب ابتداء من سنة 1935 حيث تزايدت الحاجة إلى المياه، و بالنظر إلى ضعف النتائج المتحصل عليها في إطار المشاريع المائية فإن ذلك كان مصدر احتجاجات كبار المعمرين مما دفع بسلطات الحماية إلى الاستيلاء على مياه الأنهار، مما أثر بشكل مباشر على المغاربة سواء في المدن أو الأرياف، و من أهم الأمثلة تحويل مياه نهر "بوفكران" بمكناس سنة 1923 و محاولة تحويل مياه نهر فاس في سنة 1928، و تحويل مياه "عين شالة" بالرباط و محاولة احتكار مياه سد قبيلة "آيت إيمور" بناحية مراكش. أنظر: محمد معروف الدفالي، الماء في بعض محطات عمل الحركة الوطنية، في أعمال الندوة التي نظمتها شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، الدار البيضاء 1910 و 1911 و 12 ديسمبر 1996، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، 1999، ص 207-216.

² - لقد تضمن مخطط الأشغال وثيقة مصادرة ملكية الوادي على أنه ملك للدولة. إلا أن ممثلي عن الحزب الوطني أسسوا لهذه القضية من الناحية القانونية و أثبتوا تاريخيا ما كان يؤدوه الأهالي من رسوم تثبت الملكية العرفية لسكان المدينة للنهر أرضا و حقوقا استغلالية. و في نفس السياق القانوني اعتبرت إدارة الحماية ملكيته وفقا لإسلاميا و يمكن شراؤه من إدارة الأوقاف التي قبلت بالعرض. إلا أن محامي الحزب أبطلوا صفقة البيع أمام المحكمة الشرعية. أنظر: محمد معروف الدفالي، الماء في بعض محطات عمل الحركة الوطنية، مرجع سابق.

³ - جريدة الأطلس العدد 32. 1937/09/03.

مستوى النهر. بالإضافة إلى تآكل العديد من مجاريه الرئيسية¹. وإذا صحت هذه الرواية فإن كل ذلك كان من أجل استفادة المستوطنات الأوروبية المتواجدة في أحواز مكناس من الماء الذي سيضعف بعد الإصلاح. وربما ستفقد المدينة مواردها الوحيد للماء².

و قد واصل الحزب الوطني في صحافته و عرائضه الموجهة للسلطان، بصفته حامي المغاربة، و طالب من خلالها "عدم تفويت آخر خيارات المغاربة للمعمرين... و إبقاء الحقوق المغربية المقدسة في الدائرة المغربية..."³. و "لا يجب أن تعطى قطرة واحدة من ماء بوفكران للمعمرين..."³. و قد انتهت هذه المعركة الصحفية والقانونية بحسم عسكري كان المقيم العام "توجيس" يبحث عنه منذ سقوط حكومة الجبهة الشعبية في جوان 1937. لأنه تحرر من التزاماتها المذهبية و السياسية و حتى "الإنسانية" على حد تعبير شارل أندري جوليان⁴. و في 01 سبتمبر 1937 قامت اللجنة التقنية المتخصصة بزيارة مدينة مكناس لحل المشكلة تقنيا لا سياسيا. فاستغل سكان المدينة هذه الفرصة للاحتجاج والمطالبة بإلغاء المشروع بصورة نهائية وليس بتعديل جوانب منه⁵. مما أدى إلى اصطدام مع شرطة المدينة التي لم تستطع توقيف هذا الغضب الشعبي خاصة بعد أن سقط عدد من القتلى وتحولت الاحتجاجات على مشروع تحويل مياه واد "بوفكران" إلى احتجاج على السياسة الفرنسية اقتصاديا واجتماعيا التي كانت تهدف إلى تحسين أوضاع الكولون دون غيرهم سواء في الظروف العادية أو الاستثنائية مثل حالة الجفاف. فجمع سكان مكناس في المساجد وأحيوا تقليد قراءة اللطيف الذي حدث سنة 1930. فاعتبرت سلطات الحماية أن الاحتجاج توسع لأن "الوطنيين حثوا الناس على المظاهرة ونجحوا في تحريض الأعيان والعامة من سكان مكناس بإشاعة الشائعات الواهية على مشروع النهر... بغرض إظهار قوة الحزب الوطني ومؤهلاته التنظيمية في مدينة فلاحية

¹ - جاء في الجريدة الفرنسية "لافيجي ماروكان *la vigie Marocaine*" هذا الطرح الرسمي التي روجته إدارة الحماية أثناء الاحتجاج على الأشغال معتبرة أن الحزب الوطني لتحقيق المطالب يبحث عن الأسباب الواهية إشعال المعارك في الوقت و المكان اللذان كان يريد هما.

² - جريدة الأطلس العدد 33. 1937/09/10.

³ - من العبارات التي جاءت في البيانات التي تم توجيهها للسلطان المغربي و جاءت في صحافة الحزب.

⁴ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p185.

⁵ - كان المقيم العام نوجيس من وراء إرسال هذه اللجنة من الإقامة العامة بعدما فشلت جهود الإدارة الفرنسية بمكناس على إقناع السكان بالجدوى الاقتصادية للمشروع

معروفة بهدونها بعيدة عن الشبكات الرئيسية للحركة الوطنية...¹. وكل هذا اعتبر سببا كافيا لها للقيام بقمع هذه المظاهرات و سجن عدد من متزعمي هذه الحركة بتهمة الإخلال بالأمن العام.

لم تكن هذه الإجراءات كافية لتوقيف توسع الاحتجاجات لكامل المدينة التي شهدت إضرابا عاما بإغلاق دكاكينها والتجمع في الساحات الكبرى من المدينة و المطالبة بفك الأسرى. و ظهر أن إدارة الحماية كانت تبحث عن ظروف مثل هذه للقيام بإجراءات ردعية تجاوزت مشكلة وادي "بوفكران" لتضرب الحركة الوطنية بصورة عامة والحزب الوطني بصورة خاصة في عمقه و في هيكلته الموجودة في مدينة مكناس. خاصة بعد ما كتبه على أعمدة جرائده حول هذه الإجراءات القمعية. و إرساله لوفد لمدير الشؤون السياسية ومطالبته "بمعاقبة المسؤولين عن قمع المكناسيين و إطلاق سراح المعتقلين و ترك الوادي لأصحابه"² و إرسال بيانات احتجاج إلى المراجع العليا في الرباط و باريس حول ما قام به اللفييف الأجنبي في "مأساة مكناس"³. التي أصبحت مغربية شاملة بعد تنظيم الحزب الوطني لمظاهرات تضامنية في سائر المغرب و إعلانه لإضرابات متواصلة احتجاجا على سياسة الردع و القمع ودعوته للقيام بصلاة الغائب في كامل المغرب على "شهداء مكناس"⁴. و لم تستطع زيارة "توجيس" للمدينة أن تغير في حالة المدينة. فقد أعلن في ظاهرها أن هدفها كان "تهئية النفوس و ضبط العواطف و الدعوة للتعلل" و في حقيقتها كانت من أجل فصل المدينة عن التواصل مع الوطنيين⁵.

انتهت "أحداث الماء" بقناعة راسخة لدى كل من سلطات الحماية وقيادة الحزب الوطني بالنسبة لسلطات الحماية فإنها كانت بالنسبة للمقيم العام "توجيس" "خيانة من طرف الوطنيين

¹ - جاء ذلك في رسالة من توجيس إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 15 ديسمبر 1937 .

² - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 246.

³ - سميت كذلك في أدبيات الحركة الوطنية نظرا لعدد القتلى فأول مرة يقتل أكثر من خمسة عشر مغربيا و جرح أكثر من خمسمائة و اعتقال أكثر من مئة مائة. و جاء في رسالة توجيس لباريس أن عدد الجرحى من الجيش و الشرطة و الصباحية و الجيش البري تجاوز المائة.

⁴ - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، مصدر سابق ص 247.

⁵ - كان وزير خارجية فرنسا بيير فينو قد صرح أمام توجيس بعدم جدوى سياسة القوة في المغرب. و نظرا لتواجده توجيس في باريس أثناء الأحداث و تتبعها فقط عن طريق البرقيات. فإنه بعد عودته قام بهذا "الواجب الأخلاقي" تجاه صديقه و السعي لاحتواء الموقف من خلال زيارته لمدينة فاس و لقاء أعيانها.

تمس به شخصيا. لأنهم فعلوا فعلتهم و هو متغيب عن البلاد... وهاجموا بقعة لم يكن ينتظر منها الشغب"¹. أما بالنسبة لمساعدته "موريز" فقد اعتبر أن الأحداث أثبتت له، بقصد أو بغير ذلك، على أنها "نتيجة منطقية لما نشرته الصحافة الوطنية من أراجيف مأكرة عن قضية مياه بوفكران، وإصرار من طرف (زعماء الحزب الوطني) على التنويه بالعنف وإقناع أنصارهم بأن ساعة التضحية قد دقت"². وفي نفس السياق فقد اعتبرت صحافة المعمرين هذه الأحداث تنظيما تمرديا تم القضاء عليه في مرحلته الجنينية لأن كامل المغرب استجاب لنفس الإيعاز³. أما بالنسبة للحزب الوطني فإن هذه الأحداث عبرت على أن النشاط الوطني قد وصل إلى محطة لا يمكن التراجع عنها. لأنه تحول إلى ظاهرة وطنية. وطبيعة مطالبه إصلاحية الروح و تهدف لتحسين أحوال المغاربة على جميع الأصعدة. ولذلك التفوا حولها و حوله. و لا يمكن له أن يتراجع عن هذه المكانة.

4 - 2 أحداث مراكش (البؤس) : سبتمبر 1937

و عندما عرفت مدينة مراكش "أحداث البؤس" في 24 سبتمبر 1937 كان متواجدا كذلك بصحافته و تعبئته على جميع الأصعدة. ففي هذا اليوم قام وزير الأشغال العمومية "بول رمادييه Paul Ramadier" رفقة "توجيس" بزيارة لمدينة مراكش لمعاينة الثروات المعدنية بمنطقة سوس و قد قام باشا المدينة الجلاوي بكل الترتيبات لإظهار تحكمه في المدينة وفي المجتمع المراكشي فأفرغ المدينة من الباعة في الطرقات و من المتسولين الذين كانوا بكثرة في هذه المدينة. و من كل الآثار التي اعتبرها مساس بهيبة "سلطان الجنوب" وهيبة عائلته التي تتحكم في الجنوب منذ مدة طويلة⁴. و قد كان للحزب الوطني معه سجل معه منذ مطلع الثلاثيات. لذلك اعتبر الحزب الوطني هذه الزيارة مناسبة لإظهاره لإقليم الجنوب عبر حقيقته البائسة جدا. فنزل يوم هذه الزيارة أكثر من خمسة آلاف متسول في شوارع المدينة واعترضوا الوفد في المدينة و

¹ - وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 97.

² - المرجع نفسه.

³ - جاء ذلك في جريدة "لو فيجي ماروكان" *La vigie Marocain* الناطق الرسمي باسم المصالح الكولونيالية، أنظر :

Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p186.

⁴ - Jacques Le Prévost, *El Glaoui*, op.cit.

فرضوا عليه تغيير مساره بطريقة استعراضية أدت إلى إلغاء هذه الزيارة¹. و بعد الإجراءات الردعية التي قام بها الجلاوي ضد الوطنيين بنفي عدد من وطنيي المدينة إلى إقليم "تارودنت" بأقصى الجنوب المغربي². مما أدى تصاعد المظاهرات في مراكش يومين بعد الاستقبال المشهود لممثل باريس. وأيدتها مظاهرات أخرى في كل فاس و الدار البيضاء و رفع الحزب الوطني شعار "التضامن مع مكافحي مراكش" و منعت سلطات الحماية صدور أعداد كل من "الأطلس" و "المغرب". و لئن كانت "أحداث البؤس" أقل تأثيرا مقارنة مع "أحداث الماء" فإنها "استطاعت النيل من حرمة السلطة الفرنسية" على حد تعبير "توجيس"³.

4 - 3 أحداث الخميسات (الدفاع عن الدين): أكتوبر 1937

إذا كانت "أحداث الماء" بمكناس قد عبرت عن دفاع المغاربة عن ثروتهم المائية، "أحداث البؤس" بمراكش عن دفاعهم عن ثروتهم المنجمية. فإن ارتباطهم ببعدهم الديني كان من وراء أحداث "الدفاع عن الدين"⁴ التي عرفت مدينة الخميسات الأمازيغية التي كانت بالنسبة لسلطات الحماية محورا للسياسة البربرية ونموذجا لنجاحها⁵. ففي 22 أكتوبر 1937 قامت سلطات الحماية بتنظيم مهرجانا مسيحيا كاثوليكيا في هذه المدينة بتحويلها إلى محج للقديسة "سانت تيريز"⁶. و قد أحدث هذا المهرجان إثارة واضحة لسكان المنطقة التي تخلو من

¹ - من مظاهر هذا الاستقبال الخاص لهذا الوفد هو محاصرة هؤلاء المتسولين الوفد من كل جانب و لم تستطع الشرطة أن تبعدهم

حتى قيل أن بعض القطع من ملابس الوزير بقيت في أيادي المتظاهرين. أنظر علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 248

² - من القادة الوطنيين الذين تم نفيهم محمد السوسي و محمد الملاح و عبد القادر حسن و مولاي أحمد المنجرة.

³ - جاءت هذه العبارة في رسالة نوجيس لوزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 09 أكتوبر 1937.

⁴ - إذا تتبعنا التسلسل التاريخي فإن أحداث الخميسات تأتي بعد "المؤتمر العام للحزب الوطني" الذي انعقد بتاريخ 13 أكتوبر 1937. و لكن حفاظا على ارتباط هذه الأحداث من حيث طبيعة أسبابها و نتائجها و تأثيراتها جعلنا نأتي بها في هذا السياق.

⁵ - خميسات مدينة مغربية تقع الرباط و فاس تعتبر عاصمة زمو الأمازيغية العريقة، أسست في عهد الحماية الفرنسي للمغرب. و كانت نموذجا لتطبيق السياسة البربرية الفرنسية في المغرب. كما كانت مركزا لتدريب الجنود المغاربة المنحدرين من المناطق الأمازيغية لإرسالهم لجبهات القتال أثناء الحرب العالمية الثانية.

⁶ - نسبة للقديسة "سان تيريز" و تلقب بدكتورة الكنيسة و تعرف في الأدبيات المسيحية بأنها أقدس القديسات في القرن التاسع عشر. و ابتداء من سنة 1920 أصبح لها محجا في مدينة "ليسيو" في منطقة "نورماندي" بفرنسا يحج إليه أتباعها من الكاثوليك. و كانت سلطات الحماية قد بنت كنيسة في مدينة "الخميسات" تحمل اسمها. في سنة 1937 (و تقول رواية أنها سنة تدشينها) قرر الكاثوليك القاطنين خارج فرنسا أن يحجوا لهذه الكنيسة عوض الموجودة في فرنسا. وبالفعل انتقل إلى المدينة في 23 أكتوبر 1937 مجموعات كبيرة من الرهبان الكاثوليك من الجزائر وتونس وحتى من فرنسا لمدينة الخميسات الأمازيغية للقيام بهذا الحج مما

أي تواجد مسيحي. إلا أن سلطات الحماية أرادت أن تتحدى سكان المدينة وإقليم "زمور" بصورة عامة في هذا اليوم الذي كان يوم الجمعة. فخرجوا للتعبير عن رفضهم له و للسياسة البربرية الفرنسية التي اعتبرت مدينتهم نموذجا ناجحا لها. فبعد سبع سنوات قام سكان المدينة بإسقاط هذه "الشهرة البغيضة" عنهم¹. و قد شارك في هذه المظاهرة بقوة فرع الحزب الوطني لهذه المدينة الذي قدم احتجاجا لحاكم المدينة و مطالبا بإلغاء هذا الاحتفال. و قد تصاعدت حدة هذا الاحتفال أثناء صلاة الجمعة التي كان خطيبها في ذلك اليوم مبعوثا من جامعة القرويين التي اعتبرت الاحتفال المسيحي تحديا للمغاربة كلهم و ليس لسكان المدينة فقط. فالمؤسسة الدينية في المغرب من المؤثرات الأساسية في حركية المجتمع المغربي. و المسجد كان في المغرب حاميا لعمق المجتمع المغربي و للحرية الفردية. ومكانا لحرية التعبير والاجتماع على حد تعبير روزيت². فقد استطاع وفد الحزب الوطني، الذي زار المدينة لإحداث توازنا للقوى من الجانب المعنوي على الأقل، أن يحرك مشاعرها و يخرج سكانها للتظاهر و المطالبة بتطبيق الشريعة و إلغاء عرف "إزرف"³ و اعتبار المدينة إسلامية مجتمعا و شعبا و مغربية الانتماء وسلطانية الولاء⁴. وقد اعتبرت سلطات الحماية هذه المظاهرة آخر "خط أحمر تجاوزه الوطنيون" خاصة بعد أن تحولت إلى اصطدامات مسلحة انتهت بقتل عدد كبير من المتظاهرين و حتى بعض أفراد الجيش. بالإضافة إلى سجن عدد كبير من الوطنيين. و انتقل المقيم العام "توجيس" للمدينة و اعتبر مظاهرات "خميسات" تحديا كبيرا وأخيرا. و قام بإجراءات قمعية أكبر حجما من مجرد الرد على هذه المظاهرات⁵.

أحدث في المدينة مناظر غريبة تتمثل في مجموعات الرهبان بالألبسة السوداء و هم يتجولون في المدينة و هذا ما أثار سكان المدينة و الأمر ليس بمجيد على السياسة البربرية الفرنسية. ففي الجزائر ارتبط التنصير بمنطقة القبائل.

¹ - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، مصدر سابق ص 247.

² - Robert Rêzette, les partis politiques, op. cit p 09.

³ - يقصد به الممارسات الأمازيغية القديمة التي اتخذت بعدا اجتماعيا كبيرا و تحولت إلى مصدر تشريعي في المناطق الأمازيغية. و قد كانت السياسة البربرية من وراء تشجيع هذه الممارسات.

⁴ - خرج المصلون يحملون الراية المغربية متجهين نحو مقر المراقبة المدنية و يرددون "يسقط إزرف... يحيا الإسلام... يحيا الملك يحيا المغرب... أنظر: Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op.cit, p186.

⁵ - بالرغم من أن المظاهرات كانت محدودة في هذه المدينة إلا أن إجراءات نوجيس كانت أكبر من ذلك من بينها توقيف علال الفاسي و ثلاثة آخرين.

3. الميثاق الوطني 13 أكتوبر 1937:

لقد أثبتت كل من أحداث الماء والبؤس و الدين أن مشروع الجبهة الشعبية في المغرب كان ظرفيا و مرتبطا بمعطيات داخلية، و أخرى دولية أكثر من كونه كان يبحث عن بديل آخر لسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب. وقد عبر المقيم العام، الذي كان "جنرالاً تعيساً و واجه أسوء تجاربه في المغرب" على حد تعبير لاندو روم¹، في رسالة له لوزير الخارجية الفرنسي "فرانسوا دي تيسان" François de Tissan عن حالة المغرب بتاريخ 09 أكتوبر 1937 وذلك بعد حوادث مكناس و مراکش بقوله "...إن كل ما أعدته الجبهة الشعبية من إصلاح في المغرب ليبقى هادئاً أثناء تأزم العلاقات الدولية قد ذهب أدراج الرياح..."². و في المقابل كان مشروع الحزب الوطني لتحقيق المطالب يسعى لتغيير جذري في أوضاع المغاربة و لذلك لم يتردد في اعتبار نفسه طرفاً في هذه الأحداث. و قد قال علال الفاسي في مذكراته عن هذه الأحداث وغيرها أن "المظهر العظيم الذي ظهر به الحزب الوطني هو جهاده المستميت من أجل الحريات الديمقراطية وكفاحه في سبيل الدفاع عن الطبقات المستضعفة من الشعب من جميع الجوانب"³.

وعندما رأى هذا الحزب أن استجابة المراجع العليا في الرباط و باريس لا تتجاوب مع هذه المقتضيات، بالرغم من روحها الإصلاحية، انتقل في نضاله إلى مرحلة حاسمة تتمثل في صياغة وثيقة تضمنت مجموعة من المطالب من خلال انعقاد "المؤتمر العام للحزب الوطني" بتاريخ 13 أكتوبر 1937⁴. وقد أرجع الحزب الوطني أسباب عقده إلى ظروف عامة تتعلق بالحماية التي "لم تحقق ما وعدت به في الكثير المناسبات من تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة، بالرغم عما تتطلبه حالة البلاد..."⁵. و ظروف خاصة مباشرة تتمثل في مجموعة الأحداث التي عرفها المغرب في سنة 1937 في مكناس و مراکش، و ما كان يقوم به الجلاوي

¹ - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق ص 171.

² - وليام هويسنطن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 99.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 232.

⁴ - تم عقد المؤتمر في بيت أحد قادة الحزب الوطني بالرباط و هو أحمد الشرقاوي. برئاسة علال الفاسي و حضور ممثلين عن

فروع الحزب لسبعة عشر مدينة مغربية هي: وجدة، تازة، بركان، فاس، مكناس، وزان، سيدي قاسم، الرباط، القنيطرة

الدار البيضاء، سيدي يحيى، الجديدة، سلا، آسفي، الصويرة، سطات، مراکش. أنظر نفس مرجع 5 و 6

⁵ - حزب الاستقلال، منشورات

في هذه المدينة من ممارسات قمعية بمختلف الأشكال. ولما تعرض له البعد الإسلامي للمجتمع المغربي من هجوم في مدينة الخميسات و قبيلة زمور و حتى في مراكش¹. بالإضافة إلى الممارسات الاضطهادية التي كانت سلطات الحماية تمارسها في البوادي بصورة خاصة. وخلق الصحافة الوطنية وضرب الحريات العامة. و بعد إطلاع الحزب على جميع الظروف المحيطة بالمغرب في الداخل و الخارج اعتبر أن الوقت قد حان لنقل الحركة الوطنية المغربية نقلة نوعية بالتعبير الصريح عن حالة المغرب من خلال مجموعة من البنود التي اعتبرها "توجيس" "إشعال فتيل ثورة حقيقية عبر الإمبراطورية الشريفة..."².

لقد كانت بنود الميثاق الوطني متناسبة مع ظروف عقد هذا المؤتمر مثل "استنكار كل أنواع الإضطهادات التي مست مدن و بوادي المغرب..." والاحتجاج على "الممارسات القمعية لصحافة الحركة الوطنية..." و مطالبة سلطات الحماية بالسماح للمغاربة بـ "ممارسة حياتهم المدنية و الثقافية من خلال الجمعيات مهما كانت غايتها" و تحميل "الروح الرجعية التي تسيطر على دوائر الحماية مسؤولية هذه السياسة" التي كانت محل سخط في الداخل والخارج وإذا كانت هذه البنود بمثابة تقييم لما وصلت إليه أوضاع المغرب عامة، فإن ما اعتبر "الثورة الوطنية" في كتابات علال الفاسي و عبد الكريم غلاب و أبو بكر القادري³ هو ما قرر الحزب القيام به بعد هذا المؤتمر، و أبلغه لسلطات الحماية في رسالة رسمية⁴، والذي تمثل في "...مقاومة التصرفات الجائرة بكل الطرق الشرعية..." و تفويض قيادة الحزب في "...اختيار هذه الوسائل لمواجهة هذه السياسة..." و معاهدة المؤتمرين الله على "تنفيذ محتويات هذا الميثاق، واستعدادهم لتقديم التضحية اللازمة لذلك..."⁵.

¹ - في هذه القبيلة منعت سلطات الحماية سكان قبيلة زمور من ممارسة تقليدا إسلاميا سنويا و اشترطت القيام به عدم تلاوة القرآن و عدم الدعاء للسلطان المغربي. و في مراكش منعت الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف.

² - *Lettre n°1223 du ministère des affaires étrangères du 02-11-1937 au ministère des colonies. AN SOM Aff. Polit. 902/1.*

³ - جاء نفس مصطلح "الثورة الوطني" عند علال الفاسي (الحركات ص 257) و عند عبد الكريم غلاب (تاريخ الحركة الوطنية ج 01 ص 173) و أبو بكر القادري (مذكراتي جص 426).

⁴ - شكل المؤتمر وفدا ترأسه محمد اليزيدي للاتصال بالإقامة العامة لتبليغها نص الميثاق. و بالرغم من أن الوفد لم يستقبله نوجيس و لكن هذا الأخير قام مباشرة بعد خروج الوفد من الإقامة العامة إرسال رئيس ديوانه إلى باريس لإطلاعها على الموقف الجديد للحركة الوطنية. و ليس من باب الصدفة أن يجد مبعوثه باشا مراكش الجللاوي قد سبقه لباريس للحصول على ضوء أخضر

لضرب الحزب الوطني و الحركة الوطنية ككل. أنظر: Jacques Le Prévost, El Glaoui, op.cit.

⁵ - مما جاء في الميثاق الوطني أنظر الملحق رقم 07.

لقد كان هذا الميثاق بالنسبة لسلطات الحماية تأكيداً للغايات الحقيقية لزعماء الحركة الوطنية التي كانت غائبة في الماضي، وأصبحت بعد هذه الأحداث المتتالية تسعى لـ "...إلغاء الحماية و تشكيل حكومة وطنية تنزع من السلطان جانباً كبيراً من سلطاته، إن لم يكن كله..."¹. ولذلك بالنسبة لهذه السلطات فإنه "...لا مجال للرحمة بمن ألقى عليهم القبض... و سيتم مواجهة أية أحداث جديدة بصرامة..."². ففي 16 أكتوبر 1937 قامت سلطات الحماية بالمنع النهائي لصدور جريدة "الأطلس". ثم حل الحزب الوطني لتحقيق المطالب في 24 أكتوبر و في اليوم الموالي ألقى القبض على أربعة من قادة الحزب الوطني على رأسهم علال الفاسي³. و بالرغم من أحداث "فاس" و "القنيطرة"⁴، إلا أن مسار الأحداث تحدد بفعل طرفي معادلة الأزمات المغربية في هذه الظروف. طرفها الأول هم الوطنيون الذين تعهدوا أمام الله على مواجهة نظام الحماية الذي لم يستجب لمطالبهم بالرغم من روحها الإصلاحية. والطرف الثاني هو هذا النظام الذي ادعى على لسان مقيمه العام "توجيس" أن القمع هو السبيل الوحيد للحفاظ على منجزات ليوتي... و لذلك لم يتردد في كسر شوكة هذه الثورة..."⁵.

¹ - وليام هويسنتن، الحماية الفرنسية بالمغرب، مرجع سابق ص 99.

² - المصدر نفسه.

³ - تمثل الأربعة الذي ألقى عليهم القبض في علال الفاسي الذي تم نفيه إلى الغابون إلى غاية 1946. و عمر بن عبد الجليل و أحمد مكوار و محمد اليزيدي الذين تم نفيهم إلى الصحراء. و بعد إطلاق سراحهم عشية و أثناء الحرب العالمية الثانية كل واحد منهم اتجه اتجاهها. فمحمد اليزيدي الذي أطلق سراحه سنة 1938 أصبح العقل المدبر للحزب الوطني. و عمر عبد الجليل اتجه إلى المنطقة الخلفية في الشمال للتنسيق مع أحمد بلافريج الذي لم يشملته الاعتقال لوجوده في باريس أثناء الأحداث، و بقي يتحرك بين تطوان و برلين إلى غاية 1943. و بالنسبة لأحمد بوعياض أطلق سراحه مباشرة بعد الأحداث بكونه من احميين من طرف إنجلترا أنظر:

Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux...* op.cit, p187.

⁴ - عرف المغرب بعد اعتقال قادة الحزب مظاهرات في عدد من المدن المغربية مثل وجدة و الدار البيضاء و سلا و الرباط. إلا أن أهم هذه الأحداث تمت في القنيطرة و فاس ففي هذه الأخيرة كانت الأحداث أكثر عنفا حيث استمرت أكثر من أسبوع من خلال إضراب متواصل و مظاهرات يومية تنطلق من القرويين. مما أدى إلى احتلال المدينة بكاملها عسكرياً و غلق القرويين و اعتقال أكثر من خمسة آلاف مغربي من مناضلي الحزب و غيرهم. وعرفت مدينة القنيطرة (Port-Lyautey كما كانت تسمى) أحداثاً قتل فيها عدد من المغاربة و اعتقل على إثرها زعيم الحزب الوطني بالمدينة محمد ديوري و سجن لمدة سنتين. أنظر: علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 232.

⁵ - Roger Le Tourneau, *Evolution politique du l'Afrique de Nord musulmane, 1920-1961*, Armand Colin, Paris, 1962

و بحلول شهر نوفمبر 1937 تمكنت سلطات الحماية من تشتيت الحزب الوطني خاصة و الحركة الوطنية المغربية السلطانية عامة¹. فقد ذكرت هذه السياسة ما قامت به فرنسا أثناء حرب الريف. فكلا الحربيين أنهتا مرحلة حاسمة من تاريخ المقاومة المغربية. فإذا كانت حرب الريف قد أنهت "حرب البادية" فإن ما تم في أكتوبر 1937 أنهى "حرب المدن". و في كلتهما تم نفي زعيميهما، و في كلتهما تجاوزت القضية المغربية مجالها الداخلي². ولم يستطع محمد اليزيدي الذي أطلق سراحه سنة 1938 أن يعيد للحزب ديناميكيته. بالرغم من اعتباره "العقل المدبر" إلا أن مهمته تمثلت بصورة أساسية في الحفاظ عليه من الناحية الشكلية أكثر منها الضمنية³. و قد كان ذلك أقصى ما كان يريده علال الفاسي من منفاه من الغابون، فحسب هذا الأخير استطاع اليزيدي أن "يسير الحركة الحزبية أو الحزب الوطني بلباقة ودهاء كبيرين"⁴. و لكن أبو بكر القادري تحدث عن صدمته وخيبة أمله من حالة الحزب بعد خروجه من السجن لأنه كان يظن أن "...بعض الإخوة الذين لم يلق عليهم القبض أو الذين سجنوا لمدة قصيرة أن يواصلوا عملهم الوطني..." و لكنه وجد "...الحالة في شبه ركود وهادئة تمام الهدوء... فلا يوجد لا اتصالا و لا نشاطا صحفيا، و لا شيء يذكر بالحزب الوطني..."⁵.

¹ - لم تكن إجراءات الردع خاصة بالحزب الوطني فحتى الحركة القومية تعرضت لنفس الممارسات مثل سجن قادتها على رأسهم محمد حسن الوزاني الذي تم نفيه للصحراء بين سنتي 1937 و 1946. الفصل الموالي.

² - جاء ذلك في اللائحة التضامنية التي حررها "صديق الوطنيين المغاربة" "جون لونغي" مع مجموعة من الاشتراكيين و المناضلين التقليديين المضادين للاستعمار، من بينهم لويس ماسنيون Louis Massignon، جاك ماريتان Jacques Maritain، أندري جيد André Gide، و فرانسوا مونرياك François Mauriac، و لويس مارتين Louis Martin، و بول ريفي Paul Rivet، و جون هيغو Jean Hugo... و غيرهم تضامنا مع نفي علال الفاسي و محمد حسن الوزاني و مطالبين بإلغاء هذه الإجراءات و القيام بتحقيق عادل حول هذه الأحداث. أنظر: Georges Oved, *La gauche française*, t 2, op cit p 121.

³ - تمثل نشاط الحزب أساس بعد إطلاق سراح محمد اليزيدي في مكتب فاس، ولم تستطع سلطات الحماية غلقه لأنه كان متواجدا في ملكية عقارية لأحد الإنجليز المتعاطفين مع الوطنيين. و وفق الامتيازات البريطانية في المغرب تمكن هذا المكتب من الحصول على هذه الحماية. و مكتب آخر في الرباط أصبح المركز الرئيسي لحزب الاستقلال فيما بعد. و فيما عدا ذلك لم يبق للحزب نشاط آخر. أنظر: دو جلاس آي. آشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، مصدر سابق، ص 61.

⁴ - أنظر علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 261.

⁵ - أبو بكر القادري، مذكرياتي، ج 01، مصدر سابق ص 470.

6 . الحزب الوطني و الحرب العالمية الثانية:

أما أكبر تحديات الحزب الوطني في محنته هذه تمثلت في ما عرفه عشية إندلاع الحرب العالمية الثانية من خلال ما قامت به "قيادته المعتدلة" من تفاعل مع "مبادرة الرحمة" لسلطات لحماية، التي تمثلت في تعامل هذه الأخيرة مع بعض الوطنيين والانفتاح عليهم. و السماح بعودة إصدار بعض الصحف خاصة جريدة "المغرب" التي أعاد إصدارها سعيد حجي الذي كان أحد قادة الحزب الوطني وممثله في مدينة سلا. و "التقدم" التي أصدرها أحد الأعضاء السابقين للحزب الوطني أحمد بن محمد النجار. و "الصوت الوطني" التي أصدرها عبد الطيف الصبيحي و هو أحد وجهاء مدينة سلا ومن الأعضاء السابقين لكتلة العمل الوطني و قد سمى "توجيس" هذا التفاعل بـ "...القدرة على الإمساك بزمام المبادرة لصالح فرنسا...".¹ التي أيدها من جنيف شكيب أرسلان واعتبرها "...مكاسب حقيقية وخطوات فعلية لم يتوقف المغاربة عن المطالبة بها...". ليشكل ذلك صدمة في استغربها الوطنيون، لأنها لا تتماشى مع موقفه التاريخي من قضيتهم منذ مساندته لهم في المسألة البربرية في ماي 1930.² في الوقت الذي شكل سكوت السلطان محمد بن يوسف على ما حصل للوطنيين من المفارقات التاريخية. فحسب شارل أندري جوليان فإن تأثير المقيم العام "توجيس" على السلطان كان كبيرا بإقناعه بأن "علال الفاسي كان العدو الأول للسلطان وسلطنة العلويين"³ وحتى "روزيت" تحدث عن وثيقة مثيرة للانتباه وجدت لدى مجموعة من الوطنيين أثناء إلقاء القبض عليهم عقب أحداث أكتوبر 1937 تضمنت مشروع انقلاب على السلطان ليحل محله حكومة جديدة للمغرب بزعامة علال الفاسي.⁴

¹ - يتمثل هؤلاء في بعض الوطنيين الشباب و الذين ألحق بعضهم بديوانه كما هو الحال لحمد النازي و عمر الحجوي. و أدمج آخرون في الجهاز الحكومي المخزني كما هو الحال لحمد باحيني و عبد الكريم بن جلون و آخرون. و تعتبر استجابة هؤلاء، خاصة سعيد حجي، من أهم الهزات التي تعرض لها الحزب الوطني. أنظر: عثمان أشقرا، الوطنية و السلفية الجديدة بالمغرب، 1930-1956 اتصالات سبو ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2007، ص107.

² - جاء ذلك في مقالات متتالية في جريدة "الأمة العربية" التي كان يصدرها أرسلان لشهر ماي/أوت 1938. بقي موقف أرسلان من إصلاحات نوجيس لسنة 1938 غامضا إلا إذا فسرنا ذلك بالعلاقة الوطيدة بينه و بين اليسار الفرنسي الذي دعم هذه الإصلاحات.

³ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p188.

⁴ - ذكر روبر روزيت في كتابه عن هذه الوثيقة التي وجدت في بيوت بعض الوطنيين الذين ألقى عليهم القبض و هم الحسن بوعياذ والإخوة السبتي في مدينة فاس. و في الرباط في بيت محمد اليزيدي. و جاء فيها تشكيلة حكومة انقلابية على السلطان

لقد اعتبر عبد الكريم غلاب أن قراءة الحزب الوطني للظروف الدولية بعد أحداث 1937 كانت من أجل ضمان وحدة الجبهة الداخلية. ففرنسا كانت تعاني من ضغط ألماني و إيطالي من جهة و من ثورة فرانكو على الجمهورية من جهة أخرى. و لذلك عندما كان الحزب الوطني يسعى للحصول على حقوق المغاربة في هذه الظروف، لمساعدة فرنسا على وحدة هذه الجبهة. و لكن باريس الاستعمارية سواء كانت تخضع لليمين أو اليسار لا تقيم وزنا للأهالي في ضمان جبهتها الداخلية¹. ولكن قيادة الحزب "المعتدلة" لما بعد أحداث 1937 أعادت النظر في هذه الإستراتيجية وتبنت نظرة جديدة تتطلب "...وجوب إعادة النظر في الخطة العامة المبدئية للحزب التي سار عليها في السابق... و ضرورة التعاون مع الحكومة بما فيه مصلحة البلاد و التفاهم معها على ذلك، و التعاون النزيه معها كلما أظهرت استعدادها"². و لذلك لم تتردد هذه القيادة في مساندة و دعم فرنسا عندما كانت تعيش ظروفًا أوروبية و دولية عصيبة المرتبطة بالحرب العالمية الثانية³.

و في 29 أوت 1939 سلمت هذه القيادة صكا على بياض "للمقيم العام " نوجيس" تضمن تحليل للأوضاع الدولية آنذاك. و بين أهمية الإتحاد بين المغرب و فرنسا التي كانت على أبواب نزاع عالمي خطير. و أعلن استعداد الحزب عن رغبته الخالصة في التعاون الوفي و النزيه مع ممثلها في المغرب لتقوية الجبهة الداخلية⁴. بالرغم من أن هذه الأخيرة لم تكن أبدا من أولويات سلطات الحماية و لم تكن واردة في أحداث 1936 و ما بعدها في سنة 1937. و هذا ما

يرأسها علال الفاسي و صدرها الأعظم محمد الزيدي و أحمد مكار و وزير المالية، و أحمد بلافيج سغيرا و آخرون في مناصب مختلفة. أنظر: Robert Rêzette, *les partis politiques*, op. cit p 110. و يعتبر ذلك عبد الكريم غلاب افتراء و كذب بشأن الحزب الوطني و تكرار لما قامت سلطات الحماية عند حلها لكتلة العمل الوطني في مارس 1936. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 01، مصدر سابق ص 175.

¹ - عبد الكريم غلاب، الحركة الوطنية ج 01، مصدر سابق ص 187.

² - أبو بكر القادري، سعيد حجي، دراسة عن حياته و نشاطه الثقافي والسياسي. مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1979، ص 130.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - تشكل الوفد من ثلاثة أعضاء من قادة الحزب الوطني و هم محمد غازي و أحمد الشرفاوي و أبو بكر القادري. بالإضافة إلى أحد صحفيي جريدة "المغرب" و هو أحمد بن غبريت و يعتبر وسيط هذا اللقاء. و مما جاء في البيان "...لنا الشرف أن نعلمكم أن الوطنيين المغاربة مستعدين خدمة لخدمة هذه البلاد... و من أجل هذا رأينا من الواجب في هذه الساعات العسيرة أن نعلن رغبتنا الخاصة في التعاون الوفي النزيه مع ممثل فرنسا في المغرب لتقوية الجبهة الفرنسية المغربية... و ضرورة تكتيل القوى المادية و المعنوية في ساعة الخطر لمواجهة الطوارئ..." أنظر: عبد الكريم فيالي، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، شركة ناس للطباعة والنشر القاهرة، 2006، ص 381.

حاول علل الفاسي تبريره في مذكراته لموقف الحزب من الحرب. فالنسبة إليه فإن الحزب ساند أولا موقف السلطان المغربي من هذه الحرب ووضع مصلحة الجبهة الداخلية قبل مصلحة الحزب بالرغم مما أصاب هذا الأخير من قمع و ردع¹. وبالرغم من مساندة "قيادة المنفى" لخطوة "قيادة الاعتدال" فإن هذا الموقف كان محل نقد لاذع من طرف حتى بعض قادة الحزب كما هو الحال لعبد الله إبراهيم الذي اعتبر موقف الحزب من الحرب العالمية الثانية خاص بفرع مدينة سلا أكثر منه خاص بالحزب الوطني ككل². أما محمد حسن الوزاني فقد وجه انتقادا عنيفا لهذه الخطوة معتبرا ذلك " رميا بالزور على الوطنية الصادقة، وممثليها المخلصين الذين كانوا في المنفى و في السجون و المعتقلات من طرف الجلاد السفاح "نوجيس" الذي رغب هؤلاء في التعاون معه"³.

و مهما كان موقف " الحزبيين " (الحزب الوطني) حول المغرب والمغاربة عشية الحرب العالمية الثانية، فإن واقع الأمر للوطنيين و لجميع المغاربة أثبتته تصريح السلطان المغربي محمد بن يوسف منذ 7 سبتمبر 1938 الذي أكد من خلاله أنه "مهما سيحدث في المستقبل و حتى في حالة الحرب فإن سلطان المغرب و جميع رعاياه سيقومون قومة واحدة و يكونون بجانب فرنسا"⁴. فقد كان بمثابة إعلانا بنهاية "ثورة المدن" و ما تبعها من العهد القصير لـ "الانفتاح والحرية" الذي كان بإرادة سلطات الحماية. فقد سمح هذا التصريح، وقانون حالة الطوارئ الذي سيصدره بتاريخ 29 أوت 1939 بتوسيع صلاحيات المقيم العام في كل المجالات. و أعطي لرؤساء النواحي كل الاختصاصات. فقد تم تجميد كل الأنشطة السياسية و الصحفية. و دخل المغرب سلطانا ومجتمعا وحركة وطنية في مرحلة جديدة لها تفاعلاتها و تداخلاتها. وقد كانت هذه مرتبطة بصورة رئيسية بالتطورات التي عرفتتها الحرب العالمية

¹ - علل الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 265.

² - عبد الهادي بوطالب، ذكريات، شهادات و وجوه، ج 02، الشركة السعودية للأبحاث و النشر، الرياض، 1993، ص 29.

³ - تضمنت هذه الانتقادات تحليلا لأوضاع الحركة الوطنية المغربية منذ نشأتها و ما عانت من طرف سلطات الحماية. كما نفى الوزاني عن هؤلاء تمثيلهم للوطنيين المغاربة المخلصين الذين كانوا في السجون و المنافي. و قد سمى الوزاني التوافق الذي حدث بين الحزب الوطني و سلطات الحماية عشية الحرب بـ "الوليد الغير شرعي لتزواج سياسي ما أنزل به من سلطان". و وجه انتقادا كذلك لموقف علل الفاسي الذي قال أن التضامن كان مع السلطان في حين في حقيقته "كان مع نوجيس الإرهابي الجلاد السفاح...". أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 05، مصدر سابق ص 235.

⁴ - عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية الفرنسية بالمغرب، مخاض الأفرول (1935-1945) مطبعة آنفو- برانت، فاس، 2014، ص 150.

الثانية. سواء تعلق الأمر بسقوط فرنسا في جوان 1940. أو نزول الحلفاء في شما أفريقيا في نوفمبر 1942. و ما كان لهذا النزول من تأثير على مسار الحركة الوطنية. فالمغرب أثناء الحرب العالمية الثانية عرف سلسلة من التطورات التي لم تكن أقل أهمية عما عرفه فيما قبلها¹.

¹ - سيتم التطرق لكل هذه المضامين لاحقا.

3. من "كتلة العمل المغربية" إلى "الحركة القومية المغربية" 1937:

1. تأسيس الحركة القومية المغربية:

لقد كانت أحداث نهاية سنة 1936 جد مؤلمة بالنسبة للوزاني. فقد كان دوره محوريا في كل تطورات الحركة الوطنية المغربية منذ مطلع الثلاثينات. ولم تخلو أية محطة من محطاتها إلا و كان ضمنها، إن لم يكن قائدها. و قد استطاع بعلاقاته الوطيدة جدا مع اليسار الفرنسي الحصول على الكثير من المكاسب. مثل إصدار مجلة "مغرب" في أوت 1932 و التغطية السياسية التي قام بها زعماء اليسار الفرنسي للكثير من المبادرات السياسية من بينها "مطالب الشعب المغربي" في ديسمبر 1934 و "المطالب المستعجلة" في أكتوبر 1936. إلا أنه ظهر جليا أن ما حدث في نهاية سنة 1936 ومطلع 1937 لم يكن مجرد انشقاق في حركة وطنية، مثلما حدث في تونس في افريل 1934 بانقسام "الحزب الدستوري". و حركات وطنية أخرى، و لكن تصريحات خصومه السياسيين بعد الانشقاق كانت تشير إلى أبعد من ذلك. فقد كانت تهدف إلى تحويل الوزاني إلى "منشق عن الكتلة" لأنه لم يحقق طموحه في قيادة الحزب الجديد. و بهذه الصفة فإن الأمر مختلف عن انقسام أصاب هذه الكتلة بحد ذاتها. لأنه لم يتم الاتفاق حول الصيغة التنظيمية لتحويلها إلى حزب سياسي. وبالتالي فإن الهدف، و بغض النظر عن الدوافع الحقيقية، كان يتمثل في السعي إلى تحقيق "الإقصاء السياسي" للوزاني بعزله عن الهيكل الجديدة الحركة الوطنية. بالإضافة إلى "الإقصاء الثقافي" بإبعاده عن توجيهها إيديولوجيا. و بالتالي ينتهي "ذلك الصراع الذي كان دائرا بين الصوفية القروينية و ذهنية الحي اللاتيني" على حد تعبير ريفي¹.

و لذلك عندما رجع الوزاني من فرنسا في أكتوبر 1936 لم يجد تلك الهيئة التي تركها تحت اسم "كتلة العمل الوطني"، و لكنه وجد هيئة جديدة تحت اسم "حزب العمل المغربي". كما وجد اتفاقا لدى أعضائه أنه لا مكانة له فيه². فقد تم القرار في ذلك عندما كان في باريس منذ جويلية 1936 لدى زعماء اليسار الفرنسي لمطالبتهم بدفع الجبهة الشعبية لتنفيذ وعودها إزاء المغرب. فمنذ استلامها الحكم في ماي 1936 لم تقدم للمغاربة شيئا، و لا حتى للجزائريين و التونسيين، مما وعدت به في السابق. و كان أقلها حينئذ بالنسبة للمغرب هو تنحية المقيم العام

¹ - Daniel Rivet, *Le Maroc De Lyautey à Mohammed V*, op.cit., p, 362.

² - Rèzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 101.

"بيروتون" الذي كان أكثر المقيمين العامين عداءا للحركة الوطنية المغربية. و حتى بالنسبة لليسار الفرنسي. فعندما عاد الوزاني للمغرب وجد أن أعضاء الكتلة كانوا قد اتخذوا قرار بإبعاده عن الكتلة إبعاد مزدوجا، تنظيميا بأن لا يكون ضمن قاداتها و الفاعلين فيها، و نظاميا بأن لا يكون ضمن منظريها وموجهيها. وبقي فقط الإعلان عن ذلك في اجتماع جانفي 1937. و يفسر هذا التوجه عدم تساو ردود الفعل لدى الطرفين عند انفجار الكتلة الذي لم يكن كذلك بالنسبة لعلال الفاسي، و لكن كان "استعفاء الوزاني من الكتلة و العمل لاكتساب أنصار جدد"¹. فبالرغم من أن الخلاف بين الطرفين كان حول مسألة تنظيمية إستراتيجية متعلقة بمنصب "رئيس الحزب"، فإن التوقف عنده كان سطحيا، و لم يتم مناقشته بما يلزم من التحليل و تقديم للحجج، بما يتماشى مع مصلحة الحركة الوطنية المغربية. حتى تتبع نموذجا حزبيا ذو فاعلية تنظيمية، أكثر من كون أن الخلاف كان حول بنيته الهرمية من خلال توزيع المناصب بين الأعضاء العشرة الذين أصبحوا يتحكمون في مسار الحركة الوطنية المغربية. لأنهم كانوا ضمن وفود تقديم "مطالب الشعب المغربي" في ديسمبر 1934 فقط. فقد حسم هؤلاء الموقف لصالح علال الفاسي بشكل مسبق. و لم يتم التوصل إلى الصيغة الفاعلة لهذا المنصب. فعندما كان الوزاني ينتظر تحكيما عادلا من طرف أعضاء الكتلة، و يترقب نتائج مبادرات الوساطة التي تمت بين الطرفين لرأب الصدع، اتجه هؤلاء إلى تنفيذ قرارات ذلك المؤتمر ميدانيا بفتح مقرا رئيسيا للحزب الجديد. و بداية تسجيل المنخرطين، و تقديم هؤلاء ليمين الولاء لهذا الحزب. و إصدار جريدتين جديدتين ناطقتين باسمه. فكانت "الأطلس" باللغة العربية و "العمل الشعبي" باللغة الفرنسية. و قد أدى ذلك إلى فرض أمر واقع أكثر مما كان نتيجة اتفاق بين

¹ - من خلال متابعة ما ذكره كل طرف حول هذا الخلاف نلاحظ أن علال الفاسي حاول عدم الاكتراث له و تحويله إلى مسألة مصيرية بالنسبة للحركة الوطنية المغربية و حاول توجيه الخلاف توجيهها سلوكيا بعدم التحدث عنه و الاكتفاء بالقول : " بمجرد ما أعلنت النتيجة أعلن الأستاذ الوزاني استعفاءه من الكتلة... و كل ما هنالك أن الوزاني أخذ يعمل لاكتساب أنصار جدد باسم الحركة القومية". (علال الفاسي، الحركات ص، 224) في حين قام الوزاني بتحليل معمق لهذه المسألة و قد لها تفسيرات عامة و خاصة و سعى بكل الوسائل لإظهار الحقائق كما حدثت. و معتمدا في كل مرة على دليل أو وثيقة أو مراسلة. و بهذه الصفة فقد ظهر أكثر إقناعا لوجهة نظره ليس لأن طرحه كان مقنعا و لكن لأن الطرف الآخر سكت و لم يقدم أي تفسير لهذا الخلاف. و لم يعتبر ذلك حدثا يجب التوقف عنده. و لذلك يمكن اعتبار ذلك سعيًا من طرف أعضاء الكتلة لإقصائه من النشاط الوطني، حتى لا يكون في هيكلته المستقبلية بعد سنتي 1936 ولا يكون كذلك ضمن المنظرين لها. خاصة و أن مختلف الأخطاء منذ 1930 أثبتت قوته نظرا لتكوينه الثقافي الذي كان من أهم أسباب إقصائه من طرف أعضاء الكتلة التقليديين. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5، مصدر سابق ص 13 - 54 .

الطرفان حول هذا الخلاف. خاصة وأن هذا الأخير كان محل العديد من محاولات الصلح الداخلية والخارجية. وكأنه كانت هناك رغبة من طرف أعضاء الكتلة بإفشال هذه المحاولات بفرض إقصاء الوزاني كأمر واقع. وبذلك عبر أعضاء الكتلة عن عدم نضجهم سياسيا حتى يقومون بتأسيس حزب وطني سياسي تحرري لمقاومة نظام الحماية الذي أصبحت رغبته في التحول إلى استعمار استيطاني واضحة منذ مطلع الثلاثينات. فبالرغم من "أن فكرة الحزب الجديد بحد ذاتها كانت فكرة سديدة ووجيهة، إلا أنها كانت تنقصها الكثير من الشروط الموضوعية. فالإعلان عن تأسيس حزب وطني علني مغربي لا يصح أن ينبع من مدينة واحدة. و من عدد محدود من الوطنيين، بالتالي فإن ذلك القرار كان غلطا فاحشا" على حد تعبير القادري¹.

و في هذا وقت كان المغرب يعيش مرحلة حاسمة بعد بداية الخطوات الإصلاحية الأولى المتأخرة للجبهة الشعبية بالاستجابة لطلب الوطنيين المغاربة بتنحية "مارسيل بيرتون" كمقيم عام في سبتمبر 1936. وإعطائها لتعليمات للمقيم العام الجديد "شارل نوجيس" بمباشرة سلسلة من إجراءات الانفتاح. التي حققت انفراجا سياسيا محسوسا شعر به الوطنيون المغاربة بعودة الحركة الصحفية إلى نشاطها². فسمح بعودة جريدة "عمل الشعب" المحظورة منذ ماي 1934. و أصدرت عدد من الصحف بما فيه باللغة العربية التي كانت منعدمة قبل ذلك³. كما أظهر "نوجيس" رغبته في التواصل مع السلطان. ومناقشة ما قدمته كتلة العمل الوطني في أكتوبر 1936 من خلال "المطالب المستعجلة". التي كان أصحابها موحدون في تقديمها، ولكنهم

¹ - ذكر أبو بكر القادري الكثير من التفاصيل حول هذه المسألة. وبالرغم من أنه كان محسوبا على جماعة علال الفاسي، فإنه يعتبر الوحيد من الوطنيين الذي سعى لأن يكون له موقفا مستقلا من الخلاف. وحمل مسؤولية التصدع الطرفان لأنهم لم يختلفا حول استدعاء بقية الوطنيين من فاس أو غيرها و لكن حول نتائج الانتخابات بتصريح علال الفاسي و الوزاني. أنظر، أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج01، مصدر سابق، ص387. و في الحقيقة فإن القادري طرحا وجهها آخر لهذا الانقسام الذي أدى إلى تغذية ما كانت مكونات المجتمع المغربي تعاني منه منذ مطلع القرن العشرين بين رغبة في الانقسام أو في الذوبان بين العرب والبربر، وبين الأندلسيين والأصليين، وبين "الأشراف" و "العلمانيين" و بين "الفاسيين" و "السلاميين" و بين "البدو" و "الحضر". أنظر، Tozy, Mohamed, Mohamed Hassan Ouazzani, *liberté individuelle et pouvoir politique*, op.cit.

² - Jamaâ Baida, *la presse marocaine d'expression française*, op.cit., p 211.

³ - من بين الصحف التي صدرت باللغة العربية جريدة "الأطلس" التي أصدرها علال الفاسي و جريدة "المغرب" التي صدرت من مدينة سلا لصاحبها سعيد حجي و "العمل" لعبد اللطيف الصيحي و "الوداد" لمحمد شيماء. أنظر،

Jamaâ Baida, *la presse marocaine d'expression française*, op.cit., p 211.

أصبحوا متفرقين بوصول أول غيئها. هذا إن لم يكن ذلك الغيئ سبب تلك "الفرقة" و ذلك "الإقصاء". حسب رواية صديق الوطنيين المغاربة منذ سنة 1930 " روبر جون لونغي"¹ لقد أصبح الانقسام أمرا واقعا لا مفر منه. و أصبح العمل الوحدوي مع أعضاء الكتلة بالنسبة للوزاني جزء من "ماضيه المر والأليم". و لمسيرة هذا الاتجاه، و لإفشال "خطة الغزل" جمع الوزاني قواعده وأتباعه والمقتنعين بموقفه في هذا التصدد، ليناقشوا مستقبل تصوراتهم في ظل هذه التطورات. و من خلال مناقشة هذه الأوضاع اتفق هؤلاء على عدم التفريط في التراكم النضالي الذي كان للوزاني منذ مشاركته الفعالة في الاحتجاج ضد الظهير البربري سنة 1930. و دوره منذ ذلك التاريخ في تنشيط مختلف المحطات النضالية للحركة الوطنية المغربية، سواء الصحفية عندما كان دعامة أساسية لمجلة "مغرب" الباريسية في أوت 1932. أو عندما أصدر جريدة "عمل الشعب" في جويلية 1933، التي استطاعت التحول إلى ممثل شرعي للوطنية المغربية خلال سنة تقريبا. و قامت هيئة تحريرها بجلب انتباه المؤسسة السلطانية لوجود الحركة الوطنية ببرنامج تحرري جعل من الولاء للسلطان مسألة أساسية و مقدسة. كما كان له دورا حاسما في صياغة "مطالب الشعب المغربي" في ديسمبر 1934 التي كانت أول برنامج متكامل للحركة الوطنية المغربية. ثم "المطالب المستعجلة" في أكتوبر 1936 ففي كل هذه المحطات كانت بصمات الوزاني واضحة. و لم يكن بالإمكان التفريط في "نضال أحد الزعماء الخمس للحركة الوطنية المغربية في مرحلة الثلاثينات الذي ناضل في باريس. و كان ضمن الطليعة الطلابية لمسلمي شمال أفريقيا. وكان من أقرب الشباب للأمير شكيب أرسلان واستطاع الجمع بين ثورية كاربونية رومانسية مع طموحه الأرستقراطي" حسب جوليان². و لذلك أدت تلك اللقاءات التي قام بها الوزاني مع مؤيديه إلى الإعلان عن تأسيس "الحركة القومية المغربية" سنة 1937³.

وقد طرح مصطلح "القومية" إشكالا مرتبطا بالخلفية الفكرية لهذه التسمية. فقد كان المقصود بها "الوطنية" بمفهومها الحدائي الغربي بما يقابلها باللغة الفرنسية "Nationalisme"

¹ - ذكر "لونغي" لابن الوزاني عز العرب محمد حسن الوزاني أن الجنرال "نوجيس" كان من وراء تصدد الكتلة سنة 1937 لأنه وعد بعض أعضاء الكتلة، الذين كانوا من وراء تأسيس الحزب الوطني فيما بعد، بأن يناقش معهم تطبيق "مطالب الشعب المغربي" لسنة 1934 إن هم انفصلوا عنه و عن الوزاني. أنظر ، عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مصدر سابق، ص 13-14.

² - Charles-André Julien, *Le Maroc face, op.cit, p, 171*.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5، مصدر سابق ص 55.

الذي يعمق الكفاح الوطني التحرري ببعد إيديولوجي. فالقومية في هذه الحالة تعبير عن الوطنية التي تؤدي إلى إبراز الشخصية الذاتية للأمة المغربية في عهد تنازعها مع نظام الحماية¹. وكان الغرض من اعتمادها من طرف الوزاني هو التفريق الظاهري بينها وبين الحركة الأخرى التي استعملت مصطلح الحزب، وبالتالي لم يكن الهدف منها ربطها بالمعنى الإيديولوجي للقومية الأوروبية قلبا وقالبا. بقدر ما كانت تعبيراً عن الوطنية المغربية التحررية التي "لا تركز على العصبية الضيقة التي تنحصر في وطن معين وقوم خاص. بل كانت تعتبر أن المغرب وشعبه لا ينفصلان عن العالم العربي والإسلامي"². وبالتالي فهي تؤدي بالضرورة إلى تحرير المغرب واستقلاله. ولذلك كان الاستعمار من أشد أعداء الحركة القومية المغربية³. كما كان الغرض من هذه التسمية "إعطاء الحركة صفة إيديولوجية سياسية عصرية لا صوفية و متزمتة"⁴. و"بناء الحركة على أساس سياسي بارز ككل قومية منتمة لتاريخ امته و تراثها و مثلها العليا و مقدساتها"⁵. و في الحقيقة فإن الكثير من الأدبيات الغربية ساهم الوزاني في نقلها إلى الحركة الوطنية المغربية. فأعطى لها بعداً مغربياً خالصاً كما هو الحال لـ"مخطط الإصلاحات المغربية" و"كتلة العمل المغربية" في سنة 1934. و حتى "المطالب المستعجلة"⁶.

و إذا طرح العنوان السياسي للحركة التي أسسها الوزاني سنة 1937 تساؤلات عن مغزاه، فإن ما شد الانتباه و السؤال هو أن أكثر العناصر الوطنية التي انحازت للوزاني في صراعه مع جماعة الفاسي، كانت من خريجي القرويين و من المحسوبين على الثقافة الإسلامية المحافظة. ونفس الشيء حدث مع علال الفاسي الذي انضم إليه عدد كبير من المثقفين غربياً. و لذلك وصف "روزيت" أن "ما حدث في الكتلة من تصدع في نهاية 1936 يمكن تفسيره على أنه خلاف في اختيار الوسائل، و حتى في الطباع. فقد كان في جميع الأحوال

1 - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5، مصدر سابق، ص58.

2 - المصدر نفسه، ص58.

3 - المصدر نفسه.

4 - المصدر نفسه، ص56.

5 - المصدر نفسه.

6 - المصدر نفسه. ج 4، ص 276.

خلافًا هيكلها و لكنه لم يكن إيديولوجيا بأي حال من الأحوال¹. فقد استطاع الوزاني إقناع عدد مهم من الوطنيين الفاعلين باختلاف انتماءاتهم الاجتماعية والثقافية الانضمام إلى هذا التنظيم الجديد. إلا أن أغليبيتهم لم يكونوا من ذوي الثقافة العصرية، و لكنهم كانوا من خريجي القرويين. و قد اختلفت أسباب انضمام هؤلاء إلى الوزاني، إلا أن ما جمعهم في غالبيتهم الإيمان بأن الحركة الوطنية المغربية لم تكن بحاجة إلى زعيم ديني سواء كان محافظا أو مجددا. و لكنها كانت بحاجة إلى قائد سياسي متحكم في العلوم العصرية التي تعطي له الكثير من القدرات التفاوضية والاتصالية و الإيصالية. وقد كانت هذه المواصفات متوفرة في الوزاني الذي كان أول المتخرجين من الشباب المغاربي من كلية العلوم السياسية بباريس². فقد اتبعت العناصر الوطنية ذات التكوين العصري علال الفاسي حتى تخرج من ظل ذلك الرجل الذي ظهر بقوة في فترة وحدة الحركة الوطنية. لأن الوزاني تحول كناطق رسمي وحيد باسم هذه الحركة في باريس. و لم يكن لأحمد بلافريج و لا لغيره وجودا³. و لذلك قال أنه "من حسن حظ حزب وطني كالكتلة أن يرأسه شخص تتمثل فيه الشخصية المغربية بأصالتها و ثقافتها و التي ليست عليها منة للفكر الفرنسي، و تتمثل هذه الشخصية في علال الفاسي"⁴. أما العناصر التقليدية التي تخرجت من القرويين فهي الأخرى اتبعت الوزاني لتعويض ذلك العجز الناتج

¹ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 103.

² - كان من ذوي الثقافة العصرية المؤيدين للوزاني عدد قليل مثل أحمد بوهلال و عبد القادر بن جلون و الحسن الحجوي. و لكن أغليبيتهم الساحقة كانوا كان عدد من خريجي جامعة القرويين كالحاج أحمد معنينو و عبد الهادي الشرايبي و رشيد الدرقاوي و علي العراقي، و محمد القري، و إبراهيم الكتاني. و من مفارقات هذا التصدع أن عددا كبيرا من الذين اتصلوا بالوزاني من أجل الصلح مع علال الفاسي و إعادة توحيد الحركة الوطنية انخرطوا في الحركة القومية، مثل الحاج بن عبد القادر العليج و محمد الصميلي و علال الهوراي وغيرهم من الذين أصبحوا كلهم من أعضاء "الحركة القومية" وقادتها. أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات حياة و جهاد، ج، 05، مصدر سابق، ص 47. و نفس السيناريو حدث سنة 1946 مع الشيخ العربي العلوي الذي اتصل بهما بغرض توحيد حزبيهما بطلب من الملك محمد الخامس إلا أنه تعاطف كثيرا مع الوزاني. أنظر، عبد الحفي حسن العمراني، أبطال الوطنية الكتاب الأول، عن حياة محمد حسن الوزاني و تاريخ الحركة الوطنية، مطبعة الفلاح، الرباط، ط 01، ص 78

³ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 74.

⁴ - ذكر هذا التصريح عبد الكريم غلاب. أنظر، عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق، ص 159. و قد حل بلافريج محل الوزاني في الأمانة العامة. و قد حمله الوزاني كثير مسؤولية عدم توصل الوسطاء إلى حل لأنه أعاق كل محاولات الصلح. فقد اعتبره أنه كان ينتظر إبعاده ليخرج من "عزلته المألوفة" كما "زاد بموقفه المتعصب العنيد الوضع تخرجا و المشكل تعقيدا و نار الخلاف تأججا" كما وصفه بأنه "لم يكن سليم الصدر بالنسبة له". أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 5، مصدر سابق ص 28.

عن طبيعة تكوينهم التقليدي.و كذلك لأن" الحركة القومية كانت بالنسبة لهم حركة إنقاذ و تحرير بالنسبة لهم فأقبلوا عليها و نشطوا في صفوفها لخير البلاد و قضيتها"¹.

ثم تدعمت الحركة القومية بعدد كبير من الوطنيين من مدن أخرى مثل مكناس و الرباط و الدار البيضاء لم يتفقوا مع توجهات الكتلة حتى قبل تصدعها.و الذين كثيرا ما كان يشير إليهم الوزاني على أنهم كانوا ضحية التسيير الضيق للكتلة.خاصة بعد أن احتكرت الأسماء العشر التي وردت أسماؤها في مدخل "مطالب الشعب المغربي".فمن المفروض أن مهمتهم انتهت بتقديم تلك الوثيقة.و لكن الممارسات الميدانية التي تلت أكدت استغلال هؤلاء لأسمائهم لأكثر من مجرد ممضيين على لائحة وطنية².و بالنسبة للرافضين لهذا المنحى فإنهم لم يترددوا في اختيار "الحركة القومية المغربية" للاثراط فيها كبديل لـ"التسيير الصوفي" الذي كان سائدا في الكتلة.خاصة وأنه أشيع في تلك الأوساط قدرة الوزاني على الحوار وممارسته للديمقراطية الحزبية.و قد لمس ذلك عدد من الذي أصبحوا فيما بعد من قادة "الحركة القومية" فيما بعد عندما كانوا وسطاء بين الفريقين المتخاصمين،فقد تأكدوا حينها أن الحوار كان معه أكثر سهولة من الطرف الآخر." و لذلك قررت حينها الأغلبية العظمى من لجان المفاوضات بين الفريقين تأييد الوزاني لما رأت من صلاحية في خطته و الحق من جانبه...بالإضافة إلى الآخرين الذين لم يكن يسمح لهم بإبداء أية فكرة أو إلقاء خطاب.و حيث كان الكل يجب عليه أن يخضع للدكتاتورية المقنعة" على حد تعبير أحمد معنيو³.

لم يتمكن أعضاء الكتلة الذين قاموا بكل جهودهم لإقصاء الوزاني من الحركة الوطنية المغربي بعزله من الكتلة.وعندما كانت لجان الوساطة بين الفريقين تسعى لرأب الصدع بينهما " قطع هؤلاء التفاوض و فتحوا المركز العام و أخذوا يسجلون المنخرطين و لم يكتفوا بذلك بل أصدروا جريدة باللسان الفرنسي مقتبس اسمها من جريدة عمل الشعب التي حاولوا بكل الوسائل التوصل إلى الاستيلاء عليها"⁴.و قد كان هدفهم خلق واقع سياسي جديد لا وجود فيه للوزاني. إلا أن ذلك لم يحدث فقد استطاع تجاوز ذلك و أسس حركة مستقلة عن الكتلة تعرف بـ"الحركة القومية المغربية".التي توفرت على جميع مواصفات الحزب.و لكنها لم تعلن كذلك

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5، مصدر سابق ص 79.

² - Rèzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains, op.cit., p 107.*

³ - أحمد معنيو، ذكريات و مذكرات، ج 02، 1932- 1937، مطبعة سبارطيل، طنجة، 1991، ص 152، 156.

⁴ - المصدر نفسه، ص 152.

تفاديا لاصطدام مع نظام الحماية الذي كانت قوانينه تحظر على المغاربة إنشاء الأحزاب السياسية.و بالتالي بإمكانها استعمال هذه القوانين لمنع "القوميين" من النشاط.و قد كان حرص الوزاني على هذا الإطار واضحا تفاديا لمنعه و حرمانه من أية آلية للتعبير عن أفكاره و و تنشيط الحركة الوطنية المغربية. خاصة وأنه تذوق مرارة هذا الفراغ عندما منعت جريدة "عمل الشعب" في ماي 1934.فقد اعتبر حينها أن الحركة أصيبت بنكسة،و شعر المغاربة بصدمة قوية¹.و لذلك أظهر حرصه على هذا الإطار "حتى لا تجد السلطة المتربصة أية حجة لتطبيق قوانينها الباغية"².و قد كان تخوف "القوميين" في محله لأن أول محاولة قام بها علال الفاسي لتأسيس حزب سياسي لقيت رفضا من طرف سلطات الحماية³.و لكن بالرغم من ذلك فقد شرع "القوميون" في بناء هذه الحركة،بتحديد مبادئها و صياغة برنامجها و غيرها من المظاهر التنظيمية و النظامية التي أصبحت تتوفر عليها الحركة في فترة قصيرة⁴.

2. برنامج ومبادئ الحركة القومية المغربية:

لقد تبنت الحركة القومية برنامجا إصلاحيا من ثلاثين بندا تحت عنوان "مجلد السياسة القومية"⁵.وقد انطلق من مجموعة من المبادئ العامة جمعت بين البعد التاريخي الحضاري للمغرب،و انفتاحه على الحداثة الغربية بكل مضامينها.و قد تم ذلك من خلال وثيقتين أساسيتين،فقد جاءت الأولى تحت عنوان "المبادئ و الغايات و الوسائل"⁶ و نصت على أن المبادئ تمثلت في "الإسلام،و العروبة،و المغرب،و العرش، والشورى"⁷.والغايات انقسمت إلى داخلية،وهي، "المغرب للمغاربة،والمغاربة للمغرب،و الحرية مع الوطن والكرامة للضيوف"⁸. و في الخارج "مسالمة من يسالم المغاربة ويرعى حقوقهم" و"الامتثال للرابطة العربية و الجامعة

1 - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج3، مصدر سابق ص 394.

2 - المصدر نفسه .

3 - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 230.

4 - أحمد معنيو، ذكريات و مذكرات، ج2، مصدر سابق ، ص، 156.

5 - يعتبر البرنامج استمرارية من حيث المضمون استمرارية لـ "مخطط المطالب الوطنية" لديسمبر 1934، و هو نفسه الذي ورد كمنشور وزعه الوزاني أثناء مشاركته في مؤتمر الحزب الاشتراكي الفرنسي في 31-05-1936، أنظر، مؤسسة محمد حسن الوزاني، حرب القلم، الجزء 01، مؤسسة محمد حسن الوزاني فاس، 1981، ص 20. (الملحق رقم 01)

6 - أحمد معنيو، ذكريات و مذكرات، ج2، مصدر سابق ، ص، 158.

7 - المصدر نفسه .

8 - المصدر نفسه .

الإسلامية". أما الوسائل فتمثلت في "الاعتماد على الشعب بعد الاعتماد على الله في تحقيق أماني البلاد والكفاح والثبات في المبدأ. وعماد الكفاح التضحية"¹. و قد اعتبر "القوميون" في هذه الوثيقة أن أعداء المغاربة هم "الاستعمار و الجهل، الضعف، والاستبداد، والاستعباد"². و قد جاءت الوثيقة الثانية تحت عنوان "ميثاق الحقوق القومية"³. و تضمنت مقاربة فكرية مضمونها مستمد من الترجمة التي قام بها الوزاني لـ "بيان حقوق الإنسان والمواطن" للثورة الفرنسية في 1789. و قد جاء فيها أن الطبيعة الإنسانية ترغب في الحرية و تتعارض مع الاضطهاد والاستبداد مهما كان مصدرهما. و لذلك فإن محاربتهما واجب تفرضه حقوق الإنسان الطبيعية⁴. فقد كانت الحركة القومية تريد ضرب منظومة الحماية باعتبارها ابتكارا غربيا و فرنسيا، في كونها تتعارض مع فكرة حقوق الإنسان والمواطن، التي تعتبر هي الأخرى ابتكارا فرنسيا. فقد كان ذلك مقاومة نظام الحماية بنفس سلاح مبتكره الذي كان يسعى لتثبيته في المغرب بقمع المغاربة و الاستيلاء على حقوقهم المادية و المعنوية. و اعتبر ذلك بمثابة "مقاومة الفرنسيين بسلاحهم في مجال الدعوة التحررية والفلسفة السياسية والإيديولوجية الديمقراطية"⁵. ثم أسقطت هذه المقاربة على المغرب من جميع الجوانب. سواء من خلال أوضاع المغاربة تحت نظام الحماية، أو من حيث شرعية مطالبتهم بتغيير هذه الأوضاع على جميع المستويات. فمن الناحية السياسية يتم ذلك بالحصول على الحريات الفردية و الاجتماعية⁶. فالحرية حق طبيعي للإنسان ولذلك يجب على مختلف الأنظمة أن تحميه وتطوره و في حالة ما إذا هذه الأنظمة لم تقم بهذا الواجب، كما هو الحال لنظام الحماية في المغرب فإنه من حق الفرد أن يقوم بذلك باستعمال كل الوسائل بما فيها القوة⁷. و فيما يخص مسألة

1 - أحمد معنيو، ذكريات و مذكرات، ج2، مصدر سابق ، ص، 158..

2 - المصدر نفسه .

3 - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5، مصدر سابق ص 60.

4 - المصدر نفسه .

5 - المصدر نفسه ، ص، 59.

6 - المصدر نفسه ، ص 60.

7 - المصدر نفسه .

السيادة فإن هذه المقاربة انطلقت من اعتبار "الشعب هو مصدر السيادة القومية، و هي وحدة لا تتجزأ و لا يجوز المساس بها بأي سوء"¹.

و بهذا الطرح فإن الحركة القومية أعطت أولوية خاصة للمسألة السياسية و اعتبرتها مدخلا ضروريا لحل المشكلة المغربية. و بالتالي فإن تحسين أحوال المغاربة لا يمكن أن يتم إلا إذا تم "إلغاء كل القوانين و الأنظمة التي أحتت بعد فرض الحماية و التي بنيت على أساس الحكم المباشر المخالف لنظام الحماية من حيث المعاهدات و التصريحات الرسمية"². و يؤدي ذلك إلى تبني " نظاما سياسيا يحسن إدارة شؤون البلاد. و لا يمكن تحقيق ذلك إلا بضمان السيادة القومية المغربية و " تحقيق وحدة البلاد و الأمة بإبطال جميع التقسيمات و الفوارق الإدارية و القضائية والثقافية التي أحدثها نظام الحماية. فتحول بذلك إلى استعمار استعمل كل الوسائل لخدمة مطامحه. و قد كانت السياسة البربرية من بينها. لذلك" يجب العدول عنها و الكف عن انتقاص أي مظهر من مظاهر السيادة الشريفة التي تعتبر ضمانة للسيادة القومية و لا وجود لواحدة منها في غياب الأخرى". فلم يتم السطو على "السيادة القومية" إلا عندما تم الاعتداء على "حقوق العرش و نفوذ جلالة السلطان"³.

و من مستلزمات الحصول على هذه السيادة إصلاح العدلية و نظام القضاء بما يخدم حاجات المجتمع المغربي، لا امتيازات المستوطنين الأوروبيين. و يقتضي ذلك "مغربة" الإدارة في الوظائف العامة و الاقتصار في الاعتماد على الفرنسيين في المجال التقني فقط. و لذلك يجب حصر إدارات نظام الحماية في مهام محددة نصت عليها بنود معاهدة الحماية. و إلغاء القوانين الاستثنائية التي حولت المغاربة إلى أهالي عوض مواطنين. و قد تم ذلك عن طريق قوانين استثنائية يجب إلغاؤها حتى تتحقق "السيادة القومية" في مبدئها العام و هو الحفاظ على كرامة المغاربة باستعادة لوطنهم"⁴.

لقد سعت هذه البنود السياسية للبرنامج القومي إلى التفريق بين مبدأ "الحماية" و "الاستعمار" فهذا الأخير لم يكن محله في المغرب بنص معاهدة الحماية لسنة 1912. و عندما سعت سلطات الحماية إلى تطبيقه في أرض الواقع تحول إلى "عدو للمغرب" لأنه أفقده

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5، مصدر سابق ص 60.

² - الملحق رقم 08 " مجمل السياسة القومية".

³ - الملحق رقم 08 " مجمل السياسة القومية".

⁴ - أحمد معنيو، ذكريات و مذكرات، ج2، مصدر سابق ، ص، 158.

استقلاله الداخلي. فقد كانت ممارساته ضربا للمواثيق والاتفاقيات الدولية منذ معاهدة الجزيرة 1906 إلى معاهدة الحماية بحد ذاتها في سنة 1912. و تلقت الشخصية القومية المغربية العديد من الضربات التي أفقدتها الكثير من الخصائص والمميزات. و قام نظام الحماية بكل المحاولات لتطبيق نظام مباشر مبني على السعي لذوبان كيان الدولة المغربية، من خلال كل تشريعاته السياسية. و قد كان لذلك انعكاس مباشر على المغاربة الذين عانوا من الاستبداد و فقدانهم لحقوقهم الأساسية. و انهيار أوضاعهم من جميع النواحي. و عندما جاء في نصوص معاهدة الحماية أن الغرض هو " ضمان اعتماد وسائل ناجعة لتقديم و ترقية الشعب المغربي " فإن الذي قام به نظام الحماية في أرض الواقع هو عكسه تماما. فقد كان حرمانا لحقوقه الطبيعية بالإضافة إلى تجهيله و تفقيره و استيلاء على مقدراته. والسعي للقضاء الشخصية المغربية بكل ملامحها التاريخية¹.

و في المجال الاجتماعي والاقتصادي ورد في بنود "مجلد السياسة القومية" ضرورة القيام بإصلاحات للبنية التحتية للمغرب بعدما أصابها الكثير من الركود و التقهقر بفعل سياسة نظام الحماية التي عوض أن يقوم بالمراقبة و المرافقة كما في جاء في معاهدة الحماية وتوجيه الحركة الاقتصادية بما يخدم النمو الشامل للمجتمع المغربي بالتعاون الوثيق مع فرنسا، فإنه قام بتحطيم تلك البنية المغربية التقليدية والسعي لتعويضها بهياكل استيطانية دخيلة على المغاربة. فمنذ 1925 سعي المقيمون العامون إلى "جزارة" المغرب بنقل مختلف ملامح الاستيطان الذي كان قائما في الجزائر إلى المغرب. كما حدث في عهد المقيم العام "تيودور ستينغ" بين 1925 و 1929. الذي كان "رائدا الاستيطان الفرنسي في المغرب"². و لذلك جاء في السياسة القومية ضرورة تمتع المغاربة بثرواتهم الطبيعية بعدة إجراءات مثل "حماية الفلاح المغربي من التصرفات الإدارية الجائرة و اعتداءات المستعمرين و حفظ ثروته و تثبيت الملك العائلي لفائدة الفلاح المغربي"³. و "إحلال الدولة المغربية محل الشركات في

¹ - أحمد معنيو، ذكريات و مذكرات، ج2، مصدر سابق ، ص، 158.

² - Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance*, op.cit., p, 44.

³ - الملحق رقم 08 " مجمل السياسة القومية"

استثمار خيرات البلاد الطبيعية و مصالح الدولة العامة كالمناجم و المياه المعدنية و المعادن و المرافئ البحرية و مصارف القروض المالية"¹.

و في المجال الثقافي اعتبر القوميون مسألة الهوية إستراتيجية بالانطلاق من "استعمال اللغة العربية إجباريا في كل الممارسات والتعاملات الإدارية"².و يتطلب تطبيق هذا المبدأ الاهتمام بالتعليم "بإصلاح برامج التعليم و توحيدها في جميع مدارس الدولة المغربية في المدينة و البادية...و استحداث المدارس العليا لتخريج المعلمين والمعلمات"³.وإصلاح التعليم بجامعة القرويين والمعاهد الإسلامية باعتبارها عاملا هاما في حرية التعليم العربي الإسلامي الذي جاء في السياسة القومية ضرورة تطويره و تزويده بالوسائل العصرية حتى يساير التعليم الفرنسي الذي لم يكن يسمح به لجميع المغاربة"⁴.

لقد كان بنود "مجل السياسة القومية" استمرارية مباشرة لمطالب الشعب المغربي في ديسمبر 1934 و المطالب المستعجلة في أكتوبر 1936 فكل هذه البرامج استوحت روحها من إيمان الوطنيين المغاربة في هذه الفترة بكل فصائلهم،،سواء كانوا "الحزبيين"(الحزب الوطني) أو"القوميين" بإمكانية الاستفادة من نظام الحماية وتحويله إلى أداة بناء والاجتهاد الكبير للتفريق بينه و بين الاستعمار.فالنسبة لهم عندما فإن إمكانية استفادتهم من نظام الحماية كانت قائمة بشرط أن تراجع سلطات الحماية قراءتها له،و تطبق ما جاء في معاهدة الحماية لسنة 1912.و التخلي عن طموحاتها "الجزائرية الاستيطانية".فقد اعتبرت الحركة القومية، و حتى الحزب الوطني، أن "الإصلاح" كفيل بإحداث تغيير جذري في معطيات المشكلة المغربية لصالح المغاربة.و قد اعتبر الوزاني أن هذه الإصلاحات هي "السبيل الوحيد الذي من خلاله تسترجع الأمة المغربية حقوقها،وتحقق الآمال الوطنية للبلد،دون أن يكون ذلك على حساب التوافق والتحالف الاختياري للشعب المغربي مع فرنسا"⁵.

إلا أن ذلك لم يغير في نظرة باريس لهذا النظام منذ تنصيبه في مارس 1912. فقد بقيت تعتبر تطبيقه بتلك الطريقة هي المطلوبة والضرورية.وذلك بالرغم من تغير موازين القوى

¹ - الملحق رقم 08 " مجمل السياسة القومية"

² - المصدر نفسه

³ - المصدر نفسه

⁴ - المصدر نفسه

⁵ - جريدة "الدفاع" العدد 2 (07-09-1937).

السياسية الداخلية من حين لآخر بين اليمين واليسار. فحتى فحتى هذا الأخير، الذي طالما انتقد الممارسات الاستعمارية لليمين، لم يرق بأي تغيير للنظام الاستعماري سواء كان حماية في المغرب و تونس أو استيطاننا في الجزائر. و من المفارقات التاريخية أن القمع الذي سلط على الحركة الوطنية المغربية في سنة 1936 و 1937 كان باسم الجبهة الشعبية. فقراءة منظومة الحماية من طرف باريس كانت موحدة يمينيا ويساريا. وبالرغم من ذلك تبنت "الحركة القومية المغربية"، و حتى "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" نظرة إصلاحية و بقيت برامجهم تنتظر مراجعة باريس قراءتها لنظام الحماية حتى تحوله لصالح المغاربة. إلا أن هذا لم يتم. و في هذه الحالة كان برنامج "مجل السياسة القومية" لسنة 1937، وحتى "المطالب المستعجلة" لسنة 1936 و "مطالب الشعب المغربي" لسنة 1934، قراءة نظرية فلسفية لهذا النظام. ولم تأخذ أبدا بعين الاعتبار حقيقة نظام الحماية في ممارساته منذ أسطورة "الإنجاز الكبير للماريشال ليوتي"¹. و قد برر هذا الطموح بريق الحضارة الغربية التي تعرف عليها بعضهم في "الحي اللاتيني" في باريس. و سلب (بضم السين) بها عدد كبير منهم، و من بينهم الوزاني. و لكن هذه الحضارة بحد ذاتها هي التي أنتجت الفكر الاستعماري بجميع أشكاله، سواء كان استيطاننا أو انتدابا أو حماية. وقد كان ممثلي هذه الحضارة يتخذون أشكالا مختلفة تبعا لجغرافية تواجدهم. فإن كانوا في أوروبا تكلموا عن شعوبها بمنطق العلم و القيم الإنسانية. و إن كانوا في غيرها أصبحوا مستعمرين (بكسر الميم). فقد تعودوا على تسخير المستعمرين (بفتح الميم) بمسميات مختلفة و لكن كلها كانت تؤدي نفس الغاية، و هي الاستغلال. و لذلك انحرفوا عن مهمتهم الحقيقية وتعدوا عن أي معنى للحضارة. و كان ظلمهم للشعوب المستعمرة (بفتح الميم) سببا أنساهم العدالة وأصولها. من احترام القانون والشعور بحق الآخرين في الحياة" كما قال بذلك مالك بن نبي².

لم تختلف اهتمامات "الحركة القومية" كثيرا عما جاء في وثيقة "مخطط المطالب الوطنية" التي قدمت إلى المراجع العليا في الرباط و باريس في ديسمبر 1934، كما أنها لم تختلف عما طالب به "الحزب الوطني لتحقيق المطالب" بزعامة علال الفاسي في هذه المرحلة. و لذلك كالحلاف بين الحركتين تنظيميا لا إيديولوجيا. إلا أنه ظهر أن محمد حسن الوزاني، أراد من

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat à l'indépendance*, op.cit., p, 15.

² - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق، 135.

خلال هذا التنظيم التحكم في الآليات السياسية للممارسة الديمقراطية بنقد فرنسا و وضعها في وضعية تناقض مع نفسها حضاريا و ثقافيا، والظهور بمظهر المدافعين عن الديمقراطية الحقيقية المتمثلة في الدفاع عن حق الشعب المغربي في تسيير شؤونه العامة بنفسه عن طريق المؤسسات والممثلين المنتخبين¹، ولورد على الإدعاء الكولونيالي الذي كثيرا ما اعتبر الحركة الوطنية متطرفة وعدوة للديمقراطية بالإضافة أنها إسلامية عربية متطرفة².

لقد اعتبر "روزيت" أنه في الوقت الذي كان فيه الحزب الوطني ينشط بفاعلية كبيرة في الظل، كانت الحركة القومية المغربية تبحث، وبطريقة ميئوس منها، عن شعارات جديدة، و صيغ براقة، من خلال بنود برنامج غامض ومبهم. و لذلك لم يستجيب هذا البرنامج لانشغالات المغاربة في تلك المرحلة. و لم يكن لهذه الحركة من التأثير ما يسمح لها بالحصول على شعبية كبيرة³. و لكن لم يكن ظاهرا أن البحث عن هذه الشعبية كان من أولويات القوميين. و إلا لما كانوا تعمدوا الابتعاد عن التنظيم الحزبي مبدئيا. و اعتمادهم هيئة تنظيمية بسيطة جدا. فلم يكن لهم تنظيما حزبيا و لا مقرا عاما لحركتهم، و لم يجتهدوا في البحث عن الأنصار في الأوساط الشعبية، لأنهم لم يؤسسوا أية فروع لهم في المغرب. فقد كان مقر جريدتها "عمل الشعب" و "الدفاع" مركزا رئيسيا للحركة. و كانت هيئة تحريرهما بمثابة قيادة الحركة. فقد كان الإقصاء الذي تعرض له الوزاني و أتباعه من نواة الحركة الوطنية المغربية مازال حاضرا في ذهنهم. لذلك أعطوا الأولوية الكاملة لمسألة البقاء في الميدان. و التعريف بأفكارهم و نظرتهم الوطنية قبل القيام بأي عمل تنظيمي. و لذلك كانت الصحافة أداة أساسية، بل وحيدة في معظم الأحيان ، للتعريف بالحركة القومية أفكارا و برنامجا و توجهها.

¹ - Madani Mohamed, *le mouvement national*, op.cit p56

² - *ibid*.

³ - Rêzette, Robert, *Les Partis politiques Marocains*, op.cit., p 107.

3. صحافة الحركة القومية المغربية:

1. جريدة " عمل الشعب " :

عادت جريدة "عمل الشعب" التي كانت رمزا للحركة الوطنية المغربية في مطلع الثلاثينات¹، للظهور من جديد في أفريل 1937 بمدينة فاس². و شرعت في التعبير عن المضمون الفكري للحركة القومية المغربية. حيث أعلنت عن نفسها أنها "لسان حال الحركة القومية". و قد قامت ببعض التعديلات الشكلية عليها من حيث الشكل. كإضافة عنوانها باللغة العربية. و بحكم التجربة التي كانت قد اكتسبتها هذه الجريدة فإن سيولتها الإعلامية أصبحت واضحة من خلال المواضيع التي كانت تطرحها على أعمدتها. و قد كان الوزاني رئيس تحريرها و كاتب كل افتتاحيات أعدادها الأحد عشر التي صدرت بين أفريل وأكتوبر 1937. و قد حرصت هذه الجريدة على نقل التوجه الجديد للحركة القومية من الجانب الفكري. كما بقيت تتطرق لانعكاسات السياسة الفرنسية على المغرب في مختلف الميادين. مثل "مشكلة الفقر" التي ضربت المجتمع المغربي بصورة موسعة بفعل السياسة الاستعمارية ومضاعفات الأزمة الاقتصادية العالمية. فقد استشهدت الجريدة بمقولة المفكر الفرنسي "فكتور هيجو" حول الفقر الذي "اعتبره بمثابة مرض الجدري الذي يضرب جسم الإنسان"³. فكذا انتشر الفقر في المجتمع المغربي مثلما انتشر ذلك المرض على جسم الإنسان. و قد جاء في هذا المقال المعطيات الإحصائية التي تبين الفقر الكبير الذي ضرب المغاربة. و قد أرجعت الجريدة ذلك إلى السياسة الاستعمارية التي كانت سلطات الحماية تطبقها. و أدت إلى تفكير المغاربة بشكل لم يسبق له مثيل⁴. كما كانت هذه الجريدة منبرا لكشف التجاوزات التي كانت سلطات الحماية تقوم بها في حق المغاربة. فقد جاءت افتتاحية العدد الثاني والأربعون (42) في 22 أفريل تحت عنوان "حرروا سي المختار السوسي" الذي كان أحد الوطنيين المغاربة و تم سجنه بتهمة "غيابه عن مدينة فاس لمدة أسبوع حيث أتهم بقيامه باتصالات مع الوطنيين بمدينة مراكش للقيام بأعمال عدائية ضد مصالح الحماية". و قد وجه المقال نداء مباشر للمقيم العام

¹ - Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 213.

² - تم توقيف " عمل الشعب " في العدد أربعون في 11 ماي 1934 بعد الزيارة السلطانية لمدينة فاس و تحويل هيئة تحريرها تلك الزيارة إلى مناسبة لجلب السلطان محمد بن يوسف للحركة الوطنية.

³ - Mohamed Hassan, Ouazzani, Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p , 203.

⁴ - ibid.

"توجيس" باعتباره يمثل أعلى سلطة في المغرب تمثل "الديمقراطية الفرنسية" حيث جاء في المقال أن "مبادئ هذه الديمقراطية لا تتماشى مع هذه السلوكات. فحتى وعود الفرنسيين التي أعطيت للمغاربة في باريس و الرباط تتنافى مع هذا السجن التعسفي الذي يعاني منه هذا المناضل"¹.

لقد كان هذا المقالان نموذجان لما كان يكتب على أعمدة جريدة "عمل الشعب" كناطق رسمي لحركة القومية. فقد كانت هناك اتجاه يتعلق بفضح الممارسات القمعية التي كانت تمس المغاربة لأسباب واهية مثل هذه القضية. كما شكلت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة للشعب المغربي محورا هاما من محاور هذه الجريدة. حيث حملت نظام الحماية مسؤوليتها بالإضافة إلى الجفاف الذي ضرب المغرب في فترة الثلاثينات². و في ماي 1937 أحييت "عمل الشعب" الذكرى السابعة لإصدار الظهير البربري بمطالبة الشعب الفرنسي باتخاذ موقف معارض لهذه السياسة البربرية الخاطئة والمذلة للشعب حفاظا على مصلحة الشعبين الفرنسي والمغربي، وتحقيقا للهدوء³. كما أبلغت الإقامة العامة والمخزن عن طريق مذكرة للحركة القومية بموقف الشعب المغربي الراض دائما لهذه السياسة، والذي لم ينس، و غير مستعد أن ينسى، هذا الفعل التشريعي الذي قام بمساس خطير لوحدة السياسية والقانونية والثقافية والروحية". واحتجت فيها على الاحتفال الذي تم في الرباط في 16 ماي 1937 لإحياء ذكرى الظهير البربري⁴. وقامت عبر أعمدتها بإظهار الأصول الفكرية والسياسية للسياسة البربرية، وطبيعتها العدائية، واصفة إياها بورشة استعمارية استغلالية إدماجية مبنية على التمييز، وتسعى لفرنسة المجتمع المغربي على حساب بعده الإسلامي والعربي⁵. و ذلك بشهادة منظريها ومشروعها ومؤيديها والمدافعين عنها. وكشفت الأسباب الحقيقية لإصدارها واعتبرت مضمونها غير قابل للتطبيق نظرا لتناقضاتها الداخلية وأبرزت انعكاساتها على

¹ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p , 203.*

² - جريدة "عمل الشعب" العدد 43 (1937-05-06).

³ - جريدة "عمل الشعب" العدد 44 (1937-05-20).

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - المصدر نفسه.

المغرب، و رأت أن كل هذا من المفروض أن يؤدي إلى نتيجة منطقية و حتمية هي إلغاء الظهير البربري، لا القيام بتعديل بنده السادس في سنة 1934¹.

وفي جويلية 1937 قامت "عمل الشعب" بحملة لتحرير زعيم ثورة الريف "محمد عبد الكريم الخطابي" بعد أن قامت فرنسا بإطلاق سراح عدد من الشخصيات العربية الوطنية مثل، الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي وقائد الثورة السورية سلطان الأطرش، و قد جاء في صفحتها الأولى عنوانا كبيرا جاء كالآتي: "حرروا عبد الكريم". وبالقرب منها مقولته المشهورة في المنفى "للأسف الموت لا يريدني لأنه أهون علي من النفي"². و نشرت مذكرة للحركة القومية إلى السلطات الفرنسية طلبت منها تحرير زعيم ثورة الريف. و طرحت أمامها إمكانية الاستفادة منه مغويا في كامل العالم الإسلامي لما يتمتع به من سمعة. و حتى داخل المغرب لما له من هيبة و نفوذ و بالتالي تحصل بباريس على تعاطف المغاربة معها³. لذلك "من الواجب على السلطات الفرنسية أكثر من أي وقت مضى اتخاذ هذا الإجراء التسامحي إزاء هذه الشخصية لعدم وجود أي سبب مقنع لتفسير تمديد فترة نفيه"⁴.

2. جريدة "الدفاع " :

لقد أدى الانفراج النسبي الذي قام به المقيم العام "توجيس" في المغرب حول نشاط الحركة الوطنية لمغربية، فيما يخص إصدار الصحف بصورة خاصة، إلى إصدار عدة جرائد في عدد من المدن المغربية. و لأول مرة سمح نظام الحماية بإصدار جرائد باللغة العربية. و يبدو أن ذلك جاء بعد الضغط الذي مارسه الوطنيون على الجبهة الشعبية حتى تفي بوعودها. و لكنه كان في نفس الوقت سياسة من طرف المقيم العام الجديد "توجيس" لإبراز الخلافات بين الوطنيين جهرا بعدما كانت سرا بينهم لمدة طويلة. و لذلك لم يكن هذا المقيم العام غريبا عن التصدع الذي أصاب كتلة العمل الوطني. و بغض النظر عن خلفياته فقد استغل الوزاني هذا

¹ - جريدة "عمل الشعب" العدد 44 (20-05-1937).

² - جريدة "عمل الشعب" العدد 48 (15-07-1937).

³ - من المفارقات التاريخية أن فرنسا إتجهت لنفس الإجراء بإطلاق سراح عبد الكريم الخطابي في 30 ماي 1947 و لكن ليس للحصول على سمعة في العالم الإسلامي و تعاطف المغاربة معها و لكن . للقضاء على تصاعد الدور الوطني الذي أصبح السلطان محمد بن يوسف يقوم به منذ نزول الحلفاء في المغرب في 8 نوفمبر 1942 و مشاركته في قمة الدار البيضاء. ثم زيارته التاريخية لمدينة طنجة في أفريل 1947 و ما ترتب عنها (الفصل السابع من الدراسة).

⁴ - جريدة "عمل الشعب" العدد 48 (15-07-1937).

الانفراج في معركة البقاء كزعيم للحركة الوطنية المغربية.و إذا كانت الحركة القومية تعبيراً عن تلك الرغبة للبقاء في المجال الحركي، فإن ملمح الوزاني الذي كان صحفياً بامتياز بالإضافة إلى التجربة الثرية التي كانت له في الحركة الوطنية الصحفية بين 1932 و 1934 و كل ذلك دفع بالقوميين للبحث عن لسان آخر للحركة القومية للتعريف بمضمونها.و بالإضافة إلى إعادة إصدار جريدة "عمل الشعب"، التي كان لسانها فرنسياً.و إن استطاعت أن توصل رسالتها إلى الفرنسيين في باريس و الرباط، فإنها لم تعد تلبي الحاجة الوطنية النضالية الداخلية، خاصة في تلك الفترة التي انفتحت فيها الحركة الوطنية المغربية على مختلف الطبقات الشعبية.ولذلك اتجهت الحركة القومية المغربية إلى تغطية هذا الفراغ بإصدار جريدة أسبوعية تحت عنوان "الدفاع". التي كانت تتمثل مهمتها في تدعيم "عمل الشعب" و كذلك في منافسة جريدة "الأطلس" التي كان الحزب الوطني يصدرها منذ مطلع 1937¹.و قد أسندت إدارتها إلى عبد الهادي الشرايبي الذي كان أحد المتخرجين من جامعة القرويين الذين انضموا إلى تيار الوزاني.

اختلفت المقاربة الصحفية لجريدة "الدفاع" عن "عمل الشعب". فقد ركزت هذه الأخيرة اهتماماتها على نقل الأفكار الليبرالية و مواصلة الدعاية لـ "مطالب الشعب المغربي" بحكم الدور الذي كان لرئيس تحريرها الوزاني في تلك المحطات. أما جريدة "الدفاع" فقد اهتمت بنشر المضمون السياسي للحركة القومية المغربية، وكأنها بذلك كانت تريد أن تخاطب المغاربة بلسانهم للتعريف ببرنامج الحركة القومية.و لذلك ظهر إهتمامها بالواقع المغربي الداخلي بصورة مباشرة من خلال نقل ممارسات نظم الحماية في مختلف الميادين.و على عكس "عمل الشعب" فإنها لم تتناول مسألة الحداثة والفكرة الليبرالية.فقد ظهرت على أنها "عربية" في لسانها و "مغربية" في اهتماماتها.و قد ظهرت ذلك في أعدادها الثمانية التي صدرت بين 31 أوت و 19 أكتوبر 1937.حيث كانت كل مواضيعها حول واقع المغاربة و ما قدمته الحركة القومية من حلول لمعالجة هذا الواقع. ففي أول عدد لها في 31 أوت 1937 ظهر التوجه المغربي الداخلي لها بالدراسة التاريخية التي قدمتها حول المغرب تحت عنوان "المغرب بين الماضي و الحاضر"².تناولت فيه دور المغرب و المغاربة في بناء الحضارة العربية الإسلامية

¹ - Jamaâ Baida, la presse marocaine d'expression française, op.cit., p 213.

² - جريدة "الدفاع" العدد 1 ، (1937-08-31).

و بصورة خاصة من خلال "تشوء تلك الحضارة اليانعة المزدهرة في بلاد الأندلس، تلك الحضارة التي أقيم منارها عاليا يشع نور المعرفة منه على جميع من آوته أرضها، وأظلمته سماؤها"¹. ثم ما عرفه المغرب من نكبات و أزمات و محاولة إصلاح ذلك من طرف البيعة الحفيظية التي " لم تستطع توقيف ابتلاء البلد بالفتن و القلاقل، و تدخل الأجنبي في شؤون الأمة بالاحتلال ثم الاحتلال"². و قد أبرزت جريدة "الدفاع" نفس الطرح الذي جاءت به " عمل الشعب" باعتبار انحراف نظام الحماية إنما جاء " لعدم اكتراث الأجهزة التي أشرفت على تنفيذه ميدانيا بالمعاهدات و امتناعها عن الامتثال للمواثيق و المعاهدات"³. و لذلك فإن مطالب المغرب شعبا و سلطة هي التطبيق الحقيقي لمعاهدة الحماية " لأنها لم تبح لفرنسا القيام بتأمين البلاد و تجهيزها تجهيزا حديثا لمصلحة الأوربيين وحدهم دون سواهم. فالمغرب لم يرض بتلك المعاهدة بصفاتها ميثاق استعمار عنصري، أو صك استغلال اقتصادي، أو أداة سيطرة سياسية قاهرة"⁴.

و قد انتقدت الجريدة العديد من المبادرات التي قام بها المستوطنون في المغرب للقضاء على مبدأ الحماية بحد ذاته من خلال العديد من التشريعات الإدارية والاقتصادية. و التي تعاكس تماما روح نظام الحماية و هنا يوجد الفرق الكبير بين ما سمته الجريدة بـ " مطالبنا و مطامعهم"⁵. فهذه الأخيرة هي عبارة عن " تقويض دعائم نظام الحماية و استبداله بنظام حكم مباشر كما هو الواقع في القطر الجزائري" أما مطالب المغاربة فكانت تتمثل في "عدم اعتماد أية ذريعة للنيل من حقوق و مصالح الأمة المغربية و دولتها. خصوصا و أن تلك الحقوق و المصالح مكفولة بالتزامات صريحة تستند إلى شرف الأمة الفرنسية و عهود دولتها الجمهورية"⁶. إلا أن السياسة التي تم تنفيذها في المغرب منذ إعلان هذا النظام هي معاكسة تماما لهذه العهود و قد ظهر ذلك في الأحوال المتدهورة للمغاربة. و لذلك اعتبرت "الدفاع" أن مهمتها هو " كشف الستار عن الحالة السيئة التي يشكو منها المجتمع المغربي بما تملكه من

1 - جريدة "الدفاع" العدد 1 ، (31-08-1937).

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه.

4 - المصدر نفسه.

5 - جريدة "الدفاع" العدد 2 ، (07-09-1937).

6 - المصدر نفسه.

قوة، و إزاحة السجف(الغموض) عن أسباب الأزمة الشديدة التي أفعمت النفوس استياء و أضربت في القلوب من الألم لهيباً¹. و هذا إن كان دفاع عن المغرب و المغاربة فهو تعبير عن ذلك "الصراع الإنساني بين الحق و الباطل"².

كما تطرقت " الدفاع " إلى مسألة موقف اليسار من القضية المغربية. فقدمت سرداً تاريخياً لحركة المطالب منذ ديسمبر 1934. فحينها كانت هذه المطالب محل تأييد كبير من طرف هذا اليسار. حتى أن الوفد الذي قدمها للحكومة الفرنسية في باريس كان من رجال اليسار الفرنسي فقط. و عندما كان الوطنيون المغاربة ينتظرون تجسيد هذه المطالب ميدانياً بعد أم أصبح القرار السياسي في باريس "يسارياً" إلا أن واقع الحال أثبت عكس ذلك تماماً. فقد كان المغاربة ينتظرون " وفاءاً بالوعود و قسطاً من الإصلاح المنشود، فالوطنيين المغاربة كان موقفهم متبصراً من ذلك السراب الحكومي اللامع ، و لذلك كانوا ينتظرون إنجاز بعض ما وعد به"³. و لكن ذلك لم يحدثه سواء كله أو جزئه. فبعد مرور ثلاث سنوات علة تقديم المطالب " لم يتحقق الأمل في الإصلاح ، و بقيت الأمة المغربية في حالة الشذوذ ، و سياسة الخطب بالوعود"⁴.

لقد اظهر الوطنيون المغاربة في العديد من المرات تفاعلهم مع القضايا القومية. و على رأسها القضية الفلسطينية. و قد جاءت الكثير من المقالات في العديد من الجرائد حول ما يبديه المغاربة من تبني لهذه القضية. ففي 02 أكتوبر 1937 عقدت " الحركة القومية المغربية " بمدينة سلا مؤتمراً للدفاع عن فلسطين التي كانت تشهد في تلك السنة تطورات حاسمة. و قد عبرت جريدة " الدفاع " عما تعرفه "فلسطين الشهيدة" من مؤامرة للقضاء عليها. فنشرت تفاصيل عن "استياء الشعب المغربي و استنكاره لفضائع الاستعمار الإنكليزي الغاشم و انقياده لشردمة من متشردي اليهود و شذاذ الآفاق"⁵. كما نشرت عريضة احتجاج قدمت من طرف مندوبي المدن المغربية للقتل الإنكليزي في الرباط تضمنت الاحتجاج على هذه التصرفات الجائرة في حق الشعب الفلسطيني العربي المسلم"⁶. و جاء في بنودها تفاصيل كانت القضية

¹ - جريدة "الدفاع" العدد 3 ، (14- 09- 1937).

² - المصدر نفسه.

³ - جريدة "الدفاع" العدد 4 ، (21- 09- 1937).

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - جريدة "الدفاع" العدد 7 ، (12- 10- 1937).

⁶ - المصدر نفسه.

الفلسطينية تعرفها في تلك الفترة و تضمنت موقف المغاربة من تلك التطورات. و من أهم ما جاء فيها " الاحتجاج على تقرير اللجنة الملكية الذي قسم فلسطين و تقديم القسم الصالح منها لشرذمة اليهود"¹ و " عدم السماح بالتنازل عن شبر واحد من المقدسات الإسلامية." و " استنكار التصرفات الجائرة التي يعامل بها الفلسطينيون من إرهاب و تشريد و نفي و تنكيل و هتك للحرمة التي لا يسمح بها أي قانون بشري"² و " إدانة حل اللجنة العربية العليا و نفي فضيلة شيخ الإسلام مفتي القدس الحاج الأمين الحسيني من منصبه الذي يعتبر تهجما على أربعمائة مليون من المسلمين"³. و قد حملت الحركة القومية المغربية في هذا المقال الذي كان تحت عنوان " يوم فلسطين"⁴ إنكلترا مسؤولية الأحداث في فلسطين نظرا لموقفها العدائي ضد المسلمين"⁵.

لم تستمر جريدة " الدفاع" في الصدور أكثر من ثلاثة أشهر من خلال ثمانية أعداد. إلا أن مقاربتها الصحفية كانت ذات تأثير كبير. فقد كان لسانها عربيا و اهتماماتها مغربية خالصة مما جعلها تنفذ للمغاربة. و قد عبر رئيس تحريرها خريج القرويين عبد الهادي الشرايبي عن تكامل كبير مع خريج مدرسة الصحافة في باريس الوزاني فاستطاع التعبير بلغة المغاربة عن الكثير من همومهم التي سببها نظام الحماية. الذي قام بكشفه و فضحه في العديد من المواضيع. و قد اثر ذلك كثيرا على سلطات الحماية التي بدأت في مضايقة القوميين بالرغم من أنهم لم يعلنوا تأسيس حزب. و قد عبرت عن ذلك " الدفاع" في مقالها تحت عنوان "الحق فوق القوة" الذي اعتبر أن سلطات الحماية كانت تهاجمهم بمهاجمتها لهم و إذا حركوا أيديهم للدفاع عن أنفسهم قيل لهم " إنكم مشاكسون و مشاغبون"⁶. و لذلك لم يكن مصير هذه الجريدة أحسن من مصير "عمل الشعب" فتم توقيفهما في أحداث نهاية سنة 1936. التي عبرت عن الوجه الحقيقي للييسار الفرنسي الذي لم يكن سوى الوجه الآخر لليمين فيما يخص حقوق الشعوب المستعمرة. و من بينها الشعب المغربي. فلطالما "أعلن (هذا اليسار) عن

¹- جريدة "الدفاع" العدد 7 ، (12- 10- 1937).

²- المصدر نفسه.

³- المصدر نفسه.

⁴- المصدر نفسه.

⁵- المصدر نفسه.

⁶- جريدة "الدفاع" العدد 5 ، (28- 09- 1937).

التفاهم والتقارب والتعاون و لكنها كانت كلمات أقرب إلى الأكفان من الكلام تستر أمواتا من الأعمال¹.

4. الحركة القومية المغربية و حوادث سنة 1937 :

عرف المغرب في نهاية سنة 1937، أحداثا مصيرية أصبحت منعرجا حاسما ليس بالنسبة لـ"الحركة القومية" فقط، بل بالنسبة لكامل الحركة الوطنية، نظرا لعلاقتها مع التطورات التي حدثت عشية الحرب العالمية الثانية ،ومست مناطق مختلفة من المغرب، بشكل منفصل وغير مخطط له بشكل مسبق ومنسق، ولكن الوضع القابل للانفجار جعل من هذه الأحداث بداية مرحلة جديدة في تاريخ المغرب².

في الفاتح من شهر سبتمبر 1937 عرفت مدينة "مكناس" ما يعرف بـ"قضية مياه وادي بوفكران"³، فقد كان هذا النهر منذ فترة تاريخية طويلة محبسا على المدينة. و تحول إلى عصب الحياة في هذه المدينة سواء بالنسبة للفلاحين أو سكان المدينة على حد سواء. إلا أن سلطات الحماية قررت تحويل مياهه لمصلحة بعض كبار المعمرين بالرغم من احتجاج المراقب المدني على هذا القرار، إلا أن هذا لم يأت بأية نتيجة. مما أدى إلى احتجاج سكان المدينة على هذا الإجراء في شكل مظاهرات سلمية في أول الأمر تم تأطيرها سياسيا من طرف الحركة الوطنية، وبشكل خاص الحركة القومية بزيارة الوزاني للمدينة وتقديمه لتوجيهات عملية عن كيفية الاحتجاج، عن طريق تحرير عرائض وتوجيهها إلى المراجع العليا، وتكوين لجنة للدفاع عن مياه وادي بوفكران، كما قامت جريدتي "الدفاع" و"عمل الشعب" بتتبع مجريات الحدث بعد الإصطدامات التي استغلتها في كشف أساليب الحماية وإيصال القضية إلى الرباط و باريس بتقديم تقرير عن "مأساة مكناس"⁴ فكانت من وراء حضور اللجنة البرلمانية للتحقيق في الأحداث بعدما أدت إلى سقوط عدد من القتلى المغاربة⁵، وقد حمل المقيم العام "توجيس"، الذي كان متواجدا في باريس أثناء الأحداث، مدينة فاس مسؤولية تصاعد الأحداث بعد أن شهدت مظاهرات توسعت فيما بعد إلى مدن أخرى كالدار البيضاء ومراكش، وقد اعتبرت صحافة

¹ - جريدة "الدفاع" العدد 4 ، (21- 09 -1937).

² - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p , 301.*

³ - تم التطرق لهذه النقطة سابقا.

⁴ - محمد حسن الوزاني ، حرب القلم ، ج ، 01، مؤسسة محمد حسن الوزاني ، فاس ، 1981، ص، 68.

⁵ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p , 260.*

المعمرين هذه الأحداث تنظيما تمرديا تم القضاء عليه في مرحلته الجنينية، لأن كامل المغرب استجاب لنفس الإيعاز، و لذلك كان رد سلطة الحماية بتوقيف عدد من الجرائد كانت تصدر في مدينة فاس¹.

لقد أثبتت أحداث "وادي بوفكران" اتجاه السياسة الفرنسية بمواصلة تجاهل المطالب الوطنية التي تنتظر منذ ثلاث سنوات تحقيق بعضها، ولم تستطع الابتعاد عن إتباع سياسة القوة تارة و تقديم وعود للمغاربة للنظر فيها تارة أخرى. ولذلك أرادت الحركة الوطنية المغربية الخروج من حالة الركود والتراوح، في نفس المكان باعتبار ذلك تراجعاً إلى الوراء، وفي نفس الوقت حتى يظهر حقيقة موقف باريس من ممارسات نظام الحماية في المغرب. وإذا كانت أحداث مكناس قد عبرت عن دفاع المغاربة عن ثروتهم المائية، فإن الأحداث التي شهدتها مدينة "مراكش" في 24 سبتمبر سنة 1937 كانت من أجل الدفاع عن ثروتهم المنجمية، فبعد زيارة الوزير الفرنسي للأشغال العمومية "بول رماديه" رفقة "توجيس" لمنطقة سوس لمعينة الثروات المعدنية، نظمت الحركة الوطنية في مدينة مراكش حفل استقبال خاص جداً لهذا الوفد، تمثل في نزول آلاف المتشردين والمتسولين إلى الشارع ففرضوا على الموكب الرسمي تغيير مساره وإن كانت هناك من رسالة واضحة من هذا الاستقبال فهي إظهار حالة الشعب المغربي الحقيقية المترتبة عن سياسة الحماية، والتي أراد باشا المدينة إخفاءها²، وقد اعتبر الحادث من طرف الإدارة الفرنسية تحضيراً للتمرد فقامت بإجراءات ردعية علقت عليها الحركة القومية في صحافتها بـ "فاجعة مراكش" فقدمت بشأنها عريضة إلى المخزن والإقامة العامة بتاريخ 22 سبتمبر 1937 طالبت من خلالها "بتعجيل النظر في مشكلة البؤس الذي استفحل مفعوله في الشعب المغربي يوماً فيوماً و تقديم الحلول التي تنقذه من أخطاره"³.

بعد إصدار الظهير البربري الثاني في 08 أبريل 1934، الذي عدل جزئياً الظهير الأول الصادر في 16 ماي 1930، ظنت سلطة الحماية أنها حلت نهائياً مشكلة الاحتجاج على السياسة

¹ - جاء ذلك في جريدة "لو فيجي ماروكان" *La vigie Marocain* "الناطق الرسمي باسم المصالح الكولونيالية، وقد مس المنع كل

من "العمل الشعبي" و "المغرب" و "الأطلس" و "عمل الشعب"، أنظر، *Charles-André Julien, Le Maroc face, op.cit, p, 186*.

² - أفسدت الخطة التحضيرات التي قام بها ممثل باشا المدينة "البياز" المعروف بعدائه الشديد للشعب و الحركة الوطنية المغربية لاستقبال الوفد بالحلويات و الزرابي و الموسيقيين بهذا التجمع البشري الهائل الذي كان يطالب بالخبز، أنظر،

Mohamed-Hassan, Ouazzani, Combats., T2, p.cit, p 301

³ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج 1، 01، مصدر سابق، ص، 64.

البربرية بتعديلها للبند السادس من الظهير البربري لسنة 1930، إلا أن ذلك لم يضع حدا نهائيا له بقدر ما أجله لفترة، فقد رفضت "الحركة القومية" اعتبار تعديل 1934 انتصارا للحركة الوطنية بقدر ما خيب آمالها، فبالنسبة لها "لا حل للمشكلة البربرية سوى بالإلغاء النهائي والكلي لهذا الظهير"¹. وفي ذلك السياق تابعت الأحداث التي شهدتها بعض المدن المغربية مثل مكناس ومراكش والخميسات والقنيطرة².

لقد استطاعت الحركة القومية المغربية عشية الحرب العالمية الثانية المساهمة في تحويل القضية المغربية إلى حديث الساعة فاعتبرت الإقامة العامة في الرباط ذلك تحضير مخطط للقيام بعملية تمرد شاملة ضد فرنسا تنطلق من فاس، و لصدده قام المقيم العام "نوجيس" بعملية إستباقية للإحداث باحتلال "المدينة ومحاصرة جامعة القرويين في نهاية شهر أكتوبر سنة 1937، و حتى يضمن ولاء باريس له³، قام بحل الأحزاب وتجميد النشاط الصحفي وتوقيف القادة الوطنيين باختلاف انتماءاتهم، بعد رفضهم "التعاون و تهدئة الأجواء". و بعدما مس الإجراء قادة من الحزب الوطني في فاس و الرباط⁴، رفض محمد حسن الوزاني الذي بقي كزعيم وطني وحيد في الساحة الوطنية التعاون مع السلطات الفرنسية من أجل استرجاع الهدوء مقابل الاعتراف به كقائد وحيد للحركة الوطنية مما أدى إلى توقيفه يوم 29 أكتوبر

¹ - Mohamed Hassan, Ouazzani, *Combats d'un nationaliste marocain T2, op.cit., p ,241.*

² - عرفت مدينة الخميسات في 22 أكتوبر 1937 احتجاجات على المظاهرة المسيحية التي نظمها المبشرون في هذه المدينة بحجهم إلى الكنيسة الكاثوليكية "سان تيريز" التي بنتها إدارة الحماية في هذه المدينة، و ألف الرهبان من الجزائر و تونس و فرنسا الحج إليها سنويا. و في مدينة القنيطرة تزعم الحركة الاحتجاجية أحد الوطنيين و هو محمد ديوري (مع زوجته الفرنسية من مدينة دكار السينيغالية التي أسلمت) مديرة جريدة "العمل الشعبي" التي أصدرها الحزب الوطني لتحقيق المطالب بعد تصدع الكتلة

³ - أثناء بعض الاعتقالات وجدت سلطات الحماية رسالة موجهة من المغرب إلى أحد الوطنيين بمصر تخبره فيها عن حماس

الشعب المغربي واستعداده للقيام بثورة، و سواء في المدن أو القرى فكل المغاربة مستعدون للتضحية العالية، وهذا ما لم يسجل أبدا من ذي قبل، وقد اعتبر "نوجيس" أن التحرك الوطني يسعى لإزاحته من منصبه. أنظر،

Georges Spillmann, *Du protectorat a l'indépendance, op.cit., p, 87.*

⁴ - اتصل "نوجيس" بكل من محمد حسن الوزاني و علال الفاسي في مهمة استطلاعية، و إذا كان الأول قد طلب تحقيق حد أدنى من المطالب الوطنية لتهدئة النفوس فإن الثاني فقد اصطدم بمبعوث المقيم العام ظنا منه أنه في حالة قوة و من خلال الضغط تتحقق المطالب الوطنية، وقد تأسف الوزاني على هذا الموقف لعدم فهم فحوى الاتصال، أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5 (مصدر سابق) ص121، و قد مس الاعتقال كل من علال لفاسي و عمر بن عبد الجليل، و أحمد مكوار في مدينة فاس و محمد اليزيدي في الرباط، و هم كلهم من قادة الحزب الوطني لتحقيق المطالب.

1937، وهو بصدد مواصلة الاحتجاج الذي تم تنظيمه بشكل متصاعد منذ توقيف علال الفاسي ورفاقه¹، ثم نفي إلى جنوب المغرب لمدة تسع سنوات².

في نهاية سنة 1937 انتهت مرحلة حاسمة من تاريخ الحركة القومية المغربية، فقد حاولت هذه الأخيرة خلالها المساهمة في دفع سلطات الحماية للاستجابة إلى "مطالب الشعب المغربي" المودعة لدى المراجع العليا في باريس و الرباط منذ ديسمبر 1934 والمؤكد بوثيقة "المطالب المستعجلة" في أكتوبر 1936 التي تضمنت السعي للحصول على حكم ذاتي تحركه رغبة خفية من أجل الاستقلال التام تحت تأثير استقلال العراق في سنة 1932 ومصر في سنة 1936، وتصريحات عن ضرورة إنهاء الانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا³. وبالرغم من انتهاء ذلك باصطدامات مدينة الدار البيضاء في نهاية 1936، فإن الحركة القومية المغربية واصلت نشاطها خلال سنة 1937 محاولة الاستفادة من "الجبهة الشعبية"، التي بقدر ما خذلت الوزاني والحركة الوطنية المغربية عامة، أثبتت تمسكها بالاستعمار كثقافة فرنسية سياسية رسمية ولذلك قامت بإزاحة "العناصر المثيرة للقلق والفتنة" بالمغرب وعوضت ذلك بـ "المشروع الخلاب للمقيم العام "توجيس"⁴ الذي أعلن عن بدايته في "ساحة النجارين" في مدينة فاس بالقرب من ضريح مولاي إدريس (فاتح المغرب) عن "قضائه و سحقه لعالل الفاسي و رفاقه و أنصاره تحت قدمه"⁵.

¹ - بعد توقيف زعماء الحزب الوطني نظم الوزاني حملة احتجاج اشترك فيها أتباع الحزبين، فقد عبر لمبعوث المقيم العام أن الانفصال أمر داخلي بالحركة الوطنية، وقال لأتباعه بأنه أمام الأحداث صف واحد و أمام الواجب سواء، أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5، مصدر سابق ص 131.

² - قضى الوزاني تسع سنوات في المنفى بالجنوب المغربي متنقلا بين عدة مناطق، مثل قلعة "أسا" و"أقا" و"تاكونيت" ثم "ايتزر" بجبال الأطلس، و قد قال بشأن هذه الفترة الصعبة من حياته بأنه يستطيع كتابة مؤلف عنها، أنظر، الحاج أحمد معنيو، محمد حسن الوزاني تسع سنوات في المنفى، مطبعة الأنباء، 1990، ص 10-53.

³ - Georges Spillmann, *Du protectorat à l'indépendance*, op.cit., p, 87.

⁴ - *ibid.* p, 88

⁵ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية، ج1، مصدر سابق، ص 233.

5. الحركة القومية المغربية و الحرب العالمية الثانية:

عرفت الساحة الوطنية المغربية عشية دخول العالم في الحرب العالمية الثانية، غياب أي نشاط وطني مطلبى فاعل، بعد عزل الزعامة الفعلية للحركة الوطنية و تجميد نشاطها الصحفي، وبفعل الإجراءات الأمنية المرتبطة بدخول العالم في هذه الحرب التي حالت دون استفادة المغرب من حوادث سنة 1937. حيث قامت فرنسا بتجنيد مستعمراتها من أجل مبادئ الحرية، و قد رفضت "الحركة القومية المغربية"، على عكس "الحزب الوطني"¹، تقديم هذا الصك المجاني للسلطات الفرنسية بعد كل ما قامت به من اعتقالات ومحاكمات وإراقة للدماء و إزهاق للأرواح. و معتبرة في نفس الوقت مبادرة الحزب الوطني حركة مهينة في الطيش والتهور ومنافية للعزة والشهامة، وطعنة بالخنجر من الخلف موجهة إلى ضحايا القمع من المعتقلين والمنفيين، و الشهداء الذين أودوا في سبيل الله و الوطن على يد طغمة الاستعمار² و قد برر الحزب الوطني مبادرته بأنها "موقف حكيم و عامل من العوامل التي كفت جميع الشرور و قضت على تأمر المتآمرين و تركت الباب مفتوحا للاستفادة من الظروف سواء لتحقيق بعض المطامح الوطنية أو لتسهيل إطلاق سراح المعتقلين، و بالتالي فقد هيا هذا الموقف الظروف المناسبة لبقاء الموقف الوطني"³، إلا أنه في حقيقة الأمر، و على العكس من ذلك، فقد خلت الساحة الوطنية المغربية من أي تحرك وطني بغض النظر عن طبيعته، فقد تم تجنيد المغرب، كغيره من المستعمرات الفرنسية، من جميع الجوانب لخدمة المجهود الحربي. و لم تستطع الحركة الوطنية تقديم أية مطالب وطنية، أو أن تخلق متاعب من شأنها أن تزعج الفرنسيين⁴، وحتى محاولة الاستفادة من قاعدة "عدو العدو صديق" التي قام بها بعض الوطنيين في الشمال والجنوب باءت بالفشل⁵. و لم تكن "الحركة القومية المغربية" تؤمن

¹ - في 29 أوت 1939 قام وفد الحزب الوطني متكون من محمد الغازي، و أبوبكر القادري و أحمد بن غبريط بتقديم رسالة دعم للمقيم العام يعربون فيها عن تدعيم في "التعاون التريه مع فرنسا في المغرب لتقوية الجهة الفرنسية المغربية" أنظر،

Georges Spillmann, Du protectorat a l'indépendance, op.cit., p, 93.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 5، ص 236.

³ - أبو بكر القادري، سعيد حجي، 1912-1942، دراسة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الجديدة 1979 ص 132.

⁴ - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق، ص 259.

⁵ - قامت الحركة الوطنية بالاتصال بألمانيا للاستفادة منها عن طريق أحمد بلافريج عضو الحزب الوطني المتواجد في الخارج منذ 1937 و قد اقتنع فيما بعد بأن المغرب لا يمكنه أن يستفيد من ألمانيا حتى ولو انتصرت، كما قامت الحركة الوطنية في الشمال

بجدوى التحالف مع كتلة المحور بعد تضاعف النشاط الألماني والإيطالي في منطقة الشمال، واعتبرت ذلك من أجل أهداف إستراتيجية استغلالية لا غير واعتبرت الظرف الدولي غير مناسب للخروج بالقضية المغربية من المجال الفرنسي إلى الميدان الدولي¹.

في 08 نوفمبر 1942 نزلت قوات الحلفاء بشمال أفريقيا، وأصبح المغرب قاعدة عسكرية خلفية للعمليات العسكرية لتحرير فرنسا وأوروبا، ورفض السلطان محمد بن يوسف الانتقال من الرباط إلى مكان آخر (فاس أو مكناس) بطلب من الإقامة العامة²، و زال أي أمل في كتلة المحور لحل الأزمة المغربية ليحل محله الأمل في الحلفاء الذي بدأت بوادره منذ أوت 1941 بعد الإمضاء على الميثاق الأطلسي. وفي جانفي 1943 عرفت القضية المغربية نقلة نوعية كادت أن تخرجها من دائرة النفوذ الفرنسية المعلنة على المغرب منذ 1912، وتدخلها في دائرة النفوذ الأمريكي المتصاعد، بعقد مؤتمر "أنفا"³.

فقد عرفت الحركة الوطنية المغربية انتعاشا كبيرا، ظهرت نتائجه في إعادة طرح القضية المغربية من جديد. ليس فقط على بساط السياسة الفرنسية و لكن حتى الساحة الدولية. و مما زاد في شرعية و ضرورة تحرك الحركة الوطنية في هذه الظروف الحرجة فرنسيا، تحركات أخرى إقليمية وقومية حاولت الاستفادة من نفس الظروف⁴، وقد أدى ذلك إلى انتعاش الحركة الوطنية المغربية من خلال نشاط واضح يختلف عما سبقه من نشاط، ليس من حيث ظروفه فقط، ولكن من حيث بروز عامل جديد تمثل في السلطان محمد بن يوسف الذي أصبح حاميا و

بمبادرة مماثلة ولكن بدون أية نتيجة لأن ألمانيا كانت ترى في حليفها الفاشية إيطاليا الطرف الذي يحل محل فرنسا في قضايا البحر الأبيض المتوسط. أنظر عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق، ص 242.

¹ - ذكر الوزاني الأسباب التي دفعت بألمانيا للاهتمام بالمغرب، بأنها إستراتيجية في حالة السلم و الحرب معا واستغلالية لما تتمتع به جبال الريف من ثروات معدنية. أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج6، مصدر سابق، ص 12.

² - يعد هذا الموقف اختلافا واضحا بين المخزن و الإقامة العامة لأول مرة بشكل صريح و استعراضي، و يعتبر بداية بروز السلطان محمد الخامس في المعادلة الوطنية، والأحداث التي سيعرفها المغرب أثناء و بعد الحرب العالمية الثانية تؤكد ذلك بشكل مثير للانتباه. و سيتم التطرق لدور السلطان محمد بن يوسف لاحقا.

³ - سيتم التطرق لهذه المسألة لاحقا. (بيان الاستقلال 1944)

⁴ - في الجزائر صدر البيان الجزائري في فيفري 1943 كرد فعل لتزول الحلفاء، وفي 10-11-1943 عرفت كل من لبنان و سوريا مظاهرات تطالب بالاستقلال انتهت بنفي الزعيمين رياض الصلح و بشارة الخوري.

منشطا محوريا للحركة الوطنية المغربية انطلاقا من ضمانات أعطيت له من أعلى هيئة في هرم السلطة الأمريكية متمثلة في الرئيس "فرانكلين روزفلت"¹.

و قد أدى هذا النشاط الوطني المتصاعد والمثير للانتباه للحركة الوطنية أثناء الحرب العالمية إلى إصدار ما يعرف بـ "بيان الاستقلال" في شهر جانفي 1944². وبالرغم ما أثير حول رفض الحركة القومية المغربية السير في هذا الاتجاه بعد اقتراح ذلك على زعيمها محمد حسن الوزاني الذي كان مازال في منفاه بـ "ايتزر" بجبال الأطلس الأوسط. و بقدر ما ثبت عدم صحة هذا الإدعاء وثائقيا، فقد ثبت أن التصدع الذي عرفته كتلة العمل المغربي في مطلع سنة 1937 مازال حاضرا بقوة ومؤثرا في العلاقة التي بقيت صدامية بين الحركتين. و ما هذه المحطة سوى واحدة من محطات تغذية هذه العلاقة³.

وبغض النظر عن المحرك و الموجه لهذه المبادرة التي ظهرت في 11 جانفي 1944 في شكل "عريضة الاستقلال"، سواء كان "الحزب الوطني" الذي تحول بفعلها إلى "حزب الاستقلال" أو السلطان محمد بن يوسف الذي برز على مسرح الأحداث الوطنية منذ لقائه بالرئيس الأمريكي الذي وعده بأن "الأمريكيين سيهيئون المغرب للاستقلال، ويحولونه إلى كاليفورنيا أخرى ويؤسسون له مدارس وجامعات لتلقين المغاربة فن حكم أنفسهم بأنفسهم"⁴، أو نتيجة تحالف "قوات المخزن" مع "حزب الاستقلال"، أو نتيجة الظهور المفاجئ لجمعية "قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية مولاي إدريس بفس" كطرف سياسي بادر للمطالبة بالعمل الوطني على

¹ - سيتم التطرق لهذه القضية لاحقا

² - سيتم التطرق لهذا البيان بالتفصيل في الفصل الخامس

³ - يدعي أعضاء حزب الاستقلال أن "الحركة القومية" رفضت السير في مبادرة بيان الاستقلال، أنظر، عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب الجزء الأول (مصدر سابق) ص 269، في حين أثبت محمد حسن الوزاني بالوثائق أنه لم يكن على علم بهذه المبادرة، وأن الاتصال به كان بغرض إعلامه بمشروع مكتمل لا أن يعطي رأيه فيها رغم أنه -حسب رأيه- غير معني بإعطاء رأي في مبادرة قام بها تنظيم لم يكن هو لا من مؤسسيه و لا من أعضائه، أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد، الجزء السادس، (مصدر سابق) ص 166.165 و يصف الحاج أحمد معينو (من قادة الحركة الوطنية) هذا السلوك بأنه مناور سياسي خطيرة ربطت بين مطلب شعبي وطني وهو المطالبة بالاستقلال و من جهة و محاولة إقبار الحركة القومية من جهة ثانية، أنظر الحاج أحمد معينو، ذكريات ومذكرات، ج، 03، 1938-1946، مطبعة سبارطيل ص 115.

⁴ - مقال جاء في جريدة "ميدبل إيست جورنال" الأمريكية في جانفي 1947 الذي عبر عن الاهتمام الأمريكي بالمغرب بعد الحرب

العالمية الثانية. أنظر، Abdelkhaleq Berramdane, *Le Maroc et l'Occident*, Karthala, Paris, 1987, p 65.

غير عاداته¹، فإن هذا كله شكل منعرجا حاسما ومحطة حاسمة من محطات العمل الوطني المغربي منذ الثلاثينات، بالنسبة للحركة القومية المغربية، بعد وضعها أمام الواقع المغربي الجديد في 11 جانفي 1944 بتقديم عريضة الاستقلال للسلطان، وإذا كانت قد رفضت اقتراح حل نفسها والانخراط في الحركة الجديدة المسماة بـ "حزب الاستقلال" فإنها لم ترد أن تترك استحقاقا تاريخيا في مثل هذا الحجم يمر بدون أن تسجل وجودها فيه، ولذلك سارعت إلى استدراك الأمر و قدمت هي الأخرى عريضة الاستقلال بتاريخ 13 جانفي 1944 وحولت تسميتها إلى "الحركة القومية الاستقلالية"²، و قامت بإرسالها إلى كل من السلطان محمد بن يوسف والمقيم العام، والقنصل الأمريكي، والقنصل البريطاني، متضمنة نفس النقاط الأربع التي جاءت في وثيقة 11 جانفي 1944 حتى لا يظهر خلاف في الصيغة مهما كانت المآخذ والملاحظات عليها³ و يعتبر البند الأول من هذه العريضة نقطة تحول بالنسبة للعرائض المقدمة سابقا منذ بداية إرهابات العمل السياسي، نظرا لتضمنه المطالبة صراحة بـ "استقلال المغرب و وحدته الترابية تحت ظل السيادة السلطانية"⁴.

لقد أحدث هذا التحول تأثيرات عديدة مست عدة جوانب، فعلى المستوى الوطني شكل نقلة نوعية في معيارية الحركة القومية المغربية التي تخلت لأول مرة عن المطالبة بالإصلاح لتتبنى مطلباً جذريا راديكاليا دعمته كل تشكيلات الحركة الوطنية المغربية بما فيها الحزب الشيوعي المغربي الذي قامت إدارته بإمضاء بيانات دعم لهذه المبادرة⁵. وعلى مستوى الموقف الفرنسي، و فبالرغم من حدة المطلب فإنه تميز بالتريث في الأول حتى تتفادى فرنسا

¹ - رغم قدم تواجد هذه الهيئة الطلابية منذ مدة طويلة إلا أنه لم يثبت عليها ممارسة لأي عمل سياسي بالعكس سجلت مواقف تعاونية مع الحماية من خلال مشاركتها في المجالس القائمة، وهذا ما شكل مفاجأة ليس فقط بممارستها للسياسة ولكن باتخاذها هذا الموقف "المتطرف" في الحركة المطالبة، وهذا ما طرح تساؤلا عمن وراء هذه الهيئة التي حاولت توحيد الحركة الوطنية في تنظيم جديد تحت اسم "حزب الاستقلال"، أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحررية المغربية، الجزء 06، ظهور الأحزاب و المطالبة بالاستقلال، 1937-1946/02، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1986، ص 93.

² - سيتم التطرق لهذه النقطة بالتفصيل لاحقا في " بيان الاستقلال"

³ - المصدر نفسه ص 119.

⁴ - الحاج أحمد معينو، ذكريات و مذكرات، ج 3 1938-1946 (مصدر سابق) ص 117.

⁵ - Bouaziz, Mostefa, aux origines de la koutla démocratique, op.cit, p62

تخاذلا مثل الذي تعرضت له في الشام وسوريا بعد التدخل الأمريكي البريطاني سنة 1943¹، لكن وبعد اعتبار فرنسا من طرف الحلفاء ضرورة إستراتيجية للانتصار في الحرب، و ما نتج عنه من انضمام رسمي لحكومة فرنسا الحرة بقيادة الجنرال "ديغول" إلى كتلة الحلفاء، قامت فرنسا، وكعادتها، برد فعل عنيف على هذه المبادرة، ولكن هذه المرة بـ "صرامة ديغولية" ذكرت السلطان و الوطنيين المغاربة بما يدين المغرب لفرنسا².

تعتبر عريضة 13 جانفي 1944 آخر نشاط سياسي مطلبى قامت به الحركة القومية المغربية و زعيمها محمد حسن الوزاني كان لا يزال في منفاه بجبال الأطلس الأوسط. و قد سمح لها ذلك بمسايرة التطورات السياسية التي جرت سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي فداخلها و بالرغم من محاولة تهميشها من طرف أتباع علال الفاسي، فإنها سجلت وجودها بعريضة 13 جانفي 1944 الاستقلالية، وبالتالي كانت هي الأخرى محل الإجراءات الردعية الديغولية وخارجيا، و بقدر ما تحفظت بشأن النشاط المحوري في المغرب الذي كان يسعى إلى استمالة المغاربة إلى كتلة المحور، تفاعلت مع نشاط الحلفاء منذ نوفمبر 1942 و مع بنود "الميثاق الأطلسي". إلا أن كل ذلك لم تظهر نتائجه إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

في 08 ماي 1945 انتصر الحلفاء في الحرب، وأصبح المغرب على أبواب مرحلة جديدة بدأها السلطان المغربي بزيارة لباريس في ربيع سنة 1945 للقاء الجنرال "ديغول" ومطالبته بتغيير المقيم العام "بيو"، والحد من سلطة "فيليب بونيفاس"³ الذي كان يدير مديرية "الشؤون السياسية" وإلغاء القوانين الاستثنائية التي تقيد التعليم العربي الإسلامي، وقد حاول السلطان إفهام مضيفيه بأن زيارته لم تكن غاية بحد ذاتها بقدر ما كانت زيارة عمل ذات هدف سياسي محدد، هو الحصول على سلطات حقيقية، ويحمل رسالة مضمونها أن الحماية صيغة انتقالية

¹ - اضطرت فرنسا بعد توقيف كل من الرئيس بشارة الخوري و رياض الصلح و ثلاثة وزراء إلى التراجع و الإفراج عنهم بعد التدخل القوي لبريطانيا الذي افقد فرنسا هيبتها.

² - سيتم التطرق لأحداث " بيان الاستقلال في جانفي 1944 لاحقا.

³ - ارتبط اسم هذا الرجل بالمغرب لمدة اثني عشر سنة (1944-1956) وكان من وراء السياسة الفرنسية في المغرب، آمن بضرورة استعمال كل الوسائل للحفاظ على المغرب و خطط لذلك بمختلف المشاريع كنفى محمد الخامس في أوت 1953 و "الإرهاب الأحمر" و جمعية "الوجود الفرنسي في المغرب"، و أصبح تواجهه بالمغرب أقرب إلى اللغز منه إلى الحقيقة نظرا للسلطة الواسعة التي تمتع بها، فلم يستطع أي مقيم عام الحد منها باستثناء "إيريك لابون" الذي حاول إبعاده عن التأثير على السياسة الفرنسية في المغرب سنة 1946 و لكن بدون الجدوى.

بين ماضي و مستقبل المغرب الذي لا خيار له سوى الحرية والتقدم، وإذا كان مطلب تغيير المقيم العام قد لقي قبولا من طرف ديغول، فإن ما يرتبط بوضع المغرب في المستقبل لم يكن كذلك، فقد اعتبر السيادة مسألة نسبية، ولا يمكن للمغرب العصري الذي أسسه الماريشال "ليوتي" أن يحققها بدون دور فرنسي¹.

و في مارس 1946 عين "إريك لابون"² مقيما عاما جديدا في المغرب، وبدأ في تطبيق سياسة فرنسية جديدة في المغرب للتخفيف من حدة الهوة التي حدثت بين المحمية وفرنسا بعد أحداث مطلع سنة 1944 بإجراءات تهدئة، فعاد علال الفاسي من منفاه بالغبون، و أحمد بلافريج من كورسيكا الذي نفي إليها بعد أحداث جانفي 1944. و مس الإجراء كذلك الوزاني الذي أطلق سراحه في ماي 1946. وبعودة الوزاني من منفاه عرفت الحركة القومية المغربية انتعاشا تجلى في عودة نشاطها المجد منذ سنة 1937.

لقد رجع الوزاني بعد تسع سنوات في المنفى بنظرة جديدة للقضية المغربية و وسائل حل لها أخرى غير التي تبناه قبل ذلك. و قد كان هذا التوجه الجديد نتيجة مراجعة جذرية قام بها الوزاني لمسار الحركة الوطنية منذ 1930. فقد أسقط بصورة نهائية مسألة التعاون مع نظام الحماية لتطوير المغاربة. و أصبحت "الحماية جنائية على الأمة"³. و ظهر جليا أن الحركة القومية المغربية قد انتهت كحركة و كمنظومة فكرية و آليات عمل سياسية. ففي نهاية جويلية 1946 عقدت "الحركة القومية" مؤتمرا بمدينة الدار البيضاء بحضور زعيمها محمد حسن الوزاني للنظر في مصير الحركة، وفي طبيعة الإستراتيجية التي يجب إتباعها بعد المتغيرات التي حدثت مغربا وفرنسيا ودوليا، و قد انتهى ذلك، بتأسيس "حزب الشورى و الاستقلال" كحركة سياسية تمثل هذا الاتجاه⁴.

¹ - الجنرال ديغول، مذكرات، الجزء الثالث، الخلاص، ص 241، الجزء الثاني، الوحدة ص 127، منشورات عويدات، بيروت، 1968.

² - عمل "إريك لابون" قبل هذا التاريخ بالمغرب بين سنتي 1926 و 1928 ككاتب عام للحماية ثم مقيم عام بتونس، تكنوقراطي متخصص في المسائل الصناعية و المنجمية، حاول الظهور بمظهر مخالف للرجل الاستعماري، فتقرب من السلطان ومن الحركة الوطنية، وقام بإجراءات تهدئة في صالحها، أنظر *Spillmann(Georges), Du protectorat..... op.cit, p,126* كما وصف على أنه المقيم الوحيد الذي حمل أفكارا ليبرالية، أنظر *Julien,(Charles –André),Le Maroc..... op.cit, p198*

³ - عنوان دراسة قام بها الوزاني في المنفى سنة 1945 باللغة الفرنسية تحت عنوان " *Le Protectorat Crime De lèse-Nation* ". و بين فيها كيف أن هذا النظام ما هو إلا سياسة استعمارية مقنعة بالشعارات البراقة التي بدأها الماريشال ليوتي و واصلها كل المقيمين الذين جاءوا من بعده بمختلف الوسائل و لكن لنفس الهدف و هو استغلال المغرب و السيطرة عليه و العمل بكل الأساليب لإبقائه متخلفا.

⁴ - سيتم التطرق لذلك في الفصل السادس.

الفصل الرابع :

الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية
من الإصلاح إلى الاستقلال 1944 – 1951

- المغرب و الحرب العالمية الثانية
- انعكاسات الحرب العالمية الثانية على المغرب و المغاربة
- بيان الاستقلال 11 جانفي 1944: من الحزب الوطني إلى حزب الاستقلال.

1 . المغرب و الحرب العالمية الثانية:

1 - 1 موقف السلطان المغربي محمد بن يوسف من الحرب:

لقد كان موقف السلطان محمد بن يوسف من هذه الحرب من أهم القضايا التي طرحت جدالا على الساحة الفرنسية. فمن الناحية الرسمية و العلنية فإن كل ما قام به السلطان محمد بن يوسف كان لصالح دعم و مساندة فرنسا بكل الوسائل السياسية و المادية و البشرية. فقد ذكر سبيلمان أنه عندما كانت فرنسا تعيش أحلك أيامها في شهري ماي وجوان 1940، وعندما كان المغرب بدون مقيم عام، بعدما انتقل الجنرال نوجيس إلى الجزائر منذ سبتمبر 1939 لقيادة العمليات العسكرية لشمال أفريقيا، و عندما فقد أقوى الفرنسيين الأمل في مصير فرنسا صرح السلطان لنائب المقيم العام أنه "... لا خوف على فرنسا فهي البلد الكبير والغني الذي يعرفه جيدا... و معجب بتاريخ الشعب الفرنسي العريق. و إنها لجريمة إذا شك أي أحد في كل هذا... فكل الشعوب في تاريخها تمر بمحن. و لكن حيويتها و قيمها العميقة تظهر في تجاوز كل هذه المحن"¹.

لكن و على العكس تماما من هذا فان هناك من فرنسا الرسمية من اعتبر أن السلطان قام باتصالات مع ألمانيا النازية وسعى بكل جهده للاستفادة منها من أجل تحرير المغرب من السيطرة الفرنسية. و لم تقتصر هذه الاتصالات على إبداء الرغبة في ذلك، ولكنها تجاوزت ذلك لتصل إلى تحضير لوجستيكي للقيام بعمليات عسكرية داخلية بدعم ألماني عن طريق شبكة من العناصر الألمانية والمغربية، التي كانت متواجدة في برلين و في شمال المغرب فحسب هذا الطرح فإن المصالح السرية الألمانية كان لها ملفا كاملا حول هذه العملية. يتضمن كل الخطوات التي اتفق معهم عليها السلطان محمد بن يوسف للقيام بها من إعلان التمرد على المقيم العام إلى الولاء إلى النظام النازي و ما يتصل به من عمليات عسكرية و دبلوماسية². و قد حاول دعاة هذا الطرح إقناع مختلف الأطراف بمضمون هذه المحاولة

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat, op.cit, p94*.

² - يوجد في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية بباريس (Centre des Archives diplomatiques de la Courneuve. Paris) علبة أرشيفية كبيرة تتضمن مجموعة من الوثائق حول مراسلات بين السلطان محمد بن يوسف و السلطات الألمانية بالإضافة مقاطع من الصحافة الفرنسية التي تحدثت عن الموضوع. و تحمل عنوان:

Les relations du sultan avec les allemands pendant la seconde guerre mondiale (Publications dans la presse de documents allemands datant de 1943, saisis après guerre) archives diplomatiques Courneuve, serie " Maroc 1944 - 1995 " 24QO/24 .oct195-sept 1955.

بالوثائق المتبادلة بين الطرفين والصور والأسماء والوقائع، وغيرها من القرائن إلا أن ظرفية الإعلان عنها أفقدتها كل مصداقية. فقد تمت في فترة قمة الأزمة المغربية بين سنتي 1953 و 1955 . و تمت عندما كان السلطان محمد بن يوسف قد تحول إلى محل إجماع وطني ورمز وطني للتحرر من فرنسا. الذي كلفه نفيا لمدة أكثر من سنتين. و عندما كان المغاربة يتناقلون أخبار رؤية زعيمهم الأوحده وسلطانهم المنفي في القمر وكلهم إيماناً بذلك¹. لأنه لم يكن مجرد علوي حل دوره فأصبح ملكاً. بل كان رجلاً كتب له القدر أن يكتب صفحة من التاريخ².

فمن خلال تتبع كل ما يرتبط بالسلطان محمد بن يوسف منذ بداية الحرب، وحتى ما قبلها من تصريحات و مواقف و غيرها، يمكن التأكد بما ليس فيه شك أنه كان مسانداً و مدعماً لفرنسا في هذه المحطة التاريخية. و قد ذكر ديغول في "مذكرات الحرب أن "محاولة اتصال الألمان بالسلطان أمر جد ممكن. و طبيعي جداً من طرفهم. و لكن تحمسه لاتصال مثل هذا و تجاوبه معه أمر غير ممكن إطلاقاً"³. و لذلك لم يتردد في تقليده وسام "رفيق التحرير" فيما بعد ليصبح بذلك الأجنبي الوحيد الذي تحصل عليه⁴. و قد اعتبر سبيلمان أن معرفته بالسلطان تفرض عليه القول بأن "وفاءه لفرنسا بقي ثابتاً من ثوابته وما قيل في بعض الأحيان حول تعامله مع الألمان ما هو إلا أسطورة. أو من شأن حرب الدعاية التي قام بها الأعداء. أو من قبيل المناورة السياسية التي قامت ضده فيما بعد"⁵.

فإذا كان تأييد السلطان لفرنسا في أصعب أيام فرنسا خلال الحرب. فإنه كان استمرارية لمواقف السلطان من فرنسا منذ ظهور بوارد هذا الصراع ففي سبتمبر 1938 و بعد الاضطرابات التي أحدثتها أزمة النمسا صرح السلطان بأنه "مهما حدث في المستقبل، و حتى في حالة الحرب، فإن سلطان المغرب و جميع رعاياه سيقومون قومة واحدة و يكونون بجانب فرنسا"⁶. ولم تمر فرصة تحدث فيها السلطان عن موقف المغرب سلطاناً و مجتمعاً من أي

¹ - محمد العربي المساري، محمد الخامس من سلطان إلى ملك، مصدر سابق، ص 07.

² - المصدر نفسه.

³ - Charles De Gaulle, *Mémoires de Guerre*, 3 tomes, Plon, Paris, 1954-1959, p 127.

⁴ - أورد شارل أندري جوليان في كتابه صورة تقليد الجنرال ديغول هذا الوسام. أنظر:

Charles -André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p155.

⁵ - Georges Spillmann, *Du protectorat*, op.cit, p95.

⁶ - عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية مخاض الأفول 1935-1945، مطبعة آنفو- برانت، فاس، 2014، ص 150.

صراع سينشب، إلا و عبر عن وفائه لفرنسا و بقاءه إلى جانبها. ففي مناسبة المولد النبوي في ماي 1939 صرح عن وفائه و ارتباطه بالعهد الذي يربطه بفرنسا و عدم خيانتة له و لذلك "يمكن للفرنسيين الاطمئنان. فمهما كانت الظروف، بأنهم سيجدون المغاربة بجانبهم و رهن إشارتهم، يحركهم وازع الارتباط بدولة فرنسا المجيدة"¹. وأثناء زيارته السنوية التقليدية لفرنسا لسنة 1939 لم يترك السلطان فرصة إعلامية إلا و تحدث فيها عن وقوف المغرب بكل مكوناته إلى جانب فرنسا. فقد صرح في جوان 1939 أمام الرئيس الفرنسي "ألبر لوبران *Albert Lebrun*" بمساندة فرنسا... في حربها من أجل الحرية والديمقراطية و حقوق الإنسان. و محاربة الأنظمة الشمولية التي تهدد الإنسان في أي مكان...². و في 29 أوت 1939 أصدر السلطان ظهيرا سلطانيا تضمن حالة الطوارئ العامة في البلاد و قد تضمن هذا الظهير تسخير المغرب من جميع الجوانب لخدمة المجهود الحربي الفرنسي. و من خلاله ظهر المغرب و كأنه معني بالحرب أكثر من المجتمع الفرنسي الذي كان مازال في نقاشات حول جدوى الحرب³.

و في 03 سبتمبر 1939 أعلن السلطان أنه "ابتداء من هذا اليوم و إلى أن تتوج راية فرنسا و حلفائها بالنصر يجب علينا أن نمدّها بمعونّة لا تحفظ فيه ولا احتراز، و أن لا نساومها على أي واحد من مواردنا و أن لا نحجم عن أية تضحية"⁴. و بكل هذه المساطر القانونية و السياسية فإن مشاركة المغرب في الحرب بالنسبة للسلطان هي مع فرنسا و حلفائها و لم تكن هذه المشاركة بالنسبة له رمزية أو للمجاملة. و لكنها كانت قضية مبدأ باختيار المغرب "معسكر الديمقراطية" ضد "معسكر الديكتاتورية". و في برقيته التضامنية التي أرسلها لرئيس فرنسا مباشرة بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية أعلمه أن المغرب بجانب فرنسا مغنويا و ماديا. و قد كان لهذا الدعم المبدئي تأثيره على هذا الرئيس الذي أعلمه بذلك الموقف النبيل و المساعدة الثمينة التي كانت فرنسا في أمس الحاجة إليها في تلك الظروف⁵. و لتأكيد هذا الدعم المطلق لفرنسا في هذا النزاع توجه السلطان محمد بن يوسف

¹ - عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية، مرجع سابق، ص ، 150.

² - المرجع نفسه ، ص 151.

³ - المرجع نفسه ، ص 151.

⁴ - المرجع نفسه ، ص 152.

⁵ - المرجع نفسه ، ص 154.

إلى المغاربة ليطلب منهم اتخاذ نفس سلوكه.و ذلك في خطابه التاريخي لهم الذي تضمن سردا تاريخيا للعلاقات التاريخية المغربية الفرنسية.و إنجازات فرنسا في المغرب.و "...الوحدة التي جمعت الشعبين الفرنسي و المغربي أيام الرخاء و الاستقرار و من الطبيعي،و من الضروري أن تبقى كذلك أثناء الشدة و الأزمات..."¹.و قد أرسل هذا الخطاب إلى كامل أنحاء المغرب السلطاني و الخلفي.فقرأ في المساجد و في الأسواق و نشر في كل الصحف.و تحول إلى مرجعية شرعية اعتمد عليها العلماء و الفقهاء في الحث على التجنيد إلى جانب الجيش الفرنسي في هذه الحرب².و شهدت المدن المغربية الساحلية تعبئة كبيرة ظهرت في السفن العسكرية التي كانت تنقل المجندين و المتطوعين إلى جبهات القتال في أوروبا³.

1 - 2 موقف الوطنيين المغاربة من الحرب :

ذكر روم لاندو في كتابه "تاريخ المغرب في القرن العشرين" أنه عشية الحرب العالمية الثانية كان ممكنا للوطنيين المغاربة أن يتقدموا بمطالب وطنية.أو أن يخلقوا متاعب كبيرة من شأنها أن تزعج الفرنسيين،و لكنهم التزموا بما التزم به السلطان محمد بن يوسف في عدة خطابات حول موقف المغرب مجتمعا و سلطة من هذه الحرب⁴.و اعتبر "دو غلاس آي آشفورد *Douglas E. Ashford*" في كتابه "التطورات السياسية في المغرب" أن السياسة الفرنسية عشية الحرب اتجهت للمغرب عامة والوطنيين خاصة عرفت تلطيفا وتخفيفا نظرا لتأثرها بما قدمته السلطات الإسبانية للوطنيين في المنطقة الشمالية. لذلك "جرت بعض الإنجازات على يد جماعة إصلاحية مسلمة التي كانت في مصلحة الحزب"⁵.و كتب شارل أندري جوليان أنه وبالرغم من "...حقد الوطنيين على سلطات الحماية،و بالرغم من الدعاية الخارجية التي كان نوجيس يتحدث عنها مرارا، فإنه لم يقم هؤلاء بأي سلوك من شأنه الإضرار بالمصالح الفرنسية في

¹ - عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية، مرجع سابق، ص 155.

² - قام أعيان مدينة فاس من الوجهاء و علماء القرويين بزيارة حاكم الجهة في 4 سبتمبر 1939 و عبروا له عن وحدة سكان فاس وراء فرنسا.و أعلموه عن إقامتهم الصلوات و الدعاء بجامع القرويين لنصرة فرنسا.أنظر: عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية مخاض الأفول 1935-1945، مطبعة آنفو- برانت، فاس، 2014، ص 156.

³ - بتاريخ 04 سبتمبر 1939 عرف ميناء طنجة الدولي اكتظاظا بالمتطوعين قدر عددهم أكثر من ستة آلاف في يوم واحد و قد جرى ذلك في مهرجان عرفته المدينة من خلال استعراضات عسكرية حيث عزف النشيدان الفرنسي و الشريف. أنظر: عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية، مرجع سابق ص 152.

⁴ - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق ص 259

⁵ - دو غلاس آي. آشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، مصدر سابق ص 63.

المغرب...¹و بالعكس عبروا عن التضامن الفرنسي المغربي و توحدوا مع فرنسا أمام الخطر الذي كان يهددها².

و قد يكون من وراء اعتقاد هؤلاء حول سلوك الوطنيين "الإيجابي" عشية الحرب إزاء فرنسا ما قام به مجموعة من قادة الحزب الوطني من خلال الاستجابة لمبادرة المقيم العام نوجيس التي كانت تراجعاً عن ميثاق 13 أكتوبر 1937³. إلا أنه وبالرغم من ذلك، فإن هذه المبادرة بحد ذاتها كانت محل نقد و لوم ضمنيين غير مصرح بهما، من طرف القيادة التاريخية للحزب المنفية و المتمثلة في علال الفاسي الذي اعتبر هذه "...اللباقة التي ظهر بها مسيرو الحزب الوطني لم تكن متناسبة مع سياسة الحرب التي اتبعتها الجنرال نوجيس. و التي كانت سياسة القمع و إعلان الأحكام العرفية و اتهام الأبرياء و التخوف من الشخصية التي ظهر بها جلالة الملك..."⁴. أما عبد الكريم غلاب فقد كان رفضه لها صريحا و مباشرا، بتقييمه لها بأنها لم تكن مجدية عند هذا الجنرال الذي كان يرى "أنه سحق أنصار علال الفاسي بقدميه. وأن كل تفاهم مع الوطنيين إنما يزيدهم قوة و نفوذا"⁵. و لذلك وجد هؤلاء "المعتدلين" صعوبة في اختراق هذه الصعاب التي كانت في اتجاهين، أولا في تغيير ثابت من ثوابت السياسة الفرنسية الاستعمارية في المغرب، والمتمثل في قمع النشاط الوطني بمختلف أشكاله منذ 1912. وثانيا في إقناع ما بقي من قادة الحزب في الداخل والخارج بدون اعتقال، أو تم إطلاق سراحهم قبيل اندلاع الحرب. فإذا كان خلق المتاعب صعبا جدا زمن السلم فكيف به زمن الحرب؟⁶و بالتالي فإنه عند اندلاع الحرب العالمية كانت الحركة الوطنية المغربية سواء أكانت "حزبية" أو "قومية" في جمود تام من جهة. ومن جهة أخرى تم التسخير الكلي للمغرب

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p188.

² - Ibid

³ - تم التطرق لهذه المبادرة أسباب و مسارا و نتائجها في الفصل الخاص بالحزب الوطني سابقا.

⁴ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 266.

⁵ - ذكر عبد الكريم غلاب أن الجنرال نوجيس بعد أحداث 1937 و ما تبعها من اعتقالات و قمع جمع أعيان مدينة فاس في ساحة التجارين التي كانت تقع في قلب المدينة العتيقة. و قرية من ضريح مولاي إدريس فاتح المغرب و أعلن أنه قضى على علال الفاسي و أنصاره و سيسحقهم تحت قدميه و رفع حذائه العسكري ليؤكد بالإشارة ما كان يقوله بالكلمة. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج، مصدر سابق ص 233.

⁶ - ذكر عبد الكريم غلاب أن الوطنيين قاموا بحملة مضادة لتجند المغاربة في الحرب بدون فائدة. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج، مصدر سابق ص 238.

والمغاربة في هذه الحرب تلبية لنداء السلطان¹. و بنفس المقاربة و لكن من الطرف الفرنسي الاستعماري ما جاء به سبيلمان الذي ثمن قمع نوجيس للمغاربة. و اعتبر هدوء المغرب عشية الحرب ثمار سياسة الجنرال نوجيس². فعندما اندلعت أولى الأعمال العسكرية للحرب العالمية الثانية كان المغرب هادئا و لصالح فرنسا³.

و يعتبر ما ذكره محمد حسن الوزاني حول المغرب و الحرب العالمية الثانية تحليلا واقعيا و صحيحا إلى حد كبير. لأنه قدم وصفا دقيقا لموقف الوطنيين المغاربة إزاء هذه الحرب و يبدو أن مرد ذلك هو أن الحركة القومية المغربية التي كان يتحدث باسمها لم تقم أي سلوك مرتبك اتجاه سلطات الحماية. أو أي موقف آخر من شأنه أن يجعل الوزاني في موقف الدفاع و التبرير. فقد اعتبر أن رجال هذه الحركة ثبتوا داخل السجن وخارجه واستشهد عدد منهم على عكس الحزب الوطني الذي قام بتلك المبادرة. و لذلك هاجم الوزاني هذا الحزب هجوما عنيف واصفا إياه بكل الأوصاف و النعوت، التي أقل ما يقال عنها أنها تتنافى مع التاريخ النضالي لهذا الحزب. مثل قوله بـ "...الإفتيات (الزور و البهتان) على الوطنية الصادقة و الممثلة في المخلصين الأوفياء الذين كانوا في جحيم المعتقلات... وطعنة خنجر من الخلف لضحايا القمع و من المعتقلين و المنفيين و الشهداء الذي أدوا في سبيل الله و الوطن"⁴. و لم يعتبر مبادرتهم من أجل المغرب و المغاربة و لكنها كانت لخير فرنسا و صالح الفرنسيين⁵. و بنفس الحدة و الوصف اعتبر الوزاني سياسة الحديد و النار للجنرال نوجيس من وراء هدوء المغرب عشية الحرب لأنه كان الجلاذ و السفاح الذي كان ممثلا للطغمة الاستعمارية الفرنسية و تعجب سبب التعاون مع هذا "الإرهابي و الجلاذ السفاح"⁶. الذي لا يمكن أن يغطي طابعه

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج، مصدر سابق ص 238.

² - Georges Spillmann, *Du protectorat, op.cit.*, p93.

³ - *Ibid.*

⁴ - تأثر الوزاني كثيرا باستشهاد شاعر الحركة الوطنية المغربية محمد القري الذي كان أستاذا بجامعة القرويين و كان أخطب الرجال أثناء أحداث سنة 1937 و نظرا لقصائده المؤثرة في الأوساط الشعبية أثناء المظاهرات تم اعتقاله و تحويله إلى أخطر معتقل بكوليمة بتايفالالت بالصحراء و قد وصف الوزاني إستشهاد تحت العذاب بقوله "كان ضعيف الحالة بسبب عدم الأكل منهك القوى خائر الجسم و قد اشبعوه ضربا ثم حملوه صريعا إلى الخارج و وضعهوه في بيت مظلم من دون غطاء و عندما عادوا إليه في الصباح وجدوه ميتا "محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج05، مصدر سابق، ص153

⁵ - المصدر نفسه 236.

⁶ - المصدر نفسه 237.

القمعي الذي تجسد جزء منه في "ما تحمله الوطنيون من تضحيات بالدماء، و الأرواح و صحة الأجسام، و هناء العيش"¹

و قد استشهد الوزاني في هذا السياق حتى بما جاء به علال الفاسي حول حقيقة السياسة الاستعمارية. ليس بغرض تأكيد طرحه و لكن لإظهار تعجبه مما ورد من طرف الفاسي و مقارنته مع مبادرة الحزب الوطني الذي يعتبر قائده². ليتساءل عن مبررات إرسال وفد من الحزب الوطني للجنرال نوجيس بغرض "التضامن و التعاون" و واقع سياسة الحماية هو القمع و القهر و سجن مئات الوطنيين و التنكيل بهم. و لم يتردد الوزاني في اعتبار كل هذه السلوكات نكوصا و خذلانا للوطنية و الوطنيين. خاصة و أنه هو و مجموعة كبيرة من أتباعه كانوا من بين هؤلاء الذين ساهموا في أحداث 1937 و تعرضوا لقمع سلطات الحماية³.

بالرغم أن ما جاء به الوزاني يعتبر صحيحا من الناحية التاريخية على الأقل. و ليس من دليل صادق يؤكد ما ذهب إليه مثل نكران بعض قادة الحزب الوطني هذه المبادرة و اعتبارها مساسا بمكاسب "ثورة المدن" منذ مطلع الثلاثينات. كما هو الحال بالنسبة لأبي بكر لقادري و عبد الكريم غلاب و عبد الله إبراهيم و غيرهم. و لكن الوزاني استعمل هذه المسألة في سياق الخلاف الذي دخل فيه منذ مطلع سنة 1937 مع الفاسي و جماعته حول قضية تأسيس أول حزب في المغرب السلطاني. خاصة و أن هذه القضية، أي مبادرة التقرب من الإدارة الفرنسية من طرف مجموعة من قيادي الحزب الوطني بعد أحداث 1937، جاءت قريبة جدا زمنيا من الخلاف الذي كان قد مر عليه أقل من سنة. و بالتالي فإن مهاجمة الوزاني لهذه المبادرة و لمبادرات أخرى قامت بها جماعة علال الفاسي فيما بعد جاءت في هذا السياق. أي كشف كل ممارسة قامت بها جماعة علال الفاسي كهيئة أو كأفراد⁴. وذلك من أجل إقناع الرأي العام المغربي، و حتى العربي، بشرعية الوزاني التاريخية والسياسية بالنسبة للحركة الوطنية

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج05، مصدر سابق، ص234.

² - ذكر الوزاني مقطعين مطولين مما جاء في كتاب "الحركات الاستقلالية" لعالل الفاسي. الأول متعجبا مما قاله علال الفاسي و ما قام به وفد الحزب الوطني. و الثاني حول ضعف الموقف المغربي أما المقيم العام الجنرال نوجيس. أنظر: محمد حسن الوزاني مذكرات ج05، مصدر سابق، ص237-238.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج05، مصدر سابق، ص239.

⁴ - حدثت نفس القضية في سنة 1947 عندما شارك أعضاء من حزب الاستقلال الذي يعتبر الامتداد التاريخي للحزب الوطني في مجلس شورى الحكومة و كانت هذه المشاركة محل نقد و استنكار في تلك الظروف التاريخية. أنظر: عز العرب محمد حسن الوزاني حدثني والذي، مصدر سابق ص 254.

المغربية مقارنة مع آخرون. و قد كانت هذه المعركة من بين المحاور الأساسية لكل تحركات الوزاني، والحركة القومية ثم حزب الشورى و الاستقلال فيما بعد ، بصورة عامة ليس أثناء فترة الحماية بل حتى فيما بعدها. كما كانت هذه الظاهرة ملازمة لتاريخ المغرب¹ فمعارضة الوزاني لهذه المبادرة مؤسسة من الناحية التاريخية و لكنها كانت بأبعاد سياسية على المدى القريب و حتى البعيد².

1- 3 الدعاية المحورية في المغرب:

لقد كان الموقف المغربي من الحرب العالمية حركة وطنية و سلطانا و مجتمعا مهما بالنسبة لباريس. لأن بقاء موازين القوى لصالحها كان مرتبطا بوحدة "شمال أفريقيا الفرنسي". فقد كان هذا الأخير محل دعاية ألمانية و محورية مكثفة منذ نجاح هذه الأنظمة في برلين و روما. و قد ازدادت تخوفات فرنسا من ارتقاء "المغرب المحمي" في حضان الأنظمة الجديدة أكثر من غيره بالنسبة لفرنسا مقارنة مع بقية المستعمرات التي كانت محل هذه الدعاية. لأنه ابتداء من سنة 1936 عرف تحولا جذريا في شماله. فقد أصبح هذا الأخير "فرانكويًا" بامتياز فمنه انطلقت حركة فرانكو³. و كان لهذه المعطيات الجديدة تأثيرات سلبية كبيرة على فرنسا. فقد أصبحت تجاور نظاما مساندا للمحور أوربيا و حتى أفريقيا. كما كان للسياسة الليبرالية الجديدة لفرانكو في "المغرب الخلفي" تأثيرات كبيرة على "المغرب السلطاني". و قد كان هذا التأثير متمثلا في السماح لعبد الخالق الطريس و جماعته بتأسيس "حزب الإصلاح"، و السماح للوطنيين بتولي بعض المناصب الوزارية، مثل وزارة الأحباس التي

¹ - من أهم مظاهر مرحلة ما بعد استقلال المغرب اضطهاد الشوريين و أتباع الوزاني. و يعتبر كتاب دار بريشة أو قصة مختطف الذي ألفه أحد الشوريين (نسبة إلى حزب الشورى و الاستقلال الذي أسسه الوزاني سنة 1946) و هو التجكاني المهدي المومني من أهم أدبيات هذا الاضطهاد.

² - بقي السجل السياسي مستمرا بين الطرفين و الذي ظهر في عدة محطات من تاريخ الحركة الوطنية المغربية. و تظهر كتابات كل طرف مظاهر هذا التصادم و رفض كل طرف للآخر. فكتابات علال الفاسي و عبد الكريم غلاب و أبو بكر القادري و غيرهم تناولت هذا. و في المقابل كانت كتابات الوزاني و محمد معينو و الشرايبي و عبد الهادي بوطالب كذلك.

³ - كانت مشاركة الجيوش المغربية في الحرب الأهلية الإسبانية حاسمة و مؤثرة جدا حتى انه قيل أن لولا المغاربة لكان هناك تاريخ آخر لإسبانيا. و قد قال أحد أكبر القادة العسكريين و هو الجنرال "فاريلا Varela" أنه يفتخر بأن يكون على رأس هؤلاء المحاربين الذين يستطيع أن يفتح بهم العالم. و للتعرف على كل ما يرتبط بهذه المشاركة المغربية في الحرب الأهلية الإسبانية يمكن العودة لكتاب الإسبانية : مارية روسا دي ماداريغا، مغاربة في خدمة فرانكو، ترجمة كثر الغالي، تقديم محمد العربي المساري، منشورات الزمن، سلسلة ضفاف، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2006.

تولاها الطريس نفسه، ومطالبة المغاربة بالتظاهر والاحتجاج تضامنا مع الجنوب، وذلك بعد قمع سلطات الحماية الفرنسية لوطنيي المغرب السلطاني في أكتوبر 1937. حتى وصلت "الجرأة الفلانجية" إلى حديث زعيمها عن مشروع الاستقلال الداخلي لهذه المنطقة. الذي لم يتحقق أبداً. فقد تجاوز هذا التأثير المسألة المغربية في شقها الداخلي لتصبح أكثر خطورة بالنسبة لباريس عندما سمح النظام الفلانجي لحليفه النازي القيام بحملة دعائية واسعة في الشمال المغربي لقلب موازين القوى التقليدية في إفريقيا الشمالية، و تحويلها لصالح كتلة المحور في حالة قيام نزاع مسلح، الذي كانت كل المؤشرات تشير إلى قرب حدوثه و قد بدأت هذه الحملة مباشرة بعد نجاح فرانكو في حرب ضد الحكومة الجمهورية. ففي 1936 أذاعت راديو برلين نبأ انتصار فرانكو في حربه ضد الجمهورية و أعلنت أن ألمانيا استرجعت نفوذها في المغرب الذي فقدته في مطلع القرن العشرين. و أن المصالح الألمانية في المغرب ستصبح ضخمة على جميع الأصعدة. ففي المجال الاقتصادي سمح لها نظام فرانكو باستغلال النحاس الذي كانت بحاجة إليه لاستكمال قوتها العسكرية¹. و قد كانت مدينة طنجة منذ بداية حركة فرانكو، و بحكم نظامها الدولي، مجال حيويًا للكثير من الجواسيس الألمان الذي ساعدوا القوات الفرانكوية بالتخطيط و الاستخبارات المعلوماتية².

و بالرغم من كثافة الأنشطة الدعائية النازية والفاشية عشية الحرب العالمية الثانية في منطقة المغرب العربي عامة³. فإنه لم يظهر أي تأثير على الوطنيين في المغرب السلطاني. الذين لم ينقادوا لهذه الدعاية في أولها و لم يتجاوبوا معها كثيرا في هذه الفترة. و لم يظهر آثار ذلك في أدبياتهم، سواء أثناء عمل كتلة العمل المغربي، أو في نطاق الأحزاب بعد تأسيس كل من الحزب الوطني و الحركة القومية. و يمكن تفسير ذلك بالآمال التي أحيتها الجبهة

¹ - مارية روسا دي ماداريغا، مغاربة في خدمة فرانكو، مرجع سابق، ص 102.

² - كان هناك بعض الألمان الذين استقروا في طنجة منذ الأزمة المغربية لسنة 1905-1906 و بقوا على اتصال بالمصالح السرية الألمانية التي أحييت نشاطهم بعد استيلاء هتلر على السلطة سنة 1934. و منهم المستعرب الألماني "أدولف لانجهايم" الذي استقدم الكثير من العناصر المخبرية الألمانية لمنطقة الشمال و أسس مع "كارل شليشطينغ"، وهو ألماني متشبع بالفكر النازي، القواعد الأولى للدعاية النازية في المغرب. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 04، مصدر سابق، ص 244.

³ - لم ينل موضوع الدعاية التي روجتها كتلة المحور في العالم العربي الإسلامي عامة لا عشية الحرب و لا أثناءها حقه من الدراسات التاريخية. أنظر: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 391.

الشعبية بعد توليها السلطة في باريس في ماي 1936¹. فقد فتح اليسار الفرنسي في المغرب و حتى في الجزائر و تونس، آفاقا سياسية جديدة لم تسمح للدعاية النازية أن تجد لها آذانا صاغية لها في هذه المرحلة. فالوطنين المغاربة تذكروا ما قامت به ألمانيا أثناء الأزمة المغربية لسنة 1905 ثم 1911 عندما استعملت المغرب للظهور كقوة "أور و متوسطة" و الحصول على مستعمرات أفريقية. فهم ما زالوا يتذكرون خطاب غيوم الثاني بمدينة طنجة سنة 1905 المؤيد لاستقلال المغرب و لكنه في النهاية انتهت المسألة المغربية بتأكيد الحماية المزدوجة عليها و تراجعت ألمانيا أمام التسوية التي سمحت لها بالحصول على مستعمرة الكونغو بعد حصول ما يعرف بأزمة أغادير سنة 1911. بل بالعكس من ذلك فقد جاء في أدبيات الحركة الوطنية المغربية محاولة القيام بثورة مضادة إفشال تجربة فرانكو في مهدها².

إذا كان النشاط الدعائي النازي و الفاشستي قد بدأ منذ منتصف الثلاثينات تماشيا مع ما كانت تعرفه أوروبا من تطورات. فإنه قبيل الحرب العالمية الثانية زاد في حدته. فقد تحول هذا النشاط إلى عمليات مرافقة للنشاط العسكري بل قد سبقته في الكثير من الأحيان. خاصة و أن هذه الدعاية وجدت لها من الزعماء العرب مؤيدين و مدعين و منشطين لحملات دعائية لصالح "الرايخ الثالث"³. و من أهم مظاهر هذا النشاط "حرب أمواج الأثير"⁴. التي كانت من أهم الوسائل الدعائية لكتلة المحور و حتى دول الحلفاء. و من أهم المحطات الإذاعية التي أنشأتها ألمانيا النازية راديو "برلين" (زوسن)، و راديو "شتوتغارت". و كان من ضمن العاملين في هذه المحطات يونس بحري من العراق و تقي الدين الهلالي من المغرب⁵ الذي كان لاجئا في

¹ - تم التطرق لهذه المسألة سابقا.

² - يذكر محمد حسن الوزاني تفاصيل لقاءات سرية تمت بينه مع مجموعة من الوطنيين و بين ممثلي الحزب الاشتراكي الفرنسي و بعض الإسبانيين الجمهوريين في أوت 1936 أي أقل من شهر بعد نجاح الانقلاب العسكري في مدريد من أجل التنسيق لضرب نظام فرانكو في المغرب و إفشاله قبل تمكنه. و قد تم التطرق لكل التفاصيل السياسية و العسكرية و الإعلامية لهذه العملية المضادة. و لكن هذا لم يتم بعد رفض الجبهة الشعبية للمخطط. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج4، مصدر سابق ص247-254

³ - من أهم الشخصيات التي سارت في فلك ألمانيا النازية مفتي القدس الحاج أمين الحسيني و شكيب أرسلان الذي عين مستشارا تقنيا للرايخ الألماني مكلف بالدعاية في البلدان العربية. أنظر: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي... مرجع سابق، ص396

⁴ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص391.

⁵ - يعرف محمد تقي الدين، كنيته أبو شكيب لأنه سمي أول ولد له على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان. ولد سنة 1893 يتايلت جنوب المغرب فقد كان والده وجده من فقهاء تلك البلاد. درس العلوم الدينية في واحة تافيلالت ثم انتقل إلى مصر لمواصلة تعليمه الجامعي و التقى بالشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد الرمالي. و بعد أدائه فريضة

ألمانيا و قد انتقل أثناء الحرب إلى شمال المغرب لإقناع المغاربة بضرورة الوقوف إلى جانب ألمانيا. كما كان الطريس من المعلقين في الإذاعات الألمانية¹.

و ذكر الوزاني أن "فيرنون بارليط" رئيس تحرير جريدة "نيوز كرونيكل" الإنكليزية و كان من عمالقة الصحافة الإنكليزية كتب في مطلع سنة 1938 مقالا هاما عن أسباب اهتمام ألمانيا بـ "المغرب الإسباني" الذي اعتبره أكثر من اهتمامها بإسبانيا. و قد أرجعه إلى أهمية المغرب الإستراتيجية. فالمتحكم فيه يتحكم في مضيق جبل طارق الذي يعتبر حيويا بالنسبة للملاحة العالمية منذ مدة طويلة جدا. و قبول بريطانيا بسيادة إسبانية عليه لإبعاد فرنسا عن هذه المكانة. وكذلك لإفشال أية محاولة فرنسية لتأسيس جيش من المغاربة يمكن الاستفادة منه أوروبا في حالة الضرورة الحربية. و بقاءه تابعا لفرانكو ضمان لبقائه تابعا له. فحتى إذا زال حكمه في شبه الجزيرة الأيبيرية فإنه سيبقى في شمال المغرب لأن الجمهوريين الإسبان لن يغامروا بإرسال جيش لاسترداد منطقة انطلقت منها حركة فرانكو. فقد ذكرت المؤرخة الإسبانية "مارية روسا دي ماداريغا *Maria Rosa de Madariaga*" في كتابها "مغاربة في جيش فرانكو" أن "مشاركة الجيوش المغربية خلال الحرب الأهلية الإسبانية إلى جانب فرانكو شكلت عاملا مؤججا ومرسحا للصورة المرعبة و المتجذرة سلفا في المتخيل الاجتماعي لدى الشعب الإسباني. فقد تركت تلك المشاركة تلك النظرة ملتهبة مع مرور الزمن"². و أخيرا فإن ثروات جبال الريف المعدنية خاصة المنغنيز والحديد، من شأنها القفز بالصناعات الألمانية الثقيلة إلى الأعلى في وقت كان لزاما على فرانكو أن يدفع لصديقه هتلر مقابل معونته له أثناء الحرب الأهلية³.

وقد اثر كل ذلك على باريس بفعل هذه الدعاية ففقدت شعورها بالأمن والاستقرار في "المغرب السلطاني" بالإضافة إلى خسارتها الواضحة في موازين القوى. و قد قال أمريكي في

الحج سافر غلى الهند و درس عند الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. و منه انتقل إلى العراق حيث بقي ثلاث سنوات. و عاد لتدريس في الهند و تعلم اللغة الإنجليزية و تحكم فيها. ثم انتقل إلى جنيف و إقام عند صديقه الأمير شكيب أرسلان و قد كانت له رغبة بمواصلة تعليمه في بريطانيا و لكنه لم يتمكن فأرسله الأمير شكيب أرسلان إلى ألمانيا حيث تحصل فيها على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي سنة 1940. و يبدو أنه في هذه الفترة استغلته المصالح النازية للقيام بحملات دعائية للعرب تأيدا لهتلر نظرا لتحكمه الكبير في اللغة الألمانية بإضافة إلى العربية. توفي سنة 1987

¹ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 395.

² - مارية روسا دي ماداريغا، مغاربة في خدمة فرانكو، مرجع سابق، ص 11.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 06، مصدر سابق ص 10.

حديثه عن الوطنية المغربية أنه "قليلون من هم الذين استطاعوا أن يفهموا أن المغاربة بسبب كرههم للسيطرة الفرنسية أمكنهم أن يكونوا مؤيدين للألمان ثم للأمريكيين مع بقائهم منطقيين مع أنفسهم"¹. أما لندن فإن خسارتها ليست بالهينة في حال نجاح الدعاية الألمانية لأنها ستفقد سيطرتها على مضيق جبل طارق. وبالتالي منفذا هاما من منافذ مثلثها الإمبراطوري الذي لطالما حافظت عليه منذ القرن الثامن عشر². و لذلك اقتنع مفتي القدس الحاج الأمين الحسيني بأنه في أقصى الحالات لن تكون ألمانيا أقل من إنجلترا استعمارا و احتقارا للعرب³. بعد سقوط فرنسا في جوان 1940 انتقل النفوذ الألماني في المغرب من الدعاية الأثرية و الدعوة إلى التمرد عن فرنسا إلى محاولات فعلية قام بها عدد من الوطنيين المغاربة للاستفادة من الانتصارات الساحقة التي حققتها الجيوش الألمانية في البر و البحر و في أوروبا و خارجها فقد تحقق ما رده مرارا شكيب أرسلان في الإذاعات الألمانية أن "المسلمين لم يكونوا يدركون ضعف الفرنسيين و الإنجليز ولو كانوا كذلك لكانوا قد حرروا أنفسهم منهم منذ مدة طويلة". و هلل آخرون لشعوب شمال أفريقيا بنصر قريب على يد الألمان لأن "...الله قد بعث الألمان لينتقموا للشمال أفارقة... و إن الله سيزيل ظلم الفرنسيين بانتقام الألمان لكل العرب في المغرب و المشرق... و لذلك ستحرر شعب شمال أفريقيا من السيطرة الفرنسية" و "ستحرر مساجين المغرب، الذي يحظون بعناية خاصة، و سترجعهم إلى ذويهم"⁴. و من أهم محاولات الوطنيين المغاربة من المنطقة السلطانية الاستفادة من ميزان القوى الجديد ما قام به أحمد بلافريج الأمين العام للحزب الوطني لتحقيق المطالب الذي كان متواجدا في الخارج منذ 1937 و لم تمسه إجراءات السجن أو النفي في تلك الأحداث. فقد تنقل بين فرنسا و سويسرا و إسبانيا و مدينة طنجة و أثناء هذه التنقلات اتصل ببعض الألمان

¹ - مارية روسا دي ماداريغا، مغاربة في خدمة فرانكو، مرجع سابق، ص 11.

² - تعتبر نظرية "المثلث الإمبراطوري" من أسس النظرة الاستعمارية البريطانية التي سطرها كل من ديزرائلي و وليام غلادستون و التي جعلت من مناطق نفوذها في شكل مثلث رأسه جزر الآير في أوروبا و قاعدته تمتد من الهند إلى البحر الأبيض المتوسط. و لذلك كانت مصر محمية بريطانية و جزيرة الخضراء في مضيق جبل طارق بريطانية و مضيق باب المندب كذلك. و قد الصحفي البريطاني أن كل من فرنسا و بريطاني دفعتا ثمن عدم مساعدتهما للحكومة الإسبانية الشرعية بالسلاح. أنظر:

Marcel Merle, *L'Anticolonialisme européen, de Las Casas à Karl Marx. Textes choisis et présentés par Marcel Merle*, Armand Colin, paris, 1969.p 237,342.

³ - زهير المارديني، فلسطين و الحاج أمين الحسيني، دار إقرأ للطباعة و النشر، بيروت 1986 .

⁴ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 396.

ليتعرف على مشاريعهم الخاصة بالمغرب. و قد تأكد أن هذه المشاريع ليست ذات وجهة تحريرية بقدر ما هي مشروع استعماري جديد لتصفية تركات الحرب وفق ما تم الاتفاق حوله بين هتلر و موسيليني¹. فقد اعتبر علال الفاسي أن مهمة بلافريج كانت تتمثل في "تحسس الاتجاهات المحورية، فلم يتغرر بمواقف بعض زعماء العرب ولا ببعض دعايات الأجانب"². وهكذا فقد اعتبر جوليان أن مهمة بلافريج في برلين كانت التعرف على النوايا. أكثر منها انخراط في المسعى النازي و خدمة لهتلر. " فالمغاربة كانوا يأملون في انتصار ألمانيا بدون أدنى شك. و لكن هذا لم يدفع بالوطنيين إلى الانخداع في المنظومة الهتلرية العنصرية. لذلك لم تجد لها أي حليف لها في المغرب السلطاني"³. في الوقت الذي تحول الكثير من الفرنسيين إلى "وطنيين بيتانيين" (نسبة للماريشال بيتان)⁴. إلا أن ذلك لم يرقم به الوطنيين المغاربة بما فيهم في المنطقة الخليفية. فعبد الخالق الطريس تعددت زياراته العلنية و السرية لبرلين و استقبله أقرب المقربين لهتلر و لكنه اكتشف بمرارة أن المشروع الجديد للمغرب موجود في روما عند موسيليني. و لن يكون إلا مستعمرة حسب الطموحات الاستعمارية للفاشية الإيطالية التي بدأت تنفيذها سنة 1935 من الحبشة⁵. أو إلحاقا بشبه جزيرة إيبيريا لإرضاء التطلعات الجديدة لفرانكو. و لذلك لم يتحمس محمد مكي الناصري زعيم الحزب الآخر في المنطقة الشمالية المتمثل في "حزب الوحدة المغربية" لأي تقارب مع ألمانيا. فقد بقي متمسكا بمطالبه الاستقلالية و لم يرقم بالمغامرة "الطريسية"⁶.

و بالرغم من هذا الإجماع المغربي حول حقيقة الدعم المحوري للمغاربة فإن هناك من فكر أكثر من مجرد الاستفادة السياسية من كتلة المحور. فقد ذكر عبد الكريم غلاب محاولات مسلحة قام بها بعض الوطنيين للتخلص من الاستعمار الفرنسي. و بالرغم من فشلها فإنها أدخلت الرعب لدى سلطات الحماية لأنها ذكرتهم بمغاربة قاوموا الاستعمار الفرنسي في

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 242.

² - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 266.

³ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p189.

⁴ - Ibid.

⁵ - ذكرت بعض المصادر أن عبد الحاق الطريس استقبلته خلية هتلر " إيفا براون " التي نقلت له رسالة هتلر بضرورة الذهاب لموسيليني بروما لأنه مستشاره في شؤون إفريقيا الشمالية.

⁶ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p189.

الريف و في مختلف المناطق المغربية¹.و لذلك قام نوجيس بجبال الأطلس الأوسط 1941 بمنطقة "أولماس" في مطلع سنة بتذكير المغاربة بأن السياسة البربرية مازلت قائمة و أساسها استعمال القوة العسكرية.بقمعه بقوة محاولة القيام بانتفاضة².

لقد كان موقف الوطنيين المغاربة منقسم بين مدعم و منخرط في مسار تأسيس الأنظمة الجديدة لنظام دولي جديد.بغرض الاستفادة منه إقليميا.و قد كان الأمر كذلك بالنسبة للحركة الوطنية الخليفية بصورة شبه كلية.أما نظيرتها السلطانية فقد كان ظاهرها عدم التورط في هذه المغامرة من خلال تصريحات زعمائها الذين لم تمسهم إجراءات القمع لسنة1937و لكن بعض أعضائها قاموا بعدة محاولات للاستفادة من هذه الأنظمة الجديدة.و إن لم تكن هذه المحاولات باسم هيئاتهم.و لكنهم اتصلوا برموز النظام في برلين و ووضعو أنفسهم رهن إشارتهم للقيام بأي فعل ضد نظام الحماية.و إن كان مصيرها الفشل فإنه في حالة نجاحها كان بالإمكان أن تتغير حركة التاريخ ليس في المغرب فقط و لكن في شمال أفريقيا.و حتى في أفريقيا كلها.

1 - 4 مشاركة المغاربة في الحرب :

لقد كان موقف المغاربة من الحرب انضماما و تأييدا لموقف السلطان .و حتى النخبة الوطنية كان موقفها انضماما لهذا التوجه،و تأييدا لفرنسا في حربها.فحلت وفود الشرفاء و الأعيان من كل جهة من المغرب و قدمت الولاء الكامل لفرنسا في هذه الحرب.وتنافست وفود مختلف المدن في إيجاد العبارات المؤثرة و المناسبة لإظهار الإخلاص. و حتى في حجم المساعدات المادية.فبقدر ما كانت مدينة فاس قلعة ثورة المدن كانت كذلك من قلاع الإخلاص

¹ - ذكر غلاب محاولتين للقيام بثورة ضد فرنسا في المغرب الأولى قام بها أحد المغاربة يسمى عبد الرحمن العلوي الذي لم يكن معروفا سوى انه حارب إلى جانب "حمو الزباني"(تم التطرق لهذه المقاومة في الفصل الأول).و بعد سقوط فرنسا في الحرب العالمية الثانية دخل سرا للمغرب و استقر في "إيتزر" بالجنوب.و بدا في التحضير لثورة .و لكن هذه المحاولة باءت .أما المحاولة الثانية فقد قام بها الفقيه محمد طنانة الذي كان من قيادة حزب الإصلاح و انتقل إلى الساقية الحمراء في الجنوب مبعوثا من طرف اللجنة الألمانية للمراقبة للقيام بحملة من الصحراء على أن تكون هناك حملة من الشمال كما كانت الحطة تقتضي.إلا أن هذه المحاولة أجهضت من طرف اللجنة نفسها خوفا من تفشي الروح التحريرية و تطبيقا للخطة الجديدة لهتلر حول المستعمرات.أنظر:عبد الكريم غلاب،تاريخ الحركة الوطنية ج1،مصدر سابق ص 242، 243.

² -Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*,op.cit,p189

والوفاء للسلطان و لفرنسا في هذه الأوقات¹. و كذلك الحال بالنسبة لمكناس و مراكش و وزان. و غيرها من المدن المغربية². و نظمت عمليات التطوع والاككتاب لفائدة الحرب تحت مسميات عديدة مثل لجنة الإخاء الحربي لدعم المجندين والأسرى وأسرههم والضحايا. و لجنة الإنقاذ الوطني لتقديم المساعدات للسكان المدنيين المتضررين من الحرب. و لجنة كناش الغائب التي تكلفت بتخصيص دفتر للادخار الشخصي للغائبين قصد الاستفادة منها بعد عودتهم. فقد قدرت قيمة مبالغ الاككتابات إلى أكثر من 5 مليار فرنك، بالإضافة إلى ريع الطوابع البريدية.

و قد كان للمغاربة مشاركة أخرى تمت في جبهات القتالية في أوروبا. كغيرهم من الشعوب المستعمرة. فقبل اندلاع الحرب بدأت فرنسا في التجنيد العسكري للمغاربة. ففي 29 نوفمبر 1935 أصدرت سلطات الحماية قرارا مقيما نص على ضرورة تدعيم الاحتياطيين بالجيش الفرنسي في مختلف الرتب والتخصصات بالمغاربة الشباب. و في سنة 1937 طلبت هيئة الأركان الفرنسية من المقيم العام استدعاء كل الشباب المغاربة للجان الفحص و الانتقاء بما فيهم الذين لن يصلوا للسن القانونية إلا في سنة 1938. و في مطلع سنة 1939 أعيد النظر في القرار المقيمي الذي يحدد شروط تجنيد المغاربة لتصبح أكثر سهولة مما كانت عليه في السابق. و من ضمن ما نصت عليه هذه الإجراءات الجديدة انتقال الأطباء إلى القرى و الأرياف للقيام بعملية الفحص للإسراع في عملية التجنيد. و نتيجة لذلك استطاعت سلطات الحماية في المغرب أن تجند عشية الحرب 20 ألف جندي كدفعة أولى للمشاركة في عمليات "الألزاس" و "اللورين" في نوفمبر 1939 التي قال عنها نوجيس أنه كان له الشرف أن يقود فيها

¹ - تكاثرت مظاهر الدهم من مدينة فاس سواء تعلق الأمر بالعلماء و القضاة الذين اختلفوا مع عبد الحى الكتاني و هو من شيوخ الزوايا في عدة قضايا إلا في ما يتعلق بدعم فرنسا فقد كانوا معه و سعوا للتفوق عليه فيه. و من أهم مظاهر دعم مدينة فاس لفرنسا في الحرب العالمية الثانية ما يعرف بـ "طائرة فاس" التي كانت محملة بالمؤونة و المواد المختلفة. أنظر: عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية، مرجع سابق، ص 156.

² - قام نقيب الشرفاء العلويين مع عدد من شرفاء الأدارسة في مدينة مكناس بتنظيم الصلوات و الأدعية لنصرة فرنسا. و في مراكش أرسل أساتذة مدرسة بن يوسف (في رتبة جامعة القرويين) رسالة للمقيم العام جاء فيها: "نخبركم سيدي المقيم العام نحن علماء و تلاميذة مراكش نشعر بمرواة الحسرة التي يعاني منها كل فرنسي، و ثقوا سيدي المقيم العام على أن كل ما عانت منه فرنسا و كابذته سيتم تجاوزه و نسيانه، إننا ندعو الله أن ينصر الحقيقة و العدالة و يقهر الجهل و الوحشية". أنظر عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية، مرجع سابق، ص 160.

الفرق المغربية التي شهد فيها أياما عصيبة. أظهرت فيها هذه الفرق شجاعة و بسالة¹. ثم بدا هذا العدد يعرف ارتفاعا متزايدا ليصل إلى عشرة فيالق زاد عدد أفرادها عن 90 ألف جندي. و قد كانت لهذه الفياق مشاركات متعددة في مختلف الجبهات القتالية في أوروبا كمشاركتهم في الدفاع عن خط ماجينو في ديسمبر 1939 و مشاركتهم في "معركة بلجيكا" في ماي 1940 و "حملة إيطاليا" في ماي 1943. و حتى داخل الأراضي الفرنسية والألمانية حيث شارك كل من الطابور المغربي الأول والثاني ابتداء من جويلية 1944 في الجبهة الغربية و "معركة فرنسا" على وجه الخصوص. و بقيت مشاركتهم متواصلة إلى غاية توقيع الهدنة في 8 ماي 1945 و في شمال أفريقيا شاركت القوات المغربية في "حملة تونس" في فيفري 1943 التي كانت مقدمة لحملة إيطاليا². لقد بقي المغرب سلطانا ومجتمعاً متعاوناً و متضامناً و حتى مضحياً بالغالي و النفيس من أجل فرنسا و في كل الأوقات. فحتى عندما دخلت الحرب مراحلها العصبية. وبالرغم من أنها استنزفت مصادر ثروته و رجاله و فلاحته و معادنه بشكل شبه كلي³.

1 - 5 المغرب و "الهيئة الفيشية":

و لم يتغير الحال حتى بعد الانقلاب الجذري الذي عرفته فرنسا في جوان 1940 بسقوطها وانقسام طبقتها السياسية والعسكرية بين مؤيدين لحكومة فيشي و آخرون لحكومة لندن. و قد كان لهذا أثر في المستعمرات و مناطق ما وراء البحار. التي انقسمت هي الأخرى بين مؤيدين لباريس وآخرين للندن. و قد اتخذ المقيم العام بالمغرب نوجيس موقفاً مسانداً للهدنة و مدعماً للماريشال بيتان ليشكل بذلك منعطفاً حاسماً ليس بالنسبة لفرنسا فحسب بل حتى بالنسبة للمغرب الذي عرف بما يسمى بمرحلة "الهيئة الفيشية" *L'ordre Vichyssois*⁴.

¹ - William A. Hoisington Jr. *L'Héritage De Lyautey , Noguès Et La Politique Française Au Maroc*, L'Harmattan ,Paris,1995 ,p, 253.

² - لقد كانت المشاركة المغربية في هذه الحرب جزءاً من مشاركة الجزائريين و التونسيين و غيرهم من الشعوب المستعمرة. و ليس الغرض هو التعرف على هذه التفاصيل العسكرية بحد ذاتها و لكن فقط لإبراز انعكاساتها على مسار الحركة الوطنية المغربية التي ستعتمد على هذا الرصيد في تطورها فيما بعد. و للتعرف على المزيد من التفاصيل العسكرية لهذه المشاركة يمكن العودة إلى الأرشيف العسكري بباريس: *shat,serie 3h/facicule1* بالإضافة إلى الأرشيف المصور الذي يحتفظ بالكثير من الأشرطة المصورة حول هذه المشاركة في المركز الفرنسي للأرشيف المصور. (ina.fr).

³ - William A. Hoisington Jr. *L'Héritage De Lyautey , op.cit., p , 256*.

⁴ - Georges Oved, *La gauche française*, T 2, op cit p 195.

فقد كان هذا النظام تحولا جذريا في حالة المغرب كـ"محمية فرنسية" نظرا لما عرفه من تغيرات جذرية في طبيعة موازين القوى الإقليمية المرتبطة أساسا بمنطقة شمال أفريقيا. ولكنه لم يكن كذلك بالنسبة للمغاربة الذين لم تزد حالتهم إلا مزيدا من الإجراءات القمعية بنفس إدارة المقيم العام الجنرال نوجيس و لكن هذه المرة تحت "القبة الفيشية". و كان الأمر كذلك حتى بالنسبة للجزائريين و التونسيين¹. وبالرغم أن الجنرال نوجيس اعتبر نفسه أنه استجاب للشرعية الفرنسية التي كان يمثلها أقدم عسكري في الجيش الفرنسي المتمثل في الماريشال بيتان الذي قبل التفاوض مع هتلر و قبول الهدنة².

إلا أنه كان لسلطات الحماية مكاسب كثيرة فقد تجنبت الحرب بما يترتب عنها من نتائج. فشمال المغرب كان تابع منذ سنة 1936 لكتلة المحور و منذ ذلك التاريخ تحول إلى قاعدة تحضير للنظام الجديد في شمال أفريقيا. و لم تفلح كل محاولات رئيس وزراء بريطانيا وينستون تشرشل لاستقطابهم لصالح الجنرال شارل ديغول، الذي رفض مبادرة بيتان. و قد استطاعت مبادرة نوجيس في إتباع الشرعية أن تجنب المغرب الكثير من الرياح العسكرية التي هبت على منطقة شمال إفريقيا. مثل الهجوم البريطاني على المرسى الكبير في جويلية 1940 أين كان الأسطول الفرنسي راسيا و تابعا لحكومة فيشي و قد تحطم عن آخره. و العمليات العسكرية الكبرى التي عرفتها الأراضي الليبية التي انتهت بمعركة العلمين في نوفمبر 1942. فقد أدى تحكم كبار ضباط فيشي في الأوضاع في غرب شمال أفريقيا إلى هدوء هذه الأخيرة إلى غاية نوفمبر 1942.

و قد استغل نوجيس هذا الهدوء المسلح الذي توفر في المغرب بفعل مبادرة الاستسلام في تنصيب نظام جديد تمثل في "الهيئة الفيشية" التي تجسدت في تطبيق نفس الإجراءات التي طبقتها حكومة فيشي في فرنسا. ففي أكتوبر 1940 ثم في جوان 1941 تم تطبيق القانونين المضادين لليهود. إلا أن هذه الإجراءات العنصرية مست اليهود الفرنسيين المقيمين في المغرب أكثر من اليهود المغاربة لأن السلطان المغربي اعتبر هؤلاء من الناحية المدنية

¹ - من المفارقات التاريخية أنه نفس السياسة الفيشية طبقت في الجزائر التي أصبحت هي الأخرى تابعة لحكومة فيشي. فنفس الإجراءات القمعية طبقت على الحركة الوطنية في الجزائر. فمصالي الحاج مثلا أعيدت محاكمته من طرف نظام فيشي و أصدر في حقه حكما بست عشر سنة سجننا مع الأشغال الشاقة.

² - انضمت الغالبية العظمى من كبار قادة الجيش الفرنسي لمبادرة الماريشال بيتان الاستسلامية من بينهم وزير الحربية فرانسوا دارلان و الحاكم العام بالجزائر الجنرال جيرو والمقيم العام بتونس جان بيار إيستييفا.

مواطنين مثل المغاربة المسلمين فلم يتم المساس بهم لا في أشخاصهم أو في أملاكهم. و من الناحية فهم من "أهل الذمة" و لا كذلك المساس بهم طبقا للشريعة الإسلامية.¹ و بالتالي فإن هذا الموقف خفف الكثير منها². فقد استطاع بهذا الموقف (و موقف آخر عند نزول الحلفاء) إثبات حريته و شخصيته التي ظهر للكثير أنها كانت غير موجودة أمام نوجيس³. و لم يتورط معه في عداوته لثلاثية المقاومة واليهود واليسار. و قد بقيت هذه العداوة حتى بعد نزول قوات الحلفاء في شمال أفريقيا⁴. فقد كان بالنسبة لنوجيس بقاء المغرب تحت نظام الحماية مسألة حياة أو موت. لأنه ضمانا لبقاء الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية. لذلك بقي يتعامل بحذر شديد مع باريس الفيشية التي رفض زيارتها عدة مرات عندما طلب منه ذلك خوفا من عدم العودة إلى المغرب نهائيا مثلما حدث لسلفه "مارسيل بيرتون"⁵. و عندما طلب منه تسريح الجنود تطبيقا لشروط الهدنة رفض ذلك واعتبر بقاء الجيش ".ضمانا للحصول على سلم مشرف و الحيلولة دون الوقوع كعبيد للألمان"⁶. وعندما أصرت على ذلك لجان مراقبة الهدنة المكونة من الألمان و الإيطاليين أحدث ما يعرف بـ "خطة الإخفاء العسكري"⁷.

لقد استطاع الجنرال نوجيس من خلال الهيئة الفيشية أن يكسب الرهان في عدم التنازل على أفريقيا الشمالية و احتفظ بمنصب المقيم العام. و سعى للحفاظ على مكانة فرنسا في نظر المغاربة. فالنسبة إليه لا يمكن أن يكون المغرب للألمان أو للوطنيين المغاربة. و حتى و لو كان ذلك "استسلاما بطعم الانتصار". و كان يرى في نفسه الرجل الذي لا غنى عنه في

¹ - Daniel Rivet , *Histoire Du Maroc*, Fayard, Paris, 2014, p 324.

² - من ضمن الإجراءات التي مست اليهود المقيمين في المغرب طردهم من الوظائف الإدارية و تم تحديد عدد المناصب الخاصة بهم في الطب و الحاماة و حتى بالنسبة للتعليم بصورة عامة. أنظر: Georges Oved, *La gauche française*, T 2, op cit p 197.

³ - Georges Spillmann, *Du protectorat*, op.cit, p95

⁴ - Georges Oved, *La gauche française*, T 2, op cit p 197.

⁵ - لم يكن يعلم المقيم العام مارسيل بيرتون عندما استدعي لباريس في سبتمبر 1936 أنه لن يعود للمغرب حيث تم تعيينه سفيراً بالأرجنتين و لم تستمر مدة إقامته في المغرب سوى ستة أشهر.

⁶ - William A. Hoisington Jr. *L'Héritage De Lyautey*, op.cit., p , 267.

⁷ - تتمثل هذه الخطة في إخفاء عدد كبير من فرق الجيش المغربي في مناطق جبلية وعرة جدا لا تصلها لجان المراقبة. و تحويل وحدات أخرى إلى تسميات تموهية مثل "الحلات الشريفة" و تحويل أخرى إلى عمال مدنيين و غيرها من الإجراءات التمويهية أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج06، مصدر سابق، ص37-41. و يذكر الكولونيل جورج سيلمان تجربته الشخصية عندما تحول من ضابط إلى "مراقب الشؤون الأهلية". أنظر: Georges Spillmann, *Du protectorat*, op.cit, p95

المغرب.و لم يكن يرى للمغرب وجودا بغير فرنسا.و في نظره لا يستطيع حكم المغرب إلا فرنسا.و قد صمم على أن لا يترك لأحد الفرصة أن يحل محلها باستعمال كل الوسائل¹.
أما بالنسبة لتأثير "الهيئة الفيشية" على المغاربة فإن الجنرال ديغول ذكر في مذكراته أن "...الفرنسيين رأوا السلطان محمد بن يوسف يبكي مرتين، الأولى عندما سقطت باريس في 1940 والثانية عندما غادر نوجيس المغرب ثلاث سنوات من بعد..."².و لذلك قال ديغول بأنه بالرغم من معاداته لنوجيس، الذي كان عقبة كبيرة أمام مخططاته لضم شمال أفريقيا لـ"نداء 18 جوان 1940"³، فإنه اعترف بالتأثير الإيجابي الذي كان لديه على السلطان. فقد استطاع أن يجعل منه وفيًا لفرنسا⁴. لقد اعتبر السلطان محمد بن يوسف سقوط باريس مأساة وطنية يجب أن يحزن عليها المغاربة. فندائه الذي حث فيه المغاربة على القتال لجانب فرنسا ذكرهم فيه بـ"أيام الرخاء و الاستقرار التي عاشوها إلى جانب فرنسا..." و من الطبيعي أن يظلوا كذلك في أوقات الشدة و الأزمات. و هل هناك شدة و أزمة أكبر من سقوط باريس؟ و قد قال "روجي لوتورنو Roger Le Tourneau " "...أن المغاربة تعاطفوا مع الفرنسيين في صيف 1940 بطريقة لم يسبق لها مثيل..."⁵

أما فيما يخص الوطنيين المغاربة فإن موقفهم من أحداث ما بعد جوان 1940 كانت استمرارية لما قبلها فالنسبة لهم مشكلتهم مع القانون الأساسي للمغرب الذي جعل منها محمية. أما مسألة الخلاف بين الطرفين الفرنسيين فقد اعتبروها قضية داخلية لا تعنيهم فالنسبة لهم يعتبر الجنرال نوجيس مسؤول عن الأوضاع الكارثية التي كانت عليها الحركة الوطنية التي قمعت بقوة سنة 1937. و وموقفهم منه بعد سقوط باريس و تحوله إلى جانب حكومة فيشي متواصل بنفس الصفة لأن ذلك لم يغير في وضعية المطالب الوطنية المعلنة منذ سنة 1934 و التي أعيد طرحها في سنة 1936 عندما كان ممثل فرنسا في المغرب. و

¹ - William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*, op.cit, p291.

² - Charles De gaulle, *Mémoires de Guerre*, op.cit, p127.

³ - حاول ديغول بعد رفضه سلم باريس استمالة ضباط شمال أفريقيا لندائه الذي يحمل عنوان "نداء 18 جوان 1940" الذي اختاروا شرعية فيشي وجه لهم نداءات متعددة و طلب منهم عدم تنفيذ شروط الاستسلام اعتبرهم أحفاد كلوزيل و بوجو و ليوتي. واعتبر نوجيس قائدا للمقاومة الفرنسية و منقذا لتاريخ فرنسا و وضع نفسه تحت تصرفه للقتال أو لأي مسعى آخر.

Mohammed Kenbib, *DE Gaulle et les Nationalistes Marocains (1940-1946)*, in, *DE Gaulle et le Maroc*, sous la direction de Mustapha Seimi, édition Publisud, paris, 1990, p 35.

⁴ - Charles De gaulle, *Mémoires de Guerre*, op.cit, p95, p 127

⁵ - Roger Le Tourneau, *Evolution politique de l'Afrique du nord*, op.cit., 205.

من اجلها قام بقمعهم و سجنهم و نفيهم.فحقيقة الجنرال نوجيس بالنسبة للقيادة التاريخية للحركة الوطنية المغربية ثابتة ولم تتغير بتغير الظروف.بل بالعكس فإنه من أسباب سير نوجيس في ركب الاستسلاميين الفيشيين كان من أجل الحفاظ على المغرب بقبضة حديدية.حتى أنه طلب من باريس آنذاك التظاهر بمقاومة الألمان حفاظا على هيبة فرنسا أمام المغاربة.والتخفيف من حدة مخلفات انهيار سمعتها أمامهم على أقل تقدير¹.لقد اتبع نوجيس نفس موقف زملائه كبار ضباط فرنسا في شمال إفريقيا الذين اختاروا المستعمرات الفرنسية و لو بالحاقها بنظام فيشي.و هي نفس المستعمرات التي اعتبرها نداء"18جوان 1940 لديغول" الإمبراطورية الشاسعة التي لا يمكنها أن تترك فرنسا لوحدها *Le vaste Empire derrière la France*. " في حين أن أكبر ضباط فرنسا وأعلامهم رتبوا وأكثرهم تجربة عسكرية تركوا فرنسا لوحدها².

أما الجنرال ديغول فلم يكن للوطنيين المغاربة إلى غاية1940 أي تجربة معه. فمنذ سقوط باريس و انشقاق الموقف الفرنسي. لم يتخذ الوطنيون أي موقف رسمي و علني لصالح ديغول ضد الماريشال بيتان.بحجة اعتبار ذلك مسألة فرنسية داخلية لا تضيف أي شيء للقضية المغربية.و لكنه في حقيقة الأمر كانوا ينتظرون من ديغول موقفه السياسي فيما يخص مطالب الحركة الوطنية المغربية ومسألة الاستعمار بصورة عامة.خاصة وأن بوادر سياسة رئيس حكومة"فرنسا الحرة"،و المعلنة في ندائه التاريخي يوم 18 جوان 1940كانت تتضمن"الحفاظ على الإمبراطورية الفرنسية".وهي بالتالي استمرارية لسياسة نوجيس فالحركة الوطنية المغربية لم يكن يهمها تطبيق نوجيس إجراءات حكومة فيشي ضد اليهود.ولم يكن كذلك يهمها "دفاع ديغول عن الوطن الأم" فكل ذلك لا يغير شيئا في المعطيات الأساسية للمشكلة المغربية³. فالمغاربة كان يهمهم "سياسة ديغول المغربية" أكثر من"سياسة ديغول الفرنسية"⁴.و قد تأكد علال الفاسي من خلال من توجهات ديغول الاستعمارية و هو مازال في منفاه بالغابون عندما حاول ديغول أن يحوله إلى أداة لتحويل المغاربة لجانبه ومنع احتلال

¹ - محمد كنيب،"نظام فيشي و فرنسا الحرة و الحركة الوطنية المغربية (1940-1944)،مجلة الآداب و العلوم الإنسانية،الرباط العدد 20،السنة 1995،ص ص 133-144.

² -Jean-Louis Crémieux-Brilhac, *L'Appel du 18 juin 1940*, Armand Colin, Paris,2010.

³ -Mohammed Kenbib, *DE Gaulle et les Nationalistes Marocains* , op.cit, p36.

⁴ - علال الفاسي،الحركات،.مصدر سابق ص 273.

ألمانيا لشمال أفريقيا¹. و لكن المشروع باء بالفشل بعد تدخل بريطاني وأمريكي بسعيهما إخراج القضية المغربية من دائرة الفرنسية الضيقة إلى دائرة الحلفاء الواسعة. و بالتالي فشلت "مجهودات المنفى" التي قام بها علال الفاسي².

1 - 6 نزول الحلفاء في المغرب و أثره :

فإذا كانت القضية المغربية فرنسية/ فرنسية منذ اندلاع الحرب العالمية سواء قبل أو بعد سقوط باريس سواء بالنسبة لفريق "فيشي" أو فريق "لندن". فإنه ابتداء من سنة 1942 أصبح المغرب جزءا من مظاهر السياسة الأمريكية. فقد عرف يوم 08 نوفمبر 1942 بداية جديدة في التاريخ للمغرب ولكامل منطقة شمال أفريقيا بنزول القوات الأمريكية في سواحلها. و يحمل هذا الإنزال في طياته الكثير من الدلالات لعدة أطراف تمثلت في المغرب سلطانا ومجتمعا وحركة وطنية. وفي سلطات الحماية. وفي الولايات المتحدة الأمريكية فبالنسبة لهذه الأخيرة فقد كان الإنزال بمثابة موقف انسجمت وتناغمت فيه مجموعة من الأبعاد العسكرية والإستراتيجية والاقتصادية و السياسية. وأصبح الإنزال بالرغم من طبيعته العسكرية ومن ظرفيته المرتبطة بالحرب العالمية الثانية. فإنه كان من أجل تحقيق هذه الأبعاد و المصالح. فقد اعتبرت الولايات المتحدة الأمريكية نفسها بديلة لفرنسا المنهزمة. ولبريطانيا

¹ - ذكر علال الفاسي تفاصيل محاولة الجنرال ديغول الاتصال به لاستعماله في سياسته حيث اتصل به في منفاه بالغايبون منذ جويلية 1940 و دار بينهما مرسلات عديدة ثم اتصالات عن طريق ممثلي ديغول في أفريقيا الاستوائية. و قد قدم الفاسي مشروعاً تضمن "إخراج المغرب من نظام العصور الوسطى... و السير به نحو الأمام... و ممكن القيام بذلك مع حكومة فرنسية حقيقية..." كما قدم له سرداً تاريخياً لحركة المطالبة بالحقوق الوطنية... و قد استعد حينها حتى أن يتوسط بين ديغول و الوطنيين الجزائريين و التونسيين... إلا أن هذه المحاولة لم تأت بأية نتيجة. فقد بقي علال الفاسي أربع سنوات أخرى في المنفى. أنظر: علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 272-280.

² - ذكر علال الفاسي أن دخول القوات الفرنسي الموالية لديغول للغايبون غيرت في أوضاعه. و قد اتصل به مبعوث ديغول و حدثه عن تغيير السياسة الاستعمارية و طلب منه التدخل لدى الوطنيين في المغرب لتدعيمه و قد قبل علال الفاسي المبادرة و اقترح أن يتوسط حتى لدى الوطنيين التونسيين و الجزائريين للحصول على الدعم له بشرط إعلان استقلال المغرب ابتداء من سنة 1940. و قد جرت العديد من الاتصالات بين ديغول و علال الفاسي و لكنها لم تأت بأية نتيجة " و لم يقدم ديغول في القضية المغربية شيئاً و الحركة التي قام بها علال الفاسي لم تكن أكثر من محاولة للسير بالقضية المغربية و لكن بدون أية نتيجة و تأخر إطلاق سراحه ثلاثة سنوات أخرى و قد ذكر الفاسي أن ظروف سجنه تغيرت بعد فشل المحاولة و أصبحت أكثر صعوبة أنظر ، علال الفاسي، الحركات ، مصدر سابق ، ص 279. و قد ذكر جولييان أن سب فشل المفاوضات يعود لتدخل الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا حيث طلبا من ديغول إطلاق سراح علال الفاسي فرفض . و لو حدث ذلك لكان هناك مصير آخر لعالل

أنظر ، Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux, op.cit, p 190*.

المنهكة بفعل بقاءها لأكثر من سنة في مواجهة عسكرية مع كتلة المحور. فالمغرب في نظرها تحول إلى فراغ استراتيجي بامتياز لا يمكن التفريط فيه. لذلك عملت على تعزيز تواجداتها أثناء الحرب. و حتى بعدها فإنها باعتبارها العالم الجديد كانت تقوم على أساس ملأ الفراغ الذي أحدثته تراجع العالم القديم. باعتباره الوريث التاريخي له. فلقد اعتبرت تلك السياسة من قبيل الواجب الأخلاقي الإلزامي. فلطالما أعطت هذه السياسة انطبعا بأنها جمعت بصورة متوازنة بين المصالح و المثل العليا. أو المثالية و البراغماتية القاسية¹.

و من هذا المنطلق أصبحت إفريقيا الشمالية بالنسبة للولايات المتحدة ذات وزن استراتيجي كبير. فالمتحكم فيها يتحكم في أوروبا الهدف الكبير والأخير للجبهة العسكرية الغربية للحرب العالمية الثانية. و لذلك قام هتلر بغلق مضيق جبل طارق كمرحلة أولية قبل إنهاء الحرب في أوروبا ثم التفرغ لها نهائيا. و حتى عندما هوجمت بريطانيا بحريا كان ذلك في البحر الأبيض المتوسط. وحتى الرئيس الأمريكي روزفلت عندما اقتنع بهذه الأهمية سارع منذ سنة 1940 إلى تعزيز العلاقات حتى مع حكومة فيشي و عين الأميرال "وليام دانيال ليهي *William Daniel Leahy*" سفيرا له في هذه الحكومة ليس بغرض التبادل الدبلوماسي و لكن من أجل تحضير كل الظروف المادية و المعنوية لاحتواء المنطقة. فقد كانت تقاريره التي بعث بها إلى واشنطن عبارة عن معالم تم من خلالها رسم السياسة الأمريكية الخارجية تجاه شمال أفريقيا. و منها تم ضبط طرق التدخل فيها في الوقت المناسب. فقد جاء في احد تقاريره أن الوضع الاقتصادي في هذه المنطقة متدهور جدا. و في تقرير آخر كثافة الدعاية النازية فيه. و اهتمام موسوليني بهذه المنطقة من اجل أهمية تحقيق أحلامه الاستعمارية. و قد أكدت هذه التقارير الأهمية الإستراتيجية لمنطقة شمال أفريقيا عامة و المغرب خاصة للإسراع بإنهاء الحرب². و بعد سنتين من هذا النشاط الأمريكي بكل الوسائل السياسية والاقتصادية، وحتى الإستخباراتية، كانت البارجة الأمريكية "الأرمدة *Armada*" تقصف مدينة الدار البيضاء لتعلن

¹ - محمد مزبان، العلاقات المغربية الأمريكية من الحماية إلى الاستقلال 1912-1956، دار أبي الرقراق للطباعة، الرباط، 2015، ص 149.

² - محمد مزبان، العلاقات المغربية الأمريكية، مرجع سابق، ص 161.

بشكل فعلي عن بداية قصة أمريكا في المغرب. التي بدأت فصولها الأولى بنجاح العمليات العسكرية الأمريكية بسرعة لم يكن أحد يتوقعها¹.

لقد اعتبرت سلطات الحماية الإنزال صفقة قاسية لسيادتها التي تعرضت للمرة الثانية لزلزال عنيف. بعد الذي ضربها في جوان 1940 بفعل سقوط باريس. و قد حاول حينها نوجيس تعويض ذلك بالحفاظ على المغرب كدلالة لبقاء "الإمبراطورية الفرنسية الواسعة" التي تحدث عنها حتى ديغول في نداء 18 جوان 1940. إلا أن هذه المرة الزلزال وقع في جزء من هذه الإمبراطورية المتمثل في المغرب. فلا سبيل للتخفيف منه. خاصة و أن ذلك تم في سياق تحالف عالمي مرتبط بمجريات الحرب العالمية الثانية. فقد أصبح نوجيس يرى بان أيام الحماية في المغرب أصبحت معدودة. لأن القادمين الجدد لا يعترفون بها. وطالبوا بـ "حق الشعوب في تقرير مصيرها" منذ 1919 وأكدوا ذلك في أوت 1941 في "الميثاق الأطلسي". و لذلك كان هدفه الحفاظ على المغرب بأي ثمن و بأية وسيلة. ففي رد فعله المباشر أعلن المقاومة للدفاع على شرف فرنسا المنتهك من طرف "الغزاة الجدد" خاصة و أن الماريشال بيتان من باريس احتج على الإنزال واعتبره "أعمالا قاسية باسم بلاد تربطه بها ذكريات و تجمع به الكثير من الصلات... و اعتداء على شرف فرنسا... و لذلك وجب الدفاع عنه..."².

لقد أراد نوجيس أن يتحول لبطل قومي عندما طلب من الفرنسيين المغاربة مساندته و "عدم التفاعل مع التمرد الذي تم قمعه والالتزام الهدوء و عدم الانخداع وراء الدعاية الأجنبية"³. و بالرغم من تظاهر نوجيس باستعداده لمواجهة الإنزال الأمريكي فإن هذا الأخير أخذه على غرة. فأجهزته الإستخباراتية لم ترصد أي تحرك للقوات البحرية الأمريكية بالإضافة إلى المساعدة الداخلية التي وجدها هذا الإنزال. فلم يستطع استيعاب الموقف الجديد و أصيب بذهول كبير. لقد كان مثقلا بالواقع الجديد، ولم تكن له أية رؤية لمستقبل المغرب "على حد تعبير جورج سبيلمان"⁴. وبالرغم من مواصلته مواجهة الإنزال العسكري فإنه كان يبحث

¹ - تم الإنزال الأمريكي في المغرب من خلال ثلاثة مدن ساحلية أطلسية و هي "آسفي" الذي تم يوم 07 نوفمبر 1942 و قد احتلتها فرقة "الصخرة السوداء" Blackstone و مدينة "بور ليوتي" القنيطرة حاليا في نفس اليوم من طرف فرقة "المرمى" Goallpost و مدينة "الدار البيضاء" التي تم فيها الإنزال الرئيسي يوم 08 نوفمبر من طرف فرقة "الفرشاة" Brushwood أنظر: Christine Levisse- Touzé, L'Afrique Du Nord Dans La Guerre, 1939-1945, Alain Michel, Paris, 1998, p 233.

² - Christine Levisse-Touzé, L'Afrique du Nord dans la guerre, op.cit, p, 393.

³ - عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية مرجع سابق ص 231.

⁴ - Georges Spillmann, Du protectorat, op.cit, p97.

عن مخرج سياسي يحافظ من خلاله على المغرب كمستعمرة لا تمسها رياح التغيير التي حاصرت منطقة شمال أفريقيا من كل جانب. وأصبحت على أبواب مرحلة جديدة بالنسبة لجميع الأطراف الفرنسية منها و الوطنية على حد سواء. وللد منها اعتمد نوجيس على مبدأ المواجهة العسكرية للحفاظ على الكبرياء الفرنسي و ذلك باتخاذ العديد من التدابير¹. إلا أن كل هذا لم يغير في واقع الأمر الجديد. فلم تستمر هذه المواجهة طويلا فاتصل مع الأمريكيين في 11 نوفمبر 1942. و حصل على اتفاق لا يفقد ثقة المسلمين المغاربة في الهيبة الفرنسية، و لا يستنهضهم ضد القادمين الجدد. فالموقف الأمريكي في المغرب في تلك الفترة كان انتقاليا فلا يجب "التورط في المطبخ المغربي الفرنسي"².

لقد خرج نوجيس من هذه الزوبعة ضعيفا و مهتزا و لكنه لطالما جعل من شعار مدينة باريس شعارا له كذلك، و هو باللاتينية "*Fluctuat nec mergitur*" و معناها "مدينة تطفو و لا تغرق". و قد كان نفس الشعار الذي حملته نوجيس في هذه الظروف فالنسبة إليه بقاءه على رأس المغرب تابعا لفرنسا أهم من كل شيء بما فيها باريس³.

أما بالنسبة للمغرب و المغاربة فإن أكبر دلالات هذه الإنزال كانت بالنسبة للسلطان الذي كان بمثابة عهد جديد بالنسبة إليه بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. فلأول مرة منذ تنصيبه سلطانا على المغرب سنة 1927 تم التعامل معه كرئيس دولة كامل الصلاحيات. فقد كان في السابق وفيما لفرنسا وفاء مطلقا. و في كل محطاتها بما فيها محنة سنة 1940. التي رفض فيها السلطان أن يلتقي مع أعضاء اللجنة الألمانية لمراقبة تنفيذ الهدنة⁴. و لكن هذا الوفاء قوبل بسيادة روحية اسمية على المغرب أكثر منها سيادة فعلية التي استحوذت عليها سلطات الحماية. و بالرغم من انتقاده لهذا التضييق إلا أن الأمور بقيت على حالها⁵. و بقي السلطان

¹ - قام نوجيس بتغيير إقامته من الرباط إلى مكناس بعد أن تمرد عليه قائد مدينة الدار البيضاء الذي كاد إلقاء القبض عليه و تسليمه للقوات الأمريكية. كما جمع وحداته العسكرية في الوسط و أغلق الطريق الرابط بين فاس و وهران و الطريق المؤدي إلى مراكش و أغادير بالجنوب. أنظر عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية، مرجع سابق ص 232 .

² - كانت من ضمن العبارات التي استعملها قائد فرق الإنزال الأمريكي في المغرب الجنرال "George Patton" الذي تفاوض مع الجنرال نوجيس حول وقف العمليات العسكرية للجيش الفرنسي. أنظر: محمد كنيب، "نظام فيشي، مرجع سابق.

³ - William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*, op.cit p249.

⁴ - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق ص 264.

⁵ - المصدر نفسه، ص 252..

وثيق الصلة بسلطات الحماية فحولته هذه الأخيرة إلى دمية لمدة خمسة عشر سنة¹. و لكن في نهاية 1942 و عندما أصبح المغرب متجها نحو أمريكا²، و عندما كان نوجيس "يطفو و لا يغرق" اتخذ السلطان موقف "انقلابيا" من سلطات الحماية. و رفض التورط في مغامرة نوجيس مرتين أولا عندما اعتبر أن المغرب دخل الحرب دفاعا عن قضية الحلفاء. و لم يعقد أي هدنة مع ألمانيا و لذلك "... لا يمكن ضرب القوات الأمريكية من أرض المغرب... و بإمكان الجيش الفرنسي أن يخوض البحر و يقاتل خارج المغرب...". و ثانيا عندما رفض مغادرة الرباط و الاتجاه إلى مكناس عندما كان نوجيس يريد مقاومة الإنزال الأمريكي برضا بعد فشله في إيقافه بحريا³.

لقد تذكر المغاربة في هذه اللحظة التاريخية أن للمغرب علاقات تاريخية قديمة جدا مع الولايات المتحدة الأمريكية تعود لسنة 1786. فقد كان أول دولة اعترفت باستقلال أمريكا وأهدى سلطانه مولاي سليمان سنة 1820 للدولة الأمريكية الفتية قصرا في طنجة تحول لأول تمثيلية قنصلية أمريكية في الخارج⁴. و غير بعيد عن تاريخ الإنزال فقد تذكر المغاربة الموقف الإنساني للأمريكيين من حرب الريف الذين سموها بـ "الحرب المقدسة" و اعتبروا زعيمها عبد الكريم الخطابي "سيد قبائل الريف" وأسسوا "جمعية أصدقاء الريف" التي قامت بتحسيس المجتمع الأمريكي بخطورة حرب الريف لأنها حرب إبادة. واحتجت لدى الحكومة الأمريكية و طالبتها بالتدخل لتوقيفها. لأن "الأمة الريفية كانت تحارب من أجل حريتها و استقلالها ضد الإمبريالية الفرنسية والإسبانية. و وجب حمايتها و حماية زعيمها"⁵. و قد احدث بالنسبة لهم جوا من حسن الاستعداد و التجاذب بعد الإنزال الأمريكي. الذي عبر عنه بعض الشباب المغارب بعدة طرق مثل النوادي و الجمعيات. فقد أسس أحد الوطنيين في مدينة الرباط يدعى عبد اللطيف

¹ - William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey op.cit* p250.

² - *ibid.*, p, 301.

³ - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق ص 264.

⁴ - تعود أول معاهدة قامت بها الولايات المتحدة كانت مع المغرب و تعود لسنة 1786. كما بعث جورج واشنطن كرئيس دولة رسالة للسلطان مولاي محمد بن عبد الله سنة 1789. و يعتبر قصر طنجة أول عقار امتلكته الولايات المتحدة الأمريكية على أرض أجنبية. و مازال إلى اليوم مقر القنصلية الأمريكية. كما ذكر تفاصيل كثيرة عن هذه العلاقات منذ القرن الثامن عشر إلى غاية القرن العشرين. أنظر: لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق ص 232-244.

⁵ - محمد مزبان، العلاقات المغربية الأمريكية، مرجع سابق، ص 95، 98.

الصبيحي¹ "نادي روزفلت" الذي تحول إلى مكان يلتقي فيه الشباب المغربي للتحديث عن الفلسفة الأمريكية التحررية التي رفع شعارها حينئذ الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت. التي تعتبر امتدادا لما يعرف بمبادئ ولسن لسنة 1919².

و مما ساعد النفوذ الأمريكي في المجتمع المغربي انهيار الأوضاع العامة للمغاربة بفعل الحرب وعودة الجفاف سنة 1942. واكتساح الجراد للجنوب. كلها عوامل ساعدت على تراجع النفوذ الفرنسي الذي لم يكن باستطاعته مواجهة هذه الأوضاع. لتجد الولايات المتحدة مجالا خصبا لملاؤه بقدراتها الاقتصادية القوية التي كانت تراهن عليها كثيرا في غزو عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. فقد أصبح تواجد الأعوان الأمريكيين في الأسواق المغربية من يوميات المغاربة الذين استبشروا خيرا بهذا و أصبحوا يتكلمون عن إلغاء نظام الحماية و العودة لنظام الامتيازات الذي كان عليه المغرب في نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين لقد انتقلت معركة استقطاب المغاربة إلى الأسواق التي لم تكن سلطات الحماية تملك الكثير من أسلحتها³.

أما الحركة الوطنية المغربية فقد استفادت من مجموعة من التجاذبات و الامتدادات أدت بها إلى العهد الجديد الذي ظهرت ملامحه من خلال "النقطة الثورية" في طبيعة مطالبها ابتداء من جانفي 1944. و لكن في انتظار ذلك التاريخ اعتبر روزيت أن الوطنيين تظاهروا بالحياد و السكون. و لم يعبروا عن أي موقف من التواجد الأمريكي في المغرب. طالما هذا الأخير لم يثبت أقدامه في شمال أفريقيا. وعندما سيحدث ذلك فسيذكر هؤلاء حتما أن روزفلت كان من وراء الميثاق الأطلسي لأوت 1941 الذي تضمن في مادته الثالثة حق الشعوب في تقرير

¹ - ذكره القادري في مذكراته على أنه من وطني مدينة سلا و من الأوائل الذين قاوموا السياسة البربرية و هو شخصية جد مثقفة باللغتين العربية و الفرنسية متتبع لكل مجريات العالم أصدر جريدة له أسلوب متين في الكتابة أصدر سنة 1937 جريدتين الأولى بالعربية تحت عنوان "العمل" والثانية بالفرنسية تحت عنوان "الصوت الوطني" دعم من خلالهما أمريكا وناهض النازية. و كان له اعتقاد راسخ بأن خلاص المغرب و تحقيق استقلاله يكون على يد أمريكا أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي ج02، مصدر سابق ص151.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج06، مصدر سابق، ص21.

³ - صرح احد الضباط الفرنسيين لنوجيس "... إن الأمريكيين نجحوا في معركتهم السياسية في الأسواق. و فرنسا لا تملك ذلك السلاح بتلك الكميات الضخمة...". أنظر: عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية، مرجع سابق ص 238.

مصيورها.و قد اعتبروا أنفسهم معنيين بهذا المضمون¹.و قد وصف الوزاني حالة الوطنيين حينئذ بأنهم "...كانوا يراقبون الأحداث و التطورات عن كثب و يتطلعون في صمت و سر ما قد يتمخض عنه المستقبل لصالح القضية الوطنية.و لكن ساد هناك شعورا بان تطورا مهما قد حدث بوجود الأمريكيين"².واعتبر غلاب عبد الكريم أن نزول جيوش الحلفاء بالمغرب في نوفمبر1942 قد رفع معنويات الوطنيين و أصبحوا يدركوا أن مصير المغرب لم يعد معلق بفرنسا و حدها ولكن بانجلترا وأمريكا على الأخص³.

هكذا أصبح الأمل الجديد أمريشيا بعد أن كان في سنة 1940 للكثير من المغاربة ألمانيا.و لكنه في جميع الحالات من أجل التخلص من الحماية الفرنسية⁴.و في ظل قمع الوطنيين منذ سنة1937 وعقد الهدنة مع الأمريكيين في نوفمبر1942 حاولت سلطات الحماية عزل المغرب من جديد عن رياح التغيير.إلا أن هذه المرة لم تستطع لأن في هذه المرة مصدر هذه الرياح في الداخل ،أي في المغرب نفسه.و شمال أفريقيا عامة.و قد كانت كلها مقدمات لأهم تطور عرفه المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية أبرز السلطان على ساحة الأحداث بانعقاد ما يعرف بمؤتمر"الدار البيضاء" أو قمة "أنفا" في الفترة الممتدة بين 14 و 24 جانفي1943⁵.ففي هذه المرة برزت الوطنية المغربية بكل معالمها باسم السلطان محمد بن يوسف في هذا اللقاء التاريخي الذي جمعه بالرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت في مطلع سنة 1943⁶.

1- 7 مؤتمر " أنفا" و اثره على المغرب جانفي 1943 :

بعدما استطاعت القوات الأمريكية تحقيق الهدف الأول من الإنزال بتوقيف كل أشكال "المقاومة" لدى ضباط شمال أفريقيا الذين اختاروا حكومة فيشي سنة 1940.انتقلت لتحقيق

¹ -Robert Rèzette, les partis politiques, op. cit p 136.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج06، مصدر سابق، ص22.

³ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 247.

⁴ - Robert Rèzette, les partis politiques, op. cit p 136.

⁵ - سمي بقمة "أنفا" نسبة لمنطقة تقع في قلب الدار البيضاء تطل على المحيط الأطلسي و قد اعتبرها حسن الوزان "ليون الأفريقي" المدينة الرومانية للدار البيضاء.

⁶ - زين العابدين العلوي، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، 3 أجزاء، دار أبي الرقاق للطباعة و النشر، الرباط 2009، الجزء الثالث، ص242.

أهدافه الإستراتيجية والعسكرية الآتية كمرحلة أولى و بعدها أهدافه السياسية كمرحلة على المدى البعيد.و قد سبق عقد قمة "أنفا" في جانفي 1943 ضخامة في المراسلات بين رؤساء الدول المشاركة، و بصورة خاصة بين روزفلت و تشرشل و ستالين فمسير العالم أثناء الحرب العالمية الثانية كان بين يدي هؤلاء.و حتى ما بعدها.و كانت هذه المراسلات تدور حول الأوضاع العسكرية للحرب بغرض القضاء على ألمانيا.و وضع خارطة جديدة لعالم ما بعد النازية ودراسة "حالة فرنسا".كما جاء في هذه المراسلات حرص روزفلت على إقناع الزعيم السوفيتي بحضور هذه القمة.و تصميمه على أن يكون اللقاء فوق أراضي شمال أفريقيا للحفاظ على رمزية نجاح الإنزال العسكري فيها.ولأنها قاعدة خلفية إستراتيجية للقارة الأوروبية.التي كانت الهدف الأساسي لكل العمليات العسكرية في الجبهة الغربية.وقد تمت تحضيراته بسرية كبيرة.و بعد اتفاق بين أمريكا وبريطانيا(بعدها رفض ستالين حضوره)تم عقده في ظروف أمنية عالية المستوى بين 10 و24 جانفي 1943¹ في نزل كان يحمل كذلك تسمية "أنفا" بمدينة الدار البيضاء التي تحولت إلى "العاصمة العالمية" كما تحول المغرب إلى "مركز العالم"².

لقد عرف هذا المؤتمر أياما صعبة للوصول إلى قرارات حول القضايا التي كانت محل خلاف و نزاع بين أطرافه³.و بالنسبة للقضية المغربية فإن المؤتمر أعطى لها نفسا جديدا

¹ - لقد أحيط بسرية تامة و ظروف أمنية عالية المستوى حتى أنه تم إفراغ كل منطقة أنفا من سكانها.و أحيطت بسياس كهربائي عالي الضغط. نظرا لما كان يشاع أن هتلر وضع خطة لاغتيال الزعماء الثلاث روزفلت و تشرشل و ستالين.و أنه سيطبقها في أول فرصة سيلتقي فيها الثلاث.فقد ذكر كاتب إنكليزي قصة يقول أنه استمدها من أحداث حقيقية بأن هتلر أرسل فرقة تسللت إلى المغرب من الجزائر لاغتيال تشرشل إلا أنها أكتشف أمرها وأفشلت من طرف المغاربة.بالإضافة إلى العملية المشهورة التي وضعتها المخابرات الألمانية تحت عنوان "السلام الكبير *Le grand salut*".التي انتشرت كثيرا في مؤتمر طهران في نوفمبر 1943.في حين ينفي آخرون هذه القصة التي يعتبرونها في إطار الحرب النفسية.

² - يحتفظ أرشيف وزارة الخارجية الأمريكية على ملف ضخيم حول كل المراسلات و كل أدبيات هذا المؤتمر قدرت عدد وثائقه في حدود أربعمئة وثيقة و من خلالها يمكن التعرف على كل المراحل التي سبقت عقده و قد غاب عنه ستالين بسبب معركة "ستالين غراد".و كذلك حرص روزفلت على عدم استشارة ديغول...و غيرها من التفاصيل هذا المؤتمر التي نحن في غنى عنها في هذا المقام.أنظر كذلك:رياض الصمد،العلاقات الدولية في القرن العشرين،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت 1982، ص 419 - 438.

³ - نظرا لأهميته القصوى فقد ناقش كل ما يتعلق بمواصلة الحرب إلى غاية النصر النهائي عسكريا و دبلوماسيا.و من أهم قراراته:تنظيم العمليات العسكرية في البحر الأبيض المتوسط خاصة فيما يتعلق بعملية "صقلية".و إجراء مصالحة تاريخية بين ديغول

وأعاد طرحها على بساط السياسة الدولية. بعدما سعت سلطات الحماية بكل جهدها لتهميشها سواء عشية الحرب بقمع الحركة الوطنية منذ سنة 1937. أو أثناءها بالسير في فلك حكومة فيشي سنة 1940، وحتى بقبول الإنزال الأمريكي في سواحل المغرب في نوفمبر 1942. إلا أن النظرة الأميركية الجديدة فرضت طرح القضية المغربية في "قمة أنفا" عندما التقى الرئيس الأمريكي روزفلت بالسلطان المغربي محمد بن يوسف مرتين في 22 جانفي 1943 الأولى كانت ثنائية بين الرجلين لم يحضرها أحد ما عدا المترجمين من الطرفين. و الثانية كانت رسمية و تمت مساء في شكل عشاء بحضور أطراف أخرى. و لم يعرف عن مضامين اللقاءين رسميا إلا بصورة سطحية¹. وقد اعتبر جورج سبيلمان أنه لم يكن متوفرا أية معلومة عما دار فيهما سواء من الطرف الأمريكي أو المغربي إلا بعدما تحدث عنه بعض الذين حضروه². و لم يصدر أي تصريح من الشخصيتين عما دار فيهما. باستثناء تصريح صحفي بروتوكولي لروزفلت في فيفري 1943 تضمن خبر تلقيه". زيارة مهمة من طرف السلطان و ولي عهده والصدر الأعظم و مدير التشريفات. "و أن السلطان وعده بزيارة أمريكا بعد وضع الحرب لأوزارها". أما الجانب المغربي فإن الحال كان كذلك ما عدا ما ذكره مترجم السلطان محمد المعمرى فيما بعد أن السلطان "طرح قضية استقلال المغرب. و تمنى أن لا ينسى الحلفاء ما قدمه المغاربة من تضحيات في الحرب العالمية الثانية. و مكافأة ذلك بحصولهم على استقلالهم" و قد أجابه

و جبرو الحاكم العام للجزائر الذي رفض الخضوع له حيث تم تشكيل برئاسة ديغول و جبرو نائبا له. و ما يهمنها فيها موقع القضية المغربية في تصور زعماء العالم آنذاك. أنظر: رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، مرجع سابق.

¹ - ذكر الباحث المغربي محمد مزيان المتخصص في العلاقات المغربية الأمريكية أنه و بالرغم من أهمية "قمة أنفا" فإن الأرشيف الأمريكي سواء في البيت الأبيض أو كتابة الدولة للشؤون الخارجية لا يذكر تفاصيل لها باستثناء صفحتين في أرشيف الخارجية الذي تقر بغياب تقارير رسمية عنه و تحيل الباحثين إلى شهادات أشخاص عاشوا الحدث و كتبوا عنه مثل ممثل للولايات المتحدة في إفريقيا الشمالية الفرنسية "روبير مورفي *Murphy Robert*" الذي ذكر تفاصيل هذه القمة في كتابه: "دبلوماسي في وسط المحاربين *un diplomate parmi les guerriers*". أنظر: محمد مزيان، العلاقات المغربية الأمريكية، مرجع سابق، ص 243.

² - يتعلق الأمر بمستشار روزفلت "هاري هوبكينس *Harry Hopkins*" في كتابه "*les papiers de Harry Hopkins*" و "روم لاندو *Rom Landau*" في كتابه "*the sultan of morocco*" و "جورج فوشر *Georges Vaucher*" في كتابه "*Sous Les cèdres d'ifrane*" و "إليوت روفل *Eliot Roosevelt*" في كتابه "*As he saw it*" و "جون لاكوتور *Jean Lacouture*" في كتابه "*Cinq hommes et la France*" أنظر: *Georges Spillmann, Du protectorat, op.cit, p98*

الرئيس الأمريكي بأن "طموح المغرب لاستعادة حريته طموح معقول، و أن مكافأة الحلفاء له واجب"¹.

و يعتبر اللقاء الثاني أكثر أهمية. فقد حضره مجموعة من الأطراف تمثلت في الوفد المغربي الذي كان متكونا من السلطان و نجله الأمير الحسن (الملك الحسن الثاني فيما بعد) والصدر الأعظم محمد المقرئ ومحمد المعمري مدير التشريفات. و تمثل أعضاء الوفد الأمريكي في روزفلت و الجنرال "جورج باطن George Patton" قائد القوات الأمريكية في المغرب. و "روبير مورفي Murphy Robert" ممثل الولايات المتحدة الأمريكية في شمال أفريقيا الفرنسية والضابط "إليوت روزفلت Elliott Roosevelt" نجل الرئيس الأمريكي. و ونستون تشرشل ممثلا لبريطانيا أما فرنسا التي لم تكن معنية بهذا المؤتمر فإن حضور المقيم العام نوجيس (سنة أشهر قبل استقالته) كان نزولا عند رغبة تشرشل للتخفيف من الاستعراض والضغط الأمريكيين وللحفاظ على شكل من أشكال تمثيل الحليف التقليدي لبريطانيا. إلا أن سير المؤتمر لم يحقق أي شيء من هذا و ذاك².

بالرغم من عدم توثيق مجريات هذا اللقاء بشكل رسمي، خاصة عند الأمريكيين، فإن الذين كتبوا عنه عبروا بدون أدنى شك أن المغرب كان على أبواب مرحلة جديدة مختلف جذريا عما سبقتها خاصة. فالعديد من المقاطع تعطينا دلالة في هذا الاتجاه بدون أدنى شك فنجل الرئيس الأمريكي "إليوت روزفلت" وصف ذلك العشاء السياسي الكبير بما يلي: "لقد كان والذي يحرك شوكته التي كان يأكل بها، و مؤكدا أن الوضع يجب عليه أن يتغير جذريا بعد الحرب خاصة فيما يتعلق بمسألة الاستعمار"³. وعندما تساعل السلطان عما كان يقصده من التغيير الجذري، فرد عليه بأن "أرباب الأموال الفرنسيين والبريطانيين كونوا شركات احتكارية بغرض استغلال خيرات المستعمرات... ولم يتوقف والذي عن ذلك رغم سعال تشرشل المبالغ

¹ - محمد مزبان، العلاقات المغربية الأمريكية، مرجع سابق، ص 244.

² - لقد كان حضور نوجيس بطلب من تشرشل تحت غطاء تمثيله للسياسة الخارجية الفرنسية تطبيقا لمعاهدة الحماية لسنة 1912 و لكنه كان بمثابة رصاصة الرحمة التي أطلقت عليه لأنه اكتشف أنه أصبح لا دور له في مستقبل المغرب بعد الحرب العالمية الثانية فقد اعتبر ديغول رحيل فريق شمال أفريقيا و على رأسه نوجيس ضرورة لإحداث "الصدمة النفسية" لإحداث قطيعة بين ماضي فرنسا المتمثل في حكومة فيشي و مستقبلها الذي أصبحت تمثله حكومة فرنسا الحرة. و قد استقال نوجيس في جوان 1943 ليصبح من أكبر المقيمين العامين في المغرب الذي تركوا ورائهم جدلا حول فترته ليس فقط بين الفرنسيين بل حتى بين المغاربة أنفسهم. أنظر: William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*. op.cit, p 369,370.

³ - Elliott Roosevelt, *Mon Père m' a dit*, Green word Press, Westport, 1974, p, 92-96.

فيه و حركته غير العادية على أريكته...لقد كان جد محرجا خاصة عندما قال والذي للسلطان بأنه بإمكانه الاعتماد على الشركات الأمريكية حتى يستطيع المغرب التحكم في اقتصاده "1. "...لقد كان الحديث يدور بحرارة بين والذي والسلطان حول خيرات المغرب الطبيعية وإمكاناته الواسعة التي كان السلطان يفيض بشرحها لوالدي باللغة الفرنسية التي كان والذي يفهما و يرد بها. أما تشرشل الذي لم يكن يفهما،و لذلك حاول تهدئة نفسه بتدخين متواصل لسجارتته...وعندما اقترح والذي استعداد أمريكا تكوين الأطر و الفنيين المغاربة كاد السلطان أن يطلب منه عناوين الجامعات الأمريكية التي ينوي والذي إرسال المغاربة إليها ليستفطن أن القواعد البروتوكولية لا تسمح له بذلك..."2.

أما الأمير الحسن فقد روى للكاتب السويسري "جورج فوشر Georges Vaucher" في كتاب "Sous Les cèdres d'ifrane" عن ذلك اللقاء الذي حضره وعمره لم يتجاوز أربعة عشر سنة بقوله "...لقد كان ذلك أول سر دولة احتفظت به. لقد كان يوم الجمعة،يومها طلب مني والذي مرافقته على الساعة الثالثة بعد الظهر من أجل تدشين مدرسة في الدار البيضاء.و في حقيقة الأمر اتجهنا لوحدها في السيارة إلى نزل "أنفا" فلم أحضر لقاءه مع الرئيس الأمريكي روزفلت و لكنني كنت من المدعوين في العشاء الرسمي الذي حضره كذلك تشرشل...لقد اللقاء السري للسلطان مع الرئيس روزفلت جد مهما،لقد تحدثا بقلوب مفتوحة.و لو لا وفاة روزفلت فيما بعد فإنه كان بإمكانه أن يلعب دورا كبيرا في تطوير المغرب و كامل القارة الأفريقية"3.و في كتابه "التحدي" اعتبر الحسن الثاني أن الرئيس الأمريكي أعلن في هذا اللقاء أن النظام الكولونيالي قد ولى.و تمنى أن تنتهي العداوة قريبا و ينخرط المغرب بكل حرية في الاستقلال حسب مبادئ الميثاق الأطلسي.فقد ألح على ضرورة إعادة تنظيم الاقتصاد و المجتمعات الإنسانية.فقد أكد أن استقلال المغرب سيكون جيدا عن طريق المساعدات الاقتصادية الملائمة"4.وعلق "جورج فوشر" عن ذلك بأن "...تصريحات روزفلت في مائدة العشاء أمام تشرشل و نوجيس من طرف الديمقراطي الأمريكي الكبير،كما وصفه ابنه، لم تكن قليلة التأثير.و لم تكن بريئة.بل كانت محسوبة ومعبرة عن اتخاذ موقف حقيقي.و قد أدرك السلطان

1 - ibid .

2 - - Elliott Roosevelt , Mon Père m' a dit , op.cit.,p 92 – 96 . .

3 - Georges , Vaucher , Sous Les Cèdres D'Ifrane , René Julliard , Paris ,1962 , p , 117 – 118.

4 - الحسن الثاني، التحدي، المطبعة الملكية، 1983، الرباط، ص 22.

محمد بن يوسف ذلك ذلك كانت عيناه تلمعان. و لا يمكن اعتبار تفاعله معها خيانة لفرنسا و للجنرال نوجيس. فقد كان مغربيا بالدرجة الأولى و واجبه التاريخي كان يفرض عليه الحق في الاستفادة من الاستقلال من قوة مستقبلية قامت على أساس مبدأ الجمع بين الفكرة والقوة. و من أهم مقتضياته مواجهة النظام الاستعماري الذي تعتبر الحماية من أوجهه¹.

بدون التقليل من أهمية ما جاء في كل هذه الكتابات فالى أي درجة يمكن اعتبار هذه المحطة ذات بعد تغييرى انقلابى؟ فقد جعل البعض من هذا اللقاء بمثابة شهادة ميلاد للوطنية المغربية. فقد اعتبر "ستيفان برنار" *Stéphane Bernard* في كتابه "الصراع الفرنسي المغربي *le Conflit Franco-Marocain*" أن الصراع الفرنسي المغربي قد انطلق في الثاني والعشرين من شهر جانفي 1943 حينما التقى السلطان محمد بن يوسف بالرئيس روزفلت². و الحقيقة أن هذا الحكم فيه الكثير من المبالغة، و قد يكون حتى خاطئا لأنه و بدون أدنى شك فإن هذه الوطنية تعود لفترات الثلاثينات عندما رد المغاربة على السياسة البربرية³ و حتى قبل ذلك عندما قاوم عبد الكريم الخطابي الغزو الإسباني و الفرنسي. فقد قال أحد الوطنيين المغاربة بأن حرب الريف أيقظت سائرنا⁴. و حفاظا على أهمية "قمة أنفا" كمحطة تاريخية هامة، فإنه يمكن اعتبارها قطيعة في طبيعة القضية المغربية. فإذا كانت هذه الأخيرة ثنائية إلى غاية نهاية سنة 1942، فإنه ابتداء من مطلع سنة 1943 أصبحت ذات بعد دولي⁵.

فبعد سنة من هذا اللقاء، أي في سنة 1944 رفض المغاربة بما فيهم السلطان محمد بن يوسف نظام الحماية. لقد كان مطلبهم و مطالب الجزائريين، و غيرهم من الشعوب المستعمرة مستوحى من هذه القمة، و قبلها من الإنزال الأمريكي في سواحل شمال أفريقيا الذي أظهر قوة خارقة للأمريكيين مقابل ضعف فرنسا المنهزمة. و ما قبل ذلك عند الإعلان عن الميثاق الأطلسي في اوت 1941. لقد أدت كل هذه المعطيات إلى حتمية تتمثل في بحث هؤلاء المغاربة و غيرهم من الشعوب المقهورة عن تحرير أنفسهم. و بالنسبة للوطنيين المغاربة و غيرهم

¹ - Georges Vaucher, *Sous les cèdres d'ifrane*, op.cit, p120

² - Stéphane Bernard, *le Conflit Franco-Marocain*, t3, Institut de sociologie de l'Université libre de Bruxelles, t1 p39.

³ - Ladislav Cerych, *Fin d'un Régime Colonial, Sociologie Du Conflit Franco Marocain, 1930-1956*, thèse présentée a la faculté des sciences économiques et sociales pour obtenir le grade de doctorat en sociologie, Bruges 1964, p 32.

⁴ - لقد تم التطرق لهذه القضية بنوع من التفصيل في الفصل الأول في روافد الحركة الوطنية المغربية.

⁵ - Simonne Lacouture, Jean Lacouture, *Le Maroc à l'épreuve*, Éditions du Seuil, 1958, p, 105.

من الجزائريين سيكون لهذا المشروع أكثر حظوظا في النجاح مع حلفاء فرنسا أكثر من الفرنسيين أنفسهم¹.

لقد اعتبر روم لاندو أن "السلطان محمد بن يوسف ظهر في الضوء الساطع بالنسبة للأحداث العالمية في سنة 1943 عندما قابل الرئيس روزفلت و رئيس الوزراء تشرشل في مؤتمر الدار البيضاء. فلأول مرة منذ توليه الحكم سنة 1927 (وحتى منذ إعلان الحماية الفرنسية على المغرب 1912 بالنسبة لأسلافه) تحدث حديث الند للند وبدون رقابة فرنسية إلى سياسي أجنبي كبير (روزفلت). لقد اعتبر اجتماعه معه حدثا كبيرا بالنسبة إلى حياة بلاده"² فإذا كانت بداية سنة 1943 مرحلة حاسمة في تاريخ العالم لأنه بدأ التحرير الفعلي لأوروبا. القضاء على محاولة الأنظمة الجديدة تغيير موازين القوى و الخريطة السياسية للعالم. فإنها كانت كذلك بنفس الأهمية لمنطقة شمال أفريقيا عامة بما فيها المغرب لما أحدثته من تغيرات عميقة في المغرب مجتمعا وسلطانا وحركة وطنية. و قد ظهرت مباشرة آثارها و بقيت متواصلة إلى غاية إزالة نظام الحماية سنة 1956.

و في سنة 1943 عرف المغرب منعرج حاسما بدأه روزفلت و بالرغم أن خليفته ترومان لم يكمله بنفس الروح³. إلا أن الأمور لم تتوقف بالنسبة للمغاربة عند فهم و تأويل واستنتاج لما حدث في هذه الفترة، بل واصلوا استفادتهم من هذا المنعرج و بعثت روح جديدة في حركة مطالبهم التي لم تعد إصلاح نظام الحماية كما كانت منذ 1930. و لكنها أصبحت تطالب بـ "الاستقلال" هذه الكلمة التي وجدت صداها في المجتمع المغربي سريعا حتى قبل نهاية الحرب العالمية الثانية. فإذا كانت المرحلة الممتدة منذ نزول الحلفاء في شمال أفريقيا في نوفمبر 1942 إلى غاية انعقاد قمة "أنفا" في جانفي 1943 مصيرية، فإن الفترة الممتدة بين جانفي 1943 و جانفي سنة 1944 كانت هي الأخرى أكثر أهمية. لأن الوطنيين المغاربة أرادوا الاستفادة من نتائج الحرب العالمية الثانية قبل نهايتها⁴. فقد قاموا بنشاط مكثف بعد أكثر من خمس سنوات من السكون. فجددت الحركة الوطنية المغربية حركيتها بمضمون جديد

¹ - Ladislav Cerych, *Fin d'un Régime Colonial... op.cit*, p32.

² - لاندو روم، تاريخ المغرب في القرن العشرين، مصدر سابق ص 251.

³ - Maurice Butin, *Hassan II DE Gaulle Ben Barka, ce que je sais d'eux*, Kartala, Paris 2010, p33.

⁴ - Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) , *Déclarations Relations Avec La Résidence Et Avec Les Nationalistes Marocains* , Archives Diplomatiques De la Courneuve , Paris, série Maroc 1944 – 1955 , 24QO/12.

تمثل في المطالبة بالاستقلال. كما تم تدعيم كوادرها بعناصر جديدة من مواليد العشرينات. و ما لبثت أن عرفت حيويتهم السياسية تصاعدا متميزا كان لها تأثير كبير عليها. و على رأس هؤلاء المهدي بن بركة¹ وعبد الرحيم بوعبيد² الذي سيكون لهما الكثير من التأثيرات على هذه الحركة ليس فقط أثناء فترة الحماية بل حتى في ما بعدها.

¹ - المهدي بن بركة ولد سنة 1920 بمدينة الرباط . حفظ القرآن و عمره لم يتجاوز تسع سنوات. ثم درس في مدرسة لعلو الابتدائية التي درس فيها أحمد بلافريج. و بعد ثلاث سنوات تحصل على شهادة الابتدائية. ثم التحق بالمدرسة الثانوية مولاي يوسف. ثم أخرج منها خوفا من تأثير أحد الأساتذة اللبنانيين المسيحيين خاصة بعد أن أصبح محمد عبد الجليل شقيق عملا عبد الجليل مسيحيا. و التحق بثانوية غورو التي درس فيها محمد حسن الوزاني. و في سنة 1938 تحصل على شهادة البكالوريا و شهادة نهاية الدروس الثانوية الإسلامية. ثم درس الرياضيات في جامعة الجزائر بعد تعذر ذلك في باريس لظروف الحرب. و تعتبر مرحلة حاسمة في تكون شخصيته السياسية فقد تعرف على الاستعمار الفرنسي في شكله الآخر. و في سنة 1941 التقى في مدينة فاس في مهرجان شبابي بالرحيم بوعبيد الذي سيجمعه معه تاريخ نضال طويل جدا. و في سنة 1942 تحصل على الليسانس في الرياضيات و دخل إلى المغرب بطلب من الحركة الوطنية بعد الإنزال الأمريكي ليمارس التدريس في ثانوية غورو بالإضافة إلى دروس خاصة في الثانوية الملكية بالرباط حيث كان الحسن الثاني أحد تلامذته. و هي الفترة التي ظهر فيها كسياسي بآفاق. و كان من قادة حزب الاستقلال سنة 1944. و شهد فيه استقلال المغرب سنة 1956. و بعد الاستقلال كان من مؤسسي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية 1959. و دخل في صدام متواصل مع النظام الملكي إلى غاية اختطافه و اختفائه في باريس في 29 أكتوبر 1965 ليتحول إلى أكبر ألقاز المغرب المستقل. أنظر: قادة دين، المسار السياسي و الفكري للمهدي بن بركة 1934-1965 مذكرة لنيل شهادة الماجستير تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى نويسر، جامعة الجزائر، 2014.

² - ولد عبد الرحيم بوعبيد يوم 23 مارس 1923 بمدينة سلا التحق بالمدرسة الابتدائية بسلا سنة 1928 و يقول بوعبيد عنها أنها سنوات صعبة لأنه كان يقاوم الفروقات الاجتماعية بالنجاح الدراسي. تحصل عبد الرحيم بوعبيد على الشهادة الابتدائية سنة 1934 وانتقل من سلا إلى ثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث كان المهدي بن بركة قد سبقه بعامين، و هناك درسا طوال أربع سنوات بنفس المدرسة دون أن يتعرف بعضهما على البعض. وفي ثانوية مولاي يوسف بالرباط بدأ عبد الرحيم بوعبيد يسمع أحاديث عن قيام كتلة العمل الوطني. تحصل عبد الرحيم بوعبيد على البكالوريا و التقى بالمهدي بن بركة الحاصل على البكالوريا والذي كان هو الآخر تلميذا بثانوية مولاي يوسف خلال حفل خاص أقامه المقيم العام الجنرال نوجيس على شرف التلاميذ المتفوقين سنة 1939. في 11 يناير 1944 تم تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، والتي كان أحد مهندسيها الرئيسيين وأصغر الموقعين عليها. في أحداث جانفي تم اعتقاله على إثرها و سجن في الرباط. 1945 و بعد الإفراج عنه اجتمع بالسلطان محمد بن يوسف. ثم التحق بمعهد الدراسات السياسية في باريس حيث تحصل على الليسانس في القانون و قد سهر هناك على توسيع تواجده تنظيمات حزب الاستقلال وترسيخ المثل الوطنية لدى العمال والطلبة المغاربة المهاجرين بفرنسا وبلجيكا. كما نسج أيضا علاقات واسعة مع عدد من الشخصيات والتيارات السياسية الفرنسية. و كان ضمن الوفد المفاوض لاستقلال المغرب مع رئيس الحكومة الفرنسي إدغار فور. و في سنة 1959 من مؤسسي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. و عرفت حياته بعد الاستقلال الكثير من التقلبات السياسية من بينها معارضة حكم الحسن الثاني. توفي سنة 1992.

2 - إنعكاسات الحرب العالمية الثانية على المغرب و المغاربة

2 - 1 آمال المغربية في الحلفاء :

كتب الحسن الثاني في مذكراته أن والده صرح أمامه مباشرة بعد قمة "أنفا" بأن "مستقبلا جديدا لبلادنا بدا يلوح أمامه"¹. ولذلك أراد السلطان أن يؤكد هذا المستقبل بخطوات أخرى أكثر وضوحا و أجراً بإرساله للصدر الأعظم محمد المقرئ كمبعوث للقاء مستشار روزفلت "هاري هوبكينس" *Harry Hopkins* لإتمام ما اعتبره السلطان المشاورات الرسمية بين وأمريكا و المغرب حول مستقبل هذا الأخير. فإذا كان لقائه بروزفلت حول المبادئ العامة لهذا المستقبل فإن رسوله كان يحمل معه أسئلة محددة حول هذا المستقبل ارتبطت بوضع المغرب آنذاك. الذي وصفته الرسالة بأنه كان معقدا بفعل الموقف الفرنسي الغامض بين "فريق الجزائر" و "فريق لندن". وعلاقة ذلك بالمغرب بالإضافة إلى التواجد الأمريكي به عسكريا منذ إنزال نوفمبر 1942. وهل لهذا الإنزال أبعادا سياسية ترتبط بمستقبل المغربية؟ و كان التساؤل كذلك حول مستقبل اليهود في المغرب حتى لا يستغل هؤلاء هذه المستجدات السياسية والعسكرية بهدف تغيير قانونهم الأساسي. فهو نتيجة قرون من تعايشهم مع المغاربة المسلمين. فقد حفظ لهم كرامتهم و جعل منهم جزء من المجتمع المغربي. و بالتالي فلا وجود في المغرب لما كان يسمى بـ "المشكلة اليهودية". و بالتالي لا يمكن لهم أن يحصلوا على أي امتياز. و نظرا لأوضاع المغربية الاجتماعية و الاقتصادية المترتبة عن تسخير قدراتهم في المجهود الحربي فقد طلب السلطان من روزفلت مساعدات مادية استعجالية. و أخيرا فلقد اعتبر السلطان أن المغرب سلطانيا و خليفيا مستعد لوضع مستقبله بعد الحرب بين يدي الرئيس الأمريكي فانتصار الحلفاء بالنسبة إليه في هذه الحرب العالمية كان أكيدا².

لقد أثبتت هذه البنود التي أرادها السلطان أن تكون في غاية السرية أن رغبته كانت في التخلص من الوجود الفرنسي باستغلال، وكغيره من الشعوب المستعمرة، ظروف الحرب العالمية الثانية عامة و ما ارتبط بالمغرب خاصة. و فقد بدأ السلطان محمد بن يوسف "معركته لاسترجاع العرش العلوي الذي أصبح مرهونا منذ معاهدة فاس 1912".³ و إذا كانت رغبة

¹ - الحسن الثاني، التحدي، المطبعة الملكية، 1983، الرباط، ص 68.

² - المصدر نفسه . ص 69 - 75

³ - Daniel Rivet ,*Le Maroc De Lyautey à Mohammed V, op.cit.* 384.

السلطان في الانضمام إلى "حلف روزفلت" واضحة و صريحة من خلال تلك الرسالة، فإن الموقف الأمريكي من هذه الرغبة لم يكن على نفس الحماس في تلك الفترة. فلئن طمأن مستشار روزفلت الذي تسلم وثيقة السلطان على أن القارئ الوحيد لها هو روزفلت لا غير، فإنه في نفس الوقت، و بحكم معرفة هذا المستشار برئيسه لأنه كان صديقه قبل أن يكون مستشاره، فإنه أعطى إجابة عامة عليها. التي تضمنت تقديرا "الموقف السلطان من النازية برفضه للإجراءات العنصرية" و تذكيرا بأن "المهمة الأساسية للتواجد الأمريكي في شمال أفريقيا هي القضاء الأنظمة الشمولية في أوروبا"¹. و أن " اختيار الدار البيضاء لعقد هذا المؤتمر كان من ورائه الحظ لا غير". و بالنسبة للسياسة الأمريكية في مرحلة ما بعد الحرب فإنها "لا تتضمن استغلال المغرب. و لكن إقامة علاقات اقتصادية و تقارب بينهما". في ظل "الصداقة الكبيرة التي أصبحت للرئيس الأمريكي مع السلطان". و ليس في نية أمريكا "إجبار الآخرين على إحداث أي تغيير في الأوضاع الراهنة للمغرب"².

لقد كان الرد الأمريكي على المبادرة المفتوحة للسلطان محمد بن يوسف متحفظا جدا³. و يمكن قراءته على أنه ردا اقتضته الأعراف الدبلوماسية. إلا أنه عبر عن بداية تراجع سريع عن ضمانات روزفلت لمغرب لما بعد الحرب على أن يكون مستقلا و زاهرا. فقد كانت مضامين هذا الرد فضفاضة عملت على دغدغة المشاعر المغاربة وطمأنة سلطانهم بالصداقة الأمريكية بحجة الحفاظ على وحدة صف الحلفاء. فمهمتهم لم تنتهي بعد واجتياح كتلة المحور مازال متواصلا في أوروبا. و الهجوم على أوربا من طرف الحلفاء كما كان مخطط له لم يتحقق بعد. سواء في الجنوب أو في الشمال. لذلك كانت السياسة الأمريكية تتجه للتفكير في مرحلة ما بعد نجاح "الإنزال السياسي" الذي تم في قمة "أنفا" في جانفي 1943. بعد نجاح "الإنزال العسكري" في نوفمبر 1942. و لذلك كانت الأولوية الأمريكية تتجه لإنهاء الحرب لصالح الحلفاء أكثر من تحقيق استقلال المغاربة و غيرهم من الشعوب المستعمرة فقد ظهر الكثير

¹ - Relations avec les Etats-Unis, Dossier General ;activité politique et militaire américaine au Maroc , Archives Diplomatiques De la Courneuve ,Paris serie Maroc 1944 9 1955 „24QO 156..

² - Elliott Roosevelt , Mon Père m' a dit ,op.cit., p ,92 - 96.

³ - Relations avec les Etats-Unis, Dossier General ;activité politique et militaire américaine au Marocop.cit.,

من "التصويبات" في وعود روزفلت على مائدة العشاء تلك. خاصة بعد إبداء تشرشل لإزعاجه الواضح من محتوى المحادثات التي رافقت تلك الجلسة¹.

2- 2 الخلاف الفرنسي الأمريكي و أثره المغرب:

مهما كان من أمر الحسابات السياسية القريبة البعيدة للولايات المتحدة الأمريكية. فإن المغرب ونظرا لموقعه الجغرافي الجيوستراتيجي، بالنسبة لمسار الحرب العالمية الثانية على الأقل تحول، إلى مجال حيوي لتحقيق الأمن بمفهومه الأمريكي. وحقل تجارب مفضل من أجل القيام بتجربة سياسة جديدة اتجاه الحركات الوطنية التحررية². فقد عاش المغرب أثناء "العهد الأمريكي"³. أوضاعا جديدة على جميع الأصعدة جاءت بعد الإنزال العسكري والقمة السياسية بـ "أنفا". و لم يعد كسابق عهده. فقد كان سببا في تشنج العلاقات الأمريكية الفرنسية. لقد أصبح المغرب في مهب "المواجهة الفرنسية- أمريكية"⁴. فسلطات الحماية في المغرب و من ورائها حكومة فرنسا الحرة اصطدمت بالقوة الأمريكية على المستوى الإستراتيجي و السياسي على حد سواء⁵.

فأمام الطموحات النظرية لأمريكا في عالم ما بعد الحرب. و في المغرب خاصة، اتهمت من طرف حكومة فرنسا الحرة، و حتى من طرف حكومة فيشي من قبل، بأنها كانت تريد أن تحل محل فرنسا في المغرب و شمال أفريقيا عامة. و ذلك بتشجيع الوطنيين على إعادة بعث حركتهم الوطنية التي قمعتها فرنسا قبل الحرب⁶. و لكن "المثالية الأمريكية" أعادت بعثها. فحكومة فرنسا الحرة تمسكت بمنطقة شمال أفريقيا و اعتبرتها قاعدة فرنسية للعودة إلى أوروبا. و قد بدأت فعلا هذه العملية منذ 1940 في عمق أفريقيا عندما استرجع ديغول السيطرة على كل من الكونغو و الغابون. و بالرغم من عدم إعلامه بحيثيات الإنزال الأمريكي في

¹ - ذكر الوزاني في مذكراته أن الانكليز كانوا أكبر المستعمرين وفي أفريقيا وآسيا و تواجدهم في الميثاق الأطلسي ثم مؤتمر الدار البيضاء كان من أجل مصلحة الحرب و قد عملوا الكثير من أجل إبقاء الحرب ذات أولوية وحيدة. و لذلك كان إلى جانب ديغول في الاستعراض العسكري الفرنسي في مراكش. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج06، مصدر سابق، ص160.

² - *Relations avec les Etats-Unis, Dossier General ;activité politique et militaire américaine au Maroc , Archives Diplomatiques De la Courneuve ,Paris serie Maroc 1944 9 1955 ,,24QO 156..*

³ - *Georges Oved, La gauche française, T 2,op cit p 198.*

⁴ - *Abdelkhaleq Berramdane, Le Maroc et l'Occident, Karthala, Paris, 1987, p 42.*

⁵ - *ibid.*

⁶ - *Relations avec les Etats-Unis, évolution des relation franco-américaines au Maroc la Question d'Afrique du Nord et appui des Etats-Unis aux nationalistes marocains., Archives Diplomatiques De la Courneuve ,Paris série Maroc 1944 9 1955 ,,24QO 158*

نوفمبر 1942 في شمال أفريقيا بإصرار من روزفلت، فإنه أطلق نداء من إذاعة لندن لسكان شمال أفريقيا يحثهم فيها على "المساعدة والتعاون مع حلفائه لاستعادة مجد فرنسا من هناك"¹. كما اعتبر "الجزائر والمغرب و تونس القاعدة التي ستحرر منها فرنسا"². و هذا التحرير كان بالنسبة لديغول بمثابة واجب وطني بالنسبة له. وحتى لغيره من المغاربة و الجزائريين و التونسيين. لذلك يجب القيام به بدون مقابل. بما في ذلك مساعدته في مواجهة النازية. و لذلك رفض "جهود المنفى" التي قام بها علال الفاسي عندما كان مستعدا لمساعدة فرنسا الحرة ضد النفوذ الألماني في المغرب مقابل الاستجابة لمطالب الحركة الوطنية المغربية³. لقد كان ديغول يريد تحرير فرنسا الفرنسية مع الحفاظ على إمبراطوريتها الاستعمارية. فقد اعتبر هذه الإمبراطورية شرطا من شروط انتصار فرنسا و عودتها للساحة الدولية بعد "تكة جوان 1940"⁴. و لذلك عارض كل المخططات الأمريكية في شمال أفريقيا عامة و في المغرب خاصة بما فيها "جنة كاليفورنيا" الموعودة للمغاربة من طرف الأمريكيين⁵.

أما بالنسبة لموضوعة المغاربة في هذا الخلاف الأمريكي الفرنسي الاستراتيجي. فإنهم أصبحوا يؤمنون بأن المغرب يعيش بكل ثقله في "العهد الأمريكي"⁶. فقد أبهرتهم القوة المادية لأمريكا عسكريا من خلال عملية "تورش Torch" عند الإنزال في سواحل الدار البيضاء و القنيطرة و آسفي في نوفمبر 1942. و كذلك فعلت في الأسواق عندما أصبح الأعوان الأمريكيين يشرفون على توزيع المؤن و الغذاء والألبسة على المغاربة و هي تحمل الراية الأمريكية. و كان كلما رأى المغاربة سيارات "جيب jeep" والشاحنات المعروفة بنجمة الحلفاء تجوب الطرقات يسارعون نحوها باعتبارها مصدر للمشغل والمنتجات الأمريكية. فقد تجمع المغاربة حيثما أقامت الفرق العسكرية الأمريكية قواعدها و مستودعاتها، و قد حدث ذلك في مراكش و القنيطرة التي أصبحت قاعدة جوية بحرية، و كذلك في مكناس و فاس و جرسيف و

¹ - Abdelkhaleq Berramdane, *Le Maroc et l'Occident*, Karthala, Paris, 1987, p 43

² - *ibid.* 43.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 271.

⁴ - Jean-Louis Crémieux-Brilhac, *L'Appel du 18 juin*, op cit.

⁵ - عبارة استعملتها الصحافة الأمريكية لإظهار آمال المغاربة في أمريكا. استعمل ديغول هذه العبارة عندما استقبل السلطان محمد بن يوسف في باريس في جوان 1945 للمشاركة في احتفال انتصار الحلفاء في الحرب العالمية.

⁶ - *Relations avec les Etats-Unis, évolution des relation franco-américaines au Maroc*, op.cit.,

وجدة على الطرق المؤدية إلى الجبهة الشرقية للحرب¹. فقد "تحرر المغاربة من المجاعة وشكروا الله على ما فعله الأمريكان و أقروا بعظمة و خير الإمبراطورية الأمريكية" على حد تعبير القاضي أبي جعفر².

و إذا كان هذا الانبهار ما يبرره ماديا فإن ما حدث فكريا لم يكن من المنتظر أن يحدث بتلك الصورة و السرعة. وإذا خافت فرنسا من أمريكا استراتيجيا³، فإنها كذلك أرعبتها حالة الوعي التي أحدثتها لدى الوطنيين المغاربة الذين استرجعوا "شهيتهم السياسية". فقد سحرتهم و جذبتهم مجريات مؤتمر "أنفا" فشرعوا في تجسيد ذلك ميدانيا⁴. و ذلك بالرغم من سعي سلطات الحماية منع أي تقارب مغربي أمريكي⁵. فكثيرا ما نصحت الأمريكان بعدم التقرب من هؤلاء الوطنيين المغاربة. و اعتبرتهم أتباع هتلر في الأول. ثم تحولوا بعد ذلك لاتباع ستالين. حتى أن وسائل الدعاية الفرنسية كتبت حينها عن الدعم الذي تلقاه عبد الكريم الخطابي من طرف مكتب الكومنترن. فقد اعتبر هذا الأخير ثورة الريف حرب إبادة ضد المغاربة. و من أشكال الصراع الإمبريالي، و كان بإمكانها أن تؤدي إلى صراع عالمي أكثر خطورة من الحرب العالمية الأولى لذلك يجب الوقوف ضد هذه الحرب⁶.

لذلك اعتبر الوطنيون المغاربة كل ذلك سببا للدفاع عن أنفسهم أمام الدعاية الفرنسية المغرضة بعدة وسائل من بينها الصحافة. ففي مطلع 1943، و في غمرة الانتصار سمحت أمريكا لبعض المهللين بالعهد الأمريكي بالتحرك إعلاميا فكانت جريدة "المنبر الوطني *La voix National*" الناطقة بالفرنسية و "العمل" بالعربية صفة على موصوف. ومنبرين حقيقيين للتعبير عن "الاستبشار خيرا بالخلاص الأمريكي". والدعاية له على أنه المستقبل الواعد للمغرب

¹ - ألبير عياش، الحركة النقابية بالمغرب ج02، 1943-1948، ترجمة نور الدين سعودي، منشورات أمل للتاريخ و الثقافة و المجتمع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص 17.

² - محمد مزيان، العلاقات المغربية الأمريكية، مرجع سابق، ص 233-235.

³ - *Relations avec les Etats-Unis, évolution des relation franco-américaines au Maroc, op.cit.*

⁴ *Ibid.*

⁵ - طلبت القيادة الفرنسية في مدينة مراكش من الأمريكان أن لا يتحدثوا إلى الباشا إلا بحضور مترجم فرنسي رسمي. أنظر: لاندو روم، تاريخ المغرب، مصدر سابق، ص 270.

⁶ - Abdelkhaleq Berramdane, *Le Maroc, op cit p 198. p 33*

والمغاربة". لأن "الأمريكيين غير الفرنسيين فهم يحترمون المغاربة الكبار والصغار"¹. والتفاوت
بـ". المثالية الأمريكية التي كانت تجمع بين القيم و القوة. وهي التي ستقضي على الظلم و
الاستعباد الاستعماريين ...". فصحح أن أمريكا جاءت لإنقاذ أوروبا من الأنظمة الشمولية إلا
أن مبادئها لا تسمح لها بترك المغاربة و الشعوب الأخرى في شمال أفريقيا تحت نير
الاستعمار الفرنسي. لأنه لا يختلف عن النظام النازي والفاشستي في مضمونه القهري للإنسان
فالنسبة لهؤلاء خرجت أمريكا نهائيا من عزلتها لتحرر الإنسانية باقتصادها الليبرالي و
مبادئها السامية التي يعبر عنها تمثال الحرية المطل على خليج نيويورك الذي يستقبل كل من
دخلها كقيمة مقدسة في التراث الأمريكي². فبالرغم من أن فترة التواجد الأمريكي في المغرب
قصيرة جدا إلا أنه توغل في عمق المجتمع حتى أصبح موضوعا لبعض الشعراء والمطربين
الشعبيين الذين تناولوا ذلك من زاوية بسيطة و لكنها جد معبرة، ليصبح ذلك من طرائف
التأثير الأمريكي على المجتمع المغربي³.

2 - 3 السلطان محمد بن يوسف محور الحركة الوطنية المغربية:

وعند الحديث عن تأثير هذا العهد على المجتمع المغربي فإن السلطان محمد بن
يوسف كان أهم طرف تعرض لهذا التأثير. بل كان مصدره و ملهمه بالنسبة للمغاربة. لأنه كان
أول المغاربة من تأثر به و لم يتردد في إبقاء قنوات الحوار مفتوحة على مصراعيها أمام
مواصلة النفوذ الأمريكي⁴. و بالرغم من أن اتصاله الموالي بالرئيس الأمريكي لم يكن لا
شافيا و كافيا ولا في مستوى توقعاته للمستقبل الجديد بلاده. فإنه اعتبر ذلك من قبيل

¹ - لقد تحدث القادري عن صاحب هاته الجريدتين و تحمسه لأمريكا جاءت هذه المقاطع من جريدة "النبر الوطني" و "العمل" و
غيرها كل محتوياتها كانت تبشر بالعهد الأمريكي. أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي ج 02، مصدر سابق ص 151.

² - من أهم المغاربة الذين تحمسوا لأمريكا الأمير مولاي الحسن عم السلطان وعبد اللطيف الصيحي و مهدي بنونة و محمد رضا
أكديرة و محمد بركاش و رشيد مولين و الفاضل الشرقاوي و المختار أحرسان. و ليس من قبيل الصدفة أن يصبح هؤلاء بعد
استقلال المغرب وزراء و شخصيات نافذة في المجتمع المغربي. لقد كان ذلك بمثابة تحضير في الظل للنخبة لما بعد الحماية. و نفس
الشخصيات أسست في سنة 1977 "جمعية دراسات العلاقات المغربية الأمريكية ASMAR" أنظر:

Abdelkhaleq Berramdane, Le Maroc, op cit p 198. p58

³ - غنى مطرب مغربي شعبي يسمى "الحسين السلاوي" أغنية عنوانها "حضرات الماريكان" و تناول فيها أثر إنزال القوات الأمريكية
على سواحل المغرب، و أثر هم اليومي في المدن المغربية من خلال السلوكيات اليومية. و تضمنت تقليد المغاربة البسطاء
للأمريكيين من خلال كلمات إنجليزية.

⁴ *Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) , Déclarations Relations Avec La Résidence Et Avec Les Nationalistes Marocains ,op.cit.*

الممارسة الدبلوماسية أولا وأخيراً¹. فالرئيس الأمريكي تمسك بالضمانات التي قدمها للسلطان و صرح بذلك أمام الملك السعودي². و كذلك فإن السلطان قد تفهم جملة من الاعتبارات فالحلفاء لا يمكن لهم أن يناقشوا قضية الشعوب المستعمرة قبل تحرير أوروبا. كما أدرك كذلك أن الصداقة المغربية الأمريكية بحاجة للوقت حتى يتم صقلها و تكون في صالح المغرب. وقد يكون قد اقتنع كثيراً أن الخلاف الأمريكي الفرنسي حول المغرب لا يخدم هذا الأخير. على الأقل في تلك الظروف. بالنظر إلى ما تضمنه رد مستشار الرئيس الأمريكي على الصدر الأعظم الذي حمل تلك الرسالة السلطانية السرية جداً. و لذلك كان من أهم ما أعطاه السلطان محمد بن يوسف للرئيس الأمريكي عبارة عن صك على بياض لاستغلاله بكل حرية بعد الحرب. و خاصة بما يحقق استقلال المغرب³. فقد كانت ثقته في روزفلت مطلقة و عبر له عنها في لقاء معه في "أنفا" في جوان 1943 الذي تم بدون أية واسطة فرنسية⁴. حتى أنه في الفترة الممتدة بين نوفمبر 1942 و أوت 1943 تعددت زيارات الضباط الأمريكيين للقصر حاملين معهم رسالات من طرف الرئيس الأمريكي كما كانوا في كل مرة يقدمون للسلطان هدايا تذكارية جد معبرة⁵ و عندما زاره أحد الصحفيين الأمريكيين لإجراء حوار معه طلب من ابنته الأميرة عائشة أن تقرأ بصوت مرتفع، وباللغة الانجليزية "وثيقة استقلال الولايات المتحدة الأمريكية" بتاريخ 04 جويلية 1776 لتوماس جيفرسن⁶. و للتعبير عن رغبته في ممارسة صلاحيات كاملة في المغرب، الذي بالنسب إليه كان يملك سيادته، فإنه كان يرفض أن يقال "المغرب الفرنسي" أو "الإمبراطورية الفرنسية" لأن مثل هذه التعابير بالنسبة إليه تعتبر "جزارة للمغرب"⁷. و لكن وفاة روزفلت في سنة 1945. و في العام الأول من إعادة انتخابه للمرة الرابعة، التي بقدر ما

¹ - *Relations avec les Etats-Unis, évolution des relation franco-américaines au Maroc la Question d'Afrique du Nord et appui des Etats-Unis aux nationalistes marocains*, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris série Maroc 1944 9 1955 „24QO 158

² - Robert Rêzette, *les partis politiques*, op. cit p 137.

³ - *Relations avec les Etats-Unis, évolution des relation franco-américaines au Maroc la Question d'Afrique du Nord et appui des Etats-Unis aux nationalistes marocains*, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris série Maroc 1944 9 1955 „24QO 158

⁴ - Robert Rêzette, *les partis politiques*, op. cit p 137.

⁵ - تمثلت بعض الهدايا في سيارة أمريكية فخمة من نوع "Packard" قدمها له الجنرال كلارك "Clark" وبنديكية أمريكية الصنع من طرف الجنرال "باتون Patton" و ألبوم صور تذكارية عن أمريكا قدمها له الجنرال "ويلبورث Wilburt". أنظر:

Guillaume Denglos, *juin l'Africain: le "dernier maréchal d'empire" (1888-1967)*, thèse de doctorat de l'université de Paris 1, 2014, p 272.

⁶ - Daniel Rivet, *Le Maroc De Lyautey à Mohammed V* op.cit, p, 385.

⁷ - Guillaume Denglos, *juin l'Africain*. op.cit, p273.

كانت مؤلفة للأمة المغربية وعاهلها¹. فإنها أسقطت كل هذه التوقعات خاصة بعد تولي الرئاسة نائبه "هاري ترومان" و تغيرت بذلك أولويات السياسة الخارجية الأمريكية و ضاعت بذلك فرصة تاريخية كبيرة أمام المغرب و شمال أفريقيا للتقدم والازدهار².

إلا أن تفهم السلطان للظروف الدولية وقضايا أخرى. لم تجعله يتراجع على الدور الذي بدأه يوم 22 جانفي 1943 بلقائه روزفلت. فقد جعلت منه هذه الظروف محورا للوطنية المغربية. و قد بقي هذا الدور متوصلا و متعاضدا حتى يصل إلى ما أصبح يعرف فيما بعد بـ "ثورة الملك و الشعب". فالسلطان لم يظهر بهذه الصفة منذ توليه عرش دولة الأشراف العلويين سنة 1927. فلفترة طويلة اعتبرت كل ممارساته مطابقة لمضمون وثيقة الحماية 1912. و لم يخرج عن روحها حتى أن المقيم العام الجنرال نوجيس بين 1936 و 1943 كان يفتخر دائما بعلاقاته الوطيدة مع السلطان و يشبهها بعلاقات ليوتي مع السلطان يوسف³. و قد اعتبره مكسبا لفرنسا في الإمبراطورية الشريفة. و حتى عندما قام بقمع الوطنيين في سنة 1937 اعتبر ذلك بموافقة السلطان و دعمه⁴. فقد بقي إلى جانب فرنسا طيلة سنوات طويلة. بالرغم من أنه لم يكن يخف من حين لآخر تعاطفه مع بعض مطالب الوطنيين و مع أحوالهم في بعض الأوقات الحرجة⁵. لقد بقي وفيا لفرنسا و لكنه "...أصبح مع مرور الأيام متمرسا في السياسة و متعودا عليها، و قد تحول هذا إلى خطر على فرنسا فيما بعد". حسب تعبير احد العسكريين الفرنسيين⁶.

و يبدو أن هذا "الخطر" الذي تنبأت به مذكرة هذا العسكري بدأ يتحقق عندما تحول السلطان محمد بن يوسف إلى ممثل وحيد للوطنية المغربية و بدون منازع في الفترة الممتدة

¹ - لاندو روم، محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته، ترجمة ليلي أبو زيد، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، 2000، ص 17.

² - الحسن الثاني، التحدي، مصدر سابق .

³ - William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*, op.cit, p 250

⁴ - *ibid.*

⁵ - *ibid.*

⁶ - ذكر ذلك الجنرال الفرنسي "بول فيليلوم Paul Villelume" في مذكراته تحت عنوان "يوميات الهزيمة" و قد اعتبر السلطان محمد بن يوسف مصدر قلق بالنسبة لفرنسا. وردت هذه الشهادة في:

William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*, op.cit, p 251.

من نوفمبر 1942 إلى غاية جانفي 1944 (وبالنسبة للبعض حتى بعد هذا التاريخ)¹. فلم يحدث سابقا أن استجاب لاستقطاب الوطنيين له بهذه الصفة². إلا أنه هذه المرة هو الذي كان من وراء هذا الالتفاف حوله. فلم يعد بإمكانه تجاوزهم. ونفس الأمر بالنسبة إليهم. بالرغم من أنهم تجمعوا من جديد خلال سنة 1943. سواء بإطلاق سراح جلهم في أو بعودة آخرون من منفاهم الاختياري³. و لكن حركتهم بقيت مشلولة و لم يقوموا بأي نشاط سواء بشكل جماعي أو فردي. ما عدا ما سمحت به ظروف الحرب العالمية الثانية. سواء تعلق الأمر بالمدعمين لكتلة المحور عند سقوط فرنسا في جوان 1940. أو الحلفاء بعد نزولهم في نوفمبر 1942. و لذلك أصبح السلطان سواء بإرادته أو غير ذلك الممثل الوحيد، و لو مؤقتا للحركة الوطنية المغربية.

تمت البدايات الأولى لاتصال الوطنيين بالسلطان محمد بن يوسف⁴ عن طريق أحد الوطنيين المسمى محمد بن عبد الواحد الفاسي⁵. الذي كان أستاذا في المدرسة الخاصة التي أنشأها السلطان لتعليم أبنائه. و من خلال اللقاءات العابرة مع السلطان كان محمد الفاسي يتحدث عن الوطنيين المغاربة و عن الآمال فيهم. وغيرها من القضايا التي جلبت انتباه

¹ - Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) , *Déclarations Relations Avec La Résidence Et Avec Les Nationalistes Marocains*, op.cit.

² - حاول الوطنيون المغاربة منذ سنة 1930 عند صدور الظهير البربري جلب السلطان لدائرهم. وكذلك سنة 1934 عندما استقبلوه في مدينة فاس و كانوا من وراء مبادرة عيد العرش. أنظر ، الحركة الوطنية الصحفية سابقا (الفصل الثالث)

³ - تم إطلاق سراح الغالبية العظمى من الوطنيين في سنة 1943 كما عاد بلإفريج من الشمال. وبقي فقط علال الفاسي الذي كان منفيًا في الغابون و محمد حسن الوزاني في "إيرتزا" بالجنوب المغربي.

⁴ - Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) , *Déclarations Relations Avec La Résidence Et Avec Les Nationalistes Marocains*, op.cit.

⁵ - يعتبر محمد بن عبد الواحد الفاسي من الوطنيين المغربية و من أعلام الحركة الثقافية في المغرب. ولد سنة 1908 بفاس، وبدأ تعليمه بها ثم التحق بفرنسا فحصل على الإجازة من جامعة السربون، ثم دبلوم الدراسات العليا من معهد الدراسات الشرقية بباريس، من رواد الحركة الوطنية المغربية الأوائل. من مؤسسي مجلة " مغرب Maghreb " كما ساهم في تأسيس "جمعية طلبة شمال إفريقيا". و ترأس اللجنة التحضيرية لمؤتمرها الثالث سنة 1933، والتقى بالأمير شكيب أرسلان بجنيف و لازمه لفترة من الزمن. و بعد عودته للمغرب عين أستاذا بالدار البيضاء، وثانوية مولاي يوسف بالرباط، ثم بمعهد الدروس العليا، والمعهد المولوي الذي أنشأه السلطان محمد بن يوسف لتعليم وتربية الأمراء، ومديرا لجامعة القرويين، و كان من بين موقعي وثيقة الاستقلال في 11 يناير 1944. و ينسب له أهم إنجاز و هو الربط بين السلطان و الحركة الوطنية. وبعد الاستقلال تقلد عدة مناصب وزارية من بينها وزير التربية الوطنية والشبيبة والرياضة سنة 1955، ثم رئيسا للجامعة المغربية والبحث العلمي سنة 1958. وانتخب رئيسا للمجلس التنفيذي في اليونسكو 1958-1966. وقد نشر العديد من الأعمال الأدبية التي قيل عنها أنها تجاوزت الثلاثمائة. توفي في 1991 أنظر: عبد الله بن العباس الجراي، التأليف ومهضته بالمغرب في القرن العشرين، ط01، منشورات مكتبة المعارف الرباط، 1985، ص206.

السلطان خاصة فيما يتعلق بالتنظيم السري "الزاوية" و " الطائفة" الذي طلب منه السلطان معلومات حوله فتكونت بينها اتصالات حول مختلف قضايا المغرب¹. و هذا ما أكده أبو بكر القادري في مذكراته². وقد كانت هذه الاتصالات عامة تطرقت لأوضاع المغرب وعلاقة السلطة المخزنية بسلطات الحماية. كما تضمنت بصورة مفصلة أوضاع المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية. و موقع المغرب من إحداثها المتسارعة على أرضه. وابتداء من فيفري 1943 انتقلت إلى البحث عن الصيغ التطبيقية لتحويل هذا التوافق إلى واقع وطني أكثر منه أحلام و تمنيات للوطنيين المغاربة منذ مطلع الثلاثينات. و بدون أدنى شك فإن لقاء السلطان بالرئيس الأمريكي في مطلع 1943 كان من وراء هذه النقلة النوعية في سلوك السلطان. الذي أصبح يبحث عن حلفاء لتحقيق المشروع الأمريكي في المغرب و الذي تنبأه جملة و تفصيلا كما تم التطرق إليه سابقا. و بطبيعة الحال فلن يجد أكثر من هؤلاء لتحقيق وحدة الجبهة الداخلية. خاصة في ظل ما قامت به سلطات الحماية بتحويل بعض ممثلي الإدارة المخزنية إلى آلية قمعية لكل تحرك وطني مثل باشا مراكش التهامي الجلاوي. و آخرون في مناطق أخرى من المغرب بالإضافة إلى شيوخ الطريقة والزوايا الذين أشهر لهم السلطان العداء وأعلن عليهم الحرب الشعواء من خلال الحركة الثقافية التي كان يرعاها. وعلى رأس هؤلاء عبد الحي الكتاني. و ليس من قبيل الصدفة أن يكون لهؤلاء دورا أساسيا في أحداث الخمسينات التي انتهت بنفيه في 20 أوت 1953³. وبالنسبة للوطنيين فالتحالف مع السلطان مسألة مبدئية وما فتئوا يسعون للحصول عليه كحليف لحركتهم منذ مطلع الثلاثينات⁴. ولعله من المفارقات التاريخية أن الاختلاف الشديد الذي كان بين الوزاني مع علال الفاسي لم يشمل مكانة السلطان بالنسبة

¹ - ذكر غلاب أن السلطان كان يرسل للوطنيين عن طريق الفاسي صعوبات تعامله مع الفرنسيين. حيث كان يعرض عليه فقط الظواهر الرسمية لإمضائها أما الشؤون الفعلية فقد كانت الإقامة العامة تتكفل بها بدون إعلامه. و لكن لم يذكر تاريخ بداية هذه الاتصالات إن كانت قبل الحرب أو أثناءها. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 253.

² - اعتبر القادري محمد عبد الواحد الفاسي واسطة الوطنيين بالسلطان. لكنه ذكر كذلك كيف أن الوطنيين اقترحوا على السلطان قبول اقتراح الجنرال نوجيس بتغيير مكان إقامته أثنا نزول الحلفاء و لكنه رفض. و على العكس من غلاب لا يذكر تاريخ أول تاريخ اتصال بالسلطان أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج2، مصدر سابق، ص 157.

³ - Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) , Déclarations Relations Avec La Résidence Et Avec Les Nationalistes Marocains, op.cit.

⁴ - تم التطرق لذلك سابقا في " الحركة الوطنية الصحفية و عيد العرش "

للحركة الوطنية¹. وفي جميع الأحوال فإن النتيجة تمثلت في تحول السلطان الذي كان أول غنيمة للحماية سنة 1912 إلى أول مكسب للوطنيين².

و بهذه الصورة فقد تشكلت ملامح الهيئة الجديدة التي ستقود الحركة الوطنية المغربية المكونة من الوطنيين للمغاربة باختلاف مرجعياتهم التنظيمية، وحتى الأحرار، والسلطان الذي سجل بذلك "استثناء تاريخيا" بالنسبة لسيرة الملوك العرب. فقد تأسف "جاك بيرك Jacques Berque" على أن حزب الوفد المصري لم يحظ بتلك المساندة الملكية³. وأصبحت هذه الهيئة تحضر الظروف السياسية و النفسية للإعلان عن أهم وثيقة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية التي تعرف بـ "بيان الاستقلال الذي صدر في جانفي 1944 الذي، وإن اختلف في تحديد من كان من وراءه تخطيطيا و تنفيذا، فإنه يبقى بمثابة شهادة ميلاد لوطنية مغربية اختلفت عما سبقها منذ مطلع الثلاثينات في كل المواصفات⁴.

2 - 4 الجنرال ديغول و المغرب :

لقد تشكل الموقف الوطني المغربي بصورة "ثورية" مغتتما في ذلك الظروف الدولية التي كانت في صالحه. والظروف الفرنسية المعقدة على حد وصف السلطان نفسه في رسالته إلى الرئيس الأمريكي. و لكن هذه الظروف لم تبقى على حالها. فلقد كان الوطنيون في المغرب (و حتى في الجزائر وتونس) يظنون أن فرنسا قد انتهت. و لم يكن يهمهم اختيار الفرنسيين لحكومة فيشي أو لندن⁵، لأنهم في أسوء الحالات بالنسبة لهم سيكونون أمام فرنسا المنقسمة و هذا ما سيكون في صالحهم في جميع الحالات. إلا أن فرنسا الحرة قد توحدت في قمة "أنفا"

¹ - نادرا ما اتفق الوزاني مع علال الفاسي و جماعته منذ حدوث الانشقاق في مطلع سنة 1937. لإلا أن موقع السلطان كان محل إجماع و بالعودة إلى أدبياتهم مثل الوزاني في مذكراته و كل مؤلفاته. و علال الفاسي و عبد الكريم غلاب و أبو بكر القادري و غيرهم فكلها كانت تمجيدا لدور المؤسسة السلطانية بالنسبة للمغرب مجتمعا و حركة وطنية. و لكن يجب إلى الإشارة إلى مسألة في غاية الأهمية تتمثل في المضمون السياسي لهذه المؤسسة. فكان لكل نظرة.

² - محمد العربي المساري، محمد الخامس من سلطان إلى ملك، مصدر سابق، ص 12.

³ - لا يسجل تاريخ الحركات الوطنية العربية التحررية وجود السلاطين و الملوك من ضمنها. بالعكس كانوا في مواجهتها. فقد قامت الثورة ضد الملك فاروق في مصر سنة 1952. و ضد الملك فيصل الثاني في العراق سنة 1958. و في اليمن الذي عرف الثورة الدستورية ضد الإمام يحيى محمد سنة 1948. و قد جاءت هذه العبارة في تصدير جاك بيرك لكتاب عبد الكريم غلاب. أنظر: تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 07.

⁴ - وقع إختلاف بين الوطنيين من يعتبر أن أول طرح فكرة الاستقلال هم وطنيي الشمال في وثيقة 18 نوفمبر 1942 و إختلاف آخر حول من كان وراء بيان الاستقلال و هذا ما سيتم التطرق إليه لاحقا.

⁵ - Robert Rèzette, les partis politiques, op. cit p 137.

و بدأت في استرجاع مكانتها الدولية¹. خاصة بعد أن أصبحت طرفا في العمليات العسكرية لتحرير أوروبا. لقد انتقل الموقف الفرنسي من الفراغ إلى الاحتواء. وقد كان للأعوان الأمريكيين دورا هاما في ذلك. فإذا كان هؤلاء في السابق يشجعون المغاربة على تعليق الآمال في انتظار عهد جديد. إلا أنهم و بعد استقرارهم أصبح تعاونهم مع السلطات الفرنسي أمرا تقتضيه البراغماتية. فالمتحكم في مفاتيح المجتمع المغربي هم الفرنسيون وليس من مصلحة الأمريكيين خسارة هذا الدعم ربحا للوقت وللطاقة التي كان يرغبون تسخيرها للأحداث العسيرة التي كانت تنتظرهم في أوروبا جنوبا في حملة صقلية وشمالا في منطقة النورماندي. و لم تتوقف دعاية حكومة فرنسا الحرة عن إقناع الأمريكيين (و يبدو أن نجحت مع الزمن إلى حد ما) أن أي هجوم من الشمال المغربي حيث توجد إسبانيا حليفة كتلة المحور، سيتم بالتعاون مع العناصر الوطنية المغربية الموالية لنفس الكتلة والمتواجدين في الشمال والجنوب على حد سواء. و بالتالي فالنسبة لأمريكا لا يمكن لها أن تسمح بهذا الانحراف الخطير في مجرى الأحداث بدعم الوطنيين المغاربة والتفريط في سبب وجودها في شمال أفريقيا. لذلك لم يعتبر روزفلت في إحدى خطاباته هذه المنطقة أكثر من خزان كبير في أيدي الأمريكيين. ليؤكد هذا الاتجاه وزير خارجيته "كوديل هول Cordell Hull" بتصريحه في جويلية 1943 بأن "حق الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها مشروط بقدرتها على تحمل مسؤوليات الحكم"². و كأن لسان حاله يقول للمغاربة " ارجعوا إلى أكثر من ثلاثين سنة و ابحثوا في ما قدمه لكم نظام الحماية إن كان فيه ما يسمح لهم بأن تسيروا به أنفسكم"³.

لقد كانت هذه المراجعة الأمريكية لموقفها، تكتيكية على الأقل، دعما للجنرال ديغول الذي حقق انتصارا هاما في أنفا على "فريق الجزائر" بقيادة الجنرال "جيرو". و أصبح نهائيا من أطراف كتلة الحلفاء سياسيا وعسكريا. لقد سمح له هذا الانتصار بشرعية تمثيله لفرنسا في أوروبا و في إمبراطوريتها الآسيوية والأفريقية. و لذلك شرع مباشرة في التعديل الميداني في المستعمرات الفرنسية. و قام في المغرب بتغيير للمقيم العام. فبعد "الاستقالة الحتمية" لعدوه

¹ - Robert Rêzette, les partis politiques, op. cit p 137

² - كتب "كوديل هيل Cordell Hul" عن المسألة الاستعمارية من زاوية أمريكية محضة تختلف عن الأوروبية. تطرق لها في

مذكراته تحت عنوان: "رق أم حرية؟ Esclavage ou liberté" في خطابه في: Robert Rêzette, les partis politiques op. cit p 137

³ - محمد بن الراهب البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية المغربية، جزآن، المندوبية السامية لقضاء المقاومين و أعضاء

جيش التحرير، الرباط، 2015، ص 276

اللدود الجنرال نوجيس في جوان 1943¹. تم تعيين "غابريال بيو Gabriel Paux" و تعيين ديغول لهذا الجنرال كمقيم عام في المغرب ليس من قبيل الصدفة أو بالتعيين العادي. و لكنه مقيم عام بالإضافة أنه كان مكلف بمهمة خاصة. قد اعتبره شارل أندري جوليان أنه كان يمثل الجناح الأكثر تطرفا في المحافظين و"لا يمكن لروحه المحافظة أن تسمح بتفهم الآمال الوطنية و الشعبية"² لأنه كان يعتبر نفسه "حاكما رومانيا"³ ولا "يعترف بأية إصلاحات للشعوب المستعمرة إلا ما يمكن التنازل عنه لصالحها"⁴. و قد اعتبر لاندو روم أن تعيينه "لم يؤدي إلى تخفيف شيء في حدة المرارة. و لم يكن الدور الذي قام به كمفوض سام لسورية و لبنان في أوائل الحرب يوحى بالثقة"⁵. فالمقيم العام الجديد للمغرب له شهرة "أسوء سمعة في المستعمرات الفرنسية" بدأت منذ تواجده في تونس مرتين الأولى بصفته سفير فرنسا في تونس بين سنتي 1907 و 1912. والثانية بصفته الأمين العام للحكومة الفرنسية في تونس بين سنتي 1919 و 1922 حينها اتخذ الكثير من الإجراءات القمعية. و كان من وراء عزل الباي "المنصف" و نفيه سنة 1943. أما في سوريا و لبنان فإنه قام بين سنتي 1938 و 1940 بتدمير كلي للمؤسسات الدستورية. بحله البرلمان و تعطيل الدستور وإنشاء "مجلس المديرين" ليتولى الحكم بأوامر تشريعية تحت سلطته⁶. و عند تعيينه في المغرب فعوض أن يرى "بلدا ضمنت سيادته و استقلاله اثنتا عشر دولة كبرى، كان ينظر إليه على أنه خزان عظمة فرنسا"⁷. و في اتصاله الأول مع السلطان اعلمه بأن الاستقلال فكرة تتعارض مع الارتباطات القائمة⁸.

¹ - قلما عرف التاريخ العسكري الفرنسي كراهية بين قيادتين كما هو الحال بالنسبة لديغول و نوجيس. خاصة بعد رفض هذا الأخير السير في ركب ديغول و اختار المارشال بيتان. فقد صرح الجنرال جيرو لنوجيس بأنه منذ بداية محادثاته مع ديغول لم يتوقف هذا الأخير عن مهاجمته أكثر من غيره و طبعاً نوجيس يعرف أسباب ذلك. و لذلك لا يمكن له أن يبقى في نظام يتحكم فيه ديغول. أنظر: William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*, op.cit, p 370.

² - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p190

³ - ibid.

⁴ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p190

⁵ - لاندو روم، تاريخ المغرب، مصدر سابق، ص 269.

⁶ - لاندو روم، تاريخ المغرب، مصدر سابق، ص 269.

⁷ - المصدر نفسه

⁸ - المصدر نفسه، ص 270

و مما سبق فإن المعايير التي اعتمدها ديغول في تعيين خليفة نوجيس كانت واضحة و كان اختياره بالنسبة إليه "تاجحا" حتى يعيد المغرب إلى حالة ما قبل الحرب العالمية الثانية. و ربما اشد وأمر. حتى خيل للمغاربة أن عجلة التاريخ لا تسير إلى الأمام¹. وقد كانت ممارسات المقيم العام الجديد من شأنها أن تثبت لهم صدق ما خيل لهم. وعندما كان هذا المقيم العام يمحو كل آثار ما عرفه المغرب منذ نوفمبر 1942. كان ديغول يسعى جاهدا للتخفيف من الأبعاد السياسية لقمة "أنفا" و بالرغم من تفاديه انتقادها أثناء انعقادها نظرا لهشاشة موقفه فيما يخص تمثيل حكومة فرنسا الحرة². بل بالعكس كان يطالب سكان شمال أفريقيا بدعم الحلفاء بدون تحفظ لأنهم جاءوا "لإنقاذ الإنسانية من الظلام و الدكتاتورية و الاستغلال". كما اعتبر الإنزال بالنسبة إليه حينها "...ساعة الحسم التي ستبدأ من شمال أفريقيا..." و لكن ما بعد المؤتمر بدا ديغول في انتقاد "الجرأة الأمريكية" التي تجاوزت مهمتها. التي كانت مرتبطة بظروف الحرب العالمية الثانية. و اعتبر أن المفاهيم الأمريكية لا تتماشى مع شمال أفريقيا. و بصورة خاصة سياسة الحماية في فرنسا³.

لقد حاول ديغول توقيف التأثيرات التي مست المغرب، و كل المستعمرات الفرنسية، بفعل الحرب العالمية الثانية سواء قبل الإنزال بفعل مشاركة المغاربة في الجبهات القتالية و تعرفهم على مفاهيم الحرية و حقوق الإنسان وغيرها من القيم التي رفعها الحلفاء بما فيهم فرنسا و بريطانيا كشعارات لتجنيد الشعوب و دفعها للمشاركة فيها⁴. و تعويض هذه المفاهيم بمشروعه الذي أعلن عنه أثناء الحرب تحت عنوان "الإتحاد الفرنسي"⁵ و حاول تأسيسه كإطار جديد

¹ - عرف "غابريال بيو" بالإضافة إلى تصلبه العسكري بأنه برجوازي عريفا ورجعي التفكير لا يؤمن بضرورة الحركة الاجتماعية. و قد اعتبر أن منطقة شمال أفريقيا تعرضت لاختبار نفسي من خلال كتابه الصادر سنة 1954 تحت عنوان "الاختبار النفسي لخميات فرنسا في شمال أفريقيا، *Essai de psychanalyse des protectorats nord-africains*".

² - لم يكن ديغول محل إجماع بالنسبة للحلفاء لتمثيل حكومة فرنسا الحرة التي ستصبح طرفا في كتلة الحلفاء. فالبرغم من دعم تشرشل المطلق له فإن الموقف الأمريكي كان مترددا و لم يكن لصالحه تماما فموقف وزير خارجية أمريكا "كورديل هيل Cordell Hull" الذي عرف بكرهه الشديد لديغول لم يكن في صالحه. و عمل أن يكون جيرو رئيسا لهذه الحكومة. و يقال أن ديغول يدين لتشرشل بحياة ثانية لفرنسا.

³ - محمد مزبان، العلاقات المغربية الأمريكية، مرجع سابق، ص 251.

⁴ - عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية، مرجع سابق، ص 162.

⁵ - نشأت فكرة "الإتحاد الفرنسي" في مؤتمر برازا فيل الذي عقد في بداية 1944 لوضع مبادئ الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية بعد الحرب، رأى أنه يمكن أن تمنح كل مقاطعة مستعمرة نظاما خاصا بها، مع استبعاد كل فكرة استقلال هذه المقاطعات. و قسم

لعلاقات فرنسا مع مستعمراتها في أفريقيا والذي تم الإعلان عنه في المؤتمر الذي انعقد بين 30 جانفي و08 فيفري 1944 في برازا فيل التي كان ديغول يسميها بـ "العاصمة الإستراتيجية الديغولية"¹. و قد نظمته "اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني" التي كان يرأسها و جاء في وثائق هذا المؤتمر أن الهدف منه تمثل في "ضبط التوجهات المستقبلية للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية. وعلاقات فرنسا مع مستعمراتها فيما وراء البحار" و قد جاء في خطاب ديغول فيه أن "أكبر تحدي للحرب تمثل في ترقية الإنسان" و أن "تطوير المناطق الفرنسية في أفريقيا أمر حتمي. و لم تقم الحرب العالمية سوى بتسريع وتيرته... و لكن لا يجب لهذا التطور أن يتم خارج الكتلة الفرنسية"². لقد سعى ديغول من خلال هذا المشروع إقناع كل الأطراف المعنية سواء حلفائه في الحرب. و الشعوب المستعمرة و الإفريقية منها على الخصوص أن تغيير أوضاع المستعمرات الفرنسية في أفريقيا مشروع فرنسي قبل الحرب فهذه الأخيرة لم تقم سوى بتسريع وتيرته و أن فرنسا لها برنامج متكامل لهذه الشعوب لتنميتها و تحسين أحوالها الاجتماعية و الاقتصادية و حتى السياسية. فـ "نداء تنمية الإنسان" أيقظته الحرب العالمية و بقي متواصلا و "... لا توجد أمة لا ترفع رأسها لتتظر للمستقبل و تتساعل عن مصيرها... و لا يمكن لأية دولة أن تسمع لهذا النداء مثل فرنسا... لأنها تؤمن بضرورة الاستفادة من دروس الأحداث الماضية. و التوجه بهذه الشعوب نحو المستقبل الزاهر بتوجيه و مرافقة فرنسيتين..."³ فالنسبة لديغول من خلال هذا المشروع أن "... القدر جمع بين فرنسا و هذه الإمبراطورية الواسعة الأرجاء للتقدم و الرقي في جميع الأحوال و في جميع الظروف..."⁴ ففرنسا و "... هي في أقصى ظروفها، وعندما وجدت نفسها في هزيمة نكراء و

المستعمرات الفرنسية إلى قسم أول يمثل في البرلمان الفرنسي باعتباره قسم متمم لفرنسا، و قسم ثان لا يستفيد من هذا النظام وكان الهدف الرئيسي للإتحاد هو فرنسا أفريقيا عن طريق المدرسة و الخدمة العسكرية، و قد شمل كل أفريقيا الغربية، و عرف تطورا في نظمه الانتخابية في أوائل الخمسينات، و أثناء تصاعد المد التحرري عرف الإتحاد تراجعا، و حاولت فرنسا تعويضه بنظام "الكومينيستي" سنة 1958 مع قيام الجمهورية الخامسة، و لكن لم يصمد هذا النظام الجديد أكثر من سنة، و انتهى ضمينا بعد استقلال الدول الإفريقية الواحدة بعد الأخرى. أنظر، Montagne, Robert, *Révolution au Maroc*, op.cit. p, p201

¹ - Jean-Louis Crémieux-Brilhac, *L'Appel du 18 juin 1940*, Armand Colin, Paris, 2010.

² - مؤسسة شارل ديغول، خطابات ديغول، أثناء الحرب العالمية الثانية (1940-1946)، خطاب برازا فيل 1944/01/30. باريس 1971.

³ - مؤسسة شارل ديغول، خطابات ديغول، أثناء الحرب العالمية الثانية، مصدر سابق

⁴ - المصدر نفسه.

في عزلة أوروبا... وجدت في هذه الأقاليم الملجأ والقاعدة الخلفية لتحريرها... لقد أحدث هذا وذاك بينهما اندماجا أبديا...¹.

لقد اعتبر جوليان مؤتمر برزافيل من أكبر المغالطات التاريخية التي انتشرت، و التي حاول من خلالها ديغول إيهام مختلف الأطراف، و على رأسها الشعوب الأفريقية التي كانت معنية به قبل غيرها، أنه يسعى لاستقلالها. فقد كان في حقيقته إلغاء لكل احتمالات الاستقلال للمستعمرات الفرنسية. و حتى و إن كان ذلك في صيغة كومنويلث الذي يتعارض مع العقلية الفرنسية². كما قام بإلغاء فكرة الاستقلال أو أي تقدم خارج الكتلة الفرنسية ولا يجب على الشعوب الأفريقية المستعمرة أن تفكر في أية صيغة للحكم الذاتي سواء على المدى القريب أو البعيد³. و في الأخير اعتبر جوليان أن فرنسا أرادت من خلال مؤتمر برزافيل تبرئة ذمتها بالنسبة لماضي مستعمراتها الأفريقية. و لكنها فشلت في ذلك. بالإضافة أنها جمدت مستقبلها كلياً⁴. و قد عبر عن هذه الفكرة الجنرال "جورج كاترو" *Georges Catroux* في مذكراته عندما انتقد جمود السلطات الفرنسية التي لم تقم بأي برنامج إصلاحات و تأسف على ذلك لأنه لم يحدث في المغرب أي تغيير لنظام الحماية التقليدي خاصة على الصعيد السياسي⁵.

و مهما كانت قراءة المسارات التاريخية في المغرب منذ الإنزال الأمريكي في نوفمبر 1942 فإنه في النهاية فإن فرنسا الديغولية استرجعت وحدتها السياسية و أصبحت من كتلة الحلفاء. و من الناحية العسكرية أصبح لها دور خارج أوروبا بمشاركة جيوشها التي أعاد قاداتها الولاء و الطاعة لحكومة فرنسا الحرة بعدما كانوا من الموالين لنظام فيشي.. فالجنرال ديغول في نهاية الأمر "...لم يستطع كنس منزله من الغبار الفيشي..."⁶. فقد أثبتت معركة تونس التي بدأت منذ نوفمبر 1942 للقيادة العامة لجيوش الحلفاء بأن المشاركة

¹ - مؤسسة شارل ديغول، خطابات ديغول، أثناء الحرب العالمية الثانية، مصدر سابق

² - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p190.

³ - Ibid.

⁴ - Ibid.

⁵ - Georges Catroux, *Dans la bataille de Méditerranée*, R. Julliard, 1949, Paris, p 438.

⁶ - من المفارقات التاريخية أن جل الجنرالات الذين تعاون معهم ديغول بعد الإنزال الأمريكي كانوا من الموالين لحكومة فيشي مثل "غابريال بيو" *Gabriel Paux* وليون مارشال *Léon Marchal* و "الفونس جوان" *Alphonse Juin* و "أوغستين غيوم"

Augustin Léon Guillaume "أنظر: William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*...op.cit, p 371

الفرنسية وعلى عكس ما كان تظنه من قبل، سيكون لها دورا مؤثرا فيها¹. قد عرفت الكثير من الصعوبات الميدانية بعد رد قوات المحور للهجوم الأول للحلفاء. وقد أكدت من أهمية نفس الدور من خلال شبكات المقاومة الفرنسية التي تحدث عنها ديغول في نداء 18 جوان 1940². وقد قال بمضمون ذلك الوزاني أنه حتى عندما أراد الوطنيون عدم ترك حقيقة الموقف الأمريكي محل تخمين و استنتاج. و أرادوا التعرف عليه من مصادره أكدت لهم هذه الأخيرة "... أن الوقت لم يكن مناسباً للقيام بحركة الاستقلال التي كانت سابقة لأوانها. و كان يجب التريث حتى يتبين مصير الحرب و تصبح الظروف أكثر ملائمة، و فرص النجاح أكثر توفرا. خاصة بعد الفصل في المعركة الحاسمة في أوروبا³.

إن محصلة ما سبق يؤدي بنا للقول بأن الخلاف بين أمريكا و فرنسا حول شمال أفريقيا والمغرب خاصة، يمكن قراءته على أنه كان سوء تفاهم استراتيجي وسياسي. و انتهى بتغيير عدة معطيات متعلقة بالسياسة الأمريكية و أخرى بالسياسة الدولية. فقد علق أحد الصحفيين الأمريكيين على ذلك بقوله بأن "...عرب شمال أفريقيا في النهاية تيقنوا بمرارة بأننا جئنا لنحرر فرنسا. التي تعتبر عدوهم الكبير الذي كانوا يمقتونه كثيرا، في حين أننا قمنا في طوال مرحلة ما بعد الإنزال بجهود جبارة لإقناعهم بأنهم هم المعنيون بالتحريض..."⁴ فأمريكا لم يكن لها مشروع بناء حركة وطنية في المغرب (ولا حتى في غيره). فهي كانت موجودة أصلا منذ مطلع الثلاثينات. و يكون الولايات المتحدة قوة جديدة على جميع الأصعدة. و لتوها خرجت من عزلتها التاريخية. فإن مشروعها للشعوب المستعمرة لم يكن بالضرورة تحريرا بما كان يتوقعه القادة الوطنيين لهذه الشعوب. الذين ربطوا بين مبادئ ولسن لسنة 1919 والميثاق الأطلسي لسنة 1941 ربطا فلسفيا أكثر منه سياسيا براغماتيا. فالمغاربة (و

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat. op.cit, p 110.*

² - تضمن نداء ديغول إشارة واضحة للفرنسيين للمقاومة و رفض الاستسلام بقوله "مهما يكن فإن شعلة المقاومة الفرنسية لا يجب عليها أن تنطفئ و لا تنطفئ" أنظر: مؤسسة شارل ديغول، خطابات ديغول، أثناء الحرب العالمية الثانية (1940-1946)، خطاب 18

جوان 1940. باريس. 1971.

³ - ذكر الوزاني في مذكراته أن أعضاء من الحركة القومية اتصلوا سرا بمصادر رسمية لقوات الحلفاء حول إمكانية مساعدة المغاربة في المطالبة بالاستقلال و كان ذلك هو رد هؤلاء. و لكن بدون أن يذكر وقائع محددة بالأسماء سواء من طرف المغاربة أو الأمريكيين. و لا التواريخ و غيرها من المعطيات التي توثق لمثل هذه المضامين. أنظر : محمد حسن الوزاني، مذكرات، 06 مصدر سابق، ص 159.

⁴ - يتعلق الأمر بالصحفي الأمريكي "جاك بوك Jackes Bock" في: *Abdelkhaleq Berramdane, Le Maroc. op cit p 198. p 58*

حتى الجزائريين) أبهروا بالإنزال العسكري في شمال أفريقيا في نوفمبر 1942. و تأثروا بمثالية أمريكا بسرعة فائقة و تفاعلوا مع الجنود الأمريكيين في الشوارع والأماكن العمومية لأن هؤلاء تعاملوا معهم بمنطلق إنساني. فقد كانت الصحافة المبشرة بـ"العهد الأمريكي" في المغرب مثل "المنبر الوطني" و "العمل" لعبد اللطيف الصبيحي تنشر سلوكيات بسيطة للجنود الأمريكيين و تحولها إلى مؤشرات سياسية كبيرة. بوصفها للأمريكيين و هم يتكلمون مع المغاربة، و يتعاملون معهم في الأسواق و يبتسمون لأطفالهم. و ينقلونهم إلى أسواقهم في عرباتهم العسكرية المتميزة. لقد تمت كل هذه السلوكيات بمسحة إنسانية لم يتعودوا عليها مع الفرنسيين. لذلك استنتج المغاربة بأن "الأمريكيين أحسن من بكثير من الفرنسيين" وغيرها من المقاطع الصحفية التي كانت تبشر المغاربة بالعهد الجديد.

لقد كان لهذا العهد قراءات مغربية متعددة. فأولها للسلطان المغربي الذي اعتبر أن روزفلت تعامل معه كرئيس دولة مستقلة. و أن المستقبل المغربي أمريكي بامتياز. و الثانية قراءة بسيطة للمغاربة الذين هللوا للعهد الأمريكي و اندمجوا فيه بسرعة عجيبة. أما الثالثة فكانت للوطنيين التي لم تكن محددة لا بالتطبيق ولا بالتحذير. فهؤلاء لم يكن لغالبيتهم الساحة أي نشاط منذ سنة 1937. فبعضهم اعتبر النازية منقذة لهم من فرنسا و بريطانيا الاستعمارييتين. فألمانيا لن تكون أقل سوءا منهما على حد تعبير شكيب أرسلان. في حين بقي جلهم في انتظار ما ستأتي به أيام الحرب. و في جميع الأحوال لم يكن باستطاعتهم اتخاذ أي موقف فقد كانوا مشتتين بين السجون والمنافي الإجبارية والإرادية.

و لكن في مقابل هذه القراءات المغربية، لم تكن القراءة الأمريكية بالضرورة موافقة لأي منها. لقد كانت السياسة الخارجية الأمريكية عامة، و اتجاه الشعوب المستعمرة خاصة نموذجا جديدا ليس بالضرورة تدعيما للاستعمار التقليدي. و لا تدعيما لحركات التحرر بالطريقة المنتظرة من طرف المغاربة، و حتى الجزائريين¹. فقد صدم هؤلاء في أمريكا بعد أقل من سنة من إنزالها في شمال أفريقيا. وتؤكد الجزائريون أن نظامهم الأساسي بالنسبة لها هو

¹ - لقد كان كذلك لزول القوات الأمريكية في الجزائر تداعياته و انعكاساته. من بينها البيان الجزائري لسنة 1943 و ما تبعه من تطورات إلى غاية حركة أحباب البيان و الحرية و أخيرا أحداث 08 ماي 1945.

قرار الإلحاق لسنة 1834 الذي جعل من الجزائر "قطعة من الأرض الفرنسية" وكذلك تيقن المغاربة أن معاهدة الحماية لسنة 1912 مازلت سارية المفعول¹.

و أمام هذا السراب الأمريكي² فإنه أصبح لدى هؤلاء قناعة أن أي تحرك وطني يجب أن يكون في هذا الاتجاه. فلا يجب عليه أن يأخذ بعين الاعتبار الدعم الأمريكي و لا أي دعم خارجي آخر في حساباته. و كل نشاط تحرري وطني يجب أن يكون مغربيا/مغربيا. لا يأخذ في الحسبان أي معطى آخر. خاصة إذا كان خارجيا. إنها الانطلاقة المغربية الجديدة ببواورها و محفزاتها³. و كذلك إنه ذلك العهد الجديد الذي سواء كان مستلهما من "الحلم الأمريكي" أو غير ذلك. و سواء استرجعت فرنسا مكانتها ذات البعد الإمبراطوري أو عكس ذلك. فإن مغرب ما بعد الإنزال في نوفمبر 1942 و قمة "أنفا" في جانفي 1943 أصبح غير الذي كان قبل ذلك. فقد أصبحت الحركة الوطنية و السلطان محمد بن يوسف وجهان لعملة واحدة. و قد تأكد ذلك ابتداء من ديسمبر 1943 عندما أدت كل هذه الإرهاصات إلى صدور ما يعرف بـ "بيان الاستقلال" في جانفي 1944 الذي نقل الحركة الوطنية المغربية من "سياق الإصلاح" إلى "سياق الاستقلال"⁴.

¹ - يبقى موضوع الموقف الأمريكي من المستعمرات الفرنسية في شمال أفريقيا من المواضيع التي مازال البحث فيها قليلا. و تبقى الكثير من المضامين المرتبطة به مجهولة. ففرنسا عملت كل ما في وسعها لعزل أمريكا عن المنطقة. و الغولية رفعت شعار مواجهة "أمركة" هذه المنطقة. و تبقى وفاة روزفلت المفاجئة و تغيير خليفته هاري ترومان لأولويات السياسة الخارجية الأمريكية عن طريق "مذهب ترومان" منطلقات أساسية في بناء أي تصور لهذا الموضوع.

² - ألبير عياش، الحركة النقابية بالمغرب ج02، مرجع سابق، ص16.

³ - محمد بن الراهف البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص277.

⁴ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق ص 47.

3 - بيان الاستقلال 11جانفي 1944: من الحزب الوطني إلى حزب الاستقلال.

3- 1 دور أحمد بلافريج:

لقد تجمع الوطنيون المغاربة من جديد بعد أن أصبح الجو الذي عرفه المغرب بعد الإنزال الأمريكي في نوفمبر 1942 مساعدا على إعادة بعث النشاط الوطني. فمنذ أن تعرضت الحركة الوطنية المغربية السلطانية للقمع سنة 1937 لم تقم بأي نشاط من شأنه أن يبقّيها على حيويتها. وحتى عند اندلاع الحرب العالمية الثانية طلب منهم أن يتخذوا مواقف لها علاقة بموازين القوى أكثر مما تخدم برنامجهم المرجعي الذي أعلن عنه منذ 1934 وأعيدت صياغته في نهاية 1936. و كان سبب ضرب حركتهم بكل عنف في نهاية 1937 من طرف الجنرال نوجيس. فعشية الحرب طلبت منهم سلطات الحماية الاصطفاف وراء موقف السلطان المدعم لفرنسا بدون قيد أو شرط. كما كانوا محل استقطاب من طرف كتلة المحور. فقد استعملت الدعاية النازية كل جهدها لتحويلهم إلى وسائل "شغب وفوضى" في عمق كتلة الحلفاء و لئّن وجدت من كان جاهزا لهذه المهمة في المنطقة الشمالية الخليفية لتوفر كل الظروف التاريخية الأولية لنجاحها منذ جويلية 1936. إلا أنها لم تجد لها تجاوبا في المنطقة الجنوبية السلطانية فقد اتفق كل من علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني (و نادرا ما يتفق الرجلان) على أن هذا الصراع لا يخدم القضية المغربية. و اعتبرت مهمة أحمد بلافريج في برلين بعد سقوط باريس للحصول على معلومات لا أكثر ولا أقل.

و حتى عندما أصبحت الإدارة الفرنسية في المغرب تابعة لحكومة فيشي لم يغير ذلك في حال المغاربة شيئا. فالسلطان رفض تطبيق برنامجها ورفض كذلك "الهروب" من العاصمة أمام تقدم قوات الحلفاء في سنة 1942. و رفض أن تضرب هذه القوات من الأراضي المغربية. كما اشترط علال الفاسي في منفاه بالغابون على ديغول الاستجابة للبرنامج الوطني مقابل مساعدة الحركة الوطنية المغربية حكومة فرنسا الحرة لاستعادة زمام المبادرة في شمال أفريقيا. و فضل الوطنيون المغاربة تطبيق المثل الإنجليزي المشهور الذي ينصح بالانتظار والمشاهدة فقط¹. عوض الدخول في مغامرة من شأنها نفس النتائج المتحصل عليها منذ مطلع الثلاثينات بالرغم من ضآلتها. بالإضافة إلى أن المضمون الفكري للحركة الوطنية المغربية ما كان

¹ - محمد بن الراهه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 275.

ليسمح لها بالانخراط في المنظومة الفكرية النازية أو الفاشية. فغالبية زعمائها تلقوا تكويننا سياسيا جمهوريا في الجامعات الفرنسية. و عدد كبير منهم كان ينتمي فكريا للنخبة الليبرالية، مثلما هو الحال في تونس والجزائر، التي كانت تفرق بين "فرنسا الديمقراطية" و"فرنسا الاستعمارية الاستبدادية". وقد استغاثوا بالأولى ضد الثانية على حد تعبير أبو القاسم سعد الله¹. كما ذكر رئيس الحكومة الفرنسي "إدغار فور" *Edgar Faure* " في مذكراته أن أحد الوطنيين المغاربة الكبار و هو عبد الرحيم بوعبيد زاره سنة 1955 سرا ليحذره من توجه عسكري ثوري مغربي لأن "...قادة جيش التحرير (جيش تحرير المغرب العربي) مصرون على القيام بتمرد عسكري منسق يشمل مجموع البلاد المغربية الجزائرية و أن الوطنيين المؤيدين لفرنسا. والأوفياء لمحمد الخامس و حدهم من يستطيع إيقاف تلك الدسائس"² و قد كان "إدغار فور" يصرح أن "بوعبيد و أصدقائه مصممون على مساعدة فرنسا"³.

و في جميع الأحوال فإن هذا قد أدى إلى فراغ الساحة من أي نشاط وطني منذ 1937 إلى غاية مطلع سنة 1943. كما يمكن القول أنه هذه الفترة استغلت لإعادة الهيكلة التنظيمية لها كما فتح نقاش بين إطاراتها حول المستقبل الذي يجب نهجه على ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية و بصورة الخاصة المغربية⁴. فهذه المتغيرات المحلية هي التي كان لها الدور الحاسم في توجيه سير الأحداث، الذي تم أولا بالاتصال الذي تم بين السلطان والحركة الوطنية عن طريق الوساطة السلطانية محمد بن عبد الواحد الفاسي. و ثانيا بعودة أحمد بلافريج من الشمال في مطلع 1943. فلقد أدى غياب علال الفاسي المنفي منذ سنة 1937. و كذلك محمد حسن الوزاني الموجود في إقامته الجبرية بالجنوب إلى توجه الأنظار إلى أحمد بلافريج لاستغلال هذه الظروف المواتية جدا للقيام بما يعيد للحركة الوطنية المغربية نشاطها و حيويتها. و ما كان ممكنا لشخص آخر أن يقوم بهذه المهمة نظرا لمكانته الهيكلية في الحزب الوطني لتحقيق المطالب فقد كان أمينه العام. و لم يتم اعتقاله في أحداث 1937 إلا لأنه كان في

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 02، مرجع سابق .

² - إدغار فور، الحبايا السرية لإكس لبيان، ترجمة محمد العفرائي، دفاتر وجهة نظر، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2002، ص 63.

³ - المصدر نفسه، ص 64.

⁴ - محمد بن الراه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 277.

مهمة حزبية في فرنسا ثم لدواعي صحية في سويسرا¹. و بعد ذلك اختار المنفى الإرادي للحفاظ على الصوت الوطني في الخارج بعد أن تم إخماده في الداخل. و بعد سقوط فرنسا سنة 1940 انتقل إلى ألمانيا ليتعرف على مدى صدق المشروع النازي بالنسبة للمغرب. إلا أن تأكد من أنه لا يرجى أية مساعدة من كتلة المحور لتحسين أحوال المغاربة. و راسل رفاقه في الحزب و أعلمهم بذلك. خاصة و أنهم هذه المرة كانوا تحت ضغط المطالبة بتأييد ألمانيا بعد أن أصبحت سلطات الحماية تابعة لحكومة فيشي. و قد كان له دور كبير في عدم القيام بذلك من خلال مراسلاته التي كانت تطلب تفادي ذلك². و بعد ذلك انتقل إلى مدينة طنجة في سنة 1941. ليصبح قريبا جدا من الأحداث المغربية سواء التي كانت تحدث في الشمال. أو في الجنوب بما كانت تصله من أخبار. حيث عرف كثافة في حجم الاتصالات به من كل جانب. لأنه كان من قيادة الصف الأول. و قد استطاع في هذه الفترة أن يكون قاعدة بيانات سياسية متعلقة بموازين القوى. و كذلك بالمعطيات المغربية. و هي التي سيستغلها في نشاطه الوطني ابتداء من مطلع سنة 1943³.

وأثناء تواجده بمنفاه الإرادي بالشمال شهد ميلاد تنظيم وحد بين حزبي الشمال المتمثلين في حزب الإصلاح بقيادة عبد الخالق الطريس و حزب الوحدة المغربية بقيادة مكي الناصري و قد أدت هذه الوحدة إلى الإعلان عن "الميثاق الوطني" في مدينة تطوان بتاريخ 18 نوفمبر 1942 الذي تضمن مطلب الاستقلال كبند أساسي بالإضافة إلى المطالبة بوحدة المغرب شمالا و جنوبا بنظام ملكي إسلامي تحت سلطة العلويين الأشرف والاعتراف بالسيادة

¹ - عرف عن أحمد بلافريج نشاط كبيرا في أوروبا حيث في اتصال دائم مع الأحزاب الاشتراكية حيث كان يطرح القضية المغربية. عند تأسيس الحزب الوطني سنة 1937 كان متواجدا بفرنسا و قام بحملة واسعة لصالح مطالبه و ضد سياسة الجنرال نوجيس. و في هذه الفترة أصيب بمرض رئوي خطير أدى به للقيام بعملية جراحية في سويسرا تحت رعاية شكيب أرسلان الذي تكلف به من جميع الجوانب. و عند قيام أحداث أكتوبر 1937 كان متواجدا في المستشفى. و بعد خروجه منه فضل البقاء في الخارج للدفاع عن القضية المغربية في كل مناسبة خاصة في الأروقة الاشتراكية. أنظر: أبو بكر القادري، الحاج أحمد بلافريج، الدبلوماسية المخنك، مطبعة النجاح، الرباط، 1996، ص 88، 94.

² - أبو بكر القادري، الحاج أحمد بلافريج، مصدر سابق ص 96.

³ - المصدر نفسه ، ص 97..

المغربية في الداخل والخارج¹. و بذلك يكون بلافريج قد شهد ميلاد فكرة الاستقلال قبل الإعلان عنها في الجنوب. بالرغم من أن هذه العلاقة و تأثيرها على المطالبة بالاستقلال في الجنوب لم تكن محل إجماع من طرف الوطنيين المغاربة في المنطقة السلطانية². و بغض النظر عن طبيعة العلاقة بين المبادرتين الاستقلاليتين في الشمال و الجنوب فإن بلافريج كان بمثابة قطب الرعى بالنسبة لهذه الحركة. منذ أن سمح له بالعودة إلى الرباط في إطار إجراءات العفو التي مست العديد من الوطنيين بعودتهم و تجمعهم من جديد. مما وفر ظروفًا إيجابية لعودة النشاط الوطني³. و قد تمثلت في عودة الاجتماعات التي كانت سرية جدا نظرا لظروف الحرب من جهة. و عدم وضوح مستقبل المقيم العام نوجيس الذي مازالت قبضته الحديدية على المغرب سارية المفعول. و عودة النشاط الوطني سريا في دائرة "الزاوية" و "الطائفة" كما قال بذلك بعض الوطنيين. و عودة الحزب الوطني لتحقيق المطالب للنشاط كما قال به آخرون⁴.

-
- ¹ - كان هذا الميثاق محل جدل واسع بكونه أول وثيقة تطالب باستقلال المغرب صراحة قبل بيان الاستقلال في الجنوب الذي أدى إلى تأسيس حزب الاستقلال في 11 جانفي 1944. أنظر محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية. مرجع سابق ص 46.
- ² - نفى الوزاني أي علاقة بين الحدثين و قد اعتبر الميثاق عملا حزبيا محليا لم يتجاوز النطاق الصحفي و لم يكن له أي مفعول حتى في عين المكان على حد تعبيره. و اعتبر أن الاتصال بين المنطقتين كان متعذرا بسبب الأوضاع القائمة آنذاك. و أن وطنيي فاس والرباط لم يكونوا يثقون في الأوساط الحزبية التطوانية التي اعتادت مسالمة للسياسة الإسبانية. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات ج 06، مصدر سابق، ص 82. أما علال الفاسي و أبو بكر القادري فلم ينطرقا إليه في مذكرتهما في حين ذكره عبد الكريم غلاب في سياق السياسة الإسبانية التوسعية الفرانكوية و كيف أن الحزبين تكتلا في ديسمبر 1942 فقط. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج 1، مصدر سابق ص 225. و قد يكون ذلك من القضايا التي تطرح طبيعة العلاقة بين الشمال و الجنوب. فهذا الأخير لطالما اعتبر نفسه القاطرة و الشمال العربة التي يجب أن يكون تابعا لا قائدا.
- ³ - أطلق في هذه الفترة سراح عدد كبير من الوطنيين المغاربة و بالإضافة إلى بلافريج أطلق سراح عبد العزيز الإدريس و الهاشمي الفيلاي و محمد ديوري و الحاج عمر بن عبد الجليل و أحمد مكوار و محمد اليزيدي. و لم يستفد من هذا الإجراء سوى علال الفاسي الذي كان في الغابون و محمد حسن الوزاني في الإقامة الجبرية في "إيتزر" بجبال الأطلس الأوسط.
- ⁴ - اختلف الوطنيون المغاربة في تحديد الجهة التي قامت بهذا النشاط ابتداء من سنة 1943. فأبو بكر القادري و عبد الرحيم بوعبيد يعتبران الوحيدان اللذان يذكران هذا التنظيم السري "الزاوية" و "الطائفة" بقي في نشاط إلى غاية الاستقلال. و عودة هذا النشاط في سنة 1943 كان من ورائه هذا التنظيم. أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي ج 01، مصدر سابق، ص 140 و كذلك في كتابه: الحاج أحمد بلافريج، مصدر سابق ص 98 في حين لا يذكر ذلك لا علال الفاسي في الحركات الاستقلالية و لا عبد الكريم غلاب في تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب.

3 - 2 بيان الاستقلال 11 جانفي 1944 : مضمونه ، أطرافه:

لقد استطاع أحمد بلافريج مع مجموعة الوطنيين الخروج بحركة جديدة أعتبرت انقلابية في مسار الحركة الوطنية السلطانية. من خلال مضمونها الذي كان قائما على معيارية الاستقلال بتسميتها "حزب الاستقلال" وثيقتها التأسيسية بـ "بيان الاستقلال" و في أطرافها التي كانت متعددة. فقد شملت بالإضافة إلى الحزب الوطني أطرافا أخرى بما فيها أصدقاء محمد حسن الوزاني¹. و من خلال مستلهمها المتمثل في السلطان محمد بن يوسف الذي أصبح طرفا وطنيا بمضمون تحرري. فقد ذكر العديد من الوطنيين مثل أبو بكر القادري وعبد الكريم غلاب في مذكراتهم أن الاتصالات مع السلطان عرفت تطورا و أصبحت لتبحث في ما يجب القيام به كنشاط وطني. و ذلك من خلال لقاءات متعددة جد سرية امتدت بين ماي و ديسمبر 1943. و انتهت بالاتفاق على كل ما يتعلق بـ "بيان الاستقلال" من حيث مضمونه والأطراف المعنية بإرساله لها. وحتى تاريخ الإعلان عنه². فقد حدد يوم الثلاثاء 11 جانفي 1944³ لإنهاء تلك المرحلة التي بدأت في نوفمبر 1942 عندما نزل الحلفاء في السواحل

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat. op.cit, p 111.*

² - بعد الاتصال الأولي الذي تم مع السلطان عن طريق محمد عبد الواحد الفاسي الذي ذكرناه سابقا تواصلت الاتصالات فحسب عبد الكريم غلاب فإن اتصالاتهم مع السلطان تطورت للحديث عن أوضاع المغرب حيث طلب السلطان مقابلة الهيئة المسيرة للحزب الوطني الذي تم في ماي 1943 و كان ذلك بطريقة جد سرية عن طريق أمين سر السلطان المسمى أحمد بن سعود و تمثلت اللجنة التي كان تلتقي السلطان في كل من أحمد بلافريج و عمر بن عبد الجليل و محمد اليزيدي و محمد غازي و محمد عبد الواحد الفاسي. قد كانت اللقاءات تتم في مخبأ داخل القصر الملكي كان قد بني كملجأ أثناء الحرب العالمية الثانية. و في هذا السياق تم الوصول إلى "بيان الاستقلال" كنتيجة تشاورية بين الطرفين. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1 مصدر سابق ص 254. في حين إتفق أبو بكر القادري في هذه الرواية مع اختلاف في أن الوطنيين كانوا يبحثون عن قفزة في طبيعة مطالبهم فاستشاروا السلطان لتواصل العملية كما ذكر غلاب مع بعض الاختلافات في بعض التفاصيل. أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي ج2، مصدر سابق ص 158. أما علال الفاسي فلم يذكر شيئا عن ذلك في "الحركات الاستقلالية" إما لأنه لم يكن حينها شاهدا على هذه الأحداث بوجوده في المنفى. و إما لأن طبيعة الكتاب لم تسمح له بذلك.

³ - تم اختيار يوم الثلاثاء لأنه اليوم الذي يستقبل فيه السلطان المفوض الفرنسي لتبادل البريد بينهما فذكر الوطنيين أن السلطان أراد ذلك اليوم متعمدا حتى يقدم وثيقة الاستقلال إلى المفوض الفرنسي. و قد تكون الوفد الذي توجه للسلطان من: أحمد بلافريج و محمد اليزيدي و عبد العزيز بن إدريس و الهاشمي الفيلاي. و عبد الله إبراهيم و إدريس محمدي و عبد الكريم بن جلون و أحمد الحمياني و عبد الحميد الزموري. و الوفد الذي توجه للإقامة العامة من الحاج عمر بن عبد الجليل و محمد غازي و محمد ديوري. و وفد المفوضية الأمريكية من المهدي بن بركة و عبد الرحيم بوعبيد. و وفد المفوضية الإنجليزية من أحمد مكوار و أحمد أباحيني. أنظر: حزب الاستقلال، المغرب الأقصى، مراکش قبل الحماية عهد الحماية إفلاس الحماية، مكتب المستندات و الأنباء مطبعة دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1951، ص178.

المغربية وما تبع ذلك من تأثيرات. و في ذلك اليوم انتقلت أربعة وفود، كانت تمثل الحركة الوطنية المغربية السلطانية، إلى أربعة عناوين في المغرب تمثل الأطراف التي اعتبرها محوري "بيان الاستقلال" معنية بمضمونه. و كان أولها القصر الملكي لأن السلطان كان يعتبر صاحب السيادة و المعني بشؤون المغرب و المغاربة. و هذا ما تضمنته كل النصوص التأسيسية لدولة الأشراف العلويين. و حتى معاهدة الحماية لسنة 1912 نصت على ذلك. و ثانيا مقر الإقامة العامة بالرباط التي كانت تمثل سلطات الحماية. و صاحبة السيادة الفعلية في المغرب. وثالثا مقر المفوضية الأمريكية. ورابعا مقر المفوضية الإنجليزية. فهذين الأخيرين كانا في تلك الفترة طرفين أساسيين في أية معادلة في المغرب. و في منطقة شمال أفريقيا عامة¹ ويبدو أن انتصار ستالين في معركة "ستالين غراد" في فيفري 1943 جعلت من الوطنيين المغاربة يدركون طبيعة موازين القوى العالمي الجديد. لذلك بعثوا بنسخة لهذا البيان إلى ممثل الإتحاد السوفيتي بالجزائر².

لقد ظهرت القفزة النوعية التي قامت بها الحركة الوطنية السلطانية في هذا البيان من خلال معياريته التي كانت الاستقلال كمضمون محوري له. بالإضافة إلى الذين كانوا من ورائه. إذ قدر عدد الذين أمضوه بإمضائه بستة وستين شخصية (66)³. و كانوا موزعين بين أربعة أطراف تكتلت في الهيئة الجديدة التي ظهرت بالموازاة مع إعلان البيان و هي "حزب الاستقلال"⁴. الذي يضيف تغييرا هيكليا جذريا للحركة الوطنية المغربية بالإضافة إلى التغيير الآخر الذي عرفته في إيديولوجيتها التي أصبحت "الاستقلال" لا "الإصلاح". وتمثلت هذه الأطراف في الحزب الوطني الذين كان يمثل أغليته الساحقة. و رؤساء و أعضاء المجالس

¹ - كان "بيان الشعب الجزائري" الصادر في 10 فيفري 1943 موجها كذلك. لممثلي والولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا. أنظر:

Claude Collot, Jean Robert Henry, *Le Mouvement National Algérien, Textes, 1912-1954*, Office des Publications Universitaires, Alger, 1981, p 152 - 170.

² - Stéphane Bernard *Le Conflit Franco-Marocain*, Ed, Institut De Sociologie de L'université Libre de Bruxelles 1963, 1 vol. p 60.

³ - حزب الاستقلال، قائمة الشرف، تراجم الموقعين على وثيقة الاستقلال 11 يناير 1944، الذكرى 44 لوثيقة الاستقلال 11 يناير 1988، مطبعة الرسالة، الرباط، 1988. مع الإشارة أن آخرون يقدر عدد بثمانية و خمسين عضوا. أنظر:

Robert Rêzette, *les partis politiques... op. cit* p 292.

⁴ - اتفق كل الوطنيون المغاربة على أن تسمية حزب الاستقلال تعود لأحمد بلافريج عندما اقترح ذلك في اجتماع 10 ديسمبر 1943. أنظر: عثمان أشقرا، الوطنية و السلفية الجديدة، مرجع سابق ص 122. كما شهد عنه أبو بكر القادري أنه لم يراه في حياته متحمسا لفكرة مثل ما كان لفكرة المطالبة بالاستقلال. أنظر: أبو بكر القادري، الحاج أحمد بلافريج، مصدر سابق، ص 100 - 101.

الإدارية لجمعية قدماء تلاميذ المدن المغربية مثل الرباط و فاس و مكناس و سلا و مراكش. و عدد من القضاة الشرعيين و المدنيين و كبار الموظفين و أساتذة جامعة القرويين. و عدد من الشخصيات البارزة في الحركة القومية¹.

• مضمون بيان الاستقلال 11 جانفي 1944 :

أما من حيث مضمونه فقد كان الاستقلال البند المحوري له. و لتبريره اعتمد محرريه على بيداغوجية استعملت الخلفية التاريخية كأداة للتأكيد على شرعيته. و جاءت هذه الخلفية في سياق متدرج. بدى بـ "حول... تمتع الدولة المغربية بحريتها و سيادتها الوطنية منذ ثلاثة عشر قرنا إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة..."². أي منذ الفتوحات الإسلامية في شمال أفريقيا في القرن السابع ميلادي إلى غاية إمضاء معاهدة فاس في مارس 1912 التي أدخلت المغرب في مرحلة الحماية.. و التي، حسب البيان، كان ينتظر منها تحقيق غايتها و هي "...إدخال الإصلاحات التي يحتاج إليها المغرب..." في عدة ميادين بدون أن يؤدي ذلك بـ "...المساس بسيادة الشعب المغربي التاريخية و نفوذ جلالة الملك..."³. إلا أن عكس ذلك ما حدث من خلال نظام الحكم المباشر و "...الاستبداد لفائدة الجالية الفرنسية..." (التي) توصلت بهذا النظام إلى الاستحواذ على مقاليد الحكم، واحتكرت خيرات البلاد دون أصحابها" كما سعى هذا النظام إلى "...تحتييم الوحدة المغربية و منع المغاربة من المشاركة الفعلية في تسيير شؤون بلادهم. و منعهم من كل حرية عامة و خاصة..."

ثم انتقل مدخل البيان إلى ربط حركته بالظروف التاريخية القريبة منه. و المتمثلة في الحرب العالمية الثانية و ما ترتب عنها من تغييرات إستراتيجية. خاصة في منطقة شمال أفريقيا من خلال مشاركة المغاربة في الحرب العالمية الثانية. التي كانت ملفتة للانتباه عسكريا، من خلال بطولاتهم في العديد من المعارك التي شاركوا فيها. فقد ظهروا بـ "...أعمال أثارت إعجاب الجميع في فرنسا و تونس و صقلية و كورسيكا و إيطاليا..." و لم يفت على محرري البيان تذكير فرنسا بأنها مازلت بحاجة للمغاربة من أجل مساعدتها على تحرير

¹ - علال الفاسي: الحركات، مصدر سابق، ص 284.

² - Parti De L'Istiqlal, Documents, 1944 - 1946, Bureau de Documentations et de D'information Du parti, Edition Française, Paris 1946 p 1- 4

³ - ibid.

أراضيها¹. ثم ختم مدخل البيان بالإشارة إلى القيم الإنسانية لكتلة الحلفاء التي ظهرت أولاً في الميثاق الأطلسي في أوت 1941. الذي تضمن مبدأ حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها وثانياً في مؤتمر طهران في نوفمبر 1943. الذي جمع لأول مرة الزعماء الثلاث روزفلت تشرشل و ستالين. و اتفقوا على مبدأ القضاء على النازية والفاشية. أو بما سماه بيان الاستقلال بالمذاهب الشمولية التي تعطي الحق لمعتنقيها بالاستيلاء على الضعيف². و بالنسبة له كذلك فإن بعض الشعوب الإسلامية بدأت تستفيد من هذه القيم بالرغم من أنها "...من دون الشعب المغربي في ماضيه و حاضره..." وبذلك فالأمة المغربية هي أحق بهذه الحريات الديمقراطية التي يوافق جوهرها الدين الإسلامي الحنيف. ولكن هذا الوضع الجديد للمغاربة لا يجب أن يمنح لهم في معزل عن "ملكهم المحبوب"³.

إن هذه الخلفية التاريخية البعيدة و القريبة أعطت لمحوري البيان شرعية المطالبة للمغاربة الحق في المطالبة بسيادتهم على أنفسهم. فلطالما اعتبر قيام دولة الأدارسة في القرن الثامن ميلادي مرجعاً لها. فقد عرف تاريخ "...06 فبراير 789م مبدأ السيادة المغربية التي اختار المغاربة أن يكون العرش المغربي رمزاً لها منذ عهد الدولة الإدريسية..."⁴. كما كان لهم الحق في الاستفادة مما وفرت الظروف التاريخية التي عرفها العالم مع الحرب العالمية الثانية. والإقليمية منها على الخصوص، من فرص لحصول الإنسان أينما كان على حق طبيعي له و ذلك من الناحية النظرية على الأقل. و محصلة ذلك أن تضمن البيان بندان كلاهما يتضمنان إبطال مضمون عقد الحماية لسنة 1912. سواء بما جاء في الأول تحت عنوان "السياسة العامة" الذي تضمن بشكل صريح المطالبة باستقلال المغرب نهائياً بضمان وحدته الإقليمية و سيادة محمد بن يوسف بصفته ملكاً للبلاد. الذي أصبحت مهمته الأولى حسب هذا البند الحصول على الاعتراف الدبلوماسي لهذا الاستقلال. والانضمام لكتلة الحلفاء والمشاركة

¹ - Parti De L'Istiqlal, Documents, 1944-1946, op.cit p 1- 4.

² - جاء في بيان الاستقلال مؤتمر طهران الذي انعقد في نوفمبر 1943 واعتبره مرجعية لمطالبه لأنه من أهم الخطات الدبلوماسية للحرب العالمية الثانية نظراً للحضور الكامل لأول مرة للزعماء الثلاث و اتفاقهم على مبدأ القضاء على النازية و الفاشية و الالتزام بعدم التحاور معهما. فقد قال عنه تشرشل بأنه "أعظم تركيز للسلطة رآه العالم. لأن الشخصيات التي حضرته كانت تمسك بين يديها سعادة البشرية المقبلة". أنظر: رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، مرجع سابق، ص 427.

³ - Parti De L'Istiqlal, Documents, 1944-1946, op.cit p 1- 4.

⁴ - محمد العربي الشاوش، "الدولة العلوية المغربية النشأة و الاستقرار و الاستمرار"، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، جانفي/فيفري، 1989. ص، 89-97.

في إعادة رسم خريطة عالم ما بعد الحرب بالمشاركة في مؤتمرات الصلح. و بهذه الصورة تطرق هذا البند للتمثلات الخارجية لمبدأ الاستقلال. أما الداخلية فقد جاءت في البند الثاني الذي جاء تحت عنوان "السياسة الداخلية" متضمنا مشروعا عاما للمغرب المستقل برعاية الملك لحركة إصلاح للنهوض بالمجتمع المغربي. ومنحه نظاما سياسيا شوريا يشبه الأنظمة العربية الإسلامية في المشرق مثل العراق و مصر لضمان حقوق وواجبات الشعب المغربي¹ و بهذه الصفة فإن هذه المادة تعمدت عدم الفصل في طبيعة النظام السياسي للمغرب المستقل خاصة و أنه كان لأطراف البيان قراءة مختلفة له. فقد ذكر عبد الرحيم بوعبيد²، وقد كان أحد القادة الاستقلاليين من الجيل الثاني حينها، كما كان أصغر الموقعين على بيان الاستقلال، أنه كانت هناك صلة بين المعركة من أجل الاستقلال مع معركة مشروع المغرب المستقل عندما ربط بينهما بمسألة في غاية الأهمية تتمثل في ضرورة تبني المغرب لنظام ملكي دستوري فحسب قناعته فإن "...النضال من أجل الاستقلال كان كذلك من أجل الديمقراطية التي سيضمنها نظاما ملكيا دستوريا... و هو بالتالي مشروع كل القوى المغربية لا مشروع حزب واحد و وحيد"³. و هذا ما قال به "لاندو روم" بصيغة أخرى عندما اعتبر أن ذكر مصطلح "الملك" في بيان الاستقلال عوض "السلطان" كان متعمدا "...لأن ماضي السلطانية خال من أية صبغة ديمقراطية و لذلك أراد حزب الاستقلال أن يؤكد على الفرق بين السلاطين المطلقين الذين يخصون الماضي و الملك الدستوري الذي يخص المستقبل..."⁴. و لكن هل كانت نظرة السلطان محمد بن يوسف كذلك؟

لقد كانت " الملكية الدستورية" أهم مسألة حصل بشأنها خلاف شديد بين بعض أطراف البيان. فقد كان لكل واحد منها رؤيته حولها. و لذلك عرف البيان عدة مسودات قبل أن يصل إلى صيغته النهائية. فإذا كان ظاهرا أن الغرض الأساسي من البيان هو إيجاد صيغة تؤدي

¹ - فيما يخص بند السياسة الداخلية وردت فقرة "إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام البلاد العربية الإسلامية بالشرق، تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب و سائر طبقاته و تحدد فيه واجبات الجميع" في كتاب عبد الكريم غلاب "تاريخ الحركة الوطنية" ج 01 ص 260. وكذلك في "مذكراتي في الحركة الوطنية" لأبي بكر القادري ج 02 ص 178. في حين لم يرد ذلك عند علال الفاسي في كتابه "الحركات الاستقلالية" ص 288.

² - تم التطرق لسيرته الشخصية سابقا

³ - شهادة نشرها عبد الرحيم بوعبيد في جريدة "الإتحاد الاشتراكي" بتاريخ 11 جانفي 1990 في: عثمان أشقرا، الوطنية و السلفية الجديدة، مرجع سابق ص 121.

⁴ - لاندو روم، تاريخ المغرب، مصدر سابق، ص 270.

إلى التخلص من نظام الحماية من خلال مبدأ الاستقلال. إلا أنه في حقيقة الأمر تبين كذلك أنه كان هناك اختلافا خفيا بين أطرافه حول مشروع المجتمع المغربي بعد التخلص من هذا النظام. و قد تضمن هذا الاختلاف حول هذا البند الثاني. الذي تناول مسألة السياسة الداخلية بمفهوم نظام الحكم في المغرب المستقل. فقد كان هناك عدة مشاريع حول هذه السياسة ليتوصل محوري البيان إلى صيغة نهائية تفاهمية أكثر منها تعبيراً عن قناعة سياسية لعدد كبير من قادة حزب الاستقلال. و بصورة خاصة الجيل الثاني من هذه القيادة أمثال عبد الرحيم بوعبيد و المهدي بن بركة¹.

و قد تميزت الصيغة النهائية بالكثافة و الاختصار. ليس لأن غرضه إعلامياً. و لكن لأن السلطان تحفظ على آخر صيغة قدمت له تطرقت لمواصفات المؤسسات المستقبلية للمغرب على أنه "...إقامة للنظام الملكي الدستوري بروح الديمقراطية التي تضمنها المؤسسات المنتخبة على المستوى المركزي و الجهوي و المحلي"². و قد كانت حجة السلطان آنذاك على أن هذه المفاهيم "ثورية و قد تحدث شرخاً في المؤسسات المخزنية المحافظة. و تصنع لحزب الاستقلال عداوة من داخل المخزن من باشاوات و قياد و موظفي كبار. كان في غنى عنها في تلك الظروف..."³. و خصوصاً أن نضال المرحلة المقبلة يتطلب وحدة متينة بين كل المغاربة⁴ و لذلك استبدلت هذه "المفاهيم الانقلابية المخيفة للسلطان" بأخرى فضفاضة و عامة و قابلة للتأويل من جميع الأطراف. و حتى أنها كانت مطمأنة كثيراً للسلطان. الذي ترك له حزب الاستقلال أمر تدبير "نظام ديمقراطي شبيه بنظام حكومي حسب ما تبنته دول إسلامية بالشرق يضمن حقوق كل العناصر و كل طبقات المجتمع المغربي و يحدد واجبات كل واحد على حده"⁵ و لذلك جاءت هذه المفاهيم في البيان على أنها "...إصلاحات مستوحاة من مبادئ الإسلام على غرار ما تحقق في المشرق..."⁶. و قد اعتبر "الاستقاليون" هذه الصيغة مرضية لهم لأنها سمحت "...بتفادي الانشقاق و الفرقة و تحقيق أكبر تجمع من أجل إزالة عقد الوصاية..."⁶.

¹ - قادة دين ، المسار السياسي و الفكري للمهدي بن بركة، مرجع سابق، ص 134.

² - شهادة نشرها عبد الرحيم بوعبيد في جريدة "الاتحاد الاشتراكي" في: عثمان أشقرا، الوطنية، مرجع سابق ص 124.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - المصدر نفسه.

و لكن إذا كانت هذه الصيغة قد حققت أثناء فترة الحماية وحدة، و لم ينقسم المغرب في "المغرب المحمي" حول مشروع "الاستقلال بغرض التحرر". فإن هذه الصيغة بالذات هي التي من وراء كل الانشقاقات والخلافات في "المغرب المستقل" حول مشروع "الاستقلال بغرض البناء و التشييد". إن ما تفاداه الوطنيون أثناء التحرير بحجة الحفاظ على "وحدة المغرب" حينها. فقد وقعوا فيه بعد نهاية التحرير، ككل الشعوب العربية التي استقلت حديثاً، و أصبحت نفس الوحدة في خطر. و في الكثير من الأحيان من خلال صيغ مأساوية¹.

• أطراف بيان الاستقلال 11 جانفي 1944 :

لم يطرح بيان الاستقلال جدلاً فيما يخص مضمونه. الذي، برغم من تجذيره للحركة الوطنية المغربية، فإنه كان بمثابة نتيجة شبه حتمية بالنظر إلى ظروفه الداخلية والخارجية فقد كان نتيجة تغيرات سريعة في الساحة المغربية منذ الإنزال الأمريكي و ما تبعه من انفراج سريع في رؤية الحركة الوطنية المغربية. و صعود عامل جديد أحدث تغيرات جذرية في معادلة هذه الحركة. فالسلطان أصبح رمزا للوطنية الشرعية بامتياز. و من جهة أخرى لم يكن هذا البيان ظاهرة فريدة من نوعها و لم يكن كذلك حدثاً تاريخياً منعزلاً إقليمياً و لا عربياً.

فبالموازاة مع هذا التحرك المغربي كان هناك نشاط وطني مكثف في الجزائر منذ الإنزال كذلك. و من أهم مظاهره إصدار فرحات عباس لـ "بيان الشعب الجزائري" في 10 فيفري 1943. الذي تضمن كذلك المطالبة باستقلال الجزائر. ثم تأسست "حركة أحباب البيان والحرية" في مارس 1944. وعرفت الجزائر حركة سياسية نشيطة جداً انتهت بمظاهرات 08 ماي 1945

¹ - عرف المغرب مباشرة بعد الاستقلال أزمة لها علاقة بطبيعة نظام الحكم. حيث أقم حزب الاستقلال انه كان يبحث عن مشروع الحزب الواحد. كما أهتم المؤسسة الملكية بالرغبة في الأفراد بالمغرب و إقصاء الأطراف الأخرى. و غيرها من المشاكل التي عانى منها المغرب كثيراً. و لعل انفجار الخريطة الحزبية في المغرب سنة 1959 من مظاهر ذلك. وكذلك تسمية فترة طويلة من مغرب ما بعد الاستقلال بـ "سنين الرصاص" من مظاهر تلك الأزمة. مما أدى بالقول إلى أن حزب الاستقلال، وبالرغم من قاعدته الشعبية وشرعيته التاريخية، لم يكن يملك طرحاً ذا مضمون سياسي واضح من الناحية النظرية والتطبيقية على حد سواء، وبقي يطالب بالاستقلال وإقامة نظام ملكي دستوري، كطرح عام فضفاض. و قد قال بذلك المهدي بن بركة عندما أصيب بخيبة أمل استقلال المغرب. و أعلن أن حزب الاستقلال يجب تجديده في أسلوبه و برنامجه من أجل إيقاظ الشعب المغربي و الطبقات الشعبية من أجل بناء مجتمع جديد. و قد دفع ثمن هذا المطلب في 29 أكتوبر 1965. أنظر: قادة دين المسار السياسي و الفكري للمهدي بن بركة، مرجع سابق، ص 134. وإذا كان قد عجز عن حل المسألة الدستورية بعد الاستقلال فإنه يبدو قد دفع ثمن تنازله عن هذه القضية في حينها. أي في أول مناسبة تحدث فيها مع السلطان حول طبيعة نظام المغرب المستقل. و التي كانت عشية تقديم بيان الاستقلال في نهاية سنة 1943.

أما تونس فقد عرفت هي الأخرى مجموعة من التوترات بعد نزول القوات الألمانية فيها في نوفمبر 1942. و السياسة الاستقلالية عن فرنسا التي اتبعتها الباي "المنصف" ابتداء من مطلع سنة 1943. ولئن كانت فترة هذه التجربة قصيرة جدا بإزاحة وإذلال الباي "المنصف" في ماي 1943. إلا أنها أكدت بدون أي شك أن اتجاهها استقلاليا كان في التصاعد في تونس¹. و في نفس الوقت كان الشام يعيش أحداثا متسارعة منذ انتخاب بشارة الخوري رئيسا للبنان في سبتمبر 1943. و تلاوة رياض الصلح لـ "وثيقة الاستقلال" أمام البرلمان اللبناني في أكتوبر 1943. وما تلاه من أحداث تمثلت في عزلهما و سجنهما. و ردود الفعل على ذلك خاصة عندما تدخلت بريطانيا لتغيير الأوضاع لصالح الوطنيين. وبصورة مذلة لحكومة فرنسا الحرة². و قد أدى كل ذلك إلى ظهور دولة لبنان المستقلة في نوفمبر 1943³.

و إذا كان هذا المضمون منتظرا حسب سياقاته التاريخية. فإن أهم ما جاء فيه و كان مجالا لاختلافات مغربية خاصة، هو صاحب هذه المبادرة. فقد قال "الاستقاليون" أنه تجمعنا و طنيا لأطراف متعددة كما ذكر بذلك علال الفاسي وغيره من هذه الفئة. إلا أنه يبدو أن هذا الإجماع كان داخل هذه الفئة الاستقلالية سواء من الوطنيين أو المناضلين مع بعض الاختلافات التي ترد عند هذا أو ذاك. فبالإضافة إلى جاء به علال الفاسي و عبد الكريم غلاب و أبو بكر القادري في مذكراتهم. فإن محمد اليزيدي، الذي كان مهندس الحزب الوطني ابتداء من سنة 1941 بعد نفي علال الفاسي و غياب أحمد بلافريج، اعتبر أن عاملين كانا من وراء تأسيس حزب الاستقلال، الأول تمثل في حوادث الشام لسنة 1943 حيث "انتفض المغرب أجمعه تضامنا مع إخوانه و أشقائه مطالباً بحقوقه المتمثلة في الحصول على الاستقلال". لأنه اعتبر الإنذار البريطاني لفرنسا حول أحداث الشام إضعاف لفرنسا التي اهتزت مكانتها. و بالتالي هو فرصة "... يجب استغلالها و توظيفها لأنه كلما طالت الحرب كلما تصاعدت مضايقة فرنسا "

¹ - حسن حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص 227-228.

² - تمثل ذلك في الإنذار البريطاني الذي سلمه وزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط الجنرال "سبيرز" *Spears* لمبعوث ديغول لبنان الجنرال كاترو بالتدخل عسكريا لتحرير الزعيمين اللبنانيين في حالة عدم قيام فرنسا بذلك. اعتبر ذلك "جورج سبيلمان *Gorges Spillmann*" فخا نصيبه بإحكام المصالح البريطانية التي سعت لإخلاء الشرق الأوسط من أي وجود فرنسي لأنه منطقة بريطانية بامتياز. في حين لم يكن الأمر كذلك في شمال أفريقيا الذي احترمت فيه دائما لندن تعهداتها لبداية القرن العشرين التي جعلت من هذه المنطقة و المغرب خاصة تابعة للنفوذ الفرنسي. أنظر: *Georges Spillmann, Du protectorat. op.cit, p 112*

³ - لييب عبد الساتر، التاريخ المعاصر، دار المشرق، بيروت، 1986، ص 220-227.

الذي قد تزداد عنفا عما قامت به سنة 1937. أما العامل الثاني بالنسبة لليزيدي فهو دور السلطان الحاسم في مسار الحركة الوطنية المغربية¹. و عليه فإن ما اختلفت فيه هذه الشهادة عما سبقها من الشهادات الأخرى للاستقلاليين هو دور أحداث الشام التي لم ترد كعامل فاصل عند غيره.

و في نفس الاتجاه ذكر عبد الرحيم بوعبيد أن ظروف إصدار بيان الاستقلال مرتبطة بما كان يقوم به التنظيم السري "الطائفة" الذي أصبح عضوا فيه. فقد كان من وراء الكثير من القرارات المؤثرة في مسار الكثير من الأحداث بداية من قيام السلطان باجتماع منفرد مع الرئيس الأمريكي روزفلت بدون حضور المقيم العام نوجيس. إلى ما كان يقوم من اجتماعات بين السلطان و الحركة الوطنية حول مستقبل المغرب في ظل الأوضاع الجديدة. و في هذا الاتجاه تم الاتفاق على أن مبدأ الإصلاحات لم يعد له شرعية بقاءه. و بالتالي إلغاء معاهد فاس لسنة 1912 هو السبيل الوحيد لمغرب ما بعد قمة "أنفا"². إلا أن أهم ما جاء به بوعبيد هو موقع السلطان بالنسبة لهذه الحركة فالنسبة له لا يمكن حصر نشاط السلطان في هيئة حزبية واحدة. فموقعه التاريخي المقدس فرض عليهم هيئة أوسع بكثير من الحزب الوطني. الذي أصبح مطالبا أن يكون من مكونات الحركة الوطنية لا كلها³. و بالتالي فإن البحث عن الإجماع المغربي لهذه المبادرة أمر إجباري حتى و إن كان ذلك مع مغاربة بدون انتماء سياسي. فقد كان السلطان بالنسبة له "...مؤتمن على السيادة الوطنية في هذه المعركة الفاصلة... و بالتالي لا يمكن أن يدخلها على أنه من عناصر هذه المعركة... و لكن بصفته موحدا لعناصرها. و قائدا لها. حتى وإن كان من بينها من لا تمثل له في الأوساط المغربية"⁴.

¹ - شهادة نشرها محمد اليزيدي في جريدة "العلم" بتاريخ 11 جانفي 1989 في: عثمان أشقرا، الوطنية و السلفية الجديدة، مرجع سابق ص 119.

² - شهادة نشرها عبد الرحيم بوعبيد في جريدة "الاتحاد الاشتراكي" بتاريخ 11 جانفي 1990 في: عثمان أشقرا، الوطنية و السلفية الجديدة، مرجع سابق ص 121.

³ - المصدر نفسه

⁴ - المصدر نفسه.

لقد اتفقت الفئة الاستقلالية على ثابتين أساسيين بالنسبة لبيان الاستقلال. أولا على أنه نتيجة إجماع مجموعة من الأطراف. وثانيا على أن كان للسلطان فيه دورا حاسما في مضمونه. إلا أنه و خارج هذه الفئة. كان لمحمد حسن الوزاني و الشوريين عموما و آخرون بما فيها الحزب الشيوعي المغربي الذي قامت إطاراته بإمضاء بيانات دعم لهذه المبادرة¹. موقفا معاكسا تماما لهذه الأطروحة الاستقلالية. فقد سمى الوزاني في مذكراته ما كانت القوات الاستقلالية تردده من حين لآخر حول هذه المحطة بعملية "مسح حقائق تاريخ الاستقلال"².

لقد تمت هذه العملية حس الوزاني من خلال ثلاثة نقاط. تتمثل الأولى في حقيقة موقفه مع الحركة القومية من هذا البيان الذي اعتبره كل الاستقلاليين معارضا له و للانضمام فيه. والثانية في حقيقة من كان وراء هذه الوثيقة. و الثالثة في موقفه مع الحركة القومية من هذه المبادرة. بالنسبة للمسألة الأولى فإنه جاء في كل كتابات الاستقلاليين أنهم اعتبروا تواجد الوزاني في هذا المسعى مسألة ضرورية لأنه من الوطنيين الأوائل الذين قاموا ببناء الحركة الوطنية المغربية في الداخل و الخارج. فذكر أبو بكر القادري أنهم اتصلوا به سرا في منفاه بـ "إيتزر" في جبال الأطلس الأوسط لإخباره عما كانوا عازمين على فعله. و مطالبته بمشاركتهم فيه مع حزبه. لأن ذلك من شأنه أن يحقق ما سماه بـ "وحدة الصف و الوقوف أمام الفرنسيين ككتلة موحدة"³. و بالنسبة إليه كذلك أنه "إذا كان الحزب الوطني قد فكر في بعض الشخصيات الحرة فإنه من واجبه أن يفكر في إخوانه رجال الحركة القومية و بالأخص زعيمها و رئيسها الذي كان ينظر إليه نظرة تقدير و وفاء"⁴. و في موقع لآخر ذكر القادري أن أحمد بلافريج الذي يعتبر مهندس هذه العريضة بالنسبة للحزب الوطني صرح بأنه "لا يمكن

¹ - Bouaziz, Mostefa, aux origines de la koutla démocratique, op.cit ,p62

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج06، مصدر سابق، ص162.

³ - ذكر القادري الكثير من التفاصيل حول مسألة الاتصال بالوزاني دفاعا عن موقف حزبه و مستشهدا كذلك بمقاطع منتقاة من مذكرات لوزاني بما يخدم طرحه حول هذه القضية. بدون أن يرد على مسألة في غاية الأهمية بالنسبة للوزاني و هي تاريخ الاتصال الذي اعتبره الوزاني قد تم يوم 11 جانفي 1944 أي يوم تقديم العريضة. إذن أين هو التقدير و الوفاء و غيرها من الكلمات الوجدانية التي استعملها القادري في مذكراته؟ أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج02، مصدر سابق، ص165-168.

⁴ - أبو بكر القادري، مذكراتي، ج02، مصدر سابق.

أن تقدم وثيقة في مثل هذه الأهمية و أخ لهم بعيد عنهم لظروف استثنائية غير اختيارية"¹. و نفس المضمون قال به عبد الكريم غلاب بأنه "من الضروري الحصول على موافقة الحركة القومية سواء من أفرادها أو من زعيمها". و لكن ذلك لم يحدث و لم يوقع الوزاني و لا رفاقه هذه العريضة². أما علال الفاسي فلم يتطرق (وكعادته في خلافه مع الوزاني) لهذه القضية بالرغم من أنه ذكر أن من مكونات حزب الاستقلال "العديد من الشخصيات البارزة في الحركة القومية"³.

في حين كان رد الوزاني على هؤلاء و آخرون بأن ما تم في أحسن الأحوال هو إعلامه بإصدار هذا البيان لا مطالبتهم له بالانضمام إليه. و بغض النظر عن حقيقة موقفه من هذه الوثيقة فإن الوزاني جاء بالكثير من التفاصيل الدقيقة التي تمت حينها. و التي تؤدي إلى القول بأن الاتصال به كان يوم تقديم هذه الوثيقة للمراجع العليا في المغرب و ليس قبلها. و بالتالي فإذا كانت الغاية من الاتصال به إخبارية فقد تحققت. أما إذا كانت غير ذلك فلا محل لها من حيث ظرفيتها التي كانت جد متأخرة كأقل تقدير. و لذلك كان موقفه متماشيا مع هذه الظرفية فأعلن عن صيغ مجاملة تمثلت في "شكره و تقديره للإخوان و سروره لهذه الحركة الجديدة و تأييده للمطالبة بالاستقلال. و تضامنه معهم. و أخيرا الدعاء لهم بكل توفيق"⁴. و في جميع الأحوال فإن مسألة الاتصال به تبقى شكلية بالنسبة للوزاني بالنظر إلى ما سيليه من قضايا جديرة بالبحث فيها. و تتمثل في حقيقة من كان ورائها. بالنسبة له فإن الفاعلين الحقيقيين في هذه المبادرة هم "قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية الإسلامية، ثانوية مولاي إدريس" بمدينة فاس. فهم كانوا يمثلون ذلك العنصر الذي لطالما كان بعيدا عن النشاط السياسي منذ نشأة الحركة الوطنية في مطلع الثلاثينات. و عرف عنهم حيادهم تجاه المقاومة السياسية. و إيمانهم

¹ - أبو بكر القادري، الحاج أحمد بلافريج، مصدر سابق ص 101 - 102.

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 251.

³ - لم يعلق علال الفاسي على مسألة الاتصال بالوزاني من أجل الانضمام لبيان الاستقلال. بالرغم من أنه ذكر شخصيات بارزة بدون ذكر الأسماء. أنظر: علال الفاسي: الحركات، مصدر سابق، ص 284.

⁴ - ذكر الوزاني في مذكراته تفاصيل دقيقة موثقة بأن وضعيته المقيدة لم تكن لتسمح له بأي تواصل خارجي. و كل ما يتعلق بالكيفية التي من خلالها تم الاتصال به سواء من حيث التاريخ الذي كان يوم 11 جانفي 1944. أو الشخص الذي اتصل به و ما دار بينها من حوار و غيرها من المعطيات الدقيقة. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج06، مصدر سابق، ص 162 - 172.

بالمسار الإصلاحى الجزئى والمتواضع. كما ساهم بعضهم فى مؤسسات الحماية¹. إلا أنهم فجأة ظهر عليهم اهتماما سياسيا "راديكاليا" بمطالبتهم بالاستقلال بمساهماتهم فى "بيان الاستقلال". كما تواجد بعضهم فى الوفود التى حملت البيان لمختلف الأطراف مثلما هو الحال لرئيسها محمد الزغاري ونائبه أحمد أبا حنيني. و لذلك يجب التساؤل حول المحرك الحقيقى لهؤلاء. و من كان وراء هذا التغيير الانقلابى فى تصوراتهم. إن كان داخليا أم خارجيا. أم انه كان نتيجة الظروف التى عرفها المغرب أثناء الحرب. أم أنه مجرد لإملاء لهم من طرف آخر. أم أنه فى النهاية موقف حقيقى نتج عن يقظة الضمير لهؤلاء. و عندما لم يتحصل على أية إجابة من طرفهم اعتبر انضمام الحركة القومية لهذا التيار من قبيل المغامرة. ولذلك حسب رأيه تحمل هؤلاء "القدماء" جزء من مسؤولية تخوف حركته من هذه المبادرة. و فى خلاصة ذلك بقيت قناعته راسخة بأن هؤلاء هم المحررين الذين "...استجابوا لإرادة السلطان الذى كان على رأس حركة المطالبة بالاستقلال و هو الذى أوعز بها. و كان العمدة فى تحريك القائمين بها من القدماء وأعضاء الحزب الجديد..." فالنسبة له أن السلطان لم تكن لديه ضمانات حقيقية من الحلفاء لتحقيق استقلال المغرب سواء أثناء الحرب أو بعدها. فأراد وضعهم أمام الأمر الواقع².

و إذا كان الوزانى بعيدا عن الأحداث بحكم تواجده فى المنفى لمدة سبع سنوات حينها. فإن نائبه و رجل سره عبد الهادي بوطالب³ الذى كان فى صلب الأحداث فقد وصل إلى نفس طرحه. بدليل أن السلطان اتصل بهم و استقبله هو بالذات و طلب منهم الإسراع بتأييد

¹ - محمد حسن الوزانى، مذكرات، ج06، مصدر سابق، ص92.

² - المصدر نفسه، ص97.

³ - ولد بمدينة فاس فى 23 ديسمبر 1923. تحصل على شهادة جامعة القرويين سنة 1943. إشتغل أستاذا خاصا للأمير الحسن (الملك الحسن الثانى) بالمعهد المولى بين سنة 1944 و 1948. من مؤسسى الحركة القومية. إنتخب عضوا فى المكتب السياسى لحزب الشورى و الإستقلال سنة 1951. و ان من أهم أعضاء الوفد المغربى فى مفاوضات الإستقلال. انفصل عن حزب الشورى و الإستقلال سنة 1959 لتأسيس "الإتحاد الوطنى للقوات الشعبية" و قد تقلد عدة مناصب سياسية و دبلوماسية مثل سفير المغرب بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1974 ثم المكسيك. و كان من أهم مستشارى الملك الحسن الثانى و بعد إختلاف معه. إبتعد عن أي عمل سياسى. توفي فى 16 ديسمبر 2009.

العريضة. وهو ما حدث بعد ثمانية و أربعين ساعة من تقديم العريضة على حد تعبيره¹ بإصدار الحركة القومية لعريضة مطابقة تماما لبيان 11 جانفي 1944. فمطلب الاستقلال بالنسبة لهذه الحركة لم تكن بضاعة محتكرة لأي فريق دون سواه². وبالرغم من أن حزب الاستقلال قد سعى لتفويت الفرصة عليها حتى لا تكون في هذا الموعد التاريخي. إلا أن حرصها على التواجد في هذا الموعد بطريقة و إجراءات من اختيارها غير مفروضة عليها من طرف أي أحد جعلها تصدر "بيانا قوميا استقلاليا" قدمه وفدا للحركة القومية بتاريخ 13 جانفي 1944 بنفس مواصفات "البيان الاستقلالي" الصادر في 11 جانفي 1944 من حيث الشكل بتقديمه للجهات الأربعة المعنية وهي السلطان والإقامة العامة وقنصلي أمريكا وإنكلترا. و من حيث المضمون بوجود نفس البنود التي جاءت في بيان الاستقلال الأول. و لكن الأهم بالنسبة لكوادر الحركة أنهم حافظوا على كيانهم. و خاصة على استقلاليتهم³.

و نفس الشيء كان بالنسبة للحركة الوطنية الخليفية (الشمالية) التي تبنت هي الأخرى البيان واعتبرت مضامينه وطنية تهتم كامل الأمة المغربية في الجنوب والشمال. ففي رسالة بعث بها "حزب الإصلاح" إلى السلطان بتاريخ 29 فيفري 1944 "ضم فيها صوته إلى صوت حزب الاستقلال... و أيدته في مطالبه العادلة..."⁴ و عبر فيها عن "الوفاء للسلطان و التأكيد له بأن مبادئ الديار في الشمال هي عين المبادئ المغربية الخالصة و الإحساسات الوطنية الصرفة... و ما يؤلم الأمة في الجنوب يؤلمها في الشمال، و ما يبهجها في الجنوب يبهجها في الشمال... لأن مغاربة الشمال جزء متمما للمغرب العظيم..."⁵

بغض النظر عن الخلافات الشديدة التي حدثت حول مصدر بيان 11 جانفي 1944 إن كان حزب الاستقلال كما جاء في أول فقرة له. أو السلطان أو "القدماء" أو كلهم. إلا أن هذا

¹ - كان عبد الهادي بوطالب مع علي العراقي و هما الشخصيتان القوميتان اللتان اتصل بهما مبعوث حزب الاستقلال من أجل الانضمام للمبادرة و لحزب الاستقلال في نفس الوقت إلا أنهما رفضا ذلك. عبد الهادي بوطالب، ذكريات، شهادات، و وجوه، الشركة السعودية للأبحاث و النشر، الرياض، 1992، ص 28-116.

² - عبد الهادي بوطالب، ذكريات، شهادات، مصدر سابق.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق ص 230.

⁵ - المرجع نفسه، ص 175.

نهاية الأمر ليس بقضية شعبية وعمومية (*Res-publia*) بقدر ما كانت مسألة تهم النخب السياسية في صراعها الآخر حول المكاسب الميدانية¹. و بعيدا عن هذا فلقد أدى البيان إلى تحرك المغاربة بشكل مكثف في نفس اتجاه البيان. أي الالتفاف حول مبدأ الاستقلال الذي أصبح حديثا شعبيا علنيا. بعدما كان حديث نخبويا سريا. فقد قامت الخلايا الشعبية التي بعثت من جديد بنسخ آلاف النسخ و توزيعها على القواعد الشعبية. مع حثها على تشكيل وفودا من مختلف المدن و الأرياف و التقدم إلى القصر الملكي لتدعيم هذا الاتجاه الجديد. و بطبيعة الحال فإن حزب الاستقلال لم يكن "غير معني" بهذه التحركات الشعبية. فقد كان ذلك من ضمن ما تم الاتفاق على القيام به للتأثير على مختلف الأطراف المعنية خاصة الأمريكيين و البريطانيين الذي تركوا أثرا جد إيجابيا على المغاربة، و كل الشعوب المستعمرة، بعد تدخلهم في الشام لصالح الإرادة الوطنية².

و هكذا فقد عرف القصر الملكي في الأيام الموالية لتقديم البيانين حركة غير عادية من الوفود الشعبية من مختلف المدن المغربية و من مختلف الشرائح الثقافية و الاجتماعية و المهنية التي أيدت فكرة الاستقلال و تبنت مضامين البيان الاستقلالي. و قد تعددت العرائض كالتي قدمها علماء القرويين و قضاة وأعيان فاس، والشرفاء الأدارسة، و الشرفاء العلويين وأحواز فاس و البنائين و الدباغين و الخرازة... وغيرهم من العرائض التي كانت بمثابة دعما شعبيا لفكرة الاستقلال بالإضافة إلى الدعم السياسي الذي كانت تعرفه³. و بهذه الحالة أصبح الاستقلال مسألة إجماع بالنسبة للمغاربة في الداخل. وحتى في الخارج عندما قدم وفد "رابطة الدفاع عن مراكش"⁴ في القاهرة مذكرة تطالب فيها باستقلال المغرب لمكتب حكومة فرنسا

¹ - محمد بن الراه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 282.

² - المرجع نفسه، ص 284.

³ - حزب الاستقلال، المغرب الأقصى، مراكش، مصدر سابق ص 179 .

⁴ - هيئة تأسست سنة 1943 من طرف المغاربة المتخرجون من الجامعات المصرية. و كان منهم المنتمون للحزب الوطني مثل و عبد الكريم غلاب و أحمد بالمليح و العربي بناني و عبد الكريم بن ثابت و عبد المجيد بن جلون و محمد المسفيوي و إدريس السوسي و المنتمون للحركة القومية مثل محمد بن عبد الله و أحمد الوزاني. و منهم المنتمون لحزب الإصلاح الوطني بالشمال مثل عبد السلام بناني و محمد بن عبود و مصطفى بن عبد الوهاب. و تعتبر من مظاهر النضال المغربي. أنظر: أبو بكر القادري مذكراتي، ج 02. مصدر سابق ص 311.

الحررة وسفراء كل من الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا والإتحاد السوفيتي¹. والتي تم نشرتها من طرف الصحافة المصرية مثل جريدة "الأهرام"². و لكن إلى أي مدى أدركت "فرنسا الحررة" و " الديغولية" هذه الحقيقة. فقد عرف الشام مبادرة مماثلة و قامت بقمع زعمائها. ولولا موازين القوى الجديدة في الشرق الأوسط التي لم تكن في صالحها. لكان لمسار الأحداث في الشام اتجاها آخر غير الذي سارت عليه. و لكن موازين القوى ظاهريا كانت كذلك في هذه المرة كانت لصالح المغاربة. فهل استوعب ديغول " الدرس الشامي" و لا يكرره خطأه في المغرب ؟ و هل سيستفيد المغاربة من كل هذه التحولات لتغيير قانونهم الأساسي المعلن منذ معاهدة الحماية في 30 مارس 1912؟

3 - 3 الموقف الفرنسي من بيان الاستقلال:

لقد ذكر روزيت أن المغاربة قاموا خلال الحرب بكل جهودهم لإبعاد فرنسا عنهم سواء بالاستنجد بألمانيا أو أمريكا. و لكن لم تقم أي منهما بذلك. وفي الأخير وجدوا أنفسهم وجها لوجه معها في مطلع سنة 1944³. و بنفس الروح الردعية لسنة 1937 اعتبرت فرنسا أن ما قام به الوطنيون المغاربة "غير ملائم"⁴. و لكن هذه المرة "بسياسة صارمة ديغولية" على حد تعبير جوليان⁵. فمباشرة بعدما علم ديغول بهذه التطورات عن طريق المقيم العام "غابريل بيو" الذي جاء في برقيته ملاحظة مثيرة للانتباه جاء فيها: "إن الوضع خطير جدا في المغرب"⁶. فسعى لتوقيفها بكل الوسائل المتاحة آنذاك لأنها أفسدت مخططاته لاستعادة هيبة الإمبراطورية الفرنسية⁷. خاصة في جزئها الشمال أفريقي فمن حيث المبدأ كانت له ضمانات بريطانية بأولوية فرنسية فيه تعود لمطلع القرن العشرين⁸. لذلك أرسل ديغول وزير

¹ - محمد بن الراه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 292.

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج2، مصدر سابق ص 437.

³ - Robert Rêzette, les partis politiques, op. cit p 138.

⁴ - Nationalistes Marocains ; activités des nationalistes sur le sol Marocain ,manifeste de L'Istiqlal , Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris ,24QO/65

⁵ - Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op.cit,p190.

⁶ - Nationalistes Marocains ; activités des nationalistes sur le sol Marocain ,manifeste de L'Istiqlal ,op.cit.

⁷ - ibid.

⁸ - Georges Spillmann, Du protectorat. op.cit, p 112.

خارجيته"ريني ماسيغلي René Massigli¹ كمبعوث نوعي من أجل القيام بمهمة "تذكير المغرب سلطانا وحركة وطنية ومجتمعا باستعداد حكومة فرنسا الحرة مواصلة "مهمتها الحضارية في المغرب بأي ثمن"².

ففي خطابه في 28 جانفي 1944 أمام سلطات المخزن و على رأسها السلطان ذكر "ماسيغلي" باسم الجنرال ديغول هؤلاء... بكل ما يدين به المغرب لفرنسا وإيمان حكومة فرنسا الحرة بمستقبله الذي لن يكون إلا تحت إشراف فرنسا. الذي بدأته منذ إعلان الحماية سنة 1912 بالإنجازات العظمى التي حققها الماريشال ليوتي رفقة السلطان مولاي يوسف و واصلتها عبر أكثر من ربع قرن...³. أما فيما يخص ما تضمنه بيان الاستقلال فإن "ماسيغلي" ذكر السلطان بقوة أن " فرنسا لا تقوم بأية إصلاحات إلا ما تعتبره مطابقا للدولة. و مسايرا لعادات و تقاليد البلاد المغربية..."⁴. وبالتالي... فإن مبادرة أي إصلاح و اختيارها من حيث مضمونها و الظروف الملائمة لها ليست من صلاحيات أي أحد ما عدا فرنسا... لأن ذلك تعبير عن الثقة الكبيرة التي لطالما أبداها المغرب لفرنسا. و بإمكانه أن يواصل هذه الثقة فيها ممثلة هذه المرة في حكومة فرنسا الحرة. وعلى رأسها الجنرال ديغول...⁵. و لم يكن رد السلطان على هذا "التذكير بالعودة للنظام" و "المؤاخذات القوية"⁶. أكثر من... التأكيد على الدور الفرنسي في النهضة المغربية التي تمت منذ الماريشال ليوتي... والصداقة الفرنسية المغربية التي بنيت عبر الزمن على أسس صلبة... و ما قامت به فرنسا للمغاربة من تقدم و تطور في شتى المجالات و رغبة هؤلاء في ربط مصيرهم بها... لمواصلة تحقيق الإنجاز الفرنسي الكبير في المغرب... لأن قوانين الرقي و الازدهار تفرض هذه الاستمرارية. التي بدون شك سيحقق

¹ - ريني ماسيغلي (1888-1988) أستاذ جامعي في التاريخ. ثم انخرط في الدبلوماسية الفرنسية منذ سنة 1919 وتقلد مناصب عديدة من بينها مدير الشؤون السياسية بين سنتي 1937 و 1938 و وزيرا للشؤون الخارجية في حكومة فرنسا الحرة بين سنتي 1943 و 1944 ثم سفيراً لفرنسا في بريطانيا بين سنتي 1944 و 1955. جمع بين المسارين الأكاديمي و السياسي. و أصبح مرجعا فرنسيا في السياسة الخارجية. قال عنه شارل أندري جوليان أن الجامعة الفرنسية خسرت أستاذا من الطراز العالي في التاريخ. أنظر:

Raphaële Ulrich-Pier , René Massigli (1888-1988). Une vie de diplomate, Éditions, Peter Lang, Bruxelles, 2t, 2006.

² - Fulbert Taillard, Le Nationalisme Marocain, Éditions du cerf, Alexis lahure, Paris 1947, p 23.

³ - ibid.

⁴ - Fulbert Taillard, Le Nationalisme Marocain. op.cit, p 24-25.

⁵ - ibid.

⁶ - Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op.cit, p191.

الكثير منها السفير غابريال بيو...¹ و أخيرا لم ينس السلطان بأن "...يذكر متابعتة بإعجاب لما يقوم به الجنرال ديغول من أجل تحرير فرنسا...".²

لقد وجد السلطان نفسه في أول موقف وطني رسمي للتعبير عن مدى إيمانه بمضمون "بيان الاستقلال" و الدفاع عنه خاصة إذا كان مساهما فيه. بل كان "الأب الروحي" له. كما قال بذلك الوطنيون المغاربة من "الاستقلاليين" و "القوميين" وحتى "جمعية قداماء تلاميذ ثانوية مولاي إدريس" التي كانت اليد المنفذة لإرادة السلطان في طموحه الاستقلالي. و كان على السلطان أن يعلن كل ذلك أمام مبعوث حكومة فرنسا الحرة التي كانت تريد عدم تكرار سيناريو الشام. و لكن ذلك لم يحدث و حافظ السلطان على الخطاب التقليدي الذي دأب على قوله أمام ممثلي فرنسا بإعجابه بـ "الإنجاز الكبير لفرنسا في المغرب و الذي لا يمكن للمغاربة أن يتنكروا له. و أحسن وسيلة للتعبير عن ذلك هو تكراره لما كان الجنرال نوجيس يردده أمامه باستمرار بأن القدر جمع بين فرنسا والمغاربة و"لا يمكن أن يكون هناك مغربا بدون فرنسا"³.

و بالرغم من أن السلطان لم ينف ذلك. إلا أن ما كان يتوقعه من الحلفاء و أمريكا بالذات لم يحدث. فلم تتدخل للإنقاذ المغاربة على طريقة الشام. و اعتبرت نفسها غير معنية بهذه التطورات خاصة في الفترة التي استطاع فيها ديغول استرجاع بعض الهيبة العسكرية لفرنسا الحرة. بفعل توحيد كل فصائل المقاومة الفرنسية تحت اسم "حركة التحرير الوطني" في 05 جانفي 1944 تحت قيادته. و وفق الخطة العسكرية لتحرير أوروبا فإنه كان ينتظر من هذه الهيئة دورا حاسما في ضرب القوات الألمانية من الداخل في بعض المناطق الإستراتيجية⁴. و في نفس شهر جانفي 1944 انتصر ستالين في معركة "ستالين غراد" بعد انسحاب القوات الألمانية و رفعها للحصار الذي ضربته على المدينة منذ ديسمبر 1942. و أصبح بذلك زعيما بدون منازع في أوروبا المحررة. فقد بدأت حينها أنظار "الحلف الكبير" بين الشيوعية و الرأسمالية تتجه لما بعد الحرب. و بالنسبة لأمريكا أصبحت أوروبا أكثر أهمية استراتيجيا من شمال أفريقيا. فعالم ما بعد الحرب سيكون مركزه أوروبا و بالضبط في مدينة برلين. و قد بدأ تحرير أوروبا بنجاح إنزال الحلفاء في إيطاليا في 22 جانفي 1944 و تم تحقيق الكثير من

¹ - Fulbert Taillard, *Le Nationalisme Marocain*.op.cit, p 26 -27.

² - *ibid*.

³ -William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*.op.cit, p 292.

⁴ -Henri Michel, *Histoire de la Résistance en France, 1940-1944*, Presses universitaires de France, Paris, 1980.

الانتصارات العسكرية. كما عرفت الإستراتيجية العسكرية الأمريكية تغييرا جذريا بتعيين "ديوات دافيد إيزنهاور Dwight David Eisenhower" في 24 جانفي 1944 قائدا عاما لقوات الحلفاء في أوروبا. وقد عرف هذا الرجل بتحفظه الكثير من السياسة الخارجية الأمريكية. وقد ظهر ذلك جليا عندما أصبح الرئيس الرابع و الثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الممتدة بين 1953 و 1961¹.

و لاستغلال هذه الظروف الدولية التي كانت في صالحه عقد ديغول قمة برازافيل في نهاية شهر جانفي 1944 للتأكيد على عودة هيبة فرنسا خارج أوروبا، حتى قبل عودتها هي بنفسها لأوروبا². وفي كل هذه الظروف المتسارعة في هذه الفترة وجد المغاربة أنفسهم وجها لوجه مع "السياسة الصارمة لديغول". التي لم تتحرك مباشرة بعد تقديم بيان الاستقلال. و بقيت بين اعتباره مجرد لائحة تضمن بعض المطالب الإصلاحية كما اعتاد على ذلك المغاربة منذ مطلع الثلاثينات. و بين خوف على أن من ورائه أيادي "محورية" أو حتى "حلفائية" فسكوت الحلفاء في أول الأمر كان في صالح المغاربة من حيث لم يعلم أولئك و لا هؤلاء. و لكن ديغول انتقل بسرعة من الجزائر باتجاه مدينة مراكش أين كان يقيم رئيس الوزراء البريطاني تشرشل في يوم 12 جانفي 1944. ثم التحق به مقيمه العام "غابريال بيو" في نفس اليوم ليتعرفا على القراءة الحقيقية لهذا السكوت من تشرشل. فتأكد ديغول على أنه لم يكن من ورائه أي شيء ضد فرنسا. و لم يتآمر الحلفاء ضد "فرنسا الحرة" و ضد ديغول.

و لذلك بدأت مباشرة تنفيذ تفاصيل هذه السياسة الصارمة ميدانيا. وبالرغم من القراءة الثانية لبيان الاستقلال من طرف أصحابه و على رأسهم بلافريج. إلا أنها لم تحدث أي تغيير في الموقف الفرنسي. سواء من خلال "الرسالة التفسيرية" الصادرة في 18 جانفي 1944 أو "بيان الحقيقة" الصادر في 19 جانفي 1944. فقد أراد حزب الاستقلال من خلال الرسالة التفسيرية توضيح ما جاء في بيان الاستقلال على أنه لم يكن عدائيا لفرنسا، إلا أن ذلك فشل

¹ - رفض إيزنهاور أن يكون نائبا ترومان سنة 1948. وتميزت فترته الرئاسية بوفاة ستالين مما أدى إلى التخفيف من حدة الحرب الباردة. و تعرف كذلك بالرخاء الاقتصادي و الاجتماعي للشعب الأمريكي. فقد التقى مع الرئيس السوفيتي خروشوف و رفض مساعدة فرنسا في حربها في الهند الصينية. و عرف إيزنهاور بمطالبته بضرورة استفادة الأمريكيين من القوة الأمريكية قبل غيرهم. و لا يختلف الدارسون في القول بأن حدة الحرب الباردة في فترة رئاسته خفت كثيرا. و ظهر ما يعرف بالانفراج الدولي الذي يعتبر إيزنهاور من أسبابه.

² - تم التطرق لهذا المؤتمر سابقا (ديغول و المغرب).

تماما و كان بمثابة صيحة في وادي، لأنها وجدت أن الموقف في القصر قد تطور في اتجاه صدامي بين المقيم العام و السلطان. ففي نفس اليوم الغي المجلس الوزاري و أعطى المقيم العام للسلطان نتائج "قمة مراكش" التي تمت بين ديغول و تشرشل المتمثلة في "...إبلاغه تمسك فرنسا بمعاهدة الحماية و رفض أي مساس بها من الطرف المغربي و خاصة في هذه الظروف بالذات"¹. بالرغم مما تضمنه "بيان الحقيقة" الذي كان "ملحقا توضيحا" لبيان الاستقلال لـ 11 جانفي 1944. على أنه لم تكن غايته "...تهيج الأفكار أو إثارة نار الفتنة بداخل البلاد... لأن ذلك لا يخدم مجريات الحرب التي كانت حاسمة في تلك الفترة..." كما انه تضمن تأكيدا على عدم استعمال القوة و العنف للحصول على الاستقلال... الذي يعتبر حقا مشروعاً للمغاربة، و لكن الوسيلة للوصول لتحقيقه لا تكون بإراقة الدماء..."².

و هكذا يلاحظ الفرق الواضح بين روح البيان الأصلي لـ 11 جانفي 1944 و البيان الملحق لـ 19 جانفي 1944 الذي كاد أن يفرغ محتواه الاستقلالي من أي دلالة حقيقية. فعوض أن يحافظ على مفهومه الأولي الذي يؤدي إلى إبطال عقد الحماية لسنة 1912 كما جاء ذلك في البيان الأصلي. فإن "بيان الحقيقة" ركز على مسألة الوسيلة التي جعل منها ضرورة التوضيح و التفسير. وكان بيان 11 جانفي أشار إلى طبيعة الوسيلة. حتى أنه يمكن القول أن من كان من وراء "بيان الحقيقة" ليس من كان وراء "بيان الاستقلال". لأنه قام بإفراغه من محتواه بدون أن يؤدي ذلك إلى أية نتيجة³. و فعلا لقد أحدث هذا البيان الملحق غموضا. لأنه جاء بعد انطلاق المظاهرات التي أيدت تلك المطالب. وقد بدا القمع في شوارع المدن المغربية في أبشع صوره. و عليه فقد يكون هذا الغموض مقصودا من طرف محركي أحداث الاستقلال للتعامل بمرونة مع النتائج التي يمكن أن تترتب عنها إما بـ "التصعيد" أو "التوضيح"⁴. و بهذه الصفة فإن هذا الغموض يمكن تفسيره باعتبارات تخص أهداف الحزب في كيفية التفاوض و المناورة و كسب الوقت و غير ذلك من الآليات السياسية⁵. التي كانت على حساب دم المغاربة. أو أن الأمر أبعد من ذلك و يتعلق بعدم وجود برنامجا مفصلا في

¹ - محمد بن الراهه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 287.

² - المرجع نفسه.

³ - عبد القادر الشاوي، حزب الاستقلال، 1944-1982، عيون المقالات، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990، ص 22.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - المرجع نفسه.

خطوطه العريضة مرتبطاً بمطلب الاستقلال لإقناع المغاربة بمحتواه و أهدافه¹.و لذلك اعتبر "جون واتربوري John Waterbury" أن المهدي بن بركة و عبد الرحيم بوعبيد الموقعان على بيان الاستقلال سيقومان فيما بعد بدور "تركيا الفتاة"².و قد صرح المهدي بن بركة غداة انفصاله عن حزب الاستقلال أن مؤسسي "الإتحاد الوطني للقوات الشعبية" سنة 1959 أدخلوا للمغرب مفهوما عصريا للحزب السياسي الذي تميز باعتماده على برنامج و إيديولوجية.في حين كانت الأحزاب المغربية في الثلاثينات تتحدد على طريقة الشرق الأوسط باعتبارها تجمعات منسوبة لزعيمها أكثر مما تتحدد على أساس برنامجها³.

لقد ذكر "ماسيغلي" في 27 جانفي 1944 السلطان بـ "المعجزة الفرنسية في المغرب" وعن ضرورة بقاء المغاربة جزءا من الإمبراطورية الفرنسية حتى يستفيدوا من التقدم و الرقي الموعودين من طرف الجنرال ديغول بعد الحرب.و قد حفظ السلطان ذلك "الدرس" الذي على ظهر قلب منذ أكثر من خمسة عشر سنة.والمتمضمن العلاقة الوطيدة بين فرنسا و المغرب.و اعتراف المغاربة بالجميل.حتى أنهم كانوا حينها يموتون من أجل الحلفاء و فرنسا في الجبهات القتالية.و خاصة في حملة إيطاليا منذ ديسمبر 1943.و كانوا يشاركون في الاستعراض العسكري في المدينة الإيطالية "سين Sienne" على شرف الجنرال الأمريكي "كلارك". بعد تحريرها ضمن "فرقة جيش أفريقيا" تحت قيادة الجنرال الفرنسي "جوان"⁴.

وبالرغم من أن السلطان هذه المرة،و تحت ضغط سلطات الحماية قام بفصل موظفين اثنين كانا من المقربين منه.لأنهما اتهما من طرف المقيم العام بالتواطؤ مع الوطنيين والانخراط في الحركة الاستقلالية وهما وزير العدل محمد بن العربي العلوي و وزير التربية أحمد بركاش⁵.و بالرغم من أنه هذه المرة كذلك تم إذلال السلطان مرتين الأولى بالتصريح أمام كبار موظفي المخزن و بحضور المقيم العام بأنه يجب تنحية كلمة الاستقلال من أفواه وقلوب المغاربة⁶.والثانية بإرغامه على التبرؤ من حزب الاستقلال علانية¹.و بالرغم

¹ - عبد القادر الشاوي ،حزب الاستقلال، 1944- 1982 ،مرجع سابق ، ص ، 22.

² - جون واتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية،مصدر سابق، ص92.

³ - المصدر نفسه.، ص141.

⁴ - تم التطرق لمشاركة المغاربة في العمليات العسكرية للحرب العالمية الثانية.

⁵ - Stéphane Bernard Le Conflit Franco-Marocain, 1 vol, op .cit, p 64.

⁶ -Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op .cit, p 191.

من "بيان الحقيقة" الذي أصدره حزب الاستقلال الذي أعاد تأويل المضمون الاستقلالي لـ "بيان جانفي 1944" و التخفيف من حدته. وبالرغم من كل هذا فإن ذلك لم يمنع من دخول المغرب في مرحلة جديدة مؤلمة بكل المواصفات .

لقد كان المغاربة يعيشون على وقع "أحلام اليقظة" و ينتظرون "...إعلان الحلفاء عن استقلال المغرب خلال أيام..." و يقولون بأن "أمريكا أصدرت أوامرها لفرنسا باستقلال المغرب..." فهذه المرة بالنسبة لهم "الأمر مختلف عن سنة 1937" لأن "...المغرب تحت الوصاية العالمية بوجود قوات الحلفاء..." و في هذه المرة كذلك "...اتفق السلطان مع روزفلت سرا لاستقلال المغرب..." فقد كان المغاربة يتناقلون بينهم بصورة هزلية كيف أعطت أمريكا أمرا للجيش الفرنسي في الشام بالانسحاب... و غيرها من الإشاعات و الأقاويل و التمنيات التي ملأت الشارع المغربي تهليلا بالعهد الجديد². و بطبيعة الحال فإن جهاز الدعاية لحزب الاستقلال لم يكن بعيدا عن كل ذلك التشحين العاطفي للمغاربة. فقد كانت كل صباح تعرف شوارع المدن المغربية مثل الرباط و الدار البيضاء و فاس و مراكش و غيرها. كما كبيرا من المنشورات. و الكتابات على الجدران تتضمن عبارات دلت على طبيعة محريها مثل "يحيا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان..." و "يحيا الميثاق الأطلسي" و "أين هي الوعود يا أمريكا و بريطانيا؟" و غيرها من العبارات الخاصة جدا. فقد كان المغاربة ينتظرون كل صباح على أمواج الأثير خطابا هاما "ملكهم المحبوب"، كما جاءت تسميته في بيان الاستقلال، مضمونه "نهاية عقد فاس لسنة 1912. والإعلان عن استقلال المغرب. و وحدة أمته وأراضيه شمالا و جنوبا"³ فقلما كان المغاربة في حالة نفسية متشوقة لطرده الأوروبيين من المغرب في القريب العاجل. مما كانوا عليه في تلك الظروف. مما ألقى الذعر والرعب في نفوس الجالية الفرنسية التي كانت مازلت تؤمن باستقرار المغرب. "على حد تعبير روبير مونطاين Robert Montagne"⁴.

¹ - Stéphane Bernard *Le Conflit Franco-Marocain, 1 vol, op.cit, p 64*

² - عاش المغاربة تحت ضغط نفسي كبير في هذه الفترة. فمن جهة علقوا آمالا كبيرة على هذا البيان و جعلوا من الأمريكيين منقذي العالم. و أنهم سيطردون فرنسا شر طردة من المغرب. و من جهة أخرى كانت الإشاعة المضادة التي تقوم بها الصحف و القنوات الإذاعية الفرنسية تتحدث عن هجوم ألماني وشيك على المغرب.

³ - Fulbert Taillard, *Le Nationalisme Marocain. op.cit, p30 - 34*

⁴ - Robert montagne, *Révolution au Maroc, Éditions France-Empire, Paris, 1953, p 197.*

و لكن كل ذلك لم يحدث. و لم يتدخل الحلفاء لإنقاذ المغرب لأن ديغول اعتبره "مرتبط مع فرنسا بعروة وثقى لا انفصال لها"¹. تتمثل في "عقد الحماية، الذي تنفي قراءته له الحديث عن أية إصلاحات سياسية"². واستيقظ المغاربة من أحلام اليقظة هذه على وقع ما بدأت المدن المغربية تعرفه من أحداث صدامية. التي ذكرت المغاربة بأحداث نهاية سنة 1937. و أصبح المغاربة مرة أخرى في مواجهة مباشرة مع القوات الفرنسية. اندلعت من مدينة الرباط يوم 29 جانفي 1944 عندما تم اعتقال الهيئة التنفيذية لحزب الاستقلال بتهمة "الاتصال مع الألمان و التنسيق معهم من أجل القيام بهجوم على فرنسا... فقد تم إلقاء القبض على مجموعة من الخبراء الألمان في حديقة محمد اليزيدي بالرباط!!!"³. كما جاء في مذكرة سرية لسلطات الحماية أن "...تأسيس حزب الاستقلال جاء نتيجة اتصال تم في مدينة فاس بين عناصر ألمانية جاءت من تطوان. وكانت تتحكم في الإثارة السياسية. وكان ذلك عن طريق عبد الخالق الطريس الذي كان واسطة لفرانكو والمصالح الألمانية، لتسريب هذه الأفكار الجديدة في ظل سياسة فرنسية لم تتغير منذ سنين طويلة..."⁴. و لم تجد سلطات الحماية من تهمة جاهزة لإلصاقها بالوطنيين المغاربة مثل الصيغة الجاهزة المتمثلة في عبارة "الخيانة العظمى بالتعاون مع النازية" في حين أنهم لم يتوقفوا على نفي ذلك قولاً و فعلاً⁵.

ومن المفارقات العجيبة أن سلطات الحماية اتهمت الوطنيين المغاربة بالتآمر مع النازية، "في الوقت الذي كانت تنبعث من مقر الإقامة العامة الكثير من الرائحة الفيشية"⁶. فالأغلبية الساحقة من موظفيه الكبار كانوا من كبار المؤيدين للماريشال بيتان. و من أنصار التعاون مع الاحتلال النازي. و لكنهم لم يكونوا أبدا محل متابعة فضائية⁷. و لم يكن "الاتصال بالألمان" الجريمة الوحيدة التي حوكم من أجلها أحمد بلافريج و آخرون. فحتى "الاتصال السري مع المصريين" كان جريمة أخرى تم من خلالها محاكمة آخرون مثل أحمد مكيوار و

¹ - لاندو روم، تاريخ المغرب، مصدر سابق، ص 271.

² - المصدر نفسه

³ - Fulbert Taillard, *Le Nationalisme Marocain. op.cit, p 27.*

⁴ - Note de renseignements. Objet Mouvement nationaliste. Direction de la sécurité publique. Rabat. 24 janvier 1944. ADN. Maroc, inventaire n° 05, Cabinet du délégué à la Résidence générale, 1 MA/10 217.

⁵ - ورد في بيان للوطنيين كرد على هذه التهمة ما يلي: "لقد اهتمت (سلطات الحماية) بالتعاون مع ألمانيا كما اهتمت من قبل بالتعاون مع ديغول والإنكليز و الأمريكيين. في حين أننا لم نتعامل مع الألمان عندما كانوا قريبين جدا منا. وفي وقت كانت فيه فرنسا منهزمة و محتلة و مزروعة السلاح ومنهكة أنظر: Fulbert Taillard, *Le Nationalisme Marocain. op.cit, p 35*

⁶ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux, op.cit, p 191.*

⁷ - *ibid.*

عبد العزيز بن إدريس و الهاشمي الفلالي¹. لقد أدت هذه الاعتقالات إلى أحداث دامية في مدينة الرباط استمرت عدة أيام². ثم امتدت الاحتجاجات إلى مدن أخرى مثل فاس و سلا و الدار البيضاء. فمدينة فاس قال عنها "روجي لوتورونو Roger Le Tourneau" أنها "...لم تقاوم أبدا نظام الحماية كما فعلت هذه المرة. و لم يحدث ذلك حتى أثناء أحداث فاس الدامية" لسنة 1912. فلم يسقط فيها ضحايا مثلما سقطوا في الفترة الممتدة بين 31 جانفي و 10 فيفري 1944³. لقد كان وصفه دقيقا لأنه "المؤرخ لا يعرف أحد مثله تاريخ مدينة فاس" على حد تعبير شارل أندري جوليان⁴. كما عرفت الدار البيضاء إضرابا عاما و شاملا و تم احتلالها هي الأخرى عسكريا. و إن كانت أحداثها أقل حدة. مما أدى ذلك إلى الكثير من الجدل حول تخلفها عن "أحداث الاستقلال" لجانفي 1944⁵.

¹ - بعد تقديم "رابطة الدفاع عن مراكش" في 11 جانفي 1944 في القاهرة مذكرة تطالب من خلالها باستقلال المغرب حوكم هؤلاء بتهمة الاتصال مع المصريين. أنظر: علال الفاسي: الحركات، مصدر سابق، ص 307.

² - عرفت مدينة الرباط أولى الأحداث لأن أولى الإجراءات القمعية تمت في هذه المدينة. فمباشرة بعد توقيف الهيئة التنفيذية لحزب الاستقلال هاجم المتظاهرين "قصر المشور" و كاد مدير التشريفات محمد المعمري أن يقتل في وسط المتظاهرين الذين مزقوا ثيابه و أغمي عليه. و لم يوقف المتظاهرون إلا بعد أن ظهر لهم السلطان و إخراج محمد البيزيدي من السجن. و عرفت المدينة مظاهرات فيها ترديد عبارات عدائية للفرنسيين و اصطدموا مع فرقة من الصابحية. و لم ينتهي ذلك اليوم حتى كانت المدينة محتلة بالقوات المدفعية. و سقط العديد من القتلى. أنظر: Fulbert Taillard, *Le Nationalisme Marocain*. op.cit, p 29

³ - تعود بدايات هذه الأحداث إلى 14 جانفي 1944 عندما وزعت في المدينة منشائر تدعو إلى "استقلال المغرب و طرد كل الفرنسيين من المدينة". ثم حدث ما سمي بـ "اليومين المأساويين" فقد بدأت الأحداث بمظاهرات سلمية انطلقت من القرويين إلا أنها تحولت إلى مذبح ارتكبها الجنود السنغاليين في المدينة القديمة بقتل أكثر من ستين مغربيا و جرح أكثر من 100 مغربي بالإضافة إلى الحصار الذي ضرب على المدينة. فمنع عنها الماء و الكهرباء و قطع عنها التمرين. و رفض الحاكم العسكري للمدينة "سوفران" السماح بدفن القتلى فقام بحجز جثثهم في مسجد الأندلس بالمدينة القديمة. و لم تتوقف الأحداث بالرغم من تنقل المقيم العام إليها. و النداء الذي قامت هيئة من علماء القرويين لسكان المدينة بالدعوة إلى التهدة مقابل انسحاب السنغاليين من المدينة المغربية. و بقيت المدينة على هذا الحال إلى غاية مارس 1944. أنظر:

Roger Le Tourneau, *Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane*, 1920 1961, Armand Colin, Paris 1962, p213

⁴ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op .cit, p 161.

⁵ - عرفت مدينة الدار البيضاء إضرابا شاملا فتم احتلالها قبل أن تقع أحداثا كبيرة. ففي الوقت الذي كانت فيه مدينة فاس تعاني الأمرين كانت هادئة. و قد طرحت مسألة عدم تحركها بالشكل الذي كان منتظرا منه جدلا واسعا بين الوطنيين. حيث اعتبر الوزاني عمر عبد الجليل مسؤولا عن هذه الوضعية خاصة و أن لم يسجن كبقية أعضاء اللجنة التنفيذية. و حملته "تخلفها عن الركب. و لو تحركت لكان لها شأن عظيم في صالح حركة الاستقلال. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 06، مصدر سابق، ص 146. و قد رد عليه أبو بكر القادري بشكل مطول معتبرا أن عدم القيام بمظاهرات في الدار البيضاء تفاديا لجزرة كان من ورائها "فيليب بونيفاس". و قد تساءل كذلك عن السبب الذي منع الحركة القومية التي أسسها الوزاني من "...تحريك الدار

لقد كان رد فعل سلطات الحماية على ما قام به المغاربة في جانفي 1944 عنيفا و قمعا شديدا و فيه عدد كبير من الضحايا و المسجونين و المنفيين. و لم يحدث تقتيلا للمغاربة بذلك الشكل منذ حرب الريف. فألقي القبض على أعضاء اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال و على قادة الحركة القومية. بالإضافة على شخصيات مستقلة. و بعد محاكمة، قال عنها "روزيت" أن الوطنيين لم يحسنوا فيها الدفاع عن أنفسهم!!!¹، أصدرت في حقهم أحكاما مختلفة. بنفي أحمد بلافريج إلى جزيرة "كورسيكا" و محمد العربي العلوي إلى الصحراء. و السجن لمدة تتراوح بين سنة و سنتين لآخرين مثل عبد الله إبراهيم وأبو بكر القادري والمهدي بن بركة وعبد الرحيم بوعبيد. و آخرون من الحركة القومية كعبد الهادي شرايبي ورشيد الدرقاوي².

و قد ظهر من خلال هذه الإجراءات أنها كانت أبعد من سببها المرتبط بها مباشرة. أي أحداث مطالبة المغاربة بالاستقلال لشهر جانفي 1944. التي كانت بالوسائل السلمية و في ظل مبدأ "حق الشعوب في تقرير مصيرها" و غيرها من الظروف الدولية والإقليمية التي لم تكن تؤدي بالضرورة إلى اشتغال الآلة القمعية بذلك الشكل. خاصة بعد التصويبات الكثيرة التي تمت الكبيرة سواء من طرف السلطان. الذي وعد الإقامة العامة بالهدوء مقابل منع إراقة الدماء. و ضمان عدم ممارستها لأي عنف³. بالإضافة إلى ما قام الوطنيون بإصدارهم لـ "بيان الحقيقة" في 19 جانفي 1944 الذي كان فيه تذكيرا بأن مطالب الوطنيين ليست ضد الحلفاء ولا ضد فرنسا وهي تعبير عن معاهدة الحماية بصورة أخرى. حتى أن هذا البيان اعتبر بمثابة "خيانة للأمل الشعبي"⁴. و بالرغم أن حزب الاستقلال كان "...يوالي نداءاته إلى الحكومة الفرنسية والشعب الفرنسي لإقناعهما بحسن نيته وأنه لم يكن يريد الإلقاء بالفرنسيين في

البيضاء و جعل عاليها سافلها" وغيرها مما ورد في رد القادري على الوزاني. أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي ج 02. مصدر سابق ص 271-274.

¹ - اعتبر روزيت أن الوطنيين أثناء محاكمتهم فشلوا في إثبات براءتهم لأنهم نفوا أية علاقة لهم مع المنطقة الشمالية. في حين أن مراسلاتهم مع إبراهيم الوزاني أصدر في حقهم حكما بالإعدام من طرف سلطات الحماية بتهمة التعاون مع المحور كانت معروفة لدى الجميع. فاتصلهم بها كان متواصلا منذ 1942 عن طريق مبعوثين كانوا يمرون بسهولة كبيرة بين الشمال و الجنوب عبر حدود غير موجودة تقريبا. و بالنسبة إليه كان الأجدر أن ينفوا الطابع العسكري عن هذه الاتصالات لا نفيا نهائيا؟؟؟ و كأن الأمر تعلق فعلا بمحاكمة شرعية كان القانون مرجعا وحيدا لها. أنظر: Robert Rêzette, les partis politiques op. cit p 145.

² - محمد بن الراهه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 291.

³ - Stéphane Bernard Le Conflit Franco-Marocain, 1 vol, op .cit, p 65.

⁴ - محمد بن الراهه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 288.

عرض البحر إنما كان يريد البحث معهم عن الوسيلة العملية لتعويض نظام الحماية بعاهدة تبرم بكامل الحرية و تضمن سيادة المغرب دون مساس بما للفرنسيين من مصالح مشروعة...¹ إلا أن هذا لم يمنع سلطات الحماية على تحريض "الفرق السينغالية" على ارتكاب القتل و ممارسة كل أشكال القمع غير بعيد عن مسجد القرويين. و قد عبد الهادي بوطالب في مذكراته عن "...حقيقة المعاناة في السجون. و حملة الاعتقالات والسعار (الكلب) الذي أصاب السلطات الاستعمارية وهي تواجه حركة الاستقلال بكل عنف. وما هي المعايير التي كانت هذه السلطات تستعملها و تعتمد عليها لدى إلقاء القبض على الموقعين على وثيقة الاستقلال"². و قد أدركت اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال تلك "السادية" والروح الانتقامية الدموية التي تميزت بها ردود فعل سلطات الحماية. فقامت بإلغاء كل المظاهرات الشعبية. لأن المقيم العام "غابريال بيو" اعتبر أن شيئا خطيرا حدث في المغرب، فقام بمواجهة قوية لهذه الحركة، وأثبت، بنفس "سياسته الشامية"³، بأن الحماية ستواصل مسيرتها، و أن مهمة فرنسا في المغرب ما تزال بعيدة عن نهايتها، وأن عمل الماريشال «ليوتي» سيتواصل. و بالتالي فإن الاستقلال فكرة تتعارض مع الارتباطات القائمة، و لا يمكن لفرنسا أن تتخلى عن "قلعة عظمتها"⁴.

لقد خطط مدير الشؤون السياسية بالإقامة العامة "فيليب بونيفاس"⁵، الذي كان صانع السياسة القمعية و الإبادة للمغاربة لأكثر من عشر سنوات، لكل الظروف لارتكاب مجزرة في

¹ - حزب الاستقلال، المغرب الأقصى، مراكش، مصدر سابق ص 180.

² - عبد الهادي بوطالب، ذكريات، شهادات، مصدر سابق.

³ - لقد سبق لـ "غابريال بيو" أن قام بقمع الحركة الوطنية في سوريا و لبنان بين سنتي 1939 و 1940.

⁴ - تسمية "غابريال بيو للمغرب في ندوة صحفية بتاريخ 1944/12/23 أنظر، *Le Tourneau, Roger, Evolution, op.cit, p 207*.

⁵ - فليب بونيفاس شغل منصب مدير الشؤون السياسية في المغرب. و هو الذي كان من وراء السياسة الفرنسية في المغرب بين سنتي 1944 و 1956 و تحول إلى الموجه الفعلي لهذه السياسة. اشتغل مترجما عربيا سنة 1924 ثم مراقبا مدنيا سنة 1941. و أثناء الحرب العالمية الثانية. و بعد تجربة فاشلة في الإدارة الفرنسية في تونس في تونس رجع للمغرب أصبح من معارضي المقيم العام نوجيس. و حاول توقيفه بعد الإنزال الأمريكي في سواحل المغرب. و حكم عليه بالإعدام و لم ينفذ فيه. و في سنة 1944 أصبح مديرا للشؤون السياسية وأصبح المتحكم الفعلي في السياسة الفرنسية في المغرب لمدة اثني عشر سنة وصفه "روبير بارا *Barrat Robert*" الذي كان مع جوليان من المعارضين للفكر الاستعماري في كتابه المشهور "العدالة للمغرب *justice pour le Maroc*" بأنه "كان استعماريا متطرفا مخادعا كبيرا. كانت له مخططات دنيئة في المغرب و مشروعه هو تحويل المغرب لفرنسا الجديدة. لا يملك أية عاطفة اتجاه الآخر. لا يؤمن سوى باستعمال القوة مع الأهالي. و يرتبط تاريخه في المغرب بالتخطيط للمجازر. و يعتبره الوطنيون المغاربة عدوهم اللدود و كان من وراء الكثير من مآسي المغرب" أنظر:

Robert Barrât, justice pour le Maroc, préface de François Mauriac, Ed, du seuil, Paris, 1953, p 82-85

الدار البيضاء. و قد تأكد ذلك في سنتي 1947 و 1952¹. فلقد تبين أن القمع الذي قامت به سلطات الحماية ضد حركة المطالبة بالاستقلال كان له هدف أبعد من مجرد القضاء على هذه الحركة بالذات. فقد كان يهدف للقضاء على أية حركة وطنية للمغاربة. فقد ذكر جوليان أن سلطات الحماية "...سعت بكل الوسائل لإثارة المظاهرات و دفع المغاربة للخروج للشارع للاحتجاج... والقضاء نهائيا على هذه الحركة و لكن ذلك لم يحدث. و تجاوز صداها كل التوقعات. فأنقلب السحر انقلب على الساحر"². و بقيت الفكرة الاستقلالية بقيت محورا الحركة الوطنية المغربية بعد أحداث جانفي 1944. كما بقيت نفس الفكرة محورا للحركة الوطنية الجزائرية بعد مجازر 08 ماي 1945³.

3 - 4 ما بعد بيان الإستقلال 11 جانفي 1944 :

إذا كانت أحداث المطالبة بالاستقلال لشهر جانفي 1944 انتهت بقمع فرنسي لها. و خيبة آمال المغاربة في مثل الحرية التي رفعها الحلفاء كشعارات. فإنها أدت إلى ظهور "المغرب الجديد" الذي تميز بميزتين أساسيتين. الأولى في ظهور السلطان طرف فاعل في المعادلة المغربية. و الثانية في معيارية الحركة الوطنية المغربية التي تخلت عن "الإصلاح" وتبنت "الاستقلال" كعقيدة و مذهب "على حد تعبير علال الفاسي"⁴. أما بالنسب للسلطان فإنه لم يعد جزءا من المظهر الإداري الرسمي لسلطات الحماية. التي لم تكن بحاجة إليه إلا عند إمضاء الظواهر الشرفية التي كانت تحضرها مصالح الإقامة العامة في مختلف الميادين تطبيقا لنصوص معاهدة الحماية لسنة 1912. و كثيرا ما كانت مضامين تلك المراسيم السلطانية غير

¹ - عشية قيام السلطان محمد بن يوسف بزيارته المشهورة إلى مدينة طنجة في 07 افريل 1947 عرفت مدينة الدار البيضاء بحجرة ارتكبتها فرقة سينغالية بقتلها لمئات المغاربة بشكل عشوائي و كان من ورائها "بونيفاس" بغرض إلغاء السلطان لزيارته. وعشية انعقاد الدورة الثامنة لهيئة الأمم المتحدة التي كان يتضمن جدول أعمالها المسألة المغربية. و بعد اغتيال النقابي التونسي فرحات حشاد عرفت مدينة الدار البيضاء في 07 و 08 ديسمبر 1952 مظاهرات شعبية تم قمعها بعنف حيث قتل أكثر من مئة مغربي في الأحياء الشعبية المعروفة بـ "الكريار سنترال les Carrières Centrales". و كان من وراء ذلك كذلك "فيليب بونيفاس" الذي سيزداد عنفا و قهرا للمغاربة و الحركة الوطنية المغربية أثناء فترة المقيم العام الجنرال "جوان". و بعد أن تحالفت معه "جمعية الوجود الفرنسي" التي تأسست في سنة 1953. أنظر: Robert Barrat, justice pour le Maroc.. op. cit, p 21

² - Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op. cit, p 191.

³ - ليس من قبيل الصدفة أن يكون نفس القتل والممارسات القمعية ما قامت به حكومة فرنسا الحرة بعد أحداث 08 ماي 1945 في الجزائر. التي أصبحت مرادفة للمجازر. وكان ذلك من مظاهر استرجاع فرنسا لهيبتها في تلك الفترة قمع الشعوب بتلك الوحشية.

⁴ - علال الفاسي: الحركات، مصدر سابق، ص 289.

شعبية و لم تخدم سوى المصالح الاستعمارية. فقد كانت أهمية "قصر المشور" بالرباط بالنسبة لمقر "الإقامة العامة بالرباط" فقط عندما يصلها من عنده المراسيم التي أمضاها السلطان والتي ستنفذ في الواقع المغربي باسم هيبة السلطان و شرعيته. التي في حقيقة الأمر لم تكن أكثر من شكلية.

كما كانت باريس تقدر هدوء "محمية المغرب" بمدى التنسيق الموجود بين المقيم العام و السلطان و بالنسبة لهذا الأخير فإن طبيعة علاقته مع فرنسا تحكمت فيها طيلة أكثر من ربع قرن مضامين تقارير المقيمين العامين حوله. و لكن ابتداء مما عرفه المغرب من ظروف مرتبطة بالحرب العالمية الثانية. و ما ترتب عن ذلك من تأثيرات مباشرة على المغرب و شمال أفريقيا عامة. عرف الدور السلطاني تغيرا جذريا في طبيعته. فقد انتقل من الشكلي إلى الضمني و من السطحي إلى الفعلي. و بدأ السلطان في البحث عن سيادته الفعلية. و حتى تلك المنصوص عليها في معاهدة فاس لسنة 1912. و أصبح مؤسسة وطنية بكل أبعادها. و حتى ذلك الإمضاء الشكلي على الظهائر أصبح يعتمد كسلاح للتعبير عن وجود هذه المؤسسة. لأنه السلاح الوحيد الذي تركته معاهدة فاس بين يديه¹. فأصبح مصرا على ممارسة "إضراب الخاتم السلطاني"². الذي أتى ببعض النتائج بالرغم من محدوديتها. فقد أدت في الكثير من الأحيان إلى شل النظام على المستوى التشريعي. وإلى وضع باريس مبدئيا أما ضرورة الاختيار بين السلطان و بين المقيم العام الذي كان في نهاية المطاف مجرد موظف سامي يتم تعيينه لمدة محدودة³. و قد استعمل السلطان هذا الاختيار عندما وضع ديغول أمام الأمر الواقع من خلال الاختيار بين "رفيقه في التحرير"⁴ و بين المقيم العام "غابريال بيو" الذي أرغمه على التخلي توجهاته الاستقلالية بطريقة فيه الكثير من الإذلال⁵.

¹ - Stéphane Bernard *Le Conflit Franco-Marocain*, 1 vol, op .cit, p 73.

² - علي حسن، اليوسفية إيديولوجية الحركة القومية المغربية، في المقاومة المغربية ضد الإستعمار 1904-1955، الجذور والتجليات أعمال الندوة العلمية، 13-15 نوفمبر 1991، جامعة ابن زهر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1997، ص 257-269.

³ - Stéphane Bernard *Le Conflit Franco-Marocain*, 1 vol, op .cit, p 73.

⁴ - تحصل السلطان محمد بن يوسف على وسام رفيق التحرير من طرف الجنرال ديغول .

⁵ - Stéphane Bernard *Le Conflit Franco-Marocain*, 1 vol, op .cit, p 73.

لقد أدى ذلك إلى ظهور "اليوسفية"¹ كمنظومة قديمة/جديدة للمغاربة تضمنت مقاومة منظومة الحماية. ليس كالمقاومة الدبلوماسية التي تمت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين². ولا كالمقاومة المسلحة في جبال الريف، وغيرها من المقاومات العسكرية، كرد فعل على الاحتلال الأجنبي للمغرب. ولا حتى كالمقاومة السياسية الأخيرة التي قامت الحركة الوطنية الحضرية التي نشأت في مطلع الثلاثينات منذ الاحتجاج على الظهير البربري. ولكنها مواجهة أخرى لها خصائصها ومميزاتها. فهي تعبير عن ذلك "التكتل المقدس" بين السلطان و الحركة الوطنية و المغاربة كما سماه جاك بيرك³. و قد بقي هذا التكتل مستمرا في عدة محطات. سواء في " خطاب طنجة" أو أثناء نفي السلطان سنة 1953. فقد حمل هذا التكتل شعار "ثورة الملك والشعب" إلى غاية استقلال المغرب سنة 1956 أما فيما يخص الطرف الثاني في هذه المنظومة و المتمثل في الحركة الوطنية المغربية فهي الأخرى عرفت نقلة نوعية في مرجعيتها التي أصبحت استقلالية. وبالرغم من أنها حاولت تكييف هذا المطلب بما يخدم مقتضيات نظام الحماية. إلا أن هذا الأخير رفض كل تغيير. بما في ذلك قراءته المنحرفة لمضمون عقد معاهدة فاس 1912. وذلك بالرغم من المتغيرات الدولية و الإقليمية. و التي كانت تدعو للتغيير ليس فقط في المغرب بل في كامل شمال أفريقيا. و لكن ذلك لم يحدث في المغرب ولا في الجزائر ولا في تونس كذلك. و قد عبر الوطنيون المغاربة عن خيبة أملهم في "...الوعود التي قدمت باسم فرنسا للشعب المغربي منذ

¹ - يقصد بعض الدارسون بـ "اليوسفية" بالتعبير الإيديولوجي للتحالف الوطني الذي وجد صيغته السياسية في عريضة الاستقلال لـ 11 جانفي 1944 و سميت كذلك نسبة إلى والد السلطان محمد بن يوسف و قد اعتبرها هؤلاء إيديولوجية القومية المغربية التي استوعبت التيارات الثلاث التي تعايشت داخل الحركة الوطنية منذ العشرينات و هي السلفية والسياسية والثقافية وبالنسبة لهم تحولت إلى برنامج السلطان محمد بن يوسف الذي جمع بين النهوض بالمجتمع ثقافيا بنشر التعليم و رعايته وتطوير المرأة... وغيرها من مظاهر الحداثة ومن جهة أخرى معارضة عقد الحماية والمطالبة بالاستقلال. والحقيقة أنه قلما نصادف استعمال هذا المصطلح.

ولكننا أوردناه من باب الإلمام بجانب من جوانب الموضوع. أنظر، علي حسن، اليوسفية إيديولوجية الحركة القومية.. مرجع سابق

² - إدmond بورك، الاحتجاج والمقاومة في مغرب ما قبل الاستعمار (1860-1912)، ترجمة محمد أعيف، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، 2013.

³ - جاءت هذه العبارة في تصدير جاك بيرك لكتاب عبد الكريم غلاب. أنظر: تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 06.

30 مارس 1912 و لم ينفذ منها شيئاً... فلا يمكن انتظار ثلاثة قرون أخرى لتطبيق بعض فصولها... ولذلك فقد الشعب المغربي نهائياً الثقة في فرنسا"¹.

فإذا كان جاك بيرك قد اعتبر "...وثيقة الاستقلال والأحداث التي تلت عنها سنة 1944 مرحلة حاسمة غيرت مجرى التاريخ"². فإن الأمر كان كذلك بالنسبة للجزائريين والتونسيين. فنفس التاريخ تغير مجراه في تونس بتحقيق أمنية الشيخ عبد العزيز الثعالبي المتوفى في 01 أكتوبر 1944 بإمضاء "الميثاق الوطني" في 30 أكتوبر 1944 الذي كان بمثابة الركيزة التي قامت عليها "الجبهة الوطنية" في 22 فيفري 1945. و قد أدى كل ذلك إلى تغيرات هامة في طبيعة المسار النضالي و المطليبي في تونس³. و في الجزائر أدت محطة 08 ماي 1945 إلى تغيير جذري آخر في التاريخ. لأن "عواقبها لم تنته حتى على تعاقب السنين لأن الفرنسيون حفروا حفرة سحيقة بين الجزائر و فرنسا" على حد تعبير أبو القاسم سعد الله⁴

لقد انتهت أحداث المطالبة بالاستقلال في المغرب بالمحافظة على الأوضاع بالنسبة لفرنسا. فقد رفض الجنرال ديغول في مؤتمر برزافيل في جانفي 1944 أي مساس بالقانون الأساسي للإمبراطورية الفرنسية. التي اعتبرها قاعدة لاسترجاع فرنسا الأوروبية. وأسس لذلك "مجلس الدفاع عن الإمبراطورية" في أكتوبر 1940. و في 03 جوان 1944 تم تأسيس "الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية" التي اتخذت كذلك الجزائر عاصمة لها⁵. و قد أكدت الزيارة السلطانية لباريس في جوان 1945 بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة لنداء 18 جوان 1940 ذلك⁶. لقد بدأ ديغول من خلال كل ذلك معركة ما بعد الحرب. سواء بالنسبة للفرنسيين أو للمستعمرات. وهذه الأخيرة في غاية الأهمية بالنسبة إليه لأنها ترتبط

¹ - مما تضمنه منشور لحزب للوطنيين بفاس بتاريخ 01 مارس 1944 الذي تحدث عن خيبة أمل نهائية للوطنيين في الاستجابة لأي

تغيير في أوضاعهم من طرف نظام الحماية. أنظر: Fulbert Taillard, *Le Nationalisme Marocain. op.cit*, p 37

² - جاءت هذه العبارة كذلك في تصدير جاك بيرك لكتاب عبد الكريم غلاب. ص، 05.

³ - فيصل شريف و آخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق، ص 122 - 152.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 03، مرجع سابق، ص 252.

⁵ - Jean-Louis Crémieux-Brilhac, *L'Appel du 18 juin 1940 op.cit*

⁶ - Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) *Voyage En France de juin -juillet 1945*,. Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris ,24QO/12.

ببناء الجمهورية الفرنسية الرابعة التي كانت لديه حولها نظرتة الخاصة به.و قد اختلفت مع الكثير من مكونات الطبقة السياسية الفرنسية. حتى بعض الذين كانوا معه في "المقاومة"¹. وبالرغم من مظاهر السيادة التي أستقبل بها السلطان في باريس على أنه "رئيس دولة كامل الصلاحيات"²، بالرغم من أن ديغول منحه وسام "رفيق التحرير"، كان أول شخصية أجنبية يتحصل عليه. إلا أنه ذكر السلطان المغربي بخطر "مفاتن الاستقلال الأمريكي المتمثل في بضع دولارات و مكان بين زبائن روزفلت لا غير"³. في حين ما طلبه هو منه "عدم التسرع، لأن المغرب بحاجة إلى تأطير ومساعدة فرنسية حتى يستطيع المضي بكل رزانة، عكس ما يريده حزب الإستقلال من تهور وفوضى"⁴. فقد كان الوطنيون المغاربة ينتظرون نتائج هذه الزيارة السلطانية التي استمرت ثلاثة أسابيع، و لكنها لم تأت بأي جديد فيما يخص القانون الأساسي للمغرب الذي اعتبره ديغول "...مواصلة لما قام به الماريشال ليوتي من إنجازات في المغرب"⁵.و حتى عندما التقى بالباي التونسي محمد الأمين علق ديغول على مطالبه بأنها "... تكرار لنفس أغنية السلطان.و لكن بصوت خافت.و لذلك كان جواب ديغول واحدا"⁶.

و في أحسن الأحوال يمكن قراءة هذه الزيارة على أنها تخفيف للتوتر العالي بين الطرفين المترتب عن أحداث جانفي 1944. خاصة وأن السلطان تمكن من الحصول على وعد بعزل المقيم العام "غابريال بيو" الذي قاطعه السلطان بطريقة شبه كلية⁷.و من جهة أخرى فإن أوضاع الدولة الفرنسية التي كانت تعيش بين سنتي 1944 و 1946 وضعا سياسيا انتقاليا بانعدام الدستور. شكلت عائقا أمام أي نقاش حول المسألة المغربية⁸. فقد ذكر سبيلمان أن

¹ - Jacques Fauvet , la IV^e République, les grandes études contemporaines, librairie arthème fayard, Paris, 1959, p,51-63.

² - Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) Voyage En France de juin –juillet 1945., op.cit

³ - Charles De gaulle, Mémoires de Guerre le salut, Plon, Paris, 1954-1959, p223-225.

⁴ - ibid.

⁵ - Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) Voyage En France de juin –juillet 1945, op.cit.

⁶ - ibid.

⁷ - Stéphane Bernard Le Conflit Franco-Marocain op.cit. p 74.

⁸ - عندما طرحت مسألة الإصلاحات الفرنسية في المغرب صرح ديغول للسلطان انه عاجز عن القيام بأي شيء شرعي و دائم لأن أصل المشكلة هو عدم وجود شرعية دستورية للنظام السياسي الفرنسي آنذاك. لذلك طلب منه ديغول زيارة أخرى سنة 1946 عندما تكون للجمهورية الفرنسية الرابعة دستورها. و فعلا قد أصبح لها ذلك و لكن بدون الجنرال ديغول الذي استقال في

مطلع 1946. أنظر: Charles De gaulle, Mémoires de Guerre le salut, op.cit p 241.

السلطان خير ديغول بين العودة إلى بلاده بسلطات فعلية. و بين العودة بأيدي فارغة. وعندها كل الإمكانيات مفتوحة في المغرب¹.

أما بالنسبة للحزب الجديد فإن "الفكرة الاستقلالية" تحولت إلى "مذهب وعقيدة"². فقد قام هذا المذهب على مجموعة من الأسس شملت كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. فقد جاء "...استقلال المغرب الشرط الأساسي لإنهاض المغرب مع الحفاظ على وحدته أرضا وأمة... بضمن الملكية الدستورية، التي تعتبر جزءا من التراث المغربي الذي يتضمن عائلة العلويين الأشراف الممثلة في السلطان محمد بن يوسف بصفته من أعمدة الوحدة والانسجام. بالإضافة إلى الالتزام بالمبادئ الديمقراطية كما تفهمها الدول الغربية الكبيرة... مع ضرورة تربية الأمة المغربية على الحياة الدستورية..."³. وتطویر المغاربة اجتماعيا في مجال التعليم و الصحة "...بسن قوانين اجتماعية من أجل رفع المستوى المادي والخلقي والعقلي للجمهور المغربي.. و تحسين حالة العمال في القرى والمدن...". كما شملت هذه الأسس مجالات أخرى كالعدل و الدفاع الوطني والأمن الداخلي والسياسة الخارجية.

لقد اعتبر حزب الاستقلال هذا الميثاق بمثابة نقطة اللارجوع بالنسبة للحركة الوطنية من جهة. و كمشروع مجتمع ونظام حياة بالنسبة للمغاربة في الآجال القريبة والبعيدة من جهة أخرى⁴. وكان علال الفاسي قد بدأ ذلك من منفاه منذ سنة 1940. و بالرغم من فشل هذه المحاولة إلا أنها أثبتت و كأن كان هناك تواصل بين الفاسي ومسار الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية بشكل من الأشكال. وقد ذكر "جاك بيرك" شيئا من هذا القبيل عند لقائه في منفاه⁵. و إن لم يستطع الحزب الحصول على مكاسب الحرب العالمية الثانية حتى قبل نهايتها فإنه كان عليه التخطيط لمرحلة ما بعد بيان الاستقلال خاصة وأن هذه المرة، و على عكس ما حدث سنة 1937، فإن سلطات الحماية لم تصدر حينها قرارا بحله. و قد أعتبر ذلك مكسبا

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat. op.cit, p 123.*

² - أنظر الملحق رقم 10.

³ - أنظر الملحق رقم 10.

⁴ - أنظر الملحق رقم 10.

⁵ - ذكر "جاك بيرك" أنه حينما شارك في مؤتمر برزافيل في جانفي 1944 قام بزيارة علال الفاسي في منفاه بمدينة "ماياما" بالغايبون و قد سجل التقدم الفكري الكبير الذي ظهر على علال الفاسي. خاصة بتعلمه الحديث باللغة الفرنسية. و إطلاعه على كل الأخبار. قد ذكر كذلك انه قدم له مجموعة من الآثار الكلاسيكية من الأدب الفرنسي. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 05.

مبدئيا. ولذلك أراد تثبيت هذا في انتظار ما ستكون عليه الأوضاع في ما بعد الحرب العالمية لذلك. فلم يرق بأية محاولة تنظيمية عميقة جديدة و حافظ على تجربته التنظيمية الموروثة عن الحزب الوطني لسنة 1937. و حتى قواعده الشعبية التي تعود لكتلة العمل المغربية لسنة 1934. التي بقيت على اتصال معه. و حتى عند إصداره لبيان الاستقلال أعيد بعث نشاطها لأنها تحولت إلى القنوات التي من خلالها تم نشر والتعريف بمضمون البيان في الأوساط الشعبية. و كذلك لأنها الوحيدة التي جعلت من الحزب قوة حركت الشارع و ضغطت على سلطات الحماية¹. فما كان بالنسبة لقيادة الحزب أن تحصل على ذلك التأييد الشعبي السريع لبيان الاستقلال، لو لم تقم تلك الخلايا الشعبية من تعبئة و تحميس للمغاربة بضرورة الاستفادة من "المغرب الجديد" الذي ظهر منذ نهاية سنة 1942². و لذلك كانت محطة سنة 1944 تغييرا لمجرى التاريخ. فحتى على المستوى التنظيمي تحصل الحزب على مكاسب تنظيمية هامة بضم مدن مغربية هامة لقاعدتهم النضالية مثل الرباط وسلا و أزرو و حتى فاس³.

و من جهة أخرى و بالنظر إلى حجم الخسائر البشرية لأحداث جانفي و فيفري 1944 التي كان مخطط لها بطريقة دموية من طرف سلطات الحماية على رأسها "فيليب بونيفاس" وخاصة في مدينة فاس الشهيدة" فإنه كان من الضروري كذلك إثبات قدرته في السيطرة على هذه القاعدة الشعبية للحفاظ على فاعلية هذا التنظيم⁴. و لذلك لم يرق الحزب بأية مبادرة تنظيمية عميقة في هذه المرحلة⁵. فقد اعتبر "دوجلاس آي آشفورد" أن حزب الاستقلال اكتفى نظريا بهيكله مركزية لتأطير ثلاثة آلاف من أعضاءه. تم تقسيمهم إلى أعضاء "عاملين" لهم الحق في تقلد مناصب قيادية داخل الحزب عن طريق الانتخابات. وأعضاء "مؤازرين". أما قياداته فتمثلت في "اللجنة المركزية" المؤلفة من اثني عشر عضوا تساعدها في ذلك ست لجان. و كل لجنة متكونة من اثني عشر عضوا. و كان نشاط هذه اللجان تنفيذيا بدرجة أساسية من الناحية الإدارية والمالية والإعلامية. و بالإضافة إلى ذلك تم تكوين "لجنة التوجيه والإرشاد" بمهمة

¹ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق ص 51

² - دوجلاس آي. آشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، مصدر سابق ص 83.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - المصدر نفسه.

أساسية تمثلت في تكوين القاعدة الشعبية على آليات النضال الحزبي اليومي. الذي كان يتطلب مقتضيات لم تتعود عليها الحركة الوطنية المغربية¹.

فعلى عكس الجزائريين فإن علاقة المغاربة بالتنظيم الحزبي التحريري كانت حديثة جدا. فحتى تجربة 1937 أجهضت حين ولادتها². وعلى كل حال فإن هذا التنظيم لم يكن له أية فاعلية ميدانيا قبل نهاية الحرب العالمية الثانية. فقد اقترنت ولادة الحزب بصراعه المباشر مع نظام الحماية. الذي غيب قيادته سجنا و نفيا ، والكثير من كوادر الميدانية للحزب الوطني مستها كذلك هذه الإجراءات القمعية. فقد تم قمع الحزب بقوة قبل أن يبدأ نشاطه النضالي. و فقد بذلك الكثير من فاعليته. و لذلك حصر نشاطه الأساسي في الاحتجاجات الشفوية وتقديم الالتماسات³. التي بقيت وسيلة معتمدة من طرف الحزب إلى غاية الاستقلال⁴. ومن جهة أخرى فإنه حتى وإن طبق هذا التنظيم ميدانيا فإن طبيعته المركزية كانت ستؤدي إلى الكثير من العسر والإرباك. خاصة بربط كل أنشطة الحزب و في كل المجالات بهيئة واحدة⁵. و لذلك عندما أنيطت مهمة الحفاظ على حزب الإستقلال إلى محمد اليزيدي بعدما قام بنفس المهمة سابقا⁶. فأعاد هيكلة الحزب في أكتوبر 1945 بما يتلاءم مع المعطيات الجديدة لمغرب ما بعد الحرب. و باستغلال التخفيف النسبي الذي شهده المغرب بعد الحرب⁷. خاصة بعد لقاء السلطان بالجنرال ديغول في جوان 1945. فقد عاد السلطان من باريس بقرار بتنحية المقيم العام وبالرغم من تأجيل تنفيذ هذا القرار إلى غاية سنة 1946 لظروف فرنسية بحثة⁸، فإن موقع

¹ - دو جلاس آي. آشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، مصدر سابق ص 83.

² - انطلقت الحركة الوطنية الجزائرية بعد الحرب العالمية الأولى سنة 1919. و تعود بوادرها الأولى إلى نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين. أما في المغرب فأول مبادرة تنظيمية قامت بها الحركة الوطنية المغربية كانت في مطلع سنة 1937 بظهور كل من الحزب الوطني و الحركة القومية. و لكن أحداث سبتمبر 1937 قضت على التجربة في بدايتها.

³ - *Nationalistes Marocains ; activités des nationalistes sur le sol Marocain, communiqués tracts ; notes de renseignement, correspondance. Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, 24QO/65*

⁴ - دو جلاس آي. آشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، مصدر سابق ص 84.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - تعود المرة الأولى لما بعد أحداث 1937 التي انتهت بنفي علال الفاسي إلى الغابون. و بقاء بلافريج في الخارج.

⁷ - *Nationalistes Marocains ; activités des nationalistes sur le sol Marocain, communiqués tracts ; notes de renseignement, correspondance .op.cit.*

⁸ - بالرغم من قرار باريس بضرورة تنحية المقيم العام "غابريال بيو" أثناء زيارة السلطان في جوان 1945. فإن ذلك لم يتم إلا في مارس 1946 من طرف حكومة "فليكس غويين". نظرا للخلاف الذي كان حول من سيخلفه بين اختيار الشخصية العسكرية أو

السلطان قد تعزز كثيرا على إثر البروتوكولات الرئاسية التي حظي بها في فرنسا. وقد استفادت الحركة الوطنية من هذه الظروف النفسية.

و في أكتوبر 1945 أعلن ميثاقا جديدا للحزب تضمن هيكلة جديدة. فتم التراجع عن مبدأ المركزية الحزبية بإلغاء اللجنة المركزية التي حل محلها "المجلس الأعلى" متكونا من خمسة وعشرين عضوا ولجنة تنفيذية متكونة من خمسة أعضاء تمثلت مهمتها في التسيير الميداني لشؤون الحزب. و جاء في المادة الثانية لهذا الميثاق أن هدف الحزب هو "تحقيق الاستقلال المغرب مع وحدته وتبني دستور ديمقراطي، وحكومة شعبية تحت مظلة العرش العلوي والنهوض بالمجتمع المغربي اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا"¹. لقد جعلت هذه الهيكلة مسألة الاستقلال تأسيسية و سبب وجوده. و بالتالي فقد جسد هذا النظام الأساسي انتقال معيارية الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية من "الإصلاح" إلى "الاستقلال". و بنفس هذه المرجعية تأسس حزب الشورى والاستقلال سنة 1946 من طرف محمد حسن الوزاني كامتداد للحركة القومية. لتصبح الفكرة الاستقلالية محل إجماع مغربي سلطانا وحركة وطنية. و إن كان لكل رؤيته في كيفية تحقيقها².

بعد أن حسم حزب الاستقلال في قضايا النظامية و التنظيمية دخل في مرحلة جديدة تميزت بممارسة ما نص عليه ميثاقه بشكل جوهري. و باستعمال كل الوسائل لطرح القضية المغربية ليس الداخلية فقط بما يرتبط بعلاقته مع نظام الحماية في الرباط أو في فرنسا، و لكن باستغلال كل الفرص التي يمكن أن تخدم عدالة "قضية مراكش". خاصة ذات الصدى الخارجي. لذلك وجه محمد اليزيدي باسم اللجنة التنفيذي للحزب في 08 مارس 1945 رسالة إلى رئيس المؤتمر التأسيسي للأمم المتحدة الذي انعقد في سان فرانسيسكو في أبريل 1945³. جاء فيها

المدينة. بالإضافة إلى الأزمة السياسية التي كانت تعرفها فرنسا بعد تحريرها و التي أدت إلى ميلاد الجمهورية الرابعة في أكتوبر

1946. أنظر: Stéphane Bernard *Le Conflit Franco-Marocain* op.cit. p76.

¹ - أبو بكر القادري ، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية، ج2، مصدر سابق، ص 525.

² - سيتم التطرق لنظرة حزب الشورى للاستقلال في الفصل السادس و لموقف السلطان من استقلال المغرب في الفصل السابع.

³ - أعطيت الرسالة سرا للوفد المصري الذي كان يرأسه إبراهيم عبد الهادي و من أعضائه فكري أباضة. و تم ذلك في مطار الدار البيضاء عندما توقف الوفد لساعات فيه في طريقه للولايات المتحدة الأمريكية. أنظر: عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 330.

أن "الشعب المغربي يتابع بآمال كبيرة مؤتمر الأمم المتحدة¹... وأن المغرب معني بتنظيم العالم الجديد على أساس الحرية والعدالة. لأنه ساهم بما يملك من إمكانيات في سحق الفاشية و انتصار الديمقراطية. و قدم الكثير من التضحيات التي تسمح له أن يكون من الحاضرين في هذا المؤتمر للدفاع عن قضيته العادلة..."².

كما وجه رسائل مماثلة لرؤساء كل من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي ورئيس حكومة فرنسا المؤقتة و الصين ،و قد تضمنت طلبا لقبول المغرب عضوا في هيئة الأمم المتحدة³.و قد برر الحزب هذا الطلب بعدم فقدان المغرب لشخصيته الدولية من الناحية القانونية خاصة وأن معاهدة الحماية لسنة 1912 لا تتعارض مع هذا الطلب.بالإضافة إلى مجموعة من الوقائع التي حدثت عشية الحرب و أثناءها .و التي تؤكد هذه الشخصية من بينها بيان السلطان للمغاربة بالمشاركة في الحرب إلى جانب الحلفاء بتاريخ 03 سبتمبر 1939 الذي خاطب فيه المغاربة بصفته رئيس دولة⁴.و بمقتضاه كان المغرب في حالة حرب مع كتلة الحلفاء ضد المحور.و قد شارك المغرب في هذه الحرب بشريا واقتصاديا،و حتى جغرافيا.وعندما اتخذ ممثل فرنسا في المغرب موقفا مؤيدا لحكومة فيشي.فإن المغرب لم يقم بذلك و بقي في حالة حرب ضد كتلة المحور.ورفض سلطانه الإجراءات العنصرية النازية. كما رفض أن تضرب قوات الحلفاء من الأراضي المغربية.و غيرها من العناصر التي اعتبرها الحزب مظاهر بقاء السيادة المغربية التي لم تنفيها حتى نصوص معاهدة الحماية⁵.

في حقيقة الأمر فإنه لا يمكن اعتبار الرسالة مقصودة من حيث مضمونها.و لكنها وسيلة استعملها الحزب لإضفاء شرعية دبلوماسية على نشاطه.و يعتبر ذلك الإستراتيجية الجديدة لحزب الاستقلال بطرح ما أصبح يعرف فيما بعد بـ "الأزمة المغربية" في المحافل الدولية⁶.و كان قد بدأ في ذلك منذ إرساله لبيان الاستقلال في 11 جانفي 1944 إلى سفراء

¹ - *Requête des Nationalistes Marocains, Participation au Conférence internationales, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/65,Nationalistes Marocains Nov. 1944.juin 1947*

² - *Parti De L'Istiqlal, Documents ,1944 -1946, op.cit p16 - 20.*

³ - *Requête des Nationalistes Marocains, Participation au Conférence internationales, op.cit.*

⁴ - *Requête des Nationalistes Marocains, Participation au Conférence internationales, op.cit.*

⁵ - *Parti De L'Istiqlal, Documents ,1944 -1946, op.cit p16 - 20.*

⁶ - أطلق تعبير "القضية المغربية *L'affaire Marocaine*" في مطلع القرن العشرين على التنافس الأوروبي الشديد و خاصة بين سنتي 1901 و 1912.و قد انتهت بإعلان الحماية المزدوجة على المغرب الأقصى.و أعيد استعماله و لكن هذه المرة من طرف الوطنيين المغاربة بصيغة "الأزمة المغربية *la crise Marocaine*" حيث بدأت أدبيات الحركة الوطنية بكل اتجاهاتها تستعمله للتعبير عن

القوى العظمى في المغرب. وقد واصل هذه الإستراتيجية بإصداره لمذكرة لمؤتمر باريس حول مدينة طنجة في 02 أوت 1945 الذي انعقد لإعادة النظام الدولي للمدينة¹. وقد اعتبر الحزب في مذكرته حضور المغرب في هذا الاجتماع ضرورة دبلوماسية لمناقشة وضع هذه المدينة التي تعتبر جزء من المغرب. و بالتالي طالب الحزب ضرورة إلغاء هذا النظام الدولي لأنه فقد كل مبررات وجوده. بتوفر كل مقومات السيادة المغربية². هذه السيادة التي اعتبر الحزب تم المساس بها من طرف الحكومة الفرنسية المؤقتة التي سمحت بتمثيل الفرنسيين المقيمين في المغرب في المجلس الوطني الاستشاري الفرنسي. وقد أكد ذلك المقيم العام الذي أصدر قرار بتاريخ 04 أوت 1945. وقد اعتبر الحزب هذه الممارسة "تهديدا مباشرا للمغرب دولة و شعبا... لأنها تؤدي للإدماج و الإدارة المباشرة. و هذا ما يتناقض مع عقد الحماية"³. لأن الفرنسيين المقيمين في المغرب هم جزء من الأجانب وينطبق عليهم نفس القوانين⁴. ولمخاطبة الضمير الفرنسي استغل حزب الإستقلال الذكرى الثانية لتقديم عريضة الإستقلال وأرسل رسالة إلى الشعب الفرنسي تحمل عنوان "نداء للشعب الفرنسي" حدد فيها الأهداف الحقيقية لبيان الإستقلال لإزالة كل القراءات المنحرفة له التي سعت سلطات الحماية تقديمها للرأي العام الفرنسي من خلال وسائل الإعلام خاصة الاستعمارية. و كذلك أبرز هذا البيان القمع الوحشي الذي سلط على المغاربة أثناء هذه الفترة. و تنفيذ كل التهم التي ألصقت بالذين أمضوا وثيقة الإستقلال. و حالة المغرب الذي يعيش أزمة بكل أبعادها⁵. و في نفس المناسبة و

طبيعة القضية. من جهة و عن عدم وجود حل داخلي بين فرنسا و المغرب من جهة ثانية. فقد أصبحت كل بيانات الحركة الوطنية المغربية تتضمن مصطلح الأزمة المغربية. ففي سبتمبر 1947 قدم مهدي بنونة الذي كان يمثل الحركة الوطنية المغربية بالولايات المتحدة الأمريكية مذكرة تحت عنوان "الأزمة المغربية" لوزير العدل الأمريكي و الأمين العام للأمم المتحدة. أنظر:

Abdelkhaleq Berramdane, *Le Maroc*, op cit, p 74.

¹ - انعقد مؤتمر باريس بين 10 و 31 أوت لمناقشة وضع المدينة الذي أعاد لها الصبغة الدولية. و هي الخلفية التي اعتمد عليها السلطان للقيام بزيارته المشهورة للمدينة في 10 افريل 1947. و سيتم التطرق لاحقا لتفاصيل وضع مدينة طنجة أنظر:

Issac j. Assyag, *Tanger: un siècle d'histoire*, Editions marocaines et internationales, Tanger, 1981, p , 125.

² - Parti De L'Istiqlal, *Documents*, 1944-1946, op.cit p 21- 22.

³ - *ibid.*

⁴ - *ibid.*

⁵ - *Activité Nationaliste*, ADLC, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/65, Nationalistes Marocains Nov. 1944.juin 1947

من القاهرة أرسلت "رابطة الدفاع عن مراكش" مذكرة لسفير فرنسا في مصر تضمنت المطالب الوطنية لبيان الإستقلال¹.

لقد أصبح المتحدث الاستقلالي يستعمل "الأزمة المغربية" لوصف حالة المغرب بعد الحرب العالمية². فبعد رحيل "غابريال بيو" وتعيين "إيريك لابون Erik Labonne"³ في 30 مارس 1946 كاستجابة متأخرة لمطلب السلطان بعد زيارته لباريس في جوان 1945. فمباشرة بعد تعيينه تلقى "لابون" مذكرة جد مطولة من إمضاء محمد اليزيدي بصفته الأمين العام بالنيابة لحزب الاستقلال تحمل عنوان "الأزمة المغربية". و كان مدخلها تأكيداً على أن "...المغرب يعيش أزمة عميقة متعددة الأشكال و مختلفة الأسباب. وخلفية تاريخية منذ تعود لإصلاحات السلطان المولاي الحسن الأول لسنة 1894. و كذلك لمهمة نظام الحماية الذي كان من المفروض أن تكون مساعدة المغاربة في النهوض السياسي والاقتصادي والاجتماعي⁴". وبعد مرور أربعة و ثلاثين سنة على بداية هذه المهمة. فإنه من حق المغاربة التساؤل عما تم تحقيقه من نتائج من خلال كل الإصلاحات التي قام بها نظام الحماية من خلال كل المقيمين العامين الذي مروا في المغرب منذ 1912.. إلا أن واقع الأمر أثبت أنهم لم يستطع هؤلاء تقديم حلول مرضية للمغاربة. حتى عندما كانت مطالب الوطنيين ذات نزعة إصلاحية قبل الحرب العالمية الثانية⁵. و قد تضمنت المذكرة حالة المغاربة بعد الحرب التي وصفت بالمتدهورة على جميع الأصعدة فمن الناحية السياسية حرم المغاربة من كل حرياتهم العمومية ومنعوا من تشكيل الأحزاب والمطالبة بحقوقهم الأساسية. وإن كان ذلك "مبرراً" عشية الحرب. فإن قرار 14 مارس 1945 الذي منع حق الاجتماع عبر بصورة حقيقية عن توجه سياسة سلطات الحماية في المغرب حتى بعد انتصار قيم الحرية و الديمقراطية بانتصار الحلفاء⁶. و من الناحية الثقافية فإن التضييق مس التعليم العربي الحر بمنعه. وحتى جمعيات قدماء التلاميذ تم حلها بصورة

¹ - *Activité Nationaliste au Caire, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955,, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/66, Nationalistes Marocains Nov. 1944. juin 1947*

² - محمد بن الراه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، ج 1، مرجع سابق، ص 292.

³ - سيتم التطرق لسياسته في الفصل السابع "الزيارة السلطانية لمدينة طنجة"

⁴ - *Parti De L'Istiqlal, Documents, 1944 -1946, op.cit p 27- 36.*

⁵ - *Parti De L'Istiqlal, Documents, 1944 -1946, op.cit p 27- 36*

⁶ - نص القرار المقيمي على "منع كلي لكل التجمعات مهما كانت طبيعتها وكل تظاهرة مهما كانت طبيعتها للأفراد و الجماعات..." وقد كان مضمونه يتعارض مع الروح العامة التي كانت سائدة بنجاح الحلفاء و انتصار قيم "الحرية و

"العدالة". أنظر: Robert Rêzette, *les partis politiques, op. cit p 33*

تعسفية بما فيها الكشافة الإسلامية المغربية سنة 1944¹. و بقي حزب الاستقلال يعتمد على طرح القضية المغربية في الخارج بصورة واضحة معتبرا أن ذلك يؤثر على المكانة الفرنسية في الخارج. بكشف الأساليب القمعية التي يستعملها نظام الحماية كما ظهر ذلك في المذكرة التي أرسلها لهيئة الأمم المتحدة في نوفمبر 1946².

كما فرضت القيود المفروضة على النشاط الصحفي الوطني. و الصحف القليلة التي أصدرت في الثلاثينات تم توقيفها. وتضمنت المذكرة تذكير المقيم العام الجديد ببقاء ضحايا أحداث سنة 1937 والمتمثلين في علال الفاسي الذي كان في منفاه بـ"مياميا" بالغابون و محمد حسن الوزاني بـ"إيتزر" في جبال الأطلس الأوسط بعد نقله إليها من الصحراء³. بالإضافة إلى أحمد بلافريج الذي نفي إلى جزيرة "كورسيكا" في سنة 1944. و كعادة الوطنيين المغاربة، (و حتى غيرهم) لم تنس مذكرة الحزب بأن تذكر فرنسا بنكرانها لما قدمه المغرب لفرنسا سلطانا و شعبا وحركة وطنية عشية وأثناء الحرب العالمية الثانية. خاصة عندما أرسل الحزب الوطني لجنة للإقامة العامة لتأييد فرنسا في حربها ضد النازية والفاشية⁴ بالإضافة إلى مساهمة المغاربة في الحرب بكل ما يستطيعون. و ركزت خاتمة المذكرة على "طموح المغاربة في حياة كريمة فيها الحرية والتقدم والرقى في جميع الميادين. بالتعاون مع فرنسا الحليفة و الصديقة. و متمسكين بسلطانهم الذي يعبر عن استمرارية الحقيقة المغربية الخالدة"⁵.

3 - 5 صحافة حزب الاستقلال:

لقد أدت سياسة الانفتاح التي اتبعتها المقيم العام الجديد "لابون" إلى اتجاه الوطنيين لاستغلال كل الوسائل المتاحة لإيصال برنامجهم لكل المغاربة. وعلى رأسها الصحافة. و لذلك أصدر حزب الاستقلال جريدة "العلم" في 11 سبتمبر 1946. كيوومية إخبارية عملت على نقل

¹ - Parti De L'Istiqlal, Documents ,1944 -1946, op.cit p 27- 36

² - mémoire adressé par L'Istiqlal à L'O.N.U. , organisation internationales , Nation Unies . Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/645 , - novembre 1946 – décembre 1949.

³ - ذكر الوزاني في مذكراته بأن نقله من الصحراء إلى منطقة "إيتزر" بجبال الأطلس الأوسط كان بغرض مساومته على التنازل عن ممارسة النشاط الوطني. و قد ذكر تفاصيل الرحلة الخطيرة عبر الصحاري ثم جبال الأطلس. و كذلك ظروف سجنه فيها لمدة خمس سنوات. أنظر: محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج5، مصدر سابق، ص 212-232.

⁴ - يتعلق الأمر بتلك اللجنة التي أثار الكثير من التساؤلات. تم التطرق إليها في "الحزب الوطني"

⁵ - Parti De L'Istiqlal, Documents ,1944 -1946, op.cit p 27- 36.

مضمون البرنامج للرأي العام المغربي و العالمي. و ترأس هيئة تحريرها "عبد الجليل القباج" الذي كان رئيس جمعية قداماء ثانوية مولاي يوسف بالرباط. و من الموقعين على بيان الاستقلال. و كانت هيئة تحريرها من المغاربة الذين درسوا في المشرق¹. و قد ركزت هذه الجريدة منذ نشأتها على التعريف بالقضية المغربية. فقد جاء في العدد الأول أنه "...لن يرفرف فيها إلا لما فيه مصلحة المغرب و العروبة و الإسلام... مع مزيد الاهتمام على ما يجري في الغرب و ما يتخلل أنحاء من تيارات و نزعات و ثورات..."².

و كذلك نقل أخبار كل ممارسات سلطات الحماية في أنحاء المغرب لما كان لها من مراسلين منتشرين. حيث جندت لهذه المهمة الطلبة و القرويين منهم على وجه الخصوص الذين كانوا منتشرين في كل المدن و القرى المغربية حتى وصل عدد مراسليها في بعض الأحيان إلى أكثر من واحد في القرية الواحدة. لأنه يجب تزويد المغاربة بتلك الأخبار المتعلقة بالغاية التي من أجلها يحيون و يكدون³. و اعتمدت في الخارج على الطلبة الاستقلاليين الذي كانوا يتابعون دراساتهم في الخارج. و بقي معظمهم هناك. سواء الدول العربية حيث كانت تستقبل الكثير من المقالات من القاهرة بمصر و نابلس بفلسطين⁴. و حتى من لندن عن طريق "المكتب العربي" الذي كان ينشط فيه اللبنانيين و المصريين و السوريين. و من نيويورك عن طريق "مكتب المغرب العربي" الذي أسسه المهدي بنونة⁵. و كان يسحب منها 7000 نسخة و

¹ - Robert Rêzette, *les partis politiques*, op. cit p 160.

² - العدد الأول من جريدة "العلم" 16 سبتمبر 1947.

³ - الصدر نفسه.

⁴ - كان من مراسلي الجريدة: عبد الرحمان أنجاي في مدينة طنجة و أحمد الغلاء في دمشق و عبد المجيد بن جلون و أحمد بن عيود في القاهرة.

⁵ - المهدي بنونة (1919 - 2010) ولد في تطوان والده هو عبد السلام بنونة أب الوطنية المغربية وشقيقه الطيب بنونة كان كذلك من زعماء الحركة الوطنية المغربية و الأمين العام لحزب الإصلاح الذي تأسس سنة 1936. كان من بين أوائل طلاب المغرب الذين انتقلوا إلى الدراسة في فلسطين، في مدرسة النجاح، التي أصبحت في ما بعد جامعة النجاح في عام 1936، انتقل إلى القاهرة حيث درس في جامعة فؤاد الأول وشارك سنة 1937 في تأسيس لجنة الدفاع عن مراكش، و درس الصحافة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وتخرج عام 1941. و في جوان 1947 وصل إلى نيويورك حيث أسس مكتبا للمغرب العربي. و أشرف عليه بنفسه و كانت من مهام المكتب الدعاية للمغرب العربي من أجل الاستقلال و استمالة الرأي العام الأمريكي لقضايا المغرب العربي. أنظر: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 566-567-568. كما كان ممثلا للحركة الوطنية المغربية و ناطقا باسمها في أمريكا ففي سبتمبر 1947 قدم مذكرة "الأزمة المغربية" للسلطات الأمريكية و الأمم المتحدة. من أهم ما كتبه بالإنجليزية سنة 1951 كتاب "مغربنا، القصة الحقيقية لقضية عادلة". أنظر،

Nationalistes Marocains: Activités nationalistes à New York (Mahdi Benouna), Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/66, Nationalistes Marocains, juillet 1947 – déc. 1949.

هو عدد ضئيل جدا بحيث لم يكن يمثل سوى خمس ما كانت تسحبه الجرائد الفرنسية¹. و قد ذكر روزيت أنه و نظرا لارتفاع نسبة الأمية في المجتمع المغربي فقد كان العدد القليل من المغاربة الذين يحسنون القراءة يقومون بعقد لقاءات دورية مرتبطة بصدر جريدة "العلم" في بيوتهم و في الأسواق من أجل قراءة هذه جريدة و التعليق على مواضيعها. و بالإضافة إلى الأعلام المغربية كان يكتب فيها آخرون من الخارج مثل الهاشمي التيجاني من الجزائر². و نظرا لما قامت من دور في الأحداث التي عرفها المغرب في سنة 1951 و 1952 المسماة بـ "الأزمة المغربية". و نظرا لتضامنها الكبير مع التونسيين بعد اغتيال فرحات حشاد في ديسمبر 1952 تم توقيفها بصورة نهائية³.

و كاستمرارية لهذا الانبعث صدرت جريدة استقلالية أسبوعية باللغة الفرنسية تحت عنوان "رأي الشعب *L'opinion du Peuple*". وفي 08 مارس 1947 صدر أول عدد و قد تعرض لمقص الرقابة من طرف سلطات الحماية. كما كان الحال بالنسبة للكثير من أعدادها⁴. و ترأستها خديجة ديوري. و ترأس هيئة تحريرها عبد الكريم بن جلون⁵. و كانت تقدم نفس المضمون الوطني التحرري للمغاربة و الفرنسيين باللغة الفرنسية. فقد جاء في إحدى افتتاحيتها بأنها "تعكس تطلعات الرأي العام المغربي. وتطمح أن تكون دليله المستنير"⁶. و لكنه باعتبارها لسان حال حزب الاستقلال فقد عملت على نقل مواقفه من مختلف القضايا التي

¹ - Robert Rêzette, les partis politiques, op. cit p 160.

² - محمد بن الراهه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 299.

³ - Presse en langue arabe , Activités censure et publications ,rapports mensuels Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/223, déc.1945 – déc.1949.

⁴ - تم حذف خمسة كلمات من عنوان العدد الأول و هي "Marocains du Parti L'Istiqlal" و قد قام الوطنيون المغاربة بتوزيع أعدادا جرائد تعرضت لقص منها الكثير من المقاطع. في مؤتمر الأمم المتحدة حول حرية الإعلام الذي انعقد في جنيف في افريل 1948. و لم يمر هذا الحدث بدون تعليق الحاضرين. أنظر: Jamaâ Baida, la presse marocaine. Op.cit. p 304.

⁵ - للتطابق مع القانون الفرنسي الخاص بالصحافة الناطقة بالفرنسية الذي يفرض أن يكون المسير للجريدة فرنسيا. فقد لجأ الوطنيون المغاربة مرة أخرى لخدمات خديجة ديوري ذات الجنسية الفرنسية و هي زوجة أحد الوطنيين محمد ديوري من القنيطرة و كان من الموقعين على بيان الاستقلال. و قد كانت كذلك رئيسة جريدة "العمل الشعبي" الصادرة بالفرنسية سنة 1937 من طرف الحزب الوطني لتحقيق المطالب. أنظر: Jamaâ Baida, la presse marocaine. Op.cit. p213, 304.

⁶ - L'opinion du peuple, 08 mars 1947.in, Jamaâ Baida, la presse marocaine. Op.cit. p, 304.

كانت ترتبط من نظام الحماية. كما هاجمت الشيوعيين و نزعت عنهم صفة المواطنة من خلال مقال لمحمد اليزيدي. لأنهم لم يكونوا أبدا محل سجن أو قمع من طرف سلطات الحماية¹. و بقراءتها لظروف العالم آنذاك الذي كان يعرف الحرب الباردة. اتجه الخط الافتتاحي لهذه الجريدة إلى مدح السياسة الأمريكية. واعتبارها "متحررة... وعصرية... و متفهمة لطموحات الشعوب.. ومضادة للاستعمار التقليدي"². و قد كان هذا لمعاكسة الموقف الفرنسي الذي كان متحفظا من السياسة الأمريكية. و لكنه لم يكن بدون مخاطر و إنزلاقات. ففي هذه السنوات كانت القضية الفلسطينية تعيش أحلك أيامها. و لم يكن الدور الأمريكي في دعم الحركة الصهيونية لقيام "كيان إسرائيل" خفيا على أحد³. و نظرا لما كنت تكتبه هذه الجريدة من مواضيع حول ممارسات نظام الحماية. و لعل خطورتها تكمن في أنها كانت تتكلم بلغة المستعمر. كما كانت رسالتها الإعلامية تصل للقارئ الفرنسي. لذلك كانت محل مضايقات شديدة من طرف سلطات الحماية التي عرفت تغيير مقيمها العام في ماي 1947 بمجيء الجنرال جوان و بداية سياسة الحديد و النار في المغرب. و للحفاظ على جريدة "العلم" أوقف حزب الاستقلال جريدة "رأي الشعب". وعلى وقع ما سيعرفه المغرب من تحديات حيث سيكون حزب الاستقلال في الأمس الحاجة إلى مثل هذه القنوات للتعامل معها⁴.

لقد عرفت الحركة الوطنية نقلة نوعية منذ 8 نوفمبر 1942 عند نزول الحلفاء في المغرب و شمال أفريقيا. و قد أدى ذلك على ظهر "المتحدث السلطاني" باسم المغاربة الذي أراد استغلال التناقضات التي كانت بين فرنسا و أمريكا. إلا أن ذلك لم يكن حقيقيا. فعندما طالب المغاربة بالاستقلال في 11 جانفي 1944 قمعتهم حكومة "فرنسا الحرة" التي كانت قمعت في أوروبا. و بقدر ما أدرك المغاربة سلطانا و حركة وطنية حقيقة الموقف الأمريكي من رغبة الشعوب المستعمرة في نيل حريتها، بقدر ما تمسكوا بالاستقلال كحل وحيد لقضيتهم و لذلك سعوا للخروج من صدمة جانفي 1944 و البحث عن آليات تنظيمية جديدة تتماشى و المعيارية الاستقلالية. فقام حزب الاستقلال بين 1944 و 1951 بكل الوسائل في الداخل و

¹ - Jamaâ Baida, la presse marocaine .op.cit. p 304.

² - Jamaâ Baida, la presse marocaine .op.cit. p 304.

³ - شكل هذا الموقف المؤيد للساساة الأمريكية من المفارقات و التناقضات. فكيف يمكن التوفيق بين ما كان تخصصه الجريدة لدعم

القضية الفلسطينية و في نفس الوقت موقفها المدعم للسياسة الأمريكية؟؟؟ Jamaâ Baida, la presse marocaine. Op.cit. p 305

⁴ - Presse écrite française, Activités censure et publications, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/221, sept.1944 – juill 1949.

الخارج للحصول على استقلال المغرب . إلا أن ذلك كان يتطلب المزيد من التضحيات و التنظيم و التنظير. و هذا ما سعى الوزاني للقيام به بعد عودته من منفاه بتأسيسية لحزب الشورى و الاستقلال الذي تبنى هو الآخر ميثاق الاستقلال القومي .

الفصل الخامس:

ميثاق الاستقلال القومي: من الحركة القومية إلى حزب الشورى و الاستقلال 1946 – 1951

- مناخ الإعلان عن ميثاق الاستقلال القومي
- البرنامج الشوري : ميثاق الاستقلال القومي
- التصورات السياسية الشورية
- مذكرة 23 سبتمبر 1947
- مبادئ حزب الشورى و الاستقلال و تنظيمه الصحافة الشورية

1 . مناخ الإعلان عن "ميثاق الاستقلال القومي "

1 - 1 من الحركة القومية المغربية إلى حزب الشورى و الاستقلال:

أرسل محمد حسن الوزاني في فيفري 1946 من منفاه رسالة لأعضاء "الحركة القومية" طلب فيها تحويل الحركة إلى حزب سياسي، مقترحا لهم تسميته بـ "صف الجهاد القومي في سبيل الدستور والاستقلال"¹. إلا أن هذا الأمر لم يتم إلا بعد عودته من منفاه في ماي 1946 . ففي 29 جويلية 1946 عقدت الحركة القومية مؤتمرا عاما لأعضائها في مدينة الدار البيضاء التي حلت محل مدينة فاس و أصبحت مركزا رئيسيا للحركة الوطنية المغربية. و قد تطرق "القوميون" في هذا المؤتمر لكل التطورات التي عرفها المغرب منذ سنة 1937. سواء من حيث حالة الحركة الوطنية المغربية، و ما عرفته من تغيرات جذرية، خاصة بعد إصدار بيان الإستقلال في جانفي 1944. أو من حيث الموقف الفرنسي الذي قام بقمع هذه الحركة و رفض حكومة "فرنسا الحرة" في قمة برزافيل في 30 جانفي 1944 لتغيير القانون الأساسي للمغرب بالحفاظ عليه جزءا من "الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية". التي اتخذت من "الإتحاد الفرنسي" تسمية جديدة لها. و قد اعتبر ديغول المغرب جزءا منه، ورفض أن يكون له "تطورا" آخر خارج الكتلة الفرنسية².

و قد استمر هذا المؤتمر ثلاثة أيام، و انتهى بالإعلان عن وثيقة سياسية مرجعية جديدة لـ "القوميين" حملت اسم "ميثاق الاستقلال القومي التحرري"³. و قد تضمن هذا الميثاق عشرة بنود على رأسها "استقلال المغرب"، واسترجاع كامل سيادته القومية، تحت إشراف و رعاية جلالة الملك⁴. و "تأليف حكومة قومية مغربية تقود المغرب إلى تقرير مصيره كوطن حر"⁵. و قد كان هذا الميثاق وثيقة مرجعية للحزب الذي تم تأسيسه في هذا المؤتمر تحت اسم

¹ - وجه الوزاني في فيفري 1946 من منفاه رسالة مطولة إلى قيادة الحركة القومية و طلب منهم تحويل الحركة القومية إلى حزب سياسي. إلا أن ذلك لم يتم. حيث فضلت قيادة الحركة انتظار إطلاق سراح الوزاني . أنظر، عز العرب محمد حسن الوزاني، حديثي والدي، مصدر سابق، ص 17 و يظهر هذا مكانة الوزاني و ثقله الكبير في توجيه الحركة. و في حقيقة الأمر أن الذين اتبعوا الوزاني اعتنقوا أفكاره و رؤيته السياسية لحل الأزمة المغربية التي لم يكن أي شخص آخر يملكها سواه.

² - مؤسسة شارل ديغول، خطابات ديغول، 6، خطاب برازافيل 1944/01/30. مصدر سابق ،

³ - ميثاق الاستقلال القومي ، الملحق رقم 11.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - المصدر نفسه.

"حزب الشورى والاستقلال". الذي حول " القوميين " إلى " الشوريين ". وهكذا فقد ظهر الوزاني وعلى غير عادته، متسرعا لإنشاء حزب سياسي، و أراد حدوث ذلك حتى قبل عودته. في حين لم يكن متحمسا له في السابق. و كان يعتبره قبل الحرب مجازفة و سابقا لأوانه، و لا يتماشى مع الوضع المغربي العام. ثم أصبح بعدها يرى فيه حلا ملائما للقضية المغربية. و هذا ما يطرح تساؤلا حول أسباب هذا التحول، وعن الظروف التي دفعت به لتغيير إستراتيجيته النضالي التي ظهر في تأسيس هذا الحزب و في تبني هذا الميثاق¹.

لقد اعتبر الوزاني أن ظروف المغرب بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت مناسبة لإعلان هذا التحول. و تبني الاستقلال كمطلب أساسي لحركته. وهو الشيء الذي لم يكن متوفرا في السابق. و بهذا التحول فإن ما قام الوزاني في سنة 1937 بإعلانه " ميثاق الحقوق القومية " و تأسيسه لـ "الحركة القومية المغربية" لم يعد قادرا على مواجهة هذه التحولات. وعلى رأسها الانتقال الجذري للحركة الوطنية المغربية من سياق "الإصلاح" إلى سياق " الاستقلال " ولذلك تم في سنة 1946 الإعلان عن "ميثاق الاستقلال القومي" و تأسيس "حزب الشورى و الاستقلال". و إذا كان "القوميون" قبل الحرب، مع جميع الوطنيين المغاربة، يؤمنون بإمكانية الاستفادة من منظومة الحماية بعد تطبيقها بالشكل الصحيح من طرف فرنسا. فقد اقتنعوا بعد الحرب، أن هذا النظام هو صيغة من صيغ الاستعمار. و اختلف تنفيذها حسب الظروف التاريخية لكل دولة من الدول التي وقعت تحت سيطرته. بالتالي فإن هذه التحولات سارت في ركب المعادلة الوطنية الجديدة التي اعتمدت على مبدأ رفض نظام الحماية. و تبني الفكرة الاستقلالية كمرجعية للحركة الوطنية المغربية².

إلا أن ما تميز به "ميثاق الاستقلال القومي" هو قراءته الجديدة للاستقلال. فلم يعد بالنسبة له مرتبطا بزوال نظام الحماية فقط، و لكن ببناء الدولة العصرية، التي لا يمكن تحقيقها

¹ - لم يكن الوزاني في السابق متحمسا لتأسيس حزب، فحتى الحركة القومية التي أسسها في سنة 1937 لم يعلنها كحزب. فقد حيث كان يعتبر ذلك سابقا لأوانه من جهة، وتفاديا للوقوع في طائفة المنع القانوني الفرنسي، و في نفس الوقت لم يكن الوزاني له القدرة التعبوية التنظيمية على الاتصال بال جماهير المغاربة. و لذلك ركز في تلك المرحلة على كشف نظام الحماية في مختلف الميادين من خلال العديد من المقالات التي كانت تصدر سواء في " عمل الشعب " بالفرنسية. " الدفاع " باللغة العربية" هياكل الحركة القومية لم تكن موجودة. و كانت كل أنشطة الحركة القومية تقوم بها هيئة التحرير للجريدتين.

² - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق ص 57.

إلا "بالدستور" الذي جاء في هذا الميثاق تحت تسمية " الشورى"¹.و قد اعتبره هذا الميثاق ركيزة أساسية للاستقلال و للبناء.و رفض "الشوريون" مسألة ترتيب الأولويات بتحقيق الاستقلال أولا ثم يأتي بناء النظام السياسي.فقد اعتبروا ذلك مدخلا للاستبداد. فـ"المشكلة المغربية" أصبحت حسب روح هذا الميثاق منقسمة إلى "خارجية" تمثلت في "الاستعمار" و طرفاها المغرب و فرنسا.و يتمثل حلها في " الاستقلال "، و مشكلة "داخلية" تمثلت في "الاستبداد" و حلها هو " الشورى". التي تتحقق عن طريق تبني ميثاقا سياسيا من خلال إصدار دستور " ينظم السلطات التشريعية و التنفيذية و القضائية و يضمن لهم المساواة أمام القانون و الحرية الفردية و حرمة البيت و الملكية و بسمح بحرية الضمير،والرأي،وحرية الاجتماع و الجمعيات،و بصون حرية الصحافة..."². و بهذه الصفة تغير مفهوم الاستعمار في هذا الميثاق.و لم يعد " تقليديا" من خلال التخلص من نظام الحماية فقط. لأنه قد يبقى الاستعمار قائما حتى إذا زال هذا النظام. ولم يحل محله نظاما سياسيا يحقق كرامة و عزة الإنسان المغربي.التي جاء في الميثاق أنها لا تتحقق إلا عن طريق "الاستقلال و الدستور" اللذان أصبحا ركنان أساسيان تقوم عليهما قضية المغرب.و الهدفين اللذين يلزم تحقيقهما معا لعدم صلاحية أحدهما دون الآخر³.

وستلزم ثنائية "الاستقلال و الدستور" حركة "الشوريين" أثناء مقاومتهم لنظام الحماية فلم يتوقفوا عن المطالبة بها،واعتبارها حلا ضروريا للمغاربة بتحريرهم من نظام الحماية.و بناء الدولة المغربية العصرية بتبني نظام سياسي ديمقراطي للقضاء على الاستبداد.الذي قد يقع فيه المغرب إذا لم يتم تحقيق هذه الثنائية في نفس الوقت.بل كان الشوريون يعتبرون الدستور هو الذي سيسمح لهم بتنصيب "ملكية دستورية" التي تعتبر مدخلا للاستقلال⁴. لأن "الاستقلال قبل الإصلاح". هو في ظاهره صيغة مطلوبة في ظاهرها. و هدفا لكل الحركات

¹ - عرف حزب الشورى و الاستقلال بعد استقلال المغرب في سنة 1959 أزمة خانقة تمثلت في انسحاب العديد من أعضائه حتى كاد أن يزول من الخريطة السياسية المغربية و في سنة 1960 غير الوزاني غير الوزاني اسم الحزب ليصبح " حزب الدستور الديمقراطي".

² - المادة الثالثة من ميثاق الاستقلال القومي ، أنظر الملحق رقم 11.

³ - محمد حسن الوزاني، تصريحات صحفية، ج01، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1988، ص، 76.

⁴ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية المغربية، مرجع سابق ، ص 57.

الوطنية، ولكنها كانت بالنسبة للشوريين "مدخلا للهيمنة و معبرا لملكية رجعية مساندة من قبل حزب وحيد"¹.

و قد ساهم في هذا التحول "الثوري الدستوري"، الذي ظهر به الوزاني بعد عودته من المنفى مجموعة من العوامل دفعت به إلى اعتبار العمل الحزبي ضرورة سياسية نضالية بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة للمغرب. و دفعت به كذلك إلى إيمانه الراسخ بأن هذه المرجعية السياسية هي الخلاص الوحيد للمغاربة من "الاحتلال القائم" و "الاستبداد المحتمل". و قد كانت هذه العوامل مرتبطة بما تأثر به من الناحية الداخلية و الخارجية على حد سواء فأدى كل ذلك إلى تلك المتغيرات السياسية الجذرية التي تضمنها هذا الميثاق. و تحولت إلى محور رئيسي للنضال الذي قام به الشوريون أثناء فترة الحماية. و حتى فيما بعدها².

1- 2 العوامل الداخلية للتحول:

نفي محمد حسن الوزاني بعد أحداث نهاية سنة 1937 إلى الصحراء. و بقي في منفاه طيلة تسع سنوات. وبقدر ما شكلت هذه الفترة حالة فراغ بالنسبة لنشاطه بصفة خاصة و للحركة القومية المغربية بصورة عامة، كانت بالنسبة له مرحلة هامة في حياته السياسية نظرا لما أحدثته من تأثيرات مهمة على مسار الحركة التي تزعمها بعد الحرب العالمية الثانية. ففي عزله الإجبارية قام بصياغة تصور فكري وإجرائي لمشروع وطني، ببعد تحرري من جهة وبنائي لدولة عصرية ديمقراطية من جهة ثانية. فالعزلة كانت بالنسبة له مرحلة لمراجعة كل مفاهيمه الفكرية على ضوء المنطلقات النظرية التي تحصل عليها من خلال دراساته العليا فهو خريج الجامعة الفرنسية. و بالإضافة إلى التكوين الأكاديمي الذي تلقاه فيها، عايش كل التفاعلات الفكرية و السياسية التي كانت فرنسا تعيشها، التي انتقلت إلى "الحي اللاتيني" وتأثر بها الكثير من العناصر الوطنية التي أصبح لها دورا في الحركات الوطنية في آسيا و أفريقيا.

¹ - Robert Rèzette, *les partis politiques*, op. cit p 160.

² - بعد استقلال المغرب سنة 1956 بقي حزب الشورى و الاستقلال يركز على مطلب الدستور كحل للمغرب و قد كلفه ذلك الكثير من الاضطهاد و المعاناة ، فقد أصبح ذلك من أهم مظاهر المغرب المستقل.

كما قام بتقييم التجربة النضالية التي قام بها في الحركة الوطنية المغربية، سواء في سياق وحدتها منذ الاحتجاج على الظهير البربري سنة 1930، ففي هذه المرحلة لم يكن رضا عن الكثير من الممارسات، وخاصة بعد تأسيس "كتلة العمل المغربي" في ديسمبر 1934 التي كانت محل نقد لاذع من طرفه، أو عند تصدعها والانسحاب منها في سنة 1937. وإن كانت هذه التجربة السياسية المنفردة قصيرة زمنيا، إلا أنها كانت مليئة بالأحداث. فقد انفصل فيها عن "كتلة العمل المغربي" وأسس "حركة القومية المغربية" وأعلن فيها عن "ميثاق الحقوق القومية". وخلالها كذلك ظهرت حقيقة اليسار الفرنسي من المطالب الوطنية من خلال تجربة الجبهة الشعبية. فهذه الأخير هي التي قامت بقمع الحركة الوطنية المغربية. ولم تقدم أي شيء للمطالب الوطنية في الجزائر و تونس¹. فكل هذه المحطات قام الوزاني باسترجاعها ليس بغرض كتابة مذكراته، ولكن من أجل تقييمها ودراسة كل جوانبها. فقد كانت المرحلة الممتدة بين 1930 و 1936 ثرية جدا، وكان للوزاني فيها دورا رياديا. وبالإضافة إلى ذلك كان إصراره كبيرا على مواصلة نضاله الوطني ولكن بروية جديدة تأخذ بعين الاعتبار كل المتغيرات المغربية و الفرنسية و حتى الدولية².

لقد تحولت تلك العزلة الإجبارية بالنسبة إليه إلى مصدر إلهام. فقد قام فيها، بصياغة مشروع جديد للمجتمع المغربي. جمع فيه بين مواجهة نظام الحماية، وبناء الدولة المغربية العصرية. لقد قال عن فترة المنفى من أكتوبر 1937 إلى ماي 1946 أنها لوحدتها كافية لكتابة مؤلف بحد ذاته³. لأنها مرحلة زخم كبير من الأحداث سواء على المستوى الشخصي أو العائلي أو الجماعي أو الوطني. ففي منفاه وضع تصورا لمشروع مجتمع متكامل يؤدي إلى

¹ - لم تستجب الجبهة الشعبية لمطالب الحركة الوطنية الجزائرية التي خرج بها المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في جوان 1936. ولم تستجب كذلك لمطالب المؤتمر الثاني لـ "الحزب الدستوري الجديد" التي أدت إلى أحداث أفريل 1938. التي قمعت فيها الجبهة الشعبية الوطنيين التونسيين مما دفعهم لاعتماد المقاومة السرية.

² - اعتبر الوزاني السياسة سبب وجوده، فقد سأله أحد الضباط الفرنسيين في منفاه سنة 1941 عما سيقوم به إذا ما تم إطلاق سراحه فأجابه على الفور السياسة، فتعجب الضابط عن تمسكه بالسياسة حتى في زمن الحرب، أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 05، مصدر سابق، ص 213.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 05، مصدر سابق، ص 155.

التخلص من الحماية أولا التي كانت في نظره مشكلة خارجية، و يقوم ببناء مجتمع عصري ديمقراطي دستوري ثانيا، أي حل المشكلة الداخلية بالنسبة له¹.

و قد اعتمد في وضع أسس هذا المشروع الوطني على تكوينه القاعدي الأولي باعتباره خريج مدرسة النخبة، ثم دعم و وسع هذا بمطالعاته المكثفة أثناء منفاه لعدد كبير من المؤلفات الأساسية المرجعية للفكر الإسلامي و الغربي، فقد كان مشروعه مستلهما من التراث الفكري الإسلامي والأوروبي على حد سواء، بدراسته لعينة من أمهات كتب الفكر الإسلامي التي جعل منها مصدره الأولي²، وإنتاج الفكر الإصلاحي الإسلامي³، وعينة من المؤلفات الفكرية الإستشرافية⁴. ومن هذه الدراسة التحليلية النقدية التي قام بها، أصبحت لديه صورة عن كيفية الاستفادة من الموروث الفكري الإسلامي المتنوع، بما يحقق النقد بالمعالم الصحيحة لأسس الحكم في الإسلام. ويقابل هذه "العودة إلى الذات" "اطلاع على الآخر" باجتهاداته الفكرية والسياسية. فبالنسبة له، ولعدد من المصلحين العرب والمسلمين، يجب تبني التنظيم السياسي العصري الذي ظهر في إطار النهضة الأوروبية. و لكن بضرورة تعويض

¹ - قسم الوزاني مشكلة المغرب الخارجية و هي نظام الحماية و الداخلية و هي النهوض بالمجتمع المغرب و تطويره ديمقراطيا. و سيتكرر استعمال التعبير فيما بعد.

² - اعتبر الوزاني القرآن الكريم كله دينا و عقيدة و إيمانا و حكمة و خلقا و تربية و نظاما و دعوة و تشريعا و حكما و سياسة و سلما و حربا و ثقافة مستشهدا بقوله تعالى "وما فرطنا في الكتاب من شيء"، سورة الأنعام الآية، 38. كما اعتبر مؤلفات أخرى "من صميم السياسة المثلى، ومن خير ما تتغذى به الروح، و ترتاح له النفس و تطيب به حياة الغربة والعزلة في المنفى، و من خير ما أنتجه الفكر العربي الإسلامي قديما و حديثا" مثل "نهج البلاغة" للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذي اعتبره كله توجيها و وعظا وإرشادا و خطابة و حماسة و سياسة و حكما و نصائح و أخلاقا، و مؤلفات أخرى مثل "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي و "المقدمة" لابن خلدون و "البيان والتبيين" للجاحظ و "فلسفة ابن خلدون الاجتماعية" لطفه حسين و "فجر الإسلام" و "ضحى الإسلام" لأحمد أمين، و قد تساءل كيف ذهلت السلطات الاستعمارية عن كل هذا؟، أنظر، المصدر نفسه ص 160-161.

³ - مؤلفات المصلح محمد عبده (1849-1905)، وفريد وجدي (1878-1953) وكرد علي (1867-1953)، صحافي وأستاذ جامعي سوري. ولد وتعلم في دمشق. ثم غادرها إلى مصر عام 1901 حيث أصدر مجلة "المقتبس". عاد إلى سوريا عام 1908 ليصدر صحيفة حملت نفس الاسم. ساهم في إنشاء مجمع اللغة العربية في دمشق عام 1919. وزير التعليم والمعارف في وزارة الملك فيصل 1920. من كتبه "خطط الشام" و "كنوز الأجداد". و السيد أمير علي، ولد في موهان من إقليم "أود" بالهند في 6 إبريل سنة 1849م من أب مسلم وأم إنجليزية، له عدة مؤلفات من بينها "آداب الإسلام" سنة 1871، و "محمد وتعاليمه" سنة (1872)، و "مختصر تاريخ العرب" في سنة 1889، وفي سنة 1893 أخرج أقوى كتبه وأعظمها، وهو كتاب "روح الإسلام"، توفي في لندن في أوت 1927.

⁴ - اطلع الوزاني على مؤلفات المستشرقين الإيطاليين نالينو (1872-1938)، وسانتيلانا (1855-1931)، أنظر، محمد حسن الوزاني الإسلام و الدولة أو حقيقة الحكم في الإسلام، مؤسسة محمد الوزاني، فاس، 1987 ص 32

مضمونه الفكري الغربي بمضمون عربي إسلامي. وقد تعرف الوزاني على "الآخر" بشكل معمق من خلال دراسة الإنتاج الفكري للمفكر الفرنسي "شارل بروك ديبيون وايت" Charles Dupont-white صاحب الكتاب المشهور المشهور "الفرد والدولة L'Individu et l'état" ¹. و قد ترجمه الوزاني إلى اللغة العربية في منفاه إلى كتاب تحت عنوان "حرية الفرد وسلطات الدولة" ². وقد خرج من هذه الدراسات الثرية بتصور مشروع وطني متكامل يمكن المغرب من التخلص من مشكلته الداخلية والخارجية على حد سواء. وقد برزت معالم هذا المشروع في العديد من مؤلفاته التي كتبها أثناء تسع سنوات من المنفى قضاها متنقلا بين الصحراء و جبال الأطلس الأوسط، فقد حدد فيها ملامح مشروع وطني يحرر المغاربة من نظام الحماية و يؤسس لهم دولة عصرية ³.

¹ - شارل بروك ديبيون - وايت (1807-1878)، اقتصادي فرنسي من أم إنجليزية عمل محاميا بمجلس الملك لويس فيليب و في محكمة النقض من سنة 1836 إلى سنة 1843. ترك المحاماة و قام بحملة ضد الشروط المفروضة على العمال، حيث طالب بإلغاء ضريبة الملح والمكس (ضريبة يدفعها باعة الأشواق) من خلال كتاب "دراسة عن العلاقة بين العمل و الرأسمال" سنة 1845 و في سنة 1848 عين كاتباً عاماً في وزارة العدل و بعد سقوط الجمهورية الثانية و إعلان النظام الإمبراطوري سنة 1854 اتجه "وايت" إلى الاهتمام بالنظريات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية فترجم إلى اللغة الإنجليزية مؤلفات هامة حول الحرية والحكومة التمثيلية للمفكر الإنجليزي "ستيوارت ميل" (1806-1873) و من خلال التقديم لهذه المؤلفات ظهر تفكيره الخاص في عدة مؤلفات و هي: "حرية الفرد وسلطات الدولة" "L'individu et l'état" الذي ترجمه الوزاني في منفاه، و "مركزية الدولة" (1860)، و "الحرية السياسية" (1864)، و "دور حرية الصحافة" (1866) و "التوازن في أوروبا" (1867) و "التقدم السياسي في فرنسا" (1868)، و "الجمهورية الحافظة" و "حق الانتخاب العام" (1872)، و "تأملات متفائل" (1873) و "السياسة الحالية" (1875). و تصنف آراؤه ضمن الأفكار الحرة العقلانية للقرن الثامن عشر، و تعتمد على الدور الأساسي للدولة، و ضرورة تتبع حريات المواطنين لطبيعة الالتزامات المخولة للدولة من طرف مجموع الشعب، و بتعبير آخر فهي ديمقراطية مركزية أو ديمقراطية الدولة. أنظر،

Altern. Économiques Denis Clerc, Connaissez - vous Dupont -White ? in, Revue de L'Economie politique C.A.I.R.N, n°19, Paris, Juillet 2003/3

² - تضمن هذا الكتاب محاولة الوزاني البحث عن أشكال جديدة للتنظيم السياسي و الاقتصادي للعالم الإسلامي يتماشى و طموحات الأمة وتحديات العصر، من خلال تحليل موقع الدولة و الفرد في المجتمع في وقت تغيرت فيه العلاقات الاجتماعية تغيراً جذرياً و قويا بسبب الثورة الصناعية القائمة و الثورة الديمقراطية التي ظلت تطمح إليها الشعوب الأوروبية طوال القرن التاسع عشر. أنظر، محمد حسن الوزاني، حرية الفرد و سلطات الدولة، دراسات و تأملات، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1987، ص 09.

³ - انتقل الوزاني بعد اعتقاله في أكتوبر 1937 عبر عدة محطات من قلعة "أسا" إلى "أقة" سنة 1940 ثم "تاكونيت" سنة 1941 و منه إلى قلعة "إيتزر" في الأطلس الأوسط، أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 05 (مصدر سابق) ص 155-232.

ولئن لم يستطع المغرب، والعالم العربي الإسلامي بصورة عامة، الإطلاع على كل مؤلفاته نظرا لظروف المنفى والحرب¹، فإن ما تم التعرف عليه أبرز الاتجاهات الكبرى لهذا المشروع الذي كان الوزاني يرى فيه خلاص المجتمع المغربي أثناء وبعد الحماية. و تتمثل مواصفاته في مجموعة من العناصر، فهو سياسي بدرجة رئيسية بإعطائه أولوية واضحة للقضايا السياسية المرتبطة بالدولة والمجتمع، ويعتبر هذا استجابة لما كان يملكه من رصيد ثقافي نتيجة مساره التعليمي في المغرب وفرنسا²، و رفض الخوض في القضايا الدينية و تركها للمؤسسة الدينية التي كانت من صلاحياتها التاريخية منذ فترة ما قبل الحماية. و في الوقت الذي استمد فيه جزءا أساسيا من مكونات هذا المشروع من التراث الفكري الغربي كان كذلك موجها ضد نظام الحماية بغرض التحرر منها وبناء الدولة العصرية الديمقراطية. ولم يكن لائحة سياسية خاصة بتيار سياسي معين دون آخر، بقدر ما كان مساهمة في إصلاح الدولة بمفهومها العام، بدون الخضوع للبعد الزماني والمكاني لها. وهو كذلك مساهمة في الفكر التنويري الغربي للقرن الثامن عشر والتاسع عشر مع تدعيمه بإضافات شرقية، فهي عصنة بشكل من الأشكال³.

وأخيرا فإن هذا المشروع لم يكن خاصا بإصلاح ما ترتب عن فترة الحماية الفرنسية فقط، بما أنه تضمن إصلاح المؤسسات المخزنية التقليدية التي كانت سببا في انحطاط المغرب و تعرضه للحماية لأنها لم تساير التطورات التي كانت سائدة. وتعويضها بأخرى عصرية مستمدة من النموذج الغربي الذي جاء في أفكار "وايت"، التي أراد الوزاني نقلها إلى المجتمع

¹ - قام الوزاني بتأليف عدد من المؤلفات تتمثل فيما يلي: 1- الدستور في الإسلام، 2- قصة الشورى في الإسلام و تاريخ المسلمين، 3- نظرات في سيرة الرسول، 4- آراء ابن خلدون الاجتماعية و السياسية، 5- حرية الفرد وسلطات الدولة (ترجمة كتاب "الفرد و الدولة" لشارل ديون وايت)، 6- الإسلام و الدولة أو حقيقة الحكم في الإسلام، 7- الإسلام و المجتمع. و قد ضاعت كلها ماعدا الثلاثة الأخيرة، ويذكر الوزاني في مذكراته انه سلمها لوالده عندما تم نقله سنة 1941 إلى منفاه الرابع بإيتزر، و قد ضاعت أثناء أحداث جانفي 1944. أنظر، المصدر نفسه، ص198.

² - تميز محمد الوزاني بمسار تعليمي اختلف إلى حد ما عن أقرانه بالتحاقه منذ صغره بعد الكتاب القرآني لـ "سيدي خيار" بفاس بمدرسة "اللمطين" بنفس المدينة التي أمده بتعليم عصري، و تعلم فيها اللغة الفرنسية، و بعد نجاحه في الشهادة الابتدائية التحق بثانوية "كورو" بالرباط و في سنة 1927 (كان عمره 17 سنة) انتقل إلى فرنسا لتحضير شهادة البكالوريا ثم انتسب إلى المدرسة الحرة للعلوم السياسية التي كان أول خريج مغربي منها، كما درس في "معهد الصحافة" و مدرسة "اللغات الشرقية" كما يحضر دروس التاريخ الدبلوماسية و القانون الدولي التي كانت تنظمها مؤسسة "كارينجي للسلام"، وفي سنة 1930 رجع إلى المغرب لمباشرة

نشاطه السياسي. أنظر، Fondation Mohammed Hassan Ouazzani, L'imprimerie rapide, Casablanca, 1980.

³ 178. El-houari Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, op,cit, p-

المغربي، لأنه كان بحاجة ماسة إلى أشكال جديدة من التنظيم السياسي والاقتصادي و الاجتماعي تمكنه من الاستجابة لطموحاته ومواجهة مختلف التحديات، بداية من نظام الحماية إلى بناء الدولة العصرية. و بطرح آخر فإن الوزاني الذي ربط دائما بين المعركة من أجل الاستقلال و المعركة السياسية من أجل الديمقراطية. و لذلك حرص على أن تتضمن حركته السياسية مصطلحي "الشورى" و " الاستقلال ". و لذلك طالب بأن يعطى للشعب المغربي تربية ديمقراطية إلى غاية تحرر المغرب، و عندها يتمكن من تسيير شؤونه بنفسه¹.

وتضمن هذا المشروع مدخلات أساسية اعتبرها الوزاني ضرورية للتحرر والتطور فعلى المستوى السياسي اعتبر عصرنة المؤسسات السياسية المغربية الموروثة عن مرحلة ما قبل الحماية مسألة ضرورية وحيوية مستدلا بما توصل إليه من نتائج من خلال قراءة تحليلية ونقدية للتاريخ الإسلامي في مختلف مراحله بغرض استنباط الأحكام التي تتعلق بأصول الحكم أو بما سماه هو بـ "الإسلام و الدولة أو حقيقة الحكم في الإسلام"². فتوقف عند محطات الرئيسية مثل حادثة سقيفة بني ساعد، والفتنة الكبرى و تحول الخلافة إلى ملك، و تطرق لما سماه بنظرية "الحق الإلهي" و علاقتها بالممارسة السياسية، و اعتبر هذا الحق مقتصرًا على الحكومة الإسلامية الأولى التي سماها بـ "الحكومة الدينية"³. أما حكومات ما بعد هذا العهد ففي نظره اعتمدت على مبدأ "الاجتهاد" المطابق للقرآن والسنة⁴. و وصل إلى أن أهم ما يجب أن يقوم عليه النظام السياسي الإسلامي المعاصر هي الأسس المستنبطة من الأصل الأول أي القرآن والسنة، والممارسة السياسية الأولى للخلفاء الراشدين. و لكن يجب على هذه العودة الشرعية والضرورية في آن واحد، أن لا تلغي في مخططاتها تطور مصالح الأمة الإسلامية في الزمان والمكان. وبالتالي يجب استعمال وسائل الغرب لعصرنة المؤسسات

¹ - محمد حسن الوزاني، حرية الفرد و سلطات الدولة، مصدر سابق، ص 14.

² - ألف الوزاني في منفاه مؤلفا حول الأصول الشرعية للحكم الإسلامي ومنتقدا لمختلف الممارسات التي قامت بها الدولة الإسلامية على مر عصورها ليستنبط منها أحكاما و قوانين تتعلق بالممارسة السياسية ككل أو بما سماه بسياسة الإسلام و العلاقة بين الخلافة و الملك و أصول الحكم في الإسلام و مسؤولية السلطة الحاكمة و الظلم والاضطهاد من منظور إسلامي، و الإسلام و فلسفة السياسة الحديثة. أنظر، محمد حسن الوزاني، الإسلام و الدولة أو حقيقة الحكم في الإسلام، مؤسسة محمد الوزاني، فاس، 1987.

³ - محمد حسن الوزاني، الإسلام و الدولة، مصدر سابق ، ص 68-78.

⁴ - المصدر نفسه.

السياسية الإسلامية التقليدية وتكييفها بما يخدم الصالح العام¹، وفي هذا السياق انتقد بشدة الحكم الأموي الذي تم فيه توريث الحكم، وتحويل الخلافة إلى ملك عن طريق المكيدة²، و فقد تبنت الدولة الأموية ممارسات دخيلة على الإسلام، و فارسية بشكل أساسي، لا علاقة لها بالحكم الإسلامي الراشد، من أهمها " النزعة الكسروية" التي ظهرت في العهد الأموي بغرض تقديس الحكام والسلاطين³.

لقد كان الوزاني بنظرته التاريخية النقدية هذه، أكثر جرأة من مصلحي المغرب في القرن التاسع عشر، بمطالبته بضرورة إفراغ سلطة العلويين الأشراف من الممارسات الموروثة التي لا أصل لها في الإسلام، مثل "نظرية الحق الإلهي"، و " تقديس السلاطين" و "توريث الحكم"، بالإضافة إلى قداسة "شريف البركة" التي تحولت إلى الحجر الأساسي في النظام السياسي المغربي التقليدي. وبقدر ما اعترف الوزاني بوجود "الخلافة" كمؤسسة سياسية و " الخليفة" كوظيفة سياسية، قام بتقريب الأولى بـ "الرئاسة" جمهوريا و "الملكية" ملكيا. والثاني من منصب " الرئيس" و " الملك" ⁴. و اعتبر المهمة الرئيسية للنخبة المستتيرة هي تحقيق العصرنة. أما الشعوب فيجب عليها السير وراء هذه النخبة بدون أن يكون ذلك متعارضا مع حرياتها الفردية، لأن هذه النخبة الواعية زاولت تعليما ثريا وعاليا، و في مراكز علمية كبرى، وهذا على عكس "العامة العاجزة عن التعبير عن مصالحها بطريقة صحيحة، إلا إذا تم تربيتها و تعليمها عصريا"⁵.

¹ - El-houari Setta, Mohamed Hassan Ouazzani,, op,cit, p 196.

² - محمد حسن الوزاني، الإسلام و الدولة، مصدر سابق، ص 66.

³ - اعتبر الوزاني أن من أسوء ما نقله المسلمون عن الفرس ما سماه بالنزعة الكسروية المتمثلة في التحية بالسجود على الأرض وتقبيل التراب بالسجود على الأرض و تقبيل التراب حتى يغفر الوجه به، و الترامي على الأقدام و تقبيل الحذاء و تمرير باطنه عل الوجه. أنظر، المصدر نفسه، ص 73.

⁴ - El-houari, Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, op,cit, p 200.

⁵ - ظهر هنا الوزاني متأثرا بشكل واضح بـ "ديبون وايت" الذي يعتبر تشيد الديمقراطية يجب أن يتم من طرف أشخاص ذوي إدراك و دراية بفضل ما لهم من ثقافة و وضعية اجتماعية رتبهم على إحساس بذواتهم كرجال أحرار. أنظر، محمد حسن الوزاني، حرية الفرد و سلطات الدولة، مصدر سابق، ص 14.

كما اعتبر الوزاني التعليم¹ من ضمن القضايا الأساسية.و لذلك كانت تطرح بشكل مستمر في مختلف العرائض التي كانت تقدم لسلطات الحماية منذ مطلع الثلاثينات فلم تخل أية عريضة وطنية منذ بداية الحركة الوطنية من مطلب التكفل بتعليم المغاربة،و بشكل خاص منذ 1934 سنة عند إصدار "مطالب الشعب المغربي"².ولئن كان لنظام الحماية دور في تدهور الأحوال الثقافية و التربوية للمجتمع المغربي،فان وضعية التعليم الموروثة عن فترة ما قبل الحماية لم تكن أحسن حال كذلك.و لذلك وجه انتقادا لأكبر مؤسسة تعليمية في المغرب وهي "جامعة القرويين" التي تخلفت عن التقدم والتطور الذي كانت تعرفه الجامعات الغربية.فهذه الأخيرة تحولت إلى تجمعات علمية متنوعة تضم مختلف العلوم البحتة،في حين بقيت "القرويين" كلية إسلامية تقليدية ومتخلفة جدا عن التطور العلمي و التربوي³.فالمتمخرج منها تؤهله معارفه الدينية للقيام بوظائف الكتابة والعدالة الشرعية، والخطابة الدينية، وتدريس علوم الدين والعربية،والقضاء الإسلامي،والمحاماة الشرعية،و لكنه لم يكن يتحكم في الحاجات الضرورية لرقى البلاد⁴.وبالرغم من أنه تم عدة مرات في الماضي محاولة إصلاح هذه المؤسسة ولكن بدون أية نتيجة ايجابية⁵.فعجزت عن تكوين إطارات متخصصة في مختلف العلوم العصرية،و بالتالي يجب تعويضها بجامعة عصرية يتم عن طريقها تحقيق نهضة

¹ - محمد حسن الوزاني قصة مع التعليم،و هو صغير كان يتغيب عن المدرسة القرآنية و يلتحق خفية بالمدرسة الابتدائية الفرنسية،و عند علم والده بالأمر تدخل الشيخ العزيز بن علال الوزاني شيخ الطريقة الطيبية التهامية الوزانية وطلب من الوالد عدم حرمانه من المدرسة الفرنسية مقابل التزام الوزاني بالالتحاق بهما معا،و هو شاب التحق بـ ثانوية "مولاي إدريس" بفاس ولما انحط التعليم فيها بعد تنحية مديرها من طرف ليوتي بعد زيارته لها لأنه اعتبر ما يقوم به المدير "أفكار نبيلة" ولكنها لم تكن تتفق مع خطته و برنامجه"على حد تعبير ليوتي،ولذلك انتقل الوزاني إلى الثانوية الفرنسية بالرباط "كورو" حيث شعر رفقة ثلاثة مغاربة آخرين (من بينهم أحمد بلافريج أحد قادة الحزب الوطني ثم حزب الاستقلال)بالمضايقة والمعاملة غير العادية.أنظر، محمد حسن الوزاني،مذكرات حياة و جهاد، ج 01،(مصدر سابق)ص381.

² - جاء في الباب الخامس لهذه الوثيقة عدة مطالب مرتبطة بإصلاح التعليم في مختلف مراحل.

³ - تم التطرق بالتفصيل لجامعة القرويين و دورها في الوعي الوطني و ما عرفته من محاولات إصلاح في الفصل الثاني.

⁴ - محمد حسن الوزاني،نخبة العلم بالقرويين،في مجلة الثقافة المغربية،جويلية 1944،العدد01،السنة الرابعة،أنظر، محمد حسن الوزاني،حرب القلم،ج01،مصدر سابق،ص75

⁵ - عرفت القرويين محاولة إصلاحها عن طريق مشروع " مرسى " سنة 1914 .و مشروع " ماري " بين سنة 1931 و 1933.تم التطرق إليهما في الفصل الثاني.

حقيقية¹. وقد تضمن المشروع التربوي للوزاني مبدأين هما، ضرورة إعادة هيكلة التعليم بجميع أطواره، باعتماد مراحل تعليمية من التعليم القاعدي إلى التعليم العالي، مع إجبارية إعادة النظر في تنظيم المدارس القرآنية التي كانت في حالة فوضى²، كما اعتبر إجبارية التعليم ومجانيته شرطين ضروريين لنجاح أي إصلاح، "فكثير من الطلبة يقعدهم عن مزاوله العلم ما هم عليه من قلة مادة، فهم محتاجون إلى أن تبذل لمستحقيهم المساعدة المالية اللازمة طبقا لشروط تضمن صرفها في وجوه العلم، و واجب الأغنياء أن يتضافروا مع ولاية الأمر فيبذلوا كل ما يستطيعون من الأموال لتشجيع الطلبة المعوزين و ذلك بتخصيص منح تنفق على من يستحق لمتابعة الدراسة"³. أما الضرورة الثانية فتتمثل في إصلاح المحتوى البيداغوجي للمنظومة التعليمية المغربية بإتباع منهجية تهدف إلى بناء العقل العلمي لدى الطلبة، لأنه ضروري لأي ثقافة حية⁴.

إذا كانت تربية المجتمع ضرورة تفرضها طبيعة المشروع السياسي الذي ظهر في "ميثاق الاستقلال القومي". فإن هناك عدد من المضامين لهذا الميثاق تناولت ضرورة تعليم المرأة⁵ حتى تقوم بذلك الدور الحاسم في ترقية المجتمع. اعتبر دور المرأة أساسيا وقاعدي لتحقيق الجانب التربوي منه، وبتعبير آخر فإن إهمال المرأة في هذه العملية البنائية الشاملة للمجتمع من شأنه أن يرهن كل الجهود القائمة لتحقيق هذه العصرية، لأنها أهملت أساسا حيويا يقوم عليه المجتمع، ولذلك أعطى لهذا الجانب أهمية على مستوى التنظير وعلى مستوى العمل الميداني⁶، وفي حقيقة الأمر ليست هذه أول مرة يبرز فيها أهمية هذا الدور فمنذ مطلع الثلاثينات شكلت ترقية المرأة و تفعيل دورها الاجتماعي بندا من بنود مطالبه سواء في شكل فردي من خلال نشاطه الصحفي في فرنسا والمغرب أوفي شكل جماعي

¹ - محمد حسن الوزاني، فحصة العلم بالقرويين، حرب القلم ج01 (مصدر سابق) ص77.

² - محمد حسن الوزاني، الإسلام و المجتمع و المدنية، دراسات و تأملات، مؤسسة محمد الوزاني، 1987، فاس، ص53-76

³ - المصدر نفسه، ص 66.

⁴ - المصدر نفسه 53-76

⁵ - المادة الرابعة من " ميثاق الاستقلال القومي ". أنظر الملحق رقم 11

⁶ - أنشأ حزب الشورى و الاستقلال العديد من الجمعيات النسوية مثل "جمعية أخوات الصفا" و جمعية السيدات المغربية ". سيتم التطرق إليها لاحقا.

باعتباره بندا من بنود مختلف اللوائح المطلوبة¹. فقد اعتبر تربية وتعليم المرأة واجب أخلاقي ومطلب شرعي، وضرورة تفرضها مقتضيات النهضة، وظاهرة اجتماعية ترتبط بواجب الاهتمام بمستقبل الأسرة المغربية² واقتداء بالعائلة السلطانية³. إلا أن نظرتة لهذا الاهتمام اختلفت جذريا عن دعوات تحرير المرأة التي ظهرت في المشرق⁴، فالتحرر بالنسبة إليه لا يجب أن يتم "باسم المدنية الحديثة و لكن باسم الإسلام وذلك بتطبيق تعاليمه السامية الخاصة بالنساء، التي تضمن لهن من الحقوق ما لا تتمتع به نسوة كثيرة من الأمم المتحضرة اليوم ومن الحرية ما يناسبهن في الحياة الاجتماعية الراقية..."⁵. وبالتالي فإن دور المرأة الرئيسي في البيت لبناء الأسرة الصالحة، وحتى تعليمها بالنسبة له لا يجب أن يهدف بأي حال من الأحوال إلى منافسة الرجل في ميدان العمل من أجل الحفاظ على نظام المجتمع، فالنسبة له "لا يجب على المغرب أن يقلد الأمم الإفرنجية في تطور النساء، و لكن في اقتباس العلوم و الفنون التي يحتاج إليها في السير والتطور والارتقاء، و حسن الاقتباس ليس في التقليد المطلق ولكن باتخاذ الصالح و اجتناب الطالح كما تفعل الشعوب الغيرة على تراثها الرشيدة في خطتها الموفقة في تدبير مصيرها"⁶.

إلا أن أهم شيء قام به الوزاني في منفاه هو إعادة قراءة منظومة الحماية. فقد كان منذ مطلع الثلاثينات يعتبرها، مع كل الوطنيين المغاربة، ظاهرة إيجابية في بعدها النظري. و أن فيها الكثير من وسائل ترقية المجتمع المغربي و النهوض به و إدماجه في الحداثة الغربية فقد كان في نظره المغرب بلد لم يتم غزوه. لأن عمليات "التهدة" لم تكن وليدة إرادة غزو و لكنها كانت تتويجا لاتفاقية سياسية أبرمها المغرب مع الدول العظمى. و بالنسبة له، كان ليوتي أشد المعارضين لتمثيل الحماية بالغزو. لأن ذلك يعتبر خرقا خطيرا للمعاهدات المبرمة بين المغرب و فرنسا. و حتى عندما توفي ليوتي في سنة 1934 و قامت فرنسا بنقل جثمانه إلى

¹ - جاء في وثيقة "مطالب الشعب المغربي" لـ 01 ديسمبر 1934 في فصل الإصلاحات الاجتماعية باب عن تعليم البنات.

² - محمد حسن الوزاني، الإسلام والمجتمع، مصدر سابق، ص 203.

³ - استشهد الوزاني بخطاب محمد الخامس أمام علماء و طلبة القرويين حول ضرورة تعليم المرأة المغربية و تثقيفها لمواجهة "مخاوف المضطربين وهواجس المحافظين و وساوس المتزمتين" أنظر الوزاني الإسلام والمجتمع و المدنية، (مصدر سابق)، ص 210.

⁴ - لم يكن الوزاني من أنصار رواد تحرير المرأة أمثال قاسم أمين رائد حركة تحرير المرأة (1863-1908). و رفعت الطهطاوي (1801-1873).

⁵ - محمد حسن الوزاني، الإسلام والمجتمع، مصدر سابق، ص 212.

⁶ - المصدر نفسه، ص 215-216.

المغرب تنفيذا لوصيته. احتج الوزاني على ذلك على أعمدة جريدة "عمل الشعب" في مارس 1936¹ و اعتبره متناقضا مع منصوص معاهدة الحماية بحد ذاتها و مساسا بسيادة المغرب،بالإضافة إلى طبيعته الصليبية².و كانت المشكلة بالنسبة له لا تكمن في بنود معاهدة الحماية بحد ذاته،و لكن في انحراف تطبيقها من طرف سلطات الحماية.و لذلك كانت كل مطالبه في مختلف المحطات بين 1930 و 1937 تسعى لاستفادة من هذا النظام بعد تصحيحه من طرف الإدارة التي كانت تشرف على تطبيقه ميدانيا. فظهر هذا البند في "مطالب الشعب المغربي" في ديسمبر 1934،و"المطالب المستعجلة"في سبتمبر 1936 و في " مجمل السياسة القومية" في سبتمبر 1937. التي كانت آخر وثيقة سياسية تبناها الوزاني.فقد جاء في بندها الرابع " تنفيذ شروط الحماية ما لم تعارض حقوق الشعب المغربي"³. و لم يتوقف " الحركة القومية المغربية" عن المطالبة بذلك.

و لكن كل ذلك زال و لم يعد بعد الحرب العالمية الثانية تنفيذ نظام الحماية مطلب للوزاني، و لكل الوطنيين المغاربة، بل أصبحت في نظره " الحماية جناية على الأمة"⁴ و قام بتفسيرها بما تناقض كلية مع المرحلة السابقة فتحوّلت إلى " اختراع شيطاني تستعمله الإمبريالية الاستعمارية لفرض حكمها الغاشم على الشعوب المستضعفة التي تستعبد لها سياسيا و عسكريا لاستغلالها و الاستيلاء على أراضيها و الأفراد بخيراتها"⁵.و لم يتوقف عند فضح هذه المنظومة من الناحية النظرية فقط،فحتى من الناحية الميدانية قام بإبراز زيف شعاراتها و عدم تطابقها مع مبدأ "الوصاية " الذي كان منصوص عليه في القانون الدولي⁶. و ادعت الحماية انها تطبقه.اعتبر الوزاني ذلك مغالطة أكاديمية لأن دلالاته القانونية الحقيقية تخضع

1 - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 03، مصدر سابق، ص 199.

2 - تنفيذا لوصيته حيث قام بتشيد قبره فوق ربوة مواجهة للإقامة العامة بالرباط في شكل ضريح يشبه أضرحة الأولياء الصالحين المسلمين،و يتسم المشروع بالصليبية تطبيقا لتوصيات المؤتمر الكاثوليكي بفاس في أكتوبر 1934 . و في سنة 1961 أعيد تابوت رفاته إلى فرنسا حيث دفن بضريح كبار الأبطال الفرنسيين المسمى بـ " ليزانفاليد *Les Invalides*"

3 - أحمد معينو ، ذكريات و مذكرات ، ج 02 ، مصدر سابق ، ص 158.

4 - عنوان الكتاب الذي كتبه الوزاني في منفاه في سنة 1945 باللغة الفرنسية تحت عنوان "*Le Protectorat Crime De Lèse-nation*" و قد قام فيه بدراسة علمية لنظام الحماية نظرية و تطبيقا.

5 - محمد حسن الوزاني،الحماية جناية على الأمة،مصدر سابق ، ص17.

6 - المصدر نفسه.

لعدة شروط و ضمانات محددة في الزمان و المكان. وبإسقاطه لهذا المدلول على حالة المغرب، توصل إلى عدم تطابقه القانوني مع الوصاية الاستعمارية الفرنسية في المغرب، التي ظهرت في شكل امتيازات ومزايا لصالح فئة دخيلة على حساب المجموعة السكانية الأصلية، المحكوم عليها بالبقاء تحت الحجر. وعندما استعملت الحماية هذا المصطلح كان الغرض منه " تلطيف المصطلح و التستر على عملية سطو كانت الدولة الاستعمارية الفرنسية تقوم بها في المغرب في حق شعب مستضعف مرغم على التبعية للدولة الاستعمارية و التستر أيضا على ما خولته لنفسها من سلطات تمارسها على هذا الشعب رغم أنه و على حساب مصالحه الوطنية الحقيقية¹. فقد ابتعدت الممارسة الميدانية عن المضمون السياسي لنظام الحماية الذي ابتدعه بريطانيا وطبقته بنجاح في مستعمراتها مقارنة مع فرنسا التي فشلت فيه. ونجحت في نظام الإدارة المباشرة الأقرب إلى العقلية الفرنسية²، فأصبح من غير الممكن التفريق بين وضعية المغرب كمحمية أو مستعمرة³.

لقد أدى انحراف الممارسة الميدانية لنظام الحماية إلى تحولها إلى إدارة مباشرة يشبه ما كان يحدث في الجزائر فكانت النتيجة في المغرب خلق نظام بيروقراطي دركي أجنبي⁴، لم يخدم الشعب المغربي في أي مجال من المجالات. فعلى المستوى السياسي نص عقد الحماية على ضمان تنظيم المخزن وإصلاحه إلا أن الواقع شهد تجريد الحكومة المخزنية من كامل حقوقها السيادية لصالح مؤسسات ابتدعها النظام الجديد الدخيل، و النتيجة سيادة مغربية شكلية، تدعي باريس بشأنها من حين لآخر بأنها "تبذل لجلالة الملك تأييدا متواصلا ضد كل خطر يهدد شخصه أو عرشه"⁵، و بالتالي فقد تم إضعاف هذه الحكومة و تقييدها و تصغير دائرتها إلى أقصى حد مقابل تركيز السلطة في يد رجال حكومة الحماية المركزية في الرباط وموظفيها في أنحاء البلاد. وعندما نصت المعاهدة على "تعاون الحكومتين الفرنسية والمغربية" فإن الممارسة أثبتت أن الحماية ألغت كيانا سياسيا كان قائما سنة 1912، وأزالت كل مظاهره ماعدا الوزارة الأولى الممثلة في الصدر الأعظم لتمرير قوانينها وتوصياتها. أما على المستوى

¹ - محمد حسن الوزاني، الحماية جناية على الأمة، مصدر سابق ، ص 17.

² - المصدر نفسه ، ص 27.

³ - Charles- André Julien, une pensée anticoloniale, les grands documents de l'indépendance, Paris, 1979, p 127

⁴ - محمد حسن الوزاني، الحماية جناية، مصدر سابق ، ص 149.

⁵ - المصدر نفسه ، ص 98.

الإداري العام فقد استولت سلطات الحماية على كل الوظائف الإدارية التنظيمية السامية بما كان يمارسه المقيم العام من صلاحيات لأكثر من أربع وزارات ثقيلة بالإضافة إلى ما كان يتحكم فيه الموظفون السامون من صلاحيات إدارية¹.

ومن الناحية القضائية فقد أنشئت المؤسسة القضائية الفرنسية بصلاحيات واسعة على حساب المحاكم المغربية المدنية والشرعية، ويعتبر هذا "إحدى الضربات القاسية التي وجهتها الحماية إلى السيادة الوطنية المغربية، ثم حاولت تلطيفها شكليا بإصدار الأحكام القضائية باسم السلطان ورئيس الجمهورية الفرنسية في آن واحد"²، ولكن في الواقع فإن المحاكم الفرنسية كانت تمارس أنشطة قضائية مست بسيادة القضاء المغربي في عدة مواقع، كاختصاصها الإجباري في جميع القضايا الجنائية التي يكون فيها الفرنسي طرفاً سواء كان فرداً أو مؤسسة.

وفي المجال التعليمي تعاملت سلطة الحماية بحساسية مفرطة مع هذا الموضوع، لعلاقته المباشرة بإشكالية الوعي، فهو من أصعب القضايا التي تواجه الدول الغازية في ممارسة سلطتها، والتعليم شعب يعني قبل كل شيء تحريره³، ولذلك اتبعت فرنسا في المغرب سياسة تعليمية اعتمدت على عدم مخالفة المتطلبات الميدانية المبنية على النظام والأمن بتفادي تقديم منظومة تعليمية للمغاربة تمس بنظامها وأمنها، وعدم السماح لأية وسيلة أخرى قد تساعد على النمو والتطور، فقد كانت مناهج التعليم تتم حسب تصنيف التلاميذ على أسس عرقية أو دينية⁴، فمؤسس نظرية الحماية في المغرب الماريشال "ليوتي" طلب من مدير التعليم العمومي تعليم المغاربة في إطار أعرافهم وتقاليدهم التي تحترم التفاوت الطبقي⁵.

1 - محمد حسن الوزاني، الحماية جنائية، مصدر سابق، ص 99

2 - المصدر نفسه، ص 111.

3 - تصريحات لعدد من رجال الفكر الاستعماري الفرنسي أمثال جول هارماند Jules Harmand و شارلتي Charlety وادوارد هيريوت Edouard Herriot، أوردها الوزاني للإشارة إلى أهمية التعليم بالنسبة للحماية، أنظر محمد حسن الوزاني، الحماية جنائية، مصدر سابق، ص 130-131

4 - تصريح أورده كاستون لوط Gaston Loth مارس وظيفة مدير التعليم العمومي في المغرب، أنظر محمد حسن الوزاني، الحماية جنائية على الأمة، (مصدر سابق) ص 136 .

5 - المصدر نفسه، ص 139.

لقد قام الوزاني بدراسة تحليلية لهذا النظام. فعلى المستوى القانوني قام بشبه مرافعة ضده أدت به إلى إصدار أحكام عبرت عن يأس صاحبها¹. وعلى المستوى الميداني كانت هذه المحاكمة مبررة بالمعطيات التي أفرزها هذا النظام في مختلف المجالات، فنظرته هذه وحكمه كانا مبررين بطبيعية المرحلة من جهة، و لغياب أية مبادرة فرنسية توحى بإمكانية حدوث تغير في هذه النظام من جهة أخرى، وإلى غاية أن يحدث هذا التغير بقيت الحماية في نظره "جناية على الأمة". في كونها ذلك "النظام السياسي الذي لا مثيل له في التشوه و في التفتت الذي يخفي أوحش و أشرس المغالاة في تسخير القوة لخدمة الإمبريالية الاستعمارية الحشمة الظالمة"². و عندما كان ليوتي يدعي أنه أنجز مهمة حضارية في بناء " المغرب العصري" و تبعه كل المقيمين العامون الذي جاءوا من بعده في نفس خطه، فإنما قاموا "بتقديم القبح الاستعماري في صورة مزيفة لكي يصدق شعب يوجد بلده و ثرواته محط الأطماع"³. ففرنسا حملت شعارات رنانة و قالت فيها بأن استعمارها للشعوب الأخرى كان بمثابة "مهمة حضارية". و لكن ما أكثر الجرائم الكبرى و أكثر الفظائع التي ترتكب باسم هذه الحضارة⁴.

لقد قام الوزاني في " عزلته الإجبارية " بتصور مشروع المجتمع المغربي بآفاق بعيدة زمنيا، وبصيغ تطبيقية لما بعد الحرب العالمية الثانية، متضمنا أولويات مست الممارسة السياسية بشكل رئيسي، وقد استمد هذا الاجتهاد من مصدرين حضاريين مختلفين، و حتى متناقضين في كثير من الأحيان. فتمسك بأصول الحكم في الإسلام بتطبيقاتها الميدانية عبر مختلف مراحل الدولة الإسلامية. منتقدا في نفس الوقت العديد من ممارساتها، التي اعتبرها خروجاً عن جوهر الحكم في الإسلام، ومبيناً النتائج السلبية لسوء فهم بعض المفاهيم الإسلامية كنظرية الحق الإلهي والخلافة و الملك والسلطة، والحرية، ليخرج في الأخير بحقيقة الحكم في الإسلام⁵. إلا أنه رأى أن هذه الشرعية التاريخية الحضارية للممارسة السياسية

¹ - محمد حسن الوزاني، الحماية جنائية ، مصدر سابق ، ص ، 127 .

² - المصدر نفسه،، ص22.

³ - المصدر نفسه،، ص17.

⁴ - المصدر نفسه،، ص22.

⁵ - محمد حسن الوزاني، الإسلام والمجتمع، مصدر سابق، ص220.

يجب أن تُطعم بالآليات الغربية بتعويض المؤسسات التقليدية بأخرى غربية عصرية بمختلف مستوياتها و وظائفها لخدمة الصالح العام¹.

و في الوقت الذي كان فيه الوزاني يرسم المستقبل السياسي للمغرب، كان هذا الأخير يعيش على وقع تغيرات هامة ارتبطت بظروف الحرب العالمية الثانية بتطور العلاقات الدولية تمثلت في نزول الحلفاء في المغرب و الأثر الكبير الذي كان لهذا النزول على المغرب و المغاربة سلطانا و حركة وطنية. ثم ما أحدثه مؤتمر "الدار البيضاء" في جانفي 1943 من تأثيرات كبيرة على السلطان محمد بن يوسف. و لم تكن هذه التطورات لتترك الموقف المغربي في وضعية اللاحث مما يجري حوله و بداخله من أحداث، ولذلك تفاعل معها على عدة مستويات. و كان نتيجتها "بيان الاستقلال" في جانفي 1944. الذي انتقلت من خلاله الحركة الوطنية المغربية من سياق "الإصلاح" إلى سياق "الاستقلال". فتصاعد تيارا وطنيا بشكل مفاجئ غير منتظر سواء من حيث لائحته التي كان عنوانها "الاستقلال"، أو من حيث متزعمه الذي كان السلطان محمد بن يوسف الذي لم يهتم باحتجاج فرنسا على تجاوزه لما حددته له معاهدة الحماية لسنة 1912². فقد صمم على أنه سيكون له دورا رئيسيا في المغرب. و قد انتهى كل ذلك بأحداث نهاية شهر جانفي 1944 التي نقلت المغرب و المغاربة إلى مرحلة جديدة من جميع الجوانب. و قد ظهرت الكثير من ملامحها في "ميثاق الاستقلال القومي" لسنة 1946³.

وبغض النظر عن نتائج هذه الأحداث، و تأثيراتها على النشاط الوطني لما بعد الحرب فإن أهم ما يمكن التوصل إليه، هو أن الموقف المغربي منذ نزول الحلفاء في المغرب و شمال أفريقيا، والذي تفاعل معه الوزاني أثناء منفاه و حتى بعد عودته منه، لم يعد هو نفسه الذي

¹ - محمد حسن الوزاني، الإسلام والمجتمع، مصدر سابق، ص 220.

² - اعتبرت فرنسا لقاء الرئيس الأمريكي بمحمد بن يوسف خرقا لمعاهدة الحماية الفرنسية لسنة 1912 لأنه جاء في بند من بنودها أن لا حق للسلطان بإجراء أي اتصال دبلوماسي إلا برضا المقيم العام و بواسطته، في حين لم يستشر المقيم العام في المرتين و أكثر من ذلك استثنى من حضور اللقاء الثاني الذي تم في 22 جانفي 1943. و قد رفض الجنرال ذلك بشدة في خطاب له في مدينة قسنطينة في 12 ديسمبر 1943 مثمنا دور شمال أفريقيا في نهضة فرنسا ومعتبرا أن الدور الفرنسي في هذه المنطقة لا يمكن لأحد

المساس به. أنظر، Berramdane, Abdelkhaleq, *Le Maroc et l'Occident*, op.cit, p 53.

³ - لقد تم التطرق لكل هذه الأحداث و تأثيراتها المختلفة و قد جاء ذكرها هنا للضرورة المنهجية حتى نقوم بربط تأثير هذه الأحداث على صدور "ميثاق الاستقلال القومي"

كان موجودا في الثلاثينات عندما كان الوطنيون المغاربة لوحدهم يتحكمون في النشاط الوطني التحرري و يحددون أولوياته وبرامجه ولوائحه. و إذا كان هؤلاء الوطنيون قد سعوا آنذاك بكل جهودهم لجلب المؤسسة السلطانية لممارسة النشاط الوطني، فإنها بعد الحرب وجدت نفسها أمام إصرار السلطان محمد بن يوسف على التحول إلى طرف فاعل في المطالبة بحق الشعب المغربي في استرجاع سيادته، واستعادة حق عائلة الأشراف العلويين في ممارسة الحكم كاملا غير منقوص. وهذا ما ظهر بشكل صريح واستعراضي في خطابه في مدينة طنجة في 09 أبريل 1947¹. وفي عدد آخر من المحطات التاريخية للحركة الوطنية المغربية بعد الحرب. لذلك ظهر أن " ميثاق الاستقلال القومي " أخذ هذا المعطى الجديد بعين الاعتبار. فقد كادت كل بنوده العشرة أن تتضمن إشارة إلى الدور المنتظر لهذه المؤسسة².

وإذا كانت التغيرات التي عرفها الموقف المغربي حاضرة عند الإعلان عن "ميثاق الاستقلال القومي" و تأسيس "حزب الشورى والاستقلال"، في جويلية 1946، فإن التحولات التي تميز بها الموقف الفرنسي من المغرب بعد الحرب كان لها هي الأخرى تأثيراتها المباشرة عليه. لأنه لم يكن تبني الاستقلال نتيجة تطور " الحركة القومية المغربية" فقط، و لكنه كان كذلك للسياسة الفرنسية الأثر الكبير في ذلك. فقد أدت الإجراءات المتخذة بعد أحداث نهاية سنة 1937 إلى نتائج "ملموسة ومرضية" بالنسبة لباريس، فظهر المغرب عشية الحرب هادئا، وحث السلطان الشعب المغربي على التعاون مع فرنسا في هذه الحرب، وتضمن بيان السلطان الذي قرأ في جميع المساجد فضائلها في تحويل المغرب من وضعية بدائية إلى ما أصبح عليه من رقي، و لذلك وجب الوقوف إلى جانبها³. و قد اعتبر سبيلمان أن هدوء المغرب عشية الحرب كان من ثمار سياسة المقيم العام الجنرال نوجيس⁴. فعندما اندلعت أولى الأعمال العسكرية للحرب العالمية الثانية كان المغرب هادئا و لصالح فرنسا⁵. و حتى

¹ - سينم التطرق بالتفصيل لهذه المخططة في الفصل السابع.

² - جاء ذكر السلطان كمكانة أو كممارسة لدور من الأدوار في عدة بنود. الملحق رقم 11

³ - Georges Spillmann, *Du protectorat*, op.cit. , p93.

⁴ -ibid.

⁵ - تم التطرق لكل هذه المعطيات المتعلقة بالحرب العالمية الثانية و تأثيرها على المغرب. وجاء ذكرها هنا للضرورة المنهجية أكثر منها المعرفية.

تتأكد حكومة ديغول من بقاءه كذلك عينت "غابريال بيو" مقيما عاما جديدا الذي كانت سياسته تهدف لتذكير المغاربة، وعلى رأسهم السلطان، بوضع المغرب "القانوني" الخاضع لأحكام معاهد الحماية لسنة 1912¹، و بالتالي فإن الاستقلال فكرة تتعارض مع الارتباطات القائمة، ولا يمكن لفرنسا أن تتخلى عن "قلعة عظمتها"². و قد ظهر كل ذلك في القمع الفرنسي الوحشي للمغاربة في مختلف المدن في جانفي 1944. فقد كان دلالة على أن هناك قطيعة قد حدثت بين الطرفين. و قد عبرت مدينة "فاس الشهيذة" عنها بكل وضوح³. و قد عبر الميثاق القومي عن هذه القطيعة بتبنيه لفكرة الاستقلال. لأن التعايش مع فرنسا أصبح مستحيلا. فقد "تمسكت بسياستها الرجعية العيقة التي قام البرهان القاطع على فشلها، و أدت إلى أخطر النتائج في البلاد التي كانت تعاني ويلاتها"⁴.

و في مارس 1944 أصدر "بيو" إصلاحات في شكل لائحة جاءت نتيجة دراسات قامت بها أربعة لجان مست مجالات مختلفة، مثل الإدارة، والتعليم، والعدالة والاقتصاد، الفلاحة و الريف وكان الغرض المعلن منها تحسين مستوى هذه القطاعات، إلا أن هذه الإصلاحات جاءت كمولود ميت لأن الأوضاع كانت تتطلب أكثر من مجرد تشكيل لجان و القيام بدراسات، فزيارة السلطان محمد بن يوسف إلى الجنوب المغربي في مطلع سنة 1945 أكدت أنه يمكن التأريخ لعهد جديد ابتداء من جانفي 1943⁵. من أهم ملامحه فقدان نظام الحماية للكثير من مصداقيته. فقد ظهر جليا أن الحل الوحيد لـ "القضية المغربية" هو الاستقلال. الذي جاء صراحة في أول مادة من مواد "ميثاق الاستقلال القومي" الذي تبناه حزب الشورى و الاستقلال كمرجعية أساسية لنشاطه. و قد كان الأمر كذلك في كل الأقطار التي كانت مستعمرة فغير بعيد عن المغرب كانت الجزائر بعد محطة 08 ماي 1945 تتجه نحو الفكرة الاستقلالية كحل وحيد للقضية الجزائرية. و لذلك انتهت مبادرة "بيو" بفشل ذريع، و أصبحت تنحيته من منصبه نقطة رئيسية من اللائحة التي حملها محمد الخامس إلى باريس في جوان 1945. و قد

¹ - *Reformes administratives, réorganisation des services politiques du protectorat et du Maghzen central*, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO /118 oct.1944 – déc. 1949.

² - تسمية "غابريال بيو للمغرب في ندوة صحفية بتاريخ 23 /12/ 1944 أنظر، *Le Tourneau, Roger, Evolution, op.cit, p 207.*

³ - تم النظر لهذا القمع سابقا.

⁴ - مما جاء في الرسالة التي أرسلها الشوريون إلى السلطان المغربي محمد بن يوسف بعد انتهاء أشغال المؤتمر التأسيسي لـ "ميثاق الاستقلال القومي" وتأسيس "حزب الشورى والاستقلال" أنظر، عز العرب محمد حسن الوزاني، حديثي والذي مصدر سابق، ص، 21.

⁵ - *Stéphane Bernard, le Conflit Franco-Marocain T1, op.cit., p39.*

تم ذلك في مارس 1946 عندما عينت فرنسا "إريك لابون"، كمقيم عام ثامن في المغرب و أبعد "غابريال بيو" الذي دفع ثمن تغيير فرنسا لسياستها بعد الحرب وتم "التضحية به لإرضاء رغبة السلطان الملحة"¹.

وبتعيين "إريك لابون" الذي رحب به السلطان محمد بن يوسف لعلاقته القديمة به. فقد عرفت السياسة الفرنسية تغيرات كان لها تأثير مباشر على الحركة الوطنية. فقد أرادت إعطاء انطباع بأنها أدركت التطورات التي عرفها الموقف المغربي منذ سنة 1942، وكذلك لما شهدته العالم من تغيرات سياسية، ولما عرفته المستعمرات من تغيرات جذرية. فظهرت استفادة المغرب من كل هذا سواء على مستوى وضعه العام، أو على مستوى الحركة الوطنية التي استرجعت نشاطها بشكل تدريجي مستفيدة من إجراءات التهدئة التي قام بها "لابون"، بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين و قد كان من بينهم الوزاني². والسماح بإنشاء الأحزاب وإصدار الصحف، مع الشروع في تطبيق مشروعه الإصلاحى الذي قدمه أمام مجلس الحكومة بتاريخ 22 جويلية 1946 في شكل إصلاحات اقتصادية وتربوية وإدارية واجتماعية³.

في هذا المناخ الداخلى المغربى/ الفرنسى الجديد أعلن "الشوريون" في 30 جويلية 1946 عن "ميثاق الاستقلال القومى" الذي كانت مضامينه كلها استجابة لهذه التغيرات التي عرفها الموقف المغربى. خاصة من حيث المراجعة الجذرية التي قام بها الوزاني لمنظومته الفكرية، و لمساره في الحركة الوطنية المغربية. و أدت به للخروج بتلك الثنائية التي ربطت بين "الدستور و الاستقلال" بشكل عضوي. فلا يمكن لأحدهما أن يتحقق دون الآخر. ولم يكن ذلك من حيث المبدأ فقط بل حتى من حيث إجرائية تنفيذه ميدانيا⁴. و لتنفيذ هذا الميثاق و تحويله إلى ممارسة وطنية تم تأسيس " حزب الشورى و الاستقلال" في نفس اليوم.

¹ - Robert Montagne, *Révolution au Maroc*, op.cit., p200.

² - *Nationalistes Marocains ; Mise En Liberté D'Allal El-Fassi, el Ouazzani Et Ahmed Balafredj*, (Juin 1946) . Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris ,24QO/65

³ - سيتم التطرق لإصلاحات "لابون" في الفصل السابع "الزيارة السلطانية لمدينة طنجة"

⁴ - تمثل ذلك من خلال مذكرة 23 سبتمبر 1947 التي سيتم التطرق إليها لاحقا

1 - 3 العوامل الخارجية للتحويل :

لقد تفاعل الوزاني مع مجموعة الظروف الداخلية فتأثر بها و أثر فيها، و أثر فيها و ظهر ذلك عند تقييمه لمسيرة الحركة الوطنية المغربية أثناء وحدتها و بعد انقسامها. و كان تأثيره كبيرا بدخول السلطان في المعادلة الوطنية التحررية. و قد كان ذلك بالنسبة له من أكبر مكاسب الحركة الوطنية المغربية. و قد سعى إلى ذلك من قبل سواء في أكتوبر 1933 عندما كان من وراء ترسيم " عيد العرش ". أو في ماي 1934 عندما حول السلطان إلى زعيم وطني في مدينة فاس¹. كما تأثر بالتقلبات التي عرفت السياسة الفرنسية المغربية فانتقل من رغبة شديدة للاستفادة من منظومة الحماية مبررا ذلك بمرجعيتها القانونية. إلى رافض لها معتبرا إياها شكل من أشكال الاستعمار الذي لا يقل خطورة عن الأشكال الأخرى.

إلا أن هذه العوامل الداخلية لم تكن لوحدها من وراء صدور "ميثاق الاستقلال القومي" فقد تأثر المغرب كثيرا بالظروف الدولية منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية بمختلف الأشكال. فنظرا لوضعية الشمال المغربي فقد كان محل دعاية محورية كثيفة حاولت استقطابه و تحويله إلى قلعة "نازية" في أفريقيا. و ابتداء من نوفمبر 1942 هبت رياح دولية أخرى و معاكسة للأولى. فقد أصبح هذه المرة هدفا لمناورات كتلة الحلفاء التي جعلت منه قاعدة لتحرير أوروبا من الأنظمة الشمولية. و بالرغم من أن هذه الرياح لم يكن معني بها، و لكنه لم يكن باستطاعته أن يبقى معزولا عنها. فقد تأثر بها بشكل غير متوقع من طرف أي أحد. و حتى من طرف الحلفاء أنفسهم.

و بالرغم من "التدخل المأساوي" لحكومة فرنسا الحرة للحد من تأثير هذه المتغيرات الدولية على الحركة الوطنية المغربية. فإن الجمهورية الفرنسية الرابعة لم تستطع إبعاد المغرب، و كل المستعمرات الفرنسية، عن التغيرات الجذرية التي عرفها العالم بعد الحرب العالمية الثانية. فقد تابعت هذه المستعمرات تلك التطورات النوعية التي عرفت المستعمرات البريطانية بعد الحرب و تأثرت بها كثيرا. ولم يكن باستطاعة باريس أن تبقى غير معنية بالأوضاع الدولية الجديدة. فقد تغيرت موازين القوى جذريا، وساهم ذلك في تغيير الثقافة النضالية للحركات الوطنية التحررية. و ظهر ذلك في تفاعل " القوميون " وعلى رأسهم محمد

¹ - تم التطرق لذلك سابقا في عنصر " الحركة الوطنية الصحفية "

حسن الوزاني مع هذا الوضع الدولي الجديد، عند إعلانهم عن "ميثاق الاستقلال القومي" و تأسيسهم "حزب الشورى والاستقلال".

لقد دخل العالم منذ ماي 1945 في مرحلة جديدة من العلاقات الدولية اختلفت عن سابقتها بانتقاله إلى السلم، وسقوط التحالف الكبير. وبدأت الدول المنتصرة عسكريا تسعى لتأكيد هذا بانتصار سياسي بتطبيق مبدأ "سياسة ملء الفراغ". فقد شهد عالم ما بعد الحرب صراعا على مناطق النفوذ بين القوى الجديدة التي أصبحت تتحكم فيه، بعد تراجع القوى التقليدية وضعف قبضتها على المناطق الجيوستراتيجية في العالم، وفي حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة، أين ظهرت القضية المغربية على أنها من أهم عناصر "مسألة البحر الأبيض المتوسط"¹. وبشكل أكثر حدة عما كانت عليه في السابق نظرا لتغير الأطراف المتحكمة فيها بعد تراجع إيطاليا نهائيا. فقد أصبحت فرنسا مجبرة للدفاع عن مكانتها المتوسطية، ومسايرة أطماع العالم الجديد الذي خرج هذه المرة من عزلته نهائيا واعتبر نفسه وريث العالم الغربي وبالتالي أصبح الدفاع عن أوروبا بالنسبة إليه مهمة تاريخية حضارية، وأصبحت مصالحه من ضمن مسألة البحر الأبيض المتوسط. ومن جهة أخرى اعتبرت شعوب المستعمرات أن مشاركتها في الحرب و تأثرها بها على أكثر من مستوى، تستوجب استفادتهم من نتائجها و بصورة خاصة ما يرتبط بتغيير قانونها الأساسي. فقد كتب الوزاني من منفاه منذ نهاية 1945 إلى أعضاء الحركة القومية وطلب منهم "المناداة بالاستقلال عملا بالمبدأ الحق الاستقلال يؤخذ و لا يعطى، و أن ينهضوا بالعمل مع غيرهم من دعاة الاستقلال في إتحاد سياسي و إجماع وطني لا يشذ عنه احد من المخلصين الأوفياء، لأن الاستقلال أصبح قدر المغاربة و لا يمكن للحذر أن يدفع حكم القدر"².

و ما زاد هذا المطلب شرعية تدعيم الوضع الدولي الجديد بآليات أممية وإقليمية وقومية لدعم الشعوب المستعمرة، و لترسيخ العدالة لكافة شعوب العالم، فقد نص ميثاق الأمم المتحدة صراحة على حق الشعوب في تقرير مصيرها، واعتبره الأساس الذي يجب أن تقوم عليه العلاقات الودية بين الدول³. كما نص على مبدأ تساوي الشعوب في الحقوق

¹ - رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين، مرجع سابق، ص، 423.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج، 6، مصدر سابق، ص 211..

³ - عمر إسماعيل سعد الله، تقرير المصير السياسي للشعوب في القانون الدولي المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 84.

السياسية، واعتبر هذا واحدا من التدابير المناسبة لتعزيز السلم العالمي، و بالتالي فإذا منع شعب من الشعوب من ممارسة هذا الحق سيشكل ذلك تهديدا للسلم والأمن العالميين وجاء في نفس الميثاق أن الاعتراف بحقوق الإنسان والحريات الأساسية للجميع، من شأنه أن يهيئ للاستقرار والرفاهية الضرورين لقيام علاقات سلمية وودية بين الأمم. وفي خلق نظام اجتماعي مستقر على كل الأصعدة الوطنية والإقليمية والدولية¹. إلا أن مصالح الدول الاستعمارية المتجددة بعد الحرب العالمية الثانية اقتضت قراءة أخرى لبنود هذا الميثاق و تأويلات غير التي فهمتها الشعوب المستعمرة (بفتح الميم)، و من نتائج ذلك أن أصبح هذا الحق مرادفا للحكم الذاتي والتعاون للحيلولة دون تمكين هذه الشعوب من استرجاع سيادتها، لضمان تواصل الظاهرة الاستعمارية بجميع أشكالها ومظاهرها بوسائل أخرى، وهذا ما عبر عنه الجنرال ديغول لمحمد الخامس، في جوان 1945 بعد زيارة هذا الأخير لباريس².

كما شكل ميلاد الجامعة العربية في 22 مارس 1945، كهيئة قومية تحررية، حدثا هاما بالنسبة للحركة الوطنية المغربية فقد نص ميثاقها على أنه من أهدافها تحرير سائر الأقطار العربية من السيطرة الأجنبية ولذلك استطاعت عند تأسيسها استقطاب عدد من الشباب المغربي الذي كان متواجدا في القاهرة للدراسة. و اعتبرت في المغرب بادرة خير و"حدثا عظيما في سعادة الإسلام و المغرب خاصة"³، وهذا ما جعلها هدفا للمضايقات الفرنسية بمنع جرائدها و منشوراتها من الدخول إلى المغرب حتى لا تتسرب أخبارها، و بالتالي الحد من تأثير هذا المنبر على وضعها في المغرب، بعد ضمان صمت "منبر نيويورك" بعدم تدخله في القضايا الاستعمارية الفرنسية.

و بالرغم من القراءة السلبية التي قام بها الوزاني للمعطيات الدولية قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية. لأنها لم تكن في صالح الشعوب المستعمرة. فمؤتمر "سان فرانسيسكو" في أكتوبر 1944 لم يقرر مصير أي شعب. ولم يكن من اختصاصه تسوية قضايا الشعوب

¹ - عمر إسماعيل سعد الله، تقرير المصير السياسي للشعوب، مرجع سابق. ص 85.

² - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p189.

³ - من كلمات السلطان محمد الخامس أثناء خطابه بمراكش في مارس 1945 أنظر، قاسم الزهيري، محمد الخامس، الملك البطل قصة جهاد، دار النشر التقنية لشمال إفريقيا، الرباط، 1984، ص 178.

المستعمرة¹. و لذلك لم يكن لطلب الوطنيين المغاربة للمشاركة في هذا المؤتمر أي استجابة² فإنه قام باقتراح صيغة سياسية عملية لاستفادة القضية المغربية من هذه الظروف الدولية مباشرة بعد نهاية الحرب. و التحول من " المطالبة بالاستقلال " إلى " الإعلان عن الاستقلال " باسم الشعب كما فعلت الحركة الوطنية في سوريا و لبنان³. و يتم ذلك عن طريق إثارة القضية المغربية ضمن معركة جديدة تشن على نظام الحماية في الداخل والخارج لإقناع الدول الكبرى بوجود هذه المشكلة، و تقديمها على أنها تكتسي من الأهمية ما يجعلها جديرة بالطرح ضمن المشاكل الدولية، و حتى تجلب الانتباه و تطرح نفسها للتسوية في المؤتمر الذي من المفروض انعقاده في لندن في جويلية 1945 لحل مشاكل عالم ما بعد الحرب⁴.

و لتحقيق هذا وضع الوزاني خطة إجرائية ميدانية تبدأ بإلغاء الحماية وإعلان استقلال المغرب، ثم السعي للاعتراف به دوليا عن طريق الجامعة العربية، بنفس الكيفية التي جرت في المشرق. فقد اقتضت مصلحة انكلترا تأييد مساعي الأمتين السورية واللبنانية في سبيل الحرية والاستقلال صراحة⁵. و ممكن جدا أن يحدث ذلك لصالح المغرب. لأن الظروف الدولية مواتية ووضعية فرنسا منهارة، واستعداد الحلفاء متوفر، بخلاف ما كان عليه الأمر وقت المطالبة بالاستقلال في جانفي 1944⁶. و فرنسا ليست مطلقة اليد في المغرب من الوجهة الدبلوماسية و يمكن لدول مؤتمر الجزيرة التدخل من جديد إذا تحرك المغرب. وما يلفت الانتباه أن أمريكا بدأت تهتم بنظام معاهدة الجزيرة⁷. لذلك يجب اغتنام هذا الظرف قبل أن تتمكن فرنسا من الخروج من سوء وضعيتها و تتمكن من تنظيم دولتها وتسوية مشاكلها مع الحلفاء⁸.

¹ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج، 06 (مصدر سابق) ص 183.

² - *Requête des Nationalistes Marocains, Participation au Conférence internationales, ADLC, séries Maroc 1944* 1955, 24QO/65, Nationalistes Marocains Nov. 1944.juin 194

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج، 06 (مصدر سابق) ص 197..

⁴ - المصدر نفسه، ص، 204.

⁵ - المصدر نفسه، ص، 203.

⁶ - المصدر نفسه، ص، 199.

⁷ - المصدر نفسه، ص، 203.

⁸ - يعتبر هذا مقتطفات من الرسالة التي بعث بها الوزاني من منفاه إلى أعضاء "الحركة القومية" في جويلية 1945 يحثهم فيها على استغلال الظرف الدولي المناسب لتسوية المشكلة المغربية الذي تميز بالتباين الذي كان سائدا بين فرنسا من جهة و انكلترا و

لقد ظهر الوزاني، ومن منفاه، أنه كان متفهماً بدقة لمتغيرات الوضع الدولي عشية انتهاء الحرب العالمية الثانية، من خلال إدراكه للمصالح المتناقضة للأطراف المتحكمة في عالم ما بعد الحرب عامة. وفي حوض البحر الأبيض المتوسط خاصة، كما اقترح الصيغة العملية التي يمكن تطبيقها حتى يمكن الاستفادة من هذه الوضعية الدقيقة والمؤقتة. ولكن ظهر أن الحركة الوطنية المغربية بجميع اتجاهاتها كانت تحت وقع تبعات الإجراءات الفرنسية الردعية للحركة التي تمت في جاتفي 1944، لذلك لم تستطع أن تتفاعل مع هذه الوضعية الدولية بالسرعة والتصميم والثقة والثبات والاستعداد للتضحية كما طلب هو في رسالته وبالتالي فوتت الفرصة على المغرب إمكانية تغيير وضعيته على طريقة سوريا ولبنان.

و قد ظهر الوزاني بعد إطلاق سراحه سنة 1946 أنه أراد استدراك هذه الاستفادة من المتغيرات التي عرفها الموقف الدولي بعد الحرب، ولكن ليس بنفس النظرة و بنفس الصيغة التي كانت في جويلية 1945. فلقد اتضح أن موقف بريطانيا من المغرب اختلف عن موقفها من لبنان وسوريا، فمكانة الشرق الأوسط في السياسة التقليدية البريطانية جعلت منه منطقة ذات بعد إستراتيجي بالنسبة لها، ولذلك وجب الحد من النفوذ الفرنسي فيها، أما فيما يخص شمال أفريقيا فبريطانيا احترمت دائما الوفاق الذي تفاوض بشأنه وزير خارجية فرنسا "تيوفيل دلكاسي" *Théophile Delcassé* منذ بداية القرن العشرين و انتهى باتفاقية سنة 1904¹. ومنذ ذلك التاريخ احترمت لندن دائما شرعية الوجود الفرنسي في هذه المنطقة، و في المغرب بصورة خاصة². أما موقف الولايات المتحدة الأمريكية، وبالرغم ما قامت به الحركة الوطنية المغربية من محاولات لاستقطاب الدعم الأمريكي من خلال ما قام به مهدي بن نونة من نشاط في

أمريكا من جهة ثانية حول سوريا و لبنان، مما أدى إلى اقتراح عقد مؤتمر في لندن اختلف في جدول أعماله والمدعويين إليه، ففرنسا كانت تريده لكل قضايا الشرق الأوسط بما في ذلك فلسطين والأردن، والحاضرون هم خمسة بإضافة الاتحاد السوفيتي والصين، أما بريطانيا وأمريكا فكانت تريده محصورا في ثلاثة أعضاء ودراسة قضية واحدة هي سوريا ولبنان، وبغض النظر عن هذا الاختلاف فإن الوزاني اعتبره فرصة لتسوية المشكلة المغربية سواء أكان ثلاثيا أو خماسيا، أو لدراسة كل القضايا العربية أو قضية دون أخرى، وقد أرفقت الرسالتين بوثقتين تحليليتين للموقف المغربي و التحولات الدولية تحت عنوان: "المسألة المغربية ودبلوماسية الدول الكبرى" و "الخطوة الحاسمة للمناداة بالاستقلال عملا بالمبدأ الحق: الاستقلال يؤخذ و لا يعطى". أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج، 06 (مصدر سابق) ص 198-212.

¹ - Ministère française des affaires étrangères, Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1901 – 1905, op.cit.

² - Georges, Spillmann, Du protectorat, op.cit, p 112.

نيويورك من أجل "الأزمة المغربية"¹. فقد ظهر فيما بعد أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تجعل من المغرب العربي منطقة ذات أولوية بالنسبة لسياستها الخارجية رغم الدعاية الكبيرة التي قام بها "مكتب المغرب العربي" في نيويورك منذ جوان 1947 من أجل تحقيق الاستقلال واستمالة الرأي العام الأمريكي لقضايا المغرب العربي². حيث انشغلت بالقضايا الأوروبية والآسيوية في إطار الحرب الباردة. و لكل هذه الأسباب قام الوزاني بإعادة ترتيب أولويات نضاله الوطني، وأعطى للنضال الداخلي مكانة إستراتيجية و للدور الخارجي حجما محدودا كان يراه مناسباً لتدعيم النضال الوطني بصورة عامة. و ذلك تبعا لدراسته لـ " المسألة السياسية المغربية و دبلوماسية الدول العظمى"³.

لقد كانت الظروف الخارجية عاملا مؤثرا في إصدار "ميثاق الاستقلال القومي" فمنذ أن أصبح المغرب قضية دولية خلال الحرب العالمية الثانية كان " القوميون" يستغلون كل الفرص لاستغلال هذه الظروف لصالح مبدأ " الاستقلال ". و بالرغم من ملابسات و ظروف بيان 11 جانفي 1944، إلا أن حرصهم على التواجد في هذا الموعد بطريقة و إجراءات من اختيارهم غير مفروضة عليهم من طرف أي أحد جعلهم يصدرن "بيانا قوميا استقلاليا" قدمه وفدا للحركة القومية بتاريخ 13 جانفي 1944 بنفس مواصفات "البيان الاستقلالي" الصادر في 11 جانفي 1944 من حيث الشكل بتقديمه للجهات الأربعة المعنية وهي السلطان والإقامة العامة وقنصلي أمريكا وإنكلترا. و من حيث المضمون بوجود نفس البنود التي جاءت في بيان الاستقلال الأول⁴. و قد كان الوزاني من منفاه يتابع كل هذه التطورات الدولية و سعى لتحويلها لصالح استقلال المغرب. بالقيام بـ " انتفاضة معنوية و سياسية من الأمة المغربية لا ثورة مسلحة و لا فتنة داخلية"⁵.

إلا أن حرص الوزاني على استغلال الظرف الخارجي للقضية المغربية ارتبط بما كان العالم يعرفه من تحول في موازين القوى. و ذلك باستغلال التناقضات التي كانت قائمة بين

¹ - *Nationalistes Marocains: Activités nationalistes à New York (Mahdi Benouna), Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/66, Nationalistes Marocains, juillet 1947 – déc. 1949.*

² - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص، 567.

³ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج، 6، مصدر سابق ، ص 213..

⁴ - عبد الهادي بوطالب، ذكريات، شهادات، مصدر سابق.

⁵ - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج، 6، مصدر سابق ، ص 207..

مختلف الأطراف المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. و لكن بعد أن اتضح التوجهات الكبرى لهذه القوى، فإن الوزاني لم يعد يعتبر العامل الخارجي مهما في المعادلة المغربية. وعند إصدار الميثاق ظهر أن "الشوريين" تأثروا بالظروف الدولية و من الخريطة السياسية، و موازين القوى وغيرها من المعطيات الخارجية للأزمة المغربية. فقد تضمن هذا العديد من البنود التي جعلت من التفاعل الخارجي معه شرطا لنجاحه. من خلال "إلغاء نظام الامتيازات الأجنبية الذي أصبح ينافي روح العصر و شروط المغرب الحر"¹. وانضمام المغرب للجامعة العربية الذي يوجب تضامن المغرب مع جميع الدول العربية². و إعتبار انخراط المغرب في المجتمع الدولي من خلال هيئة الأمم المتحدة مسألة ضرورية لا تنتظر تخلصه التام من القيود المفروضة على سيادته بسبب الاحتلال و الامتيازات الأجنبية³.

لقد عاد الوزاني من منفاه بتصور شامل وواضح لمشروع وطني جديد. أخذ بعين الاعتبار المتغيرات الداخلية و الخارجية على حد سواء. فقد كان الاستقلال عنوانا أساسيا للبرنامج السياسي القومي التحرري من خلال "ميثاق الاستقلال القومي". و من خلال الحزب الذي تم تأسيسه لتطبيق هذا البرنامج تحت اسم "حزب الشورى والاستقلال"

¹ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مصدر سابق، ص، 18.

² - المصدر نفسه، ص، 18.

³ - المصدر نفسه، ص، 19.

2 . البرنامج الشوري : ميثاق الاستقلال القومي

يعتبر "ميثاق الاستقلال القومي" أول وثيقة سياسية تبناها حزب الشورى و الاستقلال مباشرة بعد تأسيسه فأصبحت البرنامج القاعدي له، ومرجعته السياسية الأولية، ليتم تدعيمها فيما بعد بوثائق سياسية أخرى بغرض التفاعل مع مختلف الوضعيات التي عرفها المغرب عامة والحركة الوطنية خاصة. وجاء هذا البرنامج في صيغة نص قانوني تطرق لمختلف القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كما تناولت العلاقات الداخلية والخارجية للمغرب المستقل¹.

تضمن هذا البرنامج الأولي عشرة بنود يمكن قراءتها على أنها مبادئ دستورية، في نفس الوقت مطالب مست مختلف الجوانب بدرجة متفاوتة. فغلب عليها الطابع السياسي نظرا لتركيز الحزب على مسألة استرجاع السيادة وبناء الدولة العصرية. و تمثلت أهم مضامينه في المطالبة باستقلال المغرب، مع ضرورة توحيدده بفعل انقسامه إلى ثلاثة مناطق شمالية خاضعة للاستعمار الإسباني، وجنوبية للاستعمار الفرنسي، ومدينة طنجة الخاضعة للنظام الدولي². والتمسك بـ "الملكية الدستورية"³. و تشكيل حكومة تتمتع بثقة الأمة، ولها حرية التصرف، حتى تستطيع قيادة المغرب إلى تقرير مصيره، و تقوم هذه الحكومة بسياسة إصلاحية للكيان الاجتماعي المغربي من جميع النواحي مثل تنظيم التعليم بجعله مجانيا وإجباريا لصالح جميع المغاربة بدون تمييز بين الذكور والإناث. و تزويد الفلاحين والعمال بنظام اجتماعي واقتصادي لحماية مصالحهم. وإصدار دستور خاص بالمغرب، و يعتبر هذا البند في تلك الظروف بمثابة "ثورة سياسية" في ثقافة الحركة الوطنية ككل، لأنه سعى لإعطاء مضمونا للسيادة التي كان يريد لها للمغرب، و تميز بذلك عن "حزب الاستقلال" الذي لم يتبنى أي مضمون سياسي واضح لمطلب الاستقلال⁴.

¹ - ليس الغرض من هذا العنصر التفصيل في كل مضامين الميثاق حسب مواده العشرة، و لكن الوقوف عند أهم مظاهره. خاصة و أننا سنتطرق بالتفصيل لشرح معادلة " الاستقلال و الدستور " ١. و لذلك تفادينا التكرار قدر المستطاع.

² - سيتم التطرق للقانون الأساسي لهذه المدينة و تطوراتها في الفصل السابع.

³ - سيشكل النظام الملكي من ثوابت المطالب السياسية لهذا الحزب و لكن بصيغة دستورية على الطريقة الإنكليزية، حيث يعتبر الملك رمز الوحدة الوطنية أكثر من رجل حكم... إلا أن هذا يعتبر من الأسباب الرئيسية للنظرة المتحفظة للمؤسسة الملكية ل محمد بن حسن الوزاني و حزبه في مرحلة ما بعد الاستقلال.

⁴ - Madani Mohamed, le mouvement national, op.cit, p, 67-68

و تصدر هذا الدستور المؤسسة الملكية المستمد من وثيقة "إعلان حقوق الإنسان و المواطن" التي أصدرتها الثورة الفرنسية سنة 1792. ويتخذ من النظام المؤسساتي النيابي الفرنسي نموذجا لبناء المؤسسات السياسية المغربية، وينظم السلطات الثلاث، ويضمن للمغاربة حقوقهم الأساسية المتمثلة في المساواة أمام القانون والحرية الفردية واحترام الممتلكات وحرية الرأي و حرية الاجتماع والجمعيات وحرية الصحافة ومنع الرقابة الوقائية و يحفظ الإسلام بصفته "دين الشعب المغربي ودولته"، و يرسم اللغة العربية "كلغة قومية ودينية" و يحفظ "حقوق وامتيازات العرش الشريف" في إطار نظام ملكي دستوري¹.

و لإعطاء مضمون فعلي لهذا الاستقلال جاء في هذه الوثيقة ضرورة "إلغاء نظام الامتيازات الأجنبية لأنه يتنافى مع روح العصر و يتناقض مع وضعية المغرب المستقل والحر كما يجب تعويض معاهدة الجزيرة لسنة 1906 بمعاهدة جديدة تضمن سيادة المغرب وتحمي مصالح الأجانب في المجال الاقتصادي والصناعي بشكل خاص، وتحترم أملاكهم، ويعتبر هذا من أعمال الحكومة المغربية التي تضمن كذلك للأقلية اليهودية نظاما قانونيا خاصا بها مستمدا من القواعد الإسلامية المرتبطة بكيفية التعامل مع "أهل الذمة" لأن الطبيعة الإسلامية والعربية لدولة الأشراف العلويين لا تسمح لهم أكثر من هذه الوضعية.

ونصت أول وثيقة مرجعية للشوريين على تفضيل التعاون مع فرنسا عن غيرها من الدول. في إطار معاهدة تحالف تضمن للمغرب وحدته السياسية و مصالحه الإقليمية والقومية وتحفظ المصالح المشروعة لفرنسا والأجانب، وتنص على كل الإجراءات التي يجب أن تتخذ في جميع الحالات سواء في السلم أو الحرب، حتى لا يكون المغرب محل ضغط مادي أو معنوي مع ترك باب تعديل هذه المعاهد مفتوحا لما تقتضيه الحوادث و الضرورات بدون أن يحدث على الأساس الذي قامت عليه، وهذا لتوطيد المودة و تنظيم العلاقة بين "المغرب الحر و فرنسا الديمقراطية". وحتى يكون لهذا الاستقلال معنى و وزن خارجيان جاء في هذا الميثاق ضرورة انخراط المغرب في هيئة الأمم المتحدة بدعم فرنسي قبل تخلصه نهائيا من كل القيود

¹ - " ميثاق الاستقلال القومي " الملحق رقم 11.

التي تحد من سيادته، و الانضمام إلى جامعة الدول العربية مع ما يقتضيه هذا الانخراط من تضامن و تفاعل مع القضايا العربية¹.

يظهر من خلال القراءة الخطية لوثيقة "ميثاق الاستقلال القومي" أن روحها هو المطالبة بالاستقلال وتأسيسه دستوريا بوثيقة تضمن المحتوى السيادي، حتى لا يبقى مجرد شعارات وبند من بنود لوائح وعرائض الحركة الوطنية، بدون أن تضمن هذه الأخيرة توضيحا للصيغ والآليات التي تجسده ميدانيا، وتبين طبيعة ممارساته في مختلف المجالات، كما جاء ذلك في وثيقة جانفي 1944 التي كانت محل ملاحظات شكلية وموضوعية من طرف الوزاني².

و من ومن خلال "مطلب الدستور" أعلن الشوريون عن مشروعهم السياسي المتمثل في "الملكية الدستورية الديمقراطية". و لكن هذه الملكية كانت لها قراءة خاصة بالشوريين. فعلى عكس الملكيات الدستورية الأخرى، فإن للملك المغربي في هذا الدستور الشوري دورا حاسما في الفصل في العديد من القضايا المحورية كتعيين الحكومة و إصدار الدستور، مما جعل منه المركز الوحيد للقرار السياسي بالرغم مما تملكه الحكومة من صلاحيات تنفيذية مثل تحقيق السيادة الكاملة للمغرب. و القيام بإصلاحات جذرية. ولكن تحت الإشراف السياسي المباشر للمؤسسة الملكية المنصوص عليه دستوريا و يعتبر هذا بحد ذاته غموضا وتناقضا بين قناعاتهم السياسية و وسائل تجسيدها ميدانيا. فحتى من الناحية الفعلية كيف يمكن الفصل بين الصلاحيات المطلقة التي أعطيت لمؤسسة السلطانية و بين المجال الذي تتحرك فيه هذه الحكومة³.

وظهر كذلك من خلال قراءة أول وثيقة مرجعية لهذا التيار، وبشكل ملفت للانتباه، موقفه من الجالية اليهودية، التي كانت من ضمن العناصر المكونة للمجتمع المغربي. فقد جاء في

¹ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 17، 18، 19، و يلاحظ أن هناك اختلافا بين النسخة العربية و الفرنسية لهذا الميثاق في بعض المواقع، ومن بينها ما يتعلق بوضع اليهود في الدولة المغربية المستقلة ففي النسخة العربية لم يرد أي ذكر له، في حين ورد ذكره في النسخة الفرنسية في المادة الثامنة، و موقع آخر حول تعويض معاهدة الجزيرة التي ورد ذكرها في النسخة الفرنسية في المادة الخامسة و لم يرد ذكرها في النسخة العربية..

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد. ج، 06، (مصدر سابق) ص 173.

³ - يمكن تفسير موقف الشوريين من السلطان بين كونه مرجعا سياسيا للحكم في المغرب، و بين اعتماد الملكية الدستورية التي يملك فيها الملك و لا يحكم. لقناعاتهم الراسخة بأنه بعد حوادث جانفي 1944 لا يمكن القيام بأي شيء بدون دور رئيسي للسلطان. أنظر،

El-houari, Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, op,cit,p243

أدبيات الحركة الوطنية منذ الثلاثينات أن اليهود المتواجدين في المغرب مواطنين اندمجوا في المجتمع المغربي، و تمتعوا بالضرورة بنفس الحقوق والواجبات التي تمتع بها المغاربة، وذلك حاولت استقطابهم للعمل السياسي بدون أن يحقق هذا أدنى نجاح¹. إلا أن موقعهم في "ميثاق الاستقلال القومي" كان "تحفظيا". فقد اعتبرهم من ضمن "الأجانب الكتابيين" الذين يخضعون إسلاميا لتشريع خاص بهم، فهم من "أهل الذمة" وبالتالي ليسوا بمواطنين، وقد عبر هذا الموقف عن تمسك محري "ميثاق الاستقلال القومي" بالبعد الإسلامي للهوية المغربية مع كل ما يطرحه من تساؤل حول إيمان الشوريين بالمفهوم الغربي للدولة، باعتناق أغليتهم لليبرالية الغربية².

لقد قدم "الشوريون" هذه الوثيقة إلى المؤسسة السلطانية مع رسالة تفسيرية لأسباب القيام بهذه المبادرة الوطنية التحررية في هذه الظروف. فقد جاء فيها خلفية تاريخية حول أوضاع المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية التي اعتبروها "سنوات سوداء قاسى فيها المغاربة ويلات الحرب و أهوالها"³. و بالنسبة لهم فإن مشاركة المغاربة لم تكن إرضاء لنظام الحماية أو لباريس ، و لكن كانت " تلبية للنداء التاريخي للسلطان ". و عندما كان المغاربة ينتظرون " إنجاز الوعود و بر كلمة الشرف"، نظرا لما قدموه من تضحيات كبيرة خلال هذه الحرب. فإن ذلك لم يحدث. فقد اعتبرت الحكومة الفرنسية الجنود المغاربة الذين أريق دماهم بمثابة " مأجورين"⁴. في حين فإن هذه الحكومة تجاوزت نظام الحماية كقانون أساسي للمغرب، و أظهرت طموحاتها في تحويل هذا النظام إلى "استيطان" من خلال تركيز قدم الاستعمار و الشروع في تنفيذ سياسة الإدماج و الحكم المباشر. في الوقت الذي عرف العالم

¹ - Roger Le Tourneau, *Evolution politique de l'Afrique du nord*, op.cit., 258.

² - ظهر في هذا الموقف الواضح من الجالية اليهودية نظرة الحزب المتأثرة بعدد من أعضائه الفاعلين خريجي القرويين أمثال محمد بن العربي العلوي الذي انضم إلى الحزب عندما كان يقوم بمحاولة توحيد الحركة الوطنية المغربية و تكوين جبهة وطنية من تيار الوزاني و تيار علال الفاسي، بطلب من الملك محمد الخامس، و طرح كذلك مفهوم الدولة عند الوزاني الذي بدا أنه يعتمد على البعد القومي و الديني، خاصة و أنه بقي يحافظ على هذا الموقف فيما بعد. أنظر،

El-houari ,Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, op,cit,p244

³ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي،(مصدر سابق) ، ص 20.

⁴ - المصدر نفسه ، ص ، 20.

تصاعد المد التحرري و يقظة الشعوب المستعمرة (بفتح الميم). فقد أصبح كل ما في الوجود يسعى لهدم كيان الاستعمار"¹.

لقد حرص "الشوريون" على إيصال المضمون الحقيقي لـ "ميثاق الاستقلال القومي" بشكل "صريح و شجاع" للسلطان على انه يهدف إلى "الاستقلال و ضمان المستقبل المجيد للمغرب". و كانت هذه أول إشارة صريحة موجهة للسلطان لتعريفه بطبيعة النظام السياسي الذي يريده الشوريون². فقد جاء في المادة الثانية لهذا الميثاق على أن الدستور الذي يريده هؤلاء للمغاربة "مستمد من النظام النيابي" و يهدف للحفاظ على "حقوق و امتيازات العرش الشريف و الملكية الدستورية المغربية". و قد كان ذلك بمثابة إعلان عن إصلاح سياسي عميق للدولة المغربية من خلال طرح إشكالية "السلطة السياسية" و علاقتها بالمغاربة عبر التاريخ³. فقد ظهر في هذا الجانب نتائج ما قام به الوزاني في منفاه من دراسة معمقة لحركة الإصلاح السياسي في الدولة العلوية الشريف، حتى وصل إلى دوافع و مبررات الإصلاح السياسي للدولة المغربية حتى أثناء خضوعها لنظام الحماية⁴. لقد كان هذا الميثاق مدخلا لتحويل السلطان إلى مؤسسة رمزية أكثر منها فعلية تملك قرار الحكم⁵. فإلى أي مدى أدرك حقيقة مكانته المستقبلية عبر هذا الميثاق؟. خاصة وأن هذا الطرح جاء في وقت كانت هذه المؤسسة في تصاعد مستمر بعد الدور المحوري الذي قام به السلطان في بيان الاستقلال في جانفي 1944. ثم حواراه مع الجنرال ديغول في باريس في جوان 1945 كـ "رئيس دولة" لأنه طرح مستقبل المغرب خارج "الإتحاد الفرنسي"⁶. و بالرغم من عدم وجود إجابة موثقة للسلطان على هذه الرسالة فإنه الأكيد أن المطالب الدستورية الشورية رفضت من طرف السلطان كما رفض من قبلها إشارة إلى "الملكية الدستورية" في بيان 11 جانفي 1944⁷ بالرغم من أن هناك من كان يطالب بربط الصلة بين المعركة من أجل الاستقلال و معركة الديمقراطية في

¹ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 20.

² - المصدر نفسه.

³ - محمد المسكي، التصورات السياسية في الخطاب السياسي عند محمد حسن الوزاني، مقارنة في الإشكالية و المفاهيم، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، عين الشق، الدار البيضاء 2002. ص 36.

⁴ - المرجع نفسه، ص، 42.

⁵ - سيتم التطرق لهذه القضية لاحقا في مكانة الدستور في التصورات السياسية "الشورية".

⁶ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit,p189.

⁷ - تم التطرق لهذه المسألة بالتفصيل سابقا في "مضمون بيان الاستقلال"

المغرب المستقل التي سيضمنها نظاما ملكيا دستوريا¹. و في جميع الأحوال فإن "المسألة الدستورية" لم يتم التوصل إلى حلها سواء أثناء فترة الحماية من خلال "ميثاق الاستقلال القومي"، ومذكرة 23 سبتمبر 1947². وكذلك بعد استقلال المغرب³.

وبالموازاة مع هذه الرسالة الموجهة إلى السلطان أصدر الحزب بلاغ المؤتمر للشعب المغربي تضمن تقريبا نفس المضامين التي وجهت للسلطان مع بعض التغيرات المنهجية التي تطلبتها الصيغة الإعلامية الحزبية العامة، باعتباره بياناً موجهاً للمغاربة عامة. فقد تم فيه كذلك التذكير بالدور المغربي في الحرب العالمية الثانية، فقد وصف هذا البيان العام مساهمة المغاربة في الحرب على أنها تمت بشجاعتهم و تضحياتهم، التي فرضت إعجاب كل الشعوب، في التمكين من أجل تحقيق المثل العليا المشتركة في العدالة و الحرية للإنسانية قاطبة⁴. و لكن ذلك لم يكن له صدى في باريس التي خيب موقفها آمال الشعب المغربي. و عوض أن يستفيد الشعب المغربي من حرية ضحى من أجلها، و "شهدت بذلك تونس و إيطاليا و كورسيكا و فرنسا و ألمانيا و النمسا"⁵، و ذلك بتمكينه من حقه في تقرير مصيره. تبين أن الحكومة الفرنسية لها رغبة "بتطوير" نظام الحماية و تحويله إلى استيطان عن طريق إصلاحات المقيم العام الجديد "غيريك لابون"، التي لم تأت لم تأت بأي جديد للمغاربة بكونها

¹ - شهادة نشرها عبد الرحيم بوعبيد في جريدة "الاتحاد الاشتراكي" بتاريخ 11 جانفي 1990 في: عثمان أشقرا، الوطنية و السلفية الجديدة، مرجع سابق ص 121.

² - سيتم التطرق لهذه المذكرة لاحقا.

³ - كان ذلك من أهم معالم الأزمة السياسية في المغرب بعد الاستقلال مسألة الدستور من حيث التوقيت و المضمون. فبالرغم لوعود التي جاءت في الخطب الملكية ببعث الاستقلال بقرب وضع دستور فإن ذلك لم يتم إلا بعد وفاة محمد الخامس الذي لم يكن متحمسا كثيرا لإصدار دستور. أنظر، محمد المسكي، التصورات السياسية في الخطاب السياسي عند محمد حسن الوزاني، مرجع سابق، ص، 56.

⁴ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 23.

⁵ - جاءت هذه الدول كدلالة على المناطق التي شاركت فيها الفرق المغربية في العمليات العسكرية للحرب العالمية الثانية. سواء في حملة تونس في سنة 1942 و 1943، أو حملة إيطاليا في ماي 1943. التي قادها الجنرال "جوان" و ذكر في مذكراته دور الفرقة المغربية في الدخول إلى إيطاليا. و الحملات التي جرت بالأراضي الألمانية و الفرنسية في السنوات الحاسمة للحرب في نهاية سنة 1944 و بداية 1945. أنظر، عبد الرزاق لكريط، مؤسسة الحماية الفرنسية، مرجع سابق، ص، 167 - 174.

سعت إلى تكريس الاحتلال الاستيطاني في المغرب¹. وأخيرا وصف البلاغ المرحلة التي يعيشها العالم على أنها حتمية تاريخية ولا يمكن لـ "منظري الفكر الاستعماري" إيقاف تيار الإعتاق السياسي الذي تشهده الإنسانية قاطبة، فهو بداية عهد جديد لجميع البلاد المغلوبة على أمرها، وعلى المغرب العمل بجميع ما لديه من وسائل حتى تراعى حقوقه في الحرية و الاستقلال التام².

أكدت الرسالة الموجهة للسلطان مجموعة من الحقائق عبرت عن طبيعة الممارسة السياسية التي كان "الشوريون" يريدونها، من خلال "ميثاق الاستقلال القومي". فقد كانت موجهة إلى المؤسسة الملكية دون غيرها من مراكز الحكم سواء في الرباط أو باريس لإعلامها عن "البرنامج الشوري" الجديد، وهو بمثابة إقرار من طرفهم لما أصبح لهذه المؤسسة من وزن في الساحة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية من جهة، ولأن روح هذا في هذا الميثاق كان موجهها بصورة مباشرة للمؤسسة السلطانية من خلال مسألة الإصلاح السياسي" من جهة ثانية. بالإضافة أن من الناحية البروتوكولية فإن السلطان في هذه الوضعية لم يعد مؤسسة يتم إعلامها كما كان في الماضي عندما كانت معزولة عن الشعب و الوطنيين المغاربة. و لم تكن تتحرك إلا بأوامر سلطات الحماية. و حتى بيان الاستقلال في جاتفي 1944 لم يكن موجه إليها فقط. ولكن في هذه المرة كان "ميثاق الاستقلال القومي" موجهها إلى المؤسسة الملكية دون غيرها، وهذا ما دل على مدى تفاعل الشوريين مع الواقع الجديد للمغرب الذي تحول فيه السلطان محمد بن يوسف إلى محور لأي تحرك وطني. كما حمل البلاغ العام الموجه إلى الشعب المغربي ملامح تغيير في طبيعة الموروث الإيديولوجي " للقوميين"، الذين أصبحوا بموجب هذا الميثاق " الشوريين ". فلطالما اعتبروا أن خطابهم كان موجهها إلى النخبة المثقفة التي كان يريدونها أن تتحمل المسؤولية الوطنية قبل غيرها، ولذلك لم يأخذوا بعين الاعتبار الجانب العددي لحركتهم في سنة 1937³، ولم

¹ - جاء في البلاغ العام الموجه للشعب المغربي بشأن تأسيس حزب الشورى والاستقلال بأن إصلاحات المقيم العام الجديد "إريك لابون" ذات طابع اقتصادي احتكاري يأنشئها لـ 447 شركة رأسمالية احتكارية جديدة، أنظر، عز العرب محمد حسن الوزاني حدثني والدي، مصدر سابق، ص 25.

² - الحاج أحمد معينو، ذكريات و مذكرات، ج 04، (مصدر سابق) ص 87.

³ - Robert Rèzette, *Les Partis*, op.cit, p-107.

يريدوا آنذاك إنشاء حزبا جماهيريا على طريقة "الحزبيين" (نسبة للحزب الوطني). واكتفوا بهيئة التحرير لجريدة "عمل الشعب" و جريدة "الدفاع" كهيئة قيادة للحركة القومية.

إلا أن البلاغ العام لسنة 1946 أثبت أن هناك تغيرات هامة حدثت على مستوى نظرة الشوريين للرأي العام الذي أصبح هدفا لهم للاتصال به و تعريفه بمضمون " ميثاق الاستقلال القومي". و لكن إلى أي مدى تمكن " الشوريون" من التوفيق بين البحث عن القاعدة الجماهيرية لحركتهم الناشئة، و فكرهم النخبوي؟ ويبدو أن هذه العلاقة هي التي دفعت بـ "روزيت" إلى القول بأن "الشوريين" كانوا إطارات اهتموا بتجميع أكبر عدد ممكن من الشخصيات المهمة ذات الوزن المعنوي والمكانة الاجتماعية الراقية، والمتشبعة بالثقافة الأوروبية والتمسكة بالحضارة الغربية كنموذج لحياتها الشخصية والاجتماعية. و قد أهملوا العامة ميدانيا واعتبروها غير قادرة على تبني رؤى سياسية بنائية، ولم يهتموا بالجانب الكمي للمنخرطين في الحزب، لأنه بالنسبة لهم لا أهمية لذلك لفاعلية الحزب¹. إلا أن هذا الحكم لا يمكن اعتباره حقيقيا إلى حد كبير على ضوء العديد من الحقائق متعلقة بالعديد من القضايا المرتبطة بدور الوزاني و غيره من الشوريين في الحركة الوطنية المغربية².

ولكن يمكن اعتبار هذا التحول ضمن المراجعة التي قام بها الوزاني في منفاه من حيث علاقته بالجماهير، حيث رأى أن الوقت قد حان لتزويد هذه الجماهير بتربية سياسية تؤهلهم لأن يستوعبوا الظروف التي تمر بها القضية المغربية بعد الحرب العالمية الثانية. و كذلك اغتنام الانفتاح الذي عرفه المغرب بعد هذه الحرب. لإبلاغ المغاربة حول واقعهم سواء من خلال عدم تقدير فرنسا للكفاح البطولي العظيم الذي قاموا به³. أو من خلال عدم تغيير السياسة الفرنسية بعد الحرب التي كانت "كارثة حقيقية في جميع المجالات"⁴. و لكن تغيير كل ذلك مرتبط بإرادتهم التي عبر عنها النداء في خاتمته " بدعوة كل المغربي للعمل على مجد الوطن و التضحية من أجل انبثاق الحرية التي مازلت ترسف في الأغلال"⁵.

¹ - Robert, Rêzette, Les Partis, op.cit, p-358.

² - سيتم تناول هذه الإشكالية في عنصر "التنظيمات الشورية"

³ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 24.

⁴ - المصدر نفسه، ص 25.

⁵ - المصدر نفسه، ص 26.

إن أهم ما جاء في " ميثاق الاستقلال القومي " هو الربط الذي تم بين مطلبى الدستور و الاستقلال ،على أساس أنه المطالبة بالاستقلال لا تناقض المطالبة بالدستور، نظرا للعلاقة الجدلية الموجودة بين المطلبين. و لا يمكن للمغرب أن يعتبر نفسه مستقلا فعليا إلا إذا تحصل على دستور.و إذا كان زوال نظام الحماية هو حل لمشكلة المغرب الخارجية. فإنه سيبقى أمام مشكلته الداخلية "التي تقوم بين الحاكم والمحكوم والشعب و الدولة و منشؤها الاستبداد والحكم المطلق وعلاجها الحرية والحكم النيابي وهو ما يسمى في الإسلام بالشورى، و في اصطلاح السياسة الحديثة الديمقراطية و الدستور"¹.

¹ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم ، ج 3، مصدر سابق ، ص، 100.

3 . التصورات السياسية الشورية: ثنائية "الاستقلال" و "الدستور"

بعد الإعلان عن "ميثاق الاستقلال القومي" والمصادقة على قرارات المؤتمر التأسيسي لحزب الشورى و الاستقلال في جويلية 1946 بدأت بالنسبة لهذا التيار مرحلة جديدة اختلفت عما سبقها من حيث المضمون السياسي. فقد جاء في هذا الميثاق أن حل القضية المغربية يمر عن طريق "ثنائية" التخلص من الحماية و ترسيم الديمقراطية أو "الاستقلال و الدستور" في آن واحد. و بهذا الطرح فإن حزب الشورى والاستقلال تميز عن غالبية الأحزاب التحررية التي ركزت في نضالها على مسألة استرجاع السيادة كهدف رئيسي، و وحيد. فبالنسبة للشوريين فإن هذه السيادة يجب أن يتم استرجاعها بمعادلة طرفيها التحرير والشورى وهذا سبق ليس فقط من حيث الطرح النظري فقط، بل حتى من حيث الجانب الإجرائي التطبيقي، فحزب الشورى و الاستقلال كان يعتبر أن القضية الوطنية بطرفيها الداخلي والخارجي، أي التحرر و بناء الدولة العصرية، يمكن حلها من خلال خطة واحدة، ولا يتعارض ذلك مع المبدأ التحرري، ولذلك فإن تسميته التي تضمنت مصطلحي "الشورى والاستقلال" لم تكن صدفة أو مجرد لائحة سياسية، أو مسألة اعتباطية، بل كانت تعبيرا عن الانتقال إلى مستوى آخر من التفكير والعمل السياسي للشوريين¹.

3 - 1 الدستور/الشورى:

لم يكن استعمال مصطلح "الشورى" مرتبطا بمرجعياته التاريخية الإسلامية، لأن المضمون السياسي لهذا المصطلح بالنسبة للشوريين كان دستوريا غربيا ليبراليا، لا مضمونا فقها سلفيا. و ذلك من خلال تبنيه للتنظيمات الدستورية الغربية لتجسيده. ولئن كانت المطالبة بالدستور لشعب ما زال لا يملك قراره السياسي بعد يعد أمرا غير متطابق مع معايير التحرر، فإن حزب الشورى و الاستقلال أصر على هذا الربط واعتبره ضرورة سياسية تحررية تفرضها مقتضيات النهضة الشاملة فبالنسبة له لا يمكن تصور حياة أمة بدون دستور فهو النظام الذاتي والقانون الأساسي الذي به ينتظم أمر الأمة والدولة والفرد والجماعة و الحاكم والمحكوم والراعي والرعية"، وأمر ضروري للنهضة العامة وتنظيم شؤون الأمة المغربية².

¹ - محمد المسكي، التصورات السياسية في الخطاب السياسي عند محمد حسن الوزاني، مرجع سابق، ص، 244.

² - إنما حياة كل أمة بالدستور الذي نطالب به للمغرب و شعبه، جريدة "الرأي العام"، العدد 11، (25-06-1947).

و من أجل حل القضية المغربية رأى الحزب أنه بالضرورة يجب حل مشكلتين اثنتين إحداهما داخلية والأخرى خارجية، فالداخلية طرفاها الحاكم والمحكوم والشعب و الدولة وسببها الاستبداد والحكم المطلق وعلاجها الحرية والحكم النيابي، وهو ما يسمى في الإسلام بالشورى، وفي الاصطلاح السياسي الحديث الديمقراطية¹ أما الخارجية فيتم حلها بإنهاء الحماية والاستعمار و إلغاء كل أشكال الامتيازات.²

وظهر الربط بين الديمقراطية والاستقلال في طروحات الشوريين على أنه ضرورة، لا يمكن الفصل بينهما، معتبرا أنه إذا كان الاستقلال هدفا رئيسيا للحركة الوطنية المغربية، فإن السبيل إليه هو الدستور، خاصة إذا طلب من المغاربة عما حضروه للاستقلال أي لبناء الدولة العصرية³، و لم يتردد الحزب في الاستشهاد بدول أخرى سارت في مثل هذا المسار وحققت بعض النتائج في هذا المجال. فقد اعتبر أن زعيم حزب الوفد سعد زغلول في مصر جعل من مطلب الدستور بندا رئيسيا من مطالبه، و وسيلة لحل المسألة السياسية بين مصر وبريطانيا⁴ ولم يشترط في نضاله جلاء بريطانيا عن مصر كشرط للتفاوض معها، والنتيجة أنها دولة مستقلة ذات سيادة ولها دستور، و برلمان، وجيش وطني، وتمثيل دبلوماسي في الخارج و عضو في هيئة الأمم المتحدة⁵. و قد بقيت التجربة الدستورية المصرية في عهد الحماية البريطانية بالنسبة له نموذجا. ولطالما شكلت النهضة المصرية بالنسبة للمغاربة بما فيهم العائلة الملكية، مصدر الهام سياسي، و جاء ذكرها في العديد من المرات كمثل يجب أن يفتدى به⁶.

¹ - في سبيل الدستور، جريدة "الرأي العام"، العدد 18، (20-08-1947).

² - إنما حياة كل أمة بالدستور الذي نطالب به للمغرب و شعبه، جريدة "الرأي العام"، العدد 11، (25-06-1947).

³ - هل المغرب على أبواب عهد جديد؟ جريدة "الرأي العام"، العدد 24، (24-09-1947).

⁴ - هذه مصر فأين المغرب؟ جريدة "الرأي العام"، العدد 37، (31-12-1947).

⁵ - جهاد مصر في سبيل الاستقلال، جريدة "الرأي العام" العدد 35، (17-12-1947).

⁶ - أثناء الزيارة التاريخية لخمسة لخمسة لمدينة طنجة في 09 أبريل 1947 رفقة ابنته الأميرة عائشة التي تدخلت أمام الحاضرين بكلمة من ضمن ما ذكرته فيها ما يلي "...مصر هذا البلد الشقيق، الوطن الثاني لكل العرب، هذه مصر الحبيبة، تستطيع أن تعتبر نفسها وبشرف بأنها قائدة الشعوب العربية، ورائدكم نحو مستقبلهم الكبير و نصرهم الأكيد..." و قد تأسفت كثيرا سنة 1964 عن هذا

النصريح، أنظر، Georges, Spillmann, Du protectorat, op.cit, p127

وللتأكيد على الترابط بين الدستور والاستقلال اعتبرهما الحزب توأمين لا يمكن الفصل بينهما ولا قيام لأحد منهما دون الآخر¹. وحتى مضمون الحكم السلطاني ربطه الشوريون بمدى ممارسة هذه المؤسسة لصلاحياتها الدستورية المغتصبة من طرف نظام الحماية، وإذا كان الشعب المغربي يحتفل في 18 نوفمبر من كل سنة "بعيد العرش" و يستمع فيه إلى خطاب السلطان، فإن التسمية الحقيقية لهذه المناسبة هي "خطاب عيد العرش" وليس "بخطاب العرش" لعدم ممارسة هذا الأخير الحكم بصورة فعلية، فلا يوجد للدستور ولا للبرلمان ولا للديمقراطية. وهو وضع كان نظام الحماية يريد إطالة فترته². وعند بداية المفاوضات الفرنسية المغربية حول الاستقلال جعل الحزب من الدستور مسألة ذات أولوية إستراتيجية، معتبرا الاستقلال حلا طبيعيا وحتميا للمشكلة المغربية خارجيا، و لكن يجب بالموازاة الشروع في حل جانبها الداخلي بالدستور والديمقراطية، والتحرير واحد، داخلي و خارجي وبدون ذلك فلا حل للأزمة المغربية على أساس الحرية و العدالة و الرقي و العز³. "فمغرب الغد" بالنسبة للحزب لا يجب أن يتحرر من الأجنبي فقط، ولكن من كل أشكال التسلط، ولذلك سارع مباشرة بعد الاستقلال للمطالبة بوضع دستور للمغرب لإصلاح الشؤون الداخلية واستعادة المكانة الرائدة بين الأمم⁴.

اعتمد طرح الحزب لموضوع الإصلاح السياسي على شرعية تاريخية تمثلت في " الحركة الحفيفية" في سنة 1908 التي تضمنت حركة دستورية إصلاحية. تجسدت في إصدار دستور إصلاح أحوال مملكة الأشرف العلويين بإعادة هيكلة المؤسسات المخزنية، وبغض النظر عن نتائج هذه المحاولة فقد اعتبر الحزب مطلبه الدستوري استمرارية تاريخية لها ومن أوجه شرعية مواصلتها وهي تحت سيطرة نظام الحماية⁵.

تأثر المشروع الإصلاحي الدستوري للحزب بالتغيرات التي عرفها المغرب بعد الحرب فقد رجع الوزاني من المنفى بتصور مشروع سياسي متكامل، و يعتبر "ميثاق الحقوق القومية"

¹ - الدستور والقضاء، جريدة "الرأي العام"، العدد 120، (16-09-1949).

² - فصل الخطاب، جريدة "الرأي العام"، العدد 178، (01-12-1950).

³ - استقلال وديمقراطية، جريدة "الرأي العام"، العدد 261، (19-11-1955).

⁴ - في سبيل مغرب الغد، جريدة "الرأي العام"، العدد 262، (29-11-1955).

⁵ - الاستقلال رائدنا وسبيلنا إليه الدستور، جريدة "الرأي العام"، العدد 23، (17-09-1947).

لسنة 1937 المعلن من طرف "الحركة القومية" (الذي يعتبر حزب الشورى والاستقلال امتدادا فكريا وحركيا لها) من إرهابات الفكر الإصلاحي الدستوري لهذا التيار لأنه شكل بداية تأسيس الوعي السياسي، بمطالبته بإصلاح المؤسسات التقليدية من جهة وبتغيير الواقع الاستعماري من جهة ثانية¹، إلا أن الإصلاح السياسي الذي أراده الحزب بعد الحرب، تجسدت خطوته العريضة في "ميثاق الاستقلال القومي" الصادر في جويلية 1946، ثم ظهر أكثر تفصيلا في مذكرة 23 سبتمبر 1947، التي تحولت إلى مرجعية الحزب في المطالبة بالإصلاح السياسي الدستوري، الذي بقي متمسكا به أثناء فترة الحماية، وحتى فيما بعدها على أنه الحل الأمثل للمغرب²، وقد اعتمد هذا المشروع الإصلاحي على مرجعية جمعت بين "الملكية الدستورية" ومبدأ "فصل السلطات" كتابتين رئيسيين له³.

فالملكية الدستورية اعتبرت ثابتا أوليا أساسيا، وشرطا ضروريا من شروط النهضة في المجال السياسي، لذا يجب الشروع فيه قبل غيره من المجالات⁴، ونظرا لارتباط مفهومها بالفكر الغربي في منشئها وتطورها و كونها غريبة عن الثقافة السياسية المغربية والإسلامية عموما، فقد قام الوزاني وهو في منفاه بضبط مفهومها بضوابط إسلامية مستقاة من الفكر الإسلامي، والإصلاحي منه على الخصوص، من خلال مناقشة مسألة "البيعة" على مسار ممارستها التاريخية بانجازاتها وانحرافاتهما. وإذا كانت الحركة الدستورية في أوروبا مرجعا أساسيا لأطروحاته فإن هذا لم يعن بالنسبة له إسقاطا للنماذج الغربية على واقع مغاير حضاريا وتاريخيا. ولذلك سعى لتكييف الفكر الدستوري الأوروبي مع التراث الإسلامي من قرآن وسنة وفقه وتجربة تاريخية للأمة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة⁵. ونتيجة لهذا كانت "الملكية الدستورية" كبند من بنود "ميثاق الاستقلال القومي" لسنة 1946 الذي جاء في صيغة "إصدار الملك لظهير يمنح من خلاله لشعبه الوفي ميثاقا سياسيا في إطار ملكية ليبرالية ديمقراطية"، وفي مذكرة 23 سبتمبر 1947 جاءت كمطلب واضح وصريح في العديد من

¹ - محمد المسكي، التصورات السياسية، (مصدر سابق)، ص 51.

² - صدر أول دستور مغربي في سنة 1962، ولم يكن يساير التصورات السياسية لحزب الشورى والاستقلال.

³ - محمد المسكي، التصورات السياسية، (مصدر سابق)، ص 51.

⁴ - إنما حياة كل أمة بالدستور الذي نطالب به للمغرب و شعبه جريدة "الرأي العام"، العدد 11، (25-06-1947).

⁵ - علي حسني، محمد حسن الوزاني وإشكالية البناء الديمقراطي بالمغرب، 1947-1978، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص 17.

مضامينها. وفي المؤتمر الثاني لحزب الشورى و الاستقلال الذي انعقد بمدينة فاس سنة 1950 جاء ذكرها كإطار للديمقراطية الشعبية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية كبديل للنظام القائم على الامتيازات الاجتماعية الخاصة والجماعية¹.

أما الثابت الثاني لهذا المشروع الإصلاحي فيتمثل في مبدأ "فصل السلطات" لأن التجسيد السياسي والمؤسساتي للملكية الدستورية، لا يمكن تصوره قانونيا و سياسيا بدون إقرار لهذا المبدأ، باعتباره جزء من النظام الدستوري، و ضمانا لعدم حدوث تجاوزات، بالتالي تبقى الحقوق الفردية والعامة مصانة بنص القانون، و بنفس الإسقاط الذي حدث بالنسبة للملكية الدستورية، اعتبر الوزاني أن هذا المبدأ لا يختلف جوهريا عن نظام الشورى في الإسلام وبالتالي سيؤدي حتما إلى الحفاظ على الحقوق والحريات العامة للشعب المغربي، و على رأسها استرجاع سيادته السياسة المرهونة بمعاهدة 30 مارس 1912².

3 - 2 الاستقلال

أما فيما يتعلق باسترجاع السيادة المغربية فإن الاستقلال كان مبدءا أساسيا للشوريين باعتباره الركيزة الأساسية التي قام عليها "ميثاق الاستقلال القومي". إلا أنه من الناحية العملية فإن خطاب حزب الشورى و الاستقلال قام بأجراً هذا المبدأ متخذا عدة أشكال تبعا لطبيعة العلاقة التي سادت بين نظام الحماية والحركة الوطنية³. و قد تضمن البرنامج السياسي للحزب بالموازاة مع ضرورة تحرير الشعب من الاستبداد السياسي مضمونا تحرريا ، أو بما سماه الجانب الخارجي للمشكلة المغربية، من خلال ما قام من مبادرات للتخلص من نظام الحماية و قد تميزت هذه المبادرات بالمد والجزر حسب طبيعة العلاقة التي سادت بين هذا النظام و الحركة الوطنية المغربية منذ بداية نشاطه بعد الحرب. و إن كان لكل ذلك خلفية تاريخية تعود لمرحلة الثلاثينات عندما بداية الحركة الوطنية بنشاطها المناهض للظهير البربري في 16

¹ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مصدر سابق ، ص 28 .

² - يعتبر هذا المبدأ تحصيل حاصل لتطبيق النظام السياسي الدستوري حيث يشكل الدستور مرجعية لمبدأ الفصل بين السلطات الذي من شأنه أن يحقق نظاما سياسيا راشدا و عدالة اجتماعية، لأنه يقوم بوضع حدود و قيود قانونية و سياسية على ممارسته. أنظر، محمد المسكي، التصورات السياسية في الخطاب السياسي عند محمد حسن الوزاني، مصدر سابق، ص 118.

³ - محمد معروف الدفالي، الحماية في خطاب محمد بن الحسن الوزاني، مجلة هيسبيريس تمودا، العدد 39، ج1، 2001 ص 119.

ماي 1930 خاصة و أن محمد حسن الوزاني مؤسس الحزب كان المنشط الرئيسي والقائد الفعلي لها في تلك الفترة¹.

فمنذ الثلاثينات اتخذت الحركة الوطنية المغربية من نظام الحماية موقفاً، تحكمت فيها مجموعة من المتغيرات ارتبطت تارة بالأوضاع الخاصة بها، وتارة أخرى بطبيعة السياسة المتبعة من طرف نظام الحماية عبر أربعة عشر مقيماً عاماً تم تعيينهم من طرف باريس لتسيير شؤون المغرب بين سنتي 1912 و 1956. وقد تبنى "الشوريون" في جويلية 1946 تصوراً سياسياً تحريرياً كان بمثابة قطيعة مع ما اتخذوه من موقف من الحماية منذ انطلاق الحركة الوطنية السياسية في سنة 1930، ثم مع ما تبنته "الحركة القومية" منذ تأسيسها في سنة 1937.

لقد تبنى الوزاني في المرحلة الأولى، خطاب الإصلاح والرغبة في التفاهم، بفهم أصول نظام الحماية باعتماد المقاربة التاريخية في الزمان والمكان²، لاستخراج أدلة إثبات الوظيفة الافتراضية للحماية، التي يجب عليها مبدئياً أن تحترم استقلال المغرب، وفي نفس الوقت سجل انحرافات معاهدة 30 مارس 1912 عن هذه المهمة فمن حيث المبدأ لم تتطابق مع الالتزامات الدولية التي تحمي سيادة المغرب، بتحويلها للمقيم العام من مجرد سفير لبلاده بالمغرب إلى سلطان حقيقي دون امتلاك لقب السلطنة الشريفة³ وقد ظهرت تجاوزات معاهدة الحماية من خلال عدد من بنودها مست هذه السيادة ونتج عن هذا معاناة المغاربة بتجريدهم من حقوقهم العامة، وقهرهم وردعهم تحت طائلة كل الأسباب والسعي بكل القوانين و الظهائر، وبالسيطرة على المؤسسة التشريعية، إلى تقسيم المجتمع المغربي إلى كتلتين متناقضتين في الثقافة والقضاء والدين والمصالح الاقتصادية⁴ وبهذه الممارسات التي عبرت عن "عدم الإخلاص في أداء مهمة الحماية"⁵ قامت سلطة الحماية بإعادة النظر في هذا المبدأ وحولته إلى نظام الإدارة المطبق في المستعمرات الفرنسية الأخرى⁶. وحسب الوزاني فقد عجزت فرنسا أن تكون

¹ Robert ,Rèzette , *Les Partis Politiques*, op.cit, p-74

² - محمد معروف الدفالي، الحماية في،، مرجع سابق، ص 120.

³ - Mohamed Hassan, *Ouazzani, Combats d'un nationaliste marocain*, éd, fondation M.H. Ouazzani, FES, 1987, T1, p, 131-184.

⁴ - *ibid.*

⁵ 152 Mohamed Hassan, *Ouazzani*, *Etudes sur le protectorat*, *idem*, p-

⁶ *ibid.*, p, 154-

حامية على الطريقة البريطانية التي نجحت إلى حد كبير في التحكم في هذا النظام الاستعماري المحدود، وفشل مؤسس هذا النظام في المغرب الماريشال "ليوتي" في تطبيق نظريته التي كانت تعتبر الحماية نظام رقابة مؤقت، إلا أنه هو بنفسه قام بتحويلها إلى نظام احتلال مباشر، لأن سياسته الميدانية تناقضت بشكل جوهري مع ما كان ينظره حول الحماية¹.

تبنى الشوريون منذ سنة 1946 اتجاه نظام الحماية تصورا أساسه إلغاء أية إمكانية للاستفادة منها، وتحولت في نظرهم إلى مظهر إمبريالي استعماري، وإذا كان في هذا الخطاب الكثير من المتغيرات، فإن الثابت فيه هو أنه كان نتيجة تطور العلاقة التي سادت بين نظام الحماية والمغرب. و بصورة خاصة الموقف الفرنسي من الحركة المطالبة المغربية، وذلك عندما عرف بعد الحرب العالمية الثانية تغيرا ظاهريا في اتجاهه العام، قام الشوريون بالتفاعل معه بصياغة خطاب جديد/قديم تمثل في السعي للاستفادة من هذا التغير لصالح القضية الوطنية.

وبالرغم من تواصل قطيعة الشوريين مع نظام الحماية بعد الحرب العالمية لأن السلطة المتصرفة لم تظهر إلى غاية ذلك التاريخ أي استعداد لإنصاف الشعب المغربي في كامل حقوقه من حرية واستقلال²، فإنه اعتبر أنه من الواقعية السياسية أنه يجب التعامل مع مختلف مبادرات نظام الحماية. وذلك استجاب لذلك الانفتاح النسبي لسياسة الحماية الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية، التي كانت مسيطرة لطبيعة التحولات الدولية لما بعد الحرب، ومشروعا فرنسيا لإبعاد أمريكا عن لعب دور مصيري في المغرب. وبغض النظر عن الأسباب المحركة للموقف الفرنسي، فإن الحزب قبل بهذا الانفتاح و أراد الاستفادة منه و تعاطى مع مبادرة الإقامة العامة، ولم يمانع الحزب بأن يكون الإصلاح تدريجيا يبدأ بمعاهدة جديدة بين فرنسا والمغرب تضمن استقلاله، وتنظم العلاقات الحسنة المتبادلة بينهما مع احتفاظ الفرنسيين

¹ - يذكر الوزاني إحدى مواقف الماريشال ليوتي الذي قام بنقل مدير ثانوية مولاي إدريس "إيماريجون" لأن التعليم ازدهر في وقته، بالإضافة إلى اهتمامه بالتلاميذ المغاربة، وعندما تحدث عن هذا إلى ليوتي وعن النتائج الإيجابية التي يمكن الحصول عليها من جراء تعليم المغاربة، لا أن هذا الأخير قام بنقله إلى ثانوية وجدة أين يتوفر الوسط الفرنسي الذي من حقه هذا التكوين، أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة وجهاد ج 1، مصدر سابق، ص 383.

² - ألقى الوزاني يوم عودته من المنفى في 30 ماي 1946 خطبا جاء فيه بأن الموقف الفرنسي مازال سلبيا، أنظر، مؤسسة محمد حسن الوزاني خطب، ج 1 1933-1957، مؤسسة جواد للطباعة و النشر، 1986، ص 49-52.

بمصلحتهم المشروعة خاصة في الميدان الثقافي والاقتصادي والصناعي¹. و قد ترجم هذه الرغبة عمليا أما من الناحية العملية فقد قدم الحزب في هذه الفترة برنامجا سياسيا إصلاحيا متكاملًا، يعرف بمذكرة 23 سبتمبر 1947² تضمنت كل الجوانب الكفيلة بنقل المغرب جذريا من وضعية الاستعمار إلى الاستقلال، بحل كل من المشكلة الخارجية بإنهاء الحماية، والداخلية بحل المشكلة السياسية عن طريق النظام الدستوري، الذي اعتبره الضمان الوحيد " لسيادة واستقلال مضمونين في الداخل بدستور حر ديمقراطي عادل، وفي الخارج بمعاهدة تبرم طوعا واختيارا على أساس المساواة التامة"، ويعتبر هذا الطرح بالنسبة له المدلول الوحيد الذي أراد الحزب إعطائه لمبادرة الجنرال "جوان"³.

إذا كان الثابت في برنامج الحزب و موقفه من "نظام الحماية" هو السياسة الفرنسية وتغييراتها، فإن معيارية هذه السياسة كان لها وزنها الواضح في مدى كيفية استجابته لها، و لذلك عارض كل المشاريع الإصلاحية التي جاءت بها إدارة الحماية منذ نهاية الحرب، لأنها لم تكن في مستوى مشروعه السياسي، و لم يكن الموقف الفرنسي من هذا الأخير أحسن حالا مما كان عليه في السابق، وبقي حوار الصم ساريا بين الطرفين، و لم يتغير الواقع المغربي ولم يظهر أن السياسة الاستعمارية الفرنسية أخذت بعين الاعتبار المتغيرات الدولية، ولا حتى المغربية، فاعتبرت "الجزائر والمغرب تؤلفان روحا واحدة، إذ هما متحدثان اتحادا لا تنقسم له عروة، و هو اتحاد قائم على الهدوء والنظام"⁴. و أن "الشعب المغربي فهم أن الديمقراطية نظام صعب والحرية لا تأتي إلا بتدريب طويل، وكل مشروع إنساني بطبعه بعيد وعسير وبالتالي تصبح الإنجازات بطيئة قد لا يقتنع بها"⁵.

¹ - تصريح أدلى به الأمين العام للحزب للجريدة الفرنسية "لوباريزيان ليبيري" "le parisien libéré" في 23/08/1946 .
أنظر، مؤسسة محمد حسن الوزاني، تصريحات صحفية، ج 01، مؤسسة جواد للطباعة و التصوير، 1986، ص 07.

² - سيتم التطرق إليها بالتفصيل لاحقا

³ - المغرب و مصيره العزيز عليه! جريدة "الرأي العام"، العدد 22 ، (10-09-1947).

⁴ - من تصريح رئيس الجمهورية الفرنسي فانسان أريول إلى الجنرال جوان في مدينة تلمسان بالجزائر، أنظر، الرأي العام العدد، 105، (01-07-1949).

⁵ - المصدر نفسه.

وابتداء من سنة 1949 غطى صيغة اليأس من جديد نهائيا على خطاب الشوريين¹ فاعتبروا أن المسؤولين عن السياسة الاستعمارية في المغرب لم يتعرفوا على هذا الأخير على حقيقته ولم يفهموا شيئا عن رجاله، ماداموا لم يقتنعوا بوجود مشكلة مغربية عامة، ولم يؤمنوا بخطورتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ومن أجل حلها يجب قلب الأوضاع وتنحية عناصر لم يبقى مبرر لاستمرارها في العام الرابع من العصر الذري²، وأصبح من الضروري حدوث انقلاب حقيقي عام يقوم به الشعب و يدبره، و يهدم و يبني كل ما في المغرب من أنظمة سياسية واجتماعية واقتصادية، لأنه الحل الوحيد للإصلاح، والخروج من الوضعية الفاسدة³، وإذا استحال الوفاق فالفراق أولى⁴.

بالرغم من قناعة الشوريين على أن نظام الحماية كانت له رغبة شديدة في التحول إلى استعمار و إدارة مباشرة، فإنهم دافعوا بين سنة 1946 و 1951 عن برنامج اعتمد على خطاب الرغبة في المشاركة السياسية، ومحاولة حل القضية المغربية باعتماد مبدأ التدرج، ومتبعا فيه لغة الحوار والتقارب والبحث عن حل لها في مدة قصيرة و بدون إراقة للدماء⁵ ولكن الموقف الفرنسي، وخاصة خلال فترة المقيم العام "جوان" الممتدة بين 1947 و 1951، الذي قام بقمع المغاربة حركة وطنية و سلطانا، وقام بتصعيد الرغبة الاستيطانية للأرض والإنسان وعملت جمعية "الوجود الفرنسي"⁶ بكل ما في وسعها لتأكيد ذلك ميدانيا، و هذا ما دفع بالحزب إلى غلق باب الأمل في أية تسوية تدريجية، بعد تحول الحوار المغربي الفرنسي

¹ - محمد معروف الدفالي، الحماية في ، (مرجع سابق) ص 129.

² - عبرة الأيام و حكمة السياسة، جريدة "الرأي العام" العدد 87 (1949/01/07).

³ - أمحاكم أم مجازر؟ جريدة الرأي العام العدد 118 (1949/09/09).

⁴ - إن لم يكن وفاق ففراق! جريدة "الرأي العام" العدد 163 (1950-08-11).

⁵ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 244.

⁶ - أسس هذه الجمعية الكولون في فيفري 1950 بغرض "الدفاع عن المصالح المادية و المعنوية للفرنسيين والأجانب المتواجدين في المغرب، و عدم مناقشة مبدأ التواجد الفرنسي في المغرب، المنصوص عليه بمعاهد الحماية التي لا يجب أن تتحول إلى مجرد وثيقة بالية" و قد ترأسها الدكتور "فارنون كوس" معروف بميولاته الفاشية، لذلك لم يتردد في تكوين ميليشيات مسلحة من المعمرين للقيام "بما لم تستطع القيام به الإدارة الفرنسية" وتنسب إليها ما يعرف بعهد الإرهاب الأحمر، و في سنة 1954 تغير اسمها إلى "الإتحاد من أجل الوجود الفرنسي" بعد اتحادها مع تنظيم "الوحدة المغربية"، أنظر، Julien, (Charles-André), *Le Maroc, op.cit, p271*.

المزعوم إلى "حوار الصم،الذين لا يتكلمون وان تكلموا،فلا يتفاهمون،ولا يتفقون لأن بعضهم في واد والبعض الآخر في واد " ¹.

ولذلك رجع الشوريون إلى أطروحة "الحماية جنائية على الأمة"، بكل مفاهيمها.و في سنة 1952 قاموا بمناسبة مرور أربعين عاما على إعلان الحماية الفرنسية على المغرب "بوضع نظام الحماية من جديد على المشرحة و كشف رسالة فرنسا التمدينية المزعومة،وما تسميه باطل بالإصلاح والديمقراطية،ومبين انعكاساتها بالنسبة للمغاربة من خلال التركيز على ما أحدثه الحكم المباشر من نتائج ميدانية سياسية و إداريا بتحويل المغرب إلى مستعمرة،مما يتناقض مع بنود معاهدة فاس في 30مارس1912 ،وانتهى بالنسبة للحزب كل أمل في تنازل فرنسي لصالح القضية الوطنية،فأصدر حكمه الفاصل في الحماية على أنها جنائية مستمرة على سيادة و استقلال المغرب.و رافق هذا التغير على مستوى الرؤية السياسية بحث عن الوسائل التي يجب إتباعها ميدانيا بما يتناسب مع خطاب "المطالبة بالفراق بعد تعذر الوفاق"² ومن أهم مظاهر هذا التحول تخليه عن المشاركة السياسية الإيجابية وتبنيه للمقاطعة بدعوته إلى عدم المشاركة شعبا ومخرنا في جنائية الحماية على أنفسهما،والتمسك بمبدأ عدم التعاون مع الاستعمار في سياسته التي لن تفشل إلا بقدر ما يمتنع المغاربة وعلى رأسهم الحكومة الشريفة عن أية مساعدة على المؤامرة المدبرة منذ أربعين عاما³.

لقد أعلن الشوريون في مطلع الخمسينات عن قطيعة نهائية مع سلطة الحماية،تختلف عن التي مارسها الوزاني في نهاية الثلاثينات من حيث ظروفها الداخلية الخارجية و ملابساتها،وحتى من حيث طبيعتها،فقطيعة الخمسينات تضمنت حكما لا رجعة فيه على الحماية على أنه نظام جنائية، و لا يمكن إرغام الشعب المغربي على السعادة على الطريقة الفرنسية التي كانت تشرف على تطبيقها بأمان ميدانيا سلطة الحماية"⁴. وقد كانت هذه القطيعة جد إيجابية سواء بالنسبة للشوريين أو القضية المغربية إيجابية،لأنها سمحت بعرض هذه القضية على الخارج من خلال اعتماد مبدأ التدويل. و بالتالي زال ذلك الانسداد الداخلي

¹ -الحماية جنائية،جريدة "الرأي العام" العدد 236(1952/03/29).

² -إن لم يكن وفاق ففراق!جريدة" الرأي العام"العدد 163(11-08-1950).

³ - تصريح للوزاني بجريدة الرأي العام عدد 253 بتاريخ 1952/10/16،أنظر مؤسسة محمد حسن الوزاني،تصريحات صحفية،ج01،(مصدر سابق)ص108

⁴ -إن لم يكن وفاق ففراق!جريدة" الرأي العام"العدد 163(11-08-1950).

بتبني هذه الآلية الجديدة. و قد شكل ذلك تعديلا لتصوراتهم التحررية و توجهها نحو اتجاه جديد أخذ بموجبه الشوريين العامل الخارجي في معادلة التحرير، بعدما كانوا في السابق لا يؤمنون بجدوى العمل الخارجي، و لطالما شككوا في قدرة المؤسسات القومية والأممية على حل مشكلة المغرب، لتمسكهم بإمكانية نجاح مذكرة 23 سبتمبر 1947، بالإضافة إلى موقف الوزاني في الأول من التدويل، فبالنسبة إليه لم يكن يتعدى أن يكون وسيلة ضغط لإخراج القضية المغربية من ثنائية مغربية فرنسية إلى قضية متعددة الأطراف، كما جاء ذلك في الخطاب المبدع الصريح¹، الذي ألقاه الوزاني أمام اللجنة السياسية للجامعة العربية في 09/01/1951 وهو يدافع عن "القضية المراكشية"، حيث بين عدم تحرك إدارة الحماية أمام المطالب الوطنية في مرحلة المحادثات سواء التي قام بها الحزب أو السلطان. و في الحقيقة فقد أدرك " الشوريون " هذه الحقيقة متأخرا عن " الاستقلاليين " الذي باشرُوا في تدويل القضية المغربية منذ سنة 1947². و يعود إلى طبيعة الموقف الإيديولوجي الذي تبناه حزب الشورى و الاستقلال منذ تأسيسه الذي كان دائما يسعى أن يكون معتدلا ومتدرجا في حركيته الميدانية لذلك استنفذ كل الفرص التي توفرت على الساحة المغربية سواء التي اقترحت من طرف نظام الحماية أو التي سعى هو إلى إحداثها، و على رأسها مذكرة 23 سبتمبر 1947 التي أعطاه الحزب حجما تاريخيا وأصبحت جزءا من ثقافته السياسية النضالية والبنائية.

¹ - كان هذا تعليق وزير الخارجية المصري صلاح الدين عن خطاب الوزاني في الجامعة العربية في سبتمبر 1951

² - يمثل انتقال علال الفاسي الى القاهرة سنة 1947 بداية إستراتيجية جديدة بالنسب لحزب الاستقلال، أنظر، عبد الكريم غلاب تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، ج2، مصدر سابق، ص 29.

4 . مذكرة 23 سبتمبر 1947:

4-1 الظروف العامة لإصدار المذكرة:

قدم حزب الشورى والاستقلال في سبتمبر 1947 للإقامة العامة والقصر الشريف وثيقة سياسية عرفت باسم "مذكرة 23 سبتمبر 1947"، ولم يكن هذا عملا سياسيا معزولا عما عرفه المغرب من حوادث منذ جانفي 1944، وبشكل مباشر منذ أفريل 1947 بعد الزيارة السلطانية لمدينة طنجة، حيث كان لهذه الأخيرة تأثيرات مباشرة على طبيعة الأحداث التي عرفها المغرب فيما بعد، سواء على المدى القريب أو البعيد¹. وفي 14 ماي 1947 أنهت باريس مهام إريك لابون² كثامن مقيم عام في المغرب، وحل محله الجنرال "ألفونس جوان"³ و لم يكن هذا التغيير عاديا لا في ظروفه المحلية والدولية، ولا حتى في طبيعة المهمة التي جاء من أجلها "جوان". فعلى المستوى الداخلي عرفت العلاقة بين فرنسا والسلطان أوج أزمته بعد خطاب طنجة الذي تحول إلى بند من البنود الرئيسية للبرنامج السياسي للحركة الوطنية بجميع اتجاهاتها سواء في المنطقة السلطانية (الجنوب) أو في المنطقة الخلفية (الشمال) وأصبحت باريس خاصة، بعد عدم استجابة جميع الأطراف في المغرب لبرنامج "لابون" الإصلاحية، في موقف يتطلب منها ضرورة التفاعل مع أحداث المغرب، فإما قبول مضمون الخطاب، وبالتالي تغيير القانون الأساسي للمغرب المعلن منذ 30 مارس 1912، بما يترتب عنه من تغيير للسياسة الفرنسية المغربية أو الإصرار على نفس هذا القانون. إلا أن رد الفعل الفرنسي على الزيارة كان سريعا من خلال التصريحات الرسمية التي صدرت في باريس حتى قبل نهايتها³، ثم تطور رد الفعل هذا وتبلور في سياسة جديدة للتحكم في الوضع واسترجاع المبادرة و قد ساهم التدخل السريع للكونلون في تحديد طبيعتها المتطرفة⁴، وبالتالي فقد سار الموقف الفرنسي، بما

¹ - سيتم التطرق لهذه الزيارة في الفصل السابع.

² - سيتم التطرق له في الفصل السابع.

³ - من بين التصريحات الفرنسية الرسمية حول الزيارة تصريح رئيس الحكومة "راماديه" الذي اعتبر أن سلالة الملك الشريفة تسمح له كأقصى حد بالحديث كخليفة للمسلمين، أنظر، عبد الكريم غلاب، ج1، (مصدر سابق)، ص 366.

⁴ - أرسل نواب الجالية الفرنسية في مجلس شورى الحكومة لجنة عنهم توجهت إلى باريس للبحث في أمر مصير الحماية بالمغرب وحسب هذه اللجنة فإنها قدمت للحكومة الفرنسية مجموعة من الأدلة الدامغة و البراهين القاطعة على ضرورة الاحتفاظ بوضعية فرنسا في المغرب، وأنه سيعمل بكل ما في وسعه لتأييد نظام الحماية و تثبيت قدم الاستعمار الفرنسي في المغرب، أنظر، ماذا وراء الأكمة، جريدة الرأي العام، العدد 5 (14 ماي 1947).

سماه لسان اللوبي الاستيطاني جريدة "لافيجي ماروكان" *La Vigie Marocaine*، في اتجاه "التحكم في الأمور بتعويض رجل ضعيف برجل قوي وسياسة متساهلة بسياسة حازمة"¹.

أما على المستوى الدولي، فمن جهة جاء تعيين الجنرال "جوان" كمقيم عام في المغرب في سياق الحد من تأثير هذا الأخير بمختلف التحولات التي شهدتها منطقة البحر الأبيض المتوسط منذ مؤتمر الدار البيضاء في جانفي 1943، عندما أراد السلطان الاستفادة من المشروع الأمريكي الذي فتح أمام المغرب والقارة الأفريقية آفاقا كبيرة، لولا وفاة الرئيس "فرانكلين روزفلت" المفاجئة. ومن جهة أخرى للرد على السلطان الذي طالب أثناء زيارته لمدينة طنجة للشعب المغربي "بالحقوق الملائمة لحياة هذا الزمان و هذا العصر الذي تطالب فيه سائر الشعوب بحقوقها، ومن الحق و الإنصاف أن ينالها كلها ليتبوأ مركزه عاليا بين الشعوب الحرة السيدة و يحي حياة المجد و العزة و العظمة..."².

و لذلك عينت باريس الجنرال "جوان" كمقيم عام بعد "إريك لابون" لأن هذا الأخير "أخطأ في ثقته المفرطة الذي جعل منه ديغول "رفيق التحرير"³ و لكنه أشهر عداءه لفرنسا"، و لذلك اعتبرت باريس أنه يجب وضعه في مكانه الملائم له، و اعتبرته رجلا تيوقراطيا رفض الديمقراطية في جميع مستوياتها، و قد يتطلب الأمر تنحيته⁴، ولا يمكن لأحد أن يحقق هذه المهمة أحسن من رجل عسكري حازم مثل الجنرال "جوان" الذي تلقى تعليمات من رئيس الحكومة "بول رمادييه" ووزير الخارجية "جورج بدولت" بمعالجة الموقف المغربي بسرعة وحزم، وتذكير السلطان بدوره المحدد وفق معاهدة 30 مارس 1912، التي نصت على ضرورة التعاون مع الإقامة العامة و بالتالي التراجع عن موقف طنجة. و في حالة عدم حدوث ذلك فإن تنحية السلطان عن العرش تصبح أمرا لا مفر منه، سواء بتنازل طوعي من طرفه، أو بتنحيته بالقوة⁵.

¹ - Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, p, 295.

² - من خطاب الملك محمد الخامس في مدينة طنجة. أنظر، العلمي، محمد، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب، (مصدر سابق) ص، 94.

³ - Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op.cit, p189.

⁴ - من تصريحات كل من رئيس الحكومة الفرنسية "بول رمادييه" و وزير الخارجية الفرنسية "جورج بدولت" في مجلس الوزراء

أنظر Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op.cit, p 201.

⁵ - Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, 295.

و قد رحب الكولون بهذا التعيين و هللوا بقدوم "الجزائري الذي سيعرف كيف يتعامل مع العرب و يوقف طموحات السلطان ،و يحافظ على المغرب العزيز على فرنسا"¹.و لذلك فإن تعيين الجنرال "جوان" لم يكن مجرد تدبير إداري من التدابير التقليدية المعروفة التي كانت فرنسا تقوم بها في السابق، بقدر ما كان تعبيراً عن سياسة جديدة تختلف جذرياً عما طبقه سلفه، و كان من وراء هذا التغيير قادة الجيش التقليديين الذين اعتبروا أنفسهم محرري فرنسا من الألمان ،و متمسكين بالإمبراطورية الفرنسية فيما وراء البحار باستعمال كل الوسائل ،وكذلك رجال الأعمال الذين كونوا ثروات هائلة في هذه الإمبراطورية، وقد اعتبرت الفتان خطاب طنجة خطراً على مصالحها الحيوية، و بالتالي تدخلت في تعيين الجنرال "جوان" كمقيم عام جديد في المغرب و ممثل لسياسة جديدة تعتبر المغاربة لا يفهمون إلا القوة و الحزم في معاملتهم و ترى في المغرب مجالاً حيويًا لتحقيق المزيد من المكاسب الاقتصادية، و وسيلة لتحقيق سيطرة الجيش على الإمبراطورية التي كثيراً ما حارب من أجلها حتى خارج القارة الأوروبية و لذلك كان "جوان"، بصفته رئيس أركان الحرب، مطالباً بأن يخوض حرباً في المغرب ذات طابع سياسي عسكري². و لذلك نزل في المغرب و كأنه جاء لاحتلال المغرب من جديد. فقد وجد من ضمن مستقبله زوجة الماريشال ليوتي و الكثير من الأوروبيين الذين رأوا فيه منقذاً لهم من نتائج الزيارة السلطانية لمدينة طنجة³.

بدأ "جوان" " سياسته المغربية" بتصريحات حددت طبيعة مهمته، فقد اعتبر أولى واجباته هي "إعادة النظام بدون عنف و لكن بحزم، و عدم السماح لأي أحد مهما كان بالمساس به، و

¹ - من تصريحات الصحافة الفرنسية في باريس و الرباط المؤيدة لسياسة التشدد مع الملك مثل *Le figaro, l'aube, l'époque* و *l'aurore* و سمي بالجزائري لأنه من مواليد مدينة قسنطينة تربي في جو من الكره و الحقد اتجاه العرب، و قد ازداد هذا الشعور تطرفاً تحت تأثير زوجته الأرستقراطية من نفس المدينة، التي قامت بإبعاد كل الشخصيات التي تعارض أفكارها الكولونيالية المتطرفة، و قربت إلى دائرته الشخصيات المتطرفة أمثال بونيفاس حاكم إقليم الدار البيضاء و غيرهم من الذين اصطلح على تسميتهم "فريق قسنطينة"، أنظر، *Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op.cit, p208*

² - الحسن الثاني، التحدي، مصدر سابق، ص 63.

³ - وصل الجنرال "جوان" إلى المغرب على ظهر السفينة العسكرية "جورج ليغز" *Georges Leygues* " و وجد في ميناء الدار البيضاء استقبالا ضخماً نظمه له الأوروبيون في المغرب من صحافة و إداريين و عسكريين و كان من بين هؤلاء زوجة الماريشال ليوتي " إيناس ليوتي" التي تقدمت إليه و في يدها راية للصليب الأحمر الفرنسي. التي جاءت تستقبل قائد أركان الماريشال ليوتي. و عندما شاهدها جوان احتضنها. و قد اعتبرت صحافة الأوروبيين أن هذه اللحظة هي أهم اللحظات في حفل الاستقبال لأنها عبرت عن "محبة تلميذ ليوتي لإنقاذ المغرب الفرنسي و بمباركة من طرف أرملته" أنظر ،

Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, 297.

يجب على المغرب، الذي حققت له فرنسا وحدته، أن يكون بلدا غربيا بعيدا عن أي تأثير شرقي¹. كما جعل من مهمة إلغاء أية إمكانية للاستفادة من زيارة طنجة أمرا استعجاليا، والتأكيد على اعتبار المغرب جزءا من مشروع "الإتحاد الفرنسي" عن طريق سياسة إصلاحية جديدة تعوض تدريجيا معاهدة الحماية لسنة 1912 و تختلف عن المشاريع السابقة و تسعى لتكريس السيادة الفرنسية². ويمكن القول أنه من الناحية السياسية البحتة كان "جوان" يسعى على الأمد البعيد للضغط على السلطان من أجل مواصلة المسار الإصلاحي الذي شرع فيه سلفه "إريك لابون" بغض النظر عن مضمونه، من أجل وضع جديد في المغرب من أهم ملامحه تعويض معاهدة الحماية لسنة 1912 بنظام سياسي تكون فيه السيادة للفرنسيين بشكل رئيسي و محوري. و لعل هذا ما أدركه السلطان والحركة الوطنية بشكل واضح فوجهوا نشاطهم ضد أي مشروع إصلاحي فرنسي إذا لم يتم الاعتراف بمبدأ سيادة المغرب من طرف فرنسا³.

تميز موقف حزب الشورى والاستقلال من تعيين الجنرال "جوان" كمقيم عام جديد في المغرب بانتقاله عبر محطات ارتبط مضمون كل منها بطبيعة المواقف المتخذة من طرف هذا المقيم ففي الأول، و كمرحلة جس النبض، لم يصدر حكما فاصلا بشأنه انطلاقا من التصريحات والإحياءات، و ربط ذلك بمستقبل الممارسة الإقامة في المغرب⁴، و في هذا السياق تساعل الحزب عن حقيقة ما جاء في الصحف من تعليقات حوله إن كان ذلك من باب التضليل أم من سرد الحقائق، فالصحف الكولونيالية رحبت وصفت لهذا الرجل، واعتبرته رجل الساعة بالنسبة لطبيعة مشاريعها⁵، كما هو الحال بالنسبة للسان حال المستوطنين جريدة "لافيجي ماروكان" "la vigie marocaine"، أما الصحف اليسارية فقد كان حديثها عنه مضطربا غير واضح تضمن تحفظا و خوفا من تطور الأمور إلى ما كانت تعتبره سوء المغبة والعاقبة. وبين هذين الموقفين برز موقف آخر أراد إقناع الناس بإمكانية الاستفادة من ممارسة السياسة من طرف

¹ - Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, 303.

² - Stéphane Bernard, , Le conflit Franco-marocain, op.cit., 94.

³ - 7 ibid., p 9.

⁴ - السياسة التي تبحث عن نفسها، جريدة "الرأي العام"، العدد 21، 6 ماي 1947.

⁵ - ما وراءك يا عصام؟، جريدة "الرأي العام"، العدد 7، 28 ماي 1947.

رجل عسكري وأراد أن يقتنع الجميع بأن "الصفة العسكرية لا تمنع صاحبها من ممارسة السياسة¹.

و قد كان موقف الحزب من هذه المواقف المتأرجحة بين التخويف والتأسف و العقلنة هو السخط الممزوج بالسخرية من هذا و ذاك، فإذا كان موقف الكولون المتطرفين المهملين لهذا التعيين واضح في معانيه، فإن الحزب تعجب من موقف اليسار الفرنسي الذي كان من وراء هذا التعيين من خلال شخصية رئيس الحكومة اليساري "بول رماديه". ثم بدأت صحافته في التأسف على المقيم العام السابق، و التشكيك في قدرة "جوان" في حل الأزمة و قد اعتبر زعيم الحزب محمد حسن الوزاني ذلك تقليدا في موقف اليسار الفرنسي من القضية المغربية "الذي تعود على فم يسبح و يد تذبح"². و في محطة أخرى انتقل الشوريون من مجرد التساؤل حول حقيقة المهمة التي جاء من أجلها "جوان" إلى محاولة احتوائه معتبرا الظروف التي جاء فيها تفرض عليه اللباقة والحكمة في معالجة الأزمة، وأن خبرة الجنرال في المسائل السياسية تجعله مدركا للتطور الذي طرأ على وضعية الشعوب شرقية كانت أم غربية، وقد شجع الحزب مواصلة هذا المنحى بعض التصريحات التي أدلى بها "جوان" كإقراره بوجود "القومية المغربية" و عدم معاداته لها وإيمانه بحتمية زوال نظام الحماية، و تصريحه أمام السلطان بشرعية مطالب الشعب المغربي³.

و من هذا المنطلق دخل الحزب في مرحلة ثانية في تعامله مع هذا المقيم و من ورائه السياسة الفرنسية في المغرب، عندما أراد التحول إلى قوة اقتراح للحل الملائم لتسوية القضية المغربية بحل مشكلتها السياسية، باعتبار هذه الأخيرة الممر الوحيد لحل بقية المسائل والخروج من طور "السياسة التي تبحث عن نفسها"⁴، إلى بداية حلها بصورة فعلية، انطلاقا من التضحيات الجسيمة التي بذلها المغاربة في الحرب العالمية الثانية، لا استجابة لواجب من واجباتهم، و لكن لمناصرة فرنسا و حلفائها⁵. وتمثل مضمون هذا الحل في المطالبة بترسيخ

¹ - المصدر نفسه.

² - المصدر نفسه.

³ - كان ذلك عندما استقبل الملك محمد الخامس الجنرال "جوان" بعد حلوله في المغرب. أنظر، العلمي، محمد، محمد بن يوسف أو تاريخ استقلال المغرب، مصدر سابق) ص 121.

⁴ - تسوية القضية المغربية في حل مشكلها السياسي، جريدة "الرأي العام"، العدد 8، 04 جوان 1947.

⁵ - المصدر نفسه.

الحكم الديمقراطي الدستوري الشوري الذي جاء في وثيقة "ميثاق الاستقلال القومي" التي اعتمدها الحزب بعد تأسيسه في جويلية 1946، التي تضمنت المطالبة بالدستور كحل للمشكلة السياسية، أي تحقيق الشورى والاستقلال¹.

بقي الشوريون خلال مرحلة جس النبض، وفي سعي لاستثمار أي تصريح أو تلميح من طرف السياسة الفرنسية المغربية عن طريق ناطقها الرسمي المقيم العام الجديد لاستغلاله بما يخدم إستراتيجيتهم السياسية، وقاموا بقراءة كل إشارة منه، بغض النظر عن درجة وضوحها و طبيعة مضمونها تصب في اتجاه حلها، ولم يمانعوا في بقاء تعاون وثيق بين فرنسا و المغرب عن طريق "إبرام معاهدة جديدة تكون الغاية منها ضمان استقلال المغرب وتنظيم العلاقات المغربية الفرنسية واحتفاظ الفرنسيين بمصالحهم المشروعة"². ويعتبر هذا التصريح إشارة مباشرة من طرفهم للتعبير عن استعدادهم لإجراء حوار في هذا الشأن. وقد ظهر بشكل واضح بأن حزب الشورى و الاستقلال بقي يعتبر سياسة "جوان" مسلكا إجباريا لحل الأزمة المغربية، وبتعبير آخر فإن قناعة الشوريون في هذه الفترة كانت تقتضي بأن يتم حل للقضية المغربية في الداخل معتبرين التدويل بعد الحرب العالمية الثانية عديم الجدوى للقضية المغربية، و بالتالي لا يخدمها ولا يحقق لها تقدما، ولا يحرز لها أي مكسب، لأن العالم لم يتغير كثيرا بعد هذه الحرب، والدول الأوروبية التي خرجت مستضعفة من الحرب ستتكب على إصلاح شؤونها لاستعادة قوتها وبناء مجتمعاتها³. بينما ستبقى الأقطار الفقيرة والبلدان المستعمرة على ما كانت عليه من أحوال. فالسلطة تملكها البلدان القوية التي تتصرف كما تشاء على الصعيد الدولي، و تأتي بما يناسبها و يتوافق مع مصالحها، بالرغم من اعتناقها للديمقراطية كمذهب سياسي و منظومة فكرية⁴، أما هيئة الأمم المتحدة ، فقد اعتبرها الشوريون في تلك المرحلة ليست بمحكمة تحل المشاكل الدولية من الوجهة القانونية، ولا توزع الاستقلال والحرية على البلدان المستضعفة المقهورة⁵. و قد تصاعد هذا الاتجاه المعاكس للتدويل أكثر فأكثر بعد الإشارات التي جاءت من طرف "جوان" حول إمكانية فتحه

¹ - تسوية القضية المغربية في حل مشكلها السياسي، جريدة "الرأي العام"، العدد 8، 04 جوان 1947.

² - تصريح للوزاني في *Le parisien Libéré n° du 23 Aout 1946*، أنظر، تصريحات صحفية ج 01، مصدر سابق، ص 07.

³ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مصدر سابق، ص 215.

⁴ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 215.

⁵ - المصدر نفسه.

الحوار مع القادة الوطنيين حول القضية المغربية¹. و بعد ذلك تحولت هذه التلميحات إلى مبادرة سياسية رسمية من طرف الإقامة العامة في شكل دعوة الحزب للتداول².
و قد كان باشا مدينة " صفرو " مبارك البكاي " وراء هذه الاتصالات التي كانت تتم مع و "ليون مارشال Léon Marchal" مندوب الإقامة العامة. حيث نصحه الباشا بالاتصال بالشوريين للتداول معهم³. و قد بدأت الاتصالات بين المقيم العام "جوان" والقيادة الشورية في بداية سبتمبر 1947. و قد تعرف "جوان" في هذا اللقاء لأول مرة على الوزاني الذي ظهر له متمكنا من مكونات "القضية المغربية". و عبر عن اختلاف أطروحاته عن حزب الاستقلال⁴. ثم تطورت هذه الاتصالات إلى مرحلة حاسمة. و انتقل بذلك الشوريون من مرحلة جس النبض إلى مرحلة التداول مع نظام الحماية. حيث قدموا لذلك مذكرة سياسية تضمنت مشروعا سياسيا متكاملًا لحل القضية المغربية في مرحلة الحماية (الاستقلال/المشكلة الخارجية) و تضمنت كذلك رؤيته لبناء المغرب المستقل (الدستور/المشكلة الخارجية) بمرحلة الحماية، و طرح رؤية سياسية إستشرافية لبناء المغرب المستقل حسب رسالة "ليون مارشال" لوزير الخارجية الفرنسية "جورج بيدولت"⁵.

¹ - جاءت هذه التلميحات و الإشارات عن طريق الصحفي الإنكليزي جورج فرايز الذي كان يقيم في باريس و يرأسل منها عدة صحف أمريكية و إنجليزية و أوروبية، و زار المغرب في سبتمبر 1947 و التقى زعماء الحركة الوطنية و الجنرال "جوان"، حيث قدم لهذا الأخير تقريرا يعتبر فيه أن حزب الشورى و الاستقلال هو الحزب الوحيد الذي له برنامج دقيق و رؤية واضحة لحل المشكلة المغربية، كما أعطى "جوان" انطبعا برغبة في الحوار مع الحزب عن طريق باشا صفرو مبارك البكاي الذي كان على اتصال مباشر مع زعيم الحزب محمد حسن الوزاني بحكم القرابة العائلية الموجودة بينهما، أنظر، الحاج أحمد معنيو، ذكريات و مذكرات، ج4، مصدر سابق، ص، 131.

² - في أوائل سبتمبر 1947 تلقى المكتب السياسي للحزب اتصالا من الإقامة العامة لإعلامه أن هذه الأخيرة ترغب في الالتقاء بقيادة الحزب من أجل النظر في القضية المغربية، عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 218.

³ - ذكر "ليون مارشال" بأن الحوار مع الشوريين بشروط سيسهل للمقيم العام "جوان" بالقيام بمخطط إصلاحات في المغرب على عكس حزب الاستقلال الذي يخضع لتأثير علال الفاسي لا يمكن الحديث معه نظرا لموقفه الرفض لأي حوار أنظر،
Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, 365.

⁴ - *ibid.*

⁵ - جاء في هذه الرسالة أن " هذا البرنامج ظهر أكثر واقعية من برنامج حزب الاستقلال، لأنه يأخذ بعين الاعتبار بقاء في فرنسا في المغرب بشكل من الأشكال رغم الظروف الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية... فقد كان في هذه المذكرة الكثير من الأفكار البناءة التي يمكن لفرنسا استغلالها في المغرب " أنظر،
Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, 366

4 - 2 اتصالات الشوريين مع الإقامة العامة :

اتصل حزب الشورى والاستقلال بالإقامة العامة يوم 10 سبتمبر 1947، عن طريق مكتبه السياسي بقيادة أمينه العام محمد حسن الوزاني، و تم في هذا اللقاء الأولي تناول مضمون مبادرة المقيم العام من حيث المبدأ، و قدم الحزب أثناءها نظرتة في الأزمة المغربية والكيفية التي تسمح بتحريكها من وضعيتها الراكدة منذ أحداث جانفي 1944، وبعد رفض مشروع "إريك لابون" في جويلية 1946، و تضمنت هذه النظرة طبيعة هذه الأزمة أسبابا و مسارا و نتائج و حلولاً، و قد كانت امتدادا لما جاء في مضمون وثيقة "ميثاق الاستقلال القومي" معتبرا من الناحية المبدئية أن السيادة مطلب مهم و الأهم منه التخطيط لها سياسيا على المدى القريب و البعيد على حد سواء¹.

و قد اعتبر الحزب هذا اللقاء بداية عهد جديد في السياسية العامة في المغرب، و أول مقابلة رسمية من نوعها في هذه البلاد من أجل استرجاع سيادتها و بنائها دستوريا، و قد انتهى بقتاعة لدى الطرفين بضرورة مواصلته بشكل أكثر عمقا و تفصيلا. فقد طلب الجنرال "جوان" من الوفد الشوري تقديم وثيقة مفصلة حول رؤيته للأزمة و سبل حلها، بغرض دراسته و تسليمه إلى الحكومة الفرنسية، باعتباره مندوبها بالمغرب². و قد قبل الشوريون هذا المطلب بشرط أن يعطي له شرعية سياسية وطنية سلطانية من خلال موافقة السلطان محمد بن يوسف على المبادرة من حيث المبدأ و من حيث المضمون. بالإضافة إلى موافقة المكتب السياسي للحزب عليها كإجراء تنظيمي ضروري³.

و في نفس اليوم الذي تم فيه اللقاء اتصل محمد حسن الوزاني بالقصر الملكي وأبلغ السلطان بمضمون المبادرة، التي حظيت بموافقة التامة. و قد كانت هذه التزكية لهذه المبادرة، التي تضمنت إصلاحا سياسيا دستوريا يحد من سلطة السلطان التاريخية المطلقة و يحولها إلى حكم مقيد و صوري، محل تأويل من طرف مختلف الأطراف المعنية بالأزمة المغربية، فإذا كان الحزب قد اعتبرها موافقة من حيث الشكل والمضمون⁴، فقد رأى " سبيلمان "

¹ - هل المغرب على أبواب عهد جديد، جريدة "الرأي العام"، العدد 24، (24 سبتمبر 1947).

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - هل المغرب على أبواب عهد جديد، جريدة "الرأي العام"، العدد 24، (24 سبتمبر 1947).

موقفا ظرفيا اتخذهُ السلطان للخروج من العزلة المفروضة عليه من طرف الإقامة العامة منذ خطابه بمدينة طنجة في أبريل 1947، و بعد رفضه إمضاء ثلاثة ظهائر (قوانين) حدث من سلطاته وتدخلت في تسيير الشؤون العامة قدمت له من طرف المقيم العام الجنرال " جوان"¹. كما أراد من خلالها إرسال رسالة إلى الإقامة العامة مضمونها أن أية مبادرة وطنية بغض النظر عن مضمونها لا تتم إلا تحت المظلة الملكية، وبالتالي يملك سلطة توجيهها بما يخدم مصلحة السلطان، أو توقيفها إذا سارت عكسها، واعتبرها آخرون بداية موقف معتدل بدأ السلطان في انتهاجه بعدما تم الترويج إعلاميا، و من طرف الصحافة الكولونيالية على وجه الخصوص، أن المقيم العام الجديد جاء من أجل مهمة تنحية السلطان طوعا أو كرها، وأن هذه العملية بدأ التحضير لها². و في نفس الوقت يمكن اعتبار ذلك محاولة من طرف السلطان لإفراغ هذه المبادرة من مضمونها السياسي الذي شكل تهديدا لسلطته التاريخية و المقدسة³. ومهما كانت تفسيرات موقف السلطان محمد بن يوسف من مبادرة الشوريين، فإن هؤلاء اعتبروا السلطان طرفا رئيسيا في الحركة الوطنية، وبالتالي يجب إشراكه في هذه العملية وفي كل ما قاموا به من تحركات من أجل استرجاع السيادة الوطنية، ولا يعتبر هذا سلوكا سياسيا جديدا بحد ذاته. فمنذ الثلاثينات شهدت الساحة المغربية مثل هذه المحاولات لإقحام السلطان في الحركة الوطنية المغربية و تحويله من أداة لنظام الحماية إلى وسيلة أساسية لإزالة هذا النظام⁴. و قد اتخذ في "ميثاق الاستقلال القومي" مكانة رئيسية في تصور الشوريين للمغرب سواء أثناء تحريره من نظام الحماية (الاستقلال / المشكلة الخارجية) أو في بناء الدولة المغربية العصرية (الدستور / المشكلة الداخلية). فقد تحولت هذه المؤسسة إلى ثابت من ثوابت التصورات الشورية بالرغم من طبيعة مضمون الإصلاح الدستوري الذي كان تتضمنها. و لم يكن هذا خاصا بالشوريين فقط. فلم تشهد مسألة إجماعا بين " الشوريين " و " الاستقاليين " مثل مكانة السلطان في برامجهم. و يعتبر هذا " الإجماع المقدس " مسألة عميقة في المجتمع المغربي، و هي أبعد من مجرد البحث عن حليف سياسي في ظروف سياسية

¹ - Spillmann(Georges), *Du protectorat*, op.cit, p 142.

² - El-houari, Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, *op, cit*, p , 257.

³ - *ibid*.

⁴ - تم التطرق لذلك في الفصل الثالث " الحركة الوطنية الصحفية "

معينة. لأن مفهوم " السلطان " أصل من أصول الوطنية المغربية"و من دعامة من " دعائم النظام المغربي *Système Marocain*" عبر التاريخ حسب العروي¹.

بعد أن حظي حزب الشورى و الاستقلال بموافقة كل من السلطان و مكتبه السياسي حول مبدأ تقديم مذكرة سياسية للإقامة العامة تتضمن رؤيته للحلول الكفيلة بحل الأزمة المغربية، و بعد إتمام كل الإجراءات التنظيمية، سلم الحزب إلى الإقامة العامة و القصر الملكي الوثيقة التي اشتهرت "بمذكرة 23 سبتمبر 1947"²، وبعد أيام نقلها الجنرال "جوان" إلى باريس التي اعتبرتها قاسية³، و لكن يمكن الانطلاق منها كأرضية للحوار الفرنسي المغربي الذي تم الشروع فيه وفق إجراءات تنظيمه⁴، ومنه دخل حزب الشورى والاستقلال، ولأول مرة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية، في مرحلة حاسمة من أهم مواصفاتها الانتقال من المطالبة إلى التفاوض من أجل تحقيق المطالب الوطنية. و بالنسبة للشوريين لم يكن ذلك خارجا عن النضال الوطني من أجل القضية المغربية. فقد كان ذلك من صلب "ميثاق الاستقلال القومي" الذي تبناه الشوريون في 30 جويلية 1946⁵.

¹ - اعتبر العروي أنه إلى غاية سنة 1956 كان للمغرب سلطانا يحيط به مخزنا و ليس بملك تساعد حكمة . كما عرف مصطلح " السلطان " عرف عبر التاريخ المغربي الكثير من الدلالات. من "السلطان" الذي كانت بأيديه كل السلطات ، سواء بالتفويض أو باستعمال القوة. ثم أصبح يلقب بالإمبراطور. و في إطار الدبلوماسية الأوروبية في القرن التاسع عشر. و نظرا للحد الذي تعرضت له سلطاته عن طريق الاتفاقيات أصبح يعرف بالمخزن أنظر ، *Abdallah Laroui , les origines , op.cit. p 67.*

² - *Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, 366.*

³ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 219.

⁴ - اتفق قادة حزب الشورى و الاستقلال مع الإقامة العامة على تنظيم اجتماعات أسبوعية كل يوم جمعة على الساعة الثالثة مساء، بداية من تاريخ 28 نوفمبر 1947. كما كان الحزب يعلم الملك عن مضمون كل اللقاءات التي كانت تتم في محاضر مضي عليها من الطرفين، و اتفق الطرفان على إرجاء القضايا التي لم يتم الاتفاق حولها، حفاظا على استمرارية الحوار.

⁵ - جاء في المادة الخامسة (5) من "ميثاق الاستقلال القومي" ما يلي : " العمل بتأييد فرنسا معنويا و دبلوماسيا لإلغاء نظام الامتيازات الأجنبية" و جاء في المادة العشرة (10) " لا ينتظر المغرب تخلصه التام من القيود المفروضة على سيادته بسبب الاحتلال و الامتيازات الأجنبية .."

جاءت مذكرة 23 سبتمبر 1947 ضمن ملف كامل تضمن في مقدمته رسالتين موجهتين بالترتيب إلى كل من السلطان محمد بن يوسف والمقيم العام الجنرال "جوان"²، وجاء في الرسالة الموجهة للسلطان محمد بن يوسف وصف للأزمة السياسية الحادة التي يعيشها المغرب في شكل هضم لحقوق الشعب المغربي و إهدار لمصالحه و كبت لحرياته بسبب تصلب الإدارة الفرنسية في موقفها حيال أمانيه المتمثلة في حقه الطبيعي في استرجاع حريته وسيادته³. واعتبر الشوريون هذا الواقع من الأسباب التي دفعتهم للقيام بهذه المبادرة مستغلين في ذلك نهضة الشعب المغربي التي اعتبروها تتم تحت رعاية المؤسسة السلطانية ثم جاء في هذه الرسالة تقديم لمخلص مضمون المذكرة من خلال التركيز على المطالبة "بوضع دستور يصون ما للعرش من حقوق تاريخية ثابتة، و يعيد للدولة سيادتها وللشعب حريته و حقوقه، فيجدد أداة الحكم، و يبسط روح الشورى في الأمة..."⁴،

و قد حاول الشوريون من خلال هذه الرسالة التمهيدية لنص المذكرة إقناع السلطان بضرورة الدستور انطلاقا من تجارب شعوب أخرى أصيبت بما أصيب به الشعب المغربي من فقدان لسيادته و فقدان لكيانه فاتخذت من الدستور وسيلة لإصلاح شؤونها الداخلية، واستعادة مكانتها بين الأمم المتمتعة بحريتها واستقلالها⁵. ولذلك تعتبر هذه الرسالة أول مطالبة رسمية للمطالبة بالدستور في ظل الحماية الفرنسي، الذي يعتبر النقطة الجوهرية في المذكرة الشورية⁶. ثم اختتمت بالتأكيد على مواصفاتها الرئيسية المتمثلة في طبيعتها الظرفية وبكونها طرحت حولا مؤقتة وضرورة رعاية السلطان لها⁷.

¹ - " مذكرة 23 سبتمبر 1947 " أنظر الملحق رقم 12.

² - يلاحظ أن الترتيب له دلالة سياسية تعبر عن أسبقية السلطان عن سلطة الإقامة العامة بالنسبة للحزب، وإشارة إلى ضرورة مرور أي عمل وطني عبر القصر بما في ذلك الإقامة العامة، و في نفس الوقت تعبير عن إشراك الملك منذ أول خطوة في هذه المبادرة بإعلامه بمجرياتها.

³ - *plan d'action immédiate propose par le parti démocrate de l'indépendance pour résoudre le problème marocain, les partis politiques marocains, documents, Centre des Archives diplomatiques de Nantes (CADN), n / 072, Nantes*

⁴ - *ibid.*

⁵ - *ibid.*

⁶ - *plan d'action immédiate propose par le parti démocrate de l'indépendance. op.cit.*

⁷ - موقفنا السياسي من خلال مذكرة 23 سبتمبر 1947، جريدة "الرأي العام"، العدد 170، (22 سبتمبر 1950).

وجاء في مدخل الرسالة الثانية الموجهة إلى الجنرال "جوان" تذكير بخلفيات المذكرة وشرح لمجمل الحلول المستعجلة التي اقترحها على المدى القريب لحل الأزمة السياسية والمعنوية وفي نهايتها توجيه لنظر المقيم العام كممثل للحكومة الفرنسية، إلى خطورة الوضع، وأهمية هذه المقترحات العملية كبرنامج سياسي أدنى للمغرب و لفرنسا¹.

أما مضمون مذكرة 23 سبتمبر 1947 فقد جاء مرتبا ترتيبا متدرجا في الطرح والأولوية في المطالب، فكان مدخلها في شكل تقديم لطبيعة العلاقات المغربية الفرنسية التي وصفت بالقلق والاستياء والتدهور المستمر، نظرا لخيبة أمل الشعب المغربي وعدم ثقته في الإدارة الفرنسية التي حلت محله في تسيير شؤونه وانتزعت منه سيادته، واستبدت بجميع سلطاته وتجاهلت تضحياته المادية والمعنوية أثناء الحرب العالمية الثانية في سبيل إحراز النصر من أجل قضية تحرير الشعوب والأفراد². وفي نفس المدخل وصفت المذكرة العلاقة بين السلطان والإقامة العامة بالتوتر الشديد بسبب التداخل في السلطات، وما قام به السلطان من دور منذ نزول الحلفاء في المغرب في 08 نوفمبر 1942 إلى غاية خطاب طنجة في 10 أبريل 1947، و مرورا ببيان الاستقلال في جاتفي 1944. وقد أدى هذا الوضع إلى حالة عامة من الاستياء السياسي العام والدائم قد يؤدي في أي وقت إلى التطاحن الشامل بين الطرفين³، لأن " مواصلة العمل بنظام الحماية، أو محاولة تجديده بصيغ أخرى سيزيد في تعقيد الوضع المغربي أكثر مما هو عليه"⁴.

وتضمنت المذكرة حولا سياسية للأزمة المغربية في الآجال القريبة والبعيدة، التي كانت مستوحاة من الهدف العام لحزب الشورى و الاستقلال المتمثل في "العمل بكل ما يستطيع من وسائل في سبيل إقرار ديمقراطية حقيقية سياسية واجتماعية واقتصادية لفائدة الشعب المغربي، واستعادة السيادة المغربية بصورة نهائية، و تحقيق استقلال الوطن في إطار وحدته الترابية والسياسية في ظل ملكية دستورية"⁵.

ولم تكتف المذكرة بطرح تصور نظري لحل المشكلة المغربية، فقد قدمت حولا بالاعتماد على أجراة الفعل السياسي بإجراء مفاوضات بين الطرفين تؤدي إلى الدخول في

¹ - plan d'action immédiate propose par le parti démocrate de l'indépendance. op.cit.

² - ibid.

³ - ibid.

⁴ - ibid.

⁵ - plan d'action immédiate propose par le parti démocrate de l'indépendance. op.cit.

مرحلة انتقالية لمدة سنتين تسمح للمغرب باجتياز نظام الحماية، مع الحفاظ على خصوصية العلاقات المغربية الفرنسية عبر اتفاق صداقة كبديل لمعاهدة الحماية¹. وبتعبير آخر فإن هذه المرحلة الانتقالية ضرورية من أجل القيام بإصلاحات دستورية عميقة و ضرورية تشرف عليها حكومة وطنية مغربية مؤقتة متمتعة بثقة الأمة والسلطان لها كامل حرية التصرف تضطلع بقيادة المغرب في هذه الظروف الانتقالية عن طريق الدستور، و تتمثل أهم مهامها فيما يلي:

• القيام بإصلاحات شاملة في جميع ميادين الحياة المغربية، مع إعطاء الجانب السياسي سياسية أولوية خاصة.

• مغربة الإدارة بجميع مستوياتها، بنقل مختلف المهام و المسؤوليات تدريجيا من الموظفين الفرنسيين إلى إطارات مغربية يتم تكوينها لهذا الغرض.

• إعادة تنظيم الجيش والشرطة المغربية بالتعاون مع الكفاءات الفرنسية في شكل بعثات فنية خاصة تتكفل بتنسيق الدفاع المشترك في حالة حدوث أي تهديد لإحدى الدولتين.

• حفظ مصالح الفرنسيين و الأجانب الذين يعيشون في المغرب².

ومن ضمن الصلاحيات الأساسية لهذه الحكومة تنصيب مجلس وطني تأسيسي يمثل الرأي العام المغربي يقوم بمهمة أساسية بوضع دستور يضمن ما يلي:

• النظام الملكي الدستوري للمغرب الحر والمستقل.

• تنظيم السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية على أساس مبدأ الفصل فيما بينها.

• المساواة لسائر المغاربة أمام القانون.

• الحريات الفردية، وعدم المساس بحرمة المسكن والمراسلة والملكية الفردية و العمومية .

• ضمان حرية الرأي والاجتماع والجمعيات وحرية الصحافة والنشر ويمنع الرقابة

الوقائية للمطبوعات قبل صدورهما في الظروف العادية.

و يكفل الدستور مجموعة من المبادئ تتمثل فيما يلي:

¹ - جاء مع المذكرة اقترح مشروع معاهدة جديدة بين فرنسا و المغرب، من طرف الحزب تضمن الخلفيات القانونية والسياسية لهذه المعاهدة، وأهدافها ، و مضمونها المتكون من ثلاثة و عشرون بنداً، أنظر، الملحق رقم 12..

² - أورد شارل أندري جوليان عدم ضمان المصالح الفرنسية والأجنبية وفق هذه المذكرة، في حين لم تتضمن هذه الأخيرة أية إشارة تشير إلى مساس بهذه الحقوق أو عدم ضمانها. أنظر، شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، (مصدر سابق)، ص 317.

• الإسلام دين الدولة والشعب المغربي، وكل المؤسسات الرسمية.

• ترسيم اللغة العربية، كلغة المغرب الوطنية و القومية.

• مبادئ الملكية الدستورية¹.

تضمنت المذكرة في المجال الخارجي ضرورة استرجاع المغرب لكامل هيئاته الدبلوماسية من أجل ممارسة السيادة الوطنية على المستوى الدولي، ووضع حد للاحتكار الفرنسي للدبلوماسية وللنشاط القنصلي المغربي، ونصت في نفس الوقت، و لتدعيم المعاهدة المستقبلية مع فرنسا التي ستحل محل معاهدة الحماية، على ضرورة التشاور بين الحكومتين المغربية والفرنسية في كل القضايا الخارجية، إلا أن هذا لا يجب أن يشكل تناقضا أو تصادما مع انتماء الأمة المغربية للعالم العربي الإسلامي الذي يفرض عليها تضامنا مع قضاياها حتى وإن تضاربت مع مصالح فرنسا². وفي نهاية هذه المذكرة، طرح الحزب الطليعة الظرفية لهذه المذكرة، فاعتبرها برنامجا تضمن أسس العمل المستعجل، واشتمل على مقترحات عملية، تطرح المسألة المغربية من جديد على البساط في وضوح و صراحة، واعتبر نفسه مستعدا لتحمل مسؤولياته والاضطلاع بأعباء إدارة الشؤون العامة، تحت إشراف المؤسسة السلطانية.

كما تضمنت مذكرة 23 سبتمبر 1947 مجموعة من المبادئ الأساسية شكلت مدخلات

أساسية بالنسبة لحزب الشورى و الاستقلال من أجل حل المشكلة المغربية تتمثل فيما يلي :

• ضرورة إلغاء نظام الحماية والاعتراف باستقلال المغرب عن طريق معاهدة جديدة.

• التأكيد على مبدأ تبناه الحزب بين سنتي 1947 و 1951 يعتمد على حل المشكلة المغربية عن

الطريق الحوار الفرنسي المغربي وإلغاء أي إمكانية لتدويلها سواء عن طريق المنابر الدولية والإقليمية أو عن طريق التحكيم الدولي،

• التركيز على المرحلة الانتقالية كإجراء انتقالي يسمح بانتقال السيادة تدريجيا، وقد اعتبرها

الحزب ضرورية حتى يتمكن المغرب من التحكم من الممارسة السياسية المسئولة في الداخل عن طريق الدستور وفي الخارج باسترجاع شخصيته الدولية، وتوقيف مناورات الإقامة العامة.

¹ - *op.cit. plan d'action immédiate propose par le parti démocrate de l'indépendance* .

² - ظهر الحزب مرة أخرى في هذه الوثيقة تأثره الواضح بالبعد العربي الإسلامي، و يعتبر ذلك امتدادا لـ "ميثاق الاستقلال القومي" لسنة 1946، و تأكيدا لما أظهره السلطان محمد بن يوسف أثناء زيارته لمدينة طنجة ..

• رفض الإصلاحات الفرنسية المبرمجة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وتقديم بديل عنها تميز بكونه معتدلا جعل من الدولة الحامية الغائب الحاضر، غيابها يترجم بعدم تدخلها في تشكيل الحكومة، وفي تنصيب مختلف المؤسسات السياسية، وفي تسيير مختلف الشؤون المغربية العامة، وحضورها يظهر في تعهدا بمساعدة الشعب المغربي و دعمه لها من أجل بناء وتنظيم دولة عصرية ذات نظام ديمقراطي بسيادة كاملة غير منقوصة¹.

و أخيرا فإن أهمية المذكرة تعود أساسا إلى العلاقة الجدلية التي وضعت بين مطلبتي الاستقلال والدستور، ففي ما يخص الأول قدمت خطة تقتضي بوضع حد لعقد الحماية شكلا ومضمونا، ووضع اتفاقية جديدة و مؤقتة مهمتها تنظيم مرحلة انتقالية محدودة زمنيا يتم فيها تحديد الإجراءات القانونية لإبطال مفعول عقد الحماية وتنظيم العلاقة بين المغرب المستقل وفرنسا بصيغة تحمي مصالح الطرفين². ويعتبر هذا حلا وسطا لتجاوز صعوبة الوصول إلى اتفاق بين نظام الحماية والمغرب حول الإلغاء الجذري لمعاهدة الحماية. و يتم كذلك أثناء هذه المرحلة الانتقالية وضع الأسس السياسية والقانونية لتنظيم وهيكل السلطة، و تنصيب مؤسساتها على أسس و قواعد دستورية تراعي مصالح الملكية والشعب عن طريق مطلب الدستور، الذي كان بندا رئيسيا للمذكرة، كقاعدة سياسية و قانونية لوضع مبادئ وأسس قيام الدولة الحديثة، و كمرجع لحل الخلافات والإشكالات السياسية بين مختلف الأطراف السياسية. و لذلك ظهر أن الحزب، من خلال هذه المذكرة، أحدث علاقة عضوية بين الاستقلال و الدستور لا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر³.

ويعتبر هذا من أهم مظاهر ممارسته السياسية المطلوبة بعد الحرب العالمية الثانية منذ صدور وثيقة "ميثاق الاستقلال القومي" في جويلية 1946، لتتجلى بشكل واضح في هذه المذكرة التي عكست نظرة الحزب إلى الدستور فأعتبره الوسيلة الرئيسية للتحرر من الاستبداد سواء

¹ - El-houari, Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, op,cit,p257.

² - محمد المسكي، التصورات السياسية، مرجع سابق. ص 58.

³ - يعتبر الحزب الدستور مطلبا قديما، فهو امتداد للحركة الدستورية المغربية لما قبل الحماية باختلاف ظروفها و أهدافها التي حدثت سنة 1908 في عهد السلطان المولاي عبد الحفيظ التي فشلت بسبب الدسائس الأجنبية، أنظر، الاستقلال رائدنا الدستور وسييلنا إليه، الرأي العام، العدد 23، 17 سبتمبر 1947 / 17 1947/09، و يعتبره كذلك امتدادا لمطلب "الحركة القومية" بمنح الشعب المغربي وسيلة التدريب على منهاج الحكم و الإدارة طبقا لما أقرته الديمقراطية الحديثة، أنظر، لماذا نطالب للشعب بالدستور؟ الرأي العام العدد 12، 02 جويلية 1947.

الذي يفرضه طرف خارجي كما هو الحال بالنسبة للحماية، أو الذي يمارسه طرف داخلي وطني. وبدون هذا لا يمكن أن يكون هناك حلا للمشكلة المغربية العامة على أساس الحرية والعدالة والرقى والعزة¹، وبهذا أصبح حزب الشورى والاستقلال حركة تحررية بمضمون بنائي لدولة عصرية بتمسكها بالدستور كحل ضروري للمجتمع المغربي قبل وبعد الاستقلال و في جميع الحالات².

4-4 موقف حزب الاستقلال من مذكرة 23 سبتمبر 1947:

اعتبر الشوريون مذكرة 23 سبتمبر 1947 حدثا تاريخيا فريدا من نوعه، فلأول مرة منذ إعلان الحماية الفرنسية على المغرب في سنة 1912 أقدمت الحركة الوطنية بصورة رسمية على تقديم وثيقة سياسية إلى ممثل الحكومة الفرنسية، تضمنت حلولاً مستعجلة لـ "المشكلة المغربية" على أساس الحرية والسيادة والاستقلال والديمقراطية، استجابة للمطامح المشروعة للشعب المغربي، ولأول مرة استمع ممثل الحكومة الفرنسية إلى رأي المعارضة الوطنية التي نددت بنظام الحماية. ولعل أهمية هذه المذكرة تكمن في كونها لم تخطط فقط للمطالبة بالاستقلال، ولكن لما بعد ذلك ببناء المجتمع المغربي بناء عصرياً³.

إلا أن هذه النظرة الإيجابية قابلها الاستقلاليون بالعداء. فقد شنوا دعاية واسعة ضد المذكرة وتجندوا لإفشال مباحثات الحزب مع الإقامة العامة، مستعملاً في ذلك كمال الوسائل المتاحة، في الداخل عن طريق صحافته، وفي الخارج عن طريق "مكتب المغرب العربي" في القاهرة⁴ بشن حملة للتنديد بهذه المبادرة، ورفضها من حيث الشكل والمضمون واعتبر

¹ - استقلال وديمقراطية، جريدة "الرأي العام"، العدد 261 (19 نوفمبر 1955)

² - بقي الحزب بعد استقلال المغرب في الفترة الممتدة بين سنة 1957 و 1962 يطالب بالدستور من خلال وثائقه و مذكراته مثل الملتمس الصادر عن المجلس الوطني في 01 جوان 1957 أو ملتمس المجلس الوطني الاستثنائي المنعقد بتاريخ 21 سبتمبر 1958، أو في البيان السياسي و الميثاق السياسي الصادرين عن المؤتمر الوطني العام المنعقد في فاس في سبتمبر 1959، أنظر، حزب الشورى والاستقلال، في سبيل مجتمع انقلابي صالح، المؤتمر الوطني العام، فاس سبتمبر 1959، الأمانة العامة، 1959 في البيان الصادر الهيئة المركزية في جانفي 1960، حتى أنه و للتعبير عن ارتباطه الوثيق بهذا المطلب حول اسمه سنة 1960 إلى "حزب الدستور الديمقراطي" الذي بقي يطالب "بتسيير شؤون الحكم و السيادة وفق مناهج و أساليب الديمقراطية الدستورية الحديثة" أنظر، ملتمس الهيئة المركزية لحزب الدستور الديمقراطي 26 جوان 1960، محمد حسن الوزاني، حرب القلم الجزء 1، (مصدر سابق)، ص 310.

³ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص 245.

⁴ - تأسس هذا المكتب في فيفري 1947 تحت رعاية الجامعة العربية من حزب الاستقلال عن المغرب و الحزب الدستوري التونسي عن تونس و حزب الشعب عن الجزائر، و هو غير "لجنة تحرير المغرب العربي" التي أسسها الأمير عبد الكريم الخطاطي في

المجلس الأعلى لحزب الاستقلال، في مذكرة مؤرخة وجهها إلى فروع الحزب في أوائل 1948 بشأن إيديولوجية حزب الشورى والاستقلال، أن تشكيل حكومة وطنية حرة مساس بالسلطات التنفيذية للسلطان ، و مطلب الدستور سابق لأوانه و قضاء على فكرة الاستقلال بحد ذاتها، و "مجرد وبال على البلاد و تنظيم للاحتلال"¹، أما المرحلة الانتقالية فقد ندّدوا بها بدعوى التقائها مخطط المقيم العام في تجريد السلطان من السلطة التشريعية². فقد اعتبر عبد الكريم غلاب أن الإصلاح الدستوري "مفاجأة استرعت الانتباه، لأنها تمت أثناء توتر حاد كان يسود العلاقات بين السلطان وحزب الاستقلال من جهة، والإقامة العامة من جهة أخرى"³.

و عموما اعترض الاستقاليون على المذكرة من حيث ظروفها الزمنية لأنها تمت عندما كان المغرب يعيش في أزمة ثقة بين القصر والإقامة العامة التي يمثلها "مقيم عام يحمل أفكارا رجعية ويقف في مواجهة السلطان"⁴. و قد تم رفضها من طرفهم من حيث المبدأ بمعارضته أية مفاوضة مع نظام الحماية، قبل إعلان الاستقلال، و من حيث مضمونها بنظرته إلى الفترة الانتقالية التي اعتبرها ذات خطورة لأنها غير محددة زمنيا بدقة، و تنقل السلطة التشريعية من أيدي السلطان إلى أيدي حكومة تحت سلطة الحماية. و اعتبرت المعاهدة المؤقتة البديلة لمعاهدة الحماية، إخراج للقضية المغربية من وضعها الدولي المؤطر بمعاهدة الجزيرة الخضراء إلى وضعية ثنائية بين المغرب و فرنسا، مع ما يترتب عن ذلك من هيمنة للنفوذ الفرنسي. و كتحصيل حاصل ، فهي تؤدي حسب حزب الاستقلال إلى دخول المغرب في مشروع "الإتحاد الفرنسي"⁵.

كما اختلف حزب الاستقلال مع حزب الشورى والاستقلال في المسألة الدستورية. بالنسبة للاستقاليين فإن الدستور هو نظام ضروري للحكم ، و لكنه يأتي بعد الاستقلال لا قبله. لأنه

ديسمبر 1947، ونظرا لعدم انضمام حزب الشورى و الاستقلال لهذا المكتب الذي كانت رئاسته من حزب الاستقلال (عبد الكريم غلاب)، فقد قام بتوجيه نشاطه ضد مذكرة 23 سبتمبر الشورية. بتحريف معانيها و تقديمها على أنها تعاون مع نظام الحماية. و قد استطاع زعيم الحزب محمد حسن الوزاني بعد انتقاله إلى القاهرة في نهاية سنة 1951، مسح هذه الصورة خاصة عندما كان من وراء محاولة إصلاح "لجنة تحرير المغرب العربي" في مطلع سنة 1953.

¹ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق، ص 466.

² - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مصدر سابق، ص 382-389.

³ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق، ص 466.

⁴ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، (مصدر سابق)، ص 466.

⁵ - علال الفاسي، الحركات ، مصدر سابق ، ص 382-389.

مظهر من مظاهر سلطة الأمة¹. أما ما جاء حول الدفاع المشترك بين المغرب و فرنسا في المذكرة الشورية، فإن ذلك، في نظر الاستقلاليين، سيؤدي إلى خطر على مستقبل المغرب الذي قد يضطر للدخول في حرب استعمارية إلى جانب فرنسا². و قد لخص علال الفاسي موقف حزب الاستقلال من المذكرة في مقولة "لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال ولا دستور إلا أثناء السيادة"³.

يظهر أن هذا الطرح مقبولا من الناحية المبدئية، إلا أن موقف حزب الاستقلال من المذكرة تحكمت فيه مجوعة من العوامل على رأسها التراكم التاريخي للخلافات الموجودة بين الحركتين منذ سنة 1937، فمنذ ذلك الوقت لم يزد إصرار حزب الشورى والاستقلال في الدفاع عن أطروحاته السياسية، إلا إصرارا من طرف حزب الاستقلال على معارضتها، لأنه اعتبرها سعي لتجريد السلطان من سلطته التشريعية، و من جميع صلاحياته التنفيذية. وفي حقيقة الأمر فإن حزب الاستقلال، وبالرغم من قاعدته الشعبية وشرعيته التاريخية، فإنه لم يكن يملك طرحا ذا مضمون سياسي واضح من الناحية النظرية والتطبيقية على حد سواء، وبقي يطالب بالاستقلال و إقامة نظام سياسي مبني على مبدأ "الشورى"، كطرح عام فضفاض اعترف به أحد قادته و هو المهدي بن بركة⁴ الذي اعتبر أن الحزب "لم يتبن برنامجا للمغرب المستقل بمضمون سياسي واجتماعي واقتصادي وثقافي"⁵ وإذا كان قد أعطى انطبعا بتجاهله للمسألة الدستورية فيكونه لم يكن لديه رؤية حول الدولة المغربية المستقلة من جميع الجوانب بما في ذلك النظام الدستوري⁶. و في الوقت الذي رفض فيه كل تقارب مع نظام الحماية قبل اعتراف هذا الأخير باستقلال المغرب، و عارض مبادرة الشوريين في سبتمبر 1947. و رفض كل تقارب مع نظام الحماية شارك هو بنفسه في نهاية 1947، و على عكس موقف الشوريين، في انتخابات غرفة التجارة والصناعة، و في الهيئة الثانية للقسم المغربي بمجلس الحكومة

¹ - المصدر نفسه.

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق، ص 466.

³ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 382-389.

⁴ - قادة دين، المسار السياسي و الفكري للمهدي بن بركة، مرجع سابق، ص 134.

⁵ - Ben Barka Mahdi, *Option révolutionnaire au Maroc* ; éd, Maspero, paris, 1966p43.

⁶ - Madani Mohamed, *le mouvement national*, op.cit, p 67-68.

بأحد عشر عضوا وأربعة من المتعاطفين معه¹. وأخيرا فقد ظهر بشكل جلي أن حزب الاستقلال عارض مذكرة 23 سبتمبر 1947، لأنه كان يعتبر نفسه المصدر الوحيد لأية مبادرة وطنية والمالك الوحيد لشرعية العمل التحرري، ولا يمكن لأي طرف آخر أن يتحول إلى قوة اقتراح تحررية. ويمكن قراءة ذلك كمشروع لنظام سياسي لما بعد الاستقلال يعتمد على الحزب الواحد. ويبدو أن الشوريين قد فهموا ذلك، وأرادوا قطع الطريق أمام هذا الاتجاه بمطالبتهم بدستور يضمن الحريات السياسية لفترة الحماية و لما بعدها. ولكنهم فشلوا في ذلك. و دفعوا ثمن ذلك غاليا بعد الاستقلال².

4 - 5 موقف السلطان محمد بن يوسف من المذكرة :

أما موقف السلطان من المذكرة فقد أصبح من المفارقات السياسية المثيرة للتساؤل، لأنه استلم المذكرة و الرسالة المرفقة بها بالرغم من تحفظه من مبدأ "الملكية الدستورية"، و بقي يتابع باهتمام المفاوضات التي باشرها الشوريون مع الإقامة العامة بكل تفاصيلها، لأن الوفد الشوري المفاوض التزم بإعلام القصر بكل تفاصيل اللقاءات مباشرة بعد الانتهاء من أي لقاء وبالرغم من أن أكبر حزب في الحركة الوطنية في المغرب المتمثل في حزب الاستقلال، الذي حرص دائما على التعاون مع السلطان، قاد حملة إعلامية واسعة ضد المذكرة و دعا إلى رفضها. فقد ظهر موقف القصر على أنه جمع بين هذين المتناقضين، فمن جهة قبل بمبدأ إجراء حزب الشورى والاستقلال لمفاوضات مع الإقامة العامة في موضوع الدستور و في نفس الوقت سكت عن مهاجمة حزب الاستقلال للمذكرة. ومنه يمكن التساؤل عما كانت له المصلحة في السكوت عن الاستقلاليين في الحملة العدائية الكبيرة التي قادوها ضد المذكرة حتى تفشل هذه المبادرة. هل كان ذلك موافقا لمصلحة نظام الحماية نظرا لما تضمنته المذكرة

¹ - اعتبر حزب الاستقلال أن الأعضاء الذين انتخبوا في هذه الهيئات قاموا بذلك بأسمائهم الخاصة، ولكن في حقيقة الأمر فإن هناك إشارات أخرى صدرت عن الحزب عبرت عن هذا الاتجاه مثل سرور علال الفاسي ببرقية التهاني التي بعثها رئيس الجمهورية الفرنسية إلى حزب الاستقلال و إلى رجاله و إلى المقررين المغربيين في مجلس الحكومة، أنظر علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، (مصدر سابق) ص 148.

² - يعتبر الخلاف بين حزب الشورى و الاستقلال و حزب الاستقلال، وبشكل خاص بين زعيميهما علال الفاسي و محمد حسن الوزاني من أهم ما سجلته الحركة الوطنية المغربية منذ مطلع الثلاثينات و بقي متواصلا إلى ما بعد الاستقلال بتفاعلات مؤلمة وحزينة للشوريين على وجه الخصوص، الذين لم يزد تمسكهم بمواقفهم أتباع علال الفاسي سوى معارضتهم و التقليل من حجمهم و دورهم التحرري أثناء فترة الحماية ثم استبدادهم و محاولة تصفيتهم بعد الاستقلال. ويعتبر ما ألفه المهدي المومني النجكاني (الذي تم اختطافه) تحت عنوان دابريشة أو قصة مختطف، مطبعة النجاح الجديدة، 1987، و أحمد رداد تحت عنوان، من مظاهر التعذيب الحزبي أو دار بريشة الثانية، مطبعة سلا، 1990. من أشكال التعبير عن هذا الواقع المؤلم.

من خطورة على مصالح فرنسا في المغرب على المدى البعيد. فقد اعتبرت باريس بعد إطلاعها على مضمون المذكرة بأنها قاسية.

يبدو أن الأبعاد السياسية للمذكرة المتعلقة بالدستور ترجح تدخل القصر في هذا الاتجاه الصدامي نظرا لطبيعة المبررات التي استند عليها حزب الاستقلال لرفض المذكرة المتمثلة أساسا في إحداث توافق بين أهداف المذكرة و سياسة "جوان" الرامية إلى تجريد السلطان من اختصاصاته التنفيذية، خاصة و أن علاقة السلطان محمد بن يوسف مع زعيم الحزب محمد حسن الوزاني كثيرا ما انتابها التوتر بسبب الكثير من الانتقادات التي وجهها هذا الأخير لكل مبادرات السلطان¹، و يبدو أن السلطان وظف طموح حزب الاستقلال في مقاومة المطالب الدستورية لحزب الشورى والاستقلال التي لقيت تجاوبا، ولو ظاهريا، لدى السلطات الفرنسية وفي حالة نجاحها كانت ستحول حكمه إلى حكم رمزي أكثر منه فعلي. وفي نفس الوقت سيؤدي اصطدام الحزبين الرئيسيين في الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية حتما إلى إضعافهما بما يخدم المصلحة التاريخية للمخزن. و أخيرا فإن موقف السلطان من هذه المذكرة يدعو لكثير من الوقوف عنده، لأنه تم في ظروف كانت هناك قطيعة كلية بين السلطان و الإقامة العامة بعد الزيارة التاريخية لمدينة طنجة في أفريل 1947. و لذلك قد يكون موقف السلطان بحد ذاته رسالة إلى نظام الحماية مضمونها عدم التفكير في أي حل للأزمة المغربية بعيدا عن القصر. بالرغم أن مذكرة 23 سبتمبر 1947 كانت في حال نجاحها تزيد في مكانته و هيئته في المغرب، ولكن ليس بالكيفية التقليدية التي كانت المؤسسة السلطانية تريدها. فقد كانت مكانة هذه المؤسسة واضحة في التصورات الشورية و لكن بكيفية مخالفة، و لم تحصل على موافقة الأطراف المغربية الأخرى وعلى رأسها السلطان. الذي أوقف الشوريون المفاوضات مع الإقامة العامة عندما تعرض شخصه للإهانة فيما يعرف بـ "حادثة المنشورات"².

¹ - جون واتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 96.

² - تزامن مع مفاوضات الحزب مع الإقامة العامة حادثة عرفت بقضية النشرات السرية التي تسيء إلى شخص الملك وتشكك في أصله وانتمائه الملكي، وهي قصة قديمة تعود إلى ما قبل سنة 1927، وكان من ورائها أحد الضباط العسكريين المدعو العقيد "لوكت Lecomte" الذي تم تنحيته رغم محاولة الجنرال "جوان" الدفاع عنه *Spillmann(Georges), Du protectorat. op.cit, p142* و يعتبر "جوان" محرك هذه القضية حسب ما جاء في مذكرات "فانسان أوريول" رئيس الجمعية الوطنية الذي اعتبر أن الإقامة العامة كانت من وراء هذه العملية، وهي أول محاولة قام بها الجنرال "جوان" لتنحية الملك، أنظر،

Julien, (Charles-André), Le Maroc, op.cit, p,220

إذا كان الموقف المغربي من المذكرة في الداخل تراوح بين الرفض و المناورة، فقد كان لها أصداء خارج المغرب، و لعل من أهم المواقف التي يجب الإشارة إليها موقف زعيم ثورة الريف محمد عبد الكريم الخطابي الموجود في القاهرة منذ سنة 1947¹، الذي لم ير مانعا في تحديد فترة انتقال قبل تحقيق الاستقلال²، و قد أثار هذا الموقف كثيرا وسائل الإعلام الفرنسية فقامت بنقله والتعليق عليه³. و بعد أربع سنوات في سنة 1951 طلب عبد الكريم الخطابي من الحزب التراجع عن المذكرة لأن الأوضاع قد تغيرت وأصبح الحال غير ما كان عليه سنة 1947⁴. وفي الجزائر نقلت جريدة "الجمهورية الجزائرية" التي كان يصدرها فرحات عباس موضوع المذكرة مركزة على مطالبة الحزب بـ "حق الشعب المغربي في تقرير مصيره"⁵.

, Archives Affaire Des Tracts Attaquant La Famille Royale- Sultan Mohammed Ben Youssef (Mohammed V) ,
Diplomatiques De la Courneuve ,Paris, 24QO/23.

¹ - تحول مطلب تحرير زعيم ثورة الريف عبد الكريم الخطابي المنفي في جزر "لارينيون" بالخط الهندي إلى مطلب عربي منذ تأسيس "رابطة الدفاع عن المغرب في القاهرة" سنة 1943، ثم تبنته الجامعة العربية بعد تأسيسها و ضغطت على باريس لتحريره وهذا ما أدى إلى رضوخها و قيامها بنقله من منفاه، الذي كان قد قضى فيه واحد و عشرين سنة، إلى مرسيليا بفرنسا و في نفس الوقت لتقدمه كبديل لمحمد الخامس بعد خطابه التاريخي في أبريل 1947، و قد تمت الرحلة على ظهر سفينة عبر البحر الأحمر تتبعها الوطنيون المغاربة منذ عبورها مدينة عدن اليمنية، ليتم إنزاله في ماي 1947 بميناء بور سعيد بمصر على أساس أنه طلب اللجوء السياسي من دولة مصر بعد إقناع الملك فاروق من طرف الوطنيين المصريين حتى يتحول إلى زعيم عربي إسلامي.

² - صرح عبد الكريم الخطابي لجريدة الأهرام المصرية في عددها رقم 22426 بتاريخ 1948/01/05 عندما سئل عن الفترة الانتقالية ما يلي: "ليس هناك ما يمنع من التفاهم على تحديد فترة انتقال إلى تحقيق هذا الاستقلال، و هو ما يمكن الوصول إليه بالحوادث التي أعلم أنها تجري الآن و التي أرجو لها كل توفيق" أنظر، عز العرب محمد حسن الوزاني، حديثي والدي، (مصدر سابق)، ص 248.

³ - نشرت جريدة "الفيكارو" في عددها الصادر يوم 08 جانفي 1948 ملخص حديث عبد الكريم الخطابي مع جريدة "الأهرام" وكذلك الأمر بالنسبة لـ "بورترى ماروكان" بتاريخ 1948/01/06.

⁴ - مما جاء في رسالة عبد الكريم الخطابي بتاريخ 1951/04/05 إلى زعيم الحزب الوزاني أن الأوضاع قد تغيرت، فقد لبت برلمانات عربية نداء المغرب و أيدت شعوبها وحكوماتها، و شعوب دول إسلامية أخرى، و على رأسها جامعة الدول العربية التي قررت مطالبة فرنسا رسميا بالعمل على استقلال المغرب. و لإصرار فرنسا على تجاهل مذكر 23 سبتمبر التي تقدم بها حزب الشورى والاستقلال، فإنه يدعو مع أعضاء الحزب إلى الإعلان عن التراجع عنها و يصارحوا المسؤولين بأنهم لن يقبلوا حل المشكلة المغربية إلا على أساس الاعتراف بالاستقلال أنظر، عز العرب، حديثي (مصدر سابق)، ص 250، و قد حدث تقارب كبير بين الخطابي والوزاني بعد انتقال هذا الأخير إلى القاهرة سنة 1951. و بقي مستمرا إلى غاية وفاة الخطابي سنة 1963 أنظر الملحق رقم 20.

⁵ - أصدرت جريدة "الجمهورية الجزائرية" التي كان يصدرها فرحات عباس في العدد 147 الصادر بتاريخ 15-10-1948 تفاصيل لهذه المذكرة و صورة لزعيم الحزب محمد حسن الوزاني، مع التركيز على فقرات منها تبين اتجاه المذكرة على أنها تعبير عن مطالبة الحزب بحق الشعب المغربي بالحرية، و قد كان هناك تقارب كبير بين الشخصيتين، و قد يكون هذا للتشابه الفكري و السياسي واستلزامهما المشترك للبيبرالية كمنظومة فكرية.

4 - 6 الموقف الفرنسي من المذكرة :

أما الموقف الفرنسي من هذه المذكرة فقد كان منذ الأول ضمن سياسة تسيير الأزمة المغربية أكثر منه البحث عن حل فعلي لها يتمشى مع المعطيات الداخلية والظروف الدولية لما بعد الحرب العالمية الثانية. فقد كانت في نظر باريس و الرباط على حد سواء جزءا من توسيع مشروع "الإتحاد الفرنسي"¹ ليشمل الدول الخاضعة لنظام الحماية مثل المغرب و تونس. بالتالي اعتبر نظام الحماية في هذه المذكرة و المحادثات من آليات تمرير مخطئه في هذا السياق، في حين كان الحزب يسعى من خلالها للوصول بالمغرب إلى الاستقلال عن أي هيمنة فرنسية بأي شكل من الأشكال. و لذلك كان الحوار بين الطرفين على شكل "حوار الصم" كما جاء في أدبيات الحزب².

فقد طرحت رغبة الجنرال "جوان" في التحاور مع هذا الطرف المغربي، و هو الذي جاء من باريس بمهمة "إرجاع المغرب سلطانا وحركة وطنية إلى بيت الطاعة"، تساؤلا هاما حول الأسباب الحقيقية لمبادرته هذه. فقد جاءت في بداية فترته المقيمة في المغرب حيث كان كبار الموظفين الفرنسيين في الإقامة العامة من أنصار سياسة "إيريك لابون" الليبرالية. حيث كان هناك اتصال بين الوطنيين و بعض هؤلاء و على رأسهم "ليون مارشال". الذي كان موجه السياسة الفرنسية في المغرب بين سنتي 1944 و 1947. كما يمكن قراءتها على أنها كانت مناورة لتعميق الانقسام في الحركة الوطنية المغربية بين طرفيها الأساسيين "الاستقلاليين" و "الشوريين"، و ذلك بالتحاور مع من نصحه نائبه "مارشال" بأنهم معتدلين و يمكن الاستفادة منهم في سياسة مقيمة جديدة. إلا أن تنحيته في أكتوبر 1947 أكدت التوجه الحقيقي للجنرال "جوان" في المغرب³. الذي كان يرى في هذه المبادرة الشورية وسيلة هامة لضرب الحركة

¹ - عبر " الإتحاد الفرنسي " عن السياسة الاستعمارية الديغولية . تم التطرق إليه سابق "ديغول و المغرب". أنظر،

Montagne, Robert, *Révolution au Maroc*, op.cit. p, p201

² - مذكرة حررها الحزب في نهاية سنة 1951 تضمنت مختلف مراحل الحوار الفرنسي المغربي بين سنتي 1947 و 1950 بداية من المذكرة التي سلمها الحزب لـ " فانسان أوريول" رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية عند زيارة هذا الأخير لمدينة فاس في جانفي 1947، (نشرها فرحات عباس في جريدة "L'égalité" في 10 أبريل 1947) إلى غاية الزيارة الملكية التي تمت في نوفمبر 1950. أنظر، *le dialogue de sourds, ou les pourparlers franco-marocains 1947-1950. les cahiers du Maroc, Bureau d'édition du P.D.I, N° 2, Décembre 1951, p 9*

³ - تم إبعاد " ليون مارشال " (الذي كان ضد تنحية السلطان محمد بن يوسف في 20 أوت 1953) من منصبه كنائب للمقيم العام في أكتوبر 1947 من طرف الكولونيل " لوكونت Lecomte " الذي كان من أنصار القبضة الحديدية في المغرب فوجد في الجنرال "

الوطنية بتفريق صفوفها.و قد تأكد هذا الاتجاه عندما دخل في مجلس شورى الحكومة أعضاء من حزب الاستقلال في ديسمبر 1947.فقد جاء ذلك بعد فشل المحادثات مع الشوريين.فقد قام الجنرال"جوان بكل المحاولات للتخفيف من آثار الزيارة السلطانية لمدينة طنجة في أفريل 1947.ومن "قضية تحرير عبد الكريم الخطابي" التي تمت في مصر في ماي 1947¹.

لقد قام "حزب الشورى والاستقلال"عن طريق مذكرة 23 سبتمبر 1947 بمبادرة سياسية تضمنت حلا للقضية المغربية،وقد ثبت في محاضر الجلسات أنه بذل جهودا جبارة لحل المشكلة المغربية مع فرنسا في اتجاه الحرية والاستقلال والديمقراطية،و لكن الاتجاه المعاكس لهذه المبادرة الذي كان موجودا في كل الأطراف سواء المغربية أو الفرنسية كان أقوى،و لم يتردد في استعمال كل الوسائل بما فيها غير الأخلاقية،و استطاع "التحالف غير المعلن بين حزب الاستقلال و زبانية التطرف الفرنسي نسف تلك المحادثات"²،وتجلت نتائج ذلك بمشاركة الاستقاليين ثلاثة أشهر بعد المذكرة، أي في ديسمبر 1947 في مبادرة فرنسية أقل شأنًا من مبادرة 23 سبتمبر 1947 التي قام بها الشوريون و لكتها كانت أكثر توريطا لهم في المشاركة في نظام هيئات نظام الحماية و تتمثل في انتخابات الغرفة التجارية والصناعية والهيئة الثانية للقسم المغربي بمجلس الحكومة.ولم يكن موقف السلطان محمد بن يوسف من المذكرة أحسن حالا من موقف الاستقاليين فمنذ البداية تميز موقفه بالمناورة،بقبوله لمبدئها من جهة،و من جهة أخرى بسكوته عن حملة حزب الاستقلال المضادة المرتكزة أساسا على التشهير بأصحابها على أنهم يحاولون تجريد المؤسسة السلطانية من صلاحياتها التشريعية و التنفيذية لصالح الإقامة العامة،فاصطدم مرة أخرى "الشوريون" و "الاستقاليون" مع بعضهما البعض مرة أخرى،و ازدادت المؤسسة السلطانية قوة و نفوذا رغم الموقف الحرج الذي كانت فيه منذ خطاب طنجة في أفريل 1947. فقد أرسلت هذه المؤسسة رسالة سياسية إلى فرنسا

"جوان" فرصة لتحقيق أهدافه بإبعاد كل " المعتدلين " من الإقامة العامة و إعادة الاعتبار لعدد من الموظفين المشددين و على رأسهم " بونيفاص" الذي كان من وراء قمع الحركة الوطنية في جانفي 1944 و أحداث الدار البيضاء في 07 أفريل 1947. و كان المقيم العام " إيريك لابون قد إبعاده من دائرة التأثير في السياسة الفرنسية في المغرب. و بعد قدوم " جوان " للمغرب أعاد

الاعتبار له و أشباهه. أنظر ، Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit,p, 314.

¹ - اعتبر " جوان" تحرير عبد الكريم الخطابي هزيمة له.و هو الذي حاربه في سنة 1925. أنظر ، ibid. , p , 305.

² - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مصدر سابق، ص 220.

في باريس والرباط مضمونها أنه لا يمكن البحث عن حل للقضية المغربية خارج القصر الشريف بالرباط .

ومهما كانت الأطراف التي كانت من وراء فشل هذه المذكرة فإنه يمكن القول بأن المغرب ضيع في سبتمبر 1947 فرصتين، الأولى وهي أنه كان بإمكانه أن يسترجع سيادته في نفس الموجة التي حصل فيها عدد من الدول العربية في المشرق العربي على استقلالها مثل سوريا و لبنان. و بصيغة مشابهة للصيغة التي قبل بها في "إكس ليبان" في أوت 1955. واعتبرت حينها "انتصارا باهرا للقضية المغربية". في حين كان بإمكان ذلك أن يتحقق في سنة 1949 عوض سنة 1955. و أن يكون للمغرب أول دستور في سنة 1947 لا في 1962¹.

¹ - المصدر نفسه، ص 244.

5 - مبادئ حزب الشورى و الاستقلال و تنظيمه:

في نهاية شهر جويلية 1946 التقى " القوميون " في مدينة الدار البيضاء لمدة ثلاثة أيام، وانتهى اجتماعهم بتأسيس حركة سياسية تمثل المنظومة الفكرية المتجددة لحركة القومية تحمل اسم "حزب الشورى والاستقلال"، كما تم اعتماد "ميثاق الاستقلال القومي" كبرنامج لهم وانتخاب مكتب سياسي أمينه العام محمد حسن الوزاني وعبد القادر بن جلون نائبا عنه، وبعضوية عدد من قدماء الحركة القومية مثل الحاج أحمد معنيو¹ وآخرون². وفي المؤتمر الثاني للحزب الذي انعقد بمدينة فاس سنة 1950 عرفت تركيبة مكتب الحزب تعديلا في الأشخاص و في العدد³.

لم يتبن المؤتمر التأسيسي لحزب الشورى والاستقلال في جويلية 1946 أية مجموعة وثائقية للعمل الميداني باستثناء "ميثاق الاستقلال القومي"، و يمكن تفسير ذلك بتعامل الشوريين وفق رزنامة سياسية جعلت من الموقف النضالي الميداني ضرورة أولية على حساب الجانب التنظيمي، وكذلك بسبب المبادرة الفرنسية الإصلاحية بتعيين "إيريك لابون" كمقيم عام إصلاحي ومعتدل سبق له العمل بالمغرب، قام بتخفيف ظروف نظام الحماية، وسمح بعودة السياسيين

¹ - من أهم الأعضاء الشوريين في المغرب، من مواليد مدينة سلا المغربية سنة 1906، درس في جامعة القرويين، و تابع دراسته العالية في عدد من الدول العربية، اشتغل في التعليم الحر مدرسا و مديرا في كل من سلا و تطوان و طنجة مدة خمسين سنة، انخرط في "الحركة القومية" منذ تأسيسها سنة 1937، ثم أصبح عضوا في المكتب السياسي لحزب الشورى و الاستقلال ثم حزب الدستور الديمقراطي، أسس عدة خلايا للمقاومة و التحرير، عينه الملك محمد الخامس بعد استقلال المغرب في أول مجلس وطني استشاري ثم عضوا في مجلس الدستور، مدافع قوي عن الشوريين من خلال كتاباته التي شملت مذكراته و مؤلفات أخرى حول الفكر توفي في مسقط رأسه في 11 ماي 2003. أنظر، جمعية أبي الرقراق، شواهد في حياة المجاهد الحاج أحمد معنيو، مطبعة سبارطيل، 1992.

² - تضمن المكتب السياسي للحزب عند تأسيسه ستة أعضاء آخرين هم: محمد فاضل المؤقت، وإبراهيم الهاللي، وعلي العراقي ومحمد العربي العلمي، وعبد الهادي الشرايبي، و محمد بن عبد الله. أنظر، محمد معروف الدفالي، حزب الشورى و الاستقلال من التأسيس إلى الإختيار 1946-1959 في مجلة "أمل"، العدد 11/10 السنة الرابعة 1997 ص - ص 65-94 ص 67..

³ - انسحب في هذا المؤتمر كل من محمد العربي العلمي، وعبد الهادي شرايبي، و محمد بن عبد الله، وانضم إليه ستة أعضاء آخرون هم: الحاج عبد القادر العليح، ومحمد الشرقاوي، وأحمد بن سودة، وعبد الهادي بوطالب، و المهدي بن صابر، وإدريس الكتاني، وأصبح بذلك عدد أعضاء المكتب أثني عشر عضوا، و لن تكون هذه آخر مرة يعرف فيها الحزب انسحاب بعض قياديه، بحيث طرد إدريس الكتاني منه في سنة 1958 وفي سنة 1959 انشق عن الحزب كل من عبد الهادي بوطالب والتهامي الوزاني و أحمد بن سودة وانضموا إلى "الإتحاد الوطني للقوات الشعبية" بزعامة المنشق عن حزب الاستقلال المهدي بن بركة. أنظر، المرجع نفسه، ص 67.

المبعدين واستقبل بعض الوطنيين واستلم منهم مذكرة سياسية¹، و لذلك أصبح ملأ الفراغ السياسي و قطع حالة الركود، والتقدم بالقضية المغربية ذا أولوية أكثر من أي شيء آخر. و قد تضمن خطاب الوزاني بعد عودته من المنفى في 30 ماي 1946 أن القضية المغربية لم تعرف أي تطور و أنه يجب التحرك بسرعة. "فالمشرق العربي خرج من الحرب ظافرا بحريته و استقلاله، و لا يزال شمال أفريقيا محروما من أطفه حقوقه"². حتى أنه كان يريد التحرك بهذه القضية حتى قبل عودته من المنفى، و بادر إلى القيام بذلك شهورا قليلة بعد عودته.

و من جهة أخرى فإن مفهوم الحزب في تلك الظروف اختلف عن مفهومه الأكاديمي الذي يعتبره "منظومة سياسية تخضع لهيكل دقيقة ومنسجمة، و بقدر ما كانت هيئاته منسجمة تنظيميا كان الحزب فعالا و متماسكا"³. إلا أن أهمية الحزب في وضعية المغرب بعد الحرب العالمية الثانية ارتبطت بمدى حضوره في الساحة النضالية بغض النظر عن طبيعة مكوناته الهيكلية الداخلية، وفي معظم حالات الحركات التحررية تداخلت الأحزاب مع زعاماتها، وأصبح تاريخ الأحزاب السياسية تاريخ الشخصيات والزعامات أكثر من تاريخ التنظيمات التي قادت النضال. و كثيرا ما انتهى وجود حزب بزوال زعيمه. و لذلك فإن الحزب في المغرب اتخذ من سبل التعامل و التفاعل مع نظام الحماية برنامجا له، و لوائح رئيسية لعمله، فأثرت عليه هذه الوضعية بشكل واضح، فكان يميل إلى العمل السري أكثر من العلني⁴.

فقد ورث هذا عن الأيام الأولى لبداية النشاط السياسي في بداية الثلاثينات بتأسيس تنظيم "الزاوية" و "الطائفة" الذي تحول إلى النواة الفعلية التي تتخذ كل القرارات الحاسمة الخاصة بمصير الحركة الوطنية⁵. ولم يكن من الأحزاب التي كان لديها طموحات انتخابية⁶، و كانت الاختلافات الحزبية تقاس بطبيعة الموقف المتخذ من نظام الحماية، و من سبل التحرر، فهم أقرب إلى تيارات سياسية أكثر منه إلى أحزاب، ولم يرتبط بأية بنية اجتماعية

¹ - استقبل "أريك لابون" محمد اليزيدي من حزب الاستقلال و استلم منه مذكرة تحت عنوان "الأزمة المغربية"، أنظر،

127. *Spillmann(Georges), Du protectorat, op.cit, p,*

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 05، مصدر سابق، ص 250.

³ - 247. *Rèzette, Robert, Les Partis, op.cit. p-*

⁴ - 249 - *ibid,*

⁵ - تم التطرق لهذا التنظيم السري " الزاوية" و " الطائفة" في الفصل الثاني.

⁶ - 08. - *Maurice Duverger, les partis politiques, Armand colin, Paris, 1951,p,*

معينة، فتصنيفه مرتبط بالضرورة بطبيعة الموقف الذي اتخذته من الواقع الاستعماري أكثر من أية معيارية أخرى¹. وقد رمى كل هذا بثقله على حزب الشورى و الاستقلال في هذه الظروف، فتبنى خطا سياسيا استقلاليا في "الميثاق القومي السياسي" وسارع إلى الإعلام به لدى السلطان والشعب المغربي، وأصبح هذا الخطاب مبرر وجوده، وقد انتقل بعد ذلك إلى تعميق ممارسته الميدانية بتوضيح مبادئها ووسائل عملها. ففي مطلع شهر أفريل 1950 عقد حزب الشورى والاستقلال مؤتمره الثاني بمدينة فاس، وخرج بنتائج مهمة متعلقة بتعميق كل من بعده النظامي والتنظيمي².

على المستوى النظامي تم تدعيم المجموعة الوثائقية المرجعية له بوثيقة "المبادئ و الوسائل" التي دعمت وضعيته الميدانية أكثر، وزادت في توضيح مقاصده النضالية، والوسائل العملية لتحقيقها، حيث جاء فيما يتعلق بالمبادئ العامة بأنه موجه للشعب المغربي لتكوينه وتربيته تربية وطنية و هو "مدرسة لتكوين الأطر السياسية للأمة"³، معتمدا على مبدأ المشاركة العامة في اتخاذ قراراته التي تتم عن طريق "المناقشة والمداولة"، وجاء في الفصل الثالث من هذا الميثاق أن الهدف الأسمى للحزب هو "سلامة المغرب"⁴ وقيادة الأمة المغربية في "النهضة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية"⁵، وإذا كان ما سبق ذكره من أهداف بعيدة المدى فإن القربة التي جاءت في الوثيقة تمثلت في تغيير الواقع المغربي "بنهضة في نطاق الوحدة الترابية والسياسية للمغرب على أسس حديثة وديمقراطية"⁶ عن طريق القيام بما يلي:

- إبطال نظام الحماية، و كل أشكال الهيمنة الأجنبية الخاصة و الدولية.
- إعادة السيادة الكاملة للأمة المغربية عن طريق الاستقلال السياسي و الاقتصادي.
- إنهاء النظام الحالي القائم على الامتيازات الاجتماعية الفردية و الجماعية.
- إقامة ديمقراطية شعبية سياسية و اجتماعية واقتصادية في إطار الملكية الدستورية.

¹ - 11. p., *op.cit.* Maurice Duverger, les partis politiques,

² - ميثاق الحزب الصادر عن الحزب في مؤتمره الثاني المنعقد في أكتوبر 1950، أنظر، أحمد معينو، ذكريات و مذكرات، ج 04.

(مصدر سابق)، ص 90 - 108.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - المصدر نفسه.

• ضمان الحقوق الأساسية للشعب المغربي مثل: المساواة أمام القانون، وأمن الأشخاص والممتلكات والعدالة الاجتماعية، والحياة الكريمة بضمان الحد الأدنى من الأجر.

• التفتح الفكري الذي يضمنه إجبارية ومجانية التعليم و الحريات العامة¹.

و في نفس الوثيقة حدد الشوريون الوسائل الميدانية التي سيعتمدونها لتحقيق هذه الأهداف بتنظيم الشعب المغربي بمختلف شرائحه من فلاحين وعمال وصناع وتجار ومثقفين، و توحيدة في جماعة واحدة لا تقبل الانقسام، حتى يتحول إلى أداة فعالة لتجديد الوطن².

من خلال قراءة ما جاء في وثيقة أفريل 1950، فإن أهم ما يشد الانتباه هو سعي الشوريون لتأسيس حزب جماهيري للتخلص من "النخبوية" و "الفوقية" وغيرها من "التهمة" التي لطالما وجهت إليهم كتيار منذ الثلاثينات، فكثيرا ما اعتبر ما أسسه الوزاني و أتباعه كانت بمثابة " نوادي" يلتقي فيه المحامون والأطباء و الموظفون، وعدد محدود من أفراد العامة³. ولكن الشوريين، وبقدر ما تمسكوا بهذه "النخبوية"، أرادوا تكوين "حزب الشعب المغربي"⁴، بنظرته الخاصة في التعامل مع العامة، فأراد التميز عن بقية التنظيمات و التحول إلى مدرسة لتكوين "الأطر السياسية للأمة"⁵، و بالتالي فقد سعى إلى ترقية هذه العامة سياسيا بتلقينها آليات العمل النضالي التحرري على وجه التحديد. وسمى ذلك بالتربية الوطنية المتضمنة أساسا التحكم في مفهوم "الديمقراطية"، التي يجب الاستئناس بها في التحرر والحكم والإدارة، لأنها السبيل الوحيد للاستقلال، ولغرس وطنية أفضل وأبقى، وسمى ذلك بـ "الوطنية الجوهرية"⁶ التي تجمع كل طبقات الأمة وفئاتها. و هكذا فإن الشوريون تمسكوا بالإصلاح كحل استراتيجي من أجل ترقية وتربية هذا الشعب في الآجال القريبة والبعيدة على حد سواء، فعلى المدى القريب إلغاء الحماية، و جميع أشكال السيطرة الأجنبية الخاصة والدولية التي خضع لها المغرب منذ مطلع القرن العشرين، أي ما اعتبره الحزب مرارا حلا للمشكلة الخارجية

¹ - ميثاق الحزب الصادر عن الحزب في مؤتمره الثاني المنعقد في أكتوبر 1950، مصدر سابق.

² - المصدر نفسه، ص 91.

³ - 161 Rêzette, Robert, Les Partis, op.cit, p-

⁴ - الفصل الأول من ميثاق الحزب، مصدر سابق، ص 91.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - المصدر نفسه.

للمغرب. والإصلاح الشامل للمملكة العلوية الشريفة الذي يجب أن يشمل كل الميادين السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية أي حل المشكلة الداخلية.

لقد قام الحزب من الناحية التنظيمية في مؤتمره الثاني في أبريل 1950 بوضع نظام هرمي يعتمد على وحدة تنظيمية أساسية قاعدية سميت بـ "المقاطعة"، وتتكون كل مدينة من عدد من المقاطعات على رأس كل منها مكتب سمي "بالمكتب المحلي"، الذي يتشكل من ممثلين عن كل مكاتب المقاطعة، ثم يأتي المستوى الأعلى الذي يتجسد في المكتب الجهوي المتكون من ممثلي المكاتب المحلية بالإضافة إلى ممثلي القبائل، ثم يأتي المستوى المركزي المتمثل في المؤتمر الذي يُنتخب أعضاؤه من المكاتب الجهوية، وينتخب المؤتمر المجلس الوطني و المكتب السياسي و الأمين العام¹.

و نص القانون الأساسي على تشكيل لجنتين واحدة إدارية و أخرى تأديبية واعتمد مبدأ الانتخاب كطريقة وحيدة في تعيين مختلف القيادات سواء كانت محلية أو جهوية أو مركزية، واعتمد مبدأ الأغلبية لأخذ مختلف القرارات، مع ضرورة خضوع الأقلية لها حتى لا تظهر العصبية التي من شأنها أن تسيء إلى وحدة الحزب²، على أن تكون هذه القرارات في مصلحة البلاد أولاً ومصلحة الحزب ثانياً، وألح في كثير من البنود على صفات المنخرطين فيه بأن يكونوا متحلين بالأخلاق السياسية و السلوك الحسن و طرد كل من لم يعد يتجاوب مع مقاييس العضوية³، حفاظاً على قوته السياسية، حتى وأن كان المطرودين من القادة⁴. معتبراً أن الحزب لا يسعى إلى تسجيل أكبر عدد ممكن من الأشخاص، و لكن يرغب في انضمام مناضلين حقيقيين، لتكوينهم "تكويناً سياسياً، باعتباره مدرسة سياسية"⁵، ويتم تعيين القادة اعتماداً على الكفاءة السياسية والثقافية بغض النظر عن الشهادة العلمية أو أية رتبة أخرى كما اعتمد في نشاطه على كامل التراب الإقليمي المغربي كمجال جغرافي لنشاطه لأن مناضليه متواجدون في كل جهة.

¹ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مصدر سابق، ص 29.

² - المصدر نفسه ص 31.

³ - ميثاق الحزب الصادر عن الحزب في مؤتمره الثاني، مصدر سابق، ص 91.

⁴ - في سنة 1950 لم يتردد الحزب في طرد عدد من قادته و هم محمد العربي العلمي و عبد الهادي الشرايبي، و محمد بن عبد الله "لأسباب مذهبية وأخلاقية"، أنظر الحاج أحمد معينو، ذكريات و مذكرات، ج 04، مصدر سابق، ص 91.

⁵ - ميثاق الحزب الصادر عن الحزب في مؤتمره الثاني، مصدر سابق، ص 91.

و في إطار هيكله الحزب من الناحية التنظيمية أنشأ الشوريون مجموعة من التنظيمات الموازية التي كانت تتحرك في مدارهم الفكري والتنظيمي، من أجل تحقيق فاعلية ميدانية. و تطبيقا لما جاء في الفصل الرابع من ميثاقه الثاني لسنة 1950 حول وسائل العمل، الذي نص على " ضرورة تنظيم الجماهير المغربية الكادحة من فلاحين وعمال وصناع وتجار ومثقفين من أجل تجديد الوطن"¹. لذلك اتجهت هذه المنظمات بشكل خاص إلى الأماكن التي لم يشملها التنظيم الجماهيري باعتبارها، إما متخصصة كالطلبة، أو بعيدة جغرافيا عن مركز الحزب كما هو الحال بالنسبة لاتباعه و المتعاطفين معه المتواجدين في الخارج. فأنشأ مكتبين في كل من القاهرة و باريس، و كان له دور في تأسيس "عصبة الدفاع عن المغرب الحر" في باريس سنة 1946².

كما شمل التنظيم فئات أخرى كالطلبة فأنشأت "جمعية الطلبة الشوريين" في سبتمبر 1952 التي أخذت على عاتقها مهمة الدفاع عن مصالح كل الطلبة المغاربة أمام مختلف الهيئات، و توثيق العلاقات الأخوية والودية الموجودة بينهم، و نقل الأفكار الشورية إلى الوسط الطلابي³، كما أسسوا "الرابطة القروية" لتنظيم الطلبة الشوريين بجامعة القرويين⁴، أما على مستوى التنظيم الشبابي فقد أسس الحزب جمعية "مغرب الغد" في جانفي 1952 التي جعلت من ترقية الشباب المغربي وتوعيته بدوره الوطني النضالي أثناء فترة الحماية ودوره المرتقب الإصلاحي بعد الاستقلال هدفا رئيسيا لها⁵، و جمعية "الكشاف المسلم" إلى جانب تنظيمات فنية مثل "إخوان الفن" و "الكوكب المسرحي" وكلاهما اختصا في التمثيل المسرحي النقدي الاجتماعي⁶.

¹ - ميثاق الحزب الصادر عن الحزب في مؤتمره الثاني المنعقد في أكتوبر 1950، أنظر، أحمد معينو، ذكريات و مذكرات، ج 04، (مصدر سابق)، ص 90.

² - أسسها مجموعة من الفرنسيين اليساريين مثل أندري ريبار و روبر جان لونكي، وشارك فيها بعض الشوريون كملاحظين منتدبين و هم: أحمد الشرايبي، و محمد عزيز الحبابي و محمد الخلطي، و كان هدفها الأساسي التعريف بالقضية المغربية في الأوساط الفرنسية، أنظر عبد الحي حسن العمراني، عن حياة محمد بن الحسن الوزاني و تاريخ الحركة الوطنية، (مصدر سابق) ص 88..

³ - جريدة الرأي العام، العدد 246، (11-09-1952)، و النشرة الإعلامية للحزب لشهر سبتمبر 1952.

⁴ - محمد معروف الدفالي، حزب الشورى و الاستقلال من التأسيس إلى الانهيار، مرجع سابق، ص 67.

⁵ - الرأي العام، العدد 226، 17-01-1952.

⁶ - المصدر نفسه.

كانت ترقية المرأة المغربية أساسا من أسس المشروع الإصلاحي لحزب الشورى والاستقلال، فتربية المرأة بالنسبة إليه ضرورة لأنها الضامن الوحيد على تربية أجيال الغد والأم في نظره "أم الوطن"¹، ولذلك كان للمرأة مكانة واضحة في هذا الزخم التنظيمي بظهور الحركة النسوية الشورية. و للتكفل الميداني بهذا الجانب فقد تم تأسيس جمعيات نسائية أبرزها جمعية "السيدات المغربيات" التي كان مقرها بمدينة الدار البيضاء و"جمعية أخوات الصفا" بمدينة فاس، و تأسست هذه الأخيرة بعد التجمع العام المنعقد في ماي 1947 ووضعت لنفسها أهدافا رئيسية تتمثل في "مكافحة الجهل والأمية عند المرأة ومكافحة التقاليد الرديئة والعوائد السيئة في الأوساط المغربية، ومحاربة التبذير، وتقديم المساعدات المادية والمعنوية للنساء المعوزات، وتبادل مختلف الخبرات الاجتماعية"²، و بذلك "يمكن للمرأة المغربية أن تخرج من الظلمات إلى النور، وأن تخطو خطوات في طريق المعرفة والتقدم"³. وقد حققت هذه الجمعية ميدانيا عدة مكاسب في مختلف المناطق المغربية كمشروع "مدرسة الشعب" بمدينة فاس وهي مدرسة مجانية موجهة إلى أبناء الطبقات الشعبية المحرومة⁴. و بعد أربع سنوات من النشاطات اعتبرت جمعية أخوات الصفا "أنها لم تستطع تحقيق رسالتها كما يجب لأنها لم تكن في حركتها مستقلة تماما، كما كانت محل إهمال من طرف الهيئات الثقافية والسياسية في المغرب"⁵، و لكنها استطاعت أن تنقل المرأة من وضعية "أداة في يد الرجل يصرفها حيث تشاء أهواؤه ومادته" إلى "السير نحو الهدف المنشود، لكي تكون عاملا من عوامل تحرير الوطن من نير الجهل والمرض والفقر والاستعمار"⁶، وقد استمرت هذه الجمعية تتنامى وتتوسع طوال

¹ - محمد حسن الوزاني، الإسلام و المجتمع و المدنية، مصدر سابق، ص 204

² - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مصدر سابق، ص 62.

³ - من خطاب رئيسة جمعية "أخوات الصفا" أنظر مؤسسة محمد الوزاني، أخوات الصفا، الحركة النسوية الشورية، ط/01، منشورات مؤسسة محمد حسن الوزاني 1996، ص 6.

⁴ - حققت هذه المدرسة، رغم أنها مجانية، نتائج مدرسية لم تحققها مدارس أخرى، وتحولت إلى قطب لحركة الحزب من خلال قيامها بالنشاطات التدريسية فمارا لتتحول مساء إلى منتدى لمختلف الجمعيات الشورية المسرحية و الكشفية، مع الإشارة أن الأرض التي بنيت عليها هذه المدرسة ملك لعائلة الوزاني. أنظر مؤسسة محمد الوزاني، أخوات الصفا، (مصدر سابق) ص 39.

⁵ - من تقرير الجمعية بتاريخ 11 مارس 1951، أنظر مؤسسة محمد الوزاني، أخوات الصفا، (مصدر سابق)، ص 46.

⁶ - المصدر نفسه، ص 43 إلى ص 49 .

الأربعينات والخمسينات والستينات، و قدمت خدمات جليلة للنساء والفتيات بالمدن والقرى خاصة في الميادين الاجتماعية والثقافية¹.

لقد استفاد الحزب كثيرا من التكوين والتجربة السياسيتين لمحمد حسن الوزاني في المجال التنظيمي، فقد سبق له أن وضع في سنة 1937 مسودة مشروع هيكله حزب سياسي، وبالرغم من أن هذا الأخير لم ير النور آنذاك، فقد برزت معالمه التنظيمية بعد الحرب العالمية الثانية من خلال حزب الشورى والاستقلال، وإذا كان ميثاق سنة 1950 قد جعل منه مدرسة من الناحية النظرية فإن الهيكلية التنظيمية قد أكدت فعليا هذا البعد، بتأطير أكبر عدد ممكن من الفئات الفاعلة في عملية النهضة داخليا وخارجيا، التي اعتبرها هدفا ساميا له. كما ظهرت قدرة الحزب تنظيما على التأقلم مع المعطيات الاجتماعية الموروثة تاريخيا بتكفله بالقبيلة كوحدة اجتماعية أساسية والسماح لها بالمشاركة في الصيغة التنظيمية إلى جانب المدينة على المستوى الجهوي أو الإقليمي. وقد كان الهم الأكبر للوزاني المتمثل في تجذير الفكر الديمقراطي في المجتمع المغربي تنظيما في بالتأكيد على مبدأ "الانتخاب" للوصول إلى المناصب القيادية للحزب بدون إهمال التكوين السياسي والثقافي للمناضل الذي لم يكن بالنسبة للحزب حتما المستوى العلمي المبرر بالشهادة بالرغم من أنه كان أول خريج مغربي من "المدرسة الحرة للعلوم السياسية" في باريس سنة 1930، بالإضافة إلى مزاولته الدراسة في معهد الصحافة ومدرسة اللغات الشرقية، وحضوره لدروس التاريخ السياسي و القانون الدولي التي كانت تنظمها مؤسسة "كارينجي للسلام"²، ويمكن إرجاع ذلك إلى اهتمامه بالقوة الميدانية التعبوية أكثر من الجانب النظيري المحض، ولعل هذا ما يمكن اعتباره من ملامح التحول لدى هذه الشخصية النخبوية بالطبيعة والتكوين.

كما ظهر تأثير الحزب تنظيما بالأحزاب الغربية والاشتراكية منها على الخصوص من خلال تنظيمها الهرمي واعتمادها منصب "الأمين العام" عوض الرئيس أو الزعيم بالمفهوم المغربي السلفي. وعلى مستوى آخر فقد خرج الحزب تنظيما من أروقة لقاءات الصالونات ومن الطرح النظري إلى التجسيد العملي بإنشاء عدة مشاريع ميدانية استفاد منها فعلا المغاربة المحتاجون، وعلى الخصوص في المجال التعليمي بمشروع "مدرسة الشعب" بمدينة

¹ - مؤسسة محمد الوزاني، أخوات الصفا، (مصدر سابق) ص 06 .

² - Fondation Mohammed Hassan Ouazzani, ..., op.cit, p 12.

فاس التي أخرجت الفعل الوطني من القول بفعل الأشياء إلى القيام بها حقا. كما ظهرت معالم "المدرسة السياسية الشورية" من خلال التكفل بالمرأة المغربية تنظيميا، من خلال جمعية "أخوات الصفا" التي كانت تسعى لأن تساير بين وضعية المرأة المغربية مع وضعية المرأة في العالم¹.

أما الاتجاه التنظيمي لهذا الحزب في الخارج فيمكن اعتباره وعيا من طرفه على دور الدعم الخارجي لقضية التحرير الوطني، وخاصة إذا كان هذا الدعم مصدره فرنسا، نظرا لما يمكن أن يحدثه من تأثير على طبيعة القرار السياسي في باريس فعدد كبير من المتعاطفين مع القضية المغربية في فرنسا كانوا نوابا في الهيئات البرلمانية وصحفيين و كتابا اهتماماتهم إنسانية بالطبيعة. لقد أظهر هذا الجانب قدرة الحزب على الفعل التعبوي للمغاربة في الداخل وللمتعاطفين مع قضيتهم في الخارج.

سعى الشوريون من خلال العملية التنظيمية الشاملة التي تمت في أبريل 1950 أن يجعلوا من حزب الشورى و الاستقلال حزبا شعبيا وجماهيريا، برفعه شعار "المغرب للمغاربة" واعتبروا تربية القاعدة الشعبية، وترقيتها سياسيا، والمطالبة بحقوقها المادية والمعنوية ضرورة من ضرورات العمل السياسي والحزبي، حتى تتحول العامة إلى رأي عام حقيقي و فعلي، وبهذا الطرح نزل الوزاني و العديد من الشوريين من "برجهم العاجي" إلى القاعدة الشعبية وحاولوا رفعها إلى الأعلى حتى تدرك أهمية دورها و تكون لمشاركتها السياسية جدوى وأثر، سواء أثناء فترة الحماية، أو فيما بعدها، إلا أن مسار الأحداث أثبت عكس ذلك، فلا هم استطاعوا فعلا تحويل الجماهير إلى هذه "القاعدة الشعبية الواعية"، ولا هذه الجماهير أدركت فعلا دورها السياسي سواء التحرري أو البنائي كما كان يريده الشوريون. و لكن هذه الجماهير تفاعلت كثيرا مع "الاستقلاليين" الذي لم يطرحوا أبدا "أفكارا نخبوية" و لم يريدوا إفهامها بضرورة الدستور لحياتهم، حتى قبل تحررهم من نظام الحماية. و لكن طالبوها فقط بالولاء للسلطان لأنهم أدركوا أنه كان "رمزا و تجسيدا للسلطة المادية و المعنوية. فقد

¹ - في تقرير الجمعية جاء ذكر أخت فمرو الزعيم الهندي التي كانت سفيرة الهند في الولايات المتحدة الأمريكية، و وزيرة خارجية رومانيا، و أرجعت العصر الذهبي الإنكليزي إلى الملكة فيكتوريا، أنظر مؤسسة محمد الوزاني، أخوات الصفا، (مصدر سابق) ص45.

عرف هذا السلطان القوة تارة، الضعف تارة أخرى، ولكنه بقي دعامة أساسية لوحدة المغرب والمغاربة عبر التاريخ. فحتى الذين عارضوه لم يخرجوا عن منطقته¹ كما قال بذلك العروي¹.
و بالرغم من أن الشوريين لم يخرجوا عن ذلك السياق، ولكنهم أرادوا تدعيمه بمفاهيم دخيلة عليه تمثلت في "المرجعية الليبرالية الغربية" من أجل عصرنة المؤسسات السياسية المخزنية القديمة جدا بما يحقق "ثورة الاستقلال و الديمقراطية"². ففشلوا في ذلك. وإذا كانت خسارتهم للشعب و السلطان حقيقة ، فلأن تجربتهم كانت سابقة لأوانها.

¹ - Abdallah Laroui , les origines , op.cit. p , 124.

² - استقلال وديمقراطية، جريدة "الرأي العام"، العدد 261، (19-11-1955).

اعتمد حزب الشورى والاستقلال في نشاطه الصحفي على التكوين الأكاديمي لأمينه العام محمد حسن الوزاني في هذا المجال¹، المدعم بتجربة ثرية بدأها مبكرا في الثلاثينات في فرنسا، وواصلها بنشاط مكثف في المغرب ابتداء من أوت 1933 رغم محاولات إبعاده عنها² وبقدر ما ارتبط الوزاني بالوطنية والنضال من أجل الديمقراطية ارتبط بالصحافة. بل يمكن القول أن مجال الفصل بين هؤلاء كان منعما في عرفه³، فالصحافة بالنسبة إليه سلاح لا يمكن الاستغناء عنه في الكفاح الوطني، لمواجهة الاستعمار في ميدانه، بكشف حقيقته عن طريق استعمال نفس أشكال تعبيره، وفي نفس الوقت لكسب تعاطف الأحرار الفرنسيين و مناضلي اليسار الفرنسي الذين كانوا يدينون النظام الاستعماري. وللتأكيد على أهمية " حرب القلم" في الكفاح، كان للوزاني حضورا مكثفا في مختلف الإصدارات الصحفية في خارج المغرب. فشارك في العديد من الجرائد الصادرة باللغة الفرنسية والعربية على حد سواء، فكتب في أعمدة جريدة "الأمة العربية" التي كان يصدرها الأمير شكيب أرسلان باللغة الفرنسية في جنيف وحضر قلمه بكثافة في مجلة "مغرب" التي أصدرها "روبير جان لونغي" في فرنسا في جويلية 1932⁴. وفي جرائد أخرى كانت تصدر في المغرب مثل "السلام" و "المعرفة" من مدينة تطوان و"الثقافة المغربية" من مدينة سلا، وفي العديد من المنابر الصحفية الأخرى في الجزائر وتونس ومصر⁵. بالإضافة إلى التي أصدرها بنفسه وتولى رئاسة تحريرها، مثل "عمل الشعب" باللغة الفرنسية في 04 أوت 1933 في إصدارها الأول، وفي 22 أفريل سنة 1937 في إصدارها الثاني. و "الدفاع" باللغة العربية في 31 أوت 1937. و بالنسبة لـ "لوتورنو" فإن

¹ - بعد انتقال الوزاني إلى فرنسا سنة 1927 بغرض الدراسة وزاول دراسته في مدرسة الصحافة بباريس بالموازاة مع انتمائه إلى

"المدرسة الحرة للعلوم السياسية"، أنظر، Fondation Mohammed Hassan Ouazzani, op.cit, p 12.

² - تم التطرق لقصته مع التنظيم السري " الزاوية" عندما أراد إصدار جريدة في المغرب. الفصل الثاني "الحركة الوطنية الصحفية".

³ - محمد معروف الدفالي، زعماء الحركة الوطنية و الفكر الغربي... (مرجع سابق) ص 229.

⁴ - تميز الوزاني عن بقية الوطنيين بكثافة مشاركته في مجلة "مغرب" بمشاركته في 18 عدد من مجموع 21.

⁵ - كتب الوزاني في العديد من أعداد جريدة "الجمهورية الجزائرية" التي كان يصدرها فرحات عباس، و"الشهاب" التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين، و"الإصلاح" التي كتب فيها مقالا تحت عنوان "كيف يتمتع بالحق في المغرب غير صاحبه؟" في العدد 71 بتاريخ 05 فيفري 1948، بالإضافة إلى المقالات التي كان يصدرها في كبريات الصحف اليومية الباريسية كتمارين تطبيقية أثناء مزاولته للدراسة في "مدرسة الصحافة" بباريس.

الوزاني منح الصحافة المغربية كيانها الوطني النضالي أثناء فترة الحماية¹. كما كان من منطوي المرحلة الصحفية التي عرفتها الحركة الوطنية المغربية بعد الاحتجاج على الظهير البربري في ماي 1930، حيث واصل الشباب المغربي احتجاجه على هذا الظهير في شكل حركة صحفية بدأت في فرنسا ثم انتقلت إلى المغرب².

لقد اعتمد الشوريون على هذه الخلفية التاريخية لإصدار جريدة ناطقة باسمه تحمل عنوان "الرأي العام" كجريدة أسبوعية³ فصدر العدد الأول منها في 15 أفريل 1947، و جاء فيها تقديم لمختلف الأسباب التي حالت دون صدورها في وقتها المحدد المتمثلة في مجموع القيود و الإجراءات التي يفرضها القانون الفرنسي على الصحافة العربية⁴، كما احتج الحزب في العدد الأول للجريدة على تلك المعاملة الشاذة التي يصاب بها المغربي في حقه و لغته ولذلك طالب من السلطات الفرنسية بضرورة رفع المنع عن حياة الصحافة العربية بالمغرب، إما بتعديل القانون الخاص به، أو بتوحيد قانون الصحافة⁵. وقد زادت الصعوبات المالية القاسية التي كان الحزب يعاني منها في تعقيد الأمور ولم تتوقف عند الإصدار فقط فقد بقيت الجريدة تعاني من صعوبات مختلفة الأشكال، متعلقة بالجانب المادي⁶، والجانب السياسي كتوقيف صدورها بعد أحداث ديسمبر 1952 إلى غاية سنة 1955.

واعتبر حزب الشورى و الاستقلال إصدار "الرأي العام" بداية عهد جديد للصحافة المغربية وللنهضة القومية، بعد ركود الساحة السياسية منذ أحداث نهاية سنة 1937. و اعتبرها جريدة المعارضة السياسية التي ستتبنى خطا سياسيا يتمثل في الدفاع عن الحق الكامل للأمة

¹ - Le Tourneau, Roger le nationalisme marocain, centre de hautes études d'administration musulmane, 01/12/1945.

² - *ibid.*

³ - تحولت في 11-12-1956 بعد الاستقلال إلى جريدة يومية بمباركة من الملك محمد الخامس.

⁴ - جريدة "الرأي العام"، العدد 01، (15-04-1947).

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - شكلت المطبعة التي تطبع فيها هذه الجريدة من أهم العضلات التي واجهت الحزب، فقد فشلت كل محاولات الحزب في حل هذه المشكلة، بما فيها مشروع مطبعة مختلطة مع فرنسيين، و لم يستطع تجاوز هذه المشكلة إلا بعد اقتناء مطبعة قديمة تم وضعها في بيت الوزاني بالدار البيضاء، و من المفارقات المأساوية أن هاجس المطبعة بقي يطارد النشاط الصحفي للحزب حتى بعد الاستقلال، عندما استولى سنة 1959 المنشقون عن الحزب وهم أحمد بن سودة و علي الكتاني و علي العراقي على مطبعة "أمل" التي كانت تطبع الجريدة بعد الاستقلال، و حتى على جريدة "الرأي العام" التي حولها إلى لسان حال الحزب الجديد "الإتحاد الوطني للقوات الشعبية".

المغربية في الحرية والعزة و السيادة"¹، و وسيلة لترقية الرأي العام المغربي بتخليصه من القيود التعسفية التي تضيق عليه خناقها وتعرقل سيره، ولتوفير الحرية له عن طريق الحياة الديمقراطية بمؤسساتها وأنظمتها الشورية². و قد جعلت الجريدة شعارها الآية القرآنية الكريمة " و أمرهم شورى بينهم " ومقولة الخليفة عمر بن الخطاب " متى استعبدتم الناس و قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " إضافة إلى وضع اسم الجريدة داخل صورة برلمان بأعضائه³. تناولت جريدة "الرأي العام" على طول إصدارها المواضيع الأساسية التي كانت تعيشها الساحة المغربية باختلاف مضامينها ودرجة أهميتها، وهذا ما جعلها ضحية للرقابة الاستعمارية بشكل متواصل، فلم يصدر أي عدد من أعدادها بدون أماكن بيضاء فرضتها "الضرورة الرقابية"، وان اختلفت وتنوعت مواضيعها فان الجانب السياسي شكل هاجسها الأكبر و بشكل خاص ما يرتبط بدعوتها المستمرة إلى الشورى و الديمقراطية التي لم يخل أي عدد منها إما بالكتابة عنه مباشرة أو بالإشارة إليه، فقد جعل الحزب من معركة "الشورى والاستقلال" سبب وجوده و مبرر حركته، خاصة بعد تقديم مذكرة 23 سبتمبر 1947 إلى المراجع العليا في الرباط وباريس.

وقد كان حضور الوزاني في أعمدة هذه الجريدة فريضة من "فرائض الدين و الوطنية"⁴، من خلال الافتتاحية التي كانت بقلمه تحت عنوان "الغمرات"⁵، و صفحات أخرى مثل "فصل الخطاب" و "حديث جهينة"⁶. وقد كانت "الغمرات" بمثابة الخط السياسي للحزب بمواضيعها المختلفة، ولذلك كانت الهدف الأول لكل العمليات الرقابية، حتى أنها كانت في بعض الأحيان تحذف نهائيا كما هو الحال بالنسبة للافتتاحية التي جاءت تحت عنوان "كيف يتمتع بالحق في

¹ - جريدة "الرأي العام"، العدد 01، (15-04-1947).

² - المصدر نفسه.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - الناصري محمد مكي، ملامح من شخصية الأخ بلحسن فقيد الوطنية والوطن، في، محمد الحسن الوزاني الداعية الديمقراطي المجاهد ص. ص 69-72.

⁵ - يذكر محمد حسن الوزاني في مذكراته أنه أثناء منفاه بأسا بالصحراء، قرأ ذات يوم وصية الإمام علي لأبنه الحسن فلفت نظره عبارة "و خذ يا بني غمرات الحق حيث كان" فاستقر رأيه على اتخاذ "الغمرات" عنوانا لافتتاحية جريدة كان يفكر في إصدارها بعد العودة من المنفى، أنظر محمد حسن الوزاني، مذكرات، ج 05، مصدر سابق، ص 197.

⁶ - كتب الوزاني بعد الاستقلال مواضيع عديدة في "الرأي العام" تحت عنوان "فصل الخطاب" و "حديث جهينة"

المغرب غير صاحبه؟¹. كما كانت تبرز موقف الحزب من مختلف التطورات السياسية الداخلية والخارجية وربط هذه الأخيرة مع القضية المغربية بمختلف الأشكال، فتناولت أثر الخطاب الذي ألقاه محمد الخامس بمدينة طنجة في 10 أبريل 1947 تحت عنوان "عم يتساءلون" حيث اعتبرته نصرا كبيرا للقضية المغربية،² وتحت عنوان "السياسة التي تبحث عن نفسها" انتقدت السياسة الفرنسية في المغرب بعد تنحية المقيم العام "إريك لابون" وتعيين الجنرال "جوان"³، و تحت عنوان "ماذا وراءك يا عصام" تساءلت "الغمرات" عن حقيقة السياسة التي جاء بها الجنرال "جوان" للمغرب ووصفته بأنه "خير خلف لخير سلف"⁴، وفي عدد آخر طالبت "الغمرات" بالدستور كميثاق سياسي للمغرب تحت عنوان "إنما حياة كل أمة بالدستور الذي يطالب به الحزب للمغرب ولشعبه" معتبرة إياه ضرورة لتحقيق مكانة للأمة المغربية بين الأمم الحية والراقية، وفي عدد آخر تطرقت إلى حدث خارجي كان له وزن على القضية المغربية و هو حصول الهند على استقلالها تحت عنوان "ليهنك الاستقلال أيتها الهند المجاهدة" جاء فيها أن الهند "بدأت تاريخها الجديد الذي خرجت فيه من الظلام إلى النور، وانتقلت فيه من الانقياد في الحكم إلى الأجانب وسيطرتهم الاستعمارية، إلى حكم نفسها بنفسها"⁵.

كما تفاعلت مع التطورات التي كانت تعرفها القضية الفلسطينية بمناسبة عرضها التاريخي أمام هيئة الأمم المتحدة في دورتها الثالثة في نوفمبر 1947 تحت عنوان "العرب فداء لفلسطين" طالبت من العرب مقاومة العدوان المزدوج البريطاني الصهيوني، لأن الفلسطينيين أمام خطر الإبادة"⁶. وفي نفس الموضوع كتبت حول الحرب العربية الإسرائيلية لسنة 1948 تحت عنوان "معركة فلسطين مسألة حياة أو موت للعرب أجمعين"⁷ جاء فيها بأن "الحرب التي تدور اليوم رحاها في فلسطين بين العرب و اليهود لهي حرب حياة أو موت في نظر الجميع هي التي ستحكم بين الفريقين وتقرر مصير البلاد التي اعتدى عليها اليهود بالهجرة

1 - جريدة "الرأي العام" الرقم 34، (10-12-1947).

2 - جريدة "الرأي العام" الرقم 02، (23-04-1947).

3 - جريدة "الرأي العام" الرقم 06، (21-05-1947).

4 - جريدة "الرأي العام" الرقم 07، (28-05-1947).

5 - جريدة "الرأي العام" العدد 19، (20-08-1947).

6 - جريدة "الرأي العام" العدد 33، (03-12-1947).

7 - جريدة "الرأي العام" العدد 56، (19-05-1948).

والسلاح"¹.و في مواقع أخرى خاطبت جريدة "الرأي العام" في العديد من المرات الرأي العام الفرنسي أثناء احتفاله بالثورة الفرنسية في 14 جويلية من كل سنة،و دعتة للتوقف عن الإشادة بالمعاني السامية لهذا اليوم المتمثلة في الحرية والكرامة،في وقت تمارس فيه دولتهم الاستبداد تجاه عدد كبير من الشعوب،و من بين²ها الشعب المغربي،في نفس الوقت الذي تحيي فيه الأمة الفرنسية ذكرى الثورة على الاستبداد"،و من الأجدر على الشعب الفرنسي في هذا الموقف المتناقض و غير الحضاري أن يوقف هذا الاحتفال كمجرد تقليد وعادة دون اعتبار لما يرمز إليه اليوم التاريخي من المعاني و المغازي³.و في موقف الحزب من هيئة الأمم المتحدة ومن التدويل بصورة عامة كتبت في عدد من أعدادها تحت عنوان"فشل خطة...و انهيار دعاية!!" بأنه ثبت بالتجربة وبرهنة الواقع بأن هذه المنظمة لم تؤسس لتحقيق آمال الإنسانية و أمانى الشعوب فهي تحت سيطرة الأقوياء الذين سخروها في سبيل أغراضهم ضد الضعفاء من كل جنس⁴.

وعندما كانت تتعرض الصحافة إلى الرقابة تارة و المنع تارة أخرى،جاء عنوانها في شكل رسالة موجهة إلى المقيم العام بالمغرب تحت عنوان "كتاب مفتوح إلى الجنرال جوان" ذكر فيه الوزاني"جوان" بأنه من أمة تفتخر على مر الأجيال والعصور بكونها صاحبة الثورة الفرنسية الكبرى اتخذت من ذكراها عيداً وطنياً⁵،ومن أمة فاق مفكروها و خطباؤها و كتابها وشعراؤها غيرهم من رجال الأمم الأخرى في تمجيد العدالة و الحرية والإشادة بهما والدعوة إليهما.وذكره بماضي أمته من خلال شخصية نابليون بونابرت الذي رفض الرقابة وطالب بأن يترك للصحافة كامل حريتها⁶،ثم ذكره بموقف الخليفة عمر بن الخطاب حول كلمة الحق بقوله:لا "خير فيكم إن لم تقولوها لنا،و لا خير فينا إن لم نقبلها منكم"⁷.كما انتقدت "الغمرات" موقف الحزب الدستوري الجديد التونسي من الإتحاد مع فرنسا سنة 1950 تحت عنوان"في

¹ - جريدة "الرأي العام" العدد 56 (19-05-1948).

² - جريدة "الرأي العام" العدد 65، (21-07-1948).

³ - المصدر نفسه.

⁴ - جريدة "الرأي العام" العدد 77 (20-10-1948).

⁵ - جريدة "الرأي العام" العدد 97 (06-05-1949).

⁶ - المصدر نفسه.

⁷ - المصدر نفسه.

تونس تمخض الجبل فولد فأرا!" وجاء أن موافقة الحبيب بورقيبة للانضمام لهذا الإتحاد أدى إلى هدم كل ما تقدم، لأنه "توج البرنامج الوطني بما هو نقيض الوطنية، وكان تحقيقا لمطامح السياسة الاستعمارية"¹. وعندما أغلق الحزب باب الأمل في أية تسوية داخلية للقضية المغربية، وأصبح يطالب "بالفراق بعد تعذر الوفاق" كتبت "الرأي العام" العديد من المقالات حول الدور القومي للجامعة العربية في التحرر وعن إيمانها بعدالة القضية المغربية، وحماستها لمساعدتها في كفاحها على المستوى الدولي².

لقد سعت جريدة "الرأي العام" إلى أن تكون منبر الحزب "للحرية والديمقراطية" من خلال الطرح المستمر للثنائية المقدسة بالنسبة له والمتمثلة في "الاستقلال والشورى"، أو "الحرية و الدستور". كما استطاعت بخطها الافتتاحي أن تحافظ على انسجام الحزب مع مختلف وثائقه المرجعية سواء التي صدرت عند تأسيسه في سنة 1946 أو فيما بعد في سنة 1947 و 1950 لأنها كانت تعبيراً عن مضامينها، وشرحا لأبعادها. و بالإضافة إلى ذلك أبرزت موقفه الثابت و المتواصل من نظام الحماية من خلال كشف وفضح مختلف أساليبه، و هذا ما جعلها هدفا متوصلا له بالرقابة التي إن لم تمنع موضوعا كاملا حاولت تشويهه. و بقدر ما أراد الشوريون من هذه الجريدة الدفاع عن المصالح المختلفة للشعب المغربي، أرادوا من خلالها تأسيس "رأي عام حقيقي" مؤثر وفعال في المعادلة الوطنية يعبر عن الإرادة المشتركة للأمة المغربية، ولتأسيس سلطة معنوية رهيبة تحسب لها الحكومات ألف حساب³.

وإذا كانت هذه الجريدة قد وفقت إلى حد كبير في المهمة الأولى أي التعبير عن التصورات السياسية لحزب الشورى و الاستقلال فإنها لم توفق كثيرا في المهمة الثانية، أي تكوين رأي عام مغربي مؤثر و واع بدوره الوطني ليس فقط بالتحرر من نظام الحماية، و لكن بإدراكه للجانب الآخر للتحرر المتعلق ببناء الدولة المغربية العصرية ذات النظام السياسي الديمقراطي باعتبار يمثل هذا حسب الشوريين الضامن الوحيد لممارسة السيادة الشعبية الفعلية. و مرد ذلك إلى طبيعة مضمون هذا الطرح بحد ذاته، باعتباره نخبويا مستلهما من الفكر الغربي الليبرالي ومتضمنا لعناصر إيديولوجية الديمقراطية الغربية، مثل حقوق الإنسان

¹ - جريدة "الرأي العام" العدد 167 (08-09-1950).

² - جريدة "الرأي العام" العدد 235 (20-03-1952).

³ - جريدة "الرأي العام"، العدد 01، (15-04-1947).

ونظام الحكم الدستوري، والتمثيل الشعبي، وتقرير المصير القومي، وأفكار الحرية والمساواة، والمشاركة السياسية، أي الانتقال بالمغرب نحو الحياة العصرية بمضمون ثقافي غربي، وهذا في بيئة مغربية سيطر فيها منذ مدة طويلة الفكر التقليدي المحافظ، والسلفي (الإصلاحي)، ولم تتردد في اعتبار هذه المنظومة الليبرالية جزءاً من إيديولوجية المستعمر (بكسر الميم).

لقد تحول كل ذلك إلى حاجز نفسي أدى إلى ضعف التجاوب بين هذا الرأي العام وبين ما كان يكتب أسبوعياً على أعمدة جريدة "الرأي العام" في "الغمرات" و "فصل الخطاب" و "حديث جهينة" من مضامين سياسية متنوعة. وذلك بالرغم من محاولة إثبات شرعيتها في الكثير من الأحيان بالبعد الديني للشعب المغربي من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة لبعض الصحابة كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب، لأنها كانت متداخلة مع اجتهادات "جان جاك روسو" و "توماس جيفرسون"¹، ولذلك لم تجد تجاوباً كافياً من طرف هذه العامة، التي لم تستطع التحول إلى رأي عام حسب منظور الشوريين بالتالي لم تتحول إلى "الرأي العام" و غيرها من الجرائد إلى "سلطة رهيبة تحسب لها الحكومات ألف حساب". كما قال بذلك الوزاني في "الغمرات" لأول عدد لجريدة "الرأي العام"²

¹ - محمد معروف الدفالي، زعماء الحركة الوطنية و الفكر الغربي، (مصدر سابق) ص 231.

² - جريدة "الرأي العام"، العدد 01، (15-04-1947).

الفصل السادس:

الزيارة السلطانية لمدينة طنجة 09 افريل 1947 : خطاب وحدة
المغرب "وطنية" و "أرضاً"

- . وضعية مدينة طنجة
- . ظروف الخطاب السلطاني في طنجة 10 أفريل 1947
- . مشروع الزيارة السلطانية
- . مضمون خطاب طنجة 10 - 04 - 1947
- . انعكاسات الخطاب السلطاني

كتب الجنرال "ألفونس جوان" في مذكراته أنه تم استدعائه من طرف الحكومة الفرنسية ليحل محل المقيم العام "إيريك لابون" بعد زيارة السلطان محمد بن يوسف لمدينة طنجة في المنطقة الدولية في أفريل 1947¹. وقد اعتبر "جوان" أن "لابون" دفع بمنصبه ثمنا لسلوك السلطان الذي كان فجائيا وغير متوقعا. لأنه استغل هذه الزيارة لإلقاء خطابا إسلاميا تضمن "عدم وجود مصير آخر للمغرب إلا مع المشرق"². و"ألغى فجأة كل ما قامت به فرنسا من أجل المغرب". واعتبر "جوان" أن ما قام به السلطان شكل ضغطا على فرنسا التي اعتبرت الخطاب مهينا لها باعتبارها الأمة الحامية للمغرب³. لقد عبر "جوان" بصفته المقيم العام الذي استدعي للمغرب في سنة 1947 من أجل إزالة كل الآثار التي تركتها هذه الزيارة على جميع الأصعدة. و لذلك طلبت منه باريس القيام بمهمة لم يكن بالإمكان أن تقوم بها سوى عشرين فرق عسكرية⁴.

لقد تحول هذا الخطاب إلى حد فاصل بين مرحلتين مختلفتين جذريا سواء في السياسة الفرنسية في المغرب. أو بالنسبة للمغاربة في المنطقة السلطانية والخليفية. فقد أصبح هؤلاء يكتبون تاريخا جديدا. لأن السلطان قام بزيارة المدينة التي فجرت الموقف⁵. كما كان خطابه معلما من المعالم الكبرى في مسار النضال الوطني المغربي⁶. لقد كان أثر هذا الخطاب كبيرا إلى درجة أن فرنسا قامت بمراجعة جذرية لسياستها المغربية بالرغم أن هذه الزيارة تمت بموافقتها. وموافقة الدول المعنية بالنظام الدولي لمدينة طنجة. و بترخيصها و حتى تحت حمايتها. و بتحمس من طرف مقيمها العام "إيريك لابون". فكيف تطورت الأمور بشكل غير متوقع ؟ و تحول الحدث إلى "كارثة طنجة" على حد تعبير "سبيلمان"⁷.

¹ - Alphonse Juin, Mémoires, Libération De La France, Avènement de la IV^e République 1944-1947, Maroc, 1947 - 1951, Alliance atlantique 1951 - 1958, Librairie Arthème Fayard, Paris, 1960, p, 135-136.

² - *ibid*.

³ - *ibid*.

⁴ - كان هذا التعبير من طرف أحد أعضاء البرلمان الفرنسي الذي صرخ في وجه الوزير الأول "رماديه Paul Ramadier" بقوله "ابعث إلى المغرب بعشرين فرقة عسكرية أو ابعث فقط الجنرال جوان" أنظر، لاندو روم، محمد الخامس، مصدر سابق، ص، 25.

⁵ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 353.

⁶ - عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، مصدر سابق، ص 208.

⁷ - Georges Spillmann, Du protectorat. op.cit, p, 131.

لقد طرح هذا الخطاب عدة قضايا في نفس الوقت، فمن جهة ارتبط بموضعه في سياق إنتاج وتداول الخطاب الوطني الاستقلالي الذي كان متحدته هذه المرة سلطانيا¹، ومدعاه وطنيا متمثلا في الحركة الوطنية المغربية التي طرحت في أوت 1945، أي مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، مسألة نظام مدينة طنجة كمشكلة تتعارض مع السيادة المغربية التي اعتبرت السلطان ضامنا لها ومؤتمنا عليها. فقد كانت هذه القضية بالنسبة لها مسألة وجب توظيفها بما يخدم رزنامتها التحررية التي أصبحت بعد سنة 1944 مرتبطة محوريا بالفكرة الاستقلالية.

و من جهة أخرى طرح الخطاب مسألة القانون الأساسي لمدينة طنجة الذي يعتبر من أهم مظاهر تطور الأزمة المغربية في مطلع القرن العشرين². فقد طرحت "الأزمة المغربية" من جديد. و لكن بصيغة مختلفة تماما عن المعروفة في مطلع القرن العشرين. فقد كانت عنوانا لمذكرة من طرف حزب الاستقلال وجهت للمقيم العام "لابون" في سنة 1946. و لذلك فإن إعادة طرحها في هذه الظروف بالذات يعتبر من صميم ما عرفته الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية من تطورات متسارعة بدأت منذ نزول الحلفاء في سواحل المغرب في نوفمبر 1942³.

¹ - محمد بن الراهب البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 325.

² - Ministère des affaires étrangères, Documents Diplomatiques Affaires Du Maroc, 1900 - 1912, Imprimerie Nationale Paris, 1912, p 632.

³ - تم تناول هذه المخطات وتأثيراتها سابقا.

1. وضعية مدينة طنجة :

1 - 1 نبذة تاريخية:

سميت مدينة طنجة في الكثير من المصادر الجغرافية بمدينة المضيق نظرا لموقعها عند نقط التقاء البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي. و سميت بمدينة المضيق لأنها تطل على مضيق جبال طارق. و من الناحية البرية تقع مدينة طنجة في أقصى شمال المغرب عرفت المدينة عدة تجاذبات تاريخية منذ القدم. بكونها كانت مركزا مهما للتبادل التجاري بين أفريقيا و أوروبا. بعد سقوط الأندلس في نهاية القرن الخامس عشر، وبعد اختلال التوازن بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط، احتلتها البرتغال فالإسبان ثم الانجليز. وفي 1684 تم تحريرها من طرف دولة العلويين الأشراف على يد السلطان إسماعيل بن الشريف. و ذلك في سياق ما قامت هذه الدولة لتحرير لكل السواحل المغربية¹. ثم تحولت إلى محطة تقاطع طرق لنشاط تجاري كثيف نظرا لموقعها البحري الذي جعل منها مدينة استقطاب لكل الأنشطة الاقتصادية² وخلال القرن التاسع عشر كانت تستقبل طنجة كل الأنشطة القنصلية لكل الدول من مختلف المناطق من القارات موقعها الجغرافي. لذلك أصبحت تلقب بالعاصمة الدبلوماسية المغربية. كما كانت مقرا للنياية السلطانية حيث كان نائب السلطان المغربي يحكم في المدينة باسمه³. و قد عبر السلطان على مكانة هذه المدينة بالنسبة للمغرب بنفسه أثناء إلقاءه لخطابه فيها في افريل 1947 بقوله بأنها "بمنزلة التاج من المفرق. و باب تجارته و محور سياسته"⁴. فقد كان لهذه المدينة تاريخ حافل بكل المضامين السياسية والاقتصادية. وارتبطت قوتها بقوة المغرب. و لذلك عندما أصبح هذا الأخير محط أنظار استعمارية مكثفة. تحولت المدينة إلى مجال تنافسي شديد بين مختلف الدول الاستعمارية، التي وإن قبلت بإعلان الحماية الثنائية الفرنسية الإسبانية عليه فإن قضية طنجة اتخذت بعدا آخر. فقد تم تحويل المدينة و ما يحيط بها من مناطق إلى "منطقة دولية" وفق معاهدة 18 ديسمبر 1923 بين مجموعة الدول التي كان لها مصالح في المدينة و تتمثل في فرنسا وإسبانيا و إنجلترا أولا. ثم انضمت

¹ - Isaac J. Assayag, *Tanger: un siècle d'histoire*, Editions marocaines Et Internationales, Tanger, 1978, p.27.

² - *Mission scientifique du Maroc Archives Marocaines*, N° 01, *Le commerce Indigène à Tanger*, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1904, p.88.

³ - *ibid.*, p. 30.

⁴ - عبد العزيز خلوq تسماني، أحمد بن محمد كردودي، رحلة الجلالة المحمدية إلى طنجة، عاصمتها الدبلوماسية، 09-13 أفريل 1947 شركة سليكي إخوان للطباعة، طنجة، 1997، ص 40.

للمعاهدة كل من بلجيكا وهولندا والبرتغال و الولايات المتحدة الأمريكية.فقد تم معارضة أي إنفراد بالمدينة لأي دولة،خاصة إذا كانت فرنسا أو إسبانيا.و منذ ذلك التاريخ أصبح المغرب يعيش انقساماً إقليمياً ثلاثياً بين منطقة سلطانية في الجنوب تابعة للنفوذ الفرنسي وعاصمتها الرباط.و خليفية في الشمال تابعة للنفوذ الإسباني و عاصمتها تطوان.و منطقة دولية في مدينة طنجة¹.

1 - 2 النظام الدولي لمدينة طنجة:

• تأسيسه و سيره :

نصت معاهدة النظام الدولي لسنة 1923،التي شرع في تنفيذها رسمياً ابتداء من سنة 1925 على ضمان مصالح كل الدول المعنية مع الحفاظ على تبعيتها السيادية الإسمية للسلطان المغربي.فقد بقيت الراية المغربية معلقة على البنايات الإدارية في المدينة.كما أعتبر سكانها من مسلمين و يهود رعايا مغاربة كغيرهم من الرعايا في المناطق المغربية الأخرى،من حيث الحقوق و الواجبات.أما المظاهر السياسية للصفة الدولية للمدينة فكانت تتمثل في ثلاث هيئات،أولها "المجلس التشريعي"² الذي كان تكون من أعضاء جاليات الدول التي أمضت على عقد الجزيرة سنة 1906.و كان عدد أعضاء كل دولة يتناسب مع حجم أنشطتها الاقتصادية في المدينة فقد كان لكل من فرنسا و إسبانيا أربعة أعضاء ولكل من إنجلترا وإيطاليا ثلاثة أعضاء.في حين كان لبلجيكا عضو واحد و نفس الشيء لهولندا و البرتغال و الولايات المتحدة الأمريكية.ليصبح العدد الكلي للممثلين الأجانب ثمانية عشر عضواً.أما المغاربة فكان لهم تسعة أعضاء للمسلمين وثلاثة أعضاء للجالية المغربية اليهودية.وكان دور هذه الهيئة يتمثل في سن القوانين المرتبطة بتسيير هذا النظام بما يتماشى مع نصوص الاتفاق³.أما الهيئة الثانية فكانت تتمثل في "لجنة المراقبة"⁴ التي كانت تتكون من قناصل نفس الدول الممثلة في الهيئة التشريعية و كانت تتمثل مهمتها في الحفاظ

¹ - تضم المنطقة الدولية مدينة طنجة الكبيرة التي كانت تتكون من المدينة الإسلامية و اليهودية و الأوربية.و بعض المناطق الجبلية المحيطة بها التي كان يسكنها بعض القبائل مثل قبيلة الفحص.و قد قدرت مساحتها 380 كيلومتر مربع محصورة بين ساحل المحيط الأطلسي و البحر الأبيض المتوسط من جهة الغرب والشمال و بعض الجبال مثل جبل بني مجمل.أنظر:

Isaac J.Assayag, *Tanger: un siècle d'histoire*, op.cit, p 141.

² - Pierre Guillen, *Aux Origines De L'internationalisation De Tanger, Les négociations Sur Le Statut International 1912 -1924*, Les Editions Arabo-africaines, Rabat, 1991, p 212.

³ - Pierre Guillen, *Aux Origines De L'internationalisation De Tanger*, op.cit.

⁴ - *ibid.*

على مصالح كل دولة من الدول الممثلة فيه و مراقبة المجلس التشريعي والتصديق على كل أنشطته بما يتماشى مع مضمون النظام الدولي للمدينة. و كانت هذه اللجنة تتحكم في كل مكونات هذا النظام من جميع الجوانب¹. أما ما يترتب عن ذلك النشاط من تشريع ومصادقة فإن "الإدارة الدولية"² هي التي كانت تشرف على تنفيذها ميدانيا. و كانت بمثابة حكومة مصغرة لما كانت تقوم به من أنشطة. و كان هيكلها يتكون من مدير عام و مساعدين له كل واحد منه يشرف على قطاع محدد كالمالية أو الصحة أو الأشغال العمومية. وغيرها من القطاعات. و قد ترأست فرنسا لأول مرة هذه الإدارة لمدة ست سنوات. على أن يكون هذا المنصب بعد ذلك خاضعا للانتخاب من طرف المجلس التشريعي³.

و في هذا النظام تم القضاء على كل الامتيازات التي كانت في السابق. و اعتبرت كل الدول متساوية في الحقوق داخل هذا المنطقة. وسقط مبدأ "شرط الدولة الأكثر رعاية" *La clause de la Nation la plus favorisée*⁴. و قد تضمن هذا النظام عدم المساس بحقوق السلطان الشرعية من الناحية الإسمية الذي بقي محافظا على صفة "أمير المؤمنين" فبقيت السلطة الشرعية مصدرها السلطان التي كان يمارسها عن طريق موظفين تحت سلطة "المنسوب الخلفي" الذي حل محل "النائب الخلفي". وحلت "المنسوبية المخزنية" محل "دار النيابة" و فقد بذلك المغرب أهم مظهر من مظاهر سيادته الخارجية. كما تضمن هذا النظام الدولي الحرية الدينية ومساواة السكان في الحقوق والواجبات في ما يخص كل المجالات سواء الاقتصادية أو غيرها من المرافق العامة⁵.

بعد استكمال كل الإجراءات النظامية التي نصت عليها معاهدة 1923 عرفت المدينة بداية تطبيق هذا النظام رسميا بداية من 01 جوان 1925 عندما عقد المجلس التشريعي أول جلساته الذي بدا أشغاله باسم الظهير السلطاني الصادر في ماي 1925. و بالرغم من الانسجام

¹ - *ibid.*, p 213.

² - *ibid.*, p 212..

³ - Isaac J. Assayag, *Tanger: un siècle d'histoire*, op.cit, p 100.

⁴ - عبارة عن حقوق اكتسبتها الدول الأوروبية في شكل امتيازات تضمنتها مختلف المعاهدات التي كانت تبرمها مع المغرب وقد بدأ مع المعاهدة الإنجليزية المغربية لسنة 1856، التي وضعت وبشكل نهائي حدا لسيادة السلطان وسحبت منه كل إمكانية ممارسة حقوقه على التجارة البحرية، وأدت إلى تنافس بين القوى الاستعمارية حول النفوذ في المغرب، أنظر،

Ministère des affaires étrangères, Documents Diplomatiques, Affaires Du Maroc, 1900-1912, Imprimerie Nationale Paris, 1912, p 632. 1900-1912, Imprimerie Nationale Paris, 1912, p231.

⁵ - عبد المجيد بن جلون، هذه هي مراكش، مكتب المغرب العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1949، ص154.

الظاهري الذي ظهر به هذا النظام من حيث عمل هيئاته المختلفة. فإنه كان في حقيقته شكل من أشكال الاتفاق بين القوى الاستعمارية على الحفاظ على مكاسبها. كما كانت السيطرة الفرنسية على سيره واضحة من حيث التفوق العددي في المجلس التشريعي و من حيث اعتبارها صاحبة الحق بكونها الدولة الحامية لمركز الدولة. و كانت في الكثير من الأحيان تستعمل هذا الحق بشعارات مختلفة، ومن أهمها حماية حقوق السلطان السيادية التي حفظتها له معاهدة 1923. نظرا لأن ذلك كان يؤدي مباشرة للسيطرة على المدينة بحكم معاهدة الحماية لسنة 1912، التي تعطي الحق لها في كل ما يتعلق بالعلاقات الخارجية للمغرب. لذلك اعتبرت فرنسا هذه الأفضلية من أشكال ممارسة هذا الحق. و قد كان هذا بموافقة إنكليزية التي كان لها طموح بإلحاق المدينة إلى منطقة جبل طارق. إلا أنها قبلت بهذا الوضع لأنه حافظ على حقوقها التجارية. فقد كانت طموحاتها كانت عند تلك الحدود فقط. و لذلك منعت أي نفوذ مطلق سواء لفرنسا أو لإسبانيا¹.

لقد وصف محمد مكي الناصري زعيم "حزب الوحدة المغربية" في المنطقة الخلفية هذا النظام في مقال في أوت 1935 في جريدة "الحياة الوطنية"، التي كانت تصدر في تطوان تحت عنوان "مدينة بائسة و نظام غريب" و وصفه بـ "النظام الطنجي الذي ليس بالنظام الذي تسيل عليه دموع المسلمين، لأنه حمل ثقل على كواهل المغاربة أكثر من الجاليات الأجنبية، و هو سلاح خطير بيد خصوم الأمة المغربية، و أعداء السلطة القومية، و هو أبعد ما يكون في خدمة الإسلام أو خدمة السلطان أو خدمة القومية المغربية"².

و قد بقيت إسبانيا تعبر عن رفضها لهذا الوضع. فقد كانت الصحافة الإسبانية الكولونيالية تعتبر وضع مدينة طنجة بمثابة "خنجر مغروس في المنطقة الإسبانية"³. و في 1935 طرح "الكورطيس Cortes Générales" (البرلمان الإسباني) قضية طنجة وعبر عن

¹ - للإطلاع أكثر على كل ما يتعلق بوجهات النظر للدول المعنية بالنفوذ في مدينة طنجة أنظر: محمد خير فارس، تنظيم الحماية في المغرب 1912-1939، دراسات في تاريخ شمال أفريقيا الحديث، الشركة الحديثة لتوزيع الكتب والمطبوعات القاهرة، 1972، ص 70-79.

² - محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية ودورها الحاسم بعد الزيادة التاريخية، طنجة في التاريخ المعاصر، 1800-1956، الملتقى العلمي الأول لمدينة طنجة، 20:18 أكتوبر 1990، جامعة محمد الخامس، الرباط، جامعة عبد المالك السعدي، النشر العربي الإفريقي، الرباط، 1991، ص 19-32.

³ - محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة 9-13 أبريل 1947، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة كنانرانت، الرباط، 2007، ص 127.

بصورة علانية عن مطامح إسبانيا في اعتبار مدينة طنجة ضرورية لـ "الممتلكات الإسبانية" من أجل برنامجها الدفاعي عن شواطئ شبه الجزيرة. و اعتبر النفوذ السلطاني في المدينة خطر على إسبانيا¹. و قد احتجت "كتلة العمل المغربية" في الجنوب في ماي 1935 عن طريق رسالة وجهتها للقتل الإسماني في مدينة فاس واعتبرت فيها هذه المطامح القديمة تجاه المدينة مساس بالسيادة المغربية و طالبت بضرورة بقاء المدينة تحت سيادة السلطان². و قد وصفت الكتلة موقف إسبانيا من المدينة تهاونا بالتزاماتها تجاه النظام الدبلوماسي الذي كانت المدينة خاضعة له. و كان ضمنا بشكل من الأشكال لحقوق الوحدة و السيادة للمغرب في عهد الاحتلال باسم الحماية³.

وقد تجدد هذا المشروع من طرف نظام فرانكو الذي استغل موازين القوى الجديدة المترتبة عن بداية الحرب العالمية الثانية التي كانت في صالحه. فمباشرة بعد سقوط فرنسا قام باحتلال مدينة طنجة في جوان 1940 و ترسيم ذلك بقرار في نوفمبر 1940 الذي اعتبر المدينة خاضعة للتشريعات المعمول بها في منطقة النفوذ الإسباني. و ترتب عن ذلك تفكيك كل مظاهر الإدارة الدولية بما فيها هيئة المندوبية السلطانية التي طردت من المدينة. و بين 1940 و 1945 فتحت أبوابها على مصراعيها أمام النشاط المحوري الذي جعل منها قاعدة للنفوذ في شمال أفريقيا. فقد عرفت تواجدا نازيا مكثفا على جميع الأصعدة بما فيها الإعلامية. و جعلت الدعاية الألمانية منها منطلقا لمشاريعها في المنطقة⁴. بالرغم من عدم احتجاج كل من فرنسا وإنجلترا على هذا الإدماج باعتباره كان جزءا من اختلال موازين القوى العسكرية في الحرب، و بالتالي كان أمرا واقعا أكثر منه مبادرة إسبانية. إلا أن السلطان المغربي احتج عن ذلك بقوة واعتبره مساسا ما للعرش السلطاني من حقوق و امتيازات متعلقة بالنظام الأساسي لمنطقة طنجة⁵.

¹ - يتعلق الأمر بالنائب الإسباني المسمى "كوكشيا" الذي طالب بإعادة الهيبة الإسبانية المتوسطة. أنظر، محمد حسن الوزاني مذكرات حياة و جهاد، ج 04، مصدر سابق، ص 122.

² - محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 04، مصدر سابق، ص 124.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - Isaac J. Assayag, *Tanger: un siècle d'histoire*, op.cit, p 119.

⁵ - محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 129.

• عودة النظام الدولي لمدينة طنجة بعد الحرب العالمية الثانية:

لقد أدى انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية إلى إعادة الأمور إلى حالتها الأولى في مدينة طنجة. وفي سياق تراجع نظام فرانكو عن تأييده لكتلة المحور. عرفت مدينة طنجة تفكيك كل الهيئات " الإسبانية المحورية" ابتداء من ماي 1945. ثم تبع ذلك عودة عسكرية للحلفاء للمدينة أمام سكوت مطلق لإسبانيا. التي انسحبت منها عسكريا وإداريا. و زالت في فترة قصيرة جدا كل مظاهر كانت تدل على تواجدها¹. وقد كان ذلك في سياق ما عرفتة إسبانيا من حصار دولي بدأ بمنعها من دخول هيئة الأمم المتحدة. و بالنسبة لوضع مدينة طنجة تم تجسيده في مؤتمر باريس في أوت 1945 الذي كان بمبادرة فرنسية إنجليزية و حضرته كل من الولايات المتحدة الأميركية والإتحاد السوفيتي. و لم تستدعي له إسبانيا². للنظر في مستقبل هذه المدينة. و قد تقرر إعادة مدينة طنجة إلى قانونها الأساسي الأولي، أي النظام الدولي. مع ضرورة مراجعة نظامها الداخلي في ظرف لا يتعدى ستة أشهر. و في سبتمبر 1945 استرجعت الهيئة الدولية أنشطتها بعقدها لأول اجتماع لها أرجعت من خلاله المدينة إلى وضعها الذي سبق الغزو الإسباني لها. و قد أكد هذه العودة السلطان المغربي محمد بن يوسف الذي أصدر ظهيرا شريفيا في سبتمبر 1945 تضمن تعيين المندوب السلطاني الجديد و التنظيم الجديد للمدينة الذي كان نسخة مطابقة لظهير 1925³. لقد كانت مسaire السلطان المغربي للمسار الذي اتخذته مسألة مدينة طنجة. بعودة النظام الدولي إليها بصورة مطابقة تماما لما كانت عليه قبل غزوها من طرف إسبانيا. و إصداره لكل التشريعات الضرورية لذلك سلوكا تتطلبه الأعراف الدبلوماسية. و كان كذلك "الطريق الوحيد" التي اخرج المدينة من وضعها الذي كانت عليه أثناء الحرب العالمية الثانية باعتبارها كانت قاعدة خلفية لكل الأنشطة

¹ - على عكس طريقة دخولها للمدينة قامت إسبانيا بإخفاء كل تواجد لها بعد ماي 1945 مثل عدم ظهور جنودها في شوارع المدينة. و نزع بدلمهم العسكرية. و أغلقت كل المؤسسات الفلاحية. و أوقفت مصالحها الجمركية عن استلام الرسوم. وغيرها من المظاهر التي كانت تسعى من خلالها تفادي أي شكل من أشكال المواجهة. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 130.

² - *Relation extérieur du Protectorat , Retour du Régime international du Maroc (note de synthèse)*, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO / 142 fév. 1945 – juin 1948 .

³ - لم يتضمن القرار السلطاني أي جديد حول المدينة تماشيا مع قرارات مؤتمر باريس في أوت 1945 الذي قرر ذلك على أن يعاد النظر فيه بعقد مؤتمر بعد ستة أشهر. إلا أنه لم يعقد نهائيا هذا المؤتمر و بقي هذا النظام نفسه في هذه المدينة إلى غاية الاستقلال سنة 1956. مع بعض التعديلات لسنة 1952. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق ص 130.

والدعاية المحورية. فقد كانت بالضرورة مسألة تتعلق بتسويات ما بعد الحرب التي كانت تتم في شكل جماعي في معظم حالاتها. فقد أقر مؤتمر بوتسدام في جويلية 1945 مبدأ القضاء على النازية و المتحالفين معها. و قد كان نظام فرانكو في إسبانيا من هؤلاء¹. و لذلك اتخذت مسألة طنجة هذا البعد الدولي. الذي قرر المتحكمون في شأنه عودة النظام الدولي لمدينة طنجة و إعادتها إلى حالتها التي كانت عليها قبل احتلالها من طرف إسبانيا. بالإضافة إلى ما تفرضه معاهدة فاس في 30 مارس 1912. التي قيدت في فصلها الثالث السلطان في تحركاته و في مبادراته الدبلوماسية².

لقد كان ذلك أقصى ما قام به السلطان المغربي بمسايرة قرارات مؤتمر باريس و قبول مبدأ المحافظة على الأوضاع، لأن ذلك من شأنه ضمان لسيادته و لو بصورة اسمية ببقاء المندوب السلطاني. بإعادة تعيين محمد التازي في هذا المنصب. إلا أن الحركة الوطنية المغربية التي لم تكن بعد الحرب "إصلاحية" بقدر ما كانت "استقلالية". و لذلك كان أول موقف اتخذته هو رفضها لفكرة إعادة النظام الدولي لمدينة طنجة الذي تقرر في مؤتمر باريس في أوت 1945. ففي بيان لحزب الاستقلال بتاريخ 02 أوت 1945 من إمضاء أمينه العام بالنيابة محمد اليزيدي طالب بحق المغاربة في المشاركة في " مصير قطعة من الأرض المغربية". و قد جاء تم توجيه هذا البيان إلى الجنرال ديغول بصفته رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية. تضمن أهمية محادثات قضية طنجة التي تصدرت الأحداث الدولية حينها. نظرا لكثافة الأنشطة الدبلوماسية المترتبة بها. من خلال الاتصالات التي جرت على مستوى هيئة الأمم المتحدة. أو على مستوى الخبراء الذين كانوا بصدد البحث عن الحلول التقنية لها³. إلا أنه لاحظ الحزب أن بعض وسائل الإعلام الفرنسية الناطقة باسم الحكومة المؤقتة بدأت تتحدث عن دور امتيازي لفرنسا. معبرة نفسها من القوى الكبرى المعنية مباشرة بموضوع مدينة طنجة. و من جهة أخرى بصفتها متحدثة رسميا باسم السلطان المغربي. و قد اعتبر حزب الاستقلال أنه من مصلحة المغرب و حتى فرنسا أن يوضع حدا لهذا الغموض⁴. و اعتبر أنه أن الألوان أن يتحمل المغاربة مسؤولية تسيير شؤونهم بأنفسهم بعد انقطاع لهذه الممارسة

¹ - رياض الصمد، العلاقات الدولية، مرجع سابق، ص 438.

² - Isaac J. Assayag, *Tanger: un siècle d'histoire*, op.cit, p 128.

³ - Parti De L'Istiqlal, *Documents*, 1944 - 1946, op.cit. p 1- 4.

⁴ - *ibid*.

منذ عدة سنين و هي كذلك مناسبة للاعتراف بما قدموه من تضحيات في "حرب التحرير" (تحرير فرنسا)¹. وبالنسبة للحزب فإنه يجب على هيئة الأمم المتحدة تشجيع دولة ناشئة مثل المغرب من أجل المساهمة في التعاون الدولي. و بالنسبة له كذلك فإن الضمان الوحيد للحصول على الحق المغربي المشروع فيما يخص مدينة طنجة هو تعيين السلطان المغربي لمجموعة من الدبلوماسيين المغاربة يتميزون بالكفاءة، و بثقة الشعب المغربي للحضور في قمة باريس من أجل الدفاع عن وجهة النظر المغربية في قضية مدينة طنجة² لأن الأمر تعلق بأرض تعتبر جزء لا يتجزأ من التراب المغربي³.

و بالنسبة لحزب الاستقلال فإنه لا يوجد حتما تطابقا بين الحقوق الجغرافية و التاريخية للمغرب مع مصالح فرنسا التي أصبح لزاما عليها بأن تضع حدا للغموض الناتج عن معاهدة 30 مارس 1912. و من جهة أخرى فإن الاعتراف بالسيادة السلطانية على هذه المدينة، و لو نظريا، تفرض على فرنسا الالتزام بها و بالتالي الاستماع لرغباته فيما يخص هذه المدينة. و في سياق تبني مبدأ الاستقلال "كعقيدة و مذهب" على حد تعبير علال الفاسي⁴. لقد طالب حزب الاستقلال من خلال هذا البيان ممارسة المغاربة لحقهم في تسيير هذه المدينة التي تعتبر مغربية تاريخيا وجغرافيا، بكل حرية و من خلال كل مظاهر التسيير الحر و المسؤول⁵ خاصة و أن المناخ الذي جعل من المدينة منطقة دولية سنة 1923 لم يعد موجودا. و في خاتمة البيان حمل الحزب الحكومة الفرنسية المؤقتة مسؤولية أي مساس بالمغرب في وحدته الترابية و في حدوده التاريخية⁶.

و في جميع الأحوال فإن المندوب السلطاني محمد التازي أقام احتفالا كبيرا في المدينة و استقبل سكانها و هنأهم بعودتهم إلى عائلة الرعايا السلطانية. كما استعادت الهيئات الدولية نشاطها. و لم يتغير أي شيء في هذه المدينة بالرغم ما عرفته من تقلبات و تغيرات فقد فضلت القوى الكبرى (و كعاداتها) مصالحها الاستعمارية قبل أي حق للمغرب سلطانا و شعبا و لم يظهر أي اثر لنتائج الحرب العالمية الثانية. فحتى إسبانيا استرجعت امتيازاتها السياسية و

¹ - *ibid.*

² - *ibid.*

³ - *ibid.*

⁴ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق، ص 289.

⁵ - *Parti De L'Istiqlal, Documents ,1944 -1946, op.cit. p 1- 4*

⁶ - *ibid.*

الاقتصادية في المدينة.و حتى في الشمال المغربي.ولم يعد نظام فرانكو خطرا على"الحرية و الديمقراطية وحقوق الإنسان" فقد تأكد أن هذه القوى فضلت توازن المصالح الاستعمارية على حقوق الشعب المغربي(و حتى غيره من الجزائريين و التونسيين)سواء في مدينة طنجة أو في غيرها من أرجاء المغرب.فكما خيب الحلفاء آمال المغاربة في الجنوب كذلك فعلوا في طنجة التي بقيت رمزا للاتفاق الاستعماري الاستغلالي.و لوحدة النوايا و الأهداف الاستعمارية.و أحد شواهد التحالف و سبق الإصرار على تجزئة و تقسيم البلاد¹.و كان على المغاربة سلطانا و وطنيين أن يبحثوا عن حلول أخرى لقضيتهم الوطنية ما عدا رياح التحرر التي هبت على العالم بعد الحرب العالمية الثانية.فقد ظهر جليا أنهم،وغيرهم من الشعوب الأخرى، غير معنيين بها².

2. ظروف الخطاب السلطاني في طنجة 10 أفريل 1947 :

ذكر"روم لاندو" أن زيارة السلطان الرسمية لمدينة طنجة كانت بمثابة قنبلة انفجرت في افريل 1947.فلم يكن أي احد من أسلافه منذ سنة1889 قد زار المدينة التي كانت تقع خارج حدود البلاد مع أنها كانت جزء منها³.و لذلك أراد السلطان زيارتها و إلقاء خطاب فيها لإثبات أنها مازلت تحتفظ بطابعها المغربي الذي لم ينل منه وجود الإدارة الدولية⁴.و في حقيقة الأمر فإن ظرفية هذا الخطاب كانت متناسبة مع سلسلة التطورات التي عرفها المغرب منذ نهاية1942 و ما أحدثته الإنزال الأمريكي من تأثير على المغاربة و على رأسهم السلطان و قد تبرز "ثورية" هذه الخطوة من حيث الاختيار بحد ذاته.أي بإلقائه لهذا الخطاب و في هذه المدينة بالذات.أما من حيث مضمونه فلا يمكن اعتباره إلا استمرارية لما شرع فيه السلطان منذ قمة "أنفا" في جانفي 1943 .فقد يكون ما قام بمثابة صدمة لفرنسا لأنه لم يتم ذكرها بما تعودت عليه على لسان السلطان من حديث عن"إنجازها الحضاري الكبير في المغرب منذ الماريشال ليوتي".و قد يكون السلطان مازال متأثرا بما شاهده من صور مؤلمة في مجزرة

¹ - محمد معروف الدفالي صدى الزيارة الملكية لطنجة،في"ندوة علمية حول زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة أفريل 1947 السياق،الحدث الدلالات"،الذكرى الخمسون لزيارة الوحدة التاريخية إلى طنجة،أعمال الندوة العلمية المنعقدة يومي07و08 أبريل1997،نظمتها المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط،أفريل1997،ص 172-179.

² - عبد المجيد بن جلون،هذه هي مراكش،مصدر سابق،ص 160.

³ - كان السلطان مولاي الحسن آخر سلطان زار مدينة طنجة في 1889/9.أنظر،لاندو روم،محمد الخامس،مصدر سابق،ص، 24.

⁴ - لاندو روم،محمد الخامس،مصدر سابق،ص، 24.

الدار البيضاء التي تمت يوم 07 أفريل 1947، أي عشية إلقاء خطابه، ولكنه في جميع الأحوال فإن الخطاب في سياق العام كان منسجما مع ظرفيته القريبة و البعيدة على حد السواء. و هو بالتالي محطة من محطات الدور السلطاني في الحركة الوطنية المغربية. التي حصلت بفعل تتناغم و انسجام عدة عوامل¹.

2 - 1 السلطان محور الحركة الوطنية المغربية :

لقد أصبح للسلطان المغربي منذ مدة ليست بالقصيرة دورا محوريا في حركة المطالب المغربية. فمنذ حديثه مع الرئيس الأمريكي في قمة "أنفا" في جانفي 1943 بدا يلوح أمامه مستقبلا جديدا لبلاده². و قد بدأ فعليا في التقدم نحو هذا المستقبل بعد مساهمته الفعلية في حركة الاستقلال في جانفي 1944. و بالرغم من ضرب هذه الحركة بقوة من طرف "حكومة فرنسا الحرة" التي كان على رأسها الجنرال ديغول. و بالرغم من تراجع السلطان عن لائحة الاستقلال تكتيكيا. فإن الفكرة الاستقلالية بقيت من أولوياته الوطنية. و بقي الأمر مرتبطا باستغلال مختلف الظروف التاريخية لتجسيد هذه الفكرة أكثر من التنازل عن الإيمان بمبدأ الفكرة الاستقلالية بحد ذاتها³. و إذا كان ذلك مسائرا لطبيعة التطورات التي عرفها المغرب السلطاني فإنه كان بالنسبة للمغاربة حاملا لأكثر من دلالة. و من بين هؤلاء مغاربة منطقة طنجة الدولية. التي بقي السلطان يسير نظامها الدولي، لأنه حقق له سيادة و لو كانت اسمية و لكنها مضمونة بنص قانون 1923. و عندما سكنت فرنسا و إنجلترا و كل الدول المعنية بعد احتلالها من طرف إسبانيا في جوان 1940، وجه السلطان احتجاجا لها، و عبر فيه حينها عن رفضه "التنازل أبد الآبدين عن أقل حق من حقوقه في هذه المدينة"⁴. و في سبتمبر 1945 أصدر ظهيرا أبرز فيه هذه السيادة من جديد. و أوصى مندوبه الجديد فيها محمد التازي بما يوحى على علاقة السلطان بسكان المدينة على أنهم من رعايا السلطنة. و بالتالي فإن الاهتمام بهم من صلب صلاحياته. فقد طلب منه "الاهتمام بسكان المدينة من جميع ظروف معيشتهم بتوسيع

¹ - Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, p 285.

² - الحسن الثاني، التحدي، المطبعة الملكية، 1983، الرباط، ص 68.

³ - لقد تم التطرق بنوع من التفصيل لتحول السلطان إلى محور الحركة الوطنية المغربية الفصل الرابع.

⁴ - عبد العزيز خلوq تمسماني أحمد بن محمد كردودي رحلة الجلالة المحمدية إلى طنجة، مرجع سابق ص 40.

نظام التعليم، ونشر كل ما من شأنه أن ينير الأفكار، وبذل المزيد من الإعانات للفقراء و المعوزين قصد تحقيق تعاون مرتكز على المحبة و الوداد"¹.

و قد كانت لائحة حزب الاستقلال في أوت 1945 تسير في هذا الاتجاه. و لذلك فهي كذلك تعبير عن الموقف الوطني المغربي من مسألة طنجة. الذي كان له أكثر من متحدث واحد. و بشكل من الأشكال فإن الوطنيين المغاربة عبروا عن نفس موقف السلطان، و لكن بطريقة أكثر تحررية فهي لم يكونوا مرتبطين بواجب التحفظ بالتصريح بما يتعارض مع الالتزامات الدولية للسلطان. فهم أصبحوا لا يعترفون أصلا بها و كانت مقاومتهم من أجل إزالتها. وقد استعملوا كل الوسائل الداخلية منها و الخارجية. لذلك كان خطاب السلطان في أفريل 1947 شكل من أشكال التعبير عن موقعه الخاص بكونه السلطان. وحلقة من حلقات دوره في تحرير المغرب. بالرغم من أن آخرون اعتبروه محرره الوحيد بما يتطابق مع شعار "ثورة السلطان والشعب". أو "المعجزة المغربية"².

2 - 2 مشروع المقيم العام " إريك لابون " جويلية 1946 :

لقد كانت كذلك للمقيم العام " إريك لابون " معجزة " أراد تحقيقها في المغرب بعد تعيينه من طرف باريس كخلف لـ "غبريال بيو" في مارس 1946 بمهمة القيام بإصلاحات في المغرب تكون بمثابة استجابة لما قام به المغاربة من نشاط منذ الإنزال الأمريكي إلى غاية المطالبة العلنية بالاستقلال. و بالنسبة للسلطان فإن رحيل "غبريال بيو" كان ضروريا من أجل مسح كل آثار الإذلال التي تركها عليه أثناء أحداث المطالبة بالاستقلال. فقد كان من الأسباب الرئيسية لزيارته لفرنسا في جوان 1945. و في جميع الأحوال فإن النتيجة واحدة فالنسبة لباريس التي كانت بحاجة إلى انطلاقة جديدة في المغرب. واعتبرت "لابون" صاحب هذه المهمة³ وبالنسبة للمغاربة سلطانا و حركة وطنية فإن لسان حالهم حول رحيل "غبريال بيو" كان يعبر عن المقولة المشهورة "ستتسى كأك لم تكن".

بالنسبة لموقفهم من المقيم الجديد "لابون" فقد كان هذا مرتبطا بمضمون سياسته وعلاقتها مع مسألة محورية تتمثل في ما سيقوم به من تعديل لعقد الحماية لسنة 1912. فقد اعتبر

¹ - المرجع نفسه.

² - أحمد عسة، المعجزة المغربية، دار القلم للطباعة، بيروت، 1975، ص 266.

³ - *Reformes politiques et administratives, réorganisation des services politiques du protectorat et du Maghzen central, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO /118 oct.1944 – déc. 1949.*

جوليان "إيريك لابون" المقيم العام الليبرالي الوحيد الذي عرفه المغرب¹. فقد كان يقدر كثيرا الوطنيين المغاربة. و لم يفقدوا احترامه حتى بعد أن عارض حزب الاستقلال برنامجه. و لم يستعمل تلك الوسائل التهديدية التي تعود عليها المغاربة من طرف المقيمين العامين الذين سبقوه. فلقد اعتبر جوليان أن "لابون" ذهب إلى ابعد الحدود التي تسمح بها المناورة السياسية² فقد أطلق سراح المعتقلين السياسيين و هم علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني والحاج أحمد بلافريج. واعتبر ذلك ضرورة حيوية يجب الإسراع فيها لمواصلة السياسة الفرنسية في المغرب³. و لم يتردد في إرسال طائرته الخاصة إلى الغابون لإحضار علال الفاسي⁴. و أفرغ السجون من كل المعتقلين السياسيين⁵. و قد كلفه ذلك عداوة سريعة من طرف المستوطنين في المغرب. الذين اعتبروا ذلك علامة ضعف⁶. بالإضافة إلى التغيرات الإدارية الجذرية التي أحدثها على نظام الحماية من أهم مظاهرها إبعاد العدو للدود للمغاربة "فيليب بونيفاس" من سلطة القرار بالإقامة العامة⁷. أما " سبيلمان" فقد اعتبره دفع ثمن إرادته الحسنة⁸. فقد كان يلتقي بالوطنيين المغاربة بشكل متواصل للحديث معهم عن مختلف الملفات. و قد كان يريد جلب انتباه البرجوازية الحضرية من أجل النهوض بالمغرب. و بالرغم من الانسجام الذي كان قائما بينه و بين السلطان المغربي فإنه يبدو أن هذا الأخير لم يستطع التفاعل معه مثل الجنرال نوجيس⁹.

و بالرغم من كل ذلك فإن هذه السياسة "الليبرالية" و "الجريئة" لهذا المقيم لم تتناسب مع مطالب المغاربة بعد الحرب العالمية الثانية. فقد كان هناك تفاوت كبير بين ما كان يريده

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p 198.

² - *ibid.*

³ - *Reformes politiques et administratives, , réorganisation des services politiques du protectorat et du Maghzen central*, op.cit.

⁴ - Daniel Rivet, *Histoire Du Maroc*, op.cit, p 326.

⁵ - *ibid.*

⁶ - ذكر جوليان أنه طلب من "لابون" الإسراع بإطلاق سراح القادة الوطنيين المغاربة حتى يكون له تأثير. و حتى يقنعه فقد قدم له تشبيها تاريخيا لما حدث في فرنسا سنة 1848 عندما قام "فيكتور شولشر Victor Schœlcher" بإلغاء تجارة الرقيق و قد اعتبر حينها أنه في حال تأخير تطبيق ذلك القرار أكثر من ذلك التاريخ. فإنه كان سيفقد كل مفعوله. وكذلك الأمر بالنسبة لقرار الإفراج عن القادة الوطنيين المغاربة. و ذكر جوليان أن لابون بقي يذكر له ذلك لفترة طويلة أنظر:

Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p198.

⁷ - *ibid.*

⁸ - Georges Spillmann, *Du protectorat*. op.cit, p 136.

⁹ - *ibid.*, p 129.

كل طرف. و قد صرح بذلك "لابون" نفسه فيما بعد بقوله انه لم يتوقف عن القول للوطنيين المغاربة بأنه "يرفض جملة و تفصيلا التحدث عن صيغة من الصيغ التي تؤدي للاستقلال. كما كان يذكرهم في كل مرة، و بكل قوة، أن هذا المطلب لا يرتبط به. ولا حتى بهذا الحزب أو ذاك في باريس. لأنه يرتبط ببساطة بفرنسا"¹. و لذلك اعتبر المغاربة أن التغيير الذي حدث في الإقامة العامة ضروري. و لكنه جاء في اتجاه آخر غير الذي كانوا ينتظرونه لأنه كان من أجل تدعيم الحكم الفرنسي بمنح الرأسمالية الفرنسية امتياز الاستغلال لثروات المغرب بمختلف الصور. وبالحفاظ على مبدأ النظام الذي اخضع البلاد منذ سنة 1912. و بتفكيك وحدة المغرب و تجزئته². فما كانت تريده باريس في المغرب هو في أحسن الحالات إصلاحات مقيمية بالاعتماد على مرجعية عقد الحماية لسنة 1912³. في حين كان هدف المغاربة سلطانا وحركة وطنية إبطال مفعول هذا العقد. ولم يتوقفوا على القول بذلك منذ جاني 1944. و قد عبر عن ذلك الوزاني بقوله أن "المغاربة خابت آمالهم تماما إزاء محتويات هذا البرنامج وانتهى ما كانوا ينتظرونه من المقيم العام الجديد وبالتالي لا يستطيعون التعاون معه للقيام به، لأنه تم في دائرة نظام الحماية، وسعى لتطبيق خطة استعمارية جديدة في ظاهرها و آلياتها و قديمة في أهدافها، و كان كل ذلك لتطبيق السياسة المغربية لفرنسا التي كانت إصرارا على نفس السياسة الاستعمارية"⁴.

و بهذه الصفة فإن مهمة "لابون" كانت فعلا أقرب إلى المعجزة. و لكن ليست بنفس مواصفات "المعجزة المغربية" للسلطان المغربي محمد بن يوسف. و قد ذكر ذلك الحسن الثاني في مذكراته أن "...والده السلطان لم يكن بإمكانه الموافقة على إصلاحات مرفوضة من طرف الجميع. فقد رفضها الكولون و تمسكوا بامتيازاتهم الموروثة. و رفضتها الأغلبية الساحقة من الرأي العام الوطني... و لقد أدى كل ذلك إلى استحالة الوصول إلى حل في الإطار الجامد لنظام

¹ - ذكر لابون ذلك قبل خطاب طنجة في افريل 1947 في تقرير لرئيس الحكومة المؤقتة الفرنسية "جورج بيدولت Georges Bidault" في أوت 1946. أنظر: Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux...* op.cit, p198.

² - Pierre Corval, *Le Maroc en révolution*, Éditions T.C., 1956, les Editions transcontinental, Paris, 1956, p. 53.

³ - *Reformes politiques et administratives, , réorganisation des services politiques du protectorat et du Maghzen central*, op.cit.

⁴ - من التصريح الذي أدلى به الأمين العام لحزب الشورى و الاستقلال محمد حسن للجريدة الفرنسية *Le Parisien Libéré* بتاريخ 23 أوت 1946، أنظر: مؤسسة محمد حسن الوزاني، خطب و تصريحات صحفية، ج 01، ص ، 10.

الحماية"¹. و لذلك كان خطاب السلطان في أبريل 1947 في مدينة طنجة تعبيراً في ظرفيته المتعلقة بالسياسة الفرنسية في المغرب. التي لم تخرج عن روح القانون الأساسي المعلن منذ 1912. بما فيها مشروع "لابون" في حين أن مضمون هذا الخطاب كان "ثورياً" و"انقلابياً" على هذه السياسة².

2 - 3 حوادث الدار البيضاء 1947/04/07 :

لقد أدركت سلطات الحماية هذا التغيير الجذري في طبيعة الموقف المغربي. و كانت مهمة "لابون" تتمثل في الحد من هذه "الاستقلالية" بطريقة "حريرية" و إقناع الحركة الوطنية المغربية و السلطان بحتمية الإصلاحات الفرنسية للإبقاء على المغرب. الذي قال بشأنه المقيم العام السابق الجنرال نوجيس بأن "القدر جمع بينه و بين فرنسا"³. و كذلك أراد الجنرال ديغول من خلال قرارات مؤتمر برازافيل في جانفي 1944. و لكن كل ذلك باء بالفشل فقد أصبح المغاربة و على رأسهم السلطان في نقطة اللارجوع بالنسبة لمشروعهم الوطني و عندما فشل السياسيون في إقناع المغاربة و على رأسهم السلطان التنازل على مكاسب "العهد الأمريكي" في المغرب. تدخل عشية الخطاب السلطاني في مدينة طنجة طرف فرنسي آخر لإفشال هذا الخطاب و توقيف تصاعد هذا المنحنى البياني الاستقلالي. وقد سمى جولييان هذا الطرف بـ "فريق قسنطينة *L'équipe de Constantine*"⁴. و هو مجموعة الكولون الذين اجتمعوا في المغرب و أجمعوا على قمع المغاربة بكل قوة. فقد كانت أفكارهم متطرفة بشكل عنصري و خطير فقد كانوا "يمقتون العنصر العربي الذي لا يفهم إلا القوة... و كانوا رجالاً من إدارة

¹ - الحسن الثاني، التحدي، المطبعة الملكية، 1983، الرباط، ص 39.

² - دوجلاس آي. آشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية، مصدر سابق ص 83.

³ - William A. Hoisington, *L'héritage De Lyautey*, p.cit, p 292.

⁴ سمى "جولييان" مجموعة من الموظفين في الإدارة المغربية كلهم من ذوي الأصول الكورسيكية و من مواليد الجزائر خاصة في مدينة قسنطينة أو عنابة و من بينهم "فيليب بونيفاس" و زوجته القادمين من الجزائر. و يعتبر هذا الرجل "موجه السياسة الفرنسية بين سنة 1944 و 1956 و كان من وراء مآسي المغرب في هذه الفترة، فهو من أكبر متعصي كولون المغرب، و خطط لكل السياسات القمعية في المغرب بما فيها تحية السلطان محمد الخامس في 20 أوت 1953. كذلك و الجنرال "جوان" من مدينة عنابه و زوجته "ماري" من قسنطينة التي تجاوزت عنصريتها كل الحدود. و غيرهم من المستوطنون الحاقدين. و كانوا من الموظفين الصحفيين... و قد غلب عليهم الطابع الرجعي و المغامر، فمنهم كانوا الكاثوليكين المتعصبين و ماسونيين و عنصريين. الذين سيقومون بالكثير من الأعمال الإجرامية. خاصة بعد أن يؤسس هؤلاء "جمعية الوجود الفرنسي" في سنة 1953. و لم يترددوا حتى في اغتيال بعض الفرنسيين الذين دعموا القضية المغربية مثل لـ "لوميكر دوبري *Le maigre Dubreuil* الذي قتل سنة 1955" أنظر:

Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p 208.

الحماية مثل "فيليب بونيفاس" و "الجنرال "جوان". و نساء مثل زوجة كل من "بونيفاس" و "جوان". فقد كان هذا الفريق يحقد على المغاربة لانتماهم العرقي فقط. و كانوا منتشرين بشكل كبير في مختلف إدارات سلطات الحماية. و تحولوا إلى لوبي استعماري مستعد لاستعمال كل الوسائل التي ترعب المغاربة للتخلي عن مشروعهم الاستقلالي، بل و أقل من ذلك¹.

ففي غمرة التحضير لإلقاء السلطان لخطابه التاريخي. وبعد تجنيد كل الإمكانيات المادية في كل المناطق المعنية، اندلعت حرب دعائية مضادة قادتها الصحف الاستعمارية في المغرب و في فرنسا، و حتى في الجزائر، بغرض تدعيم موقف الأجهزة الإدارية للحماية لإفشال أهداف الخطاب و إلغاء أي أثر شعبي و سياسي لها. فقد قيل حينها أن أتباع الجنرال ديغول، الذي كان قد غادر السلطة في فرنسا، سيقومون بثورة وطنية تنطلق من الدار البيضاء إلى باريس على طريقة "فرانكو" سنة 1936 الذي أسقط الحكم المركزي في مدريد انطلاقا من الشمال المغربي². و عندما لم تأت هذه الوسائل بنتائجها المنتظرة تحولت عدد من أحياء الدار البيضاء في 07 افريل 1947 و من أهمها حي "ابن مسيك" إلى مسرح مجزرة كان من ورائها هذا اللوبي. فقد قامت فرقة سينيغالية من الجيش الفرنسي بقتل مئات المغاربة وجرح عدد كبير تجاوز الألف³. لقد كانت طريقة إثارة هذه الأحداث في ذلك التوقيت بالذات. و كيفية تسييرها من طرف سلطات الحماية توحى بأن الحدث تجاوز إطاره الأمني⁴. فقد عرفت الأحداث الكثير من المظاهر التي توحى أنه تم تدبيرها من طرف إدارة ناحية الدار البيضاء التي أصبح

¹ - *ibid.*

² - محمد بن الراه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية... مرجع سابق، ص 327.

³ - بالنسبة لضحايا هذه المجزرة اختلفت الأرقام بين سبعين قتيل حسب الصحافة الفرنسية. وذكر "جوليان" المئات. أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux, op.cit, p199* و قال علال الفاسي بوجود ألفي شخص بين قتيل و جريح. أنظر، علال الفاسي: الحركات... مصدر سابق، ص 345. و لا يوجد في بيان الإقامة العامة رقما محددا.

⁴ - تعود حيثيات هذه الحوادث إلى شجار عارض حدث في حي ابن مسيك بالدار البيضاء بين جنديين من سينيغاليين و بضعة أفراد من المغاربة حول تهجم الجنديين على امرأتين مغربييتين. و جاء في تقرير الإقامة العامة أنه متعلق بالبغاء السري. ثم تطور هذا الشجار إلى هجوم كلي للفرقة السينيغالية على الحي و القيام بعملية تقتيل عشوائي في الحي و قد استمرت الأحداث عدة ساعات بدون تدخل أي كان لإنقاذ المغاربة من ذلك التقتيل الجماعي.

رئيسها "فيليب بونيفاس"¹. من بينها عدم تدخل أي طرف كان لإنقاذ المغاربة من القتل الجماعي الذي كانت تقوم به الفرقة السينغالية. بالرغم من وجود الكثير من الشكايات غير بعيد عن مكان المجزرة. وكذلك تبين فيما بعد أن العناصر المغربية من الجيش و الشرطة تم تجريدها من السلاح من قبل. في حين تركت مخازن الأسلحة مفتوحة أمام مرتكبي المجزرة و بدون حراسة. و عندما استنجد بالضابط المسؤول أمنيا عن المنطقة رفض التدخل مدعيا عدم صدور الأوامر للقيام بذلك. و حتى الضباط الذين كانوا في عين المكان بقوا متفرجين على الحادثة و تركوا الفرقة السينغالية تقتل المغاربة بشكل جماعي و بنفس حجة عدم تلقيهم الأوامر للتدخل. و عندما تساءل المغاربة عن سبب عدم تواجد الشرطة الفرنسية التي عودتهم على الحضور المكثف في مثل هذه أحياء الصفيح هذه و الأهلة بالسكان. تلقوا نفس الإجابة أي عدم تلقيهم الأوامر الضرورية للقيام بذلك. و الكثير من المظاهر و التساؤلات التي كانت كلها تنتهي عند إجابة: "عدم تلقي الأوامر للتدخل!!!". فقد كتبت جريدة " لا بريس ماروكين La Presse Marocaine أن كل هذه الأفعال تنتهي عند الوصول إلى الإجابة على السؤال الآتي: من كان يعطي الأوامر بعدم التدخل؟ لأن "المسؤولين عن هذه الحوادث المروعة يلعبون بنار لا يستطيع أحد إطفائها"².

فحتى بيان الإقامة العامة حول الأحداث لم يشفي غليل المغاربة في الإجابة على الأسئلة. فالنسبة لسلطات الحماية أنها بعد". البحث الدقيق توصلت أن الأحداث كان سببها تراخي عناصر الجيش و الشرطة بسبب الاحتفال بعيد الفصح الذي كان يوم الاثنين 07 أفريل 1947. و أنها أنزلت عقوبات صارمة على من وقعت عليهم تبعة من التبعات في هذه الحوادث... وستليها عقوبات أخرى ستصدرها المحاكم المختصة من مدنية وعسكرية... وأنها اتخذت تدابير إدارية لمساعدة المنكوبين. و أن اللجان الإسلامية والأوروبية تقوم بحملة تضامنية واسعة وجدت لها صدى كبيرا"³.

¹ - قام المقيم العام "إيريك لابون بإصلاحات على هيكل إدارة الإقامة العامة. فتم حل إدارة الشؤون السياسية التي كانت من وراء السياسة الأهلية. و ترتب عن ذلك تحويل مديرها "فيليب بونيفاس" الذي أصبح حاكم إقليم ناحية الدار البيضاء. و من خلال هذا المنصب خطط لعدة مجازر من بينها التي حدثت في 07 أفريل 1947 و غيرها فيما بعد.

² - كتبت هذه المقولة جريدة "لا بريس ماروكين La Presse Marocaine" أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 277.

³ - محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 276.

إلا أن هذا الصدى لم يظهر عند المغاربة الذين استنجدوا بالسلطان. وكتبوا له رسالة استغاثة، تعرضت لحذف الكثير من فقراتها عند نشرها في الصحف، وكانت تصف ما أصاب سكان الدار البيضاء بفعل... النكبة العظيمة التي أصابت المدينة فسلبتها المئات من أبنائها الأبرياء. وأدخلت البؤس والشقاء إلى مئات البيوت¹. التي قام فيها الجنود السينيغاليين بـ "نصب رشاشاتهم في الأحياء و بدؤوا في الاعتداء على كل مار في الطريق سواء كان راكبا أو راجلا... و هاجموا الناس في دكاكينهم و بيوتهم فقتلوا ونهبوا ومثلوا بالرجال والنساء والأطفال"². و لذلك لم يجد "البيضاويين" ملاذا آخر غير السلطان الذين اتجهوا إليه باسم المنكوبين من يتامى ثكالي وأيامي ليأمر بإجراء بحث دقيق بحضور ممثلين أكفاء من دار المخزن السعيد لكي تحدد المسؤوليات وتقدر الخسارات و ذلك لكي يتسنى أداء التعويضات لأهل المصابين³. فقد عاش "البيضاويين" "دقة السالكان" بكل آلامها⁴. و قد تفاعل السلطان كثيرا مع هذه الأحداث نظرا للدقة التي استعملها مفتعلوها. فقد حدثت بعد أن تمت كل التحضيرات الخاصة بخطاب طنجة فأوفد السلطان محمد العربي العلوي للقيام بتحقيق حول حقيقة الأحداث⁵. وبالرغم من عدم وجود أي اثر لهذا التقرير فإن إصرار السلطان على القيام بمشروعه في مدينة طنجة يوحي بمضمونه على أنه كان تحميلا لسلطات الحماية التي كانت من وراء الأحداث بشكل من الأشكال. فقد ذكر "لاندو روم" أن السلطان "شاطر رأي القائلين بأن الأمر مرتب من السلطات⁶. خاصة و أن المقيم العام "لابون" ألح على السلطان يوم بداية الزيارة لإلغائها للضرورة الأمنية على الأقل⁷.

¹ - جريدة "العلم" 10 - 04 - 1947.

² - المصدر نفسه.

³ - جريدة "العلم" 10 - 04 - 1947.

⁴ - التسمية التي أطلقها سكان الدار البيضاء على هذه الأحداث نسبة للفرقة السينيغالية.

⁵ - ذكر عبد المجيد بن جلون و هو من مؤسسي "مكتب المغرب العربي" بالقاهرة أن السلطان أسرع إلى المدينة لتفقد أحيائها المنكوبة و مواساة المصابين. بالإضافة إلى موافده وزير المعارف العمومية محمد الطيب العلوي للقيام بتحقيقه. الذي لم يعثر عليه أنظر، عبد المجيد بن جلون، هذه هي مراکش، مصدر سابق، ص 244.

⁶ - لاندو روم، تاريخ المغرب... مصدر سابق، ص 324.

⁷ - أثار اتصال "لابون" صباح يوم بداية الزيارة بالسلطان ليطلب منه تأجيل هذه الزيارة لأسباب أمنية تساؤلات حول السبب الحقيقي لذلك. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 277.

أما بالنسبة للوطنيين المغاربة فقد كانت لهم قراءة لما وراء هذه الأحداث وتجاوزوا نتائجها المؤلمة. فقد كانت بالنسبة لهم تعبير عن طبيعة الطرف الفرنسي الذي يقف من ورائها و استعداده لارتكاب المزيد من المجازر من اجل توقيف تصاعد الفكرة الاستقلالية التي أصبح لها تأييدا مغربيا واسعا.و بالنسبة لهم تدخل هذا الطرف كان عندما فشلت الإقامة العامة في إقناع المغاربة بمشاريعها الإصلاحية.و أصبح "يوم الدم" الذي أريقت فيه دماء المغاربة تعبيرا عن حقيقة الموقف الفرنسي كما قال بذلك حزب الشورى و الاستقلال¹. و قد أدرك حزب الاستقلال هذه الرغبة الكبيرة في إبادة المغاربة من طرف هؤلاء لذلك منع حدوث مجزرة ثانية بتوقيفه لمظاهرة شعبية في اليوم التالي للأحداث².و هو نفس العمل الذي قام به سنة 1944 بمنع مجزرة في الرباط بعد تقديم بيان الاستقلال في 11جانفي1944.و هو الموقف الذي كان محل جدل واسع بين الوطنيين المغاربة حينها³.

و من أهم التقارير التي جلبت الأنظار حول تلك الأحداث ما كتبه القنصل الأمريكي بالرباط حول هذه الأحداث بالاعتماد على مصالحه الإستخباراتية حيث اعتبر الأحداث بتحريض فرنسي بغرض عرقلة خطاب السلطان في مدينة طنجة.و قد أورد في هذا التقرير معطيات دقيقة حول هذا التحضير الفرنسي للمجزرة من بينها "إفراغ المستشفيات من المرضى،و إعطاء عطلة لرجال الأمن المغاربة المسلمين يوم الأحداث للاحتفال بعيد مسيحي ومطالبة الجنود السينيغاليين بالالتصاق بأسلحتهم ،في حين جرد الجنود المغاربة منها"⁴.و بالرغم من وضوح عبارات هذا التقرير فإنه لم يرد عند الكثير ممن كتبوا حول الأحداث والفرنسيين على وجه الخصوص. فإذا كان بعضهم بقي في مرحلة التساؤل حول ظروف الأحداث كما هو الحال لـ"جوليان" فإن آخرون ذهبوا إلى حد تبريرها مثلما قام به"سبيلمان"⁵.

¹ - زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة(أبريل 1947)السياق و الدلالات،جامعة محمد الخامس ،الرباط،1997.

² - عبد الكريم غلاب،تاريخ الحركة الوطنية، ج01، مصدر سابق ، ص 361.

³ - تم التطرق لهذا الموضوع سابقا في الفصل الخامس " أحداث الاستقلال "

⁴ - محمد الناصري،رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة،مرجع سابق، ص 279.

⁵ - لم يذكر "جوليان"هذا التقرير و اكتفى بطرح مجموعة من الأسئلة حول ظروف الأحداث مثل عدم تسليح الجنود المغاربة،و عدم حراسة مخازن الأسلحة.و غيرها من الأسئلة.أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p199 أما جورج سبيلمان فقد سعى لتبرير هذه المجزرة بحدث آخر وقع في مدينة نيس الفرنسية عندما كان قائدا لكتيبة عسكرية اصطدمت بفرقة سينيغالية.و تطلب الأمر تدخله لتهدئة الأمور.ليختم فقرته بقوله "و قد حدث ذلك بدون أن يكون لحافظ المدينة أو الوطنيين

و بالرغم من أن "مذبحة الدار البيضاء"¹ لم تدم أكثر من يوم واحد. إلا أن آثارها بقيت مستمرة لفترة طويلة. فقد اعتبرها "دانيال ريفي *Daniel Rivet*" جريمة بكل المعايير. و بقيت بدون عقاب و قد ارتكبها "بونيفاس". الذي طعن المقيم العام "لابون" في الخلف لأن هذا الأخير قام بتفكيك "مديرية الشؤون السياسية" التي كانت أهم جهاز لقمع المغاربة². و قد كان لها تأثيرات عميقة تركتها على الموقف المغربي والسلطاني منه على وجه الخصوص. كما كانت سببا في تعديل جذري لمضمون خطاب طنجة. و مدخل لتصاعد "الأزمة المغربية" مباشرة بعد الخطاب. لقد ساهمت هذه الأحداث في صياغة ظرفية آنية أثرت على مضمون الخطاب بشكل مباشر. و غيرت في مضمونه بشكل جذري. و غير منتظرا من طرف أي كان. فقد اعتبر "ستيفان برنار *Stéphane Bernard*" أن "مجزرة الدار البيضاء عملت على التعجيل بنهاية متوقعة لنظام الحماية. لأنها حررت السلطان من الالتزامات المعنوية التي كانت تثقله قبل التوجه إلى مدينة طنجة لإلقاء خطابه"³.

المغاربة دورا في ذلك... "و كأن لسان حاله يقول لقد حدث ذلك في فرنسا و لم يكن هناك "فيليب بونيفاس" حاكما لمدينة نيس

أنظر، *Georges Spillmann, Du protectorat. op.cit, p 133.*

¹ - عبد المجيد بن جلون، هذه هي مراکش، مصدر سابق، ص 243.

² - *Daniel Rivet, Histoire Du Maroc, Fayard, Paris, 2014, p 326.*

³ - *Stéphane Bernard Le Conflit Franco-Marocain, 1 vol, op .cit, p 102.*

3. مشروع الزيارة السلطانية لدينة طنجة :

3 - 1 المعارضة الفرنسية للزيارة :

بعد عودة النظام الدولي إلى منطقة طنجة بعد الحرب العالمية الثانية بصورة مطابقة تماما لما كانت عليه قبل احتلالها من طرف إسبانيا سنة 1940. و ابتداء من سبتمبر 1945 شرع في تنفيذ آليات النظام الدولي. بدأ السلطان محمد بن يوسف في طرح المسألة السيادية للمدينة. فمن الناحية القانونية. فقد كانت طنجة جزء من المغرب بنص قانونها الخاص و القوانين الشريفة. و حتى بنص معاهدة الحماية 1912. فقد "كاد العالم أن ينسى أن طنجة الدولية هي جزء من هذه الإمبراطورية" على حد تعبير لاندو روم¹. و حتى فرنسا عملت كل ما في وسعها لإبقاء هذه النظرة التي كان المغرب يظهر من خلالها مجزأ جغرافيا و فاقدًا لسيادته².

و لذلك كانت زيارة هذه المدينة هي شكل من أشكال طرح القضية المغربية أمام الرأي العام الدولي³. فقد كانت هذه المسألة من أهم المواضيع التي كانت تتضمنها مراسلات السلطان مع الحكومة الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية. ففي أكتوبر 1945 عبر السلطان لباريس عن رغبته في زيارة المدينة للإطلاع على أحوال سكانها بعد المعاناة التي عانوا منها في فترة خضوعها لإسبانيا⁴. إلا أن باريس رفضت هذه الفكرة من حيث مبدأها. و اعتبرت مغامرة. لا يمكن التحكم فيها من جميع جوانبها المادية والسياسية⁵ خاصة و أن تجسيد عودة النظام الدولي لم يكن قد تم فعليا. و مازال السكان الإسبان في المدينة لم يتقبلوا نفسيا هذا الوضع الجديد/القديم. و يعبرون من حين لآخر عن تمللات ولذلك، و بنصيحة من القنصل الفرنسي، اقترحت باريس تأجيل هذه الزيارة حتى يتحول النظام الدولي إلى واقع كما رأت

¹ - لاندو روم، تاريخ المغرب، مصدر سابق، ص 324.

² - المصدر نفسه.

³ - Georges Spillmann, *Du protectorat. op.cit, p 131*.

⁴ - كانت هذه الفترة وبالا على سكان المدينة من جميع الجوانب. سواء من حيث الركود الاقتصادي الذي عرفته المدينة. من خلال الرسوم الجديدة التي فرضتها الإدارة الجديدة البضائع الواردة إلى المدينة عن طريق الميناء. الذي كان العمود الفقري لاقتصاد المدينة. و غيرها من الإجراءات التي أدخلت المدينة في ركود كلي. أنظر، محمد عز الدين الرفاص، ميناء طنجة في خضم الصراع الاستعماري (1850 - 1955)، مرجع سابق، ص 71 - 78.

⁵ - *Du sultan Du Maroc à Tanger, ADCL, Série Maroc 1944-1955, 24 QO/14, Sultan, Mohammed Ben Youssef, (Mohammed V) Mai.-sept, 1947.*

باريس أنه يمكن برمجة هذه الزيارة أثناء مراجعة القانون الأساسي لهذه المدينة كما جاء في مؤتمر باريس في أوت 1945. وتظهر أكثر فأكثر السيادة السلطانية على المنطقة¹. وفي جميع الأحوال فإن هذه المبادرة الأولى اصطدمت برفض سياسي لهذا المشروع في مضمونه وتغطية ذلك بالجانب الأمني، والوضع المعقد للمدينة. فأحداث جانفي 1944 كانت حديثة العهد جدا و لم تكن سلطات الحماية تسمح بتصاعد مكانة السلطان. فقد بدأ في الظهور كزعيم وطني، و لم يكن يسمح له بأن يتحول إلى موحد للمغرب. في الوقت الذي كانت السلطات الفرنسية تسعى لإرجاعه إلى وضعية ما قبل نوفمبر 1942. فقد كان ذلك من المهام الأساسية للمقيم العام "غابريال بيو". و قد كانت مبادرة السلطان في تلك الفترة تتعارض مع هذه السياسة.

و قد رفض "سبيلمان"، الذي كان يشغل في تلك الفترة الأمين العام لـ "لجنة أفريقيا الشمالية" هذه الزيارة و اعتبرها "خطيرة لأنها كانت مشروعا أمريكيا"². و أرسل تقريرا للحكومة الفرنسية التي رفضت هذه الزيارة لأنها "كانت ستحدث تغييرا جذريا في وضع المغرب" و كانت "ستجلب الرأي العام العالمي للمشكلة المغربية. و في نفس الوقت تؤكد وحدة المغرب. و كان السلطان سيستغلها للتحدث مع العالم الإسلامي والرأي العام الدولي... و كان سيطلب ببساطة ووضوح استقلال بلده"³. لقد ظهر أن الموقف الفرنسي من خلال هذا الموقف ضرب عرض الحائط كل المواثيق الأساسية التي تحدد طبيعة وجود فرنسا في المغرب ابتداء من ميثاق الجزيرة الخضراء لسنة 1906 و وصولا إلى معاهدة الحماية لسنة 1912. فقد ذكر لاندو روم أن السلطان فقد أبسط حقوقه الشرعية السلطانية و حتى الأبوية بما فيها "إرسال أحد أبنائه لقضاء إجازته خارج المغرب بدون إذن من الإقامة العامة"⁴. فكيف بوالده السلطان يريد زيارة مدينة قد تحوله إلى زعيم المغرب كله، الشمال و الجنوب على حد سواء⁵. لأن

¹ - Du sultan Du Maroc à Tanger, ADCL, Séries Maroc 1944-1955, op.cit.

² - Georges Spillmann, Du protectorat. op.cit, p 131.

³ - ibid.

⁴ - ذكر لاندو روم انه في يوم من الأيام سأل الابن الأكبر للسلطان الأمير الحسن عن سبب عدم زيارته لبريطانيا. فأجابته بالسؤال الآتي: "...و هل تعتقد أن الفرنسيين يسمحون لي بذلك؟..." أنظر، لاندو روم، محمد الخامس، مصدر سابق، ص، 25.

⁵ - المصدر نفسه.

"سبيلمان" أدرك أنه "سيسعى لتحرير بلاده. و هو ما كان يقوم به من أجل فرنسا. و لكن حينها وجد دعما كبيرا من طرف المغرب ¹.

لذلك بقيت رحلة السلطان إلى طنجة منذ نهاية الحرب إلى مطلع سنة 1946. نظرية مرفوضة من طرف فرنسا. باستعماله لما تملكه من حق في مدينة طنجة بنص معاهدة 1923 التي تم تجديدها في سبتمبر 1945. و كذلك ما تمارسه من وصاية على السلطان المغربي بفعل الفصل الثاني من معاهدة الحماية لسنة 1912. وقد ظهر جليا أنها كانت مصممة على استعمالها بكل قوة لمنع هذه الزيارة. و قد نجحت في ذلك إلى غاية مطلع سنة 1946. خاصة و أن ذلك كان مطابقا لمواقف الدول الأخرى المساهمة في نظام المدينة الدولي. و بصورة خاصة إسبانيا التي لم تكن قد استوعبت إخراجها من المدينة بتلك الطريقة. و في أحسن الأحوال اعتبر السلطان أن مشروع الزيارة يجب إرجائه إلى ما بعد تغير الظروف السياسية في باريس. التي مازلت تعيش مرحلة انتقالية تحت غطاء "الحكومة المؤقتة الفرنسية". و لم تكن قد حسمت وجهتها الدستورية. بعدم تأسيس الجمهورية الرابعة. و قد كان ذلك من وراء تجميد الكثير من التغيرات في المغرب، فقد اعترف بذلك الجنرال "ديغول" للسلطان أثناء زيارة هذا الأخير لفرنسا في جوان 1945. عندما ربط بين إعلان الدستور الجديد للجمهورية الفرنسية الرابعة و بين أية سياسة إصلاحية جديدة في المغرب ².

3 - 2 دور الحركة الوطنية الخليفية الشمالية:

و بعد فشل الوسيلة الدبلوماسية الرسمية في تحقيق هذه الزيارة، و في انتظار حدوث تغيرات في السياسة الفرنسية من شأنها تغيير هذا الموقف، اتجه السلطان لاستغلال موقعه الجديد في الوطنية المغربية. فمن خلاله تمكن من إعطاء بعدا آخر لهذا المشروع بتحويله إلى مطلب وطني من طرف سكان المدينة، و الشمال عامة. لتصبح باريس أمام الأمر الواقع. و

¹ - ذكر "سبيلمان" أنه بعد سقوط باريس في جوان 1940 و تحول الأغلبية الساحقة لقادة الجيش الفرنسي في شمال أفريقيا الفرنسيين إلى مولاة حكومة "فيشي". وفي إطار "خطة التمويه العسكري" التي قام بها المقيم العام نوجيس و ذلك بإخفاء عتاد الجيش الفرنسي في الجبال المغربية و عدم تفكيكه كما جاء ذلك في معاهدة الاستسلام. و تغطية الضباط العسكريين بمهمات مدنية تمويهية. حتى لا يظهر كل ذلك أمام لجان التفتيش و المراقبة الألمانية. فقد تحول هو إلى "مراقب الشؤون الأهلية" مع مواصلة قيامه بمهامه العسكرية في مدينة مكناس. و قد ساعد المغاربة في مهامه التمويهية إلى أن "استرجع بفرح و سرور قبعته العسكرية في 11

نوفمبر 1942" أي بعد الإنزال الأمريكي في سواحل المغرب. أنظر: Georges Spillmann, *Du protectorat. op.cit*, p 95.

² - تم التطرق لهذه القضية سابقا أنظر سابقا (بيان الاستقلال).

لتحقيق ذلك استعمل السلطان "مستشاريه الشباب الجدد الذين لا تعرفهم إدارة الحماية"¹ لربط هذا الاتصال مع الحركة الوطنية المغربية في الشمال، التي كان لها دورا حاسما في نجاح هذه الزيارة. فبعد فترة من السكوت عن المشروع في المنطقة السلطانية. أرسل القنصل الفرنسي في طنجة تقريرا سريا إلى باريس والرباط يتضمن وجود مؤشرات في المدينة تشير إلى وجود مشروع زيارة السلطان محمد بن يوسف للمدينة. من بينها انتشار أخبارا بصورة مكثفة في الشارع الطنجي. وقيام المندوب المخزني بتحضيرات في المدينة مست البنايات. بما فيها مقر المندوبية المخزنية الذي تم تحصينه و تهيئته. وكذلك الأمر بالنسبة للظروف المعيشية لسكان المدينة. والثقافية منها على الخصوص و غيرها من المظاهر التي توحى إلى التحضير لحدث كبير فيها². ثم تطورت هذه الأحاديث والاستنتاجات الإستخباراتية إلى دعوات صريحة من طرف كل من حزب الوحدة المغربية³ و"حزب الإصلاح" للسلطان محمد بن يوسف لزيارة رعاياه في هذه المناطق³. و قد ظهر ذلك بصورة مكثفة على أعمدة صحافتها⁴.

طالب زعيم حزب "الوحدة المغربية"، محمد مكي الناصري، في الكثير من أعداد جريدته الناطقة باسمه بالفرنسية "صوت المغرب" *La voix du Maroc* "السلطان" بزيارة رعاياه فيما وراء الحدود المصطنعة بين الشمال والجنوب الذي يجب توحيدهما تحت سيادته⁵. و تعددت المقالات في هذه الجريدة التي كانت تتحدث عن الدور الوطني للسلطان وعن مكانته التاريخية و ما قام به من اجل المغاربة في الشمال والجنوب، وعلاقته بالنشاط الوطني الاستقلالي الذي تم في جانفي 1944. والذي كان محوره الرئيسي، والذي استطاع أن يتحول إلى " صيحة الجماهير المغاربة المنادية بالاستقلال... و هذه الصيحة هي التي تناديه للقيام بهذه الزيارة و إلقاء هذا الخطاب ليس في طنجة فقط بل في كل أنحاء الإمبراطورية الشريفة بما فيها المنطقة الخليفية⁶. فقد اعتبر محمد مكي الناصري أنه " لاشيء أحب إلى جلالته من تحقيق وحدة العرش و إعلان وحدة الشعب. و ليس يوم أعز عليه من اليوم الذي ينمحي فيه

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat. op.cit*, p 131.

² - *Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes , inventaire n° 04 ,Direction Des Affaires Chérifiennes ,1MA/300/305*

³ - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص 175.

⁴ - المرجع نفسه.

⁵ - محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية، مصدر سابق. ص 19-32.

⁶ - المصدر نفسه.

آخر حد داخل تراب المغرب، و تتم على أكمل وجه وحدة المغرب، و يعلن للعالم اجمع حرية الشعب المغربي واستقلال المغرب، و تعود العائلة العلوية المالكة تاجا وهاجا على رأس المغرب"¹. و قد سمي هذه الرحلة في مواضع أخرى بـ"رحلة الوحدة" التي تعتبر مطلبا قديما يعود لأكثر من سبع سنوات².

أما بالنسبة لـ"حزب الإصلاح" فإن اتصاله بالسلطان كان منذ بداية مشروع الزيارة. فقد بعث زعيمه عبد الخالق الطريس منذ الإعلان عن المشروع في الأيام برسالة إلى السلطان يؤكد فيها تلقي خليفة السلطان في تطوان خبر قيام السلطان بهذه الزيارة التي اعتبرها سبب "البشر والسرور الذي عم سائر المسلمين من هذا الجزء من قطره العزيز"³. و اعتبر الطريس أن رسالة السلطان قد فهمت مغزاها "الطبقة المتنورة" التي أدركت تأثيرها على الحركة الوطنية في الشمال. لأن "مفعولها سيؤدي حتما إلى ضمان الوحدة المغربية"⁴. و قد جاء في جريدة "الحرية"، التي كانت لسان حزب الإصلاح، أن خطها الافتتاحي هو "وجهتها مستقيمة وهي للوطن تذود عن حياضه، و تواصل الجهاد في سبيل إعادة وحدته بحدوده الطبيعية غير الموضوعة... و هي للعرش المفدى مؤيدة موالية"⁵. و قد تجاوز حماس الطريس لهذه الزيارة المراسلات و المقالات الصحفية، لينتقل إلى الاتصال المباشر بالسلطان سواء عن طريق الزيارات السرية التي كان الطريس بنفسه يقوم بها مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، أو من خلال الاتصالات الأخرى التي قام بها قادة حزب الإصلاح مع السلطان في العديد من المرات مثل الزيارة السرية التي قام بها عضوا اللجنة التنفيذية للحزب محمد الموزن و محمد الخطيب من أجل تحضير الزيارة السلطاني لمدينة طنجة⁶. لقد كان ذلك بالنسبة للطريس بمثابة تدارك "الأخطاء" التي ارتكبها منذ بداية نشاطه السياسي سواء من خلال الارتقاء في أحضان النظام الفلاحي منذ تأسيس حزب الإصلاح سنة 1936. أو الانقياد وراء الدعاية

1 - محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية، مصدر سابق. ص 19-32.

2 - المصدر نفسه.

3 - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق ص 175.

4 - المرجع نفسه.

5 - المرجع نفسه، ص 77.

6 - المرجع نفسه، ص 175.

النازية. فقد كان "واسطة مغربية" بامتياز للحصول على الدعم لكتلة المحور في الحرب العالمية الثانية¹.

في جويلية 1946 قام الأمين العام لحزب الإصلاح الطيب بن بنونة بلقاء السلطان محمد بن يوسف لمطالبته بالقيام بهذه الزيارة. و قد تجاوز مضمون هذا اللقاء الزيارة. فمن خلاله تعرف السلطان، ولأول مرة، عن واقع المنطقة الخليفية من مصدر غير الرسمي الذي تعود عليه في السابق من طرف خليفته (و ابن عمه) الحسن بن المهدي. فقد ذكر بنونة أن السلطان "...سأله في أكثر من أربعين قضية مست مختلف أوضاع المنطقة الخليفية. و قد كان للأوضاع التعليمية حصة الأسد من حديثه. كما طلب منه السلطان شرحا عن نشاط الوفد الخارجي في القاهرة و في الجامعة العربية.... و قد رأى السلطان ضرورة أن يتم توسيع نشاط هذا الوفد لأمريكا... لأن كان مدركا منذ قمة "أنفا" في جانفي 1943 أن عالم ما بعد الحرب سيتم تقرير مصيره في نيويورك...". ولذلك أصبح المهدي بنونة فيما بعد ممثلا للحركة الوطنية المغربية و "مكتب المغرب العربي" في أمريكا². و قد كانت مسألة الزيارة محور ذلك اللقاء. حيث طلب منه السلطان التحضير لها من جميع الجوانب خاصة فيما يرتبط بسكان المدينة. و لحرص السلطان على إيصال رسالة هذه الزيارة إلى الخارج. طلب من بنونة عدم انتقال مبعوثيه للخارج قبل الزيارة³. إذا كان لقاء الحركة الوطنية الخليفية بغرض التحضير لهذه الزيارة و فإنه تجاوز بكثير هذه المسألة ليصبح مناسبة للسلطان للتعرف على أحوال هذه المنطقة بالرغم من أن خليفته كان يقدم له مثل هذه التقارير الرسمية الروتينية. و لكن يبدو أن السلطان كان يبحث عن تقرير آخر من مصدر آخر. خاصة وأن مصدره الرسمي "أصبح يحرص منذ سنين على الظهور باستقلالية عن السلطة المركزية في" القصر السلطاني⁴

كما ظهر من خلال هذا اللقاء اهتمام السلطان بأهمية النضال الخارجي للقضية المغربية، و حتى للمغرب العربي، بإعطائه بعدا جديدا تمثل في الدور الأمريكي في تدعيم

¹ - تم التطرق لعلاقة عبد الخالق الطريس بنظام فرانكو و النظام النازي سابقا (المغرب و الحرب العالمية الثانية) .

² - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 566-567-568.

³ - يتعلق الأمر بعبد الخالق الطريس الذي انتقل للقاهرة و المهدي بنونة لنيويورك أنظر،

Nationalistes Marocains: Activités nationalistes à New York (Mahdi Benouna), Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/66, Nationalistes Marocains, juillet 1947 – déc. 1949.

⁴ - لاندو روم، تاريخ المغرب ، مصدر سابق، ص، 323.

المغاربة للحصول على الحق في تقرير مصيرهم. فبعد أن حاول السلطان إحداث اصطدام أميركي فرنسي في المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية¹. اتجه مع الوطنيين المغاربة، و حزب الاستقلال على وجه الخصوص، أثناء الحرب الباردة إلى الاعتماد على المعسكر الغربي من أجل تحرير المغرب من نظام الحماية الفرنسية. فقد اعتبروا أنفسهم في العديد من المرات جزءا من "العالم الحر"². وقد شكل تناقضا كبيرا مع طبيعة الحركة الوطنية المغربية. لأنه إذا كان للبحث عن الدعم الأمريكي أثناء الحرب مبرراته، فإنه أصبح بعد ذلك تناقضا كبيرا لأنهم "كانوا يبحثون عن دعم من كتلة يوجد فيها المستعمر (بكسر الميم) بحد ذاته"³. بالإضافة إلى ما شكل ذلك من تساؤل حول ربط هذا الطموح مع ما كانت القضية الفلسطينية تعرفه من تطورات حاسمة في سنة 1947. وقد ظهر ذلك التناقض كذلك في مدح السياسة الأمريكية من طرف " الاستقلاليين " عبر جريدة " رأي الشعب *L'opinion du Peuple* ". حيث اعتبرت من طرفهم " متحررة و عصرية، و متفهمة لطموحات الشعوب"⁴. في الوقت الذي لم يكن فيه الدعم الأمريكي للحركة الصهيونية خفيا على أحد⁵.

لقد استطاعت الحركة الوطنية الخليفية إنقاذ مشروع خطاب طنجة لأنها نجحت في إخراجها من الدائرة السلطانية الرسمية. التي كانت مرتبطة أساسا بالقيود الفرنسية. سواء في باريس أو الرباط. و حولته إلى مطلب شعبي قديم متجدد. كما استغلت هذه الحركة هذه الفرصة للتعبير عن ولائها للسلطان. الذي أصبح منذ سنة 1946 حليفها و مدعما في مواجهة الحماية الإسبانية. و تحصل بذلك السلطان على مكسب جديد لم يكن في حسان سلطات الحماية عندما عارضت المشروع في بدايته. و بقيت تعارضه إلى أن عرفت الإقامة العامة تغييرا على رأسها بتعيين " إيريك لايون " مقيما عاما في مارس 1946 الذي أعاد النظر في هذا الموقف. فقد أصبح مؤيدا له. بل و متحمسا له في سياق سياسة ليبرالية لم يشهدا المغرب من قبل. و كانت الاستجابة لهذا المطلب السلطاني من أهم مظاهرها⁶.

¹ - Abdelkhaleq Berramdane, *Le Maroc, op cit* p 73.

² - *ibid.*, p 63

³ - *ibid.*

⁴ - Jamaâ Baida, *la presse marocaine .op.cit.* p 304.

⁵ - *ibid.*, p 305.

⁶ - Daniel Rivet, *Histoire Du Maroc, op cit* p 326.

3 - 3 المعارضة الإسبانية للزيارة السلطانية:

اتفق المقيم العام "لابون" مع الحركة الوطنية الخليفية على إنجاح خطاب طنجة من غير أن يعلم كل منهما بذلك. لأنه بفعلهما تحول المشروع السلطاني إلى حقيقة يمكن تجسيدها. فحتى الأعذار الأمنية الفرنسية الخاصة بمدينة طنجة فقدت مبرراتها. لاستقرار الأوضاع منذ الانسحاب الإسباني من المدينة وعودة النظام الدولي في سبتمبر 1945. وإذا كان حزب الوحدة المغربية وحزب الإصلاح قد جعلوا من هذا الخطاب من صميم مشروعاتهما التحرري الذي لا معنى له بدون وحدة المغرب. فإن المقيم العام "لابون" جعل منه من المفاتيح الإستراتيجية التي يدخل من خلالها للمغرب. و هو مفتاح عبر عن مغامرة "لابونية" كان يجهل صاحبها نتائجها الوخيمة عليه. لأنها بنيت على "معاداة" المستوطنين الفرنسيين في المغرب و على رأسهم الموظفين الكبار في الإقامة العامة. و بحثت عن دعم لها عند المغاربة بما فيهم الوطنيين و السلطان. و قد كانت الزيارة و الخطاب تلبية لرغبة هذا الأخير. و قد بدأ المقيم العام بتحويل هذه الرغبة إلى واقع من خلال قيامه بكل الإجراءات التنظيمية المرتبطة بها. خاصة و أن وضع المدينة الدولي فرض على باريس إشراك الأطراف الأخرى المعنية بهذا النظام¹.

إلا أن إسبانيا عارضت هذا المشروع و استعملت كل الوسائل لمنع. مثل إعلانه بأن أمن السلطان كان "مهتدا". إلا أن حقيقة موقفها الرفض لهذه الزيارة كان مرتبطا بالتطورات التي عرفت الحركة الوطنية الشمالية باندماجها التاريخي مع السلطان. وبالتالي أصبح هؤلاء جزء من الحركة الوطنية المغربية. فبالرغم من كل محاولات الاحتواء التي قام بها نظام فرانكو منذ سنة 1936 حين دفع بها في أحضان الدعاية النازية. إلا أن خيبة أمل عبد الخالق الطريس في "الدعم المحوري" أعاد ارتباط الحركة الوطنية الخليفية الشمالية بالحركة الوطنية المركزية. وأصبح كذلك خطرا على مدريد. خاصة وأن تحضير هذه الزيارة تم في ظل وفاق مع سلطات الحماية الفرنسية، بل و بتشجيع من أعلى سلطة في هرمها من خلال المقيم العام "لابون". الذي سيكون حاضرا فيها بصفته ممثلا للسياسة الخارجية كما نصت

¹ - لقد تم تحديد الفترة الممتدة بين 29 أكتوبر و 03 نوفمبر 1946 و قد بدأت الإقامة العامة في تحضير كل الظروف المرتبطة بها. أنظر: محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 237.

على ذلك معاهد الحماية لسنة 1912. فقد رأت مدريد في كل ذلك مؤامرة فرنسية لإخراجها نهائيا من المغرب. خاصة أن الوضع الدولي لإسبانيا بعد الحرب كان ضعيفا. نظرا للعزلة التي كان فيها نظام فرانكو. و قد كان متهما بالفاشية و تدعيم هتلر و موسوليني. وقد قدم الحلفاء مشروعا لهيئة الأمم المتحدة لتغيير هذا النظام. و قد حاولت الحركة الوطنية الشمالية استغلال هذه الظروف لصالحها. ففي 03 مارس 1945 أرسل الطريس باسم حزب الإصلاح رسالة إلى رئيس الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة. التي كانت مجتمعة في مدينة سان فرانسيسكو. و طلب فيها انضمام المغرب لهذه الهيئة¹. و جاء فيها الدور الكبير الذي قام به المغاربة في الحرب العالمية الثانية، و تضحياتهم من اجل الحرية والعدالة². و من حقهم كبقية الشعوب الأوروبية الاستفادة من هذه القيم في تقرير مصيرها. كما تم إرسال نسخة من هذه الرسالة إلى رؤساء كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والصين³. و بالرغم من أنه لم يكن لهذه الرسالة أي استجابة فإن "هيئة الأمم المتحدة حفظت في أرشيفها أن عبد الخالق الطريس كان أول زعيم سياسي من بلد مستعمر (بفتح الميم) يطالب بهذا الحق"⁴.

و لمواجهة هذا "الخطر السلطاني" الداهم الذي سيمر في الأراضي المغربية الشمالية عن طريق البر. لم تتردد مدريد في استعمال كل الوسائل. فحرضت الزاوية الدرقاوية على القيام بمظاهرة ضد السلطان أثناء تواجده في مدينة طنجة⁵. و لضعف موقفها الدولي بعد الحرب لجأت مدريد إلى تحريك المظلة الدولية لهذه المدينة. فقد كان لقتلها في مدينة طنجة نشاطا مكثفا بين ممثلي الدول الأخرى خاصة الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا للوقوف ضد الزيارة. فأما بالنسبة الموقف الأمريكي. و بالرغم من عدم اعتباره للخطاب خطرا عليه في المنطقة بأي شكل من الأشكال، فإنه لم يكن من أولوياته. وكان تقديره له حينها أن حله يجب أن يكون ثنائيا بين فرنسا وإسبانيا. فقد كان ذلك من مظاهر السياسة الأمريكية في شمال

¹ - Jean Wolf , Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol, L'épopée D'Abd El Khaleq Torres , éditions Balland ,Paris,1994,p 235.

² - *ibid.*

³ - *ibid.*

⁴ - *ibid.*

⁵ - Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes ,op.cit.

أفريقيا بعد الحرب¹. بالرغم من أن سفيرها في طنجة اقترح حلا تمثل في إرسال دعوة أمريكية للسلطان لزيارة المدينة. إلا أنه رفض دخولها هذه الصفة. باعتباره صاحب الحق الشرعي فيها².

أما الموقف البريطاني فقد كان أكثر موافقة للموقف الإسباني الراض للزيارة لأنه من جهة تم بدون مشاورتها من حيث المبدأ. و من جهة أخرى كانت لندن تريد إبعاد أي نشاط وطني عن مضيق جبل طارق الذي مازال ممرا حيويا بالنسبة لسياستها. فهناك إمكانية أن تتحول مدينة طنجة إلى مقر لمظاهرات الوطنيين المغاربة من الجنوب و الشمال. وبالإضافة إلى ذلك فإن حضور المقيم العام "لابون" سيؤدي إلى مطالبة مماثلة المندوب الإسباني في المنطقة الشمالية "فاريلا" بالحضور كذلك. وكان هذا يتعارض مع الترتيبات التي تمت منذ انسحاب إسبانيا من المدينة في سبتمبر 1945. و لكن هذه المطابقة مع الموقف الإسباني كانت مرتبطة بتوقيت الزيارة أكثر من مبدئها. فقد كانت بريطانيا تسعى لتأجيلها حتى تتحقق من عدم تعرض مصالحها الحيوية لأية خطورة. ويبدو أن هذا ما عملت عليه باريس خاصة بعد الإعلان عن قيام الجمهورية الرابعة في مطلع سنة 1947 بانتخاب "فانسان أوريول Vincent Auriol" كأول رئيس لها. و لذلك فقد زالت كل هذه الأخطار بمجرد أن اتفقت كل الأطراف بما فيها بريطانيا، و حتى السلطان، على تأجيلها إلى ربيع 1947 ليس من باب إلغائها و لكن من باب وجود عقبات مادية و تنظيمية جعلت من حدوث هذا الخطاب في نهاية سنة 1946 أمرا مستحيلا³. و أصبحت إسبانيا أمام أمر واقع مصادق عليه من طرف ممثلي الإدارة الدولية لمدينة طنجة. بالإضافة إلى تبني سلطات الحماية لهذا المشروع. و قد انتهى كل ذلك إلى الاتفاق على زيارة السلطان المغربي لمدينة طنجة. التي تمت في الفترة الممتدة بين 09 و 13 أفريل 1947. و كان من أهم ما قام به السلطان في هذه الزيارة هو إلقائه لخطاب تاريخي

¹ - اعتمدت السياسة الأمريكية في شمال أفريقيا أثناء الحرب الباردة على مبدأ "الغموض المقصود" حتى لا تصبح مجبرة على الاختيار بين التزامها بمبدأ "حق الشعوب في تقرير مصيرها" المعلن منذ أوت 1941 و مصالحها الإستراتيجية في المنطقة. المرتبطة بفرنسا. أنظر،
Abdelkhaleq Berramdane, *Le Maroc, op cit* p 71.

² - *Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op cit.*

³ - تمثلت المشاكل التي لم تكن الإدارة الدولية للمدينة قادرة على مواجهتها في نهاية سنة 1946 في المشكلة الأمنية و الإيواء و التموين و الترتيبات. و الحرس السلطاني، و اللاجئين السياسيون. و حتى مسألة المناخ الذي لا يكون ملائما في تلك الفترة طرح كمشكلة. بالإضافة إلى عدة نقاط بروتوكولية. أنظر:

Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op cit.

كان بمثابة "ثورة حريرية". و إذا كان "بيان للاستقلال" الأول الصادر في جانفي 1944 متحدته الحركة الوطنية. فإن مضمون خطاب طنجة في افريل 1947 كان كذلك بيانا استقلاليا. و متحدته السلطان محمد بن يوسف. الذي طالب باسم المغاربة باستقلال المغرب و فصله عن كل تبعية لفرنسا بكل أشكالها. والحضارية منها على الخصوص. وبقدر ما أراد في مضامين ذلك الخطاب استرجاع "وحدة السلطان" فإنه كذلك أراد استرجاع "وحدة الأرض"¹.

¹ - Daniel Rivet, *Le Maroc De Lyautey à Mohammed V*, op cit p 381.

4. مضمون خطاب طنجة 10 - 04 1947 :

لم يكن يعلم السلطان محمد بن يوسف أنه خلال الفترة القصيرة جدا التي قضاها في مدينة طنجة دق كل أجراس الإنذار في باريس والرباط. ففي فترة ثلاثة أيام فقط قام السلطان بإعادة النظر بصورة جذرية في طبيعة العلاقات المغربية الفرنسية¹. وعندما كان يقوم بمختلف أنشطته الاستقلالية في هذه المدينة كان المقيم العام "لابون" تحت الصدمة من خلال تتبعه لهذه لها. فقد وصف "دانيال ريفي" السلطان بأنه كان صبورا و مثابرا من أجل قضيته الوطنية. و لكن كذلك كانت له قدرة عجيبة على تغيير موقفه الحواري حسب طبيعة محدثه... فقد ظهر في جل مواقفه حكيما ذو نظرة متروية. ولكنه ظهر كذلك كالبطل عندما وجد الظروف مناسبة لذلك². و يبدو، وبدون أدنى شك، انه في هذا الزيارة التاريخية، و لهذه للعاصمة الدبلوماسية للمغرب، و من خلال هذا الخطاب التاريخي، كان "بطلا وطنيا مغربيا"³.

لقد استطاع السلطان تقديم أكثر من رسالة واحدة لأكثر من طرف. فقد تحدث مع المغاربة "كأمير المؤمنين" و حثهم على الخروج من حالتهم المتردية. ومع الخارج بصفته "رئيس دولة" بكامل الصلاحيات. وجب التعامل معه على هذا الأساس. ومع فرنسا بصفته "زعيمًا وطنيًا" كان يريد تحرير بلاده من نظام الحماية. و تحدث كذلك مع "المشرق العربي" ليذكره بان هناك "المغرب العربي". و إذا كان تبرير كل ذلك لتأثره الشديد بأحداث الدار البيضاء ليوم 07 أبريل 1947. كما ذهب إليه كل الذين تطرقوا لهذه المحطة التاريخية. فإن ذلك أدى إلى نتيجة واحدة. تمثلت في استغلال السلطان لكامل ظروف المغرب و العالم بعد الحرب العالمية الثانية لنقل الحركة الوطنية المغربية إلى محطة أخرى تجذرت فيها الفكرة الاستقلالية شكلا و مضمونا. و لم يعد بإمكان أي أحد أن يشك في سيادته على هذه الحركة

¹ - Daniel Rivet, *Le Maroc De Lyautey à Mohammed V*, op cit p 385.

² - *ibid.*

³ - *ibid.*

ولا حتى على المغرب الموحد الذي عاد من جديد في هذه المحطة التاريخية على حد تعبير "جوليان"¹.

4 - 1 السلطان متوجها للمغاربة: "ما ضاع حق ورائه طالب"

لقد كان المغرب في الشمال، هدفا استراتيجيا للسلطان من خلال زيارته و خطابه. فمنذ اليوم الأول للزيارة في 9 أفريل 1947 حرص على الاتصال بهم في كل المحطات و المناسبات فقد كان لانطلاقته رمزية. كما كان لمروره في المنطقة المصطنعة الفاصلة بين المنطقتين دلالة. و توقفه داخل المنطقة الشمالية في عدة مدن دلالة أكبر. لأنه بدا فيها مباشرة بنقل المضمون "الانقلابي" لموقفه الوطني الجديد². وقد كان الأمر مهما جدا بالنسبة له. لأن المعنيين بهذا الخطاب هذه المرة هم مغاربة الشمال الذين كانوا خاضعين لنظام الحماية الإسبانية. فإذا كان مغاربة الجنوب قد شهدوا موقفه المدعم لفكرة الاستقلال في جانفي 1944، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للشمال. فحتى زعماء الحركة الوطنية الشمالية لم يسبق لهم أن اتصلوا به قبل هذه المناسبة. و قد ظهر ذلك جليا من خلال تصريح السلطان في هذه المنطقة بالتركيز على أولوية "وحدة المغرب" حتى قبل تحريره. فقد كانت "الوحدة" في تلك المنطقة مدخلا — "التحرير". و قد فهم ذلك جيدا المندوب الإسباني الجنرال "فاريلا". لذلك لم يستطع إخفاء انزعاجه المتواصل. و عدم ارتياحه أثناء مرور السلطان في المغرب الشمالي. "و لذلك لم يوجه له السلطان أية كلمة بالرغم من مكانته"³. وقد أظهر "فاريلا" تضايقه كثيرا أثناء

¹ - Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p 200.

² - حرص السلطان على أن تكون انطلاقته من محطة القطار بالرباط في وسط شعبي. لذلك تجمع المغاربة منذ الساعة الأولى من صباح الأربعاء 09 أفريل 1947 ليقدموا له التحية و الوداع في مشهد بروتوكولي معبر جدا. فقد كانت كل السلطات المخزنية في توديعه. و كذلك الأمر بالنسبة للقادة العسكريين و المدنيين لسلطات الحماية و على رأسهم المقيم العام "إيريك لابون". و في منطقة "عرباوة"، التي كانت حدا فاصلا بين المنطقة الجنوبية السلطانية و الشمالية الخليفية، كان للسلطان وقفة عبر من خلاله عن زيف هذه الحدود بين هاتين المنطقتين. و في مدينة "أصيلا" الذي توقف فيها الوفد السلطاني لتناول الغذاء قام السلطان بأول نشاط وطني رسمي. و كان الأمر كذلك في مدينة "القصر الكبير". و قد أدركت السلطات الإسبانية، التي لم يكن لها خيار أمام قبول الزيارة، الهدف من هذين التوقيفين لذلك انزعج السلطان من برودة اللقاء لأن هذه السلطات أبعدت عدد كبير من المغاربة من أماكن مروره لإفراغه من محتواه الشعبي. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق ص 288.

³ - Jean Wolf, *Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol*, op.cit. p , 240.

تواجهه في الوفد الرسمي لاستقبال السلطان¹. و بصورة مثيرة للانتباه عندما قام شاعرا مغربيا من مدينة تطوان بإلقاء قصيدة أمام منصة حفل الاستقبال الضخم، الذي أقيم له في كل من مدينة "أصيلا" و "القصر الكبير" داخل هذه المنطقة الإسبانية، وقد وصفت تلك القصيدة ذلك اليوم بأنه "يوم مؤرخ و مشهود"². و فبالرغم من المرور القصير للسلطان في هذه المنطقة فإنه قد ترك أثر عميقا على مغاربة المنطقة الخليفية. فقد أعطوا ولائهم له كسلطان و كقائد وطني من خلال شعار " يحي الملك، تحي الحرية"³. و كذلك على الوطنيين الذين أصبحوا عرضة للكثير من الضغوطات الإسبانية بعد هذه الزيارة . فقد أرادت مدريد بعد هذه الزيارة أن تتحكم في المنطقة الشمالية بقبضة حديدية نتيجة تفاعل سكانها مع السلطان⁴.

بالرغم ما أهمية ما حققه السلطان في مدخل هذه الزيارة في توجهه للمغاربة. فإن ما قام به في مدينة طنجة بعد وصوله إليها كان غير متوقعا لكل الأطراف بما فيهم "الطنجيين". فقد تضمن خطابه في توجهه نحو كل المغاربة، من خلال سكان هذه المدينة، دعوة صريحة للتحرر من نظام الحماية الثنائي. و باتخاذ الأسباب لذلك. و لذلك اعتبر الوزاني بأن ذلك كان بمثابة "فصل الخطاب في القضية الوطنية"⁵. فالنسبة للسلطان المغربي سقط المغرب تحت نظام الحماية. لأنه تخلف عن التطور الحضاري بعد أن "... هجر العلم فأظلمت سبله، وعظمت بالجهل حيرته..."⁶. و كذلك لأنه أهمل العدل من ممارساته المختلفة بعد "... الانحراف عن سواء سبيله حتى حل الظلم، و أجهفت الحقوق، و حلت الكوارث التي مزقت وحدة البلاد"⁷. و في تحليله لهذه الأسباب فقد كان السلطان ملما بأحوال العالم الإسلامي من حيث تشخيص أسباب سقوطه. ففي الكثير من المقاطع كانت هناك إشارات واضحة على أن وضع المغرب ما هو إلا تشخيص

¹ - Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op cit.

² - أثناء توقف السلطان بمدينة "أصيلا" قام خليفة السلطان في الشمال بتقديم الشاعر إبراهيم الإلغي لإلقاء قصيدة حول السلطان و حول هذه الزيارة جاء فيها: أي يوم و أي حفل و مشهدا هو يوم مؤرخ و مخلصا

يا له منظرا و روعة مرأى يحسر الطرف دونه وهو يشهدا

ما رأينا حتى رأينا بساطا لسليمان عصرنا يتمدد

مركب هائل يقل عليه موكب السلطان و الجلال و سؤدد

³ - Jean Wolf, Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol, op.cit. p , 240.

⁴ - ibid. , p 239.

⁵ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مؤسسة محمد حسن الوزاني، دار الغرب الإسلامي، 1982، بيروت، ص 22.

⁶ - الملحق رقم 13، " خطاب طنجة 10 أفريل 1947 "

⁷ - المصدر نفسه.

لحالة تمثل الجزء الذي كان متمثلا في المغرب من الكل الذي كان العالم العربي الإسلامي من حيث انحطاطه و تقهقره. فالنسبة له فإن أزمة المغرب، بقدر ما كانت في أوضاعه الداخلية فقد كانت كذلك في إبعاده عن المشرق. وهي كذلك صورة أخرى لتمزق وحدة المغرب حضاريا و قوميا. بالإضافة إلى تمزقه الداخلي الإقليمي¹.

فقد كان هذا شكلا أصيلا للجمع بين المشكلة الدينية والدينيوية بمقارنة عصور ازدهار الأمة الإسلامية و قوتها بحالتها المزرية². و قد جاء في هذا الخطاب أن حل الأزمة المغربية يتمثل في مطالبة المغاربة بحقوقهم المشروعة. و قد اعتبر السلطان نفسه "قائدا" لهذه المطالبة التي تتضمن "حفظ كيان البلد، و السير، والسعي الحميد"³. و قد بدأت هذه القيادة منذ أن تولى أمر المغاربة. فمنذ ذلك الوقت و هو "...يسعى بكل جهده المستطاع مهتديا بتعاليم الدين الحنيف الذي ألف بين قلوب المسلمين و كذلك فعل بين قلوب المغاربة"⁴. لقد جمع السلطان بين "خطابه المدني" بساحة المندوبية المخزنية و "خطابه الديني" بـ "المسجد العتيق" بمدينة طنجة للتعبير عن لائحة "حقوق الشعب المغربي المشروعة وعن المستقبل الذي كان ينتظر المغاربة. و قد كانت كل هذه الكلمات بمثابة صيحات ثورية في الآذان الفرنسية⁵.

لقد استغل السلطان، و كل العائلة السلطانية⁶، هذه الزيارة للقيام بدور وطني بامتياز بالنسبة للمغاربة. و قام بتشخيص تاريخي لأسباب تخلف المغرب و سبل النهوض به. و طالب المغاربة بالتحرك لاسترجاع حقوقهم لأنه "ما ضاع حق ورائه طالب"⁷. و بقدر ما شكل ذلك نقلة نوعية في الخطاب السلطاني اتجاه المغاربة. فإنه بقي التساؤل فعلا عن الوسائل التي كان

¹ - الملحق رقم 13 ، " خطاب طنجة 10 أفريل 1947 "

² - محمد بن الراهه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية... مرجع سابق، ص 333.

³ - الملحق رقم 13 ، " خطاب طنجة 10 أفريل 1947 "

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - لاندو روم، تاريخ المغرب، مصدر سابق، ص، 325

⁶ - كان الوفد السلطاني متكونا من نجله الأمير الحسن الذي كان له نشاطا مع الحركة الكشفية التي كان قائدا لها و كان خطابه كذلك حول النهوض بالجمتمع المغربي و علاقته بالعالم العربي الذي اعتبره "وطنا قوميا له. و العربية لغة له. و العرب إخوانا له..." و ابنته الأميرة عائشة التي كانت أنشطتها حول تطوير المرأة المغربية و تحريرها من التخلف و الجهل. و تحدثت كذلك عن تعلقها بمصر التي اعتبرتها "...بلدا شقيقا و وطنا ثانيا لها. و التي بإمكانها قيادة العالم العربي نحو التقدم و الرقي..." أنظر، زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة (أبريل 1947) السياق و الدلالات، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1997. و قد نسب إلى الأميرة

عائشة ندمها على هذه التصريحات سنة 1964. انظر، Georges Spillmann, *Du protectorat. op.cit*, p 134

⁷ - زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة (أبريل 1947)، مرجع سابق.

المغاربة يملكونها لتحقيق هذه النهضة في ظل وضع استعماري و انقسام المغرب إلى ثلاثة مناطق. أم أن هذا الخطاب كان من مظاهر سعي السلطان محمد بن يوسف "لإعادة تحرير عرش الأشراف العلويين" الذي أصبح مرهونا وفق معاهدة فاس في 30 مارس 1912¹.

4-2 السلطان متوجها لباريس: "لا للاتحاد الفرنسي"

لقد كانت باريس أكثر الأطراف المعنية بمضمون خطاب طنجة. فبالرغم من دور المقيم العام "لابون" في إنجاح هذه الزيارة التاريخية. لأنه استطاع إقناع باريس بأهميتها بالنسبة للسياسة الفرنسية الليبرالية الجديدة في المغرب من جهة. ومن أجل كبح جماح الطموحات الإسبانية من جهة ثانية. ولإظهار هذا الدور المقيمي في تحقيق الزيارة. وإبراز الاستثناء الفرنسي عن بقية الدول المعنية بالنظام الدولي لمدينة طنجة. وحتى يظهر للعالم أن هذه الزيارة هي من صميم السياسة الفرنسية الجديدة في المغرب بعد الحرب العالمية الثانية قام "لابون" بتعديل مسبق لهذا الخطاب بإضافة فقرة تمجد "الإنجاز الحضاري الفرنسي في المغرب"². وبالنسبة له ستكون ذا أهمية كبيرة بالنسبة للجميع في الداخل والخارج، عندما يكون ذلك الإقرار على لسان السلطان. و يعتبر ذلك في نفس الوقت إعلان عن نجاح المهمة الليبرالية للمقيم العام "لابون" في المغرب بعد سنة فقط من بدايتها³.

إلا أن كل هذا لم يتحقق. فقد أسقط السلطان متعمدا هذه الفقرة، ولم يذكرها. وعندما كانت "إذاعة طنجة الدولية" تذيع خطاب السلطان تنبه المذيع أن السلطان أنهى خطابه قبل نهايته

¹ - Daniel Rivet, *Le Maroc De Lyautey à Mohammed V*, op cit p 384.

² - في إطار تحضير رحلة السلطان لمدينة طنجة قام المقيم العام "لابون" بالكثير من التدخلات على جميع الأصعدة التنظيمية. وفيما يخص نص الخطاب و بعد اطلاعه عليه أضاف "لابون" أربع أسطر ختمت الخطاب و هي "أنظروا في العالم العصري و اقتبسوا من علومه، و سيروا في الطريق الذي عبده رجال الحضارة الجديدة مستعنيين بالعلماء و الفنانين من أبناء الأمم الصديقة، و بالأخص الأحرار من رجال فرنسا التي ناضلت عن مبادئ الحرية التي بها تسمو البلاد و تزدهر". أنظر، محمد الحداوي، الزيارة السلطانية إلى مدينة طنجة (أبريل 1947)، موسوعة الحركة الوطنية و المقاومة و جيش التحرير بالمغرب، المجلد الأول، منشورات عكاظ، الرباط، 2005، ص 247.

³ - ذكر شار أندري جولي أن لابون كتب رسالة جاء فيها أن جانبا من إصلاحاته كانت مرتبطة بستة ظواهر سلطانية كان السلطان سيمضيها بعد تحقق زيارته. انظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p199.

المفترضة في نصه المسلم له من قبل¹. و لم يتوقف أمر إهمال دور فرنسا في بناء المغرب عند هذا الحد فقط. بل أن هناك الكثير من المظاهر التي تميزت بها الزيارة كانت لها دلالة إهمال الدور الفرنسي. و قد أدركت باريس ذلك قبل إلقاء الخطاب و لم تستطع تدارك الأمر². و حتى عندما أراد القنصل الفرنسي في مدينة طنجة التخفيف من وقع هذه القطيعة بحديثه مع السلطان عن الصداقة الفرنسية المغربية التي تجلت في أخرج الظروف. رد عليه السلطان بأن هذه الصداقة تقتضي أن ينال المغرب مقابل مشاركته في الحرب نصيبه من السلم. من خلال تمتعه بحقوقه التي يطمح لنيلها في المستقبل. و هي الطريقة الوحيدة للتعبير عن هذه الصداقة³. و قد ذكر القنصل الأمريكي في تقريره حول الزيارة أن السلطان أظهر رغبة واضحة في الاستقلال لأنه لم يذكر أبدا فرنسا سواء في خطابه. أو حتى في جميع تصريحاته العمومية الرسمية. و قد أرجع هذا القنصل سبب ذلك للأحداث الدامية التي عرفت مدينة الدار البيضاء في 07 ابريل 1947⁴. و في تقرير القنصل الإسباني جاء أن تجاهل السلطان للدولة الحامية للمغرب على أنه "إثارة المستعمرات الأخرى مثل الجزائر و الهند الصينية و مدغشقر"⁵.

و بالرغم من أن السلطان أهمل فرنسا بصورة علنية عند خطابه، فإنه في حقيقة الأمر أن هذا الإهمال كان قد بدأ منذ بداية الرحلة. لأن مظاهر ذلك بدأت تظهر في تصريحات و سلوكات السلطان. و لم يجد ما يثير الموقف الفرنسي أكثر من إعلانه لصحيفة مصرية عن قطع الصلة الحضارية للمغرب مع فرنسا و من خلالها العالم الغربي. فقد تضمن أول تصريح له أن هذه الزيارة تحقق وحدة المغرب. و تربط أمنية الشعب المغربي مع العرب فقط. و لم يأت ذكر لفرنسا.. ثم توالى ذلك في تجاهل متواصل للدور الفرنسي سواء من خلال استقبالاته للوفود الدبلوماسية أو غير ذلك. فقد أعطى اهتماما مثيرا للانتباه لممثل الولايات المتحدة

¹ - تأسست إذاعة طنجة الدولية في سنة 1946 من طرف شركة اشهارية أمريكية إسبانية. و كانت تبث برامجها بأربع لغات و هي الإنجليزية و الفرنسية و الإسبانية و العربية. و قد كان خطاب طنجة سببا في انتشار هذه الإذاعة في الداخل و الخارج. و قد استلمت نسخة من خطاب السلطان ولكن المعلق عليه تفاجى بعدم تطابق ما يقوله السلطان مع النسخة التي كانت لديه.

² - أرسلت وزارة الخارجية الفرنسية صباح يوم إلقاء الخطاب برقية مستعجلة للمقيم العام "لابون" و القنصل الفرنسي في مدينة طنجة تطلب منهما تدارك الأمر قبل فوات الأوان. أنظر،

Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op. cit.

³ - *ibid.*

⁴ - *ibid.*

⁵ - *ibid.*

الأمريكية عدة مرات. كما ذكره بالذكريات الجميلة التي مازال يحتفظ بها عن زيارة الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت للمغرب. وتحدث معه عن تلك المحطة الهامة في تاريخ المغرب لحظة بلحظة¹. و إذا كان ذلك من صميم ما يؤمن به السلطان عن الدور الأمريكي في يقظة المغرب فإنه كان كذلك من أجل إثارة ذلك الخلاف الأمريكي الفرنسي الذي اندلع مباشرة بعد نزول القوات الأمريكية في سواحل المغرب في نوفمبر 1942. فقد أراد السلطان ذلك حتى في أبسط البروتوكولات عندما اجلس القنصل الأمريكي في مكان المقيم العام على مائدة الغذاء².

أما مضمون الخطاب فقد وصفه الماريشال "جوان" بأن السلطان محمد بن يوسف "قطع كل صلته مع فرنسا. لأنه لم يعد له أي حديث عن منجزاتها في المغرب"³. ولم يتردد في إعلان عدائه لنظام الحماية الذي حمّله مسؤولية تخلف المغاربة و تفهقر أوضاعهم. و كأن السلطان اتفق من حيث لا يعلم مع هؤلاء الذين كانوا يريدون إفشال برنامج المقيم العام "لابون" من حيث لا يعلم⁴. و عندما كان هذا الأخير ينتظر من السلطان تأكيد ما قام به "الليبراليون" الفرنسيون من أجل المغرب منذ الماريشال "ليوتي" الذي أسس "المغرب العصري"⁵. ثم المهمة الناجحة للجنرال "توجيس" الذي "حافظ على المغرب"⁶. وقد كان من المفروض أن يواصل "لابون" مهمة "الليبراليين" ليثبت ما قام هؤلاء من أجل المغرب⁷، قام في خطاب طنجة "بانكار أي دور لهؤلاء". ليؤكد ما كان "المتعصبون المعارضين لهذه السياسة الليبرالية يرددونه في باريس و الرباط مرارا بأن تصرف السلطان هو نتيجة لتطبيق الليبرالية مع هؤلاء الناكرين للجميل وهؤلاء كلما أعطيتهم طالبوا بالمزيد... و بالتالي فهم لا يفهمون إلا القوة"⁸.

و في حقيقة الأمر فإن خطاب طنجة في افريل 1947 "اثبت أن مسار التاريخ لم يكن بالإمكان توقيفه لا من طرف الليبراليين ولا من طرف الاستعماريين"⁹.

¹ - محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق ص 330.

² - المرجع نفسه، ص، 329.

³ - Alphonse Juin, Mémoires, op cit p 136.

⁴ - Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op.cit, p 200.

⁵ - Hervé Bleuchot Les Libéraux Français Au Maroc (1947 – 1955) Editions De L'Université De Provence, Paris, 1973.p 27.

⁶ - *ibid.*

⁷ - *ibid.*

⁸ - *ibid.*

⁹ - *ibid.*, p 47.

و لم يكن مسار التاريخ هذا بالنسبة للسلطان مرتبطا بفرنسا بأي صيغة من الصيغ التي قدمها نظام الحماية على مر أكثر من ثلاثين سنة. و كان آخرها مشروع قمة "برازافيل" في جانفي 1944 التي أعلنت "الإتحاد الفرنسي"، وأكدته فيما بعد دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة الصادر في 04 ماي 1947¹، كبديل للمشروع الاستقلالي للمغاربة. وحتى لغيرهم من الشعوب، كالجزائريين و التونسيين². و قد جاء في الخطاب أنه لا يمكن أن يكون المغرب بأي حال من الأحوال جزءا من الإمبراطورية الفرنسية و لا يمكن ربط مستقبله بفرنسا³. و "لم يكن التواجد الفرنسي في المغرب سوى ارتباطا مؤقتا. و قد احتاج السلطان إلى عشرين سنة للوصول إلى هذه الحقيقة. التي كانت مؤلمة في باريس. التي اتهمت السلطان بإنكار المعروف والولاء و قد كان ذلك اللوم حتى من بعض مقربيه" حسب تعبير روم لاندو⁴.

و إذا كان كل الآراء قد أجمعت على أن موقف السلطان في طنجة كان متأثرا بأحداث الدار البيضاء يوم 07 افريل 1947 أي يومين فقط قبل الخطاب. لأنه "كان من المستحيل أن يقوم بشكر و تعظيم القوة الحامية أمام جمع غفير من المغاربة كانوا ناقلين جدا على هذه القوة للمجزرة التي ارتكبتها"⁵. إلا أن قراءة شاملة في الوقائع المرتبطة بهذه الزيارة و ما رافقها من مظاهر رافضة لأي صلة مع نظام الحماية تؤدي إلى القول أن مشروع السلطان الذي ظهر من خلال هذه الزيارة و ما تضمنته من أنشطة. و خاصة الخطاب الذي قدمه كزعيم

¹ - *Reformes Politiques et administratives, Le Maroc et l'Union, Française; Question de L'intégration des protectorats dans L'Union Française,, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO / 124 fév. 1945 – déc. 1949*

² - لم تكن الجزائر معنية بمؤتمر برازافيل لجانفي 1944. لأنها كانت في نظر القانون الفرنسي "جزء من فرنسا". و بالرغم من ذلك فإنه لم يقدم أي جديد. و لم يستجيب لوثيقة "بيان الشعب الجزائري" في فيفري 1943. فخيبت آمال الجزائريين المسلمين. و لم تستفد الجزائر حتى بأي وضع جديد في إطار العلاقات الجديدة لفرنسا مع مستعمراتها لم يتفاعل مع المطالب الوطنية. و إن كان ذلك في صيغة الحكم الذاتي. أنظر،

Mahfoud Kaddache , Histoire Du Nationalisme Algérien ,Question National Et Politique algérienne 1919 – 1951, T 2 ,S.N.E.D , Alger,1980, p, 655

و بالنسبة لتونس فإنه في جانفي 1944 طالبت الحركة الوطنية التونسية بعودة الباي المنصف و رفض المشروع الفرنسي مما أدى على اعتقال كل من محمد بدر و محمد كاهية من الحزب الدستوري الجديد و وضعها تحت الإقامة الجبرية. و في أكتوبر 1944 قامت الحركة الوطنية التونسية بامضاء "الميثاق التونسي" الذي تضمن المطالبة بالاستقلال. أنظر، فيصل شريف و آخرون موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق، ص 120.

³ - محمد ضريف، الأحزاب السياسية في المغرب، مرجع سابق ن ص 50.

⁴ - لاندو روم، تاريخ المغرب، مصدر سابق، ص 325.

⁵ - Pierre Corval, *Le Maroc en révolution, op.cit, p 53.*

وطني تارة و تارة أخرى كأمر مؤمنين. كلها تؤدي بنا إلى اعتبار ذلك مسألة تجاوزت مستوى رد الفعل فقط. إنما كانت فعلا بحد ذاته. الذي قام به السلطان محمد بن يوسف لرفض أي مشروع إصلاح لباريس التي بدأت تتعامل مع المغرب على أنه جزءا من "الإتحاد الفرنسي" أو الإمبراطورية الفرنسية. و إذا كان المغاربة و على رأسهم السلطان قد ساندوا استراتيجيا فرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية في الحفاظ على هذه الإمبراطورية، فإنه بعد ذلك رفضوا أن يكونوا في " الإتحاد الفرنسي". الذي أصبح مؤسسة من مؤسسات الجمهورية الفرنسية الرابعة التي نصت في دستورها على أن هذا الإتحاد متكون من "الجمهورية الفرنسية و أقاليمها ومجالات نفوذها فيما وراء البحار" ¹. و نص كذلك على أن المغرب ممثل في "المجلس الأعلى للإتحاد" الذي يرأسه رئيس الجمهورية الفرنسية ². و بهذه الصيغة فإن المغرب أصبح جزءا من فرنسا بصيغة دستورية تأسيسية. و لذلك كان رفض السلطان لهذه الصيغة كذلك تأسيسيا. ولكن بصيغة أخرى، ترتبط بالانتماء القومي والحضاري للمغاربة لأمة أخرى غير الواردة في "الإتحاد الفرنسي". وهي الأمة العربية الإسلامية ³. وقد اعتبر السلطان في طنجة أنه "من غير المنطق أن تكون هناك بالضرورة حواجز بين عرب المشرق و عرب المغرب" ⁴. فحسب هذا النص الخطابي المثير تحدث فيه "السلطان كأمر مؤمنين قطع على نفسه عهدا بإعادة المغرب إلى سيادته و وحدته الترابية. و لذلك لم يأت على لسانه ذكرا لفرنسا، و لا حتى لإسبانيا" ⁵.

4 - 3 السلطان متوجها للمشرق: " المغرب من الأمة العربية الإسلامية":

ذكر الملك الحسن الثاني في مذكراته أن السلطان صمم في خطاب طنجة على إعادة الوحدة الوطنية و تحقيق الاستقلال للمغرب. و العودة لانتمائه الحضاري والقومي الذي كانت الجامعة العربية رمزا له ⁶. و في كلمته أما الهيئات الدبلوماسية قال السلطان أن المغرب "ساوى في الأهمية بين حصول المغرب على كامل حقوقه السيادية. وبين تمسكه بالعلاقة

¹ - *Reformes Politiques et administratives, Le Maroc et l'Union, Française; op.cit.*

² - *ibid.*

³ - محمد الحدادي، الزيارة السلطانية إلى مدينة طنجة (أبريل 1947)، مرجع سابق، ص 247.

⁴ - كانت هذه الجملة من تقرير القنصل الأمريكي حول الحوار الذي دار بينه و بين السلطان حول مضمون خطاب نجله الأمير الحسن حول إشارة هذا الأخير لهذه القضية أنظر،

Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op. cit.

⁵ - *Georges Vaucher, Sous les cèdres d'ifrane, op.cit, p 132 - 153.*

⁶ - *Georges Vaucher, Sous les cèdres d'ifrane, op.cit, p 132 - 153*

التاريخية مع المشرق. التي زادت أهمية بعد تأسيس الجامعة العربية كتنظيم قومي للحفاظ على حقوق العرب في ظل السياسة الدولية¹. لقد أدى هذا التصريح الواضح للسلطان إلى نتيجة واحدة تمثلت في انخراط السلطان في الأطروحة القومية بالإضافة إلى الوطنية. و لذلك أصبح يلقب في كل الأوساط بـ"ملك الاستقلال والوحدة"². و قد دفع بهذا الموقف إلى إفشال مهمة المقيم العام لابون أكثر من الكولون الرجعيين والوطنيين المتهورين³. لقد تضمن خطاب طنجة إشارة السلطان إلى مرجعية المغرب الحضارية بشكل مثير للانتباه. فلم تخل أي محطة من محطات هذه الزيارة إلا و كان للمشرق وجودا فيها تصريحاً وتأكيذاً. وكذلك الأمر لأبنائه الأمير الحسن والأميرة عائشة. و قد ظهر ذلك في أول تصريح رسمي له عندما ربط بين أمنية المغاربة وأمنية جميع الشعوب العربية بالانتماء إلى الأمة العربية الموحدة. و كان ذلك حتى قبل وصوله لمدينة طنجة. و لم يتردد حينها في القول بأن المغرب يشارك آراء و طموحات الجامعة العربية⁴.

أما ما أشار به مباشرة أثناء زيارته لمدينة طنجة إلى علاقة المغرب بالمشرق فقد كان جد ثريا و متنوعا. بين مضمون الخطاب الذي تضمن تقدير علاقة المغرب بالمشرق في العديد من مقاطعه. و بين ما صرح به أمام مختلف الهيئات الدبلوماسية حول انتماء المغرب التاريخي والحضاري. وكان ذلك أول ما صرح به كان هو هذا الانتماء. فقد قال للقنصل الأمريكي أن "البلاد العربية كلها أمة واحدة، سواء أكان في طنجة أو في دمشق فالأمر سياتي لأن كل من المدينتين في بلد عربي"⁵. أما الخطاب فقد ركز فيه السلطان على قضيتين أساسيتين، الأولى و تتعلق بحتمية استرجاع المغرب لسيادته، و الثانية في العلاقة العضوية بين المغرب والمشرق. والأهم من ذلك أن السلطان ربط بين القضيتين و جعلهما مكملتين لبعضهما البعض. فقد كان إبعاد المغربي عن المشرقي بالنسبة له "من الكوارث النازلة لأنه بالإضافة إلى تمزق هذا المغربي داخليا بين ثلاثة مناطق. يعيش تمزقا خارجيا بالقطيعة مع بعده

¹ - Georges Vaucher, *Sous les cèdres d'ifrane*, op.cit, p 132 - 153 .

² - Jean Lacouture, *Cinq hommes et la France*, Éditions du Seuil, Paris, 1961, p 200.

³ - Ibid., p, 201

⁴ - كان التصريح للصحفي المصري يوسف إبراهيم مراسل جريدة "القاهرة" في مدينة "أصيلا" أنظر، محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية، مصدر سابق ، ص 19-32.

⁵ - كان هذا التصريح بعد أن أبلغه القنصل الأمريكي أنه تم نقله لدمشق للعمل في السلك الدبلوماسي هناك. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق ص، 300.

القومي"¹. وقد اعتبر تأسيس الجامعة العربية، التي سماها بـ "الجامعة الرشيدة"، هدفه "تمتين العلاقات بين العرب أينما كانوا... و تمكين لملوكهم و رؤسائهم في الشرق و الغرب من توحيد خططهم... لتحقيق العزة الإسلامية و الكرامة العربية"². و بالنسبة إليه فإن المغرب شعبا و سلطانا معني بهذه المبادرة القومية لأنها الوسيلة الأساسية لاستعادة المجد الغابر للمغاربة³. لقد قام السلطان محمد بن يوسف بربط دقيق و وظيفي بين خروج المغرب من أوضاعه المتدهورة، التي كان من ورائها نظام الحماية بمختلف ممارساته، وقد قال بذلك في هذا الخطاب، و بين ربطه ببعده القومي والحضاري. فالنسبة إليه تحرير المغاربة من نظام الحماية تتضمن ربطهم من جديد بامتدادهم العربي الإسلامي. لأنه لا سبيل للنهوض بالمجتمع المغربي و إخراجهم من أوضاعه المتدهورة إلا في هذا الطريق. فقد أدرك أنه لا حياة لهذه الأمة العربية الإسلامية إلا بعودتها إلى وحدة مكوناتها من الشرق والغرب. الذي يتضمن المغرب. لقد "كانت روابط القربى العربية أول تصريح علني للسلطان في مدينة طنجة، ولم يكن حينها احد من ملوك العرب والمسلمين باستطاعته التفوه بذلك، و قد قال هو بذلك بالرغم من انه كان مقيدا"⁴.

لقد كان التعلق بالروابط العربية شعار هذه المرحلة من مراحل الحركة الوطنية المغربية الذي كان السلطان متحدثا باسمها في مدينة طنجة. و لذلك ليس من قبيل الصدفة أن يتضمن البيان الختامي الذي وزع على الصحافة بعد نهاية هذه الزيارة هذا البعد. ولتحقيقه كانت الثقافة و التعليم من الآليات الهامة له من خلال نقل التجربة الأكاديمية التي كانت في بلدان المشرق العربي مثل مصر وسوريا و لبنان والعراق⁵. و بذلك كان السلطان قد كشف عن إستراتيجية تحرير المغرب التي اعتمدت على اعتباره جزء من الأمة العربية و رفض "الإتحاد

¹ - محمد الحدادي، الزيارة السلطانية إلى مدينة طنجة (أبريل 1947)، مرجع سابق، ص 247.

² - المرجع نفسه.

³ - المرجع نفسه.

⁴ - ذكر عبد الله كنون، و هو احد أقطاب الحركة الوطنية المغربية في مدينة طنجة منذ العشرينات، أن أحد أعضاء البعثة المصرية يسمى عبد الجليل خليفة قال تلك المقولة بعد سماعه لخطاب السلطان و خاصة حول مسألة الانتماء للأمة العربية الإسلامية. و عندما قال ذلك للسلطان رد عليه هذا الأخير بقوله "و قل له و هو مع ذلك كان مقيد مشيرا إلى يديه بما يمثل القيد". أنظر، محمد الناصري رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 305.

⁵ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، العلاقات الخارجية للحركة الوطنية، منشورات عكاظ، الرباط، 2012، ص 179.

الفرنسي" الذي اعتبره عبد الخالق الطريس في خطابه أمام السلطان في مدينة طنجة مرفوضا "حتى و لو أتاح ذلك للمغاربة نفس الامتيازات التي تمنحها المواطنة الفرنسية. لأنهم مسلمون و عرب و مستقبلهم في الجامعة العربية"¹.

لقد تحدث السلطان في طنجة كناطق رسمي باسم شعوب المغرب العربي التي كانت مستعمرة. و توجه للمشرق العربي ليذكره بوجود "المغرب العربي الكبير" الذي شكل منذ التاريخ البعيد جزءا من العالم العربي الإسلامي. و لذلك اعتبر المقيم العام "لابون" في مذكراته أن الخطاب لم يشكل منعرجا حاسما بالنسبة للمغرب فقط بل بالنسبة لكامل "المغرب الكبير"² الذي قال عنه الماريشال "جوان" أن في كتابه " *Le Maghreb En Feu* " أن خطاب طنجة ساهم في "إشعاله بشكل مثير للانتباه لأن الذي كان من ورائه شخصية رسمية لم تتحفظ في التصريح بما لا يحمد عقباه"³. و ذكر كذلك أن "مهمته الأساسية كانت في الحد من آثار هذه النار المشتعلة"⁴.

و إذا كان اتجاه السلطان مرتبطا بمسار تاريخي بدأ منذ الإنزال الأمريكي في سواحل المغرب في نوفمبر 1942، فإن اختيار الزمان والمكان طرح أكثر من سؤال. فقد يكون ذلك مرتبطا بأحداث الدار البيضاء في 07 أبريل 1947 من جهة، كما يمكن أن يكون اختيار ذلك المكان لأنه لا تتحكم فيه سلطات الحماية من جهة أخرى. ففيه وجد حرية لم يعهدها في الرباط. فأراد أن يعبر عن ذلك بكل ثقله برسم معالم طريق أخرى للحركة الوطنية المغربية ستعتمد فيما بعد في المواجهة مع باريس بشكل لم يسبق له مثيل من قبل. ليس من حيث عنف سلطات الحماية فقط. و لكن من حيث تحول السلطان إلى "عدو فرنسا" لأنه إذا كان انخراطه في الأطروحة الوطنية التحريرية قد بدأ منذ بيان الاستقلال في جانفي 1944 فإنه في هذه المرة أصبح "قوميا عربيا بامتياز". فقد رفع شعار العروبة و الجامعة العربية الذي كان من أهم الأخطار التي تحدى بباريس لأنه ضرب إمبراطوريتها الاستعمارية في الصميم⁵. فحتى عندما أرادت باريس توقيف الخطاب قبل إلقائه اعتمدت بشكل محوري على "عداء الجامعة العربية تجاه فرنسا

¹ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 180.

² - ذكر ذلك "لابون" في مذكراته سنة 1965 أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p200.

³ - Alphonse Juin, *Le Maghreb En Feu*, Librairie Plon, 1957, Paris, 1957.p 68.

⁴ - *ibid.*, p 70.

⁵ - *Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947*, archives diplomatiques de Nantes. op. cit.

والوجود الفرنسي في شما أفريقيا"¹. وهو بذلك قد أعلن صراحة على أن حرية المغرب في حال استرجاعها ستؤدي حتما إلى رفض "الفعل الفرنسي *Le Fait français*". و بالتالي أصبح الحوار الفرنسي المغربي مستحيلا. كما قال بذلك "سبيلمان"².

لقد راهن المغاربة و على رأسهم السلطان بصورة كلية على البعد العربي للتححرر من "الإتحاد الفرنسي". و لكن ماذا كان بإمكان العالم العربي عن طريق الجامعة العربية أن يقدم للمغرب و لسلطانه؟ فقد كان حال جل الشعوب العربية حينها متشابها بين استعمار استيطاني و حماية و انتداب. و بالإضافة إلى ذلك فإن دور الجامعة العربية في تدعيم الحركات التحررية العربية لم يكن واضحا من الناحية المبدئية لها. و كان دعمها للشعوب العربية في كفاحها ضد الاستعمار أينما وجد مجرد شعارات و خطابات لإثارة العاطفة العربية أكثر منها سياسة تنصيفية وردت في موثيقها التأسيسية³. و بالرغم من ذلك سعى السلطان إلى اعتبارها طريقا استراتيجيا للتححرر من الوصاية الفرنسية برفض "الإتحاد الفرنسي"⁴. و لذلك حذرت فرنسا ممثليها في المغرب و الجزائر و تونس من خطورة الجامعة العربية على سياستها الإفريقية⁵.

كما يمكن اعتبار ذلك موقفا مبدئيا متعلقا بالبعد القومي و الحضاري لدولة الأشراف العلويين الذي أراد السلطان الحفاظ عليه بنفس المضمون. كما كان السلطان يريد الاستفادة

¹ - *ibid.*

² - *Georges Spillmann, Du protectorat. op.cit, p135.*

³ - اتسمت النصوص التأسيسية لجامعة الدول العربية بالضبابية و الحدودية في مجال مواجهة الاستعمار رغم ظهور الاهتمام بقضايا الأمن مبكرا لدى الدول المؤسسة لها. فقد كان اهتمامها محدودا بمعالجة قضايا الاستعمار. لم يتطرق بروتوكول الإسكندرية في 7 أكتوبر 1944 إلى وضع البلدان المستعمرة غير فلسطين، بينما افرد الميثاق في 22 مارس 1945 ملحقا خاصا بوضع البلدان المستعمرة بصورة عامة، لكنه لم يزد عن الحديث عن المساعدة في تحقيق أمانى البلاد العربية غير المشتركة في المجلس محملا الأعضاء مسؤولية رعايتها والعمل على تحقيقها. ولم ينص الملحق الخاص بالبلدان العربية المستعمرة على أية التزامات بشأن ما يتعين على جامعة الدول العربية القيام به تجاه البلدان العربية التي لم تكن قد حصلت على استقلالها عند قيام الجامعة. ولئن حاولت جامعة الدول العربية أن تسد من خلال هذا الملحق فراغا في الميثاق، إلا انه لم يتضمن تنصيحا على مساعدة البلدان العربية الأخرى على الحصول على استقلالها أو دعم حركات التحرر الوطني فيها. أنظر، خالد مبروك الغانجي، العمل المشترك و الأمن الإقليمي في جامعة الدول العربية و التجمعات الإقليمية، مرجع سابق، ص 70-85.

⁴ - *Reformes Politiques et administratives, Le Maroc et l'Union, Française; op.cit.*

⁵ - *Nationalistes Marocains ; généralités sur les nationalistes nord-africains et la Ligue Arabe , Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris , série " Maroc 1944 – 1955 " 24QO/66.*

من ذلك الزخم النضالي الذي عرفته القاهرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية¹. وأدى إلى تأسيس "مكتب المغرب العربي" في فيفري 1947. ثم تبعه تحرير زعيم ثورة الريف عبد الكريم الخطابي في ماي 1947². فقد تجاوب السلطان مع ما قام به "مكتب المغرب العربي" من فضح للسياسة الفرنسية الإجرامية من خلال مجزرة الدار البيضاء في 7 أفريل 1947³. كما كان ذلك من أشكال تفاعل الحركة الوطنية المغربية، بما فيها السلطان محمد بن يوسف، مع النضال المغربي التحرري الموحد بعد الحرب العالمية الثانية. فقد كانت الأحزاب المغربية من الأحزاب المغربية المشاركة في ميثاق "وحدة العمل في المغرب العربي" ثم "مؤتمر المغرب العربي"⁴. و قد كان من بين رواد النضال المغربي المشترك وطنيين مراكشيين مثل علال الفاسي و أحمد بلافريج و محمد بن ناصر و محمد حسن الوزاني و غيرهم⁵. و كان لهؤلاء علاقة وطيدة مع السلطان محمد بن يوسف. و في الأخير فإن أهم الانعكاسات القومية لهذا الخطاب ظهرت عندما كانت الجامعة العربية أول منبر سمح بتدويل القضية المغربية⁶.

4 - 4 السلطان متوجها للخارج: "المغرب من المجتمع الدولي"

ذكر الوزاني أن السلطان خاطب في طنجة "كل عضو من أعضاء السلك الدبلوماسي في مدينة طنجة بكل الصلاحيات. و بما يناسب من الكلام السياسي. الذي كان دقيقا في مفرداته. و بعيدا في معناه. و قويا في مغزاه"⁷. وكان السلطان أراد التحدث بكل حرية. وبكامل الصلاحيات. ولأول مرة منذ عشرين سنة عند تنصيبه سلطانا على المغرب. و ضرب عرض الحائط مقتضيات معاهدة الحماية التي فرضت على السلطان المغربي قيودا كبيرة فيما يخص السياسة

¹ - لقد حرص السلطان على أهمية النضال المغربي في القاهرة عندما طلب من عبد الخالق الطريس الانتقال إلى القاهرة. و قد تم ذلك مباشرة بعد نهاية الرحلة. ففي ماي 1947 سافر إلى القاهرة وكتب رسالة من مدينة طنجة إلى حزبه يعلمه فيها عن عدم عودته لمدينة تطوان تلبية نداء السلطان. أنظر حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص 280.

² - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، مرجع سابق ص 525 - 542.

³ - المرجع نفسه، ص 553.

⁴ - *Activités des Nationalistes nord-africain au Caire, en particulier propagande radiophonique à destination d'Afrique du nord émission la voix des arabes*) évolution des relations franco-égyptienne dans ce contexte , répercussion au levant de la crise marocaine , Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris ,série " Maroc 1944 - 1955 " 24QO/199.

⁵ - *Activités des Nationalistes nord-africain au Caire, op.cit.*

⁶ - *Activités des Nationalistes nord-africain au Caire, op.cit.*

⁷ - محمد حسن الوزاني ، حرب القلم ، ج3، مصدر سابق، ص 20.

الخارجية. التي كانت تمنعه عن الحديث فيها بأي شكل من الأشكال. لأن ذلك من صلاحيات باريس عن طريق مندوبها في الرباط المتمثل في المقيم العام¹.

إلا أن ذلك لم يمنعه من التحدث مع كل الممثلين الدبلوماسيين منذ وصوله إلى طنجة وقد اتصل مع هؤلاء في عدة محطات، ففي الأول عندما تم أول لقاء بينهما. تطبيقا لبرتوكول الاستقبال. ثم في مسار الزيارة عندما كان السلطان يلتقي مع الهيئات الدبلوماسية كما هو معروف في مثل هذه اللقاءات في سعي كل طرف لخدمة مصالحه. خاصة في تلك "المدينة البائسة" التي كانت تخضع لذلك "النظام الغريب" على حد تعبير محمد مكي الناصري² حيث تقاطعت مصالح الدول المساهمة في هذا النظام. وبالتالي فإن كل من هذه الهيئات كانت تسعى لتحقيق مصالحها. و اتصالها مع السلطان كان الوسيلة الأساسية لتحقيقها، وليس لقوة كان يتمتع بها بحكم فقدانه لسيادته. و لكن كان ذلك في سياق التنافس الشديد بين هذه القوى فقد كان نظام الحماية يسعى لاحتوائه للحصول على أولوية فرنسية في هذه المدينة. و قطع الطريق أمام إسبانيا. التي كانت تعتبر نفسها "صاحبة الحق" فيها. كما كان لبقية الأطراف المساهمة في هذا النظام طموحات مرتبطة بمصالحها في منطقة البحر الأبيض المتوسط. و بوضعها الدولي. خاصة بالنسبة لأمريكا و بريطانيا. و كان على السلطان أن يستغل هذه التناقضات بما يحقق الغاية الكبرى من زيارته لهاته المدينة³.

أما في المحطة الأولى فقد كان السفير الأمريكي أول من حدثهم السلطان، و كان لذلك أهمية كبيرة في ظل ظروف الحرب الباردة التي كانت فيها الولايات المتحدة الأمريكية طرفا

¹ - نصت معاهدة الحماية في 30 مارس 1912 في الفصل الخامس(5) ما يلي: "المفوض المقيم العام يمثل الحكومة الفرنسية لدى السلطان الشريف، و للمقيم العام كامل الصلاحيات لتطبيق مقتضيات معاهدة الحماية. المقيم العام هو الوسيط الوحيد بين السلطان والممثلين الدبلوماسيين الأجانب، كما له كل الصلاحيات في ما يخص الأجانب المقيمين بالمملكة الشريفة " و نص الفصل السادس (6) ما يلي: "المنتدبون الدبلوماسيون و القنصلين الفرنسيون يمثلون الرعايا المغاربة و يدافعون عن المصالح المغربية في الخارج. لا يمكن لصاحب الجلالة الشريفة توقيع أي معاهدة دولية بدون الموافقة حكومة الجمهورية الفرنسية. " أنظر،

Moulay Abdelhadi Alaoui, *Le Maroc Du Traité De Fès à La Libération, 1912/1956, Edition La Porte, Salé, 1994, p, 245.*

² - محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية، مصدر سابق. ص 19-32.

³ - لقد كان برنامج الزيارة محل عدة مفاوضات مع جميع الأطراف المعنية. من بينها الدول المساهمة في النظام الدولي. و قد كانت كل منها تسعى للظهور بقوة و نفوذ. فعلى سبيل المثال بعدما انتهت كل التحضيرات. احتج القنصل الإيطالي على إهماله مما تتطلب الأمر إعادة النظر في بعض الجزئيات. و كذلك أصر القنصل الأمريكي على التميز عن بقية القناصل ببعض المظاهر. و غيرها من التفاصيل التي كانت تدل على أن المصالح الاستعمارية في هذه المدينة كانت محل اختلاف و تنافس شديدين. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 273.

أساسيا و إن كان قد قدم له الاحترام و التقدير على ما تقوم به أمريكا "لتحرير الشعوب و رفع الظلم عن كاهلها"¹. فإنه في نفس الوقت تمنى أن "تعيد النظر في موقفها من القضية الفلسطينية وأن تخدم صالح العرب بإنصافهم في هذه القضية و ما شابهها من قضايا العرب شرقا وغربا خاصة في ظل سياسة الرئيس ترومان التي أفقدت أمريكا تعاطف الشعوب العربية معها"². لقد كان لهذا التصريح السلطاني دلالة كبيرة. فقد كان موجها لقوة عظمى كانت تسعى للتحكم في العالم. وأصبح لها دورا فاصلا في طبيعة السياسة الدولية. و قد كان تقرير السفير الأمريكي حول هذه الزيارة من أهم الوثائق التي سجلت حالة المغرب في تلك الظروف بدلالات خاصة فقد كانت مضامينه مرجعا رئيسيا لهذه الزيارة منذ إرهاباتها الأولى. سواء تعلق الأمر بأحداث الدار البيضاء يوم 07 أفريل 1947 عندما حمل نظام الحماية مسؤوليتها. أو فيما بعدها بما تضمنته التقارير الأخرى التي كانت تتابع تطور الموقف المغربي. و كانت كلها تشير إلى رغبة المغاربة، و على رأسهم السلطان في الاستقلال³. فطالما شكل الموقف الأمريكي في المغرب "طريقا ثالثا". فإذا كان ضد نظام الحماية المفروض على المغرب. فإنه في نفس الوقت لم يكن إلى جانب المغاربة في نيل استقلالهم⁴ وإذا كانت أمريكا قد أعطت أولوية لـ "القضاء على النازية" قبل أي شيء بعد نزولها في شمال أفريقيا. بما فيها المطالب الوطنية لتلك الشعوب. و قد قالت بذلك للمغاربة، وحتى للجزائريين والتونسيين⁵. فإنها اتخذت بعد الحرب بالنسبة للمغرب "موقفا غامضا متعمدا" تجاه نفس المطالب⁶.

¹ - Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op. cit.

² - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص 20.

³ - Voyage Du Sultan à Tanger, Position Américaine à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op. cit.

⁴ - لقد تم التطرق لهذا الموقف سابقا في الفصل الرابع (المغرب و الحرب العالمية الثانية)

⁵ - اتصل فرحات عباس في الجزائر عدة مرات بـ "روبير مورفي" حول رغبة الجزائريين في مساعدة أمريكا في الحصول على استقلال أو الحكم الذاتي للجزائريين. أنظر، أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1930-1945، مرجع سابق، ص 196. و بالنسبة للتونسيين وجه الحبيب بورقيبة بتاريخ 03 جوان 1943 رسالة إلى الرئيس الأمريكي "روزفلت" و أخرى للملك البريطاني "جورج الخامس" تضمنت كل منهما تدمرا من تصرف قوات الحلفاء و طالبهما بإعانة الحركة الوطنية التونسية في الحصول على استقلال تونس. أنظر، فيصل الشريف و آخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، مرجع سابق، ص 120.

⁶ - Abdelkhaleq Berramdane, Le Maroc, op cit p 71.

وتكتسي هذه الوثائق الأمريكية أهمية بالغة في كونها صدرت من قوة جديدة لا تنتمي للعالم القديم. وكانت مصالحها في المغرب خاصة، ومنطقة شمال أفريقيا والبحر الأبيض المتوسط عامة تختلف جذريا عن القوى التقليدية الأخرى. وبالإضافة إلى ذلك فإن السلطان تحدث مع المفوض الأمريكي بعد أن فضل المغرب الانتماء استراتيجيا إلى المعسكر الغربي في الحرب الباردة برغبة من الوطنيين ومن السلطان¹. وقد كان هذا من المفارقات العجيبة في تاريخ الحركة الوطنية المغربية. لأنها انضمت إلى معسكر بطبعه "الاستعماري الإمبريالي" بغرض التحرر منه. فمنذ اندلاع الحرب الباردة تمثلت رغبة أمريكا في استغلال وجودها في المغرب بدمجه في "النظام الدفاعي الغربي" *Le système De Défense De L'occident*² و عندما تصاعدت المطالب الوطنية المغربية اعتمدت أمريكا سياسة "الغموض" في المغرب لتفادي اصطدامها مع حليفها الإستراتيجية فرنسا. وبالرغم من ذلك فإن العلاقات الأمريكية الفرنسية عرفت الكثير من الفتور بفعل القضية المغربية³.

في هذا السياق فإن السلطان كان يريد في طنجة استغلال هذا الفتور ليطالب من "العالم الجديد" بحقوق المغرب في سيادته والانضمام إلى المجتمع الدولي في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. التي كانت مشاركة المغرب فيها بكل قدراته الاقتصادية والبشرية محورا أساسيا لتدخلات السلطان أمام الهيئات الدبلوماسية. فقد ذكر أمام القنصل البريطاني كل ما قدمه المغرب في الحرب العالمية الثانية من مجهود مادي و معنوي للحلفاء بكل حرية واختيار فقد "كان الجندي المغربي جنبا إلى جنب مع الجندي الإنجليزي في مختلف الجبهات القتالية"⁴ و لذلك من حق المغرب الاستفادة من مكاسب هذه الحرب كغيره من البلدان المنتصرة. و من مدخلات هذه الاستفادة حصوله على سيادته التي ستسمح له مباشرة بانخراطه في المجتمع الدولي.

لقد كان لاختيار هذا الموضوع أمام المندوب البريطاني بالذات دون غيره دلالة خاصة. فقد كان السلطان يقصد ربط ذلك بالموقف البريطاني من المغرب بعد نزول الحلفاء في شمال أفريقيا. لما كان لهذه القوة من تأثير في عرقلة استفادة المغاربة من "العهد الأمريكي"

¹ - *ibid.*, p , 63.

² - *ibid.*, p , 65.

³ - *ibid.*

⁴ - *Voyage Du Sultan à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op. cit.*

منذ "قمة أنفا" في جانفي 1943 التي انزعج فيها رئيس وزراء بريطانيا "تشرشل" من التقارب الأمريكي المغربي. وقد عمل كل ما في وسعه للتخفيف من نتائج السلبية على فرنسا فعندما طالب المغاربة باستقلالهم في جانفي 1944 سارع "تشرشل" من مراكش لإبعاد الحلفاء من أي دور لهم في ذلك. كما كان القمع الذي تعرض له المغاربة بعد ذلك بمباركة لندن بسكوتها و اعتبار ذلك مسألة داخلية بالرغم من وجودها في المغرب. فقد كان القنصل البريطاني بالنسبة للسلطان يمثل قوة تقليدية لا تختلف كثيرا عن فرنسا لكونهما إمبراطوريتين استعمارييتين. و لذلك كان التوجه لبريطانيا كرمز استعماري من طرف بلد يريد الانضمام إلى "العالم الحر" الذي رفع شعاره الحلفاء بعد الحرب¹. و يبدو أن رسالة السلطان وصلت للقنصل البريطاني كما أرادها. و لذلك كان رده عليها بروتوكوليا بتصريحه بأن "رغبة بريطانيا تتمثل في الحفاظ على صداقتها التقليدية مع المغرب"². و هي إجابة عامة قابلة للتأويل في كل الاتجاهات بما فيها بقاء المغرب تحت طائلة نظام الحماية. و في جميع الأحوال فإن الموقف البريطاني من "القضية المغربية" منذ مطلع القرن العشرين. و حتى من الزيارة بحد ذاتها كان مرتبطا ببقاء توازن القوى بين فرنسا و إسبانيا في المغرب. و قد ظهر جليا أن ذلك قد تحقق لغاية القيام بالزيارة و إلقاء الخطاب. و لم تكن المتابعة البريطانية لمضامين الزيارة أكثر من كونها أحداث غير بعيدة عن مضيق جبل طارق الذي كان محور الساسة البريطاني في هذه المنطقة. و لاستكمال هذا الاتصال الأولي مع الهيئة الدبلوماسية، و قبل إلقائه لخطابه أمام الشعب المغربي، أعطى السلطان لممثلي عالم "مبادئ الحرية والديمقراطية" معيارية هذا الخطاب والمتمثلة في "مطالبة الشعب المغربي بحقوقه الشرعية التي تتناسب مع طبيعة عالم ما بعد الحرب والتي تجعل منه أمة كبقية الأمم في المجتمع الدولي، لها ما لها من الحقوق، وعليها ما عليها من الواجبات، والالتزامات الدولية"³. و إذا كان كل ذلك ضمن "البروتوكولات الأولية" فإن ما عرفته اللقاءات الأخرى التي كانت للسلطان مع هذه الهيئات كان أكثر وضوحا في تصميم السلطان على "الانخراط في المجتمع الدولي". فبعد أن نقل الخطاب الحاسم ليوم 10 افريل 1947. الزيارة نقلة نوعية لم يكن تتوقعها باريس، ولا حتى المقيم العام "لابون" واصل السلطان

¹ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص 21.

² - محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 301.

³ - محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 329.

هذا المسار المطبوع للشعب المغربي الذي ركز فيه على قيم "الاستقلال" و "الوحدة" وإنعكاساتهما على انضمام المغرب في المجتمع الدولي.

فقد تحدث في مائدة الغداء التي نظمها على شرف الهيئة الدبلوماسية عن مستقبل المغرب بصورة لا توحى بكونه كان مرتبطا بمعاهدة الحماية. باعتباره ناقش مع السفير الأمريكي عدد من القضايا التي كانت من صميم السياسة الدولية آنذاك. لقد أعطى السلطان لممثل أمريكا كل الأولوية في هذا اللقاء. و قام بإلغاء الترتيبات البروتوكولية. وأكثر من ذلك ضرب عرض الحائط نصوص معاهدة الحماية التي كانت تفرض عليه عدم التحدث في مسائل السياسة الخارجية بدون حضور المقيم العام. الذي كان بنص الفصل الخامس و السادس من هذه المعاهدة الوسيط الوحيد للتحدث مع الدبلوماسيين الأجانب¹. إلا أن هذا لم يمنعه من التحدث مع القنصل الأمريكي في "مسألة المد الشيوعي" في المغرب، الذي قال عنه أن لا مستقبل له في المغرب لتناقض الشيوعية مذهبيا مع العقيدة الإسلامية. وغيرها من المواضيع التي كان السلطان يتحدث فيها "كرئيس دولة يطالب بالحقوق الملائمة لحياة هذا الزمان... و من العدل و الإنصاف أن ينالها كلها ليتبوأ مركزه عاليا بين الشعوب الحرة السيدة..."². فقد أراد السلطان نهضة تعليمية للشعب المغربي تحت إشراف أمريكي لأنه "... لا خوف لديه من الأساتذة الأمريكيين لأنهم ليسوا من أدوات الاستعمار والإمبريالية..."³. لقد كان الطرح السلطاني مقتعا بالنسبة للقنصل الأمريكي إلى درجة أنه "تكون لديه انطبعا قويا بأنه يجب على حكومته أن تعمل على تيسير السبل لتطوير نظام الحماية"⁴.

لقد كان حرصه شديدا على إعادة إحياء الوعود الأمريكية في المغرب التي أطلقها روزفلت في قمة "أنفا" في جانفي 1943. و يبدو أن السلطان استعمل الحضور الأمريكي في

¹ - ذكر القنصل الأمريكي في مدينة طنجة في تقريره حول الزيارة أن السلطان محمد بن يوسف الذي أجلسه في طاولته الخاصة. و بالإضافة إلى ذلك طلب منه الجلوس في مكان وزير خارجيته المقيم العام "لابون". يخالف بذلك الترتيبات البروتوكولية. و بالإضافة إلى ذلك كان كل حديثه أثناء الغداء معه هو فقط. و كان الآخرون الحاضرون الغائبون بما فيهم المقيم العام "لابون". و قد اعتبر القنصل الأمريكي ذلك تعبيرا عن الصداقة الكبيرة التي يكنها السلطان لأمريكا. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 329.

² - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص 22.

³ - Voyage Du Sultan à Tanger, Position Américaine à Tanger, 9 - 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op. cit.

⁴ - Stéphane Bernard Le Conflit Franco-Marocain, 1 vol, op. cit, p 102.

هذه المناسبة لاستغلاله لأقصى حد للانضمام إلى المجتمع الدولي.و لذلك كان ممثل أمريكا "ضيف شرف غير عادي" على حد تعبيره هو بحد ذاته¹.و كأن أمريكا كانت محور هذه الزيارة.فقد شكرها السلطان على مساعدتها له.و كان ذلك أمام ممثلي الدولتين الحاميتين للمغرب فرنسا و إسبانيا اللتان لم يأت ذكرهما على لسان السلطان بأي حال من الأحوال².

و في جميع الأحوال فإن السلطان المغربي محمد بن يوسف استعمل كل الطرق التي تؤدي إلى التخلص من نظام الحماية.ومن "الإتحاد الفرنسي" فقد اعتمد على البعد القومي لإثبات الانتماء الحضاري للمجتمع المغربي واعتبر الجامعة العربية هي الرابطة التاريخية والطبيعية له.و لا مجال لأي صلة بين الفرنسيين و الشعب المغربي بأي شكل من الأشكال.و سعى لاستعمال الاهتمام الأمريكي بالمغرب،و للمرة الثانية، للتخلص كذلك من نفس النظام و من نفس "الإتحاد الفرنسي"³.ونظرا لإيمانه بضرورة تحرير الشعب المغربي،و "العرش العلوي"، من نظام الحماية.فإن السلطان محمد بن يوسف استغل بكل قوة وجوده في طنجة لأنه كان متحررا من كل رقابة،وقلما كان كذلك "لأنه لم تكن لديه أية سلطة كانت تعبر عن سيادة فعلية لا كشعار،بما فيها تعيين باشا أو حتى فتح مدرسة وطنية"⁴.و لذلك قام بطرح الأزمة المغربية أمام مختلف الهيئات الدبلوماسية في مدينة طنجة ذات النظام الدولي،و لا أثر لسلطات الحماية الفرنسية فيها،لذلك كان آخر تصريح له في مدينة طنجة أمام هذه الهيئات،و معهم الصحافة حول "...رغبة المغرب في أن تكون له علاقات ودية جميع الأقطار التي تدافع عن الحرية،و مازالت تدافع عنها....و هو يريد بكل حماسة أن ينال حقوقه.التي ستسمح له بأن يكون طرفا كامل الحقوق و الواجبات في هذا المجتمع الدولي..."⁵.

¹ - Voyage Du Sultan à Tanger, Position Américaine à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, archives diplomatiques de Nantes. op. cit.

² - Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, p 286.

³ - لاندو روم، محمد الخامس، مصدر سابق، ص، 44.

⁴ - المصدر نفسه، ص، 28.

⁵ - مقطع من التصريح الصحفي الذي قرأه الكاتب الخاص للسلطان محمد بن مسعود بالعربية و الفرنسية أمام الصحفيين الأجانب الذين قاموا بتغطية هذه الزيارة.و كانوا يرسلون صحفهم بمجرياتهما.أنظر، محمد الناصري،رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة،مرجع سابق، ص 329.

5. انعكاسات خطاب طنجة :

اعتبر محمد العربي المساري أن رحلة السلطان إلى مدينة طنجة في ما بين 09 و12 أفريل 1947 كانت فصلا متميزا في الوطنية المغربية من اجل الاستقلال والوحدة. فقد كانت كمسعى سياسي إزاء الأطراف الدولية المشرفة على المدينة لتكريس وحدة التراب الوطني. وكانت كذلك نقطة بداية في تدويل القضية المغربية. كما كانت منعطفا في علاقات السلطان مع فرنسا في الرباط وباريس. فعلى إثرها بدأ التفكير في عزله وأبعاده¹. فإذا كانت أحداث 20 أوت 1953 التي قامت من خلالها سلطات الحماية بعزل السلطان محمد بن يوسف ونفيه، قد بدأ الحديث عنها بصوت مرتفع بين موظفي الإقامة العامة بالرباط، وحتى بين عدد من الإقطاعيين المغاربة بعد أحداث "المطالبة بالاستقلال" في جانفي 1944. فإن مشروع عزله قد ولد في رحم أحداث طنجة لسنة 1947².

وبالرغم من أن ما قام به السلطان لم يستمر أكثر من ثلاثة أيام، ولكن تأثيراته كانت عميقة جدا على كل الأطراف سواء المغربية أو الفرنسية. وإذا كان جل الدارسون أرجعوا ذلك لتأثر السلطان بالأحداث الدامية لـ 07 أفريل 1947. و لذلك لم يذكر في خطابه الإيجاز الحضاري لفرنسا في المغرب. فإن "ستيفان برنار" اعتبر ذلك جزئية أكثر منها قضية مصيرية بالنسبة لمسار وانعكاسات الأحداث لأنه "حتى وإن لم يقع ما وقع لأنتقل السلطان إلى الوطنية المغربية والقومية العربية عبر سبل أخرى. فكل شيء كان يدفع السلطان محمد بن يوسف إلى ذلك"³. فهذا التغيير الجذري كان منتظرا بشكل من الأشكال. وفي مكان من الأمكنة. وفي تاريخ من التواريخ. فقط شاعت الأقدار أن يكون في طنجة.

لقد تحولت الزيارة السلطانية لمدينة طنجة في أفريل 1947 إلى منعطف حاسم. و بداية عهد آخر جديد بالنسبة للأزمة المغربية. نظرا للانعكاسات العميقة التي ترتبت عنها على الجميع. و بنفس الحدة⁴. خاصة على الحركة الوطنية المغربية في الشمال و الجنوب لأن برامج هذه الأخيرة عرفت إعادة تغيير جذري في أولوياتها النضالية. كما كان لها تأثير

¹ - محمد العربي المساري، المغرب خارج سياج الحماية، مصدر سابق، ص 174.

² - Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, p 292.

³ - Stéphane Bernard Le Conflit Franco-Marocain, 1 vol, op .cit, p 102.

⁴ - ibid, p 104.

كبير على " السياسة الفرنسية المغربية". لأن باريس بعد الخطاب قامت بتعيين الجنرال "جوان" مقيما عاما على المغرب بمهمة "توقيف المسار التاريخي الذي بدأ سنة 1934" على حد تعبيره¹.
5 - 1 صدى الخطاب في مدينة طنجة:

ارتبطت الزيارة السلطانية لمدينة طنجة في أفريل 1947 بعدة معالم متعلقة بالوضع المغربي. من أهمها تلك الصلة المباشرة التي كانت لها مع النظام الأساسي الذي كانت تعرفه هذه المدينة بكونها كانت تخضع لسيطرة دولية مشتركة. فقد كان لهذا الخطاب تأثير مباشر على المدينة، لأن خطاب السلطان استطاع أن يعيدها إلى انتمائها الوطني، الذي كان في تلك المرحلة يبحث عن استقلاله من جميع أشكال السيطرة، في الجنوب و في الشمال على حد سواء. و لذلك كانت الزيارة في هذا السياق. فكل الأنشطة التي قام بها السلطان في هذه المدينة كانت موجهة ضد هذا القانون الذي اعتبره شكل من أشكال الاستعمار الأجنبي للأرض المغربية. كما كان الحال في بقية المناطق. و لذلك كان المتحدث السلطاني موحدا للموقف الوطني في خطابه إزاء هذه القضية².

إذا كان استرجاع السيادة الوطنية بالنسبة للسلطان مرتبطا بالمطالبة بإلغاء نظام الحماية في الجنوب و الشمال، فإن إلغاء النظام الدولي في هذه المدينة كان من صميم هذا العمل. ولذلك ظهرت الكثير من المظاهر أثناء هذه الزيارة التي كانت موجهة لهذه المدينة بالذات وعلاقتها بالقضية المغربية الشاملة. فمنذ وصول السلطان لهذه المدينة اعتبرها جزءا من المغرب الخاضع لسيادته، بالرغم من كونها كانت اسمية فقط. فابتداء من مراسيم الاستقبال³ و كل الأنشطة السلطانية كانت تشير إلى وجوب اعتبار المدينة جزءا من السلطنة العلوية الشريفة. فعلى إثر هذه الزيارة فتح السلطان قوسا كبيرا بالنسبة لوضع هذه المدينة أصبح من الصعب غلقه فيما بعد⁴.

¹ - Alphonse Juin, *Mémoires op .cit, p 146*.

² - محمد بن الراهه البكري، الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية، ج ، 01 مرجع سابق، ص333.

³ - منذ نزول السلطان في محطة القطار لمدينة طنجة كانت كل إجراءات الاستقبال تشير إلى سيادته على هذه المدينة، سواء من حيث الرايات المغربية التي تزينت بها المدينة لأول مرة. وكذلك من حيث الوفود الرسمية التي استقبلت السلطان ابتداء من الخطة إلى غاية مقر المندوبية. و اصطفاف الطنجيين على الأرصفة. و غيرها من المظاهر التي أعطت للزيارة بعدا بروتوكوليا سياديا. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 294.

⁴ - Isaac J.Assayag, *Tanger : un siècle d'histoire, op.cit. p 213*.

بالرغم من أنه منذ مدة طويلة تضمنت التقاليد التاريخية مثل الوفود الطنجية، غيرها من وفود المدن الأخرى، أمام السلطان المغربي لتقديم عرايين الولاء و الطاعة له في مختلف المناسبات الدينية والوطنية. بالإضافة إلى تأثر المدينة بمختلف الظروف التي كان المغرب يعيشها¹. و لكن كل ذلك كان ضمن سياق محدود جدا بين السلطان والهيئة الإدارية التابعة له التي كانت في تلك الفترة يمثلها المندوب المخزني و الذي كان يقوم بهذه الممارسات في قالب رسمي في ظاهره ومضمونه. و قد كان ذلك ضمن ما نص عليه الظهير السلطاني الخاص بهذا النظام الدولي في سنة 1925 و في سنة 1945. و بالتالي فإن الولاء في هذه الممارسات كان شكليا أكثر فعليا. فحتى خليفة السلطان في الشمال اتهم عدة مرات بالتمرد على السيادة السلطانية والتصرف بصورة مستقلة عنها². بالإضافة إلى الطموحات الإسبانية في ضم المدينة للمنطقة الشمالية الخاضعة إليها. و كل ذلك كان يبعد المدينة عن تبعيتها للسيادة السلطانية أكثر من تقريبها إليها.

فحتى هذه المدينة لم تكن جزء من التقاليد السلطانية لتحديد فترة زيارتها كما هو الحال بالنسبة لعدد من المدن المغربية مثل فاس أو مراكش. فمنذ أن زارها المولى الحسن الأول سنة 1889 لم يقم بذلك أي سلطان آخر. أما السلطان محمد بن يوسف فلم تكن علاقته بالمدينة تتعدى مروره بمينائها عدة مرات أثناء قيامه برحلاته إلى فرنسا عن طريق البحر و قد تحول التوقف في ميناء المدينة عند السلطان إلى ضرورة. فكلما كان في طريقه نحو فرنسا بحرا توقف في ميناء المدينة واستقبل على ظهر سفينته السلطة المخزنية بالإضافة إلى ممثلي النظام الدولي. و أصبح منذ سنة 1929 مرور السلطان بالمدينة جزء من رحلاته الصيفية. و لذلك اعتبر زيارته لها في أبريل 1947 "تجديدا للعهد المقدس"³.

¹ - بدأت العلاقة بين المدينة و السلطان المغربي سنة 1926، أي بعد فرض النظام الدولي، عندما قام مندوب السلطان محمد بوعشرين بالسفر إلى الرباط لأداء فروض التبريك و التهنائي بمناسبة عيد الأضحى للسلطان يوسف. و بعد وفاة هذا الأخير نكست الأعلام في المدينة و عبرت عن حزنهما. و منذ ذلك التاريخ بقيت المدينة مرتبطة بالعديد من الأحداث. و لكن كل ذلك بشكل صوري أكثر منه عميق عبر عن تبعية المدينة الفعلية للسلطان. أنظر، محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 136 -

146.

² - لاندو روم، محمد الخامس، مصدر سابق، ص، 323.

³ - الملحق رقم 13 ، " خطاب طنجة 10 أبريل 1947 "

و بقيت علاقة المدينة بالسلطة التاريخية للمغرب متمثلة في مظاهر بروتوكولية تعبر عن السيادة الإسمية في أحسن الأحوال. و لكن ما عرفته في سنة 1947 قام بقلب هذه الأوضاع رأسا على عقب. فقد كانت هذه أول زيارة قام بها سلطانا علويا منذ مدة طويلة جدا. و عندما كانت تلك "المدينة البائسة" تعرف ذلك "النظام الغريب" تدخل السلطان ليعرض هذا النظام لعدة هزات. لأن كل ما قام به منذ نزوله بها كان يتجه نحو تحريرها منه و إرجاعها إلى أصلها المغربي. الذي كادت أن تفقده وسط نظام دولي جمعت بين أطرافه المصلحة الاستعمارية. فقد تضمن الخطاب العديد من الفقرات التي كان السلطان من خلالها يحرص على طبيعة هذه المدينة باعتبارها مغربية¹.

فقد اعتبرها بالنسبة للمغرب بمثابة "...التاج من المفرق، و باب تجارة المغرب ومحور سياسته، و عنوان محاسنه الوهاجة"². كما اعتبر الغاية من هذه الزيارة هو "...تفقد شؤون هذه المدينة... و حمل البشائر إلى ساحتها و تقديم براهين الاعتبار إلى سكانها... للنهوض بها باسترداد حقوقها في القريب العاجل. بانعقاد ذلك الاجتماع الخاص بها..." الذي طالب من خلاله السلطان أن يتم فيه "...السماع للصوت المغربي للوصول إلى حقوق هذه المدينة..."³. التي كانت بالنسبة له تتمثل حتما في خروجها من هذا الوضع الاستثنائي و عودتها للمغرب أمة و مجتمعا و ترابا⁴.

لقد حدد السلطان في هذا الخطاب هوية المدينة بشكل قاطع باعتبارها قطعة من المغرب. و أن النظام الدولي الذي كانت تعيشه ما هو إلا مظهر من مظاهر الاستعمار الذي تعرض له المغرب في الشمال والجنوب بمختلف الأشكال. و قد صرح بذلك أمام ممثلي المدينة من أعيانها و علمائها و شرفائها و ممثلي الحركة الوطنية في هذه المدينة⁵. فقد عرفت هذه المدينة بفعل هذا الخطاب انخراطا واضحا في الحركة الوطنية المغربية من خلال تصاعد النشاط الوطني بشكل مثير للانتباه بعد هذه الزيارة. خاصة و أنها كانت من قبل متنفسا حرا

¹ - المصدر نفسه.

² - المصدر نفسه.

³ - كان السلطان يقصد ما تم الاتفاق حوله في مؤتمر باريس في أوت 1945 حول عقد مؤتمر آخر للفصل نهائيا في وضع المدينة إلا أن هذا المؤتمر لم يتم عقده نهائيا و بقيت المدينة على حالها الذي تم الاتفاق حوله في أوت 1945. أنظر،

Isaac J. Assayag, *Tanger : un siècle d'histoire*, op.cit. p128.

⁴ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص23.

⁵ - محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص305.

لهذا النشاط من خلال عدة وسائل من بينها الصحافة. فقد كان لنظامها الدولي إيجابيات على المبادرة الوطنية. فقد ذكر محمد مكي الناصري زعيم حزب "الوحدة المغربية" في المنطقة الشمالية أن التصديق الذي فرضته الإدارة الإسبانية على الوطنيين في الشمال بعد الحرب العالمية الثانية دفع بهم إلى نقل نشاطهم الصحفي إلى مدينة طنجة بإصدار جريدة الحزب الناطقة بالعربية "الوحدة المغربية" و"صوت المغرب" الناطقة بالفرنسية و قد أدى ذلك إلى نقل الكثير من الأفكار الوطنية المغربية وكذلك إلى عرض القضية المغربية الكبرى و طرح الحل الوطني المقترح أمام أنظار الرأي العام الدولي عرضا حرا من كل قيد. فقد أدى ذلك النظام الدولي لهذه المدينة إلى تحويلها إلى متنفس¹.

وبعد الزيارة قام الوطنيون المغاربة باستغلالها بتحويلها إلى قاعدة خلفية للنشاط الوطني بمختلف أشكاله سواء من خلال انتقال العديد من الوطنيين المغاربة إليها بعد التصديق الذي تعرضوا له سواء في المنطقة السلطانية كما هو الحال بالنسبة لعلال الفاسي الذي استقر فيها بعد عودته من المنفى و قبل انتقاله إلى القاهرة، و محمد حسن الوزاني و عبد القادر بن جلون و عبد الخالق الطريس و محمد مكي الناصري وغيرهم من الوطنيين المغاربة. فقد أدت هذه الزيارة إلى تحويل ذلك النظام الغريب إلى "مكسب" من حيث لم تكن تحتسب له الإدارة الدولية. فإذا كانت المدينة من قبل ضائعة بين الأطماع الدولية والحسابات الفرنسية الإسبانية على وجه الخصوص. فإنها بعد افريل 1947 أصبحت تضطلع بدور بارز في حظيرة الحركة الوطنية فصارت ملجأ الوطنيين باعتبارها الجزء الوحيد الذي يمكنهم استنشاق بعض الحرية في خضم موجة القمع ضدهم في المنطقتين الإسبانية والفرنسية². و قد بقي هذا الدور متواصلا فيما بعد. ففي مطلع الخمسينات عرفت المدينة عدة تطورات مثل الإعلان عن "الجبهة الوطنية" و"ميثاق طنجة" الذي كان إحياء للذكرى الرابعة لخطاب طنجة في أفريل 1951³.

¹ - محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية، مصدر سابق. ص 19 - 32.

² - عبد العزيز خلولو التسماني، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية (1930-1956) طنجة في التاريخ المعاصر، 1800-1956، الملتقى العلمي الأول لمدينة طنجة 18، 20 أكتوبر 1990، جامعة محمد الخامس، الرباط، جامعة عبد المالك السعدي، النشر العربي الإفريقي الرباط، 1991، ص 267-280.

³ - عبارة عن مبادرة تمت بمدينة طنجة في الذكرى الرابعة لخطاب طنجة بتاريخ 09 أفريل 1951 تحت رعاية الجامعة العربية، حيث اتحدت الأحزاب المغربية الأربعة الرئيسية و هي حزب الشورى والاستقلال وحزب الاستقلال من المنطقة السلطانية، وحزب الإصلاح و حزب الوحدة المغربية من المنطقة الخليفية في تنظيم موحد تحت اسم "الجبهة الوطنية"، التي تبنت وثيقة سياسية

لقد كان لهذه الزيارة انعكاسات كبيرة على هذه المدينة. فقد قام النظام الدولي بتغييرها عن الساحة المغربية التي عرفت الكثير من التطورات منذ تاريخ فرضه عليها فبالرغم من كونها كانت قطعة من أرض المغرب جغرافيا، إلا أنها كادت أن تقتطع منها معنويا بفعل ما عرفته من مسارات تاريخية اختلفت تماما عما عرفته المناطق الأخرى. حتى أنها تحولت إلى "المدينة التي كانت تقع خارج حدود البلاد مع أنها جزء منه"¹. ولم يساعد المشروع الإسباني التوسعي على بقائها ضمن المجموعة الوطنية. إلا أن الزيارة السلطانية وما رافقتها من مظاهر سيادية على المدينة أعادت المدينة إلى حالتها التاريخية الأصلية وأخرجتها من حالة الضياع والانقسام الذي كانت عليهما. وعندما كانت الدول المساهمة في النظام الدولي تسعى لتطوير هذا النظام بآليات استعمارية جديدة جاءت زيارة السلطان لتضرب هذا النظام بحد ذاته من حيث مبدئه. فقد قال السلطان في "أم الخطب" (الخطاب الذي ألقاه في ساحة المندوبية بتاريخ 10 أبريل 1947). أنه لا ينتظر من هذا التطوير سوى إعادة المدينة إلى حالتها الأصلية وربط مصير الطنجيين من جديد بمصير الشعب المغربي بحصوله على حقوقه المشروعة. و هي في جميع الأحوال مطالب مشتركة بين كل المغاربة في الشمال والجنوب.

بذلك أصبحت المدينة جزء من الحالة التي كان عليها المغرب منذ جانفي 1944 عندما طالبت الحركة الوطنية المغربية بالاستقلال. و إذا كان ذلك يعتبر من أهم مكاسب هذه الزيارة بالنسبة لها، فإنه كان أكثر من ذلك بالنسبة للعرش العلوي الذي أثبت وجوده في هذه المدينة التي كادت أن تفقد هذا الملمح بفعل التجاذبات الدولية التي كانت تعيشها منذ مدة طويلة ومرة أخرى تلاحم النضال الوطني ضد الاستعمار الأجنبي مع "اليوسفية" في "الفكرة الاستقلالية" و

باسم "ميثاق طنجة" تضمنت مجموعة من البنود تمثلت في الكفاح في سبيل الاستقلال الكامل، وحدة المغرب الترابية، ورفض أية مفاوضة مع نظام الحماية في الشمال و الجنوب قبل إعلان الاستقلال، رفض أي اندماج في الإتحاد الفرنسي، و التعاون مع الجامعة العربية، رفض أي تعاون مع الشيوعيين المغاربة. حققت "الجهة الوطنية" على الصعيد الخارجي مجموعة من المكاسب مثل مساهمتها في مبادرة مع أحزاب من شمال أفريقيا في جانفي 1952 تمثلت في إرسال مذكرة احتجاج إلى الأمين العام للأمم المتحدة ضد إجراءات القمع التي مارستها فرنسا في تونس. شارك في هذه المبادرة عن الجزائر جمعية العلماء المسلمين و حركة انتصار الحريات الديمقراطية و الإتحاد الديمقراطي للبان الجزائري، و عن تونس الحزب الحر الدستوري، و الجهة الوطنية، والحزب الدستوري الجديد. وفي مارس 1952 احتجت على قرار الحلف الأطلسي في مؤتمر "ليشبونة" الذي أدخل إلى عضويته كلا من المغرب وتونس. وفي ماي 1952 أرسلت مذكرة إلى محكمة لاهاي الدولية حول النزاع الأمريكي الفرنسي التجاري في المغرب، جاء فيها أن هذا الأخير يعتبر نفسه غير معن بأي قرار تصدره المحكمة حوله، لأنه لم تكن أية حكومة وطنية تمثله في هذا النزاع.

¹ - لاندو روم، محمد الخامس، مصدر سابق، ص، 24.

في "الأرض المغربية". و يبدو أن ذلك كان من أهم أسباب عدم انعقاد أي مؤتمر آخر لإعادة النظر في نظام المدينة تفاديا لإثارة المطالب الوطنية الاستقلالية لهذه المدينة أكثر مما أثرت في افريل 1947¹.

5 - 2 صدى الخطاب لدى الحركة الوطنية المغربية:

ذكر علال الفاسي أن مراسل جريدة "Le Monde" لومند الذي حضر مجريات الزيارة السلطانية لمدينة طنجة في افريل 1947 صرح له أن " هذه الزيارة كانت قطعا و بدون أدنى شك نصرا مبينا للوطنية المغربية وحركتها الاستقلالية "². لقد كانت هذه العبارة تلخيصا مركزا لما كان لهذه الزيارة من انعكاسات على الحركة الوطنية المغربية في شمالها و جنوبها. فلأول مرة توحدت هذه الحركة حول الزيارة السلطانية لمدينة طنجة و أثرت فيها كما تأثرت بها

فبالرغم من الخلافات التي كانت الحركة الوطنية المغربية تعرفها بين الشمال و الجنوب و حتى في المنطقة نفسها. فإن السلطان تمكن في هذه الزيارة من توحيد الحركة الوطنية الشمالية و الجنوبية حول مضمون خطابها. فكل الأحزاب في الشمال و الجنوب على حد سواء اعتبرت الزيارة حدثا وطنيا فريدا من نوعه. و تفاعلت معه بشكل كبير. كما أن الزيارة تضمنت نشاطا سريا لم يرد في برنامجها الرسمي تمثل في لقاء السلطان بممثلي أحزاب الحركة الوطنية الشمالية والجنوبية.

لقد تداولت هذه الأحزاب هذه الزيارة بكل مضامينها على أنها انتصار للوطنية المغربية لطالما بحثوا عنه منذ مطلع الثلاثينات. عندما سعوا لجلب القصر للصف الوطني لمقاومة نظام الحماية. فقد قاموا حينها بكل المجهودات لتحويل السلطان من أداة لنظام الحماية إلى أداة للتحرر منه وإذا لم يتحقق ذلك في تلك الفترة. و بقي السلطان سجين الفصل الثالث من معاهدة الحماية في 30 مارس 1912. فإن هذه الزيارة كانت تمردا على ذلك الفصل وغيره من فصول هذه المعاهدة. و لذلك اندمجت كل الأحزاب الوطنية المغربية في الشمال و الجنوب في هذا المشروع السلطاني. فقد كان لها اختلافات كثيرة فيما يخص مرجعياتها الفكرية وأساليب كفاحها. و قد اختلفت أحزاب الشمال مع أحزاب الجنوب، و تناقضت أحزاب كل منطقة فيما

¹ - Isaac J. Assayag, *Tanger : un siècle d'histoire*, op.cit. p 212.

² - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 367.

بينها. إلا أنه في هذه المرة توحدت كلها حول هذا المشروع فكرة ومسارا و نتائجا. و تنافست في بينها حول من يظهر أمام السلطان بمظهر المدعم له، بل التابع له، فقد بحث السلطان بعد قمة "أنفا" في جانفي 1943 عن الوطنيين لمساعدته في التحول إلى زعيم وطني. و بعد الزيارة السلطانية في أفريل 1947 أصبح هؤلاء مرتبطون به لأنه تحول بالنسبة لهم إلى المصدر الوحيد للوطنية المغربية الشرعية. التي أصبحت مهمتها الأساسية تتمثل في تخليص المغرب من نظام الحماية¹.

• صدى الخطاب على الحركة الوطنية الشمالية الخليفية :

لقد كانت الحركة الوطنية الخليفية من أسباب نجاح هذه الزيارة. لما كان لها من دور بتقديرها على أنها تأكيد على البعد المغربي للشمال. فمنذ الإعلان عن هذه الزيارة استنفرت أحزابها أهالي الشمال نحو مدينة طنجة لاستقبال السلطان والمشاركة في هذا الحدث التاريخي. فتفاعلت معها تحضيرا و مشاركة. و حتى بعد انتهائها. فقد اعتبرها رئيس "حزب الإصلاح" عبد الخالق الطريس في رسالة إلى السلطان "ضمانة الوحدة المغربية"². كما شارك في إنجازها بمختلف الوسائل. سواء من حيث اتصالاته المكثفة مع ممثلي الهيئة الدولية في مدينة طنجة أو من حيث قيامه بحملة إعلامية كبيرة للتشهير بها خارج المغرب باستدعاء عدد كبير من الصحفيين العرب والأجانب. و ذلك من أجل التعريف بحقيقة أهدافها. و إسقاط الأطروحة الإعلامية الفرنسية التي اعتبرتها مشروعا للمقيم العام "لابون" في إطار سياسته الليبرالية الجديدة. وفي نفس الوقت إفشال المشروع الإسباني الذي كان يرى في هذه الزيارة فرصة لضرب الوصاية الفرنسية على السلطان. فقد كان المقيم العام "لابون" يعلم بما قام به الوزير الإسباني من إحاطة تامة بالسلطان بمجرد وصوله للمدينة محرضا إياه على القطيعة مع فرنسا³. و لذلك كان الهدف من دعوة تلك الصحافة بالنسبة لحزب الإصلاح هو إبراز حقيقتها بأنها مشروعا وطنيا يسعى لتحقيق التحرر و الوحدة⁴. و لتحقيق ذلك شعبيا قام الحزب بحملة دعائية واسعة لسكان الشمال للانتقال إلى مدينة طنجة لمتابعة مجريات الزيارة. و قد احتج الطريس لدى السلطات الإسبانية عندما قامت بغلق الحدود مع هذه المدينة

¹ - جون واتروري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 93.

² - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص 175.

³ - Stéphane Bernard *Le Conflit Franco-Marocain*, 1 vol, op .cit, p 102.

⁴ - *ibid*.

في مطلع شهر افريل 1947، و منع آلاف المغاربة من دخولها¹. لأن حضور هؤلاء بالنسبة لحزب الإصلاح كان يحقق هدفا في غاية الأهمية تمثل في اتصال السلطان ولأول مرة بـ"الرعايا الآخرون للسلطنة".

فمنذ إعلان الحماية المزدوجة على المغرب سنة 1912 لم يتم هذا الاتصال. فقد عملت الإدارة الإسبانية بكل جهودها على إبعاد هؤلاء عن مركز السلطة العلوية. ولو بسياسة ليبرالية كانت في صالح الحركة الوطنية الخليفية. تمثلت بعض مظاهرها في تعيين بعض الزعماء الوطنيين بمناصب سيادية كما هو الحال لمحمد مكي الناصري الذي تولى إدارة "معهد المولى الحسن للبحوث المغربية"². وعبد الخالق الطريس الذي اشترط فرانكو تعيينه وزيرا للأحباس من أجل السماح لحزب الإصلاح بالنشاط³. و لضمان حضور هؤلاء الرعايا في هذه المدينة كون حزب الإصلاح وفدا ضم ممثلين عن جميع مدن و قرى المنطقة الخليفية ليشارك في استقبال السلطان كدلالة شعبية أكثر منها حزبية⁴.

أما أثناء الزيارة فقد قام حزب الإصلاح بدور محوري فيها. سواء من حيث تأطير الجماهير الطنجية. أو من حيث اللقاء السري الذي تم بين السلطان و الطريس الذي كان له أهمية كبرى لأنه جمع بين مهمتين أساسيتين بالنسبة له. فبالإضافة إلى مهمته الأساسية في تعبئة مغاربة المنطقة الشمالية للقضية الوطنية. و بصورة خاصة لمكانة السلطان محمد بن يوسف فيها. فقد أصبح الطريس فيما بعد مبعوثا للقاهرة لطرح القضية المغربية أمام الرأي العام العربي في الجامعة العربية. و قد شجعه السلطان على هذه المهمة لأنه رأى فيها متنفسا استراتيجيا للقضية المغربية. فقد فتح السلطان أبواب المواجهة مع نظام الحماية في الشمال و الجنوب على مصراعيها. و كان التأييد الخارجي بالنسبة له من ضرورات هذه المواجهة فبالإضافة إلى الطريس الذي توجه إلى القاهرة. كان السلطان كذلك من وراء توجه المهدي بنونة إلى نيويورك لطرح القضية المغربية. ففي سبتمبر 1947 قدم المهدي بنونة مذكرة تحت

¹ - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص 175.

² - منشورات دار الحديث الحسنية، سيرة الشيخ محمد المكي الناصري: شهادات و وثائق عن حياته وجهاده في خدمة العلم والدين و الوطن، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1991، ص 293.

³ - Jean Wolf, Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol, op.cit. , p , 206.

⁴ - Ibid. , p 240.

عنوان "الأزمة المغربية" للسلطات الأمريكية والأمم المتحدة. كما كان له دور في تأسيس "مكتب المغرب العربي" في نيويورك¹. وقد كان لزيارة السلطان الأثر البارز في كل هذه التطورات². و بالإضافة إلى مشاركة حزب الإصلاح في تحضير هذه الزيارة، فقد كان له كذلك حضورا ملفتا للانتباه أثناء الزيارة. فقد كان منشطا أساسيا لمجرياتهما. حيث كان لرئيسه عبد الخالق الطريس دورا في إظهار السلطان صاحب السيادة المغربية الكاملة في الوسط الدبلوماسي الذي كان هدفا لتحركات السلطان. فقد كان أول من أعلمه السلطان برغبته في زيارة المنطقة الإسبانية و مدينة طنجة و كل التفاصيل المرتبطة بها³. و لم يكن الخطاب المؤثر الذي ألقاه الطريس أمام هذه الهيئة إلا ليؤكد هذه المكانة. فقد اعتبر السلطان "حامي الملة و الدين، و مصدر الهداية و الافتداء"⁴. فالنسبة له فإنه "لا حرية ولا عز للشعب المغربي بدون الاستقلال. الذي أصبح عهدا على المغرب شعبا وحركة وطنية أنه لا طريق آخر له ما عدا السلطان"⁵.

و إذا كان هذا الخطاب قد أبكى السلطان الذي لم يستطع مسك دموعه⁶، فإنه جلب للطريس الكثير من العداوة من طرف نظام "فرانكو" الذي اعتبر هذه الزيارة "كارثة" على سياسته المغربية. فقد أنهى عبد الخالق الطريس في طنجة سياسة التوافق الكلي مع السلطات الإسبانية التي بدأها منذ تأسيس الحزب سنة 1936. و تحول بين عشية و ضحاها إلى عنصر غير مرغوب فيه في تطوان. ففي 7 فيفري 1948 منع الطريس مع المهدي بنونة و أحمد بن عبود من دخول المنطقة الشمالية بأمر من "المحافظ السامي"⁷. وقد كان ذلك بمثابة نهاية لتلك "المرحلة الذهبية" بين الحركة الوطنية الخليفية ونظام فرانكو (التي كانت محل نقد لاذع من طرف عدد من الوطنيين المغاربة مثل الوزاني⁸).

¹ - *Nationalistes Marocains: Activités nationalistes à New York (Mahdi Benouna), Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO/66, Nationalistes Marocains, juillet 1947 – déc. 1949.*

² - Jean Wolf, *Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol, op.cit, p243.*

³ - *Ibid.*, p 240. .

⁴ - *Ibid.*, p 242. .

⁵ - *Ibid.*.

⁶ - حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص 176.

⁷ - Jean Wolf, *Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol, op.cit, p 244.*

⁸ - اعتبر الوزاني أن تأسيس حزب الإصلاح سنة 1936 برعاية عبد الخالق الطريس أدى إلى انفصال الشمال عن كتلة العمل الوطني التي تأسست سنة 1934. خاصة بعد أن أقدم هذا الحزب على تأسيس منظمة فاشية تقليدا للحزب الفلانجي. و كان ذلك

إلا أن كل ذلك انتهى في طنجة. و بدأت بذلك مرحلة جديدة تميزت بالمواجهة بين مدريد ممثلة في المحافظ السامي الجنرال "فاريلا" والحركة الوطنية الشمالية الخليفية و وهي نفس المواجهة التي كانت قد بدأت منذ ماي 1947 بين الحركة الوطنية الجنوبية السلطانية و باريس ممثلة في مقيمها العام الجديد الجنرال "جوان". و قد أدى ذلك إلى وحدة الحركة الوطنية المغربية في الشمال و الجنوب من أجل تحرير كل المغرب. و كان ذلك تحت قيادة السلطان محمد بن يوسف. و قد كان ذلك من النتائج الكبرى لزيارته التاريخية لمدينة طنجة. و لخطاب 10 افريل 1947، الذي أصبح ميثاقا وطنيا تحرريا. فمنذ ذلك التاريخ دخل المغرب في الشمال و الجنوب في مرحلة تاريخية حاسمة¹.

ولتأكيد هذه المرحلة فإن اللجان الشعبية التي دفع بها "حزب الإصلاح" دفعا في مدينة طنجة كان لها دورا هي الأخرى في إظهار السلطان بمظهر "الزعيم الشعبي" بالإضافة إلى كونه "أميرا للمؤمنين". فقد كان الوطنيون المغاربة "بحاجة إلى هذا الزعيم لضمان تأييد جماهري للحركة الوطنية. ولم يكونوا يأملون في الحصول عليه لوحدهم"². فقد كان ذلك في نفس الوقت من مظاهر التحالف الاستراتيجي الذي أكسب السلطان نفوذا كبيرا. بفضل الوطنيين في المنطقة السلطانية و الخليفية على حد سواء³. و لكن هؤلاء لم يكونوا يعلموا أنهم "عندما جعلوا منه الرمز الأعلى للنضال من أجل الاستقلال، منحوه في نفس الوقت إمكانية التصرف في مستقبل المغرب و المغاربة. وهذا ما أدى به إلى أن يعتبر نفسه، وبشكل متعال، فوق المصالح الخاصة والتكتلات السياسية. و حينها أصبح هؤلاء الوطنيين هم المستهدفين"⁴.

و في نفس المنطقة الخليفية فقد اعتبر "حزب الوحدة المغربية" بزعامة محمد مكي الناصري الزيارة السلطانية شكل من أشكال إعادة الاعتبار للحركة الوطنية الخليفية. فهذه الأخيرة كثيرا ما كان لها مسار تاريخيا مختلفا عما عرفته نظيرتها في الجنوب. و كأنها كانت

من جميع الجوانب. و كان ذلك بمثابة تبعية إيديولوجية لنظام دولة الاحتلال. و كان بمثابة تناقضا مع التعاليم الإسلامية و الوطنية. أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 04، مصدر سابق، ص 232-235.

¹ - Jean Wolf, Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol, op.cit, p 244.

² - جون واتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 93.

³ - جون واتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 93.

⁴ - المصدر نفسه.

معزولة عن حركة التاريخ في السلطنة العلوية الشريفة. وبالرغم من أنها كانت سباقة للكثير من المحطات الحاسمة ولكنها لم يكن لها تأثير على الوضع المغربي العام مقارنة بما حدث في الجنوب¹ فقد كان في هذه المنطقة أب الحركة الوطنية المغربية عبد السلام بنونة². الذي قال فيه أمير البيان شكيب أرسلان بأنه "لا يمكن أن يكتب تاريخ النهضة المغربية على الوجه الصحيح ما لم يصرح المؤرخ بأن الحاج عبد السلام بنونة هو المجلى في الحلبة و المتقدم في الرتبة"³. و قد هنا الناصري المدينة التي وحدث المغرب من جديد، بعدما كانت في السابق المكان الذي تم فيه تمزيقه⁴. فقد اعتبر الناصري أنها، و بفعل هذه الزيارة، تحولت إلى رمز تحرير و توحيد المغرب من جديد. بعدما كانت منذ نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين المدينة التي نسج فيها الكثير من المناورات الاستعمارية لتقسيم المغرب. كما كانت مركزا لما كان يعرف بـ "القضية المغربية" *L'affaire Marocaine*⁵. التي انتهت بتقسيم المغرب

¹ - عرفت المنطقة الشمالية الكثير من الأحداث الهامة و لكن لم يكن لها تأثير على المغرب بصورة عامة. ففي سنة 1926 تم تأسيس "الرابطة المغربية" و لكن لم يكن لها تأثير واضحا على الوطنية المغربية مقارنة مع "كتلة العمل المغربي" في الجنوب التي تأسست سنة 1934. و في نوفمبر 1942 أعلن عن الميثاق الوطني في الشمال الذي أدى إلى تأسيس "الجهة القومية" بين حزبي الإصلاح و الوحدة المغربية. التي كان لها هدف "استعادة وحدة التراب المغربي الكاملة في أقرب وقت" و غيرها من المبادئ الاستقلالية انظر، حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص 247. و بالرغم من أهمية مضمون هذا الميثاق و لكنه لم يكن له أي اثر على الحركة الوطنية الجنوبية. فقد اعتبر الوزاني أن حركة المطالبة بالاستقلال التي عرفتها المنطقة الجنوبية سنة 1944 لا علاقة لها بذلك الميثاق فحسب الوزاني فإن "الوطنيين في الرباط و فاس لم يكونوا ينظرون بعين الثقة و الجد إلى ما كان يجري في الأوساط التطوانية التي اعتادت أن تكون في نشاطها مسالمة للسياسة الإسبانية" أنظر، محمد حسن الوزاني، مذكرات حياة و جهاد، ج 04، مصدر سابق، ص 122.

² - الحاج عبد السلام بنونة من مواليد 1887، شغل عدة مناصب مخزية كبرى منها وظيفة الحسبة ثم وزارة المالية في الحكومة الخليفة. و قد كان رائدا من رواد النهضة التعليمية سواء مثل مشروع المدرسة الأهلية. كما قام بإرسال البعثات التعليمية للمشرق العربي. كما كانت له علاقات وطيدة مع مفتي القدس الحاج أمين الحسيني و الأمير شكيب أرسلان. و قد استغل قيام الجمهورية في اسبانيا من اجل الحصول على مكاسب لصالح الحركة الوطنية المغربية. و كانت له اهتمامات قومية أخرى مثل كفاح الليبيين من اجل الاستقلال. و السعي لعقد المؤتمر الإسلامي بالقدس و المشاركة فيه. توفي سنة 1935. أنظر، حسن الصفار، حزب الإصلاح الوطني، مرجع سابق، ص 21، 22.

³ - محمد العربي الشاوش و آخرون، صفحات من تاريخ الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط 1980، ص 03.

⁴ - محمد معروف الدفالي صدى الزيارة الملكية لطنجة، مرجع سابق، ص 172-179.

⁵ - Ministère des affaires étrangères, Documents Diplomatiques Affaires Du Maroc ,1900-1912, Imprimerie Nationale Paris, 1912, p 632.

إلى شمال خضع للسيطرة الإسبانية و جنوبه للحماية الفرنسية.و إخضاع مدينة طنجة للنظام الدولي¹.

و قد اعتبر حزب الوحدة المغربية أنه إذا كانت أنشطة السلطان محمد بن يوسف محورية بالنسبة لهذه الزيارة. فإن الأنشطة الأميرية الأخرى لكل من الأمير الحسن و الأميرة عائشة لها دلالاتها الخاصة. فقد كان ذلك بمثابة اقتسام للأدوار بين العائلة السلطانية. فقد اتخذ خطاب السلطان بعدا سياسيا لأنه كان بمثابة "برنامج سياسي للمغرب في الداخل و الخارج"². و قد تضمن "مطالب المغرب التحررية و تمسكه بوحدته الوطنية"³. كما حدد بشكل قطعي ونهائي هوية الشعب المغرب بانتمائه الحضاري العربي الإسلامي⁴. فقد اعتبر حزب الوحدة المغربية أن السلطان ظهر في طنجة بكونه "قائدا سياسيا" و "أميرا للمؤمنين". و "موحدا للمغرب"⁵. أما الخطابات الأميرية فقد كان لها بعدا آخر، لأنها ركزت على المضمون الفكري للبرنامج السلطاني. بتناولها لمشروع "النهضة المغربية الشاملة" في جوانبها الأدبية والتربوية. و في هذا الاتجاه تبادل محمد مكي الناصري مع الأمير الحسن خطبا حول دور "المدرسة الاستعمارية" و "المدرسة الوطنية" مع التأكيد على ارتباط المغرب ثقافيا بالشرق⁶. و قد اعتبر الناصري خطاب الأمير الحسن "الصيقا بالسياسة الداخلية. فقد تناول مقتضيات النهضة المغربية بمختلف مظاهرها"⁷. أما خطاب الأميرة عائشة فقد كان له أهمية خاصة لأنه كان متوجها "لاستنهاض الفتاة المغربية و الزج بها في معركة الحياة الجديدة التي تخوضها البلاد"⁸. لقد كانت مشاركة العائلة السلطانية في زيارة طنجة بالنسبة لحزب الوحدة المغربية شكل من أشكال النهضة المغربية من جميع الجوانب. فقد اقتسمت هذه العائلة أدوارا ريادية في هذه

¹ - محمد مكي الناصري، الشعب بالعرش و العرش بالشعب: تحت راية العرش، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993، ص 137.

² - محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية، مصدر سابق. ص 19 - 32.

³ - المصدر نفسه

⁴ - محمد مكي الناصري، الشعب بالعرش و العرش بالشعب، مصدر سابق، ص 139.

⁵ - المصدر نفسه.

⁶ - محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية، مصدر سابق. ص 19 - 32.

⁷ - المصدر نفسه.

⁸ - المصدر نفسه.

المدينة. واتجه كل منهم للحديث عن جانب من جوانب مشروع "تحرير وتوحيد المغرب"¹. وإذا كان ذلك قد حقق نجاحا باهرا في حينه. فإنه من جانب آخر أعطى ظهور هذه القوة السلطانية انطبعا بأن السلطان محمد بن يوسف قد بدأ فعلا في تغيير إحدى أقدم ممارسات السلطة العلوية المتعلقة بتعيين السلطان. فقد كان ذلك من اختصاص "أهل والعقد"².

فلم يحدث منذ تأسيس هذه الدولة سنة 1666 من طرف السلطان مولاي علي الشريف إلى غاية السلطان يوسف بن الحسن الذي انتهى حكمه سنة 1927 أن تم تعيين ولي عهد لسلطان علوي. و لكن ظهر منذ الزيارة السلطانية لمدينة طنجة سنة 1947، وحتى ما قبلها، أن هذا الأساس من الأسس الرئيسية التي بنيت عليها الدولة العلوية سيتم تغييره. و بغض النظر على أن مطالبة السلطان بتعيين ولي عهده كان من مطالب الحركة الوطنية المغربية منذ الثلاثينات لاعتبارات تحررية، فإن ذلك جعل لهذه الزيارة أهدافا أخرى بالإضافة إلى أهدافها الوطنية التحررية والوحدوية. و لم تكن فقط للتأكيد على دور السلطان على أنه مرجعية وحيدة في المغرب، و لكن لمواصلة إبراز الدور المحوري لعضو آخر من هذه العائلة السلطانية المتمثل في الأمير الحسن بهدف تثبيت شرعيته التي ستسمح له بالتحول إلى سلطان المغرب بدون الحاجة إلى أهل الحل والعقد. وهذا ما تم في 09 جويلية 1957. فبعد أن أكد السلطان بقاء العرش العلوي حاكما في المغرب المستقل. و لضمان استمرارية ذلك من بعده، خاصة في المغرب الذي كان في مهب العاصفة، أعلن بصفته الملك محمد الخامس³ نجله الأمير الحسن وليا للعهد أمام العائلة السلطانية وجمهور علماء المملكة. والأحزاب المغربية وممثلي مكونات المجتمع المغربي بما فيهم الجالية اليهودية وسفير كل من دولة فرنسا وإسبانيا. وكان السلطان أراد أن يجعل من هؤلاء بديلا عن جماعة أهل الحل والعقد. فلقد تضمنت كل ممارسة وطنية قام بها السلطان منذ 1942 حرصه على ضمان استمرارية دولة الأشراف العلويين. و لو بقيامه "بإجراء ثوري ما كان ليمر بسلام في محطة تاريخية سابقة من تاريخ دولة العلويين الأشراف" على حد تعبير جوليان⁴.

¹ - المصدر نفسه.

² - Abdallah Laroui, *les origines*, op.cit, p 71 – 80.

³ - تم تغيير التسمية من سلطان إلى ملك في 15 أوت 1957. و في جوان 1961 أصبحت التسمية الرسمية لدولة الأشراف العلويين "المملكة المغربية". أنظر. Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p 487.

⁴ - *ibid.*, p 488.

لقد كان ذلك " بركة " من نتائج ما سماه محمد مكي الناصري بـ"بركات رحلة الوحدة" التي اعتبر أن " خيرها قد عم المغرب في الشمال والجنوب بعد تلك الزيارة"¹. ولكن عندما كان الناصري وغيره من الوطنيين المغاربة في الشمال والجنوب كذلك ينتظرون الاستفادة من هذه "البركات" بعد الاستقلال بظهور دورهم الريادي المنتظر في المغرب المستقل، ظهر لهم أنهم ساهموا في "تكوين نزعة استبدادية للسلطان. لأنهم لم يتوقفوا عن التردد على مسامعه أثناء زيارته لمدينة طنجة، و في غيرها من المناسبات، بأنه الرجل العظيم و انه وحده القادر على مواجهة الفرنسيين... مما أدى به في النهاية إلى الإيمان بسلطته الفردية"² و هكذا فإذا كان قد اقتسم دوره الوطني مع نجله الأمير الحسن و عقيلته الأميرة عائشة أثناء زيارته لمدينة طنجة في أبريل 1947 كما قال بذلك محمد مكي الناصري، فإنه واصل ذلك بعد الاستقلال بشكل آخر لأنه جعل من الأمير الحسن "ملكا للبلاد، ورئيسا للدولة، وزعيما للنخبة، وأميرا للمؤمنين"³. و قد كان ذلك كله بدون منازع و لا منافس. و إذا كان بعض الوطنيين قد أدركوا ذلك بعد الاستقلال فإنه، كان قد فات الأوان⁴.

• انعكاسات الزيارة على الحركة الوطنية الجنوبية السلطانية :

لقد احتضنت أحزاب المنطقة الخلفية هذه الزيارة باعتبارها حدثا محوريا في مجال حركتها و لذلك قامت بكل أشكال التعبئة الشعبية والإعلامية لإجاحتها. أما بالنسبة لأحزاب المنطقة السلطانية، والمتمثلة بصورة أساسية في حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال فإنها رأت في هذه الزيارة فرصة تاريخية للظهور في هذه المدينة البعيدة عنهما، والمنطقة الخلفية بصورة عامة، كحركة وطنية شعبية لها برنامج وطني تحرري لكامل المغرب وليس للمنطقة السلطانية فقط. فلأول مرة أتيح لهما هذه الفرصة في الشمال. و في نفس الوقت تنافست فيما بينها للظهور بالولاء المطلق للسلطان. فقد اختلف علل الفاسي و الوزاني منذ سنة 1937 في كل شيء ما عدا الولاء للعرش العلوي. فبعد إطلاق سراحهما سنة 1946 كانت هذه الزيارة فرصة لإبراز هذا الولاء بمختلف الأشكال. كما كانت هذه الزيارة بالنسبة لهما

¹ - محمد مكي الناصري، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية، مصدر سابق. 19 - 32.

² - جون واتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 93.

³ - المصدر نفسه، ص 207.

⁴ - المصدر نفسه.

مؤشرا لمرحلة جديدة من الوطنية المغربية مختلفة تماما عن سابقتها من المراحل في علاقتهما مع السلطان. فقد كانت هذه الحركة سنة 1934 صاحبة المبادرة في السعي إلى جلبه للدائرة الوطنية. و تحويله من أداة لسلطات الحماية إلى أداة للتحرر منها. إلا أنه في زيارته لمدينة طنجة في افريل 1947 كان السلطان هو صاحب هذه المبادرة في استقطاب الأحزاب المغربية و لذلك سكنها متنفسا جديدا. وتنافست فيما بينها. و استعد كل منهما حسب وضعه و طاقته للمشاركة في هذا الحدث. و إحاطتها بما يستحقه من هالة حول من يصبح في الصف الأول منه¹.

لقد كانت هذه الزيارة النسبة لحزب الاستقلال فرصة للظهور بكل ما يملكه من قدرات تعبوية للشعب المغربي من جميع الجوانب. والظهور بمظهر القوة الأولى، و حتى الوحيدة، في المغرب أمام السلطان. فلطالما كان هذا الحزب يعتبر نفسه القوة الطلائعية الوحيدة في المنطقة السلطانية. و قد جاءت فرصة تاريخية لإثبات ذلك في المنطقة الخليفية. فكل أدبيات القادة الاستقلاليين مثل علال الفاسي وعبد الكريم غلاب وأبو بكر القادري وغيرهم²، كانت تتضمن هذه المسألة. فالنسبة لهم يعتبر حزب الاستقلال أصل الحركة الوطنية المغربية منذ مطلع الثلاثينات. كما اعتبروا أنفسهم محورها الذي يجب أن ينضم إليه الجميع. وأي اجتهاد من طرف أي أحد خارج هذه المنظومة كان محل تهميش وانتقاد (وحتى اضطهاد بعد الاستقلال) ويعتبر "الشوريون" من أكبر ضحايا هذا الموقف (قبل الاستقلال وبعده). فقد كان سجالهم مع "الاستقلاليين" من أهم ملامح تاريخ الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية³. و قد تجلّى ذلك في عدة مظاهر وعلى رأسها الولاء للسلطان. و قد كانت هذه الزيارة مناسبة لكل منهما لإبراز ذلك و التنافس في تقدير هذه الزيارة وإبراز مكانتها بالنسبة للحركة الوطنية المغربية على المستوى الداخلي، باعتبارها محطة فاصلة في مسار نضال الشعب المغربي لاسترجاع سيادته المنتهكة داخليا بعدة مسميات في الشمال والجنوب. و في مدينة طنجة. و

¹ - محمد معروف الدفالي صدى الزيارة الملكية لطنجة، مرجع سابق، ص 172-179.

² - ظهر ذلك بشكل واضح في كتابات هؤلاء سواء بالنسبة لعالل الفاسي في كتابه "الحركات الاستقلالية" أو عبد الكريم غلاب في "تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب" و أبو بكر القادري في "مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية".

³ - ظهر ذلك في كتابات هؤلاء فكل مذكرات محمد حسن الوزاني كلها تضمنت انتقادا هؤلاء في أفكارهم ومواقفهم في مختلف اخطات التاريخة. وكذلك الأمر بالنسبة لأبو بكر القادري وعبد الكريم غلاب في مؤلفاتهما التي تضمنت نفس الانتقادات.

خارجيا بإظهار السلطان بمظهر "قائد الأمة المغربية" الذي خاطب ممثلي الدول بصلاحيات كاملة غير منقوصة¹.

لقد اعتبر "الاستقاليون" الزيارة السلطانية لمدينة طنجة بمثابة بداية لتاريخ جديد للمغرب و المغربية. فحتى عندما قتل هؤلاء في مجزرة الدار البيضاء في 07 أفريل 1947 اعتبروا ذلك بغرض توقيف هذا التاريخ و لذلك يجب تأجيل الحديث عن حجم الكارثة إلى ما بعد الزيارة². خاصة و أنه بالنسبة لرعيمة علل الفاسي "أعدت العدة الكاملة للمشاركة في هذه الأفراح الشعبية و الإذاعة عنها"³. و قد شمل هذا التحضير الجانب الإعلامي عندما خصص هذا الحزب عددا من لسان حاله جريدة "العلم" حول مدينة طنجة وموقعها وأهمية الزيارة السلطانية لها. و قد تم توزيع هذا العدد مجانا على المغربية. و قد تم اختيار توقيتا دقيقا لتوزيعه تمثل في وصول القطار الذي كان يقل السلطان و مرافقيه لمدينة طنجة⁴. و بالموازاة مع ذلك أصدر نشرية باللغة الفرنسية لتوزيعها على الصحافة العالمية، التي أصبحت جعلت منها مصدرا لمعلوماتها⁵. و في نفس السياق قام حزب الاستقلال بسابقة إعلامية في تلك المرحلة تمثلت في إنجاز شريطا سينمائيا حول جميع مراحل مظاهر الزيارة السلطانية و كل الأنشطة المرتبطة بها⁶. وقد حولته "شركة ستديو المغرب" إلى "فيلم قومي رائع"⁷. واعتمد عليه حزب الاستقلال بعد الزيارة كوسيلة دعائية رئيسية. ونظرا لما كان له من تأثير في

¹ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص 20.

² - بعد حدوث المجزرة قدم عبد الرحمن اليوسفي من الدار البيضاء إلى مقر الحزب بالرباط يوم 08 أفريل 1947 يحمل صورا موثقة لعشرات القتلى المغاربة الذين سقطوا في تلك المجزرة لاتخاذ الموقف المناسب ففوجئ برد محمد اليزيدي بأن الأولوية لزيارة السلطان لمدينة طنجة و لا يجب التشويش عليها. و بقدر ما يعبر هذا الموقف عن أهمية هذه الزيارة بالنسبة لحزب الاستقلال يعبر كذلك عن بداية الخلاف بين النخبة البرجوازية لهذا الحزب و مجموعة الشباب أبناء الطبقة الفقيرة أمثال بن بركة و اليوسفي و بوعبيد و آخرون. و يعتبر هذا جذور أزمة حزب الاستقلال لسما بعد الاستقلال و خاصة سنة 1959 عندما انفجر و ظهر "الإتحاد الوطني للقوات الشعبية". أنظر، قادة دين المسار السياسي و الفكري للمهدي بن بركة، مرجع سابق، ص 133.

³ - علل الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 352.

⁴ - علل الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 352.

⁵ - علل الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 352.

⁶ - قام بذلك أحده قادة حزب الاستقلال و هو عبد الكبير الفاسي. أنظر، علل الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 352.

⁷ - علل الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 352.

الأوساط المغربية أصدر المقيم العام الجنرال "جوان" في أوت 1947 قرارا بمنع عرضه¹. لأنه اعتبره "وسيلة خطيرة لإثارة الكثير من الأحاسيس الشعبية المتعاطفة مع المطالب الوطنية المترتبة عن الزيارة، و التي كانت سلطات الحماية تريد لتجاوزها والقضاء عليها. كما أن عرضه المتواصل في أنحاء المغرب قد يؤدي إلى مناورات و مظاهرات معادية لفرنسا"². و قد لجأ مناضلي الحزب إلى عرضه بصورة سرية واعتماده كوسيلة لمواجهة السياسة القمعية التي باشرها الجنرال "جوان" للحد من تصاعد الحركة الوطنية المغربية. فقد أصبح الشعب المغربي في المدن والقرى يتناقل أخبار توقيت و مكان عرض هذا الفيلم³.

إلى جانب هذه التحضيرات اهتم حزب الاستقلال بهذه الزيارة بكل تفاصيلها الدقيقة. فقد أرخ لكل يوم من أيامها بما تضمنه من أنشطة ملكية. كما كانت نشرته الفرنسية بمثابة "وكالة أنباء" متنقلة قدمت في كل وقت مجريات هذه الزيارة ومضامينها وتصريحات السلطان للهيئة الدبلوماسية في مدينة طنجة. وللصحافة المغربية والدولية. وقد توقف حزب الاستقلال عند حدث إمامة السلطان للناس في صلاة الجمعة. فقد كانت بالنسبة له مفاجأة غير منتظرة. و سجلت "يوما مشهودا أحي تلك الأيام الزاهرة للإسلام. وسنة من سنن الخلفاء الراشدين، الذين كانوا يقومون بإرشاد، وتوجيه رعاياهم إلى ما فيه خير الأمة الإسلامية. وقد تمثل خير الشعب المغربي في تلك الخطبة في وحدة الشمال والجنوب، وعودة مدينة طنجة إلى انتمائها التاريخي والجغرافي"⁴. لقد كان هذا "الخطاب المقدس" بالنسبة لـ "الاستقلاليين" تأكيداً على السلطة الروحية للسلطان في هذه المدينة بعد أن تأكدت سلطته الزمنية⁵. و قد أدى كل ذلك إلى الولاء المطلق لـ "المغرب المتحد" للسلطان محمد بن يوسف⁶.

و قد تميز علال الفاسي بقراءة خاصة لمضمون الخطب التي أقيمت في طنجة. فالنسبة له تميزت الخطبة السلطانية المحورية في هذه الزيارة بحرص السلطان على أن تكون "الموعظة الدينية" مدخلا للتأكيد على صفته الدينية والزمنية في وقت واحد. و قد اقتضت

¹ - Voyage De Tanger Du 09 au 13 avril 1947 : Allocutions Discours Du 10 Avril, Réaction De la presse Marocaine Rapport De La Résidence, archives diplomatiques de la Courneuve , Paris , série " Maroc 1944 - 1955 " janv. - Avril 1947 24QO/13.

² - ibid.

³ - علال الفاسي، الحركات ، مصدر سابق ص 352.

⁴ - علال الفاسي، الحركات ، مصدر سابق ص 358.

⁵ - محمد معروف الدفالي صدى الزيارة الملكية لطنجة، مرجع سابق ، ص 172-179.

⁶ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 355.

هذه "المقاربة المقدسة" بتذكير المغاربة، بصفتهم جزءاً من الأمة الإسلامية، بحالة القوة التي كانت عليها هذه الأمة عندما كانت موحدة. ثم حالة الضعف التي آلت إليها بعد تجزئتها. ثم ربط كل ذلك بحالة الأمة المغربية التي كانت تعيش وضعاً مشابهاً. تمثل في الانحطاط والتجزئة التي كان من ورائها الاستعمار الأجنبي بمختلف الأشكال. و لذلك اعتبر السلطان النهضة المغربية مرتبطة بعملتي التحرير والتوحيد¹. و قد كان ذلك من أهم تلاحم الخطاب الديني مع الدنيوي لدى السلطان. فحتى النهضة المادية التي أرادها السلطان للمغرب كانت حسب علال الفاسي "ناشئة عن صوفية روحية دافعة لتنفيذ إرادة الله بعمارة الأرض و حماية الحق من الغاصبين"². و هي كذلك تأدية لواجب وطني و ديني معاً. لأنه اعتبر أن "السلطان أراد تذكير مواطنيه بالقيمة المعنوية للإنسان المغربي الذي لا يجب عليه أن يقصر في ما وضعت بين يديه العناية الإلهية تحت مسؤوليته و هو بلاد المغرب"³. و لعل أول مهمة يجب أن يقوم بها هذا الإنسان هي تحرير بلاده من الاستعمار الأجنبي⁴. و اندمجت بذلك "الموعظة الدينية" — "الموعظة سياسية". و هي نتيجة طبيعية لممارسة دور السلطان لـ "أمير المؤمنين" أولاً ثم "القائد السياسي" ثانياً. و هي ممارسة قديمة لدولة الأشراف العلويين، اعتمدها السلطان محمد بن يوسف لمواجهة الأوضاع المترتبة عن الاستعمار والانقسام. و في نفس الوقت للتأكيد على استمرارية هذه البنية التاريخية الموروثة عن أسلافه سلاطين الدولة العلوية الشريفة، وبصورة خاصة جده السلطان "الحسن الأول" الذي كان آخر أقوى سلطان قبل الحماية⁵.

كما اعتبر علال الفاسي إبراز البعد القومي للمغرب من أهم مظاهر هذا الخطاب. الذي أشار إلى أن تأسيس الجامعة العربية يعتبر "استبشاراً بالروح السائدة في العالم العربي، والتي وصلت إلى المغرب لأنه بلد عربي تملأ نفسه المثل العليا التي تملأ نفوس العرب والمسلمين

¹ - المصدر نفسه، ص 362.

² - المصدر نفسه، ص، 363.

³ - المصدر نفسه.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - جون واتربروري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 55.

جميعاً¹. ويعتبر ذلك ضماناً للشعب المغربي من الاندثار و "تكيف شخصيته مع غير الشخصية العربية الإسلامية العامة لجميع أفراد العرب"².

لقد استغل حزب الاستقلال زيارة السلطان لمدينة طنجة في أفريل 1947 للظهور بمظهر المهيمن على الساحة الوطنية. سواء من حيث التحضيرات الضخمة الاستعراضية التي قام بها أمام السلطان من جهة، وأمام الأطراف الأخرى في الداخل و الخارج من جهة أخرى. أو من حيث إعطائه انطبعا للجميع، وخاصة السلطان، على انه القوة الوطنية الرئيسية و حتى الوحيدة، التي يمكنها أن تكون سنداً للسلطان في موقفه هذا. و لذلك حضرت كل قياداته مجريات هذه الزيارة المتمثلة في علال الفاسي و أحمد بلافريج و عمر عبد الجليل و المهدي بن بركة و عبد الكريم بن جلون³. و في الحقيقة فان هذا الموقف هو استمرارية لمشروع الهيمنة على الحركة الوطنية الذي بدأه هذا الحزب منذ سنة 1937 عن طريق "الميثاق الوطني". و أكدده في جانفي 1944 بـ "بيان الاستقلال". فقد اعتبر عبد الكريم غلاب أن تأطير هذه الزيارة شعبياً كان من طرف "حزب الاستقلال و شقيقه حزب الإصلاح الوطني اللذان قاما بالدور الكامل في تعبئة الشعب و تنظيم المظاهرات الشعبية. و حتى في توفير الأمن للعائلة السلطانية"⁴.

كما اعتبر "الاستقلاليون" أنفسهم هدفاً للإجراءات الاستعمارية القمعية التي قام بها الجنرال "جوان" فيما بعد لأنهم كانوا مساهمين في برمجتها وتحديد أهدافها⁵. و لم يكن ذلك إهمالاً متعمداً لأدوار الوطنيين المغاربة الآخرين فقط، و لكن حتى "تحريفاً للحقائق" لأن كل الوثائق المرتبطة بهذه الزيارة تشير إلى أن هذه الزيارة كانت نتيجة مشاركة عدة أطراف بداية من المقيم العام "لابون". الذي جعل منها دعامة لسياسته "الليبرالية الجديدة" بالإضافة

¹ - علال الفاسي، الحركات، مصدر سابق ص 362.

² - المصدر نفسه.

³ - Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, p 286.

⁴ - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 362.

⁵ - تشير الوقائع إلى عكس هذا، ففي ديسمبر، 1947 شاركت شخصيات مرموقة من حزب الاستقلال في الانتخابات التي نظمتها الإقامة العامة من أجل الدخول إلى مجلس الحكومة، والنتيجة أن 19% من أعضاء القسم المغربي من هذا المجلس كانوا من حزب الاستقلال. و قد هنأه رئيس الجمهورية الفرنسية بريقة على هذا التقارب، و قد ذكرها علال الفاسي في كتابه "الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ص 370. إلا أن هذا التقارب انتهى في نهاية سنة 1950 بطرد الجنرال "جوان" الأعضاء الاستقلاليين من المجلس. و يعتبر ذلك بداية الأزمة المغربية الأولى.

إلى السلطات الإسبانية في الشمال. والإدارة الدولية في المدينة¹. بدون أن ننسى الدور الحاسم للحركة الوطنية الشمالية في ذلك. ولئن كان هذا معلوما لدى الجميع، بما فيهم حزب الاستقلال فإن هذا الأخير استعمل تلك الدعاية للتعبير عن طبيعة علاقته بالمؤسسة السلطانية. فقد كان يعتبرها (العلاقة) متميزة. و لم تستطع المكونات الأخرى للحركة الوطنية المغربية في الشمال والجنوب تحقيقها. خاصة عندما اعتبر أن نشاطه في هذه المدينة أثناء زيارة السلطان لها كان بالاتفاق مع السلطان، وحتى بطلب منه². فقد كان "الاستقاليون" يستغلون كل الفرص للتعبير عن علاقتهم المتميزة مع السلطان. وعن أولويتهم في ذلك مقارنة مع الآخرين. و قد كانت كل أدبياتهم عن هذه الزيارة تشير إلى ذلك. كما بقيت هذه النزعة سائدة حتى بعد استقلال المغرب. فمن أهم مظاهر الأزمة السياسية في المغرب المستقل سعي حزب الاستقلال للانفراد بالحكم³. و بالرغم من ذلك تحول إلى " ضحية للنظام السياسي الذي بذل الكثير من اجل تحقيقه" على حد تعبير "آشفورد"⁴.

و في نفس الاتجاه الذي بدأه حزب الاستقلال منذ تأسيسه في جانفي 1944 قام بقراءة "مقدسة" لهذه الزيارة. و لم يرقم الحزب في هذه المحطة، مثل غيرها من المحطات، بأية إشارة لبرنامج سياسي تحرري. و لم يظهر أي مضمون سياسي لبرنامج التحرير فحتى دعمه للملكية كان عاما و فضفاضا بدون أية ضوابط سياسية. فالنسبة لـ "الاستقاليين" كان "الدور المقدس للسلطان" الذي ظهر به في مدينة طنجة سنة 1947 الضمان الوحيد لتحرير الشعب المغربي، و حتى لنهضته. و تطوره. ولا يعتبر هذا جديدا في مسارهم التاريخي. ففي بيان الاستقلال لجانفي 1944 تراجعوا عن مبدأ الملكية الدستورية الذي اقترحوه في مشروعاتهم عندما طلب منهم السلطان ذلك بحجة عدم إثارة المؤسسة المخزنية ضدهم⁵.

¹ - Voyage De Tanger Du 09 au 13 avril 1947 : Allocutions Discours Du 10 Avril, Réaction De la presse Marocaine Rapport De La Résidence, archives diplomatiques de la Courneuve ,op.cit.

² - عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 362.

³ - صرح علال الفاسي في إحدى خطبه بعد الاستقلال في ساحة " مارشان " بمدينة طنجة أنه "ليس في المغرب من قوة إلا قوات ثلاث: أولها حزب الاستقلال، وثانيها قوة جيش التحرير، وثالثها قوة القصر، وإذا اعتبرنا جيش التحرير قوة من الحزب و إليه، كانت هنا في المغرب قوتان لا ثالث لهما هما قوة حزب الاستقلال و قوة القصر أو العرش". أنظر، المهدي المومني النجكاني، دار بريشة أو قصة محتطف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1987، ص 30.

⁴ - دوجلاس آي. آشفورد، التطورات السياسية في المملكة المغربية... مصدر سابق ص 282.

⁵ - تم التطرق لهذه القضية سابقا (بيان الاستقلال) .

و بالرغم من أن حزب الاستقلال ظهر في هذه المحطة بكونه "القوة الوطنية الأولى" إلا أنه بقي بدون برنامج متكامل يمكنه من التأثير الفعلي على مسار النضال التحرري. و ذلك بالرغم من ارتباطه الكبير بال جماهير¹. و لتعويض لذلك اتجه للتركيز على نشاطه الدعائي و الإعلامي في الخارج. سواء في القاهرة في إطار "الاتجاه الوحدوي المغربي"². وخاصة بعد إطلاق سراح عبد الكريم الخطابي في ماي 1947. أو في أوروبا من خلال دور "مكتب باريس" ولجان المساندة التي أيدته هناك من طرف عدد من الفرنسيين³. و حتى في أمريكا بما قام به "مكتب المغرب العربي" بنيويورك من دور في أروقة الأمم المتحدة⁴.

و هكذا فإن انعكاسات هذه الزيارة على حزب الاستقلال لم تكن إلا استمرارية لدوره على أنه "قوة طلائعية" في المغرب. مرتبطة بالعرش العلوي الشريف ارتباطا وثيقا. و قد اكسبه ذلك شرعية شعبية و تاريخية في نفس الوقت. و لكن كل ذلك تعرض للانهايار سنة 1959، أي ثلاث سنوات بعد استقلال المغرب. و عندها تساءل "الاستقلاليون" عن مدى صحة تلك القراءة "المقدسة" التي قام بها زعيم حزبهم علال الفاسي لهذه للزيارة السلطانية لمدينة طنجة في أفريل 1947. إلا أن هذا التساؤل كان جد متأخرا لأن "الواجهة المتراسة لحزب الاستقلال كانت قد انكسرت"⁵.

أما بالنسب للحزب الآخر من المنطقة السلطانية و المتمثل في "حزب الشورى و الاستقلال" فقد تزامنت الزيارة السلطانية لمدينة طنجة في أفريل 1947 مع قيامه باستكمال إجراءاته التنظيمية التأسيسية، فقد كان بصدد إصدار العدد الأول من لسان حاله جريدة "الرأي

¹ - عبد القادر الشاوي، حزب الاستقلال، مرجع سابق، ص 23.

² - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 494.

³ - قام عدد من المثقفين الفرنسيين بتأسيس "جمعية فرنسا- المغرب" من أجل "القضاء على القوانين الاستثنائية التي كانت منطقة شمال أفريقيا تعيشها" و قد كان أعضائها من مختلف الاتجاهات السياسية والاجتماعية حسب تعبير شارل أندري جوليان الذي كان من أبرز أعضائها و نائبا لرئيسها "فرانسوا مورياك" François Mauriac و من أهم أعضائها "ريجيس بلاشار" Régis Blachère و الجنرال "كاترو" Catroux و جورج كورس Georges Gorse و "لويس ما سينيون" Louis Massignon و "آلان سافري" Alain Savary.

⁴ - أنظر، Charles-André Julien, Le Maroc Face aux, op.cit, p 290.

⁵ - عبد القادر الشاوي، حزب الاستقلال، مرجع سابق، ص 30.

⁵ - جون واتربروري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 210.

العام"، و رغم ذلك تفاعل معها بشكل ملفت للنظر، فساهم أعضاؤه في تأطيرها¹، واعتبارها ذات وزن سياسي ودبلوماسي كبير، ورأى فيها عملية سياسية مقصودة أسبابا و نتائجاً. وقد أبرزت أدبيات الحزب هذه الزيارة من مختلف جوانبها، فوصفتها بالمنعطف الحاسم في تاريخ المغرب عامة والحركة الوطنية خاصة، واعتبرت خطاب السلطان الأول من نوعه في تاريخ المغرب منذ إعلان الحماية. لأنه جاء كأول ممارسة سياسية سلطانية صريحة في الاتجاه الوطني التحرري². وأصبح السلطان بالنسبة للحزب لسان حال الأمة المغربية، بإعلامه وتأكيداته في العاصمة الدبلوماسية لممثلي الدول الأوروبية عن البعد العربي الإسلامي لهذه الأمة، وانتمائها لمحور تاريخي حضاري يمتد من طنجة إلى دمشق³، وبالتالي لا يمكن لأي مشروع استعماري متجدد، وبغض النظر عن تسمياته ومضامينه، أن يفصل المغرب عن جسم الأمة العربية الإسلامية. ولذلك اعتبر الحزب تركيز الخطاب السلطاني على ميلاد الجامعة العربية حدثاً بارزاً في تاريخ الأمة المغربية لأنه عزز الروابط بين جميع العرب حيثما كانوا، ومكنتهم من توحيد طريقهم والسير نحو الرقي الأدبي⁴.

و من نماذج مقالات "الشوريين" حول مكانة هذه الزيارة بالنسبة لهم في جريدة "الرأي العام" ما كتبه مدير الجريدة أحمد بن سودة⁵ حول أحداث 07 أبريل 1947 تحت عنوان "فاجعة الدار البيضاء" ومقال عبد الهادي بوطالب بعنوان "طنجة عاصمة الدبلوماسية المغربية". وتغطية شاملة لأحد القادة الشوريين و هو إدريس الكتاني بعنوان "الزيارة الملكية لطنجة من شواهد

¹ - رافق الزيارة اثنان من أعضاء قادة الحزب و هما "عبد الهادي بوطالب" الذي اختاره القصر لمرافقة الرحلة ضمن أساتذة المعهد مولوي بصفته أستاذاً به، والثاني هو "إدريس الكتاني" بصفته مبعوثاً و مراسلاً خاصاً لجريدة الحزب، أنظر، محمد معروف الدفالي صدى الزيارة الملكية لطنجة، مرجع سابق، ص 172-179.

² - عم يتساءلون؟ جريدة "الرأي العام" الرقم 02، (23-04-1947).

³ - المصدر نفسه.

⁴ - شارل أندري جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، مصدر سابق، ص 396.

⁵ - ولد عام 1920 في مدينة فاس. تلقى تعليمه الأولي بالكتاب القرآني. تابع دراسته في جامعة القرويين. من مؤسسي "الحركة القومية". من مؤسسي حزب الشورى والاستقلال سنة 1946. و ترأس جريدة "الرأي العام" سنة 1946. و كان من مؤسسي "الاتحاد الوطني للقوات الشعبية" سنة 1959. توفي في 26 أبريل 2008.

يقظة المغرب العربي". وافتتاحية زعيم الحزب محمد حسن الوزاني بالعدد الثاني تحت عنوان "عم يتساءلون؟" ومقال آخر تحت عنوان "ماذا وراء الأكمة؟"¹.

وقد اعتبر "الشوريون" الخطاب بمثابة مجموعة من الرسائل وجهت إلى عدد من ممثلي الدول فقد أعلم سفير الولايات المتحدة بما ينتظره المغرب شعبا وملكا كموقف أمريكي من قضية فلسطين وهي على أبواب طرحها في الدورة الثالثة لهيئة الأمم المتحدة². و تحدث إلى الحلفاء عن طريق ممثل بريطانيا العظمى عما تكبده المغرب في هذه الحرب، وبالتالي فمن حقه أن يأمل في تحقيق أمانيه الوطنية الغالية. وهي لا تختلف عن آماني سائر الأمم الأخرى التي تنعم بالحرية والاستقلال. "لأن مشاركة الشعب المغربي في هذه الحرب لم تكن كأجير أو عبيد، بل أنه دخل في صف الحلفاء كحليف ويحق له بعد الحرب ما يجب لكل حليف كبيرا كان أم صغيرا"³. وأكد لممثل اسبانيا أن المغرب وحدة لا تقبل التجزئة وأن شعبه واحد لا تمزق شمله سياسة ولا تفصل بين أعضائه خطوط وهمية ولا حواجز مؤقتة"⁴. و أكد لممثل فرنسا انتماءه إلى الأمة العربية الإسلامية كرد على مشروع "الوحدة الفرنسية"⁵.

اعتبر الحزب أن السلطان أثناء إبلاغه هذه الرسائل لسائر ممثلي الدول المعنية بالقضية المغربية بشكل من الأشكال كان مستوعبا للتحويلات الدولية التي حدثت بعد الحرب عندما اعتبرها تمثل عصرا تطالب فيه سائر الشعوب بحقوقها الشرعية، ولذلك من حق الشعب المغربي أن يطالب بهذه الحقوق، ولا يقبل بأي حال أن يضحي بدمائه وخيراته من أجل الحلفاء دون أن يلمس مقابلا ماديا ومعنويا لهذه التضحيات الجسام. كما رأى فيها ممارسة لكل صلاحياته السيادية. فظهر كرئيس حر لدولة بعثت من جديد وخرجت من عزلتها وسعى بكل جهده لإبراز عدالة القضية المغربية في ظروف دولية تميزت بالدعوة إلى العدالة الإنسانية. و حدد في هذه الزيارة الوسائل الكفيلة لتجسيد هذه الحقوق بإتباع السبل القانونية الشرعية، المستمدة من المبدأ الإنساني العادل الذي يمليه العقل والصواب والحق والصالح العام و تفره الحكمة الخلقية وتؤيده الفلسفة الإنسانية، لا الذي تفرضه السلطة المتصرفة على

¹ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص 19 - 38.

² - *Nationalistes Marocains: Activités nationalistes pour la cause Palestinienne*, Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 - 1955, 24QO/66, Nationalistes Marocains, juillet 1947 - déc. 1949.

³ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص 19 - 38.

⁴ - المصدر نفسه.

⁵ - المصدر نفسه.

الأمة المغربية بالقوة والقهر. وبهذا الطرح أصبحت المرجعية القانونية لمطالب السلطان مطلقة في مفهومها غير مقيدة بأي نص قانوني. وبصورة خاصة ما تضمنته معاهدة الحماية في 30 مارس، 1912، وهي كل ما يمكن من رد الحق إلى نصابه وإنصاف المظلوم من ظالمه و مقاومة الاضطهاد سياسيا كان أم قانونيا¹.

و رأى كذلك في هذه الزيارة السلطانية لمدينة طنجة حدثا فوق العادة له أبعادا إستراتيجية، كما تفاعل بالنتائج السياسية التي يمكن أن يحملها لمصلحة الأمة المغربية من وحدة و جمع لشمها من خلال المرور في مدينة مقصودة عبر رقعة جغرافية كانت تخضع للسيطرة الإسبانية. و قد ظهرت تجليات هذه الزيارة على أعمدة جريدة "الرأي العام" فتتبع أيام الزيارة السلطانية وأعطت لكل يوم ميزة خاصة به، فسمت يوم 07 أفريل بـ "يوم الدم"² نسبة لمجزرة الدار البيضاء. وسمت يوم 09 أفريل بـ "يوم الشعب المغربي"³ لأنه بين أنه شعب جدير بالاحترام سياسيا وله كل المؤهلات التي تسمح له بالاندماج في مجموعة الشعوب الحرة و المستقلة.

لقد وضع "الشوريون" الزيارة السلطانية لمدينة طنجة في سياق تاريخي شمل عدة أبعاد حددت وضع المغرب في تلك الظروف التاريخية، و حتى في ما بعدها، فاعتبروا استقبال السلطان للسلك الدبلوماسي إشارة للبعد الاستقلالي والوحدوي. ف لأول مرة منذ إعلان الحماية سنة 1912 مارس سلطانا مغربيا صلاحياته بكل حرية و بعيدا عن سيطرة المقيم العام. و ظهر بمظهر رئيس الدولة ورسول دعوة سياسية. وصاحب قضية وطنية مقدسة، ومطالباً بإنصافها و تحقيق عدالتها باسم "الشرعية التاريخية للقصر" من جهة⁴، وللاستفادة من ظروف عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية من جهة ثانية. ولذلك طالب صراحة بحق الأمة المغربية في الحرية مقابل مشاركة الشعب المغربي في هذه الحرب إلى جانب الحلفاء باختيار لا بإجبار. و بالتالي وجب حصوله على حقه الشرعي في الاستقلال و الوحدة الترابية. لأنه كان إلى جانب الطرف المنتصر⁵.

¹ - جريدة "الرأي العام" الرقم 02، عم يتساءلون؟، مصدر سابق.

² - El-houari Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, op.cit. , p , 290.

³ - ibid.

⁴ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص 19 - 38.

⁵ - محمد معروف الدفالي صدى الزيارة الملكية لطنجة، مرجع سابق، ص 172-179.

كما ظهر البعد العربي الإسلامي من خلال الإشارات المباشرة التي صدرت عن السلطان حول انتماء المغرب إلى العالم العربي الإسلامي وبالتالي فقد رفض مشروع "الإتحاد الفرنسي"، وأكد على الانتماء التاريخي الحضاري للأمة المغربية، و اعتبر أنه من وحي هذا الأخير أن طلب السلطان من الولايات المتحدة الأمريكية تغيير سياستها اتجاه القضية الفلسطينية¹.

لقد كان حزب الشورى و الاستقلال من مكونات التيار المغربي الذي اعتبر أن السلطان محمد بن يوسف تحول إلى رمز تحرري. فقد تحقق بشكل علني ما قام به زعيم " الشوريين " الوزاني في أكتوبر 1933 و ماي 1934 من محاولات لتحويل السلطان إلى زعيم وطني. إلا أنه ما يجب الإشارة إليه هو أن هذا الموقف أدى بحزب الشورى والاستقلال إلى وقوعه في تناقض صريح مع ثنائية " الاستقلال و الدستور " التي جعلها ثابتا لتصوراته السياسية. مع ما يترتب عنه من إصلاح دستوري من خلال " الملكية الدستورية ". في حين لم يظهر أي أثر لذلك في مضامين هذه الزيارة. التي طالبت باسترجاع الحقوق الموروثة للمؤسسة السلطانية باعتبارها كانت فقد كانت القلب النابض للخطاب السلطاني في أبريل 1947. فبقدر ما طالب هذا الخطاب بحق الشعب المغربي بالحرية و الوحدة الترابية، كان ذلك مرتبطا باستمرارية الممارسة التقليدية لسلطة العلويين الأشراف. و نتيجة لذلك أصبح الحزب متناقضا مع ما كان يطالب به بحل المشكلة المغربية من جانبها الداخلي و الخارجي. فإذا كان هذا الأخير قد تضمنه خطاب طنجة في 10 أبريل 1947، فإن الجانب الداخلي لم يظهر فيه توافقا بين نظرة الشوريين و "مشروع السلطان التحرري". فقد تضمن هذا الأخير الحفاظ على الحقوق السلطانية التاريخية المقدسة. في حين كان البرنامج الشوري يسعى لملكية دستورية يسود فيه السلطان و لا يحكم². و لذلك يصبح التأييد المطلق لـ " الشوريين " للمؤسسة السلطانية في أبريل 1947 محل العديد من التساؤلات³.

¹ - محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج3، مصدر سابق، ص 40.

² - El-houari Setta, Mohamed Hassan Ouazzani, op.cit, p 274.

³ - قد يعود السبب إلى تاريخ الزيارة الذي كان في نفس الوقت الذي كان حزب الشورى و الاستقلال قيد التأسيس. و قد يكون سبب ذلك تركيز الشوريين في هذه الزيارة على مسألة استرجاع السيادة . و قد يعود السبب إلى الحضور الخارجي و بالتالي فضل الشوريون عدم إضعاف موقف السلطان خارجيا...

و في جميع الأحوال فإن موقف " الشوريين " لم يكن أكثر من انضمامهم لخط كل الوطنيين المغاربة في الشمال و الجنوب. الذين جعلوا من هذه الزيارة محطة حاسمة في تاريخ المغرب. و ساهم بدوره من حيث لا يعلم في القضاء على سبب وجوده وهو إصلاح النظام السياسي عن طريق الدستور. و لكن تأييدهم المطلق للمؤسسة السلطانية في هذه المحطة، و في غيرها من المحطات، كان مبنيا على أساسين هما "تحرير المغرب و توحيده" ثم "إصلاحه سياسيا". و لكن الخطاب السلطاني كان يسعى لتحرير المغاربة و توحيد المغرب أولا لم يتضمن مسألة الإصلاح. فـ "التحرير والتوحيد" بقدر ما كان يسعى لتحرير المغاربة و توحيد المغرب كان هو مرحلة لإعادة الهبة للسلطنة بتحريرها وتوحيدها أولا، ثم مواصلة الممارسة السياسية بمضمونها السلطاني التقليدي. و بالتالي لا يمكن أي بديل وطني أن يحل محل هذه الممارسة. سواء كان مدعما للمؤسسة السلطانية بصورة مطلقة كما كان الحال لـ " الاستقلاليين ". أو دعما مشروطا كما قام بذلك " الشوريون ". و لذلك فشل الوزاني في تحقيق ثنائية " الاستقلال و الدستور " سواء أثناء مقاومته لنظام الحماية من خلال "مذكرة 23 سبتمبر 1947. أو بعد استقلال المغرب من خلال مشروع "الثورة من أعلى"¹.

لم يكن حزب الشورى والاستقلال لوحده في هذا التقدير التاريخي لهذه الزيارة، فالحركة الوطنية بجميع اتجاهاتها وأحزابها في المنطقة السلطانية والمنطقة الخليفة نظرت إليها بهذه الصورة، واعتبرتها حدثا حول مجرى التاريخ، و بداية لنهاية الاستعمار الفرنسي للمغرب ومكسبا لحركة التحرر الوطنية، ودعما لارتباط السلطان بالشعب كزعيم للاستقلال والوحدة خاصة و أنها حدثت في مدينة تعرف وضعا قانونيا خاصا، فقد كان الحضور الدولي بالمدينة رمزا من رموز وحدة النوايا والأهداف الاستعمارية وأحد شواهد التحالف و سبق الإصرار

¹ - هو المشروع الذي أعلنه محمد حسن الوزاني في مطلع السبعينات لحل الأزمة السياسية في المغرب. و تدعو المؤسسة الملكية للقيام بتغيير جذري في أوضاع المغرب. و يسمى كذلك بـ "الثورة البيضاء" و "الثورة الباردة" أو "الإيديولوجية الانقلابية". و قد ذكر الوزاني مضامين هذا المشروع في كتابه "الدعوة على النهضة و الانبعاث". انظر، محمد المسكي، التصورات السياسية في الخطاب السياسي عند محمد حسن الوزاني، مرجع سابق، ص 181-183.

على تجزئة و تقسيم البلاد، و بالتالي فإن تنفيذ الزيارة سنة 1947 اعتبر في وجه من وجوها ردا على ذلك الوضع و ما ترتب عنه¹.

فقد رأت فيها أحزاب المنطقة الشمالية الخليفية فرصة للعودة لـ "الحظيرة الوطنية". و اعتبرت نفسها المعنية الأولى بإنجاحها. فقد كانت بالنسبة لحزب الإصلاح بزعامة عبد الخالق الطريس "ضمانة الوحدة المغربية". و بالنسبة لحزب الوحدة المغربية بزعامة محمد مكي الناصري "برنامجا سياسيا للمغرب في الداخل و الخارج" أما أحزاب المنطقة الجنوبية السلطانية فقد كانت بالنسبة لها فرصة لإظهار قدرتها التعبوية و عمق برنامجها الوطني التحرري و شموليته في الشمال و الجنوب. فحزب الاستقلال بزعامة علال الفاسي اعتبر نفسه مساهما فيها فكرة و أهدافا. ولم يتردد حزب الشورى و الاستقلال بزعامة محمد حسن الوزاني في تجاهل "مطالبه الدستورية" في تلك المحطة من أجل وحدة الموقف الوطني إزاء السلطان لقد ساهمت الحركة الوطنية المغربية في الشمال و الجنوب في إعادة بعث الحياة للعرش العلوي الشريف و المساهمة في إخراجها من عزلته التي وضعه فيها نظام الحماية².

إلا أن موقف المؤسسة الملكية مباشرة بعد الاستقلال لم يعكس ذلك الدور الذي قامت به الحركة الوطنية في محطة طنجة في أبريل 1947 و في غيرها من المحطات. و إذا كانت هذه الزيارة و ما تضمنته من أنشطة من محطات "معركة القصر" من أجل الاستقلال والوحدة. فإنها كانت في جوهرها من أجل الحفاظ على سلطة الأشراف العلويين التي ضمنت وجودها في المغرب المستقل بفعل مثل هذه المواقف. فقد اعتبر "جون و اتربوري" أن السلطان محمد بن يوسف "تنامت قدراته السياسية بفضل الممارسة. فقد بدأ يتعرف على المشاكل سواء الوطنية أو الدولية على الخصوص بعد اتصاله مع الوطنيين منذ سنة 1934³. و لو رفض الاتصال بهم لربما كان المغرب يعيش حاليا تحت نظام جمهوري، و لكان للعلويين موقع لا يفوق موقع الكتانيين⁴ في المجتمع المغربي..."¹.

¹ - محمد معروف الدفالي صدى الزيارة الملكية لطنجة، مرجع سابق، ص 172-179.

² - جون و اتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 98.

³ - تم التطرق لهذا الاتصال سابقا. (اتصال السلطان بالوطنيين)

⁴ - نسبة إلى الطريقة الكتانية التي تعتبر من الطرق الصوفية الأولى في المغرب. تأسست في فاس سنة 1855 بمدينة فاس على يد محمد بن عبد الكبير الكتاني. وكانت تسمى نفسها بـ "طائفة الحق و القائمة بأمر الله تعالى" وكانت تعتقد بـ "الأشعرية" من شيوخها محمد بن عبد الكبير الكتاني المؤسس والشيخ جبل السنة عبد الكبير الكتاني و الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني و عبد الكبير الكتاني

5 - 3 انعكاسات الزيارة السلطانية على فرنسا:

ذكر عبد المجيد بن جلون في كتابه " هذه هي مراکش " أن زيارة السلطان لمدينة طنجة، وإلقاءه فيها لخطابه الشهير "أدخل قضية مراکش في سراديب مظلمة، إذ اشتد الصراع بين شخصية السلطان المؤمن بحقوق بلاده وشخصية القائد العسكري (الجنرال جوان) المتعنت الذي جاء لإنهاء هذا الموقف الذي يعد في نظر فرنسا عبثا يجب أن يوضع له حدا عاجلا"². فإذا كان السلطان قد تحول بفعل هذا الخطاب إلى "قائد وطني و قومي" بالنسبة للمغارة فإنه أصبح بالنسبة لباريس "تحديا جديدا" أمام الجمهورية الرابعة، التي كانت في سنواتها الأولى. وكانت مواجهته مسألة إستراتيجية بالنسبة لها. و لذلك اعتبر المقيم العام الجديد الجنرال "جوان" أن حكومة باريس أعطت له توجيهات تتضمن "وضع السلطان أمام الانعكاسات الخطيرة التي أحدثتها زيارته لمدينة طنجة السلطان"³.

وإذا كان عزل المقيم العام "لابون" و تعيين الجنرال "جوان" في مكانه من أجل تطبيق السياسة الفرنسية المغربية الجديدة⁴. ولمواجهة الأوضاع المترتبة عن الزيارة السلطانية على المدى البعيد، فإنه سبق ذلك محاولة باريس احتواء الموقف كرد فعل مباشر عليها والتخفيف من تأثيراتها الداخلية بما عرفته باريس من نقاشات سياسية ساخنة حولها، وبتفادي تأثيراتها الخارجية التي مست بمكانة فرنسا الدولية بعد الحرب العالمية الثانية. وبصورة خاصة "هيبتها في الإمبراطورية الاستعمارية" التي شرع ديغول في استعادتها في كل المستعمرات الفرنسية

ومحمد المهدي الكتاني. أنظر، يوسف كتاني، الطريقة الكتانية، أركانها، عهودها، أوراها، مطبعة النجاح الجديدة الرباط 2006. وقد كان للسلطان محمد بن يوسف موقفا عدائيا من هذه الطرق لذلك اصطدم مع محمد الكتاني الذي تمرد عليه فحكم عليه بالإعدام. و بعد تولي أخوه عبد الحي الكتاني مشيخة الزاوية اتخذ موقفا معاديا من السلطان انتقاما لأخيه. وقد اعتبره شارل أندري جوليان إلى جانب الجلاوي من أسس المؤامرة التي أدت إلى عزل و نفي في 20 أوت 1953. من خلال عنوان بارز في كتابه تحت عنوان: "

Pronconsul, Pacha Et Cherif أنظر Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, 203-230.

¹ - جون واتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 207.

² - عبد المجيد بن جلون، هذه هي مراکش، مصدر سابق، ص 251.

³ - Alphonse Juin, *Mémoires*, op cit p 141.

⁴ - Résident General : projet D'instruction, General Juin, Archives Diplomatiques DE la Courneuve, Paris, 24QO/2.

في أفريقيا و آسيا منذ ترأسه لـ "الحكومة الفرنسية المؤقتة" في جوان 1944، مثل حملة الهند الصينية التي تمت في نوفمبر 1945¹.

فقبل إلقاء الخطاب بساعات و بعد إطلاع وزير خارجيتها "جورج بيدولت" على صيغته الأخيرة و هو في زيارة لموسكو حاول هذا الأخير تدارك آثاره "الكارثية على مكانة فرنسا في المغرب و شمال أفريقيا" لذلك أبرق إلى المقيم العام "لابون" لتوقيفه لأنه "تضمن تمجيدها للجامعة العربية. وغيابا للتنويه بالدور الحضاري لفرنسا في المغرب"². فالنسبة له " لطالما كانت باريس تعتبر الجامعة العربية عدوة للوجود الفرنسي في شمال أفريقيا. و قد أدى الثناء عليها في خطاب السلطان إلى إعطائها الكثير من الشرعية. وهو ما كانت تفتقده منذ تأسيسها نظرا لضعفها وانقساماتها الداخلية"³. و لذلك فإنه جاء في هذه البرقية أن السلطان قدم للجامعة العربية فرصة تاريخية للتدخل في قضايا شمال أفريقيا مما سيؤدي إلى المزيد من المتاعب بالنسبة لباريس، خاصة بعد تصفية وجودها نهائيا في الشام سنة 1946. و لذلك كان المندوبين الفرنسيين في الشرق الأدنى يقومون بشكل متواصل " بتزويد سلطات الحماية بالرباط بانتظام بالبراهين القاطعة عن عداء الجامعة العربية لفرنسا"⁴.

لقد سارعت فرنسا لتوجيه الأحداث في طنجة اتجاهها آخر، إلا أن برقية وزير الخارجية وصلت جد متأخرة للرباط و طنجة. و لم يتم منع حدوث ما كانت باريس تخشاه من خلال هذه الزيارة، والخطاب السلطاني. لأن هذا الأخير قام فعلا بتمجيد الجامعة العربية و أعاد المغرب إلى انتمائه القومي والحضاري. و قد أحدث هذا غضبا كبيرا لدى اللوبي الاستعماري الذي وجه جم غضبه على باريس التي اعتبرها سمحت بإهانة الوجود الفرنسي في المغرب منذ تعيين "إريك لابون" مقيما عاما في المغرب الأمر الذي "يستوجب رد الاعتبار

¹ - اعتبرت فرنسا استرجاع "الهند الصينية" في آسيا ضرورة إستراتيجية لاسترجاع مكانتها الدولية. فبدأت في ذلك منذ مارس 1945 عندما سعت الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية إلى إنشاء "فيدرالية الهند الصينية" ضمن "الإتحاد الفرنسي". و بعد استسلام اليابان في سبتمبر 1945 كلف مؤتمر "بوتسدام" بريطانيا بتسيير مناطق الهند الصينية مما أثار الجنرال ديغول الذي كان يرأس الحكومة المؤقتة الذي قام بإرسال حملة عسكرية "لاستعادة السيادة الفرنسية على الهند الصينية الحرة". و قد تبنت الجمهورية الرابعة بعد قيامها سنة 1947 هذه السياسة الاستعمارية. في جميع المناطق التي كانت فرنسا تحتلها قبل الحرب

² - *Du sultan Du Maroc à Tanger, ADCL, Séries Maroc 1944-1955, 24 QO/14, Sultan, Mohammed Ben Youssef, (Mohammed V) Mai.-sept, 1947..*

³ - *Du sultan Du Maroc à Tanger, op.cit.*

⁴ - *ibid.*

فورا و إرجاع الوطنية المغربية إلى مرتبطها بعد أن سمح لها بالانفلات من قمقمها¹. و عندما رأى "لابون" أن كل الأطراف في باريس، و حتى فيما وراء البحار وجهت أصابع الاتهام له و حملته كل النتائج المترتبة عن هذه الزيارة، شرع مباشرة في الدفاع عن نفسه و تحميل الحركة الوطنية المغربية مسؤولية مضمون الخطاب. ففي برقية مستعجلة أرسلها إلى وزير الخارجية "بيدولت" مباشرة بعد الزيارة ذكر فيها أن "السلطان تعهد أمام الوطنيين المغاربة بأن لا يطلعه على نص الخطاب الحقيقي الذي كان يريد قراءته في طنجة. و كذلك أن يحذف الفقرة التي تمجد الدور الحضاري لفرنسا في المغرب. وبذلك وقع السلطان تحت تأثيرات هؤلاء الوطنيين دون غيرهم، وكانت النتيجة الكارثية في طنجة"². إلا أن هذه المراسلة لم تف بالغرض بالنسبة لوزير الخارجية الذي اعتبر "انه بالرغم من أهمية المعلومات التي قدمها لابون للحكومة الفرنسية بصورة متأخرة، و لكنها لا تغير لا في موقفه ولا في موقف الحكومة الفرنسية حول نتائج هذه الزيارة. ولذلك يجب تذكير السلطان بالرفض الشديد لباريس لمضمون خطابه في طنجة. و أنه لا يمكنها أن تتعامل مع هذا الحدث بسطحية. ولا يمكنها مواصلة تطبيق أي برنامج إصلاحي في المغرب. لأنه أصبح متناقضا مع كل النصوص الرجعية للسياسة الفرنسية في المغرب سواء "الإتحاد الفرنسي"، أو بنود معاهدة الحماية لسنة 1912"³.

لقد تكون في باريس مباشرة بعد خطاب طنجة اعتقادا راسخا حول عدوانية السلطان اتجاه فرنسا. و قد كان للوبي الاستعماري في مختلف الدوائر السياسية الفرنسية من البرلمان و الحكومة، و الرئاسة، دورا بارزا في نشر ذلك. لأنها كانت بالنسبة له فرصة تاريخية لا يمكن تفويتها لضرب الحركة الوطنية المغربية الصاعدة منذ سنة 1930 عندما بدأت نشاطها السياسي بالاحتجاج على السياسة البربرية الفرنسية في المغرب. ثم وسعت لائحة مطالبها لتصبح إلغاء نظام الحماية من أساسه لا بإصلاحه. و لذلك اعتبر الجنرال "جوان" أن الفكرة الاستقلالية في المغرب تأسست سنة 1934"⁴. و قد كانت مضامين زيارة أفريل 1947 في طنجة تأكيدا على هذا الاتجاه. و قد اعتبر أحد الناطقين باسم هذا اللوبي و هو "جاك لدرايت دولا شاريار Jaques Ladreit De La Charrière" أن "زيارة السلطان إلى طنجة بقدر ما كانت

¹ - محمد الناصري، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة، مرجع سابق، ص 364.

² - Du sultan Du Maroc à Tanger, op.cit.

³ - - Du sultan Du Maroc à Tanger, op.cit

⁴ - Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, p 287.

مهزلة بكل المعايير كانت هبة من الله لفرنسا لأنها فتحت الأبواب على مصراعيها لإسقاط العرش العلوي الشريف الذي أصبح ضعيفا و معزولا بعد هذه الزيارة¹.

فإذا كانت باريس قد سمحت لمقيمها العام "لابون" بتطبيق سياسة ليبرالية منذ تعيينه في مارس 1946 فإن الأحداث المتسارعة منذ أبريل 1947 لم تؤد بها فقط إلى عزله من منصبه في ماي 1947، ولكن كذلك إلى مراجعة جذرية في سياستها المغربية. فقد اعتبرت ذلك مساسا بهيبته الخارجية التي كانت بصدد إعادة بنائها بعد الحرب العالمية الثانية. خاصة وأنها لاحظت اهتمام الدول الأخرى بما أحدثته هذه الزيارة من تأثيرات سلبية في سياستها المتوسطية، وبصورة خاصة الدول المساهمة في النظام الدولي في طنجة مثل بريطانيا و الولايات المتحدة الأمريكية وإسبانيا. فهذه الأخيرة اهتمت بصورة خاصة بتأثيرات هذه الزيارة على فرنسا. فهي التي قامت بكل الجهود لمنع هذه الزيارة، فقد رحبت كثيرا بتأثيراتها على فرنسا و تحدثت عنها صحفها كثيرا². وقام مندوبها في مدينة طنجة بنقل مختلف التقارير عنها التي تضمنت انعكاساتها على نظام الحماية في المغرب، و حتى سفير إسبانيا في باريس تابع ذلك و نقله إلى مدريد. فقد ذكر القنصل الإسباني في مدينة طنجة في تقريره عن هذه الزيارة بأن "الموقف الفرنسي دخل في صدام بين مختلف الأجهزة الاستعمارية. وبصورة خاصة في أوساط المؤسسة العسكرية التي صدمت بالزيارة وحملت المؤسسات المدنية مسؤولية هذا الانحراف"³. و كذلك من باريس كتب السفير الإسباني في تقرير عن حالة الأوساط الرسمية الفرنسية على اختلاف توجهاتها التي تأثرت بما صرح به السلطان أمام مقر مندوبية طنجة في يوم 10 أبريل 1947. و أصابتها خيبة أمل كبرى. و قد ظهر ذلك في مختلف تصريحات الساسة الفرنسيين⁴. فقد ذكر بعضهم أن تأثير الخطاب تجاوز المغرب ليصل إلى المستعمرات الفرنسية الأخرى مثل الجزائر والهند الصينية. خاصة وأن في هذه الأخيرة كانت فرنسا تقود

¹ - أستاذ جامعي فرنسي (1881-1958) ينتمي لعائلة من النبلاء. ومن المتعصبين للمسالة الاستعمارية في المغرب. شغل منصب الأمين العام لـ "لجنة الحفاظ على المغرب". وكان عضوا في "أكاديمية العلوم لما وراء البحار" مع الجنرال "جوان". وكان مستشارا سياسيا للجمهورية الفرنسية. و من أشد أعداء سلطنة الأشراف العلويين في المغرب. و قد ذكر ذلك في رسالة إلى العقيد "لوكنت

Lecomte "أنظر، Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, p289.

² - *Relation avec L'Espagne , politique espagnole à l'égard de la France , Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, séries Maroc 1944 -1955, 24QO / 143 Avril 1945 – déc. 1947 ,*

³ - *Du sultan Du Maroc à Tanger, op.cit.*

⁴ - *Du sultan Du Maroc à Tanger, op.cit.*

حملة عسكرية ضخمة لإعادة احتلالها¹. و قد اعتبر السفير الإسباني أن باريس "حسنت موقفها من الزيارة بتحميل المقيم العام إيرك لابون مسؤولية مضامينها. فقد كان اهتمام مدريد برد الفعل الفرنسي على الزيارة تعبيرا لمقولة "انقلاب السحر على الساحر". لأنها كانت تعتبر الزيارة قبل حدوثها مشروعا فرنسيا للقضاء على أطماعها المتواصلة في ضم المدينة للمنطقة الشمالية الخاضعة لها. إلا أن ذلك تحول رأسا على عقب ضد باريس. التي أشار إليها تقرير السفير الإسباني على أنها أصبحت غير مرتاحة لموقف بريطانيا "الغامض" منها².

لقد سمحت قراءة مدريد لانعكاسات الزيارة السلطانية على باريس ببقاء إمكانية تحقيق ذلك المشروع التوسعي الإسباني على حساب المدينة. وهذا ما يفسر السياسة المتصلبة التي بدأت في تطبيقها ضد الحركة الوطنية الخليفية مباشرة بعد الزيارة. لأنها ساهمت في إنجاح الزيارة التي كانت ترمي إلى وحدة المغرب. وإذا كانت إسبانيا قد توافقت مع الحركة الوطنية الشمالية منذ انتصار فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية وسيطرته على الحكم في مدريد في سنة 1936. فإنها بعد الحرب أصبحت على العكس من ذلك، لأن ذلك أصبح يتعارض مع طموحاتها الاستعمارية التي استرجعتها. و كان ذلك من نتائج عدم تعرضها لأية عقوبات بالرغم من أنها كانت مدعمة للنازية والفاشية. و كان من أهم نتائج ذلك الأحداث التي عرفتها مدينة تطوان في فيفري 1948 نتيجة منع دخول مجموعة من قادة الحركة الوطنية الخليفية إلى المنطقة الخاضعة لها وهم عبد الخالق الطريس ومحمد بن عبود والمهدي بن نونة والطيب بنونة³.

وإذا كان الاهتمام الإسباني بانعكاسات الزيارة على فرنسا أمرا منتظرا بالنسبة لباريس لأنه كان بينهما احتكاك كبير في المغرب منذ إعلان الحماية المزدوجة عليه سنة 1912. إلا أن الاهتمام الأمريكي بانعكاسات الزيارة السلطانية على السياسة الفرنسية كان بالنسبة لباريس بمثابة إعادة لمسألة التدخل الأمريكي في المغرب خاصة وشمال أفريقيا عامة. التي بدأت منذ الإنزال الأمريكي في المغرب في نوفمبر 1942. و قد خص السلطان في طنجة المندوب

¹ - *ibid.*

² - *Voyage De Tanger Du 09 au 13 avril 1947 : Allocutions Discours Du 10 Avril, Réaction De la presse Marocaine Rapport De La Résidence, archives diplomatiques de la Courneuve ,op.cit.*

³ - *Jean Wolf, Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol, op.cit, p 247.*

الأمريكي بمعاملة خاصة. و أعاد طلبه من الولايات المتحدة الأمريكية بدعم المغرب في نهضته و بصورة خاصة في مجال التعليم .

و لذلك قامت باريس بكل جهودها لاحتواء الموقف المترتب عن الزيارة و عدم إعطاء فرصة أخرى للولايات المتحدة الأمريكية للتدخل من جديد في المغرب بحجج أخرى. فقد جاء في العديد من تقارير مندوبي الولايات المتحدة الأمريكية في طنجة و الرباط لواشنطن وصف ذلك الارتباك الذي أصبحت عليه السياسة الفرنسية في المغرب بعد تصريحات السلطان محمد بن يوسف في مدينة طنجة. فمن أهمها ما وصف حالة باريس بأنها تحت صدمة "أحداث طنجة"¹. و في تقرير آخر ذكر القنصل الأمريكي في الرباط أن "مسؤولا فرنسيا كبيرا تظاهر أمامه بعدم أهمية الحدث بالنسبة لفرنسا. وأخبره أن الصحافة هي التي أولت بشكل خاطئ الخطاب الذي ألقاه السلطان بالمندوبية. بالإضافة أنه قام بهذه الزيارة برغبة من فرنسا و هي التي قام بالتخطيط لها"².

فقد تضمنت العديد من هذه التقارير الأثر الذي تركه السلطان على الدوائر الفرنسية "لأنه لم يذكر ما أراده المقيم العام حول دور فرنسا الحضاري في المغرب من خلال نظام الحماية. و إذا كان ذلك نتيجة تأثره بأحداث الدار البيضاء الأليمة، فإنها تعبير عميق عن رغبته في استقلال المغرب. و رفضه الانتماء للإتحاد الفرنسي. و هو المشروع الذي أرادت به باريس الحفاظ على إمبراطوريتها الاستعمارية بعد الحرب"³. وعلى نفس طريقة السفير الإسباني، أبلغ السفير الأمريكي في باريس واشنطن في تقرير له بعد الزيارة مباشرة حول انعكاساتها على "مختلف الدوائر السياسية الفرنسية التي كانت साخطة على خطاب السلطان في طنجة. حيث أشاعت أن السلطان كان يبحث عن الخلافة الإسلامية من خلال ذلك الخطاب"⁴. و قد اعتبر السفير الأمريكي أن باريس "كانت تعتبر أن السلطان خدعهم وأهانهم بالحاحه على حصول المغرب على حقوقه و تأكيد روابطه مع العمق العربي. و قد كانت باريس تعتبر مجرد

¹ - Voyage Du Sultan à Tanger, Position Américaine à Tanger, 9 – 13 Avril 1947,,archives diplomatiques de Nantes ,op.cit.

² - Du sultan Du Maroc à Tanger, op.cit.

³ - Voyage Du Sultan à Tanger, Position Américaine à Tanger, 9 – 13 Avril 1947, A.D.N. op cit.

⁴ - Voyage De Tanger Du 09 au 13 avril 1947 : Allocutions Discours Du 10Avril, Réaction De la presse Marocaine Rapport De La Résidence, archives diplomatiques de la Courneuve ,op.cit.

الإشارة إلى هذا العمق مصيبة. لأنه كان لها مشروعا آخر لكل الشمال الأفريقي يتمثل في ربطه مع فرنسا..¹

لقد قامت السلطات الفرنسية في باريس والرباط برد فعل سريع لاحتواء الموقف الجديد في المغرب بعد زيارة السلطان لمدينة طنجة وإلقائه فيه لخطابه التاريخي فيها الذي اعتبرته فرنسا متعارضا مع مشروع "الإتحاد الفرنسي" و مع عقد الحماية لسنة 1912. كما حاولت باريس التظاهر أمام الدول الأخرى بعدم تأثرها بتصريحات السلطان. لأن ذلك من شأنه أن يسمح بتدخل هاته الدول فيما اعتبرته "شأنا فرنسيا داخليا". خاصة بالنسبة لإسبانيا التي تعلم ما لها من طموحات في المغرب منذ مطلع القرن العشرين. و قد ظهر ذلك من خلال متابعتها لزيارة طنجة.

من أهم ما قامت به باريس كرد فعل مباشر على الزيارة السلطانية لمدينة طنجة هو تصريحها في عدة مرات برغبتها في عزل السلطان محمد بن يوسف عن العرش. أو دفعه للتنازل بمحض إرادته بحجة تعارضه مع مقتضيات نظام الحماية. خاصة و أنه كان في مواجهة مع الإقامة العامة لعدم إرضائه الظواهر القانونية التي تضمنت الإصلاحات التي تضمنها مشروع لابون الإصلاحي. و من أهم ما قامت به فرنسا من أجل الضغط على السلطان لدفعه إلى التراجع عن موقفه استعملها لورقة الأمير عبد الكريم الخطابي كبديل للسلطان بالإعلان عن نقله من منفاه بجزيرة "La réunion" إلى فرنسا ليكون قريبا من المغرب كي تواجه به السلطان إذا دعت الضرورة إلى ذلك. إلا أن هذا المشروع مني بفشل ذريع بعد أن تم توقيف رحلة الخطابي في ماي 1947 بمصرو تحريره من الأسر². و قد قامت

¹ - *ibid.*

² - لقد كان تحرير عبد الكريم الخطابي من النقاط التي تطرق لها مؤتمر المغرب بالقاهرة في فيفري 1947. حيث ذكر فيه الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمن عزام باشا أن الجامعة تسعى لدى فرنسا لتحريره من منفاه بجزيرة "الريونيون". وقد كان لفرنسا مشروعا آخر بنقله من منفاه إلى الجنوب الفرنسي من أجل مساومة السلطان محمد بن يوسف للتراجع عن مطالبه الوطنية الاستقلالية. و قد قامت بكل الاحتياطات الأمنية لنقله بصورة سرية في ماي 1947. فقد كانت السفينة "كوتوبا" أسترالية استأجرتها فرنسا بقيادة ضابط يوناني. كما تم التعتيم عليها إعلاميا. إلا أن أخبار نقله تسربت في برقية إلى مكتب المغرب العربي منذ توقف سفينته في ميناء عدن عن طريق أحد المناضلين الفلسطينيين الذي شاهده رفقة عائلته في أحد المساجد. و قد بدا مكتب المغرب العربي في مساعي حثيثة لدى الملك المصري فاروق لقبول نزول عبد الكريم الخطابي في ميناء السويس كلاجئ سياسي. و قد قبل الملك المصري بذلك في حالة نزوله في مصر بمحض إرادته و طلبه اللجوء من مصر فإنه لن يردده. وبعد قبول الخطابي بذلك تم وضع خطة من طرف أعضاء من مكتب المغرب العربي من بينهم محمد بن عبود و عبد الكريم غلاب أدت على نزول الخطابي في

باريس باحتجاجات شديدة لدى القاهرة. حيث اعتبرت ذلك تدخل في قضية داخلية فرنسية¹. وبقدر ما فقدت فرنسا وسيلة هامة للضغط على السلطان، ساهمت من حيث لا تعلم في تنشيط النضال الوحدوي المغربي في القاهرة بتأسيس "لجنة تحرير المغرب العربي" في جانفي 1948 برئاسة عبد الكريم الخطابي².

لقد استعملت باريس كل الوسائل للحد من انعكاسات الزيارة السلطانية لمدينة طنجة في أفريل 1947. خاصة بما كان يرتبط بآثارها على مكانتها الدولية التي كانت بصدد إعادة بنائها بعد الحرب العالمية الثانية. فحتى استعادة إمبراطوريتها الاستعمارية اعتبرت جزءا من وسائل استرجاع تلك الهيبة. و لذلك اعتبرت خطاب السلطان في طنجة تهديدا لها. لأنه تضمن رفض المشروع الاستعماري للجمهورية الرابعة الذي جاء في دستورها تحت عنوان "الإتحاد الفرنسي"، واعتبر البعد الحضاري العربي الإسلامي هوية وحيدة للمغرب أمة و مجتمعا³.

لقد دفع هذا الخطاب بباريس إلى مراجعة كلية لسياستها المغربية. فقد اقتنعت الدوائر الرسمية الفرنسية بفشل السياسة الليبرالية للمقيم العام "لابون". التي كانت نتيجتها خطاب طنجة. و لكنها تحجبت بعد استطاعة المقيم العام الحصول على موافقة السلطان لمشروعه الإصلاحية برفض هذا الأخير الإمضاء على الظواهر القانونية التي تعطي شرعية قانونية لهذه السياسة كما نصت عليه بنود اتفاقية الحماية لسنة 1912. فقد اعتبر "سييلمان" أن باريس تأكدت من خلال تلك الأيام الكارثية في طنجة من سوء نوايا السلطان الذي خيب آمال المقيم

ميناء السويس ثم تم نقله إلى القاهرة في 30 ماي 1947. لتبدأ بذلك مرحلة حاسمة من مراحل النضال المغربي الوحدوي أنظر، عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية ج1، مصدر سابق ص 453 - 463.

¹ - *Nationalisme - Istiqlal, Abd el-Krim El Khatabi : Libération De L'ancien Chef Rifain Interné Depuis 1926, à La Réunion, Débarquement à Port Said (31 Mai 1947) Réaction Française Et Etrangères. Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, 24QO/61.*

² - كان تأسيس "لجنة تحرير المغرب العربي" في 05 جانفي 1948 أهم عمل قام به "مكتب المغرب العربي" وقد شارك في تأسيس هذه اللجنة عدة أحزاب مغربية. عن تونس الحزب الدستوري التونسي الجديد و الحزب الدستوري القديم. وعن الجزائر حزب الشعب الجزائري و عن مراكش (المغرب) حزب الاستقلال و حزب الشورى والاستقلال و حزب الإصلاح الوطني و حزب الوحدة المغربية. و قد عين عبد الكريم الخطابي رئيسا و بورقيبة أمينا عاما و أحمد بن عبود أمينا للمال. أنظر، محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، مرجع سابق، ص 547-550. أنظر كذلك ،

Nationalisme - Istiqlal, Activités D'abd el-krim En Egypte: Déclarations à La Presse Interviews, Déplacements. Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris, 24QO/62.

³ - عبد المجيد بن جلون، هذه هي مراكش، مصدر سابق، ص 245.

العام.و لم يكن في مستوى إرادته الصادقة.و لذلك "كان عليها أن تتخذ إجراءات ضرورية لا يمكن اعتبارها حتما ذات طابع استعماري"¹.لأن السلطان" كان سببا في حرمان المغرب من خدمات رجل من كبار الاقتصاديين الفرنسيين.و قضى بذلك على فرصة تاريخية لوضع الشعب المغربي في طريق التقدم والرفاهية"².و " عندما قامت باريس بتنحية و نفي السلطان في 20 أوت 1953 فإن ذلك كان مشروعا ولد في أفريل 1947"³. و قد بقي "لابون" مؤمنا بأن " هذه الزيارة كانت مأساة ليس لفرنسا فقط،بل حتى بالنسبة للمغرب شعبا و سلطانا"⁴.

بهذا الطرح يبدو أن صانعي السياسة الاستعمارية الفرنسية بمختلف توجهاتهم سواء أكانوا متشددين أو ليبراليين لم يستوعبوا ما عرفه العالم بعد الحرب العالمية الثانية من تغيرات جذرية لصالح الشعوب المستعمرة.ليس فقط في المغرب بل في كامل المستعمرات الفرنسية.كما أنهم لم يستوعبوا المغزى الحقيقي مما حدث في طنجة سنة 1947 بأن السلطان تحول إلى محور فعلي للحركة الوطنية المغربية بعدما كان رمزا لها منذ الثلاثينات ومدعما لها منذ جانفي 1944.و من المفارقات التاريخية أن الفرنسيين ساهموا في تكون النزعة الاستقلالية للسلطان محمد بن يوسف من حيث لا يعلموا."لأنهم كانوا يرددون أمامه بأنه الوحيد الذي بإمكانه التصدي لحزب الاستقلال.و في نفس الوقت لم يتوقف هذا الأخير عن التردد على مسامعه بأنه الرجل عظيم و أنه وحده القادر على مواجهة الفرنسيين، مما أدى في نهاية الأمر إلى الإيمان بسلطته الفردية" على حد تعبير " جزن و اتربوري"⁵.

و في 24 ماي 1947 قامت الحكومة الفرنسية الائتلافية(التي كانت مشكلة من"المكتب الفرنسي للأمم المتحدة العمالية S.F.I.O" و"الحركة الجمهورية الشعبية M.P.R").بعزل المقيم العام"لابون"وتعيين الجنرال "الفونس جوان" في مكانه بالرغم من الاختلافات الكبيرة التي شهدتها هذه الحكومة حول قرار تنحيته.و قد كان هذا القرار مبادرة من ورائها الثنائي رئيس مجلس الوزراء"بول رماديه Paul Ramadier" و وزير الخارجية"جورج بيدولت Georges Bidault" أكثر من كونها محل إجماع من طرف كل الأطراف السياسية في فرنسا.وقد ذكر

¹ - Georges Spillmann, *Du protectorat. op.cit, p 136*

² - *ibid.*

³ - *ibid.*

⁴ - *ibid*

⁵ - جون و اتربوري، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، مصدر سابق، ص 93.

رئيس الجمهورية الفرنسية" فانسان أوريول Vincent Auriol " في مذكراته " *Journal d'un Septennat* " أن السلطان محمد بن يوسف تجاوز حدوده بشكل لا يمكن السكوت عنه¹. و بالرغم من أن تنحية " لابون " كانت حتمية و لكنها كانت محل اختلافات كبيرة بين مختلف الأطراف السياسية في فرنسا . بين رغبة في الإبقاء عليه مع ضرورة تغيير سياسته. و بين رغبة في إحداث تغيير جذري في السياسة الفرنسية في المغرب². فالنسبة له كان وزير الخارجية "بيدولت" أكثر المتحمسين لهذه السياسة لأن "لابون" لأنه كان "مخطئا في ثقته المطلقة التي وضعها في السلطان محمد بن يوسف في حين كان يجب عليه أن يظهر له سلطة القوة الحامية. و لذلك كان يجب تعويضه بمقيم عام آخر للقيام بهذه المهمة³. و في البرلمان الفرنسي، ذكر "بيدولت" أمام لجنة الشؤون الخارجية، التي طلبت منه تقريرا حول أوضاع المغرب بعد خطاب طنجة، أن "السلطان المغربي كان معاديا للمصالح الفرنسية في المغرب منذ مدة طويلة، و قد اظهر ذلك في 10 أفريل 1947 بمدينة طنجة لأنه ألقى فيها خطابا غير معقول ومعادي لفرنسا و لذلك يجب إعادته إلى خاتمه الطبيعية الذي نصت عليها معاهدة الحماية. و لكن هذا لا يجب أن يدفع بفرنسا للتراجع عن سياستها الإصلاحية في المغرب التي يجب مواصلتها و لكن في مناخ جديد و من طرف رجل آخر يكون أكثر حزم⁴.

و قد دعم ذلك رئيس الوزراء "رماديه" لأنه اعتبر أن "السلطان المغربي بحاجة أن تتخذ باريس بشأنه إجراء شجاعا يظهر حزمها و تصميمها على إمكانية عزله للحفاظ على محمية المغرب⁵. و لم تستطع معارضة بعض الوزراء الاشتراكيين أن توقف هذا التيار الجارف. فقد طالب هؤلاء ببقاء "لابون " في منصبه على رأس الإقامة العامة لأنه تحصل على نتائج جد إيجابية على المستوى الاقتصادي. بالإضافة أنهم اعتبروا تغيير باريس للمقيمين العامين في كل مرة يضعف مكانة فرنسا في المغرب⁶. كما اعتبر هؤلاء تعيين "جوان" مقيما عاما في المغرب خطأ فادحا لأنه لا يملك المؤهلات الكافية. بالإضافة إلى "ماضيه الأسود" بكونه كان من المؤيدين لحكومة فيشي الموالية للنازية. و قد تم توقيفه في شمال أفريقيا بتهمة التعاون

¹ - Vincent Auriol, *Mon Septennat, 1947 – 1954*, Editions Gallimard, Paris, 1970, p 228 -229.

² - *ibid.*.

³ - *ibid.*.

⁴ - *ibid.* p ,230.

⁵ - *ibid.* p ,231 .

⁶ - *ibid.*, p, 232.

مع الألمان¹. ولكن كل ذلك لم يستطع توقيف الآلة التي انطلقت في باريس من أجل إحداث تغيير جذري في المغرب. و"توقيف أحلام ذلك السلطان الإقطاعي الذي يجب أن يدرك حزم السياسة الفرنسية عندما يتعلق بالمساس بإحدى الأعمدة التي قامت عليها الجمهورية الفرنسية الرابعة المتمثلة في الإتحاد الفرنسي". على حد تعبير "أوريول"²

لقد عينت الحكومة الفرنسية الجنرال "جوان" الذي كان يلقب بـ"الإفريقي"³ كتاسع مقيم عام في المغرب و ثالث رجل عسكري تم تعيينه في هذا المنصب⁴. بمهمة أساسية حددها له معالمها وزير الخارجية "بيدولت" في قرار تعيينه الذي صدر في 24 ماي 1947. و تتمثل في تطبيق سياسة الجمهورية الفرنسية الرابعة فيما يخص المغرب، و المتمثلة في "تحويله بصورة تدريجية من نظام الحماية، الذي أصبح في شكل إدارة مباشرة، إلى نظام آخر يضمن بقاءه في نطاق الإتحاد الفرنسي الذي جاء في دستور 1946"⁵. لقد تضمن قرار تعيين المقيم العام الجديد الجنرال "جوان" قيام هذا الأخير بتغيير جذري للمؤسسات المغربية التي تم إنشائها وفق معاهدة الحماية لسنة 1912. حتى تصبح تتماشى مع هذه المنظومة الاستعمارية الفرنسية الجديدة. و لم يكن ينتظر من المغاربة و على رأسهم السلطان محمد بن يوسف القبول بذلك التوجه الاستعماري الجديد الذي يحول المغرب من نظام الحماية إلى نظام الإدارة المباشرة لذلك جاء

¹ - Vincent Auriol, *Mon Septennat*, op.cit p 231.

² - *ibid*.

³ - لقب كذلك نظرا لعلاقته بأفريقيا. فهو من مواليد مدينة عنابة بالجزائر سنة 1888. من عائلة من الكولون المتعصبين في الجزائر انخرط في الجيش الفرنسي و درس في الأكاديمية العسكرية "سان سير" تخرج منها سنة 1912 في الدفعة التي حملت اسم "فاس" وكان في نفس الدفعة الجنرال "ديغول". ثم انتقل إلى المغرب سنة 1914. و شارك في الحرب العالمية الأولى مع الفرقة المغربية في معارك "المارن". و جرح فيها حيث فقد فيه استعمال يده اليمنى نهائيا. و في 1921 كان تحت أوامر المارشال "ليوتي". انتقل إلى تونس سنة 1922 ليعود للمغرب في سنة 1923 حيث شارك في محاربة عبد الكريم الخطابي. و في سنة 1929 أصبح رئيس الفرقة العسكرية في الإقامة العامة أثناء فترة "سان لوسيان". و بعد سقوط باريس في جوان 1940 أصبح من مؤيدي حكومة "فيشي". ليلتحق بالجنرال ديغول سنة 1943 و يقود حملة إيطاليا إلى جانب الفرقة المغربية. و بعد قيامه بمناصب عسكرية في أوروبا و الحلف الأطلسي عين مقيما عاما في المغرب في ماي 1947 بعد خطاب طنجة. عارض "جوان" سياسة ديغول في تطبيق مبدأ الحكم الذاتي في المستعمرات الفرنسية مما أدى إلى إبعاده عن أي منصب سياسي ابتداء من سنة 1962 إلى غاية وفاته سنة 1967، و يعتبر من أكبر أعمدة "أكاديمية العلوم الاستعمارية". و عند وفاته أقامت فرنسا مراسيم دفن رسمية من الدرجة الأولى المخصصة للرؤساء.

⁴ - شغل خمسة عسكريين فرنسيين منصب المقيم العام في المغرب من مجموع أربعة عشر. وهم المارشال "ليوتي" (1912 - 1925) والجنرال "شارل نوجيس" (1936 - 1943). والجنرال "ألفونس جوان" (1947 - 1951) و الجنرال "أوغستين غيوم" (1951 - 1954) والجنرال "بوايه دولاتور" (1954 - 1956).

⁵ - *Instruction Au Résident General Au Maroc*, 24 Mai 1947. *Archives Diplomatiques De la Courneuve, Paris. Série Maroc 1944-1955*, 24 QO/1, *Résidents Généraux*, (1944, 1949).

في هذا القرار أنه "يتعين على الجنرال جوان أن يطبق هذا التوجه الجديد بقوة. لا بتفاوض مع السلطان، لأنه الطريق الوحيد الذي يرجعه إلى دوره الحقيقي. و يحافظ على المغرب. ويعيد الاعتبار لمكانة فرنسا"¹. و لتفادي استعمال السلطان لسلحه القديم و الوحيد برفضه الإمضاء على المراسيم التنظيمية التي كانت تنص على أي مشروع "إصلاحي" تتقدم به الإقامة العامة. كما قام بذلك برفضه الإمضاء على الظهائر التي قدمها له "لابون" لتطبيق برنامج الإصلاحي². تضمنت توجيهات باريس للمقيم العام أنه " يجب عليه تجاوز هذه العقبة و إظهار السلطان بمظهر المعادي للتطور الديمقراطي للمؤسسات المغربية. ولذلك أصبحت مسألة تنحيته واردة ومقبولة لدى باريس. ويجب عليه أن يعرف ذلك. خاصة إذا واصل قراءته للظروف الدولية على أنها لصالح مشروعه"³.

لقد وضعت باريس في يد الجنرال "جوان" سلاحا خطيرا لم تمنحه لغيره من قبل. و يعتبر ذلك انعكاسا لمدى تأثير ما قام به السلطان في مدينة طنجة في أفريل 1947. ولذلك اعتبر مقيما عاما "خارج العادة" بصلاحيات مطلقة من أجل "إعادة الأمور في المغرب إلى ما كانت عليه قبل الزيارة السلطانية لمدينة طنجة بكل الوسائل، بما فيها تنحية السلطان سواء بدفعه إلى التنازل عن العرش. أو بعزله من طرف السلطات الفرنسية"⁴. وقد اعترف هو بنفسه أن هذه الصلاحيات كانت بمثابة سلاحا خطيرا وضعت الحكومة الفرنسية بين يديه من أجل استعماله بكل حرية. إلا أنه أقر بأنه استعمله لتخويف السلطان من عاقبة مواصلة لما شرع فيه في مدينة طنجة أكثر من رغبة فعلية لتنفيذه ميدانيا⁵. خوفا من التعقيدات التي قد تنجم عن ذلك في المغرب. حيث أصبح السلطان "زعيمًا وطنيا بامتياز، ورمزا لوحدة المغرب وطنية وأرضا" وبالتالي فإن "تنحيته في ذلك الجو الوطني المشحون بالمشاعر الوطنية المؤيدة له من شأنه أن يشعل المغرب في وقت غير ملائم بالنسبة لباريس"⁶. و حتى يتفادى الجنرال "جوان" ذلك، و في نفس الوقت يتم تطبيق السياسة الفرنسية الجديدة، طلبت باريس منه اعتماد مرحلة تقتضي ببداية "تنحية كل مستشاري السلطان الذين كانوا من وراء توجهه الاستقلالي

¹ - *Instruction Au Résident General Au Maroc op.cit.*

² - *Stéphane Bernard Le Conflit Franco-Marocain, 1 vol, op .cit, p 107.*

³ - *Instruction Au Résident General Au Maroc op.cit.*

⁴ - *Alphonse Juin, Mémoires, op.cit, 139.*

⁵ - *ibid. p , 140.*

⁶ - *Guillaume Denglos, juin l'Africain. op.cit, p291.*

و الوجودي في مدينة طنجة بهدف عزله واستعادة السيطرة عليه، وإعادته لدوره الطبيعي¹ و بهذه الصفة لم يكن أمامه إلا الخضوع أو إبعاده عن العرش بإرادته أو بعزله. وبالنظر إلى ما صرح به في مدينة طنجة في أفريل 1947 حول رفضه انضمام المغرب لـ "الإتحاد الفرنسي" فإن باريس لم تترك خيارا أمامه سوى الانخراط بصورة كلية في أطروحة حزب الاستقلال و حزب الشورى والاستقلال اللذان كان رفض ذلك الانضمام من أهم بنود برنامجهما². و بالتالي فإن المواجهة بين السلطان و السلطات الفرنسية أصبحت حتمية. فالبرغم من التناقضات التي تميز بها قرار تعيين الجنرال "جوان"³. فإن باريس تعمدت ذلك من خلال تعيينه وتزويده بتلك التوجيهات، و إعطائه تلك الصلاحيات. فلطالما كان هذا الرجل يصرح بأنه يعتبر "شمال أفريقيا ضيعة لأجداده"⁴. و بالتالي فإن الحكومة الفرنسية جمعت بين البرنامج و الوسيلة في المغرب للرد على ما قام به السلطان في مدينة طنجة⁵.

إذا كان "بيان الاستقلال" الصادر في جانفي 1944 متحدته الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية. فإن مضمون خطاب طنجة في أفريل 1947 كان كذلك بيانا للاستقلال. ولكن متحدته كان السلطان محمد بن يوسف الذي طالب باسم الشعب المغربي باستقلال و وحدة المغرب و فصله عن كل تبعية لفرنسا بكل أشكالها، والحضارية منها على الخصوص. و بقدر ما أراد في مضامين ذلك الخطاب استرجاع وحدة المغرب "سلطانا" و "وطنية" و "أرضا"، فقد أصبح وجها لوجه مع فرنسا التي خرجت من الحرب العالمية الثانية. وأسست الجمهورية الرابعة معتبرة الإمبراطورية الاستعمارية جزءا لا يتجزأ منها من خلال "الإتحاد الفرنسي" الذي كان من مكوناتها الدستورية. فلم تتردد باريس في تعيين الجنرال "جوان" بكامل الصلاحيات

¹ - لقد اتبعت السلطات الاستعمارية نفس الإجراء بعد أحداث الاستقلال في جانفي 1944 عندما قام المقيم العام "غابريال بيسو" بالضغط على السلطان لعزل وزير العدل محمد بن العربي العلوي و وزير التربية أحمد بركاش. أنظر الفصل الرابع.

² - Guillaume Denglos, *juin l'Africain. op.cit, p292*.

³ - فبالرغم من أن باريس سعت بأن تكون حازمة اتجاه السلطان. إلا أن التعليمات التي أعطيت للجنرال "جوان" كمقيم عام التي جاءت في قرار تعيينه كان فيها الكثير من التناقضات، فهي من جهة تطلب منه تطبيق إصلاحات سياسية في إطار روح معاهدة الحماية لسنة 1912 و جهة أخرى تضمنت ضرورة نقل المغرب من نظام الحماية إلى "الإتحاد الفرنسي" وذلك إما بالتفاهم الإجمالي مع السلطان بإدماجه في هذه الآلية الانتقالية. أو بتهديده بتنحيته في حال عدم تجاوبه مع هذه السياسة. و بهذه الحالة كان السلطان

مخيرا بين الخضوع أو العزل سواء بإرادته أو بقوة قهرية. أنظر، Guillaume Denglos, *juin l'Africain. op.cit, p291*.

⁴ - Guillaume Denglos, *juin l'Africain. op.cit, p 156*.

⁵ - *ibid*.

لتغيير مسار الأحداث في المغرب. فقد ذكر في مذكراته انه "بالرغم انه لم يترشح لهذا المنصب. و لكن الحكومة الفرنسية استدعته بصفته الأفريقي نظرا للأحداث التي عرفها المغرب. و لذلك لبي نداءها بإرادة مواصلة الإنجاز الحضاري الذي شرعت فيه فرنسا منذ سنة 1912"¹. وللتأكيد على هذه المهمة رحب به المستوطنون و " جاءوا لميناء الدار البيضاء في 25 ماي 1947 لاستقباله تحت واحد و عشرين طلقة أطلقها الجيش الفرنسي في الدار البيضاء معلنا عن بداية عهد جديد في المغرب"².

فبهذا التعيين واعتبر هؤلاء المستوطنون أن المغرب كان بحاجة إلى فريق عمل بقيادة هذا الجنرال الذي يعتبر تلميذا للماريشال "ليوتي" لتذكير الجميع بمجد هذا الأخير³. ولكن الذي تجاهله هؤلاء أن "مغرب الماريشال ليوتي" كان قد مر عليه أكثر من عشرين سنة. وإذا كان "ليوتي" لم يجد صعوبة في مواجهة "سلطان المغرب لسنة 1912". فإن المهمة لم تكن كذلك بالنسبة للجنرال "جوان" الذي كان عليه أن يواجه "سلطان المغرب لسنة 1947". وبالرغم من أن الحكومة الفرنسية كانت مستعدة للقيام بكل شيء للحفاظ على المغرب في نطاق الإمبراطورية الاستعمارية، بما في ذلك عزل السلطان محمد بن يوسف.

و لكن في حقيقة الأمر لم يعد انفصال المغرب عن هذه الإمبراطورية أكثر من مسألة وقت. كما قال بذلك آخر مقيم عام ليبرالي في المغرب "إيرك لابون" لـ "شارل أندري جوليان" الذين كان من صناع السياسة الفرنسية في المغرب في الثلاثينات، أثناء فترة حكم الجبهة الشعبية. ومستشارا لـ "الإتحاد الفرنسي بين سنتي 1947 و 1951، بالإضافة أنه مؤرخا و معاصرا لأحداث المغرب و شمال أفريقيا عامة⁴.

¹ - Alphonse Juin, *Mémoires*, op.cit.139.

² - Guillaume Denglos, *juin l'Africain*. op.cit, p 296.

³ - *ibid.*, p 292.

⁴ - ذكر شارل أندري جوليان أنه حضر مأدبة غداء في 25 جويلية 1947 أقامها رئيس الجمهورية الفرنسية "فانسان أوريول Vincent Auriol" في باريس على شرف الجنرال "جوان" لتهنئته على نجاحه بإعادة الأمور إلى نصابها في المغرب. و كان من بين الحاضرين الحاكم العام في الجزائر "شاتنيان Chataigneau" و "إيريك لابون" الذي كان يشغل منصب مستشارا للحكومة الفرنسية وبعد الاستماع للجنرال "جوان" فهمس له "لابون" في أذنه قائلا: "لقد فقدنا المغرب يا عزيزي و لكن لا أحد يدرك ذلك إلا أنا و أنت". أنظر، Charles-André Julien, *Le Maroc Face aux*, op.cit, p 200.

الخلاصة

اتخذت المغرب منذ البدايات الأولى للنفوذ الفرنسي سنة 1907 أسلوب المقاومة المسلحة انطلاقاً من الأرياف، فلم تخل أية منطقة منها، في الوسط وفي الصحراء وفي الشمال وفي جنوب الأطلس الكبير. وجاء في التقارير الفرنسية أن نظام الحماية لم يتم تثبيته إلا في مطلع الثلاثينات حيث قبلت المغرب بالأمر الواقع وحقت "عمليات التهدئة" كل أهدافها في المغرب. الذي تحول إلى "محمية هادئة" وأصبحت معاهدة فاس للحماية لـ 30 مارس 1912 قانوناً سياسياً للمغرب.

وفي ماي 1930 أصدر نظام الحماية "الظهير البربري" الذي احتج عليه المغرب وكان كذلك بمثابة بداية المقاومة السياسية التي اتخذت من المدن منطلقاً لها. وتبنت برنامجاً إصلاحياً ظهر سنة 1934 من خلال وثيقة "مطالب الشعب المغربي" التي تضمنت المطالبة بإصلاحات سياسية وقضائية واجتماعية واقتصادية. فتحول هذا التاريخ إلى بداية للمقاومة السياسية المغربية المنظمة بظهور "كتلة العمل المغربي" التي لم تستطع الحفاظ على انسجامها الداخلي، وتصدعت في مطلع سنة 1937.

عرف المغرب أثناء الحرب العالمية الثانية تطورات هامة أدت بانتقال مرجعية الحركة الوطنية من المرجعية "الإصلاحية" إلى "الاستقلالية". كما أدت إلى ظهور السلطان على مسرح الأحداث كطرف فاعل. إلا أن باريس لم تأخذ بعين الاعتبار لا هذه التغيرات الدولية العميقة، ولا ما كانت تطالب به الحركة الوطنية المغربية منذ مطلع جانفي 1944. وأرادت الحفاظ على مستعمراتها بتطبيق مشروع سياسي إدماجي عرف بـ "الإتحاد الفرنسي". وقد شكل هذا صدمة للحركة الوطنية المغربية، التي جددت نشاطها الوطني باعتماد وسائل نضالية جديدة تتماشى و ظروف عالم بعد الحرب. وأدت كذلك هذه السياسة الفرنسية إلى بقاء السلطان محمد بن يوسف الذي أصبح طرفاً فاعلاً في معادلة التحرير الوطني منذ نوفمبر 1942 ومنذ تصريح فرانكلين روزفلت له في جانفي 1943 عن "العهد الأمريكي" الجديد بالنسبة للمغرب فلم يتردد السلطان في التعبير عن خيبة أمل المغرب من العهد الفرنسي الجديد في خطابه التاريخي في أبريل 1947 بطنجة و بمرارة عن نكران الجميل من طرف فرنسا إزاء المغرب، و تمسكه بالبعد الحضاري للأمة المغربية المتعارض مع مشروع "الإتحاد الفرنسي". وقد أثر هذا بشكل واضح في باريس التي سارعت إلى تغيير جذري في سياستها المغربية وتذكير المغرب شعباً ومملوكاً ببند عقد الحماية لسنة 1912. وقد قام الجنرال "جوان" بهذه المهمة على أحسن وجه. لقد

ظهر أن الجمهورية الرابعة حاولت توقيف عجلة التاريخ في مستعمراتها بمطالبة شعوبها بتجاهل ما عرفه العالم من تصاعد للمد التحرري.

وفي مطلع سنة 1951 عرفت القضية المغربية تطورا خطيرا. فقد بدأت باريس في تنفيذ مشروع عزل السلطان محمد بن يوسف الذي اعتبرته خطرا عليها بعد خطابه في مدينة طنجة في أبريل 1947. وقد كان لتكتل الباشوات والقواد الذي أصبح منذ نهاية سنة 1950 بزعامة باشا مراكش التهامي الجلاوي، من أهم أوراق السياسة الفرنسية في المغرب. وقد التفت الحركة الوطنية في المنطقة السلطانية و حتى في الخليفة، حول السلطان كضرورة أساسية لحل الأزمة المغربية. ويعتبر هذا استمرارا لمكانة العرش في الحركة الوطنية منذ مطلع الثلاثينات.

مما سبق، و من خلال متابعة مضمون هذه الدراسة حول الحركة الوطنية في المنطقة وبعد متابعة مختلف المحطات النضالية التحررية للحركة الوطنية في المنطقة السلطانية يمكننا الوصول إلى النتائج الآتية:

- بالرغم من أن الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية كانت كرد فعل على السياسة البربرية التي ظهرت معالمها في ظهير 16 ماي 1930، فإن ظهورها كان نتيجة تناغم مجموعة من العوامل الداخلية و الخارجية. لقد أعاد المغاربة بعث الكثير من مؤسسات النهضة على رأسها جامعة القرويين، و لكن بروح إصلاحية جديدة سمحت لهم باستعمالها في تعبئة المغاربة ضد نظام الحماية. و في نفس الوقت خضع المغاربة لمجموعة من العوامل الخارجية التي كانت شرقية بتأثرهم بحركة الإصلاح التي عرفها العالم الإسلامي. و تأثر كذلك الشبان المغاربة بمختلف التأثيرات الغربية التي عايشوها في الأروقة الجامعية، نقلوا تأثيراتها إلى المغرب، حيث ظهر ذلك في الحركة الصحفية التي استعملها هؤلاء الشباب في التعبير عن مطالبهم الوطنية.

- لقد اعتمدت هذه الحركة على مبدأ المطالبة بالإصلاح كمرحلة. حيث سعت للاستفادة من نظام الحماية من مختلف الجوانب السياسية و الثقافية و الاجتماعية. كما كان لعدد من زعمائها دورا فاصلا في تحديد توجهاتها الإيديولوجية كما هو الحال لعلال الفاسي و محمد حسن الوزاني اللذان كان لهما دورا حاسما في ميلاد و تصاعد الوطنية المغربية

المعارضة لنظام الحماية في مرحلة الثلاثينات عندما كانا من المنشطين الأساسيين للساحة المغربية أثناء الاحتجاج على السياسة البربرية.

- على عكس الأنظمة الملكية الأخرى في عدد من البلدان العربية التي كانت من وسائل استعمار شعوبها. فإن سلطنة العلويين الأشرف سجلت استثناءا و كانت إلى جانب القضية الوطنية. و قد كان للحركة الوطنية دورا في ذلك التموقع. لأنها سعت منذ مطلع الثلاثينات إلى استقطابها وجلبه إلى الصف الوطني وتحويله من أداة لنظام الحماية إلى أداة للقضاء عليه على حد تعبير محمد العربي المساري. و لئن فشلت هذه الحركة في تحقيق ذلك حينها نظرا لطبيعة الظروف التي كانت نعرفها، فإن أحداث الحرب العالمية الثانية وما تضمنتها من تطورات دولية هامة حدثت على أرض المغرب مثل نزول الحلفاء في سواحل المغرب في نوفمبر 1942 و انعقاد قمة "أنفا" في جانفي 1943 أدت على تغيير جذري في موقعة هذه المؤسسة التي تحولت إلى عنصر أساسي من عناصر الوطنية المغربية في مرحلتها التحررية. و إن كان ذلك ضمينا في بيان الاستقلال لشهر جانفي 1944، فإنه كان صريحا في الخطاب السلطاني الذي ألقاه السلطان محمد بن يوسف في 10 أبريل 1947. فمباشرة بعد هذه المحطة أصبحت الحركة الوطنية المغربية بزعامة المؤسسة التقليدية التي أصبحت تسعى لتحرير المغرب والحفاظ على بعده القومي و الروحي.

- بقدر ما حاولت الحركة الوطنية المغربية الدفاع عن المؤسسات المخزنية واعتبارها من ثوابت المجتمع المغربي. فإن مكوناتها اختلفت بين من كان يرغب في الحفاظ عليها كما كانت قبل الحماية كما هو الحال لعلال الفاسي و رفاقه الذين لم يطرحوا مسألة الإصلاح الدستوري بأي شكل من الأشكال. بل اعتبروا من طالب بذلك غير منسجم مع الضرورة السياسية التي كانت ذات أولوية تحررية. كما قال بذلك عبد الكريم غلاب في كتابه "تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب". إلا أن في حقيقة الأمر اعتبروا ذلك تجاوزا لهذه المؤسسة وتدخل في صلاحياتها المقدسة. إلا أن ذلك لم يمنع من بعض مكوناتها المطالبة بعصرنة هذه المؤسسات الموروثة عن مرحلة ما قبل الحماية وإفراغها من مضمونها السلطوي بدعوته إلى نظام ملكي دستوري على الطريقة الانكليزية. ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لأن أصحابها واجههم التيار الوطني الجارف الذي كان غالبا فكرا وممارسة من

جهة،ومن جهة أخرى لأن نظام الحماية قام بتهميشهم وبالتالي لم يكن يرغب في نقل النموذج الحضاري الغربي كاملا غير منقوص كما كان يدعيه الماريشال"ليوتي"بعد إمضاء عقد الحماية في 30 مارس 1912. وانشصرت مهمة هذا النظام في الحفاظ على التوازن الاجتماعي التقليدي الموروث ولو قدر لهذا التيار النجاح في هذه المهمة فإنه كان سيتغير مجرى تاريخ المغرب،و كان بإمكان النظام المخزني التقليدي التحول إلى ملكية دستورية ديمقراطية عصرية قبل أن يستعيد حيوته و قوتهن كما كان ممكنا أن تحدث تطورات أخرى...

- لقد سعت الحركة الوطنية للاستفادة من نظام الحماية ببرامج إصلاحية في فترة الثلاثينات.و اعتبرت أن منظومته تتضمن بعض المظاهر الإيجابية التي يمكن الاستفادة منها.و لم تتردد في تكرار محاولة الاستفادة من هذا النظام بالرغم من إلغاءه لأية إمكانية لتحقيق ذلك حتى في الفترة التي قاد فيها اليسار الفرنسي السياسة الفرنسية.ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية وما ارتبط بها من تحولات جذرية عرفها المغرب مجتمعا و سلطانا و حركة وطنية،بالإضافة إلى رفض باريس أي مشروع إصلاحي للمغرب حتى في أحلك فترات التاريخة أثناء الحرب العالمية الثانية.كل ذلك دفع بالحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطاني أن تطلب الفراق لأن الوفاق لم يحدث.و قد عرفت نهاية سنة 1950 و مطلع 1951 بداية تأزم الوضع في المغرب.و لذلك عرفت في هذه السنة إسقاط هذه الحركة من لوائح مطالبها أية إشارة إلى فكرة الإصلاح .فقد حل محل هذه الأخيرة الاستقلال.

- لقد قامت الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية بدور تحرري هام.و كانت من وراء تحول السلطان محمد بن يوسف إلى رمز وطني.و قد تمسكت به حتى عندما قررت باريس تعويضه بسلطان آخر. أو حتى إزالة هذا النظام إن حافظ ذلك على تواجدها في المغرب.و بعد الاستقلال مباشرة.و على عكس ما كان منتظر لهذه الحركة الوطنية بان تقوم بدور ريادي،فإن ذلك لم يحدث و بالعكس فقد تعرضت للعديد من الهزات، و أصبحت هدفا لتقسيمها و تفتيتها كما حدث في " الزلزال السياسي" الذي ضرب الخريطة السياسية للمغرب في سنة 1959.و من المفارقات التاريخية أن يكون من أكبر ضحايا ذلك الزلازل " الاستقلاليون " و " الشوريون".و قد يكون مرد ذلك للأوضاع الداخلية لحزب الاستقلال و

حزب الشورى و الاستقلال، و لكن كان له علاقة بالدور التاريخي الذي قام به هذا الحزبان في تحرير المغرب.لقد ذكر "جون واتربوري" في كتابه أن أحد الاستقلاليين ذكر له أنهم "ساهموا في تكوين نزعة استبدادية للسلطان محمد بن يوسف لأنهم لم يتوقفوا عن اعتباره بأنه الرجل العظيم و أنه وحده القادر على مواجهة الفرنسيين...مما أدى إلى الإيمان بسلطته الفردية".و إذا ذلك قد ساهم في تحرير المغرب فإن ذلك التشخيص كان من أهم معالم المشكلة السياسية في المغرب مباشرة بعد الاستقلال.

الملاحق

مشروع الدستور (1908)

الدولة و الدين و السلطان

المادة الأولى : يطلق على جميع الأقطار المراكشية اسم الدولة المغربية الشريفة.

المادة الثانية: الدولة الريفية المستقلة استقلالاً كلياً.

المادة الثالثة: إن عاصمة الدولة الشريفة الرسمية هي مدينة فاس لا غير، و ليس لهذه العاصمة امتياز بشيء عن سائر مدن السلطنة.

المادة الرابعة: إن دين الدولة الشريفة الرسمية هو الدين الإسلامي و المذهب الشرعي فيها هو المذهب المالكي.

المادة الخامسة: تحترم سائر الأديان المعرفة بلافق، و يحق لأصحابها ان يقيموا شعائر و معالم معتقداتهم حسب عوائدهم بكل حرية، ضمن دائرة مراعاة الآداب العمومية.

المادة السادسة: يلقب السلطان بإمام المسلمين و حامي حوزة الدين.

المادة السابعة : يجب على كل فرد من أبناء السلطنة الطاعة للإمام الشريف، و الاحترام لذاته، لأنه وارث البركة الكريمة.

المادة الثامنة: إن حضرة السلطان غير مسؤول بأمر من أمور الدولة، لا داخليا لا خارجيا. المادة التاسعة : يجب الاحترام لكل واحد من آحاد الأسرة السلطانية، و المحافظة على أموالهم و أملاكهم الشخصية

المادة العاشرة: إن وراثة الإمامة عائدة بحسب العوائد القديمة للأرشد، بل الأقرب من ذوي القربى

المادة الحادية عشر: باسم السلطان تضرب النقود و تخطب الخطب، و له قيادة الجيش الكبرى و إشهار الحرب و عقد الصلح، و إبرام المعاهدات مع الدول، و بمصادقته و إمضائه تعتبر تقارير مجلس الوزارة و تقارير منتدى الشورى و تنفيذ أحكامها و بمصادقته و إمضائه يعينوا موظفو الدولة كبارا و صغارا أو يعزلون، و له المكافأة و إعطائه النياشين و المجازاة، و له العفو عن المحكوم عليهم بالموت أو تبديل الحكم و تخفيفه، و هو الذي يمثل الأمة و الدولة معا أمام الدولة الأجنبية.

أبناء الدولة الشريفة

حقوقهم و واجباتهم العامة :

المادة الثانية عشرة: يطلق لقب مغربي على كل واحد من أبناء الدولة الشريفة، سواء كان مسلما أو

غير مسلم.

المادة الثالثة عشرة: يحق لكل مغربي أن يتمتع بحريته الشخصية، بشرط أن لا يضر غيره و لا يمس

حرية غيره.

المادة الرابعة عشرة: إن الحرية الشخصية تقوم بأن يعمل كل واحد ما يشاء، و يتكلم بما يشاء و يكتب ما يشاء، مع مراعاة الآداب العمومية.

المادة الخامسة عشرة: إن التعليم الابتدائي إلزامي على قدر مساعدة الأحوال.

المادة السادسة عشرة: المطبوعات حرة مع الآداب العمومية.

المادة السابعة عشرة: إن جميع المسلمين متساوون في الحقوق أمام وظائف المخزن التي تعطي بحسب الكفاءة الشخصية، و ليس بواسطة الوسطاء و النافذي الكلمة و لا بالأموال.

المادة الثامنة عشرة: لا يجوز أن يتولى أمة وظيفة من وظائف المخزن على الإطلاق. فعلى الموظف أن يكون عارفا باللغة العربية قراءة و كتابة حق المعرفة.

المادة التاسعة عشرة: إن تكاليف الدولة المالية توضع على كل فرد من أفراد الأمة بحسب ماليته و اقتداره.

المادة العشرون: إن الفقراء العواجز و العميان الذين لا عمل لهم يعيشون منه يعفون من كل تكليف و ضريبة على الإطلاق، و كذلك خدام بيوت الله و المساجد و الزوايا و الذين يعيشون من الأوقاف

المادة الحادية و العشرون: إن موظفي المخزن، من كبيرهم إلى صغيرهم، هم كسائر الناس تلزمهم الضرائب و التكاليف المالية

المادة الثانية و العشرون : لا يجوز أبدا طرح ضرائب و تكاليف مالية على جهة من السلطنة دون جهة، ولا على مدينة دون جهة، و لا على قبيلة دون قبيلة، و إنما يجب أن تكون التكاليف عامة على جميع الأمة في كل نواحي السلطنة في وقت واحد.

المادة الثالثة و العشرون: كل مغربي آمن على ماله و ملكه، فلا يسوغ لهيأة الحكومة أن تأخذ من أحد ملكه إلا إذا كان ضروريا للمنفعة العامة. وذلك يكون بعد قرار منتدى الشورى و مصادقة السلطان كتابة، و يدفع لصاحب الملك ثمنه الحقيقي سلفا.

المادة الرابعة و العشرون: لا يسوغ أن يحجز مال احد أو ملكه أو شيء مما له سبب من الأسباب إلا بعد قرار منتدى الشورى و مصادقة السلطان كتابة.

المادة الخامسة و العشرون: لا يسوغ لهيأة الحكومة أن تدخل جبرا مسكن احد من الناس لسبب من الأسباب إلا بعد قرار منتدى الشورى و موافقة السلطان كتابة.

المادة السادسة و العشرون: لا يسوغ أن يجبر أحد على الذهاب إلى فاس أو غيرها من البلدان لسبب من الأسباب إلا بعد قرار منتدى الشورى و مصادقة السلطان كتابة.

المادة السابعة و العشرون : قد أبطل الضرب بالعصي، والجلد بالسياط، و التشهير و التعذيب بأي آلة من آلات التعذيب و كل نوع من أنواع الأذى، وكل صنع يستهجنه طبع المدينة إبطالا قطعا من السلطنة جميعا.

المادة الثامنة و العشرون: قد أبطل التسخير و التكاليف المالية و سواها غير المقرر من منتدى الشورى إبطالا كلياً من السلطنة جميعها.

المادة التاسعة و العشرون: لا يسوغ أن يحكم على مجرم بالقتل أو بالسجن المؤبد بعد قرار منتدى الشورى و مصادقة السلطان كتابة.

المادة الثلاثون: لا يسوغ أبدا أن تقطع رؤوس العصاة الذين سقطوا في قتال مع عساكر المخزن و تحمل إلى فاس أو غيرها و تعلق على الأسوار كالعادة المعروفة، فكل قائد فعل ذلك يكون مسؤولا أمام منتدى الشورى و السلطان.

المادة الحادية والثلاثون: لا يسوغ لعساكر المخزن عند مقاتلة قبيلة من القبائل أن ينبهوا مواشي القبيلة و دوابها و أشياءها و يقتسموها بينهم حسب العادة المعروفة، فكل قائد يأتي ذلك يكون مسؤولا أمام منتدى الشورى و السلطان.

المادة الثانية و الثلاثون: لا يسوغ أبدا قتل الأسرى و الجرحى أو تجريدهم من ثيابهم و إرسالهم عراة كالعادة المعروفة، فكل قائد فعل ذلك يكون مسؤولا أمام منتدى الشورى و السلطان.

المادة الثالثة و الثلاثون: كل واحد من موظفي المخزن كبارا و صغارا أو من غيرهم من أبناء السلطنة يأتي أمرا مما منع في المواد المذكورة (المادة 23 و 24 و 25 و 26 و 27 و 28 و 29 و 30 و 31 و 32) يكون مسؤولا أمام منتدى الشورى و السلطنة.

المادة الرابعة و الثلاثون: يحق لكل فرد من أفراد التبعة المغربية على الإطلاق أن يقدم شكوى على أي موظف كان من موظفي المخزن أو غيرهم من أبناء البلاد إن ناله منه ظلم أو أذى رأى في أعماله و تصرفه شيئا مما يخالف نصوص إحدى مواد الدستور إلى منتدى الشورى، و على منتدى الشورى أن ينظر في شكوى الشاكي بلا إهمال و لا مهال و ينتصر للحق و العدل على كل حال.
في منتدى الشورى :

المادة الخامسة و الثلاثون: أن منتدى الشورى يؤلف من هيئتين، تسمى الهيئة الأولى مجلس الأمة و الأخرى مجلس الشرفاء.

المادة السادسة و الثلاثون: إن هذين المجلسين يفتحان لمباشرة أشغالهم في وقت واحد بموجب أمر سلطاني، و ذلك في الحادي و العشرين من شهر شوال من كل سنة. و يغلقان أبوابهما في اليوم التاسع من شعبان من كل سنة، و لهما عطلتان في كل سنة أيضا، مدة كل منهما خمسة عشر يوما، و هما عطلة عيد المولد الكريم و عطلة عيد النحر.

المادة السابعة و الثلاثون: يفتح منتدى الشورى في حضور السلطان شخصا أو في حضور الوزير الأكبر و أعضاء المجلسين المذكورين. فيتلى الكتاب السلطاني المؤذن بمباشرة الأشغال.

المادة الثامنة و الثلاثون: كل عضو من أعضاء منتدى الشورى حر في آراءه لا خوف عليه من المخزن و رجاله على الإطلاق. ولا يقيد بأمر من الأمور. ولا يساء به الظن و لا يتهم بتهمة كونه قال ما شاء أن يقول و لو أنه انتقد على الوزير الأكبر الوزراء، ولكن إن بدا منه أمر يخل بنظام المجلس أو يضر بالدولة تجري معاملته على موجب المادة الآتية

المادة الأربعون: إذا تهم أحد الأعضاء من بعض أحد المجلسين بتهمة خيانة للأمة أو بمحاولة إبطال الدستور أو بالرشوة و تثبت عليه التهمة بموجب قرار الأكثرية من المجلسين، فيسقط من عضوية المجلس و يجازى حسب أفعاله.

المادة الحادية و الأربعون: يشرع المجلس بأعماله إن كان نصف أعضائه حاضرين و تقرر الأمور بأكثرية الأصوات (أي الآراء) و تصح الأكثرية بزيادة صوت واحد فإذا تساوت الأصوات يحسب للرئيس صوتان و يحكم بالأكثرية من جانبه.

المادة الثانية و الأربعون: ينبغي للمجلس أن يراعي الأقدام فالأقدم في رؤية المسائل و تقريرها، وللمن إذا تعارض أمران مهم و أهم فيقدم الأهم، فكل مسألة عامة النفع أو الضرر من مسائل الدولة الداخلية و الخارجية لا يكون لها اعتبار إن لم يقرر لها مجلس الأمة ثم مجلس الشرفاء.

المادة الثالثة و الأربعون: يقتضي أن تكون مفاوضات مجلس الأمة و الشرفاء خصوصية لا عمومية أي غير علنية، فلا يجوز لأحد أن يشهدا إلا حضرة السلطان و الوزراء و خلائفهم و قاضي القضاة و خليفته أو من يكون بيده إذن خاص من حضرة السلطان يقدم لرئيس المجلس قبل الحضور بيوم واحد. إن كيفية أعمال المجلس الداخلية و نظام أموره مقرر في قانون خاص. في مجلس الأمة :

المادة الرابعة و الأربعون: يجب على كل من ينتخب نائبا في مجلس الأمة أن يكون مستوفيا الشروط الآتية: أولا: أن يكون عارفا باللغة العربية قراءة و كتابة حق المعرفة.

ثانيا : أن يكون من تبعة الدولة المغربية.

ثالثا : أن يكون غير مرتبط بخدمة دولة أجنبية بوجه من الوجوه.

رابعا :أن يكون فوق الثامنة و العشرين من العمر.

خامسا: أن يكون غير مستخدم عند رجل آخر براتب معاشي.

سادسا: أن يكون غير محكوم عليه بالإفلاس أو بالسجن لسرقة أو قتل أو غير ذلك من الجنايات.

سابعا : أن يكون مشهودا بين قومه بحسن السلوك و الاستقامة و النزاهة و محترما من كل عارفيه.

المادة الخامسة و الأربعون : يجري الانتخاب مرة بعد كل أربع سنوات و يجوز تجديد انتخاب النائب.

المادة السادسة و الأربعون: إن كل عضو من أعضاء المجلسين يعتبر نائبا عن الأمة جميعها، وليس على القوم الذين انتخبوه فقط.

المادة السابعة و الأربعون :إذا انقطع النائب عن الحضور إلى المجلس مدة طويلة لسبب مرض متلازم أو لضرورة قصوى لا تدفع، أو انه استعفى أو توفي فينتخب منتخبوه غيره.

المادة الثامنة و الأربعون : إن عدد أعضاء مجلس الأمة يكون على نسبة نائب واحد عن نحو عشرين ألف رجل من السكان. وكيفية الانتخاب مقرر في محلها.

المادة التاسعة و الأربعون: لا يجوز لنائب أن يشغل وظيفتين في وقت واحد، أي يشغل وظيفة النيابة و وظيفة أخرى من وظائف المخزن. فإذا اتخذ وظيفة أخرى سقط من النيابة، ولكن إن انتدبه منتدى الشورى

للقيام بوظيفة مؤقتة. مثل إرسالية تفتيش عن أمر، أو للذهاب لإلقاء الصلح بين فريقين متقاتلين أو الشخوص إلى خارج السلطنة بمهمة دولية ففي مثل هذا الحال الجاز له الجمع بين وظيفتين و لا يسقط من عضوية النيابة.

في مجلس الشرفاء:

المادة الخمسون : إن عدد أعضاء مجلس الشرفاء مع رئيسهم هو خمسة و عشرون عضوا لا غير، ينتخب منهم السلطان الرئيس و ستة، وينتخب مجلس الأمة مع هيئة الوزراء و جماعة العلماء بقية الأعضاء أي ثمانية عشر عضوا.

المادة الحادية و الخمسون : أعضاء مجلس الشرفاء من أكابر رجال الدولة الذين امتازوا بحسن صفاتهم و علومهم و صدق خدمتهم للبلاد، فاكسبوا ثقة الأمة و احترامها و ينتخبون من أعضاء الأسرة السلطانية و من رؤوس الشرفاء و رؤوس العلماء و الفقهاء و مشاهير قواد العساكر و أعيان القبائل و زعمائها و أمثالهم، بيد أنه يشترط على العضو في هذا المجلس أن يكون فوق الخامسة و الأربعين من العمر.

المادة الثانية و الخمسون : يدوم عضو مجلس الشرفاء في وظيفته مادام حيا، و لا يجوز ان يعتزل وظيفته إلا برضاه أو بسبب الطعن في السن أو مثل ذلك. ولكن غن دعت الضرورة إلى توليته منصبا آخر مهما، وذلك لا يكون إلا برضاه أيضا، ففي الحال يفقد العضوية لوجوب انتخاب عضو آخر مكانه.

المادة الثالثة و الخمسون : إن وظيفة مجلس الشرفاء هي أن يصدرها أدق النظر و يبحث أدق البحث في التقادير و اللوائح التي يصدرها مجلس الأمة حتى إذا رأى فيها شيئا مغايرا لإحدى الشرائط الست الآتية برفض تلك اللوائح و التقارير رفضا قطعيا، مع إظهار الأسباب الداعية لذلك، أو أنه يرجعها إلى مجلس الأمة، مع ملاحظة وجوب اصلاح و تصحيح ما لزم الاصلاح و التصحيح. والشرائط الست التي يراعيها مجلس الشرفاء و يراقبها هي هذه:

الشرط الأول : أن لا يكون هناك شيء مما يمس أساس الدين و جوهره أو يخالف نصا من القرآن الكريم.

الشرط الثاني : أن لا يمس استقلال السلطنة.

الشرط الثالث : أن لا يضر حقوق السلطان.

الشرط الرابع : أن لا يجفف بحقوق الأمة أو يضر بالعامّة و الفقير خاصة.

الشرط الخامس : أن لا يمس الحرية و الدستور و الآداب العمومية.

الشرط السادس : أن لا يسبب أضرارا و خسائر لبيت مال المسلمين و أملاك الدولة.

المادة الرابعة و الخمسون : إن رأي مجلس الشرفاء تقارير مجلس الأمة صالحة و موافقة لكل الشرائط المذكورة فيصادق عليها، ثم يقدمها لحضرة السلطان بواسطة هيئة الوزارة، فيوافق السلطان عليها كتابة، و يعمل بها من تاريخ المصادقة السلطانية.

المادة الخامسة و الخمسون : إذا رفض مجلس الشرفاء تقريراً من تقارير مجلس الأمة مرتين، فعلى مجلس الأمة أن لا يقدم ذلك التقرير ثالثة إلا بعد مرور ستة شهور من تاريخ الرفض الأخير. و ذلك بعد أن يصلح من الملاحظات ما استوجب.

في كبار الموظفين:

المادة السادسة و الخمسون : السلطان يعين الوزير الأكبر و قاضي قضاة فاس و نائبي طنجة و مراكش و خلفية له. و مقر هذا الخليفة في العاصمة، و ليس من المقتضى أن يكون ولي العهد و لا من الأسرة المالكة.

المادة السابعة و الخمسون : للوزير الأكبر أن ينتخب سائر الوزراء الخمسة و يعرض أسماءهم على منتدى الشورى، فإن أقر الرأي عليهم يعرضون على الجناب الشريف و يصادق على تعيينهم.

المادة الثامنة و الخمسون : يطلق على العلاف لقب وزير الحرب، و على أمين الأمناء وزير المالية، و على وزير البحر وزير الخارجية، و على وزير الشكاوات وزير الداخلية، و على ذلك تؤلف هيئة الوزارة من ستة أعضاء لا غير و هم: الوزير الأكبر و وزير المعارف، و هؤلاء الأربعة الوزراء المذكورون.

المادة التاسعة و الخمسون : إن عزل الوزير الأكبر من منصبه أو اعتزله هو من تلقاء نفسه عزل مع سائر الوزراء و سقطت الوزارة، و أما إن عزل الوزراء جميعهم فلا يعزل الوزير الأكبر و لا تسقط وزارته.

المادة الستون : كل وزير ينظر في الأمور المتعلقة بوزارته الداخلة في دائرة وظيفته، فإذا عرض أمر لا دخل له في إحدى الوزارات، فيحول إلى نظر الوزير الأكبر، و كل وزير مسؤول شخصياً بما يتعلق بأمر وزارته. أما الوزير الأكبر فهو مسؤول شخصياً بما يتعلق بأمر وزارته. أما الوزير الأكبر فهو بكل إجراءات جماعة الوزراء.

المادة الحادية و الستون : لهيئة الوزارة أن تنتخب عمال بلدان السلطنة و قبائلها، و يعمل برأي المنتدى على كل حال.

المادة الثانية و الستون : كل موظف من موظفي الحكومة الدائمين، كالكتاب و الأمناء و العمال و القضاة و أمثالهم، ويبقى في وظيفته أو خدمته مادام في مكنته القيام بعبئها، و لا يجوز أبداً عزل أحد منهم إلا لسبب موجب للعزل كعدم الصدق في الخدمة و قلة الأمانة أو الكفاءة، و هذا إذا لم يستعف هو من تلقاء نفسه. ولكن إذا ألجأت الضرورة لمصلحة الدولة لعزل أحد من وظيفته فيجب والحالة هذه تعيينه في وظيفة أخرى مماثلة أو أعلى، أو إعطاءه راتب التقاعد.

المادة الثالثة و الستون : كل موظف في وظائف المخزن قضى مدة ثلاثين سنة متواصلة في خدمة الدولة حق له يعتزل الخدمة، ويأخذ راتب التقاعد ببقية حياته، وهو مقدار نصف راتب وظيفته الأخيرة.

المادة الرابعة و الستون : كل عضو من أعضاء منتدى الشورى حر في إظهار آرائه لا خوف عليه عليه من المخزن و رجاله على الإطلاق، ولا يقيد بأمر من الأمور، ولا يساء به الظن و لا يهتم بتهمة لكونه قال

ما شاء أن يقول، ولو أنه انتقد على الوزير الأكبر و كل الوزراء، ولكن إن أبدى منه أمر يخل بنظام المجلس أو يضر بالدولة تجري معاملته على موجب المادة الآتية:

المادة الخامسة و الستون : إذا انقطع النائب من الحضور إلى المجلس مدة طويلة بسبب مرض ملازم أو لضرورة قصوى لا تدفع، أو أنه استعفى أو توفي فينتخب منتخبه غيره.

المادة السادسة و الستون: أن القضاة و أهل الفتوى، و العدول يعينهم قاضي القضاة بموافقة مجلس الشرفاء، أما محتسبون و أمناء الاستفادة فتعينهم هيئة الوزارة وحدها.
في مالية الدولة:

المادة السابعة و الستون : يجب على وزارة المالية أن تسلم إلى منتدى الشورى في خاتمة كل شهر لائحة دخل الدولة و خرجها مفصلة تفصيلا جزئيا مصادقا عليها من الوزير الأكبر.

المادة الثامنة و الستون : لا يسوغ لهيأة الوزارة أن تنفق شيئا من مال الدولة في أي سبيل كان ما لم يصادق عليه منتدى الشورى.

المادة التاسعة و الستون : يعين مجلس الأمة من أعضائه هيئة للتفتيش مؤلفة من ستة أعضاء و رئيس: تنقسم إلى قسمين، يتجول كل قسم منها في نواحي السلطنة و بلداتها بصفة دائمة للبحث في كل أمور الإدارات المخزنية، فيزور كل بلدة و قبيلة مرة في كل الأربعين يوما على الأقل، و يبعث بتقارير إلى الرئيس الذي يكون مقامه في نفس مجلس الأمة. ولهؤلاء المفتشين أن يسمعوا كل شكوى من أفراد الشعب، و يقبلوا لكتب التظلم و معارض الأحوال.

المادة السبعون : يحق لهيأة التفتيش أن توقف أيا من الموظفين عن وظيفته إن بدا أصوبية ذلك لوجود خلل في أعماله، ويستثنى من هذا الأمر نائبا طنجة و مراكش. و يباح لها أن تضع في مكان الموظف الذي كفت يده من العمل من يقوم مقامه مؤقتا، ريثما يأتي جواب منتدى الشورى في أمره.

في رواتب الموظفين:

المادة الحادية و السبعون : يعين منتدى الشورى في جلساته الأولى مبلغ المال الواجب سنويا لنفقات الحضرة لسلطانية، و يراعي في هذا الأمر ضروريات الوظيفة السامية و كماليتها و مقتضى القيام اللائق بالمقام.

المادة الثانية و السبعون : أن رواتب كبار الموظفين الشهرية تكون على هذا المنوال: ريلا مخزنيا 500 للوزير الأكبر: 250 لخليفته: 300 للوزير: 150 لخليفته: 350 لكل من نائبي طنجة و مراكش: 250 للعامل، رتبة أولى 200 للعامل، رتبة ثانية: 350 لرئيس مجلس الأمة: لخليفته: 150 للعضو في مجلس الأمة 200 لخليفته: 150 للعضو في مجلس الأمة: 150 للأمين.

و أما رواتب بقية مستخدمي الحكومة فيعينها منتدى الشورى في جلساته الأولى.

المادة الثالثة و السبعون : يخصص لكل وزير علاوة على راتبه مبلغ معين سنويا للقيام بحق تكاليف المنصب،وكذا يعطى نائب الأمة مائتي ريال سنويا للقيام بحق تكاليف المنصب فضلا عن راتبه،وذلك لنفقة السفر،ومثل هذه القيمة تعطى للأمين أيضا.

المادة الرابعة و : ليس للعضوية في مجلس الشرفاء راتب لكونها شرفية،وإنما حسن لدى الجنب العالي أن يهدي أعضاء ذلك المجلس هدايا نقدية أو غير نقدية في خاتمة كل سنة فله الأمر بذلك. في الحمايات:

المادة الخامسة و السبعون : لا يسوغ لأحد من أبناء الدولة المغربية ان يتخذ حماية دولة من الدول إلا في الحالات الاستثنائية المذكورة في المادة التاسعة و السبعون.

المادة السادسة و السبعون: كل شخص يتحامي بدولة من الدول سرا بدون ان يعلم المخزن و يأخذ رخصة من الحماية لا تعتبر حماية، و لا يجري عليه الجزاء المرتب على ذلك في قانون الجزاء. المادة السابعة و السبعون :كل موظف في إحدى وظائف الدولة اتخذ سرا حماية الدولة من الدول ثم ظهر انه من المحتمين يعزل للحال من وظيفته دون أن تعتبر حمايته،ويجري عليه الجزاء المترتب على ذلك في قانون الجزاء.

المادة الثامنة و السبعون : لا يجوز لأحد من أبناء السلطنة المغربية المتخذ حماية دولة من الدول أن يدخل في الوظائف المخزنية.

المادة التاسعة والسبعون : تجوز الحماية بدولة من الدول في الحالات الاستثنائية:

أولا : أن يكون الرجل موظفا أو مستخدما في دار قنصلية دولة أو في إحدى الإدارات او المجالات الأجنبية الرسمية مثل كاتب أو مخزني أو بواب و ما شاكل ذلك. ثانيا: أن يكون ساكنا خارج المغرب سكنا دائما يقضي عليه بأن يتجنس بجنسية الدولة المستوطن فيها.

ثالثا: أن يكون له صلات و مصالح مع الأجانب توجب عليه أن يتخذ الحماية،و مع هذه الحالات الثلاث لا تعتبر حمايته ما لم تقررها هيئة الوزارة و يصادق عليها السلطان.

المادة الثمانون :يجب على طالب الحماية أن يقدم كتابا إلى هيئة الوزارة يبين فيه الأسباب الملجئة إلى الحماية، وعلى هيئة الوزارة أن تفحص مطالبه فإذا وجد مناسبا يعطى رخصة الحماية مصادقا عليها من السلطان.

المادة الحادية و الثمانون :كل محتم قديما أي قبل إعلان الدستور،بدولة من الدول يبقى على حمايته و على الحكومة أن تعامله معاملة تبعة تلك الدولة المتحامي بها بدون فرق و لا تميز.

المادة الثانية و الثمانون : كل من رجع من المتحامين إلى تبعة الدولة المغربية يقبل رجوعه و يحق له أن يتمتع كسائر أبناء الأمة بكل حقوقه.

في المدارس الوطنية:

المادة الثالثة و الثمانون :على وزارة المعارف أن تنشئ مدارس في بلدان السلطنة جميعها و بين قبائلها،وذلك بمساعدة الحكومة ومنتدى الشورى و الأمة نفسها.و تكون هذه المدارس الوطنية تحت مراقبتها مباشرة.

المادة الرابعة و الثمانون : إن المدارس الوطنية ثلاث رتب:

1-المدارس الابتدائية:و هي ضرورية في كل بلدة و قبيلة،كبيرة و صغيرة،للذكور و الإناث ،وهذه المدارس تكون مقصورة على بث الآداب و تهذيب الأخلاق و تعليم القراءة و الكتابة باللغة العربية و أصول و مبادئ العلوم الأخرى الضرورية التي تفصل في قانون المدارس المغربي.

2-المدارس الثانوية : وهذه لازمة للذكور فقط في البلدان الكبرى لا غير، و تدريس العلوم فيها،يكون بالطرق الحديثة و الكتب العصرية بحسب قانون المدارس.

3-المدارس العليا أو الكليات: لا يقتضي ان يكون في السلطنة في بدء الأمر إلا كلية واحدة و هي جامع القرووين،غير انه من الواجب إجراء تحسين و إصلاح في كل شؤون هذه الجامعة المادية و المعنوية،وإدخال تدريس العلوم اللازمة ووضع قانون خاص تجري علو موجه.

المادة الخامسة و الثمانون: إن من واجبات وزارة المعارف أن تجبر الآباء بقوة الحكومة إجبارا على إرسال أولادهم الذكور إلى المدارس الابتدائية من سن السادسة،وكل والد خالف هذا القانون يكون تحت طائلة الجزاء. أما المدارس الثانوية فالدخول فيها اختياري.

المادة السادسة و الثمانون : إن مدارس البنات تكون في أول الأمر ابتدائية و الذهاب إليها بالترغيب و التحريض،وليس بالوسائل الإجبارية.

المادة السابعة و الثمانون : على وزارة المعارف أن تهتم بإنشاء المدارس الصناعية و الزراعية بعد خمسة أعوام من فتح المدارس العلمية.

المادة الثامنة و الثمانون : إن التعليم في المدارس جميعها مجان أي بلا عوض و النفقات اللازمة للمدارس ينظر فيها منتدى الشورى،فيأخذ بعضها من خزينة الدولة،وبعضها من ريع الأوقاف و أملاك الدولة،و بعضها من الأمة و خصوصا من الأغنياء.

المادة التاسعة و الثمانون : يجب أن ينتخب المعلمون الأكفاء من أبناء العلم الوطنيين المتتوربين و من الغرباء الحائزين على شهادات المدارس المشهورة بقطع النظر عما هم عليه من الجنسيات و الأديان .

المادة التسعون: لكل واحد من الراغبين في نشر العلم سواء كان وطنيا أو أجنبيا أن ينشئ مدرسة أو مدارس لتعليم العلوم أو الصنائع أو غيرها.وهذه المدارس الأجنبية لا تكون تحت مراقبة وزارة المعارف،ويحق للآباء أن يرسلوا أولادهم إليها.

ملحق

المادة الحادية و التسعون: إن رأي منتدى الشورى هو فوق كل رأي،ويقتضي العمل بحكمة في كل حال،وله المراقبة على الإدارات و الدوائر المخزنية بلا استثناء.

المادة الثانية و التسعون: يهتم منتدى الشورى في سنته الأولى بسن و تنظيم قوانين لكل إدارة من الإدارات الحكومية للوزارات و للمحاكم في القصابات و دار النيابة، و للمحاكم القضائية و العدول، وللأمان استفادة، وللحسبة و لأمانة الديوانات ، وللعسكرية، وللمدارس، وللضرائب والجبايات، وغيرها، فيكون لكل من هذه الإدارات و الأمور المخزنية قانون خاص بها، تسير بموجبه و تعمل بمقتضاه.

الملحق رقم 02:

تصريحات عبد الكريم الخطابي للعالم*

" إن عرب الريف الذين اختاروني أميرا عليهم يدافعون عن استقلال أراضيهم ضد السيطرة الأجنبية التي تحاول فرض نفسها عليهم ولن يرضوا بها أبدا "

" إننا جميعا سيئو التسلح بالنسبة للإسبانيين، ولكن قوتنا المعنوية تعدل الفارق بيننا في السلاح، ومهما يكن، فإننا لا نزيد الحرب، وقد أبلغت الحكومة الإسبانية، منذ سنتين، بواسطة الجنرال (كاسترو خيرون) في مليلية أنه إذا اعترفت إسبانيا باستقلال الريف فإننا سنوافق على إعطائها المركز الاقتصادي الأفضل في استثمار موارد بلادنا الغنية، وقد رفضت إسبانيا هذا العرض، ومنذ ذلك الوقت أخذ وضعنا العسكري يتحسن ويتقوى شيئا فشيئا."

" وكيفما مان الأمر، فإننا لا نزال على استعداد للتفاهم مع إسبانيا، على أننا نطلب الجلاء عن البلاد كلها وإذا ما انتهى الأمر، كما نتمنى، إلى تعيين الحدود الإقليمية فسيتضح أنه لا توجد صعوبات تعترض هذا الاتفاق، أن هذه الجبال كانت، منذ الأزمنة العريقة في القدم، ملكا لأسلافنا، فسندافع عنها حتى آخر قطرة من دماننا."

" إذا كانت إسبانيا راغبة في حرب دائمة في الريف فيمكن أن تكون لها هذه الحرب، إن قرارنا في هذا قرار حاسم، وقد اتحدت البلاد تحت حكمي كما لم تتحد من قبل قط."

" وحتى وقتما لا تكون حربية فإن مئة أو مئة وخمسين جنديا إسبانيا يموتون كل أسبوع في الجبهة في حين أن الجيش الإسباني لا يلحق بنا إلا خسارة ضئيلة جدا، ماعدا ما يتسبب فيه قصف طيرانه لمداشرنا من قتل السكان نساء، وأطفالا، وشيوخا."

" ويظهر لي أن القادة الإسبانيين يفكرون على أساس مصالحهم الشخصية أكثر مما يفكرون في المصالح القومية..."

" إن مصالح العالم بأسره تخدم بتسوية سلمية، ومن الكذب إلا دعاء — كما يقول الإسبان — بأن الشعب الريفى يعادي جميع الأجانب، بحيث إذا ضمن استقلالنا فإننا سنفتح بلادنا للتعاون الأجنبي، إن لدينا معادن من النحاس والرصاص، والفحم، تنتظر استثمارها بواسطة الرأسمال الأجنبي."

" فسوف نرحب بالمساعدة الأوروبية في تطوير بلادنا، وتجديد الحياة فيها، وستتحسن أحوال الناس إذا ما استتب السلم، ولهذا أرسلت سنة 1922 إلى لندرة مبعوثين أحدهما بوجيبار لأحث وزارة الخارجية

* في 1924 اتاحت أول فرصة لقائد الثورة الأمير محمد بن عبد الكريم ليتحدث إلى العالم عن حقيقة حركة الجهاد وأهدافها آملا في أن يدرك الرأي العام الدولي أكثر دوافع الحرب العدوانية لا سبانية في المغرب وما تجه عليه من خراب ودمار، وعلى نفسها كذلك من خسران ووبال. وهكذا تمكن مراسل أكبر صحيفة انكليزية (دايلي ميل) اللندنية من زيارة محمد بن عبد الكريم، والتحدث معه في قضايا الحرب والسلم بالمغرب، ونقلت صحيفة (هيرالد) الأمريكية مراسلات زميلتها الانكليزية بتاريخ 24 و25 أبريل 1924.

الانكليزية على اقناع الحكومة الإسبانية بمحاسن ومنافع التسوية، وقد مكث المبعوثان هناك خمسة أشهر دون أن يستقبلهما اللورد كرزون (وزير خارجية حكومة المحافظين)، وهكذا لم تؤد مهمتهما إلى أية نتيجة، وإن لديكم اليوم حكومة جديدة (الحكومة العمالية الأولى برئاسة رامس ماكدونالد)، ويشغل رئيسها منصب وزارة الخارجية في بلاد ذات مثل عليا سلمية، وسأطلب منك أن تحمل باسمي نفس الاقتراح إليها، فلتعطنا أوروبا الاستقلال الذي هو حقنا الموروث بلا منازع، وسوف يحل السلام، وتتوفر الفرصة لجميع الناس في الريف، لكنه إذا ثابرت إسبانيا على محاولاتها العقيمة في انقطاعنا فإن حربنا ستستمر بلا انقطاع.

" ولعل بعض الدول الكبيرة غير مستاءة من مشاهدة إسبانيا وقد أضعفتها حربها في الريف بكيفية مزمنة " رسالة إلى وزير الخارجية المحترم في الحكومة البريطانية:

" إن حكومة الريف تبذل في الوقت الحاضر كل جهودها للدفاع عن استقلالها في الحرب الدائرة بينها وبين إسبانيا، وإن هذه الدولة لتمزق في هذه الحملة حقوق الإنسان "

" إن أتوجه إليك باسم الإن الإنسانية لكي تدعو إسبانيا ليوضع حد لهذه الحرب الوحشية التي أودت بكثير من الأرواح حتى الآن، وأقدم إليك أني الأمير المعترف به لدولة الريف، إني مستعد لإرسال السفراء لمناقشة شروط الصلح بشرط أن لا تسيء لشرف بلادي أو تؤثر في استقلالها، إلا فإن السيف هو الذي سببت في هذه القضية، وسوف يكون النصر بيد الله يمنحه لمن يشاء "

رسالة إلى الشعب الأمريكي:

" أحبيكم، أيها الشعب الغربي، باسم الشعب الريفي، هذا الشعب الذي لا يفتأ يعاني ويلات الحروب في سبيل الحرية، وإن الشعب الريفي ليأمل أن يحرز على ما أحرزتم عليه أنتم، وهو النجاح الذي حصلتم عليه بتكاتفكم وتضحياتكم التي استدعاها طموحكم في زمن كنتم فيه مثل أبناء الريف الآن في سن الشباب، إن شعبي ليستوحي مبادئكم المقدسة، ويناضل منذ سنوات، في سبيل استقلاله وهو على أتم استعداد لبذل كل تضحية ممكنة، لأن كل من سار على الدرب وصل إلى الهدف الذي رسمه لنفسه وسعى إليه. أيها الشعب الأمريكي، إني أنتهز الفرصة التي أتاحتها زيارة أحد صحفيكم — هذا الذي بدا في عيني رمزا لعظمة الروح والحرية مثلما بدا في عيني رمزا للمروءة والسخاء — لأبعث إليكم بتحياتي مع أخلص ودي "

بلنسية 26 أغسطس 1930¹

سيدي الأخ الأستاذ، أيده الله :

أعرف وفرة شواغلك دائما، ولا سيما هذه الأيام التي عندك فيها " تاريخ الأستاذ الإمام "2، فلست أتقاضاك جوابا، ولكنني أقول إنني كتبت لك من سرقسطة من نحو شهرين أي في بدء سياحتي الأندلسية، وإنني أرسلت إليك بسلام من أشبيلية ، أو من غرناطة، أعدت أتذكر ،بواسطة صاحب " الشورى " وكم تذكرتك في هذه السياحة، وكم تمنيت أن نكون فيها معا، ونتحدث ونتعاطى الأفكار، إذ أن النفس لا ترتاح إلا من يشاكرها في المنزع، ومن أقرب منك إلى وأقرب مني إليك من الجهة الروحية؟

سيكون كتابي إن شاء الله كبيرا على الأندلس، وربما باع جزئين، وجاء فيه ما لا يعرفه العرب حتى الآن. في المغرب الهندسة العربية والزخرف العربي هو كما كان في الأندلس. سررت جدا بذلك، مع أنني لم أشاهد غير طنجة و تطاون، ولكن فيها ما فيهما.

المهم الأهم الذي يفوق في الأهمية كل ما تقدم، والذي هو موجب أسطيري هذا المکتوب، هو قضية تشبث فرنسة بإخراج البربر من الإسلام، وأخذها ظهيرا من السلطان الولد، بعد أن فشلت في أخذه من والده — بعدم معاملتهم بالشريعة الإسلامية، ورفع قضاة الشرع من بينهم، ومنع تعليمهم العقيدة الإسلامية واللغة العربية، والحركة مشتدة في المغرب بهذا السبب.

ولقد كتبت بهذه المسألة كتابا وافيًا إلى الأخ عبد الحميد بك سعيد، لأنه بعث لي بمكتوب شكر عن قرار مؤتمر جمعيات الشبان المسلمين، فجاوبته بما يجب أن تقوم به هذه الجمعيات من الاحتجاجات لأجل هذه المسألة التي تضاهي مسألة تركية في تشبث مصطفى كمال بإخراج الترك من الإسلام، ونظرا لضيق وقتي ووفرة وجائبي³ لا أراني قادرا أن أستوفي هذا البحث بمكتوب آخر، لاسيما أنني كتبت أيضا مقالة فيه مختصرة إلى " الشورى " فلذلك طلبت من عبد الحميد بك سعيد أن يطلعكم على مكتوبي هذا إليه، وأرجو أن تسألوه أنتم عنه، بحيث إذا كتبتكم في "المنار" تكونون مطلعين على ما حثل بالتمام.

هذه المسألة دواؤها حملة عامة من الجرائد من الإسلامية أشبه بحملتها على مؤتمر تنصير المسلمين الذي انعقد منذ سنوات في فلسطين، هذا مع الاحتجاجات إلى فرنسة نفسها و إلى جمعية الأمم، ومخاطبة سفير فرنسة بمصر في ذلك، فإن المسائل الدينية لا يقال فيها: هذه مسائل داخلية لا تعني سوانا.

¹ - هذه الرسالة مكتوبة في ثلاث ورقات من الحجم المتوسط، مكتوب عليها اسم *Reina Vctoria Hotel* وكل منها مكتوب من

الجهتين ماعدا الصفحة الأخيرة فهي بيضاء.

² - كتاب لرشيد رضا في ترجمة الشيخ محمد عبده.

³ - الוחائب جمع وحيية وهي الوظيفة.

انظروا كيف احتجت جميع الأمم على اضطهاد البلاشفة للكنيسة.

و لا بأس بأن يستجلب نظر الحكومة الإفريقية إلى سياسة مقيمها العام بالمغرب المبنية على إخراج البربر من الإسلام، وأن هذا التعرض للأمور الدينية مخالف للمعهود من أوضاع الحكومة الجمهورية الإفريقية.

لا بأس أن نوهم أن هذه السياسة هي منه، و إن كان الواقع أنهم جميعا مشتركون فيها، وأنه (مواليا) يريدون أنه يغنوه من 40 سنة، ومن الكردينال لافيغري. ولكن مما لا شك فيه أن المسيوسان هذا المقيم العان هو كاثوليكي متعصب، وأن امرأته أشد تعصبا منه، ولها علاقة بالفاتيكان.

وقد تحققنا من مصدر اسبانيولي أن للفاتيكان مدخلا بقضية البربر والتمهيد لتنصيرهم، بناء على أنهم كانوا نصارى في الأصل هذا يصح عن بعض البربر فقط أن الفاتيكان واعد بالمكاتب والمدارس والمصاريف اللازمة للعمل.

ومما يؤسف له أن علماء المغرب لم يتحرك منهم أحد، بل منهم من يفتى الفرنسيين بما يريدون، ويلوم الشبان على قيامهم بالمعارضة مثل قاضي فاس ومثل الوزير المقرئ، فينبغي التشهير بهؤلاء الوزراء والعلماء الذين هم "قسيسون في زي علماء إسلام"، وأنتم أدري بما يجب بحقهم.

الملحق رقم 04

الظهير البربري 16 ماي 1930

الفصل الأول: إن جميع المخالفات التي يرتكبها الرعايا المغاربة في القبائل المعترف بأنها كانت أعراف بربرية، والتي تكون منذ اختصاص القواد في الأجزاء الأخرى من المملكة هي من اختصاص رؤساء القبائل.

الفصل الثاني: وتحت تحفظ القواعد الاختصاصية الجاري بها في المحاكم الفرنسية بمملكتنا فإن القضايا المدنية أو التجارية، المنقولة أو العقارية، تنظر فيها، ابتدائيا أو نهائيا طبق الحدود المعنية بقرار وزير، محاكم خاصة تسمى بالمحاكم العرفية، كما تختص هذه المحاكم في مجال نظام الأحوال الشخصية و الميراثية وفي جميع الأحوال تطبق العرف المحلي.

الفصل الثالث: إن استئناف الأحكام الصادرة عن المحاكم العرفية يجري، في حالة قبوله لدى المحاكم المسماة بمحاكم الاستئناف العرفي.

الفصل الرابع: تنظر المحاكم الإستئنافية العرفية، ابتدائيا و نهائيا، في القضايا الجنائية و في جميع المخالفات المرتكبة من أعضاء المحكمة العرفية التي يسند اختصاصها العادي إلى رئيس القبيلة.

الفصل الخامس: يجعل في كل محكمة ابتدائية أو استئنافية مندوب حكومي مفوض من السلطة الجهوية للمراقبة، و يعين كاتب ضبط فيها يقوم كذلك بهمة عدل.

الفصل السادس: إن المحاكم الفرنسية تختص في النظر في الجنايات المرتكبة في البلاد البربرية كيفما كانت مرتكب الجناية.

الفصل السابع: إن القضايا العقارية، إذا كان فيها الطالب أو المطلوب ممن يرجع أمرهم إلى المحاكم الفرنسية، تكون من اختصاص هذه المحاكم.

الفصل الثامن: تتولى قرارات وزيرية وضع قواعد التنظيم، و التكوين، و التسيير للمحاكم العرفية حسبما تدعو إليه الحاجة.



الوجه الأول من غلاف مطالب الشعب المغربي



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقي المغرب الأقصى منذ القرن الثاني للهجرة والثامن للميلاد : دولة مستقلة عن سواها من الدول الإسلامية وغيرها وحتى عن الخلافة الإسلامية نفسها ، وقد حافظ على حرته خلال القرن التاسع عشر رغمًا عما كان يحدث به من الأخطار بسبب وضعيته الجغرافية ، وعن مطامع الدول الاستعمارية التي ما فتئت - بعد أن اكتسحت القسم الأعظم من البلاد الإسلامية - تحوّل الدسائس وتدبير المؤامرات ليهبط نفوذها على المملكة الشريفة رغبة في تعزيز سيادتها الخارجية واستغلال خيرات البلاد .

وبالرغم عما كان ينقص المغرب الأقصى من وجهتي التجهيز المادي الجديد ، والتقدم العلمي العصري ، فقد استطاع أن يدافع عن كيانه ويحمي مصيره بفضل جهود ملكه الفذ مولانا الحسن (روح الله روحه) ذلك الملك الذي وطد الأمن في داخلية البلاد ، وأوفد البعثات العلمية للجامعات الأوروبية قصد إعداد الخبراء الفنيين والموظفين الأكفاء الذين يستطيعون القيام بخدمة الدولة ، وإجراء التنظيمات التي تمس حاجتها إليها ، وقد شرع أيضاً في تنظيم الجيش المغربي وذلك باستخدام مدربين

الإصلاحات السياسية

(1) التنظيم الإداري

مبادئ عامة :

- (1) بناء النظام الإداري على أساس المعاهدات الدولية وخصوصاً معاهدة الحماية طبقاً لنصوصها الصريحة ، ولمعنى الحماية القانوني المحدود .
- (2) إلغاء كل التشريعات والمؤسسات التي أحدثت منذ إعلان الحماية على أساس (الإدارة المباشرة) وكفالة الإقامة العامة لسائر المصالح الفرنسية في المغرب بالوسائل الإدارية .
- (3) تمثيل جلالة السلطان في كل الاجتماعات الرسمية بحضور من يختاره من أعضاء حكومته .
- (4) العدول عن سياسة الامتيازات العنصرية في التشريع والإدارة .
- (5) عدم السماح بانتقاص الحدود المغربية ، وبسط السلطة المخزنية في سائر أطراف المملكة .
- (6) جعل التقسيم الإداري للنواحي خاضعاً لمبدأ (المركزية

المراقبة بإعانة بعض النخبين .

هـ - كل نزاع يقع في شأن القوائم يعرض على لجنة لمراجعة القوائم ، يرأسها قاض مخزني ، ويمكن استئناف قراراتها لدى الغرفة الخاصة المحدثه في محكمة الاستئناف المخزني العليا .

و - كل نزاع يقع في شأن صحة الانتخابات يعرض على الغرفة الخاصة المحدثه في محكمة الاستئناف المخزني العليا .

2 - الحريات الشخصية والعامة

(1) كفالة التعبير عن الأفكار والآراء بكل الوسائل القانونية دون خضوع لمراقبة سابقة .

(2) عدم متابعة الأفراد لدى المحاكم وعدم اتهامهم أو إيقافهم أو سجنهم أو نفيهم إلا في الأحوال التي ينص عليها القانون ، وطبقاً للكيفية التي يفرضها ، وعدم السماح بمعاقبتهم إلا من أجل الأمور التي يعتبرها القانون مستوجبة للعقاب .

(3) وجوب تناسب العقوبة مع الجريمة ، وتقرير نفس العقوبات عند ارتكاب نفس الجرائم دون تفرقة بين طبقة وطبقة أو شخص وشخص .

(4) إبطال العقوبة بحجز الأملاك والأمتعة في سائر أطراف المملكة .

(9) وضع تشريع مشتمل على تسهيلات تعطى للمغاربة الذين يتجنسون في البلاد الأجنبية ويرغبون في العودة إلى الجنسية المغربية بعد رجوعهم للمغرب .

(10) إحداث تشريع خاص في حالة الأشخاص المدنية للمتجنسين بالجنسية المغربية من غير المسلمين والاسرائيليين والأجانب المجهولي الجنسية .

ب - الحالة المدنية

(11) ضبط الحالة المدنية لسائر المغاربة بكيفية إجبارية .

4 - الإصلاحات العدلية

العدلية والسجون

نظام العدلية ، والقانون المغربي ، ولغة المحاكم

(1) توحيد نظام العدلية المغربية في سائر أطراف المنطقة السلطانية .

(2) تحرير قانون مغربي واحد يكون مستمداً من الفقه الإسلامي والظواهر المخزنية وما جرى به العمل ، وتطبيق هذا القانون في المحاكم الشرعية والمخزنية على سائر الرعايا المغاربة .

(3) تأسيس لجنة لتحرير القانون المغربي ، مؤلفة من العلماء بالشرعية والخبراء في العمل مع مساعدة بعض الاختصاصيين في القانون .

المعامل الميكانيكية كذلك من تقليدها داخل المغرب .

(19) السماح بتأسيس نقابات صناعية للدفاع عن مصالح الصناع ، ومقاومة الغش في الصناعة ، وتنظيم الانتاج ، وتسهيل ترويجه داخل المغرب وخارجه .

(20) إعانة الصناع المغاربة بقروض صغيرة لترقية وسائلهم الصناعية .

9 - الإصلاحات الاقتصادية والمالية

السياسة الاقتصادية

(1) تهيئة وسائل العمل والرواجان الاقتصادي لرفع المستوى المعاشي للمغاربة .

(2) تسهيل استهلاك القمح داخل المغرب بين سائر الطبقات وخصوصاً الفلاحين والعملة .

(3) تنظيم الانتاج وجعله متناسباً مع حاجات الأسواق الداخلية ومع قابلية الأسواق الخارجية

(4) تشجيع المغاربة على الانتاج الفلاحي والصناعي ومراعاة مصالحهم عند اجراء المفاوضات من أجل الانفاقات التجارية التي يبرمها المغرب مستقبلاً ، وكذلك في المعاهدات التجارية التي تعقدها فرنسا ويجري العمل بها في المغرب .

11 - النظام العقاري

نزاع الملكية

(1) عدم نزاع الملكية إلا للمصلحة العمومية بمعناها القانوني الصحيح وطبقاً للمواد الخاصة بذلك في عقد الجزيرة وإدخال نظام (المحلفين) لتعيين معاوضة انتزاع الملكية والالتجاء إلى نظام التحكم عند عدم تحقيق الأغلبية بين هيئة (المحلفين) .

الملك العائلي الثابت

(2) الاحتفاظ للفلاح المغربي بعشرة هكتارات في أرض البور أو ثلاثة في أرض السقي ، ووضع تشريع يمنعه من تفويتها بأي نوع من أنواع التفويت .

أملاك الجماعات

(3) إنشاء مجلس مغربي بدار المخزن الشريف للنظر في شؤون أراضي الجماعات ، وفي مداخيلها عوضاً عن مجلس الوصاية الحالي .

(4) الاحتفاظ بأملاك الجماعات وتوزيعها على أربابها مع منعهم من تفويتها أو إيجارها لأمد بعيد .

الأراضي الموات

(5) توزيع الأراضي الموات على فقراء الفلاحين لإحيائها والتعيش بها .

لملحق رقم 06

المطالب المستعجلة 1936

كتلة العمل الوطني بالمغرب الأقصى

التي أقرها المؤتمر الأول لكتلة العمل الوطني

المنعقد بتاريخ 25 أكتوبر سنة 1936

والتي قدمت من بعد الجلالة الملك و لسعادة المقيم العام.

1: الحريات الديمقراطية:

- منح حريات الصحافة، و الطبع ، و الاجتماع، والجمعيات، و التعليم، و التمثيل، وتأسيس النقابات، و التجول داخل المغرب، و السفر إلى الخارج.
- الاعتراف بحق التظلم.
- إصدار العفو العام على سائر المبعدين، و المنفيين، و المسجونين السياسيين منذ ابتداء "الحماية".

2: التعليم

- توحيد البرامج في جميع أنحاء المغرب.
- تكثيف المدارس الابتدائية.
- نشر التعليم الثانوي.
- تنظيم بعثات مدرسية لفرنسا و الشرق.
- منح مساعدات و قروض شرفية لمن يريد التخصص في التعليم العالي، إحداث مدارس لتخريج المعلمين و المعلمات.
- تطبيق الإصلاحات التي يحتوي عليها البرنامج المنظم للتعليم بالقرويين، إحداث مدارس فلاحية.

3: العدالة :

- ريثما يتم إصلاح العدالة المغربية بإنشاء قانون مدون، و بتخريج القضاة ، يجب تعيين القضاة، و القواد و أعوانهم بطريق المباراة.
- تعيين مرتبات بين السلطات الإدارية و التنفيذية، و ضمانة استقلال القضاء أمام السلطة.
- توحيد العدالة المغربية في كافة المدن و البوادي.
- إنشاء محاكم إدارية و لجنة تأديبية يرفع أمامها القضاة المغاربة.

- إسقاط النظام المعروف بسياسة القواد الكبار.

4: الفلاحة:

- إلغاء الاستعمار الرسمي، و إبطال التشريع الذي يجعل نزع الملكية لفائدة المعمرين من باب المصلحة العامة.
- إحداث ملك عائلي لا يفوت باستعمال أراضي المخزن و الجماعات، و توسيع القروض المعدة للفلاح.
- التسوية التامة بين الفلاح و المعمر في الحقوق و الواجبات.
- مقاومة الربى و الضرب على يد المرابين.
- حماية الفلاح من اعتداءات المعمرية، و رجال السلطة، و موظفي إدارة الضرائب.

5: العملة و الصانع:

- تطبيق التشريع الاجتماعي الفرنسي على العملة المغربية.
- جديد الصناعة المغربية و حمايتها من المزاحمة الأجنبية.
- الرجوع بنظام النقل إلى ما كان عليه قبل سنة 1932.
- مساعدة البطالين.

6: الضرائب:

- التخفيض من الضرائب، و التسوية في أدائها بين المغربية و الفرنسيين.
- إسقاط "النكس" المعروف بحقوق الباب ، و حقوق السوق، و حقوق المرعى في الغاب.

7: الصحة العامة:

- تكثير عدد المؤسسات الصحية، و الزيادة في قدر الأدوية التي توزع مجانا على المحتاجين.
- المحاربة المستمرة للمساكن المخلّة بشروط الصحة بالمدن و القرى.
- محاربة البغاء السري و العلني، و الخمر، و المخدرات.
- إنشاء عدد كاف من الملاجئ للشيوخ و العجزة للمحتاجين، و إعطاء مساعدات كافية للمؤسسات المغربية التي تقوم بالإسعاف العام.

الملحق رقم 07 الميثاق الوطني 1937

إن المؤتمرين المجتمعين بدار الأخ السيد احمد الشرقاوي بالرباط مساء يوم الأربعاء 7 شعبان سنة 1356 هـ الموافق 13 أكتوبر 1937 الممثلين لفروع الحزب الوطني بأقاليم وجدة و تازة و بركان و فاس و مكناس ووزان سيدي قاسم و سيدي يحيى و القنيطرة و سلا و الرباط و الدار البيضاء و الجديدة و آسفس و الصويرة و سطات و مركش نظرا للازمات المادية و المعنوية التي تجتازها بلادنا المغربية في الوقت الحاضر و التي نتجت عن سياسة الميز و الإرهاق التي تسير عليها الإقامة العامة.

و نظرا لكون الحماية لم تحقق ما وعدت به الكثير م المناسبات من تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة بالرغم عما تتطلبه حالة البلاد في ميادين الإسعاف و الاجتماع و العدالة. و نظرا لحادثة مكانس المؤلمة التي أهرقت فيها دماء الشهداء الأحرار و رمى فيها الجمهور الأعزل بطلقات الرصاص و اعتقل فيها العديد من الأبرياء ليعرضوا على المحاكم العسكرية، و الكل لمجرد تضامنهم مع المسجونين المقاومين لنزع ملكية الماء.

و نظرا للإضطهادات التي يقوم بها السلطة في بوادي المغرب لكل من ينتمي لحركتنا أو يتصل بنا حيث سجن المئات و عذبهم اشد العذاب و أثقلتهم بالحديد و الأغلال و شردت (المداشر) و فوتت العقارات و الأمتعة.

و نظرا لكون الإدارة سلطت فريقا من الجيش المنظم(الصباحية الثامنة) على مدشر المرناغة من (بني يازغة) حيث أباحت لهم السبيل فارتكبوا أشنع الفظائع من هدم الخيام و نهب الأموال و الأنعام و الفتك بالأعراض و تعذيب البراء و نظرا لكون السلطة أطلقت اليد للبياز و الجلاوى و أعوانها ليرهبوا المراكشين فسجنوا و نفوا و عذبوا و جلدوا و كبلوا و انتهكوا الحرمات فاعتدوا على علماء الشريعة و رجال الدين و اقلوا ديار الصناع و الوطنيين بعدما طردوا سكانها و بددوا أمتعتها و هجموا على المدارس القرآنية فشردوا تلاميذها و نفوا أساتذتها و أهانوا الكتب و الألواح و الدفاتر ثم اقلوها، و صادروا الصحافة الوطنية و فرضوا العقوبات و الغرامات على من يقرأها.

و بما أن المسؤولين من الولاية سمحوا بتنظيم حج تبشيري لكنيسة سانت تيريز بصفتها قديسة البعثات التبشيرية بالخمسيات، و بمنع الطلبة بآيت أوربيل من قبيلة زمور من عقد

موسمهم القرآني السنوي إلا بشرط عدم قراءة القرآن و عدم الدعاء لجلالة مولانا السلطان، كما سمحوا من قبل بمنع الاحتفال بالمولد النبوي بمراكش مما يدل على أن روح السياسة البربرية ما تزال مسيطرة على إدارة الحماية.

ونظرا لخنق الصحافة المغربية بالحجز و التعطيل و المراقبة.

و نظرا لرفض الطلبات الموجهة للحكومة في شأن تأسيس جمعيات مختلفة.

و نظرا للاتهامات التي توجهها الصحف الاستعمارية المأجورة لحركتنا و تصويرها بصورة مخالفة للواقع.

وبعد أن استمع المؤتمر لبيانات الحزب الوطني بكل ما تقدم ، و درسوا الموقف من جميع وجوهه قرروا ما يأتي:

1: يستنكر المؤتمر باسم الشعب المغربي جميع أنواع الإضطهادات المفجعة بمكناس و مراكش و بني يازغة و البوادي المغربية، و يحتجون على تلك الأعمال الهمجية التي تمثل روح العصور المظلمة، و يطالبون بإطلاق سراح جميع المعتقلين و إعطاء تعويضات عاجلة لسائر المنكوبين و عائلاتهم عما غصب منهم.

2: يحتج المؤتمر بصفة خاصة على مقاومة خاصة على مقاومة الصحافة المغربية و يقررون محاربة كل التدابير و المحاولات المراد منها تعطيل الصحف أو حجزها أو وضع مراقبة عليها و يطالبون الصحافة المغربية بالحقوق التي تتمتع بها الصحافة الأجنبية بالمغرب.

3: يستنكرون إصرار الإقامة على رفض السماح للمغربة بتأسيس الجمعيات كيفما كانت غايتها.

4: يعتبر المؤتمر مسؤولية هذه السياسة ملقاة على الروح الرجعية التي تسيطر على دوائر الحماية و التي سبق لها أن أثارت سخط المغرب و العالم الإسلامي في القضية المغربية.

5: يلتزم المؤتمر بمقاومة هذه التصرفات الجائرة بكل الطرق المجدية المشروعة، و يكون الوسائل و الظروف للمسؤولين في الحزب الوطني.

6: يستنكرون كل التهم الباطلة و الافتراءات المصطنعة التي تلصقها الدوائر الرجعية و الصحف الاستعمارية بحركتنا، و يعلنون إن حركتهم ليست لها صلة بأي عامل خارجي ، و لا تعتبر أبدا مسؤولة إلا عما يصدر من طرف المسؤولين في الحزب الوطني.

7: يقررون أن كل تفاهم مع الحكومة لا يمكن إلا بعد العدول عن خنق الحريات و الاضطهادات و بعد تنفيذ مطالب المغرب المستعجلة و يعتبرون أن في رعاية جلالة مولانا المنصور بالله لشعبه الكريم و في عطف الأحرار من رجال الديمقراطية الفرنسية ما يسهل الوصول لذلك.

8: يعاهد المؤتمر الله على تنفيذ محتويات هذا الميثاق ، و يعلنون استعدادهم لتقديم التضحية اللازمة لذلك.

الملحق رقم 08

مجلد السياسة القومية •

1. ضمانة السيادة القومية المغربية في طول البلاد و عرضها، باحترام حقوق العرش ونفوذ جلالة السلطان، و صيانة ذلك كله من الاعتداءات التي تتوالى عليه من جراء تصرفات الإدارة الاستعمارية.
2. تحقيق وحدة البلاد والأمة المغربيتين، بإبطال جميع التقسيمات والفوارق الإدارية القضائية و الثقافية التي أحدثتها الاستعمار خدمة لمطامعه، من أجل هذا يتعين العدول عن السياسة الاستعمارية الغاشمة والكف عن انتقاص أي جزء من تراب المملكة الشريفة بحيث تكون السلطة المغربية شاملة لجميع أنحاءها مع إرجاع مت أخذ منها إلى حظيرة الدولة المغربية.
3. إلغاء جميع القوانين و الأنظمة التي أحدثت منذ فرض الحماية من حيث المعاهدات والتصريحات الرسمية.
4. تنفيذ شروط الحماية ما لم تعارض حقوق الشعب المغربي، و تعرقل سبيل طريق الرقي المادي و المعنوي، و تصرفه عن تحقيق أمانيه القومية العليا.
5. إحياء الحكومة المغربية بإصلاح الوزارة الراهنة و الإدارات التابعة لها على أساس إدخال عناصر جديدة ذات كفاءات تتولى القيام بشؤونها و تثبيت نفوذها في كافة البلاد.
6. حصر اختصاصات الإقامة العامة و الموظفين الفرنسيين في دائرة المهمة المحدودة التي أنيطت بعهدتهم مع تقرير مسؤولياتهم قانونيا، و بهذا تصان السلطة المغربية من كل تدخل مضايق.
7. إصلاح جميع الإدارات بالتقليل من عدد الموظفين حتى لا يبقى إلا ما تدعو إليه الحاجة، و التخفيض من مرتباتهم وتعويضاتهم إلى الدرجة التي تقتضيها حالة الميزانية العامة و بالتسوية في الحقوق و الواجبات بين الموظفين المغاربة و الفرنسيين الذين هم من درجة واحدة.
8. القيام بمغربة الإدارة و ذلك بتولية العناصر المغربية في الوظائف العامة، و الاقتصاد في توظيف الفرنسيين على الفنيين الذين تمس حاجة البلاد إليهم.
9. استعمال اللغة العربية إجباريا في جميع الإدارات.
10. فصل السلطات الإدارية و القضائية و التنفيذية مع الاحتفاظ فيها بالكلمة العليا لجلالة السلطان.
11. الاعتراف للرعية المغربية بحق المشاركة في تدبير شؤونها مشاركة صالحة، و ذلك بواسطة وكلاء أكفاء تنيهم عنها بطرق شرعية في المجالس الشورية – المحلية

• الإصلاحات التي اقترحتها "الحركة القومية" التي أسسها محمد حسن الوزاني سنة 1937 بعد تصدع "كتلة العمل المغربي".
أنظر، جريدة "الدفاع" العدد 02 في 07-09-1937، مؤسسة محمد حسن الوزاني، حرب القلم، ج 01، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
ص 20-26.

والمركزية - التي تتولى مهمة التمثيل الشعبي الصحيح على أساس النظر في الميزانية العامة أو ميزانيات البلديات ،و المناقشة في جميع فصولها حسب ما تقتضيه مصلحة الأمة،و لهذه المجالس حق الاقتراح و التقرير في مجال اختصاصها.

12. تمتيع الرعية المغربية بجميع حقوقها وحرقاتها في النشر(الصحافة والطبع)،و التمثيل المسرحي،والاجتماع،والنقابات،و التنقل،والسفر إلى الخارج،و حفظ حرمة المنزل،وهذا يقتضي أيضا إلغاء جميع القوانين الإستثنائية،وإصدار قوانين كفيلة بمطالب الأمة في هذا الميدان.

13. صيانة حرمة الجنسية المغربية و إعادة جميع حقوقها و خصائصها إليها طبقا لمبادئ القانون الدولي الخاصة بالجنسية و تنفيذا لشروط المعاهدات التي تتعلق بالجنسية في المغرب،و جعل الحالة المدنية إجبارية لفائدة المغاربة.

14. حرية التعلم وبالأخص التعليم العربي الإسلامي و محاربة الأمية،و رفع المستوى الفكري بجميع الوسائل الفعالة كتكثير المدارس على اختلاف درجاتها بقدر حاجات البلاد لا فرق بين الحواضر و البوادي،و العمل على إنقاذ الطفولة المتشردة من الجهل و السقوط الأخلاقي،ونشر التعاون بين الجنود و المساجين المغاربة،و بذل المساعدات اللازمة للنشء المغربي في الداخل و الخارج و العمل على جعل التعليم إجباريا فيها في المدارس الابتدائية لتحقيق رقي الأمة المنشودة.

15. إصلاح برامج التعليم و توحيدها في جميع مدارس الدولة المغربية في الحاضرة والبادية،و جعل التعليم باللغة العربية إجباريا فيها مع إعطاء تلك البرامج صبغة مغربية.

16. تأسيس مدارس لتخريج المعلمين و المعلمات و أخرى لإعداد القوابل و الممرضات.

17. إصلاح التعليم بكلية القرويين والمعاهد الإسلامية التي تماثلها وذلك بإنجاز تلك المعاهد.

18. إصلاح المحاكم الشرعية بتطبيق قوانين الإسلام و المحاكم المخزنية لكي تصبح صالحة لتحقيق العدالة ،و ريثما يتم هذا الإصلاح ينبغي إسناد الوظائف القضائية وخطة العدالة لذوي الكفاءة و النزاهة و ذلك بتنظيم مباراة علمية مع إعطائهم أجورا ثابتة حتى يقع تلافي بعض التصرفات التي تكون مصدرا للتذمر و الشكوى.

19. تجريد المحاكم الفرنسية من جميع الاختصاصات التي سلبتها لمحاکمنا القومية من شرعية و مخزنية،وقصر القضاء الفرنسي على الأوروبيين إلى أن يتم إصلاح المحاكم المغربية،والقضاء العسكري على المسائل التي لها علاقة بشؤون الجيش البحتة.

20. تنظيم السجون المغربية بما يتناسب روح العصر و الكرامة الإنسانية، و إحداث نظام خاص يضمن حقوق المساجين السياسيين المغاربة.

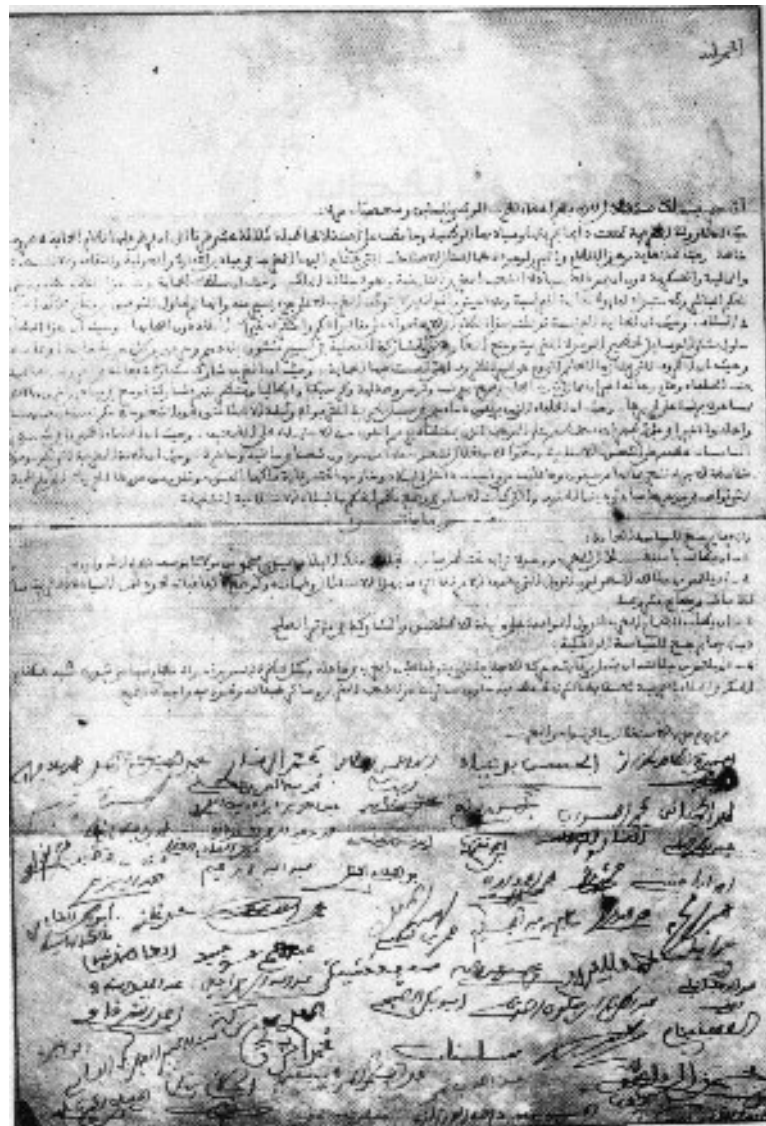
21. صيانة الأحباس الإسلامية و صرف محصولها و فق رغبات المحبس في مصالح الملة الإسلامية دون غيرها من مستعمرين و أجانب،و اختصاص المغاربة بتدبير شؤونها دون سواهم.

22. حماية الفلاح المغربي من التصرفات الإدارية الجائرة واعتداءات المستعمرين، و حفظ ثروته بصيانة أملاكه على اختلافها، وإعداد بالعلم و النظام والإسعاف لاستثمار أراضيهم و مواشيه، إذ بصلاح الفلاح تصبح التجارة و الصناعة، و إحداث الملك العائلي الثابت لفائدة الفلاح المغربي.
23. صيانة أراضي الجماعات القبلية و حقوقها المتعلقة بالغابات و المياه.
24. إلغاء التشريع الاستعماري الذي يعتبر من المصلحة العامة نزع الملكية و إعطائها للأوروبيين أفرادا و شركات، و إرجاع الأراضي المنتزعة من أيدي المغاربة و المدخرة الآن لمصلحة الاستعمار.
25. حماية العقار المغربي بتنظيمه تنظيمًا محكمًا راسخًا و منع نزع الملكية إلا من أجل المصلحة العامة الصحيحة مع اعتبار جميع قواعد العدالة في التعويضات لأرباب الملك المنتزع.
26. إصلاح نظام الجبايات من ضرائب و ترتيب على أساس إسقاط بعضها، و التخفيض من البعض الآخر الذي يتعلق بمواد المعيشة، و إعفاء العاطلين و المعوزين، و مساعدة المعسرين بإعطائهم المال اللازم لأداء ما عليهم. و بصفة عامة يجب أن لا يفرض على الرعية من الضرائب إلا ما تطيقه، كما يجب صرف أموال الميزانية العامة في سبيل صالح الرعية العام.
27. إحلال الدولة المغربية محل الشركات في استثمار خيرات البلاد الطبيعية و مصالح الدولة العامة كالمناجم، و المياه المعدنية، و مياه الاستهلاك، و الفحم بأنواعها، و زيت الغاز و القوة الكهربائية و النقل، و المرافق البحرية، و مصارف القروض المالية.
28. حماية المصنوعات المغربية من جميع الأضرار الداخلية و الخارجية، و العمل على تطويرها، و ترويجها في الخارج و بذل الإرشادات و الإعانات اللازمة لمختلف الصناعات المغربية حتى تصان حقوقهم و تستقيم أحوالهم العامة.
29. حماية العامل المغربي من مضايقة الأجنبي، و السعي في ترقيته ماديا و معنويا، و إمتاع عمال المصانع و الشركات بالأنظمة التي تتعلق بالضمانات و الاحتياطات الاجتماعية مدة العمل اليومي، و العطلتين الأسبوعية و السنوية و الأجور، و إسعاف العاطل و مقاومة البطالة، و إنشاء مساكن صحية للعمال.
30. حماية المقدسات الإسلامية من هجوم على اختلاف أجناسهم و مذاهبهم ، و إيقاف حركتهم في الحواضر و البوادي و عدم مساعدتهم من لدن الدولة بمال أو ملك أو بأية وسيلة التنشيط و التشجيع.
- فإنجاز الإصلاحات التي اشتمل عليها هذا البرنامج المجل، كفيل بأن يعيد للأمة المغربية حقوقها ، و يضمن لدولتها السيادة الداخلية ، و يمكنها معا من العمل على ترقية رقي الوطن المفدى كي يدرك أمانيه القومية و يتمتع بحريته الكاملة على أساس محالفة الدولة الفرنسية طوعا و اختيارا.

"إن حزب الاستقلال الذي يضم أعضاء الحزب الوطني السابق و شخصيات حرة.
حيث إن الدولة المغربية تمتعت دائما بحريتها وسيادتها الوطنية، و حفظت على استقلالها طيلة
ثلاثة عشر قرنا إلى أن فرض عليها نظام الحماية في ظروف خاصة.
و حيث إن الغاية من هذا النظام و المبرر لوجوده هما إدخال الإصلاحات التي يحتاج إليها المغرب في
ميادين الإدارة و العدلية و الثقافة و الاقتصاد و المالية و العسكرية دون أن يمس ذلك بسيادة الشعب
المغربي التاريخية و نفوذ جلالة الملك .
و حيث أن سلطات الحماية بدلت هذا النظام بنظام مبني على الحكم المباشر و الاستبداد لفائدة الجالية
الفرنسية، و منها جيش الموظفين الذي لا يتوقف المغرب إلا على جزء يسير منه ، و إنها لم تحاول
التوفيق بين مصالح مختلف العناصر في البلاد.
و حيث إن الجالية الفرنسية توصلت بهذا النظام إلى الاستحواذ على مقاليد الحكم، و احتكرت خيرات
البلاد دون أصحابها.
و حيث إن هذا النظام حول بشتى الوسائل تحطيم الوحدة المغربية و منع المغاربة من المشاركة الفعلية
في تسيير شئون بلادهم و منعهم من كل حرية خاصة أو عامة و حيث أن الظروف التي يجتازها العالم هي
غير الظروف التي أسست فيها الحماية و حيث أن المغرب شارك مشاركة فعالة في الحروب العالمية بجانب
الحلفاء، و قام رجاله أخيرا بأعمال أثارت إعجاب الجميع في فرنسا و تونس و صقلية و كورسيكا و
إيطاليا ، و ينتظر مشاركة أوسع في ميادين أخرى، و بالأخص لمساعدة فرنسا على تحريرها.
و حيث إن الحلفاء الذين يهرقون دماءهم في سبيل الحرية اعترفوا في وثيقة الأطلسي بحق الشعوب
في حكم نفسها بنفسها، و أعلنوا أخيرا في مؤتمر طهران سخطهم على المذهب بمقتضاه يزعم القوى حق
الاستيلاء على الضعيف.
و حيث إن الحلفاء أظهروا في شتى المناسبات عطفهم على الشعوب الإسلامية و منحوا الاستقلال
لشعوب غيرها، منها من هو دون شعبنا في ماضيه و في حاضره.
و حيث إن الأمة المغربية التي تكون وحدة متناسقة الأجزاء تشعر بمالها و ما عليها من واجبات داخل
البلاد و خارجها تحت رعاية ملكها المحبوب ، و تقدر حق قدرها الحريات الديمقراطية التي توافق في
جوهرها مبادئ ديننا الحنيف و التي كانت الأساس في وضع نظام الحكم بالبلاد الإسلامية الشقيقة.
قرر ما يأتي:

1: فيما يرجع للسياسة العامة:

- أولاً: أن يطالب باستقلال المغرب و وحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن مولانا يوسف نصره الله و أيده
- ثانياً : أن يلتبس من جلالتة السعي لدى الدول التي يهملها الأمر للاعتراف بهذا الاستقلال و ضمانه
- ثالثاً : أن يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على ميثاق الأطلسي و المشاركة في مؤتمر الصلح.
- 2: فيما يرجع للسياسة الداخلية:
- رابعا : أن يلتبس من جلالتة أن يشتمل برعايته حركة الإصلاح الذي يتوقف عليها المغرب.



صورة عن الوثيقة الأصلية لبيان الاستقلال لـ 11 جانفي 1944

الملحق رقم 10

حزب الاستقلال كمذهب و عقيدة

1: الحزب يريد الاستقلال:

الشرط الأساسي لإنهاض المغرب هو استقلاله؛ لأن البلاد التي لا تتمتع بمظاهر سيادتها القومية مهيأة حتما لأن تبقى مستبعدة للدين يستفيدون من الاستيلاء عليها.

و هذا الاستقلال يقتضي طبعاً الوحدة و التحرر لجميع المناطق الغربية.

2: الحزب يناصر الحرية:

نشاط الفرد في الحياة الاجتماعية يستلزم الح صول على الحرية الكاملة التي لا تعرف إلا حد الحماية لحرية الآخرين أو المصالح المعقولة للكل، (إن الحرية وحدها هي التي تجعل المرء يدرك الحرية).

3: مسألة النظام: الدستور:

مسألة النظام لا محل لها في المغرب؛ لأن هنالك عائلة المالكة محبوبة من الشعب الذي يدين بالولاء للعرش و لجلالة ملكه الحالي محمد بن يوسف، و جلالة الملك الشعبي هو الذي يجعل من النظام عمدة من أعمدة الوحدة و الانسجام لمعاني الأمة.

و طبقاً لمبادئ الإسلام التي تتفق بصفة محسوسة مع الأصول الديمقراطية فإن المغرب يجب أن يعد في ضمن الأمم الإسلامية و الشرقية الحرة الراقية.

و حزب الاستقلال يطالب مع ذلك بعلان دستور ديمقراطي يعترف بحقوق الإنسان و المواطنين، و يراعي في وضعه ما تتوقف عليه حياة لمغربة و حاجياتهم.

و يجب أن ينص فيه على أن اللغة العربية هي لغة البلاد الرسمية ، كما أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة المغربية، ولكن مع ضمان حرية العقيدة و التفكير للجميع.

و يجب ان يعتبر سائر المغربة متساوين أمام القانون، يتمتعون بحقوق واحدة، و يؤدون واجبات واحدة من غير امتياز ديني او عنصري.

و المسألة اليهودية لا وجود لها بالمغرب لأن يهود البلاد أعضاء في العائلة المغربية على غرار الأقباط المصريين، و سيبقون متمتعين مثل ما كانوا بحريتهم الدينية ، و خصوصاً ما يرجع للعديلية الدينية في الحالات المعتادة كسائر المغاربة.

4: التربية و البعث الديمقراطي:

فحزب الاستقلال إذن من أنصار الملكية الدستورية و المبادئ الديمقراطية، و لكن الديمقراطية ليست شيئا جديدا بالنسبة لمراكش ، بل هي شيء واقع منذ القديم في كثير من أنظمتنا الشعبية، و لذلك يرى الحزب وجوب بعث المنظمات الديمقراطية و تنظيمها كالجماعات القبلية التي حولت الحماية معناها من مجالس بلدية إلى محاكم عرفية.

و لكن ما يريده الحزب هو الديمقراطية كما تفهمها الدول المغربية الكبيرة، و لا يكفي بعث الأنظمة القديمة لإقرارها في البلاد ، و لذلك يرى الحزب من مهمته القيام بتربية ديمقراطية مستمرة لسائر أفراد الشعب، و تعويد الأمة على الحياة الدستورية بمختلف المؤسسات التي تربيتها و تساعد على تذوق المعاني التي تصبو إليها في مظاهر النظام الديمقراطي الذي يقر تدريجيا في البلاد.

5:مسألة الإطار :

لا يجهل (حزب الاستقلال) إن المغرب لا يمكن أن ينظم حكومة وشميا على أحدث أنواع الأنظمة الغربية بمحض و سائله الخاصة ، و لكنه يحمل مسؤولية فقدانه للإطار الكافي لسياسة الحماية التي عرقلت تطوره و ثقافة أبنائه ، كما أنها وضعت من اللسان الفرنسي اللغة التي تسير بها مختلف الإدارات التي بيدها دواليب الحكم، و لذلك أبعدت عن مقاليدها نخبة البلاد المثقفة باللغة العربية.

فأرجاع الشيء لنصابه بعودة اللغة العربية لما كانت عليه من لغة رسمية لا في للبدء فقط بل في العمل يزيل تقريبا مشكلة الإطار خصوصا في ما يتعلق بالتنظيم الإداري و القضائي و الثقافي و المالي ، و معنى هذا الإطار القديم تدريجيا.

و أما فيما يخص المصالح الفنية فإن المغرب يختار من خارج البلاد من يستعملهم في الإرشاد الفني في الإدارات التي لا يوجد بها فنيون مغاربة، و أيما كان فالحزب لا يرى أن مسألة الإطار من شأنها أن توقف البلاد عن نيل استقلالها العاجل، بل يعتبرها حاجة داخلية يمكن للحكومة القومية أن تحلها بالوسائل التي ترى فيها خير البلاد و مصلحتها ، يجب أن يستقل المغرب و يسير و لو بإطار عتيق ليتمكن من تكوين أداة عصرية لحكمه ، و إلا فإنه لن يدرك أبدا ما يصبوا إليه، و ثلاثة أجيال الحماية كلها دليل على أن نظاما يسره الأجنبي لا يمكن أن يؤدي لتطوره منشود موافق للاماني القومية و الاجتماعية للبلاد.

6: مسألة العدل :

يمكن للمغرب أن يتابع نظاما قضائيا متحدا ، و قد سارت البلاد منذ عهد بعيد على نظام المحاكم المخزنية و الشرعية، فالحزب يطالب بسن قانون متحد مستمد من أصول الشريعة الإسلامية و مراعى فيه توجهات العمل المغربي و تطورات القانون الأجنبي ، مع تأسيس المحاكم الأجنبية أو المختلطة، و يجب أن يخضع الكل للقوانين المغربية و المحاكم المغربية ، و أن يقضى على كل اثر لامتيازات الأجنبية.

7:السياسة الاجتماعية: التعليم، الإسعاف:

يرى الحزب وجوب سن قوانين اجتماعية في المغرب من أجل رفع المستوى المادي و الخلفي و العقلي للجمهور المغربي، و تحسين حالة العمل في المدن و القرى ، و إعطاء الكل تربية حقيقية ، و إنشائهم عل الأسس التي تشعروهم بالكرامة و الحرمة الإنسانية .

و بما أن جمهور الصناع الصغار في المدن و القرى سيبقى في إعداد العوامل الضرورية للتوازن الاجتماعي إلى وقت غير قصير فمن الواجب مساعدتهم و حمايتهم و تنظيم هينتهم و توجيههم نحو أسلوب تعاوني.

أما المسألة المؤلمة فهي الحالة البروليتارية الفلاحية، و يرى الحزب و جوب حلها بتقسيم عادل للتراث الفلاحي المغربي؛ كي يتسنى لأبناء القرية أن يحصلوا على ملكية صغيرة و متوسطة. و يجب أن يفرض التعليم الإجباري لسائر الأطفال الذين في سن مدرسي ذكورا و إناثا بالبادية و الحاضرة، و أن يكون مجانا للجميع ، كما يجب تنظيم دروس عامة مجانية لمقاومة الامية. و لفائدة الكل يجب تصفيح البلاد و توجيهها التوجيه الاقتصادي النافع، و تأمين المرافق العمومية و منابع التراث القومي.

و يجب على الحكومة المغربية المستقلة ان تضع في مقدمة أعمالها الإسعاف الاجتماعي و لا سيما فيما يرجع لحماية المرأة و الطفولة، و رعاية الصحة العامة.

8: الدفاع الوطني و الأمن الداخلي:

مهما ادعى المرجفون عن حالة الأمن في المغرب فان بلادنا لم تكن في يوم من الأيام مقرا للفوضى، و إذا كانت معدتنا في فاتحة القرن العشرين غير موافقة لما تقتضيه حاجيات العصر فقد كانت لنا مراكز عسكرية رئيسية، و مراكز قبلية كفت لضمان الأمن الداخلي و الخارجي مدة أجيال كثيرة، بل استطاعت أحيانا أن تنتشر السلام المراكشي على مواطن بعيدة ممتدة من شمال المغرب و جنوبه و شرقيه، لكن هذه القوات لم تعد كافية في هذا العصر، و لم يعد من الممكن أن نتغلب بها على دسائس الأجانب الذين كانوا يتحينون الفرص للقضاء على بلادنا، و عليه فإصلاح النظام العسكري واجب.

وقد زعمت الحماية أنها أنشأت الأمن ، و أوجدت أحسن السبل لاستمراره و لكن أي امن هو ذلك الذي لا يعرف إلا القوة و استعمال وسائل الإرهاق للإنسانية سبيلا؟ إن من الحماية لم يبذل أي جهد لقرار الحق، و لم يكن ذلك ذنبه فحسب، بل انه سخر سائر أدواته للظلم و الدفاع عن مصالح طبقة استغلالية محتكرة من أصحاب رؤوس الأموال الأجانب و من المستعمرين الغاضبين.

ثم هو بعد ذلك أداة مسخرة للقمع السياسي و لحماية نظام مفروض على البلاد ضدا على الثروات التي ظلت ممكنة حتى بعد مرور ثمانية و ثلاثين سنة على الحماية، أما فيما يخص المغرب فإن (حزب الاستقلال) يرد نظاما عادلا أكثر بساطة و أقل تعقيدا، ففيما يتعلق بالدفاع الخارجي يجب أن يبذل المغرب كل مساعدته لنظام الدفاع الأممي طبقا لأصول التي تقرها المم المتحدة.

و فيما يخص اطمئنان الداخلي يجب تكوين فرقة إدارية لا تعمل إلا لما تقتضيه حاجة الأمن الإقليمي، دون أن يكون لها ادنى حراسة للتيارات السياسية، إذ لا يحتاج المغرب إلى جيش عرمرم كالذي وضعته الحماية خصوصا بعد الإصلاح الاجتماعي و الثقافي الذي تقوم به الحكومة القومية، و إنما يحتاج لقوة متجولة تشعر الشعب بأن للأمن العام حرسا متيقظين، و إلى جانب هذه القوة المتجولة تؤسس فرق (للجومي الفلاح) تركز هنا و هناك في الأراضي المخزنية الجماعات للمساعدة على نشر السكينة عند الحاجة، و القيام بتعميم الوسائل العصرية للحراسة و الاستغلال الزراعي.

9: السياسة الاقتصادية و المالية:

نظام الباب المفتوح و تساوى الدول الأجنبية فيما يرجع للشئون الاقتصادية وفق ما اقتضته معاهدة الجزيرة سيبقى إلى وقت ما المنهاج المتبع في نظام البلاد الاقتصادي: لكن الحزب يرى من الضرورة إدخال بعض التعديلات عليه: ففكرة الباب المفتوح يجب أن تقتنع بوجود معاملة الدول التي تستفيد منه للمغرب بالمثل، و أيضا فانه لا بد من استعمال بعض التدابير المالية، و لا سيما رفع قيمة الأداءات الجمركية مع احترام مبدأ المساواة في الأداء.

سياسة الحماية في الجبايات أدت أي جمع الكثير من رؤوس الأموال الأجنبية في المغرب، لكن هذا التسهيل الذي استفادته الرأسمالية الأجنبية لم يكن إلا على الظهر المستهلكين الذين يكون الأهالي أغليبتهم الساحقة، لأنهم هم الذين تحملوا إكمال عجز الميزانية بالضرائب غير المباشرة، فتحرير المستهلكين من الحمل الثقيل بفرض الضرائب على الذين يستحقونها من أول ما يجب عمله، و كذلك المساواة في الضرائب تقضي على الميز الذي اتبعته الحماية لتمكن المعمرين من أداء مثل ما يؤديه الفلاح المغربي.

و فيما يرجع للشئون المالية يرى (حزب الاستقلال) إن استغلال التراث المعدني الذي هو ملك للدولة و لا يقبل التفويت يجب أن يكون من الدولة مباشرة، أو بواسطة رخص مخزنية (حكومية) مشتركة حتى يمكن للبلاد ان تحقق حاجياتها دون الاضطرار لأداءات باهضة، كما يرى من الواجب تأميم كثير من المرافق العامة لتحقيق نفس الهدف.

و لسلامة مالية الدولة يجب على الحكومة ان تقاوم تضخم النقد، و الحصول على استقرار العملة في دائرة الاتفاقات الدولية، و على استقلال الفرنك المغربي عن فرنك فرنسا و مستعمراتها.

و الخلاصة أن الحزب لا ينتحل في سياسته المالية و الاقتصادية أي مذهب من المذاهب المعروفة، و لا يقصر دفاعه على أية طبقة اجتماعية و حدها، و لكن عطفه مع ذلك يتوجه بصفة خاصة للطبقة الفقيرة التي يرى وجوب رفع مستوى معيشتها ومستوى ثقافتها و معنوياتها لتكون لها حرمتها الخاصة التي تحل بالمكان اللائق بها في الهيئة الاجتماعية المغربية.

10: السياسة الخارجية:

لئن اضطر المغرب للانزواء على نفسه في العهد الأخير للدفاع عن حريته فان التاريخ يثبت انه كان كلما أحسن القوة من نفسه اتبع سياسة خارجية حرة و ربط علاقات حسنة مع مختلف الشعوب الأجنبية.

و في حسن الضيافة التي قدمها لليهود المطرودين من الأندلس ما يدل على روح التحرر التي سمحت لأولئك اليهود بالمحافظة على ديانتهم و أموالهم و قضائهم الشرعي، مع تمتعهم بالرعوية المغربية التي خولتهم أحيانا الحصول على المناصب الكبرى في الدولة، و في ذلك ما ينفي كل اتهام بالتعصب الديني أو العنصري، و ما يعرب عن استعداد المغاربة لتعاون مخلص مع غيرهم من الدول و الطوائف.

لكن هذا التعاون و التساند لا يراهما (حزب الاستقلال) ممكنين إلا في دائرة الاعتراف للمغرب بكامل حقوقه و بمقتضى اصول العلاقات الدولية التي وضعتها وثيقة الأطلسي و مقررات الأمم المتحدة.

و يرى أن علاقات البلاد يجب أن تكون احكم و أوفق مع الدول العربي التي تربطنا بها روابط تاريخية و ثقافية و عنصرية لا حصر لها، و هذه العلاقة يجب أن تنتهي بالانضمام للاتحاد الذي يجمع سائر لدول العربية في عائلة العروبة الكبرى ليتسنى للمغرب و العرب جميعا أن يشتركوا في بناء صرح سلام عالمي، و بعث نظام إنساني لخير العالم بأسره.

الملحق رقم 11

البرنامج السياسي القومي التحرري •

جويلية 1946.

1. استقلال المغرب ضمن حدوده الطبيعية. و لأجل هذا ،يجب أن يسترجع وطننا وحدته السياسية. و وحدته الأرضية، و كامل سيادته القومية تحت إشراف و رعاية جلالة الملك...
2. تأليف حكومة قومية مغربية، موطنه الأركان، متمتعة بثقة الأمة ،حررة التصرف، بحيث تؤدي مهمتها التي هي قيادة المغرب إلى تقرير مصيره كوطن حر...
3. مما تلتزم به الحكومة القومية المغربية، القيام بالعمل العظيم الحيوي، الذي هو إنتاج سياسة حازمة لإصلاح الكيان الاجتماعي في جميع ميادين الحياة المغربية، و على سبيل المثال، تنظيم تلك الحكومة التعليم الابتدائي بصفة إجبارية مجانية لفائدة جميع المغاربة ذكورا و إناثا. كما تزود شعب البادية (الفلاحين) و العملة المغربية، بنظام اجتماعي اقتصادي يحمي بكيفية فعالة مصالحهم الخاصة و العامة، و يضمن نماء هذه المصالح نفسها في دائرة التعاون العصري...
4. منح الشعب المغربي ميثاقا سياسيا (دستورا) يصبح القانون الذاتي و النظام الأساسي للمغرب الحر، و يكون مستمدا في روحه و أساليبه من (البيان الفرنسي لحقوق الإنسان و الرعية) و من النظام النيابي الذي تؤسس عليه الديمقراطية الفرنسية الحديثة.
- يهتم الدستور الجديد بتنظيم السلطات التشريعية، والتنفيذية، القضائية، و يضمن للمغاربة المساواة أمام القانون والحرية الفردية، وحرمة البيت والملكية، ويسمح بحرية الضمير والرأي، وحرية الاجتماع والجمعيات، وذلك في حدود القانون، و يصون حرية الصحافة و يمنع مراقبة المطبوعات قبل صدورها، و يحفظ:

- 1 • الإسلام بصفته دين الشعب المغربية ودولته وجميع الأنظمة والمؤسسات الإسلامية.
- 2 • العربية لغة المغرب الدينية و القومية.
- 3 • حقوق و امتيازات العرش الشريف و الملكية الدستورية المغربية.
5. العمل، بتأييد فرنسا معنويا ودبلوماسيا، لإلغاء نظام الامتيازات الأجنبية، هذا النظام الذي ينافي روح العصر وشروط المغرب لبحر، مع حفظ العلائق الودية بين المغاربة والنزلاء الأجانب، أما حماية حياة هؤلاء وأملأهم فتكون من اختصاص الحكومة القومية المغربية.

• الوثيقة السياسية التي صادق عليها المؤتمر العام الذي تم عقده بمدينة الدار البيضاء أيام 27-28-29 جويلية 1946 لمناضلي "الحركة القومية" (بعد عودة الوزاني من المنفى) كبرنامج لحزب الشورى و الاستقلال. أنظر، عز العرب محمد حسن الوزاني، حدثني والدي، (مصدر سابق)، ص، 17.

6. تكوين جيش مغربي مستقل، ينامط به حفظ الأمن في الداخل والدفاع العسكري عن التراب القومي المغربي عند الاقتضاء.
- يتمتع الجيش الشريف، بمساعدة بعثة عسكرية فرنسية، و ذلك لترقية تعليمه، و تدريب مختلف وحداته، كما يتمتع الضباط المغاربة بجميع التسهيلات في تربيتهم العسكرية وتدريبهم الحربي بفرنسا.
7. إذا اضطرت الحكومة القومية المغربية إلى الاستعانة بخبراء أجانب، فإنها تتعهد- نظرا للمودة والمحافة بين القطرين - بتفضيل الكفاءات الفنية الفرنسية على غيرها...
8. إبرام معاهدة تحالف بين المغرب الحر، و فرنسا الديمقراطية الحرة، و ذلك لتوطيد مودتهما ، و تنظيم حسن العلاقة بينهما.
- تضمن المعاهدة وحدة المغرب السياسية، و وحدته الأرضية، و سيادته القومية، كما تحفظ المصالح المشروعة لفرنسا و الأجانب، خصوصا في مجال الاقتصاد و الصناعة.
- لا تعتبر المعاهدة غير قابلة للتغيير والتعديل، بل - بالعكس- تخضع للتغيرات و التعديلات التي تقتضيها الحوادث، وتدعو إليها ضرورات الرقي والتطور بالمغرب، و لكن لا يسوغ أن تخل تلك التحويرات الطارئة بمبدأ المحافة نفسه.
- تكون المحافة المغربية الفرنسية ذات صفة خطية (إستراتيجية) عسكرية للهجوم والدفاع. تنص معاهدة التحالف بالتفصيل على التعاون الذي يقع بين القطرين عند نشوب حرب، أو ظهور خطر حرب، أو لضرورة دولية عاجلة، و بصفة عامة لا يتحمل المغرب في تلك المعاهدة أي نوع من الضغط المادي أو المعنوي الذي من شأنه الإخلال باستقلاله...
9. انخراط المغرب في جامعة الأمم العربية، التي مركزها بالقاهرة، و بما أن المغرب يكون متضامنا مع جميع الدول العربية الداخلة في الجامعة، فيجب أن تضمن المحافة مع فرنسا للحكومة القومية المغربية القيام بذلك التضامن و تنفيذ جميع ما يفرضه عليها من التعهدات و التزامات.
10. لا ينتظر المغرب تخلصه التام من القيود المفروضة على سيادته بسبب الإحلال والامتيازات الأجنبية. بل بمجرد ما يعلن استقلاله و تعترف به فرنسا ، يستطيع بتأييدها أن يطلب الانخراط في نظام الأمم المتحدة...

الملحق رقم 12.

مذكرة 23 سبتمبر 1947 •

1. المشكلة المغربية

مما لا شك فيه أن العلاقات المغربية الفرنسية يسودها في الظروف الراهنة القلق والاستياء، و لا نزاع أيضا في أن هذه العلاقات المتوترة تزداد ترحجا يوما بعد يوم، و أنها تهدد بإحداث هوة عميقة قد تؤدي على انقطاع هذه العلاقات انقطاعا باتا بين الفرنسيين والمغاربة.

فالشعب المغربي تغمره الخيبة و عدم الثقة إزاء الفرنسيين و الإدارة الفرنسية، لأن هؤلاء يعيشون في هذه البلاد مترفعين عن المغاربة و لا يعنيه من أمر الشعب المغربي شيء ولا يشعرون بما يكابده من أضرار، وما تضطرم به نفسه من آلام لأن الإدارة الفرنسية من جهتها قد حلت محل المغاربة في تسيير شؤون البلاد، و انتزعت منهم السيادة انتزاعا تاما، واستبدت بجميع السلطات، و نظمت في البلاد باسم النفوذ الفرنسي الذي أول على غير حقيقته، خطة محكمة من الظلام و التعسف و الاختلال السياسي والاجتماعي و الاقتصادي.

إلى جانب ذلك تتميز العلاقات بين المخزن الشريف والإقامة العامة بتوتر يشند من يوم لآخر بسبب التداخل في السلطات و المطالبة بحقوق لم تحدد، و لم يحكم نظامها أي دستور. إذن فلا عجب من حدوث مشادة تتكرر مرة بعد أخرى بين المخزن و الإقامة العامة. كما نرى الجالية الفرنسية والإدارة تأبيان تفهم المشاكل المغربية والألماني المشروعة للشعب المغربي، في حين أنهما تصران على الدفاع عن مصالحهما و امتيازاتهما، و تجهران باستخفاف شعب تعتبرانه دائما محجورا و عاجزا عن التطور و عن تدبير شؤوننه بنفسه.

و إذا أضفنا إلى ذلك ما نشعر به من الخيبة الناجمة عما نشعر به من الخيبة المرة الناجمة عما نشعر به من الإخلال بالوعود الجذابة التي بذلت بسخاء في ساعة الشدة وضربت بها عرض الحائط بعد الفوز والنصر، وما نجده من الإهمال المزري للتضحيات المادية و المعنوية التي تكبدها الشعب المغربي في سبيل إحراز النصر من أجل القضية المشتركة، قضية تحرير الشعوب و الأفراد، و ما نراه من سوء النية و القصد اللذين تعالج بهما كثير من الإدارات الفرنسية بالمغرب القضايا الحيوية و المهمة للبلاد. إذا جمعنا كل هذا فلا نستغرب إذن من استفحال سوء التفاهم بين المغاربة و الفرنسيين، و لا فائدة من التهاون بخطورة هذه الحالة النفسية، بل يجب محوها و القضاء عليها بأسرع ما يمكن، و ذلك في صالح الشعبين.

إن عدم إيجاد حل جوهري ملائم للمشكلة، يجعل البلاد في حالة استياء دائم يضاعف

• النص الأصلي للمذكرة بالفرنسية و قد تم الاعتماد على الترجمة التي أوردها عز العرب في كتابه "حدثني والدي" ص 225.

استفحال العلائق الفرنسية المغربية يوما عن يوم و يعرضها لخطر قد يؤدي في النهاية إلى تطاحن شامل بين الطرفين.

ولا يمكن التفكير في حل المشكلة المغربية بمواصلة العمل بالحماية أو محاولة تطبيق جديد لنظامها الذي هو مصدر الاستياء العظيم، الذي آل إلى فشل ذريع.

و إننا لنجد الصحافة الفرنسية نفسها تؤيد وجهة نظر هذه و تدافع عنها في المدة الأخيرة. ومن كبريات الصحف التي عالجت هذا الموضوع نذكر جريدة الفيكارو التي نشرت مقالا بتاريخ 07-07-1947 بقلم جورج دو هاميل، جاء فيه ما يلي :

" يجب التقدم بسرعة، و تناول الأشياء من أصولها. فالنسبة لتونس والمغرب بالخصوص، ينبغي

الإعلان فورا عن إنهاء نظام الحماية الذي باد و انقرض و أصبح في حكم التاريخ".

وإن الجنرال جوان المتكلم بلسان الحكومة الفرنسية بالمغرب، ما فتئ يعلن من جهته، في عبارة صريحة و دقيقة، أن لعقد الحماية المقرر بعقد 30 مارس 1912 حدا سينتهي إليه.

2. هدفنا العام

إن غاية حزب الشورى و الاستقلال، كما يدل عليه اسمه، هي العمل بجميع ما يستطيع من وسائل في سبيل إقرار ديمقراطية حقيقية، سياسية و اجتماعية و اقتصادية، لفائدة الشعب المغربي كما يعمل لاستعادة السيادة المغربية و ممارستها ممارسة تامة، و تحقيق استقلال الوطن في إطار وحدته الترابية و السياسية، في ظل ملكية دستورية.

3. برنامج العمل المستعجل

1 • المنهجية و الأساليب:

يعتزم حزب الشورى و الاستقلال تحقيق الأهداف السالفة الذكر بالوسائل الآتية:

أولا/ عن طريق المفاوضات.

ثانيا/ التمسك بالواقعية في تصور الحلول للمشاكل المغربية و في تطبيقها، مع

مراعاة الظروف الخاصة لحياة الشعب المغربي و تطوره الحالي.

ثالثا/ الدخول في مرحلة انتقالية تسمح للمغرب بتنظيم شؤونه بكامل الحرية و بأسرع الطرق، وفي تطلعه إلى مستقبل حافل بالآمال وإلى مصيره الحر، أي نحو سيادته التامة و استقلاله المضمونين بمعاهدة تحالف و صداقة تبرم عن طواعية و بكامل الحرية بين الجانبين.

رابعا/ توجيه نداء صريح إلى فرنسا، و مطالبتها بأن تبرهن للشعب المغربي عن روح التفهم و حسن الإرادة والاستعداد، وعلى تشبثها بمبادئ التحرير بالحكمة و التبصر السياسي. إن النداء الذي نوجهه إلى فرنسا شاهد بما لنا من حسن النية و الإرادة كما أنه في الوقت نفسه، يعبر عن أملنا القوي في إيجاد حل للمشكلة المغربية في المغرب و باريس.

2 • الجو السياسي:

يجب بادئ ذي بدء خلق جو قابل للانفراج الضروري للانتقال من حالة الإستياء الراهنة إلى حالة تقدم حقيقي، في الميادين السياسية و المادية و المعنوية، من شأنه أن يوجه المغرب بحزم، و في أقرب وقت ممكن، نحو رشده السياسي، و حرية تقرير مصيره.

و يمكن الوصول إلى هذا الجو السياسي الملائم بالوسائل الآتية:

أولا/ أن تعلن فرنسا رسميا عن حق الشعب المغربي في تدبير شؤونه بنفسه و أن تعترف بأسبقية مصالح المغاربة في بلادهم مع الصيانة التامة لسيادة البلاد و استقلالها الوطني.

ثانيا/ أن تلغي جميع القوانين الجائرة و التشريع الاستثنائي الذي ما برح العمل به جاريا في المغرب و الذي يطبق على الشعب المغربي بصفة خاصة و يعرقل تطوره العام.

ثالثا/ إصدار عفو يشمل جميع المغاربة ضحايا الاضطهاد.

رابعا/ يمكن للجو السياسي أن يتقدم و يواكب المرحلة الانتقالية التي ستمكن المغرب من الانتقال بدون عرقلة ولا تعثر من طور الحجر إلى طور الرشد السياسي، و من نظام الوصاية إلى عهد الحرية.

3 • المرحلة الانتقالية :

أصبح من الضروري تمرير المغرب من مرحلة انتقالية تمكنه من اجتياز النظام السياسي الراهن و الذي فقد كل صلاحية و باء بسخط الشعب و غضبه إلى طور نظام جديد يقوم على الديمقراطية و الاستقلال. و يجب أن يتحقق للمغرب استقلاله الداخلي أثناء المرحلة الانتقالية كما يجب أن يضمن له كامل نموه الدستوري، الذي بدونه لن يكون تقدم حقيقي ولن ينعم الشعب بحرية حقيقية.

و تتميز المرحلة الانتقالية بالأمور الأساسية الآتية :

أولا/ تأليف حكومة وطنية مغربية مؤقتة ،لها مسؤولية مقرر و وطيدة الأركان متمتعة بثقة الأمة و بثقة صاحب الجلالة، و لها كامل حرية التصرف بحيث تستطيع أن تؤدي مهمتها الأساسية التي هي الاضطلاع بقيادة المغرب عن طريق الدستور ،نحو مصيره الجديد كوطن حر مستقل.

و من بين المهام التي ستضطلع بها الحكومة الوطنية المغربية المؤقتة تلك المهم حيوية العظيمة التي تتعلق بنهج سياسة حازمة للإصلاح الأساسي في جميع ميادين العمل. وعلى سبيل المثال يجب تنظيم التعليم الابتدائي ليكون إجباريا مجانيا بالنسبة لجميع المغاربة ذكورا وإناثا، ومنح الفلاحين والعملة المغربية نظاما اجتماعيا واقتصاديا يلائم ظروف الحياة المغربية ويحمي بكيفية فعالة مصالحهم في إطار نظام تعاوني عصري.

ومن مهمتها أيضا إعداد الرجال الفنيين المغاربة الذين يتوقف عليهم تدبير شؤون البلاد وذلك بفتح المدارس الكبرى لتخريج الإداريين، والقضاة المدنيين والشرعيين، والأساتذة المدرسين و مهندسي الفلاحة و الأشغال العامة و المعادن، الخ...

ثانيا/ إلغاء معاهدة الحماية (30 مارس 1912) و استعاضتها باتفاق مؤقت و ذلك ريثما يتم إبرام معاهدة صحيحة تقوم على التحالف و المودة بين المغرب المتمتع بحريته و كامل سيادته و بين فرنسا التي تبرهن على تمسكها بمبادئ الحرية و الديمقراطية.و يمكن إبرام تلك المعاهدة بتوفر الشروط السالفة الذكر التي تكمن من إعداد و تنصيب الهيئات الشرعية المشرفة على تدبير الشؤون العامة للأمة.

و يحتوي هذا الاتفاق على بنود تكفل تنظيم المرحلة الانتقالية،و تحدد مداها وتنسق العلائق المغربية الفرنسية، ريثما يتم إبرام المعاهدة الجديدة و تحفظ المصالح المشروعة للفرنسيين و الأجانب المقيمين بالمغرب

ثالثا /تكليف مجلس وطني يمثل الرأي العام المغربي بوضع دستور يصبح - في ظل ملكية ديمقراطية - النظام الأساسي لمغرب الغد المتمتع بحريته و استقلاله.

و يتولى الدستور المغربي الجديد تنظيم السلطات التشريعية والتنفيذية على أساس فصل بعضها عن بعض، وعدم تداخلها،حفظا للحرية،و صونا للعدالة في البلاد،و يضمن لسائر المغاربة المساواة أمام القانون،و الحرية الفردية و حرمة المراسلة و البيت و ملكية الفرد والجماعة،وحرية الضمير والرأي والاجتماع والجمعيات وحق التنظيم والشكوى في دائرة القانون العادل،وحرية الصحافة والنشر،ويمنع مراقبة المطبوعات قبل صدورها في غير الظروف الاستثنائية و يكفل الدستور كذلك:

1 • تعاليم الإسلام الذي هو دين الدولة و الأمة المغربية،و جميع الأنظمة و المؤسسات

الإسلامية(القضاء الشرعي و الأوقاف و غيرهما).

2 • اللغة العربية،لغة المغرب الدينية القومية.

3 • أصول الملكية الدستورية.

رابعا/ إلغاء نظام الحكم المباشر،و وضع تشريع يمكن من "مغربة" إدارة البلاد بالتدرج و في سائر المراتب،و ذلك بالعمل على نقل المسؤوليات من يد الموظفين الفرنسيين و إسنادها إلى السلطات المغربية الجديدة كلما تأهل الفنيون المغاربة لشغل مناصبهم.

خامسا/ إلغاء المناطق العسكرية المعروفة بمناطق "عدم الأمن" و ذلك النظام الشاذ الذي يجعل السلطة فيها استبدادية،و الشعب مسخرا لها.

سادسا/ تنظيم الجيش الوطني والشرطة المغربية تنظيما جديدا على أساس استقلالهما وتولييهما المحافظة على النظام العام في الداخل و عند الاقتضاء الدفاع العسكري عن التراب الوطني المغربي،و حماية أمنه وضمانة سلامته.و يباشر تنظيم الجيش والشرطة و المغربيين بمساعدة ذوي الكفاءات من الفرنسيين،وذلك في شكل بعثات فنية خاصة يكون من اختصاصها أيضا تنسيق الدفاع المشترك.

تلك هي النقط الأساسية التي يتكون منها البرنامج الأدنى الذي يتقدم به حزب الشورى و الاستقلال، وذلك من أجل تنظيم مرحلة الانتقال من عهد الحماية إلى طور التنظيم الدستوري في سبيل الاستقلال.

إن هذا البرنامج الذي تبناه حزب الشورى والاستقلال يشكل قاعدة أساسية للعمل المستعجل و يمكن بصفة عامة من تحرير المنهاج العام الذي تقوم عليه الحكومة و الإدارة في المغرب تحريرا جوهريا عميق تقتضيه اليوم ضرورات الشعب المغربي في تطوره القومي الشامل كما تتطلبه خطورة الظروف السياسية التي يعيش فيها عالم اليوم.

ولأجل هذا كله يأمل الحزب أن يرى عن قريب حلول ذل اليوم الذي يتمكن فيه الشعب المغربي - في جو من السلام قائم على العدالة الاجتماعية و السياسية - من الاتجاه بنفسه، في عزم و حزم، و عن طريق الديمقراطية الصحيحة، و بموازنة نزيهة من الحكومة الفرنسية نحو هدفه الأسمى الذي هو الاستقلال التام. و لا أي مستقبل زاهر للوطن المغربي الذي يعقد العزم، و يصمم على أن يتولى قيادة تطوره الخاص، و يعود كما كان صاحب الأمر في بلاده، و القابض على زمامها ويعمل بنفسه على تشييد صرح مستقبله. و بعبارة أخرى، يريد المغرب أن يسترد جميع الوسائل و الأدوات التي من شأنها أن تضمن له النمو السياسي و الاجتماعي و المادي، كما يريد أن يتمكن - في جو من السلام لا يقوم على قوة السيوف و رؤوس الحراب و أحكام الاضطهاد، بل على الحري و العدالة - من استكمال تطوره القومي و تربيته السياسية، إذ فيهما ضمان المستقبل العظيم الذي أعدته له الأقدار.

وإنه ليجب على فرنسا التي أخذت على عاتقها مهمة في هذه البلاد، التعجيل بتغيير جذري لسياستها وجعلها ملائمة للغايات النبيلة التي يسعى الشعب المغربي لإنجازها بمساعدة الأمة الفرنسية مساعدة نزيهة ليس فيها تحفظا أو احتراز، و يتحتم على الحكومة الفرنسية أن لا تبقى واقفة موقف التردد و الاضطراب من المشكلة المغربية التي نعرضها عليها اليوم مرة أخرى، بل يجب عليها، بعكس ذلك، أن تعي الأخطار التي تنطوي عليها كل سياسية تقوم على التسويات، و المماطلات، و الحلول العرجاء.

ذلك واجب على فرنسا خصوصا و أن أسس الحلول الصالحة لفض المشاكل في الأفكار غير المستقلة، قد وردت في الدستور الفرنسي الذي أعلن من جديد مبدأ حكومة الشعب للشعب وبالشعب (الفصل الثاني من الدستور الفرنسي).

أما مسألة حري الشعوب فقد اهتم بها ذلك الدستور الذي يؤكد في مقدمته أن الوفاء لرسالة فرنسا التقليدية يقضي عليها بأن تتولى قيادة الشعوب التي تتحمل عبأها نحو حرية تقرير مصيرها و تدبير أمورها وفق المبادئ الديمقراطية.

و أخيرا يلغي الدستور الفرنسي صراحة كـ ب نظام استعماري يؤسس على القوة و الاستبداد كما يضمن في البلاد المرتبطة بفرنسا التمتع الفردي و الجماعي بما للشخصية الإنسانية من حقوق و حريات.

هذه هي النظريات الرسمية المثبتة في الدستور و التي نطالب الحكومة الفرنسية بالعمل لتطبيقها،و ذلك بأن تتعهد إلى ممثليها بالحرص على جعل سياستهم ملائمة للتصريحات المبدئية و الخطب الرسمية. و من جهة أخرى فإن فرنسا بصفتها موقعة على ميثاق الأمم المتحدة تلتزم باحترام مبدأ حقوق الإنسان و الحريات الأساسية الواجبة لجميع الناس كما تتعهد باعتبار مصالح الشعوب غير المستقلة، ذات الأسبقية و الأفضلية في أوطانها، و باحترام مساواة في الحقوق الشعوب لتقرير مصيرها بنفسها.

4. المسؤوليات

إن حزب الشورى و الاستقلال - الذي يحرص على إخراج المغرب عاجلا من الحالة لناشئة عن الارتباك و الاضطراب الذي يتخبط فيه الآن،و يدرك خطورة الحالة السياسية في الداخل و الخارج و يعي حلول الساعة التي تكمن المغرب من أن يعالج مسألة نظام الحكم في إطار دستوري - يعلن عن استعداداته الكامل لتحمل مسؤولياته.و الاضطلاع بأعباء إدارة الشؤون العامة،تحت إشراف رعاية صاحب الجلالة سيدي محمد بن يوسف نصره الله.

و إن ما عليه الحزب من استقلال في الفكر،و نزاهة في القصد و تفان تام برهن عليه في سبيل القضية المغربية ،ليؤهله بصفة خاصة لقيادة شؤون البلاد،و السير بها في طريق الديمقراطية و التحرير ،و كل ذلك برهان قاطع على أن الحزب لا يطالب بالحكم لأجل الحكم و إنما يطالب به للمصالح العام و لخير الأمة فقط.

5. الخاتمة

إن الشعب المغربي،الذي يطالب بحقوقه الكاملة ،يريد أن يحيا حياة العزة و الحرية وحزب الشورى و الاستقلال الذي يمثل الرأي العام المغربي بتقديمه لهذا البرنامج الذي يتضمن أسس العمل المستعجل و يشتمل على مقترحات عملية،و يعتقد اعتقادا راسخا أنه بعمله هذا يقدم في هذه الظروف الحرجة خدمة عظيمة للبلاد.

إن المشكلة خطيرة،و حزب الشورى و الاستقلال الذي يشعر بما له من رسالة،و ما عليه من مسؤوليات،يضع المسألة المغربية من جديد على البساط في وضوح وصراحة ورائده الوحيد في هذا خير الوطن،و صالح الأمة.

6. مشروع معاهدة بين فرنسا و المغرب *

إن جلالة سلطان المغرب و فخامة و رئيس الجمهورية الفرنسية.

رغبة منهما:

في الحفاظ على و شائج الوفاق و على توطيد أواصر الصداقة القائمة بين البلدين،

* جاءت هذه المعاهد كملحق لمذكرة 23 سبتمبر 1947،و لتعويض معاهدة فاس لـ 30 مارس 1912 التي أدخلت المغرب في مرحلة حماية لمدة 44 سنة.

صمما العزم:

على توجيه المغرب نحو تمكينه من الممارسة التامة لسيادته و استقلاله،

ولتحقيق هذه الغاية:

سيعلنان عن إقرار فترة انتقالية تبتدئ بإلغاء صريح لعقد ما يسمى "بالحماية" وبالإعتراف الرسمي باستقلال المغرب، تمتد هذه الفترة الانتقالية عامين انطلاقا من دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ. تهدف الفترة الانتقالية إلى تمكين المغرب من الممارسة الفعلية لسيادته واستقلاله المعترف له بهما من الآن. و خلال هذه المدة نفسها، سيحظى الشعب المغربي بنظام ديمقراطي مبني على دستور متحرر ينبغي وضعه في أقرب الآجال من طرف ممثليه الشرعيين الذين ستناط بهم هذه المهمة بطريقة قانونية.

و قررا أيضا :

توحيد جهودهما و تضافرها لإنجاز هذه الأهداف.

لذلك، فإن الحكومتين المغربية و الفرنسية تتبنيان هذه المعاهدة المؤقتة في انتظار إبرام معاهدة تحالف و صداقة، بعد انتهاء الفترة الانتقالية و تشرعان في وضع الترتيبات الأساسية للفترة المذكورة بحكم مقتضيات التي سيأتي ذكرها اعتبارا للهدفين اللذين ترمي إليهما هذه المعاهدات، و هما:

1. تحرير المغرب عاجلا من كل حماية و احتلال عسكري و مراقبة سياسية.

2. و على المدى البعيد:

أ - تمكين المغرب من استرجاع سيادته الكاملة و استقلاله و وحدته الترابية طبقا للمعاهدات التي تضمن هذه الوحدة و خاصة منها عقد الجزيرة الخضراء.

ب - انضمام المغرب المتمتع بسيادته و استقلاله، إلى حظيرة الأمم المتحدة و ذلك على قدم المساواة مع جميع الدول الأعضاء.

البند الأول: تعترف الحكومة الفرنسية بالمغرب بصفته دولة مستقلة ذات سيادة، يسير شؤونه بنفسه في إطار ملكية دستورية. و يختم على فرنسا هذا الاعتراف إلغاء عقد الحماية المبرم بتاريخ 30 مارس 1912 بفاس، و هو الإلغاء الذي سيصبح نافذ المفعول بمجرد دخول هذه المعاهدة المؤقتة حيز التطبيق.

البند الثاني: تلتزم الحكومة الفرنسية بمد الحكومة المغربية بكل المساعدات التي تحتاج إليها كي يتسنى لها تسيير البلاد و تنظيم الحكم في ربوعها بكيفية مستقلة و ديمقراطية. إن الحكومة الفرنسية تتعهد بالقيام بهذه المهمة المقدسة المتطابقة مع ميثاق الأمم المتحدة.

البند الثالث: يقود شؤون الدولة المغربية، تحت رعاية جلالة السلطان حكومة وطنية شرعية مسؤولة أمام البرلمان المنبثق عن انتخابات حرة طبقا لما ينص عليه دستوره الديمقراطي.

تتصرف الدولة المغربية من الآن و بكامل الحرية، في شؤونها المالية و الدبلوماسية، و لها كامل السلطة على قوات النظام و الأمن، المؤلفة من الشرطة و الجيش الوطني.

البند الرابع: ستنقل إلى الدولة المغربية خلال الفترة الانتقالية المحدودة ممارسة جميع السلط و مسؤولية تسير جميع المصالح العمومية، و سيتم هذا حسب ما سيتفق عليه من طرق و في آجال ستحدد باتفاق بين الحكومتين.

تضمن الحكومة الفرنسية للدولة المغربية تقديم المساعدات التقنية كلما احتاج المغرب إليها، و سينتقضى التقنيون و الخبراء الفرنسيون رواتبهم من ميزانية المغرب مدة تعاونهم مع الدولة المغربية و سيعاملون على قدم المساواة مع زملائهم المغاربة غير أن نفوذهم لن يبلغ إلى الدرجة التي يخشى معها تدخلهم في شؤون المغرب.

إلى جانب ذلك، تتعهد الحكومة الفرنسية من الآن، تسير تطبيق التقنيات التي ترمي إلى فتح المجال في وجه المواطنين المغاربة لولوج الإدارة العامة و أن تشرع في نقل المهام من أيدي الموظفين و الأعوان و التقنيين الفرنسيين العاملين بالمغرب، إلى أيدي الأطر المغربية كلما تأهلت منها عناصر جديدة لتحل محل الأطر الفرنسية العاملة بالمغرب.

اللغة العربية هي اللغة الرسمية في جميع الإدارات العمومية، و في بعض الحالات تضاف إليها اللغة الفرنسية بعدما يتخذ قرار بمرسوم مغربي في هذا الشأن.

البند الخامس: تتمتع الحكومة المغربية بكامل حرية العمل في ممارسة سلطها و اختصاصاتها، سواء في تدبير الشؤون العمومية بصفة عامة أو أثناء مراحل تنظيم المغرب ليصبح دولة ذات سيادة و ديمقراطية و مستقلة، بصفة خاصة.

ولهذه الغاية، ستتكب الحكومة المغربية على سن الإصلاحات الأساسية التي أصبحت ضرورية، من جهة، مع التطور السريع الذي يعرفه سكان الحواضر و البوادي، و من جهة أخرى، مع تجديد المؤسسات السياسية المغربية، و كمثال لذلك، فإنه يتعين على الحكومة المغربية أن تنظم شؤون التربية الوطنية ليكون التعليم الابتدائي إجباريا و مجانا لفائدة جميع الأطفال إناثا وذكورا، و ستنشئ المدارس العليا لتكوين الأطر و ستنشط بالجمعية التأسيسية المغربية المنتخب أعضاؤها بالاقتراع العام، مهمة وضع دستور في أجل لا يتجاوز سنة منذ بداية العمل بهذه المعاهدة المؤقتة، و سيصبح هذا الدستور الموضوع في إطار ملكية دستورية متحررة و ديمقراطية، القانون الأساسي للدولة. و بمقتضاه ستحدد طبيعة و صيغة النظام الدستوري، و ستضمن كل الحقوق الفردية و الحريات العامة و ستنظم السلط القائمة على مبدأ الفصل بينها و الحفاظ على الإسلام و صيانة مؤسساته بالمغرب و إعطاء الاعتبار إلى اللغة العربية و مبادئ النظام الملكي المغربي المتجدد. و في انتظار تطبيق الدستور المرتقب، سيخضع التسيير الإداري إلى مقتضيات روح هذه المعاهدة.

البند السادس: ستتخذ الحكومة المغربية كل الإجراءات الكفيلة بالتيسير و الإسراع بنمو المغرب الحر و الموحد،ذلك ما سيفرض إلغاء كل نوع من أنواع التشريع الاستثنائي و نبذ نظام ما يسمى بالمناطق المنعدمة الأمن.

البند السابع: بمجرد ما تدخل هذه المعاهدة في حيز التطبيق،ستشرع الحكومة المغربية في تنظيم الشرطة و تأسيس الجيش المغربي المستقلين،و ستناط بهما مهمة الحفاظ على الأمن العام و النظام،و إذا ما اقتضى الحال الدفاع العسكري عن التراب الوطني.إن إعادة تنظيم شرطة مستقلة و جيش مغربي لا غنى عنهما في البداية عن الكفاءات و القدرات الفرنسية التي يمكنها أن تلبي حاجات المغرب في صيغة مهام خاصة و مؤقتة ،و تتمثل مأموريتهما كذلك في تنظيم الدفاع المشترك.

و حتى يتمكن الضباط المغاربة من استكمال خبرتهم أو متابعة تداريبهم المهنية،فإن الحكومة الفرنسية ستفتح لهم أبواب مدارسها العسكرية و تضع معسكراتها تحت تصرفهم.

البند الثامن: يضمن المغرب المصالح المشروعة الثقافية و الاقتصادية الفرنسية،كما يضمن الدفاع المشترك بموجب أوافق خاصة بين الحكومتين و ذلك عملا بنص و روح مقتضيات هذه المعاهدة بطيفية تامة.

البند التاسع: و في انتظار إعادة إنشاء و تنظيم الجيش المغربي،ستتكفل فرنسا بالإتفاق على قواتها العسكرية الموجودة بالمغرب و لن تحتفظ منها إلى ذلك الحين إلى بأدنى ما هو ضروري،و سيمتنع الجنود الفرنسيون المرابطون مؤقتا بالتراب المغربي،من التظاهر بمظهر قوات احتلال .تتعهد الحكومة الفرنسية بجعل وجودهم المؤقت لا يشكل أية عرقلة لعمل الحكومة المغربية أو أي انتهاك لحرمة سيادة الدولة المغربية.سيتم جلاؤهم تدريجيا بالتوازي مع قدرة القوات العسكرية المغربية على الحلول محلهم.أما فيما يتعلق بالدفاع المشترك،فإن الجيش المغربي سيتعاون مع الجيش الفرنسي حسب أوافق خاصة ستبرم بين الجانبين في أجل لاحق.

البند العاشر: في حالة نشوب حرب محققة،ستتشاور الحكومتان حول الإجراءات اللازم اتخاذها لمواجهة هذه الحالة.و إذا ما كان أحد الطرفين المتعاقدين في حرب يخوضها،فإن الطرف الآخر سيقدم له ما يستطيع من مساعدة حسب إمكاناته،طبقا للأوافق التي ستبرم بينهما في هذا الشأن.

البند الحادي عشر: سيكون للمغرب تمثيله الدبلوماسي عل جميع المستويات إلا أن فرنسا تتعهد بضمان الحماية الدبلوماسية و القنصلية لمصالح الرعايا المغاربة في البلدان التي يرى فيها المغرب ليس من الضروري أن يكون له فيها ممثلون خاصون به،و سيتبادل المغرب وفرنسا السفراء المعتمدين.

البند الثاني عشر:تتشاور الحكومتان بكيفية صريحة حول أية مسألة تتعلق بالسياسة الخارجية والتي قد يكون لها تأثير على مصالحهما المشتركة و تلتزمان بعدم اتخاذ أي موقف تجاه البلدان الأخرى،يتنافى مع ميثاق الأمم المتحد.

البند الثالث عشر: تعتزم الحكومة المغربية الاحتفاظ الكامل و الصريح بحقها في عدم الإعلان عم موقفها من أي عمل تأتي به فرنسا على الصعيد الدولي كلما ظهر للحكومة المغربية أن هذا العمل يتنافى مع الواجبات التي يفرضها عليها التضامن و التعاون مع الدول الإسلامية.

البند الرابع عشر: تتعهد الحكومة الفرنسية بمؤازرة الحكومة المغربية دبلوماسيا في سعيها إلى تحرير السيادة الوطنية من قيود نظام امتيازات الدول الأجنبية مهما كانت طبيعة هذه الامتيازات.

البند الخامس عشر: في انتظار الإعادة الشاملة للتنظيم القضائي المغربي سيعمل بنظام انتقالي خاص بالرعايا الأجانب عن طريق محاكم مختلطة يمارس فيها القضاء قضاة مغاربة و فرنسيون يضاف إليهم قضاة من جنسية أجنبية كلما دعت الحاجة إلى النظر قضائيا في شؤون تتعلق بهؤلاء الأجانب. تعين الحكومة المغربية أعضاء الهيئة القضائية في المحاكم المختلطة و لها حق إنهاء مأمورياتهم. تصدر الأحكام باسم جلالة سلطان المغرب و سينشأ في حظيرة هذه المحاكم قسم الاستئناف.

البند السادس عشر: تضمن الحكومة المغربية احترام قانون الأحوال الشخصية لمختلف الجاليات الأجنبية القاطنة بالمغرب كما تضمن مصالحهم الدينية و سلامة مؤسساتهم التربوية و الاجتماعية و الخيرية شريطة ألا تشكل أنشطة هذه المؤسسات ما يتعارض مع الحفاظ على الأمن العمومي و مع القانون العام الذي ينظم المراقبة التي تمارسها الدولة.

البند السابع عشر: تتكفل الحكومة المغربية كذلك بضمان المصالح المشروعة الأخرى للأجانب القاطنين بالمغرب على أساس المساواة القانونية و الاقتصادية مع الرعايا الفرنسيين إن حماية حياة و ممتلكات الأجانب بمن فيهم الفرنسيون، تبقى من اختصاص الحكومة المغربية دون غيرها. سيحرص التشريع المغربي حسب المستطاع على تسيير التعاون الاقتصادي بين المواطنين المغاربة و رعايا الدول الأجنبية.

البند الثامن عشر: يجب على المؤسسات التربوية الأجنبية الموجودة بالمغرب، أن تخضع للتشريعات العامة التي تسنها الحكومة المغربية في ميدان التعليم العمومي.

البند التاسع عشر: إن الحكومة الفرنسية التي تعترف بالمغرب كدولة مستقلة ذات سيادة ستساند الطلب الذي سيتقدم به المغرب قصد انضمامه إلى هيئة الأمم المتحدة. ويمكن للمغرب أن يتقدم بطلبه هذا قبل نهاية الفترة الانتقالية.

البند العشرون: كل المسائل التي عالجتها هذه المعاهدة بطريقة مختصرة أو المسائل التي قد يثيرها تطبيق مقتضياتها، ستكون موضوع أوافق ملحقة تعتبر جزءا لا يتجزأ من هذه المعاهدة.

البند الواحد والعشرون: في حالة نشوب خلاف بشأن تطبيق تأويل هذه المعاهدة، فإن الطرفين الساميين المتعاقدين سيحاولان فض الخلاف بينهما عن طريق المفاوضة المباشرة. و في حالة ما إذا لم يتوصلا إلى حل في الموضوع، فإنهما سينتديان حكيمين أو أكثر لتشكيل لجنة للتوفيق بينهما، فإن النزاع سي طرح على أنظار التحكيم الدولي طبقا لما ينص عليه ميثاق المم المتحدة.

البند الثاني والعشرون: بعدما ينتهي العمل بهذه المعاهدة التي حددت صلاحيتها لعامين سيعوضها عقد تحالف و صداقة يضمن استمرارية، مهما كانت الظروف للوفاق الودي بين الحكومتين و لعلاقتهم الطيبة وتعاونهما الصادق.و تحقيقا لهذه الغاية، فإن الحكومتين ستشرعان في مفاوضات قبل أجل انتهاء صلاحية هذه المعاهدة ،قصد إبرام العقد الجيد الذي سيكون إذ ذاك متلائما مع الظروف التي سيصبح عليها المغرب في ذلك الحين.

في حالة عدم اتفاق الطرفين الساميين حول بنود هذا العقد، فإن الخلاف بينهما سيطرح على أنظار التحكيم الدولي، طبقا لمبادئ ميثاق الأمم المتحدة.

البند الثالث والعشرون: سيشرع حالا في وضع هذه المعاهدة حيز التنفيذ على أنها ستحل محل معاهدة الحماية المبرمة بفاس بتاريخ 30 مارس 1912 دون انتظار المصادقات عليها وسيشرع في تبادل هذه المصادقات في اقرب الآجال و ستجل بالأمانة العامة للأمم المتحدة وسيكون لها مفعول رجعي ابتداء من الإمضاء عليها.

حرر نص هذه المعاهدة غي نسختين إحداها بالعربية و الأخرى بالفرنسية ولكيلهما صلاحية في التطبيق و المصادقة.

و اعتبارا لذلك ،ذيل المتفاوضون المنتدبون، هذه المعاهدة المؤقتة بإمضاءاتهم.

حرب.....في نسختين بتاريخ.....للهجرة الموافق ل.....

الملحق رقم 13:

خطاب طنجة

10 أبريل 1947

الحمد لله و الصلاة على رسول الله: من النعم التي لا يفي بواجبها إلا متواصل الشكر نعمة الاجتماع بين قلوب اتحدت و جهتها، وصفت محبتها و أخلصت الله عملها، ذلك وصف المومنين الذين قال فيهم ربنا جلّت قدرته: "ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون الذين آمنوا و كانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم". يمتاز المومن بين أفراد البشر بكمال اليقين، و اطمئنان الضمير، و الاعتماد على ربه في حركاته و السكنات في مسيراته، و كدر الحياة يعلم أن الله سبحانه بين له ما يتجه إليه من الواجبات يقوم بتأديتها و يتيقن بعد بأن الباري جلال جلاله لا يضيع اجر من أحسن عملا، فما علينا إذا إلا أن نزكي العمل بعد توطيد اليقين، لنكون حقا من عباد الله المومنين، فاضت على المسلمين أهوال بلغت من الشدة أقصاها، و رمتهم يد النائبات فأصابته الكوارث مرماها، كان العلم بيننا منبثق الأنوار، متبلج الأسرار، فهجرناه حتى أظلمت سبلنا، و عظمت بالجهل حيرتنا، كان العدل مخيما في أعطاننا، منشورا في عرصات أوطاننا، مبذولا للعاكف و الباد، متمتعا به كل العباد، فأنحرفنا عن سواء سبيله حتى حل الظلم في نادينا، و استحالت إلى الإجحاف بالحقوق مبادينا، كان الإحسان إلى البؤساء ضاربا أطنابه في الحواضر و البوادي، مزدانا بالكرم و الاتفاق في سبيل الخير كل ناد، فتملك الشح الأنفس فأشقاها، و استولى الإيثار على الهمم حتى بلغت من الخذلان منتهاها، مهدنا لشقائنا سببا، حتى تفرقنا أيدي سبا، و لم تقتصر الكوارث النازلة بنا على إبعاد المشرقي عن المغربي بل أبت إلا أن تمزق وحدة بلاد كانت تصول بالاتحاد، و تزدان بتماسكها بين البلاد، فأصبح الفرد منها غريبا عن أخيه الشقيق، نازحا عن موطنه لا يصل إليه بأي طريق، فسلبنا بعظيم غفلتنا أشرف الحقوق، و تمزقت وحدة بلادنا بما جنيناه من العقوق، و كذلك كنا نقضي أيام الحياة كمداء، لما تفرقنا في كل الشئون طرائق قددا، إلا أن الباري جل علاه رحمنا بالهام الرشاد ولانا أمر هذه البلاد فسعيننا جهد المستطاع في تلافي الأحوال، مرشدين إلى سر النجاح في الحال و المال، مهتدين بتعاليم ديننا الحنيف الذي ألف بين قلوب المسلمين، ووفق الأمة العربية المسلمة إلى التعاضد و التكاتف و التعاون حتى وضعت أسس تلك الجامعة الرشيدة، التي تمتد العلاقات بين العرب أينما كانوا، و مكنت ملوكهم و رؤساءهم في الشرق و في الغرب من توحيد خطتهم، و توجيه سيرهم نحو الهداية الدينية، و العزة الإسلامية، و الكرامة العربية ، و أخذنا العهد على أنفسنا ببذل كل الجهود في استرداد مجدنا الغابر، بإحياء المهج و إرشاد الضمائر، و إنضاج الأفكار، و تنوير البصائر، و لما علمنا أن لا حياة لهذه الأمة إلا بما تقدم به سلفها الكريم أخذنا على عاتقنا نشر العلم سواء منه الجديد و القديم، هذا لنتوفق إلى تحلية النفوس بأنوار اليقين، و مكارم الأخلاق، و ذلك لاكتساب وسائل السعي إلى الإمام في كل سبل الرقي و الارتقاء، فأخذت بحمد الله و كمال عونه كل النفوس تحيا بحسن النتائج في تربيتها، و تطمح إلى المزيد في السير إلى نشرتها، فتأسست مدارس يتلقى فيها الشباب المغربي بذور الصلاح، و أخذت تلوح في أفق الرشاد شمس الفلاح، و

استيقظت الأمة متنبهة لحقوقها، و سلكت لأدراك مجدها انفع طرقها، ولكن شتان ما بين ما حصلته في ذلك السبيل و منتهى مرمها، فإنها هي في فاتحة الجهود و كم ينبغي لها أن تبذل قبل أن تحمد سراها.

ثم إذا كان ضياع الحق في سكوت أهله عنه (فما ضاع حق وراءه طالب) إن حق الأمة المغربية لا يضيع و لن يضيع فنحن بعون الله و فضله على حفظ كيان البلاد ساهرون، و لضمان مستقبلها الزاهر المجيد عاملون، و لتحقيق تلك الأمنية التي تنعش قلب كل مغربي سائرون، فما علينا إلا أن لا نأتي في الجد وراء ما يجب للوطن من السعي الحميد، و لا نزال دائبين لإدراك ما نطمح إليه من حفظ مجدنا القديم و تحصيل الجديد، و لنشمل كل النواحي المغربية بكامل رعايتنا: برهنا بالوقوف على كل شئونها على جميل عنايتنا، فانتقلنا عند كل مناسبة إلى كل جهاتها من مغربها إلى المشرق، و الآن نزور عاصمة طنجة التي نعدها من المغرب بمنزلة التاج من المشرق، فهي باب تجارته، و محور سياسته، و عنوان محاسنه الوهاجة، و في صفحات مجده أجمل ديباجة، بنيت في أول العهود من تاريخ البشر، طالما ازدهى المغرب ببهجتها و افتخر، فجددنا عهد زيارة جدنا المقدس مولاي الحسن، لنزيل عن عين غفلتها الوسن، لذلك امنا وجهتها الميمونة لنتفقد شئونها المصونة، حاملين إلى ساحتها بشائر العناية، و نزف إلى سكانها براهن الاعتبار و الرعاية، ليعلموا أنهم في صف الملحوظين، بين رعايانا المخلصين، و في طليعة المميزين بقوى النجدة بين العاملين جئنا ننتقد شئون طنجة و كل أرجائها تفقد الأب الحنون الذي يشعر بكل ما عليه من الواجبات المستعد للقيام بتنجزها ليريح ضميره، و يرضى ربه، و ينهض ببلاده نهضة تسترد ما مضى لها من مجد و ما يجب أن تطمح إليه من استرداد حقوق و سعى إلى تقديم يجعل المغرب برمته في صف الدول و طبقة اعلى الامم حضارة و مدنية، ذلك ما عهدنا عليه الله، و وقفنا كل مواهبنا عليه، و ننتظر ان يقع في القريب العاجل ذلك الاجتماع الذي سينعقد للنظر في شئون طنجة راجين ان يسمع فيه صوت المغربي ليتوصل إلى ما يؤهله من الحقوق، و لكم سرنا تجديد العهد بكل هذه البلاد التي حلها ركابنا الشريف و اجتماعنا بخليفتنا المفوض بتطوان الذي يعمل كل حزمه و تمام استعدادده للسير إلى الامام في كامل اتفاق مبدئنا جميعا فيما يرضى الله جل جلاله، و لنا اليقين بأن جميع رعايانا التابعين له يبذلون له تلك النصيحة الواجبة على كل مؤمن في ذلك الاخلاص الذي لا يتم الاتحاد الا به، و نرجو ان تكون نتائج هذا الاجتماع محمودة وافرة في كل سبيل الخير ان شاء الله، و لقد بلغنا ما وجهه رعايانا الطنجيون من المطالب فنجزنا منها حينما ما امكن تنجيذه مساعدة لهم، و سنوالي بحول الله كل الجهود حتى يتوصلوا إلى كل مرغوبهم، و يحمدا بفضل الله حسن منقلبهم، و غاية ما ندعوهم اليه هو ان تكون كل جهودهم لادراك ما يطمحون اليه متجلية في دائم السكينة، و سائد الوقار، فإن أحسن الرقي ما نشأ عن حركة لا يمازجها طيش، و لا يتخللها اضطراب، هذا و لقد نصبنا في كل مدينة و كل ناحية من انحاء مملكتنا رجالا توسمنا فيه الكفاءة و الإخلاص، فقلدناهم مهمة النيابة عنا في السهر على مصالح هذه الأمة، و ضمان حقوقها المدنية و الشرعية، إن هذه المهمة الجليلة تستدعي نسيانا للمصالح الشخصية في سبيل الصالح العام، فليس الوظيف طريقا إلى استعمال السلطة في غير ما وضعت له، بل الوظيف مؤسسة يقصد منها أولا و آخر خدمة

مصالح رعايانا الاوفياء و رفع نير الظلم و الهوان عنهم و مديد المساعدة و التشجيع لكل المشاريع الثقافية و الاجتماعية و الاقتصادية الهادفة تنوير الأذهان، و رفع مستوى الحياة، و توسيع نطاق العيش. و بالجملة فعلى الموظف المسؤول أن يسعى و يجد، ليتمكن سكان المنطقة أو الناحية أو المدينة التي نصبناه عليها من التمتع بجميع ما يخوله الانتساب إلى المملكة المغربية، و الإخلاص و الولاء للعرش الذي منذ قرون بكل ما أوتيته من قوة عل حفظ كيان الأمة، و سلامة أجزائها، و سعادة مختلف طبقاتها، لهذا كله نأمر النواب و الباشوات و القواد و العمال و القضاة و جميع الرجال الذين حبوناهم ثقتنا، و ميزانهم باعتمادنا، أن يتصبروا في الواجب الوطني الهام الملقى على عاتقهم و يتمسكوا ببلين الجانب في المعاملات، و العدل و الإنصاف في المحاكمات، و الخبرة و الحزم و لينتبه كل واحد لما عليه من واجبات فيؤديها بغير توان و لا وجل، و لا تعذر يثبط عن العمل، و إلى الجد الذي يلم كل شتيت، فلا مجد للمتخاذلين، و لا مستقبل للعاجزين.

و إلى حياض العرفان الذي تحيا به القلوب و تنزاح بنوره الوهاج ظلمات الخطوب إلى العلم الذي ينير للمتبصر مسالك السعي النافع، و إلى العمل بنتائجه التي تحول دون المطامع، فإذا أجبتم ما وجهناه إليكم من ناصح النداء، نجوتم حالا و استقبالا من مهاوي الردى، و أمكنكم أن تحيوا أعزاء بين الناس، بعد أن تنزعوا من قلوبكم قاتل الاياس، اعلموا بما يوحيه عليكم دينكم الطاهر المتين، لتدركوا به الفلاح المبين، فإليه يدعونا الباري جل علاه حين يقول في ذكره الحكيم: "و من يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم".

البيليوغرافيا

Archives diplomatiques de La Courneuve

Résidence générale de France au Maroc

1 : Résidents généraux (nominations, allocutions de diverses personnalités, presse)

2 : Résident général : projet d'instructions, nomination et accueil au Maroc, allocutions, presse).

Sultan Mohammed Ben Youssef(Mohammed V)

12 : Déclarations, relations avec la Résidence et avec les nationalistes marocains (télégrammes, notes de synthèse, presse), voyage en France de juin-juillet 1945, projet de voyage à Tanger (organisation, programme, réactions des autorités espagnoles et britanniques)

16 : Question dynastique.

17 : Voyage en France du sultan du 8 oct. Au 4 Nov. 1950 Idem (suite)

23 : s.d. Affaire des tracts attaquant la famille royale

24 : s.d. Relations du Sultan avec les Allemands pendant la Seconde Guerre Mondiale (publication dans la presse de documents allemands datant de 1943 , saisis après guerre).

Nationalisme- Istiqlal

61 : Abd el-Krim : libération de l'ancien chef rifain interné depuis 1926 à la Réunion, débarquement à Port Saïd (31 mai 1947), réactions françaises et étrangères.

62 : Activités d'Abd el-Krim en Egypte : déclarations à la presse interviews, déplacements ,etc...

65 : Nationalistes marocains : mise en liberté d'Allal el-Fassi, el Ouazzani et Ahmed Balafredj (juin 1946) ; activités des nationalistes sur le sol marocain, à Paris et à l'étranger ; textes et manifestes de l'Istiqlal, communiqués ; tracts : notes de renseignement, correspondance.

66 : Nationalistes marocains (suite) : activités nationalistes au Caire , à New York (Mahdi Benouna), en zone espagnole, en France ; généralités sur les nationalistes nord-africains et la Ligue arabe ; fonds collectés en milieu nationaliste marocain pour la cause palestinienne

Réformes politiques et administratives :

118 : Réformes administratives – dossier général : réorganisation des services politiques du Protectorat et du Makhzen central, plans des réformes,

124 : Le Maroc et l'Union française : question de l'intégration des protectorats dans l'Union française (travaux de la commission chargée d'étudier les conditions d'intégration, études, notes de synthèse) et réactions nationalistes.

Relations extérieures du Protectorat :

142 : Régime international du Maroc (note de synthèse)

Relations avec l'Espagne :

143 : Dossier général : politique espagnole à l'égard de la France, évolution des rapports franco-espagnole au Maroc et situation politique en zone espagnole,.

Relations avec les Etats-Unis :

156 : Dossier général : activité politique et militaire américaine au Maroc.

158 : Evolution des relations franco-américaines au Maroc : la question d'Afrique du Nord sur la scène internationale l'attitude des Etats-Unis, appui des Etats-Unis aux nationalistes marocains, actions de propagande aux Etats-Unis pour la défense de l'œuvre française au Maroc, invitation de personnalités américaines au Maroc.

Relations avec les autres pays :

199 : Activités des nationalistes nord-africains au Caire, en particulier, propagande radiophonique à destination d'Afrique du Nord (émissions « La Voix des Arabes »), évolution des relations franco-égyptiennes dans ce contexte, répercussions au Levant de la crise marocaine, vente d'armes par l'Espagne à l'Egypte

208 : Campagne anti-française à propos de l'Afrique du Nord notamment émissions radiophoniques de « Radio Damas »

223 : Rapports mensuels d'activité du Centre de Documentation et de Publications musulmanes (presse et radio), correspondance relative à plusieurs journaux et revues, en particulier à l'hebdomadaire El Arab.

Organisations internationales – Nations Unies

645: mémoire adressé par l'Istiqlal à l'ONU.

Archives diplomatiques de Nantes

Fonds « Protectorat Maroc »

Maroc, inventaire n° 03 ,Direction de l'Intérieur,IMA/200

892 : Le sultan et le nationalisme marocain 1932-1952

895 : Le sultan et l'Istiqlal

Maroc, inventaire n°04, Direction des Affaires chérifiennes,IMA/300

305 : Voyage du sultan à Tanger, 9-13 avril 1947

Maroc, inventaire n°05, Maroc, Cabinet du délégué à la Résidence générale, IMA/10

42 : Résidents généraux Juin

209 : Affaires chérifiennes, voyage du sultan 1950

235 : Presse, brochures, contrôle des informations 1949-1956

217 : Manifestation de janvier 1944, fiches de renseignements

2. الجرائد والمجلات:

1. جريدة "عمل الشعب": العدد 42 (1937/04/22)، العدد 44 (1937/05/20)، العدد 48 (1937/07/15)، العدد 52 (1937/10/07).
2. جريدة "الدفاع": العدد 1 (1937/08/31)، العدد 2 (1937/09/07)، العدد 3 (1937/09/14)، العدد 4 (1937/09/21)، العدد 5 (1937/09/28)، العدد 6 (1937/10/05)، العدد 7 (1937/10/12)، العدد 8 (1937/10/19).
3. جريدة "الرأي العام": العدد 01 (1947/04/15)، العدد 02 (1947/04/23)، العدد 06 (1947/05/21)، العدد 07 (1947/05/28)، العدد 11 (1947/06/25)، العدد 12 (1947/07/02)، العدد 18 (1947/08/20)، العدد 9 (1947/08/20)، العدد 22 (1947/09/10)، العدد 23 (1947/09/17)، العدد 24 (1947/09/24)، العدد 33 (1947/12/03)، العدد 34 (1947/12/10)، العدد 35 (1947/12/17)، العدد 37 (1947/12/31)، العدد 56 (1948/05/19)، العدد 65 (1948/07/21)، العدد 77 (1948/10/20)، العدد 87 (1949/01/07)، العدد 97 (1949/05/06)، العدد 105 (1949-07-01)، العدد 118 (1949/09/09)، العدد 120 (1949/09/16)، العدد 163 (1950/08/11)، العدد 167 (1950/09/08)، العدد 170 (1950/07/22)، العدد 178 (1950/12/01)، العدد 235 (1952/03/20)، العدد 236 (1952/03/29)، العدد 253 (1952/10/16)، العدد 261 (1955/11/19)، العدد 262 (1955/11/29).
4. جريدة الأطلس: العدد 32 (1937/09/03)، العدد 33 (1937/09/10).
5. جريدة "العمل الشعبي": العدد 4 (1937/03/27)، العدد 5 (1937/04/03).
6. جريدة "العلم": (1947/04/10)، 7. مجلة "بصمات": العدد الخامس،، 1994.

3. المصادر:

1. المصادر باللغة العربية:

1. ابن عزوز ، حكيم، محمد ،وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب، مؤسسة عبد الخالق الطريس للثقافة والفكر تطوان، 1980.
2. ابن عزوز، حكيم، محمد ،وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب، تقديم الطيب بنونة، المغرب، 1980. أرسلان ،شكيب ،حاضر العالم الإسلامي، ج03، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، 1971.
3. آي. آشفورد، دوجلاس ،التطورات السياسية في المملكة المغربية، ترجمه عن الإنجليزية عائدة سليمان عارف وأحمد مصطفى أبو حاكمة ،راجعه عبد الهادي بوطالب، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1963.
4. بن جلون، عبد المجيد ،هذه هي مراكش، مكتب المغرب العربي، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1949.
5. بن نبي، مالك ،شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين و عمر كامل مسقاوي ،دار الفكر، بيروت ، 1969.
6. بن نبي، مالك ،وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، 1986.
7. بنونة، الطيب ،نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، مطبعة الأمل، ط01، طنجة ، 1980.
8. بنونة، المهدي ،المغرب... السنوات الحرجة، الشركة السعودية للأبحاث و التسويق، جدة ، 1989.
9. بوطالب، عبد الهادي ،ذكريات، شهادات و وجوه، ج02، الشركة السعودية للأبحاث و النشر ،الرياض، 1993.
10. بوعيداد، الحاج الحسن ،الحركة الوطنية و الظهير البربري، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، 1979.
11. التجكاني، المهدي المومني ،دار بريشة أو قصة مختطف، مطبعة النجاح الجديدة، 1987.
12. تطويع الأهالي زمن الاستعمار الفرنسي، مغرب 1912-1939، ترجمة عبد الرزاق لكريط، مطبعة وراقه بلال ، فاس ، 2016 .
13. جوليان، شارل أندري ،أفريقيا الشمالية تسير، القوميات الإسلامية و السيادة الفرنسية ترجمة المنجي سليم و آخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر، ط03، 1976.

14. الحجوي، محمد بن الحسن، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، الجزء الرابع، مطبعة البلدية بفاس، 1926.
15. الحجوي، محمد بن الحسن، الرحلة الوجدية أو انتحار المغرب على يد ثواره، قسم الوثائق، الخزنة العامة، الرباط، رقم 123.
16. الحجوي، محمد بن الحسن، دفتر تقايد تاريخية، مخطوط الخزنة العامة، الرباط، رقم ح 128.
17. الحريري، محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت، 1987.
18. حزب الاستقلال، المغرب الأقصى، مراكش قبل الحماية عهد الحماية إفلاس الحماية، مكتب المستندات و الأنباء مطبعة دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1951
19. الحسن الثاني، التحدّي، المطبعة الملكية، 1983، الرباط.
20. ديغول، شارل، مذكرات، الجزء الثالث، الخلاص، الجزء الثاني، الوحدة منشورات عويدات، بيروت، 1968.
21. الزهيري، قاسم، محمد الخامس، الملك البطل قصة جهاد، دار النشر التقنية لشمال إفريقيا، الرباط،
22. السوسي، محمد المختار، المعسول في التاريخ الحضاري لمنطقة سوس، ج4، مطبعة الشمال الأفريقي، الرباط 1961 .
23. عبد الله، إبراهيم نداء الحرية بين المغرب العميق والمغرب الجديد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995
24. عبد الوهاب، حسن حسني خلاصة تاريخ تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983
25. العمراني، عبد الحّي حسن، أبطال الوطنية الكتاب الأول، عن حياة محمد حسن الوزاني وتاريخ الحركة الوطنية، مطبعة الفلاح الرباط، ط01، 1996.
26. عياش، جرمان، أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين البزاز، عبد العزيز التمسماي خلوق، الشركة المغربية المتحدة، الرباط.
27. غلاب، عبد الكريم، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، من نهاية الحرب الريفية حتى استرجاع الصحراء، ط3، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، 2000
28. غلاب، عبد الكريم، دفاعا عن الديمقراطية، دار الفكر المغربي، طنجة، 1966.

29. الفاسي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في إخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس دار المنصور للطباعة والوراقة،الرباط،1972.
30. الفاسي،علال ،الحركات الاستقلالية في المغرب العربي،ط6،مؤسسة علال الفاسي،مطبعة دار النجاح الجديدة الدار البيضاء2003.
31. الفاسي،علال ،دفاع عن الشريعة،مطبعة الرسالة،الرباط،1966.
32. الفاسي،علال ،عقيدة وجهاد،المطبعة الاقتصادية،1960،الرباط.
33. فور،إدغار،الخبيا السرية لإكس لبيان،ترجمة محمد العفرائي،دفاتر وجهة نظر،مطبعة النجاح الجديدة،الرباط، 02.
34. القادري،أبو بكر ،الحاج أحمد بلافريج، الدبلوماسي الحنك، مطبعة النجاح،الرباط،1996
35. القادري،أبو بكر ،رجال عرفتهم في المغرب و المشرق،ج04،مطبعة النجاح،1991.
36. القادري،أبو بكر ،سعيد حجي، 1912-1942، دراسة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي، مطبعة النجاح،الدار البيضاء،الجديدة 1979.
37. القادري،أبو بكر،مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية،ج01،1930-1940،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، 1992.
38. قنانش،محمد ،الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1982.
39. لاندو روم ،تاريخ المغرب في القرن العشرين،ترجمة نيقولا زيادة،دار الكتاب،الدار البيضاء، 1960
40. لاندو روم،محمد الخامس منذ اعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته،ترجمة ليلي أبو زيد،شركة النشر والتوزيع المدارس ،الدار البيضاء،2000.
41. الماوردي ،الأحكام السلطانية،دار الكتب العلمية بيروت، 2000 .
42. المساري،محمد العربي ، محمد بن الكريم الخطابي،من القبيلة إلى الوطن ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء، 12.
43. المساري،محمد العربي ،المغرب خارج سياج الحماية ،العلاقات الخارجية للحركة الوطنية،منشورات عكاظ،الرباط 12

44. المساري، محمد العربي، محمد الخامس من سلطان إلى ملك، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع القنيطرة، 2008.
45. المساري، محمد العربي، محمد بن الكريم الخطابي، من القبيلة إلى الوطن.
46. معنيو، الحاج أحمد، ذكريات و مذكرات، الجزء الأول 1925-1932، مطبعة سبارطيل، طنجة، 1991
47. // ذكريات و مذكرات، الجزء الثالث 1938-1946، مطبعة سبارطيل، طنجة، 1991.
48. // ذكريات و مذكرات، الجزء الرابع 1947-1951، مطبعة سبارطيل، طنجة، 1991.
49. // ذكريات و مذكرات، الجزء الخامس 1952-1956، مطبعة سبارطيل، طنجة، 1991.
50. معنيو، الحاج أحمد، محمد حسن الوزاني، تسع سنوات في المنفى، مطبعة الأنباء، 1990.
51. منشورات دار الحديث الحسنية، سيرة الشيخ محمد المكي الناصري: شهادات و وثائق عن حياته وجهاده في خدمة العلم والدين و الوطن، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1991
52. المنوني، محمد، المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2001.
53. مؤسسة ديغول شارل، خطابات ديغول، أثناء الحرب العالمية الثانية (1940-1946)، خطاب 18/06/1940. باريس 1971.
54. مؤسسة ديغول شارل، خطابات ديغول، أثناء الحرب العالمية الثانية (1940-1946)، خطاب برازا فيل 1944/01/30
- باريس 1971 .
55. مؤسسة محمد حسن الوزاني، حرب القلم، الجزء 01، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
56. مؤسسة محمد حسن الوزاني خطب، ج1، 1933-1957، مؤسسة جواد للطباعة و النشر، 1986
57. مؤسسة محمد حسن الوزاني، تصريحات صحفية، ج01، مؤسسة جواد للطباعة و التصوير، 1986.
58. مؤسسة محمد حسن الوزاني، خطب و تصريحات صحفية، ج 01، 1946-1955، مؤسسة جواد للطباعة و النشر و التصوير، بيروت، 1986.
59. الناصري، أحمد بن خالد، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 09، الدولة العلوية، القسم 03، الجزء 09، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954

60. الناصري، محمد بن اليماني ، ضرب نطاق الحصار على أصحاب نهاية الانكسار، المطبعة الأهلية، الرباط. 1927.
61. الناصري، محمد مكي ، إظهار الحقيقة و علاج الخليقة، تخريج و تحقيق محمد برعيش الصفريوي ، منشورات السبيل طوب بريس، الرباط، 2010.
62. الناصري، محمد مكي ، الشعب بالعرش و العرش بالشعب: تحت راية العرش، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1993.
63. واتربوري جون ، أمير المؤمنين، الملكية والنخبة السياسية المغربية، ترجمة عبد الغني أبو العزم، عبد الأحد السبتي، عبد اللطيف الفلق، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، مطبعة دار أبي الرقراق، الرباط، ط03، 2013.
64. الوزاني، عز العرب، حدثي والدي، المعركة من أجل الشورى والاستقلال 1946-1955، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1988.
65. الوزاني، محمد حسن ، الإسلام و الدولة أو حقيقة الحكم في الإسلام، مؤسسة محمد الوزاني، فاس، 1987.
66. الوزاني، محمد حسن ، الإسلام و المجتمع و المدنية، دراسات و تأملات، مؤسسة محمد الوزاني، فاس. 1987.
67. الوزاني، محمد حسن ، الحماية جنائية على الأمة، دراسات و تأملات، مؤسسة محمد حسن الوزاني، فاس، 1994.
68. الوزاني، محمد حسن ، الحماية جنائية على الأمة، دراسات و تأملات، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1994.
69. الوزاني، محمد حسن ، حرية الفرد و سلطات الدولة، دراسات و تأملات، مؤسسة محمد حسن الوزاني، 1987.
70. الوزاني، محمد حسن ، نهضة العلم بالقرويين، في مجلة الثقافة المغربية، جويلية 1944، العدد 01، السنة الرابعة،
71. الوزاني، محمد حسن، مذكرات حياة و جهاد، التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية، ستة أجزاء مؤسسة محمد حسن الوزاني ، فاس.
- الجزء الأول، طور المخاض و النشوء، صدر سنة 1982.
 - الجزء الثالث ، مرحلة الانطلاق و الكفاح 1930-1934، صدر سنة 1984.
 - الجزء الثاني، حرب الريف ، صدر سنة 1982.
 - الجزء الخامس، ظهور الأحزاب و المطالبة بالاستقلال، 1937-1946 القسم الأول، صدر سنة 1986.

- الجزء الرابع ،حركة المطالب و الدعوة إليها،1934-1936، مؤسسة محمد حسن الوزاني ، فاس،1985.
- الجزء السادس ،ظهور الأحزاب و المطالبة بالاستقلال،1937-1946،القسم الثاني، صدر سنة 1986.
- 72. الوزاني،محمد،حسن،الإسلام والمجتمع والمدنية،دراسات و تأملات،مؤسسة محمد حسن الوزاني،فاس،1987.
- 73. الوزاني،محمد،حسن،حرب القلم،ج03،مؤسسة محمد حسن الوزاني،فاس،دار الغرب الإسلامي،بيروت 1982.

2. المصادر باللغة الفرنسية:

1. *Adam, André, Histoire de Casablanca, des origines à 1914, Éditions Ophrys, 1968, Paris,*
2. *Auriol, Vincent, Mon Septennat, 1947 – 1954, Editions Gallimard, Paris, 1970*
3. *Barrat ,Raphaële Robert, justice pour le Maroc, préface de François Mauriac ,Ed, du seuil, Paris,1953.*
4. *Ben Barka, Mahdi, Option révolutionnaire au Maroc ; éd, Maspero, paris, 1966.*
5. *Berque, Jacques, Le Maghreb entre deux guerre collection Esprit troisième édition , Seuil, Paris, 1979*
6. *Bourdon, Georges, Les journées de Casablanca, ce que j'ai vu au Maroc, Pierre Lafitte , Paris,1908*
7. *Bureau d'édition P.D.I le dialogue de sourds ,ou les pourparlers franco-marocains 1947-1950. les cahiers du Maroc , ,N° 2,Décembre 1951*
8. *Catroux, Georges, Dans la bataille de Méditerranée, R. Julliard, 1949, Paris*
9. *Corval Pierre, Le Maroc en révolution, Éditions T.C., 1956, les Editions transcontinental, Paris, 1956.*
10. *De gaulle, Charles, Mémoires de Guerre ,3 tomes, Plon, Paris, 1954-1959.*
11. *Duverger, Maurice, les partis politiques, Armand colin, Paris, 1951.*
12. *Fauvet, Jacques, la IVE République, les grandes études contemporaines, librairie arthème fayard, Paris, 1959*
13. *Fondation Ouazzani, Mohammed Hassan, Ouazzani L'imprimerie rapide ,Casablanca,1980.*

14. *Fontaine, Pierre, L'étrange Aventure Riffaine ,Petrole-Intelligence-Service ,Ed, Jean Renard , Paris ,1943.*
15. *Fulbert, Taillard, Le Nationalisme Marocain, Éditions du cerf, Alexis lahure, Paris 1947.*
16. *Jaurès, Jean, Textes choisis: Contre la guerre et la politique coloniale Éditions sociales,1959 Paris,1959.*
17. *Juin, Alphonse, Mémoires, Libération De La France, Avènement de la IVe République 1944-1947, Maroc ,1947 -1951, Alliance atlantique 1951 -1958 , Libraire Arthème Fayard, Paris ,1960.*
18. *julien, Charles André, une pensée anticoloniale, les grands documents de sindbad, 1979.*
19. *julien, Charles-, André Le Maroc Face Aux Impérialismes 1415 – 1956, Editions Jeune Afrique, Paris, 1978*
20. *Lacouture, Jean, Cinq hommes et la France, Éditions du Seuil, Paris, 1961.*
21. *Lacouture, Simonne, Jean Lacouture, Le Maroc à l'épreuve, Éditions du Seuil, 1958.*
22. *Lacroix, Napoléon, Augustin Bernard, La pénétration saharienne(1830-1906),Imprimerie Algérienne, Alger,1906*
23. *Lardilier, Alain ,Le Peuplement Français En Algérie, De 1830 A 1900, Les Raisons De son Echec, Editions De L'Atlanthrope, Paris , 1992 .*
24. *Le Tourneau, Roger, Evolution politique de l'Afrique du nord musulmane,1920 1961,Armand Colin ,Paris 1962*
25. *Lyautey, Louis Hubert Gonzalve , Jean Louis Miège, Lyautey, Paroles d'action, Editions La Porte, Paris, 1995 .*
26. *Lyautey, Pierre, Lyautey l'Africain. Textes et lettres : Du maréchal Lyautey, V: 2, 1913-1915, Broché, Paris, 1954.*
27. *Marie François Auguste Alfred Segonds (lieutenant), La Chaouïa et sa pacification : étude sommaire de l'action française dans la région de Casablanca jusqu'au 1 janvier 1909, H. Charles-Lavauzelle, Paris,1910.*

28. *Ministère française des affaires étrangères Mission scientifique du Maroc Archives Marocaines, N° 01, Le commerce Indigène à Tanger, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1904.*
29. *Ministère française des affaires étrangères, Documents Diplomatiques, Affaire Du Maroc, 1901–1905, 1907-1908, 1908-1910, 1910-1912. Imprimerie Nationale, Paris, 1906, 1909, 1911, 1913.*
30. *Montagne, Robert , Révolution au Maroc, Éditions France-Empire, Paris, 1953.*
31. *Ouazzani, Hassan Mohamed , Combats d'un nationaliste marocain, éd, fondation M.H. Ouazzani, FES, 1987, 2T*
32. *Ouazzani, Hassan Mohamed, Le Protectorat Crime De lèse-Nation, Le cas Du Maroc, Fondation Mohamed Hassan Ouazzani , Fès, 1992.*
33. *Parti De L'Istiqlal, Documents , 1944 -1946 , Bureau de Documentations et de D'information Du parti , Edition Française, Paris 1946*
34. *parti démocrate de l'indépendance plan d'action immédiate propose pour résoudre le problème marocain, les partis politiques marocains, documents, Centre des Archives diplomatiques de Nantes (CADN), n°1072, Nantes*
35. *Rèzette, Robert, Les Partis politiques Marocains, Libraire Armand colin, Paris, 1955*
36. *Roosevelt Elliott, Mon Père m' a dit , Green word Press , Westport , 1974 .*
37. *Saint-Aulaire Auguste Félix Charles de Beaupoil, Au Maroc avant et avec Lyautey : Extrait des Mémoires de l'ambassadeur publiées sous le titre: Confession d'un vieux diplomate , Ed, Flammarion, Paris , 1954.*
38. *Sourdel-Thomine, Janine, , Liste des travaux du professeur E. Lévi-Provençal , Edition Brill , Leyde, 1956*
39. *Spillmann, Georges, Du protectorat a l'indépendance, Maroc 1912-1955, Libraire, Plon, 1967.*
40. *Taillard , Fulbert, Le Nationalisme Marocain, Éditions du cerf, Alexis lahure, Paris 1947.*
41. *Tardieu , André, , La conférence d'Algésiras ; histoire diplomatique de la crise marocaine (15 janvier-7 avril 1906), Ed, F. Alcan, Paris, 1908*

42. *Vaucher, Julliard, Georges, Sous les cèdres d'Ifrane : libres entretiens avec Hassan II, roi du Maroc, Editions. cop , Paris, 1962*
43. *Wolf, Jean, Maroc, La vérité Sur Le Protectorat Franco-espagnol, L'épopée D'Abd El Khaleq Torres , éditions Balland ,Paris,1994.*

4. المراجع:

1. المراجع باللغة العربية:

1. ابن عزوز، حكيم، الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب ، مطبعة الساحل، الرباط، 1981.
2. أجرون ،شارل روبر ،تاريخ الجزائر المعاصرة، جزآن،ترجمة محمد حمداوي و آخرون،شركة دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 2013.
3. إحسان ،عبد الحميد ،أصول سياسة فرنسا البربرية إلى غاية سنة 1930، كلية الآداب و العلوم الإنسانية الرباط، 1987.
4. إحسان ،عبد الحميد الإدارة المركزية في عهد الحماية الفرنسية، 1912 – 1940، منشورات أمل ،الرباط، 2015.
5. أشقرا ،عثمان ،الوطنية و السلفية الجديدة بالمغرب، 1930-1956 اتصالات سبو ، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، 2007.
6. أمزيان، محمد سلام ،عبد الكريم الخطابي وحرب الريف، مطبعة المدني القاهرة، 1971.
7. برحاب، عكاشة ،شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي، 1873-1907، منشورات جامعة الحسن الثاني، المحمدية، 1989.
8. البكراوي، محمد ،المغاربة و الحرب العالمية الأولى، مركز الدراسات و البحوث العلوية ،الرباط، 2005.
9. البكراوي، محمد ،المغرب و الحرب العالمية الأولى 1914-1920، دار المعارف، فاس.
10. البكري ،محمد بن الرافه ،الخطاب السياسي للحركات الاستقلالية المغربية، جزآن، المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط، 2015.
11. بلقاسم، محمد ،وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، الاتجاه الوجدوي في المغرب العربي 1910-1954، البصائر الجديدة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013.
12. بلقزيز، عبد الإله ،والعربي مفضل، وأمنية البقال، الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، 1947-1986 ،محاولة في التأريخ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1992

13. بوراس، عبد القادر، جانب من مقاومة آيت عطا، مقاومة بوكافر بجبل صاغرو، في ندوة المقاومة المسلحة 1900-1934
14. بورك، إدموند، الاحتجاج والمقاومة في مغرب ما قبل الاستعمار (1860-1912)، ترجمة محمد أعفيف، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، 2013.
15. بوشوشة، بن جمعة، شكيب أرسلان مفكرا وسياسيا، المغاربية للطباعة والإشهار، تونس 2008.
- بوعزيز، يحي، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط 2، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996.
16. التسماني، عبد العزيز خلوق ، كردودي أحمد بن محمد ، رحلة الجلالة الخمدية إلى طنجة، عاصمتها الدبلوماسية، 09-13 أفريل 1947 شركة سليكي إخوان للطباعة ، طنجة، 1997.
17. الجابري، محمد عابد، تطور الأنثولوجيا في المغرب العربي، دار الطباعة والنشر و التوزيع، بيروت 1984 .
18. الجراي، عبد الله بن العباس ، التأليف وهضته بالمغرب في القرن العشرين، ط 01، منشورات مكتبة المعارف الرباط، 1985 .
19. جمعية أبي الرقاق، شواهد في حياة المجاهد الحاج أحمد معينو، مطبعة سبارطيل، 1992.
20. حسني، علي، محمد حسن الوزاني وإشكالية البناء الديمقراطي بالمغرب، 1947-1978، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998
21. الخديجي، علال، الحركة الحفيفية، المغرب قبيل فرض الحماية الفرنسية، 1894-1912، دار أبي الرقاق للطباعة و النشر ، الرباط، 2009.
22. داداي، مارية ، المقاومة المغربية عبر التاريخ، أو مغرب المقاومات (احتلال مدينة وجدة في سنة 1907 من خلال شاهد أجنبي)، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، 2005.
23. الدايش، محمد علي، صفحات من الجهاد المغربي ضد الاستعمار 1912 - 1927 للأمير المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2010.
24. الدفالي، محمد معروف، أصول الحركة الوطنية بين السلفية المحددة والسلفية الجديدة، منشورات أمل/الرباط، 2014.
25. دملوجي، صديق ، مدحت باشا، حياته ،مذكراته، محاكمته، الدار العربية للموسوعات ، بيروت 2002.
26. الرئيس ، لمصطفى ، الزاوية الكتانية من خلال الصحافة العربية الموالية للحماية الفرنسية، منشورات الزمن، الرباط ، 2015.
27. الزاهي ، نور الدين ، الزاوية و الحزب ، الإسلام و السياسة في المجتمع المغربي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1998 .
28. زيادي، أحمد، انتفاضة الشاوية سنة 1907، دراسة، وثائق تاريخية، ملاحق أدبية، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986.

29. سطورا، بنيامين ،مصالي الحاج،رائد الوطنية الجزائرية 1898 – 1974،ترجمة مصطفى ماضي والصادق العماري،منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال،الجزائر 2002.
30. سعد الله ،أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج03، ط 03 ، 1930-1945، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ، 1986 .
31. سعد الله، عمر إسماعيل، تقرير المصير السياسي للشعوب في القانون الدولي المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986.
32. سعد الله، أبو القاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية، ج02، ط 03 ، 1900-1930، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، 1983
33. سعد الله، أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي الجزء الثامن ، 1830-1954، عالم المعرفة، 2014 ، الجزائر .
34. الشاوش، محمد العربي و آخرون، صفحات من تاريخ الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة، مطبعة النجاح الجديدة ،الرباط 1980.
35. الشاوي، عبد القادر، حزب الاستقلال، 1944-1982 ، عيون المقالات، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء، 1990.
36. شحاتة، عيسى إبراهيم ، الكتاب الأسود ،الاستعمار البريطاني في مصر،الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة ، 1966.
37. الشرباصي، أحمد، أمير البيان، شكيب أرسلان، ج2، دار الكتاب العربي بمصر، القاهرة، 1963.
38. الشرباصي، أحمد، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، والترجمة والنشر، القاهرة، 1963.
39. الشريف، فيصل و آخرون، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية، مقاربة، 1881-1964 ، جامعة منوبة المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية ، تونس، 2008.
40. الصفار، حسن ، حزب الإصلاح الوطني، 1936-1956، دراسة تحليلية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون، كلية العلم القانونية و الاقتصادية و الاجتماعية، الرباط، 1988.
41. الصمد، رياض ،العلاقات الدولية في القرن العشرين، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت 1982
42. ضريف، محمد ،الأحزاب السياسية المغربية، من سياق المواجهة إلى سياق التوافق، 1934-1939، منشورات المجلة المغربية لعلم الاجتماع السياسي، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء، 1999.
43. العلمي محمد ،علال الفاسي رائد الوطنية، المغربية، مطبعة الرسالة، المغرب، 1980.
44. العلوي، زين العابدين ،المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني ثلاثة أجزاء، الجزء الأول، المطبعة و الوراقة الوطنية مراكش، 2008.

45. العلوي، زين العابدين، المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني، ثلاثة أجزاء، دار أبي الرقاق للطباعة و النشر، الرباط 2009.
46. العلوي، محمد الفلاح، جامع القرويين و الفكر السلفي، منشورات أمل، الدار البيضاء 1994 .
47. العلوي، محمد الوديع، الآسفي السلفي المناضل الشيخ محمد العربي ، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1986.
48. عمايرة ، محمد سالم أحمد ، شكيب أرسلان، دراسة في فكره السياسي، 1869-1946، منشورات الجامعة الأردنية ، عمان 1996.
49. عياش ، ألبير ، الحركة النقابية بالمغرب ج 02، 1943-1948، ترجمة نور الدين سعودي، منشورات أمل للتاريخ و الثقافة و المجتمع، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.
50. عياش، ألبير ، حصيلة الاستعمار الفرنسي في المغرب، ط 2، ترجمة عبد القادر الشاوي ونور الدين سعودي، دار الخطابي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1985.
51. فارس، محمد خير ، المسألة المغربية، 1900-1912، ط 02، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1980.
52. فارس، محمد خير ، تنظيم الحماية في المغرب 1912-1939، دراسات في تاريخ شمال أفريقيا الحديث، الشركة الحديثة لتوزيع الكتب والمطبوعات القاهرة، 1972.
53. فيلاي، عبد الكريم ، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، شركة ناس للطباعة والنشر القاهرة، 2006.
54. القرقر، أسيم ، علال الفاسي، إستراتيجية مقاومة الاستعمار، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2009.
55. قنان، جمال ، العلاقات الألمانية الفرنسية والشؤون المغربية 1901 - 1911، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
56. قنان، جمال ، المقاومة المغربية ضد الاحتلال الفرنسي، من احتلال فاس إلى معركة الهري، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2008 .
57. الكتاني، زين العابدين ، الصحافة المغربية ،نشأتها وتطورها، الجزء الأول وزارة الأنباء المغربية، مطبعة فضالة، المحمدية، 1968.
58. الكتاني، محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير ، تقديم محمد بن عبد الكريم الخطابي، تحقيق نور الهدى عبد الرحمن الكتاني، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2005.
59. ليب، عبد الساتر، التاريخ المعاصر، دار المشرق، بيروت، 1986
60. لكريط، عبد الرزاق ، مؤسسة الحماية مخاض الأفول 1935-1945، مطبعة أنفو برانت، فاس، 2014.
61. ماء العينين النعمة علي و آخرون، الشيخ ماء العينين فكر و جهاد، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء، 2000.

62. المارديني، زهير، فلسطين و الحاج أمين الحسيني، دار إقرأ للطباعة و النشر، بيروت 1986.
63. مارية، روسا دي ماداريغا، مغاربة في خدمة فرانكو، ترجمة كترة الغالي، تقديم محمد العربي المساري، منشورات الزمن، سلسلة ضفاف، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 2006.
64. مزيان، محمد، العلاقات المغربية الأمريكية من الحماية على الاستقلال 1912-1956، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، دار أبي الرقراق، الرباط 2015.
65. معريش، محمد العربي، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، 1873 - 1894، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.
66. المعزوي، إيمان، الشيخ شعيب الدكالي و دوره في الحركة السلفية بالمغرب، مؤسسة دار الحديث الحسنية، الرباط، 2001.
67. مولاي، العلوي الطيب، تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي، مطبعة القرويين، الدار البيضاء، 2009.
68. الناصري، محمد، رحلة محمد الخامس إلى مدينة طنجة 9- 13 أبريل 1947، المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، مطبعة كتابرانت، الرباط، 2007.
69. هويسنطن، وليام، الحماية الفرنسية بالمغرب بين الأوج والأفول، 1936-1943، تعريب إبراهيم بوطالب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2002.

2. المراجع باللغة الفرنسية:

1. *Alaoui, Moulay Abdelhadi, Le Maroc Du Traité De Fès à La Libération, 1912 – 1956, Edition La Porte, Salé, 1994.*
2. *Aouchar, Amina, la presse marocaine dans la lutte pou l'Indépendance 1933-1956 Ed .Wallada ,Casablanca, 1990*
3. *Assayag, Isaac J. , Tanger: un siècle d'histoire, Editions marocaines et internationales, Tanger, 1981.*
4. *Ayache ,Albert ,le Maroc, bilan d'une colonisation, éd, sociales, paris, 1956,.*
5. *Ayache Albert Le Mouvement syndical au Maroc, T1, 1919-1942, T2 1943-1948, L'Harmattan, Paris, 1982.*
6. *Ayache, Albert, Le Mouvement syndical au Maroc, T1, 1919-1942, L'Harmattan, Paris, 1982*

7. *Baida ,Jamaâ, la presse marocaine d'expression française, des origines à 1956, publication de la Faculté, des Lettres et des Sciences Humaines, Rabat 1996*
8. *Benlahcen,Mohammed,Moha ou hamou zayani: l'âme de la résistance marocaine à la pénétration militaire française dans le Moyen-Atlas (1908-1921), Imp., Inf.,print,Fès,2003..*
9. *Berramdane, Abdelkhaleq, Le Maroc et l'Occident, 1800-1974, Karthala, Paris, 1987*
10. *Bleuchot, Hervé Les Libéraux Français Au Maroc (1947 – 1955) Editions De L'Université De Provence, Paris, 1973.*
11. *Bouaziz, Mostefa, aux origines de la koutla démocratique, Université Hassan II ,Ain Chok ,Publications de la faculté des lettres et des sciences Humaines, Casablanca, séries thèses et mémoires-n 3.*
12. *Burke, Edmund, III, Prélude au protectorat Du Maroc, Protestations Et Resistances Précoloniales, Éditions De l'Université de Chicago ,1976,*
13. *Butin, Maurice, Hassan II DE Gaulle Ben Barka, ce que je sais d'eux, Kartala, Paris2010.*
14. *Crémieux-Brilhac, Jean-Louis, L'Appel du 18 juin 1940, Armand Colin, Paris,2010.*
15. *Collot ,Claude, Henry Jean Robert, Le Mouvement National Algérien, Textes,1912-1954,Office des Publications Universitaires, Alger,1981.*
16. *Coppolani,Georges,Xavier Coppolani Fils de Corse ,Homme d'Afrique: Fondateur de la Mauritanie, Ed, L'Harmattan, Paris , 2005 .*
17. *Daoud, Zakia, Abdelkrim: une épopée d'or et de sang, Les Colonnes d'Hercule, Séguier, 1999, Paris*
18. *Denis,Clerc, Connaissez – vous Dupont –White ? in, Revue de L'Economie politique Altern. Économiques C.A.I.R.N, n°19, Paris, Juillet 2003/3*
19. *Gaudio, Attilio, Sahara Espagnole ,Fin d'un Mythe Colonial, Ed , Arrissala ,Rabat 1975*
20. *Guillen, Pierre, Aux Origines De L'internationalisation De Tanger, Les négociations Sur Le Statut International 1912 -1924, Les Editions Arabo-africaines, Rabat, 1991.*

21. *Henri, Michel, Histoire de la Résistance en France, 1940-1944, Presses universitaires de France, Paris, 1980.*
22. *Hoisington, William A., L'héritage De Lyautey, L'Harmattan, Paris, 1995,*
23. *Kaddache, Mahfoud, Histoire Du Nationalisme Algérien ,Question National Et Politique algérienne 1919 – 1951, T 2 ,S.N.E.D , Alger,1980, p, 655*
24. *Lagana, Maro Lorent, Eugène Étienne et la stratégie de l'expansion capitaliste :le colonialisme et le militarisme pendant la Troisième République, 1881-1918, Université de Wisconsin-Madison, 1974*
25. *Lakhssasi, Mohamed, Le Maroc Face à la France, Pendant La Conquête Et L'occupation De L'Algérie (1830-1851) 2T, Editions, Et Impressions Bouregreg, Rabat,2009,T1 .*
26. *Laroui ,Abdallah ,Esquisses historiques, centre culturel arabe ,Casablanca 1993.*
27. *Laroui, Abdallah, les origines Sociales Et Culturelles Du Nationalisme Marocain (1830 – 1912),Centre Culturel Arabe ,Casablanca,2009*
28. *Laroui, Abdallah, Histoire Du Maghreb, Essai De synthèse, Maspero, Paris,1970*
29. *Levisse-Touzé, Christine, L'Afrique du Nord dans la guerre, 1939 -1945, Alain Michel, Paris, 1998.*
30. *Mamié, Nicolas, Vincent Courcelle-Labrousse ,La guerre du Rif: Maroc 1921-1926 , Ed, Taillandier, Paris , 2008*
31. *Merle, Marcel, L'Anticolonialisme européen, de Las Casas à Karl Marx. Textes choisis et présentés par Marcel Merle, Armand Colin, paris, 1969*
32. *Oved, Georges, La Gauche Française Et Le Nationalisme Marocain T1,T2,Éd, L'Harmattan, Paris,1984.*
33. *Rivet, Daniel Lyautey, Et L'institution Du Protectorat Français Au Maroc,1912-1925,3T,,Editions L'harmattan Paris 1996*
34. *Rivet, Daniel, Histoire Du Maroc, Fayard, Paris,2014.*
35. *Rivet, Daniel, Le Maroc De Lyautey à Mohammed V, Le double visage du protectorat, Collection Destins Croisés, Denoël, Paris,1999*
36. *Souria-Hoebrechts, Christiane,la presse maghrébine :Libye, Tunisie, Maroc Algérie, Evolution historique situation en 1965.Organisation et problème actuels; Ed. Du C.N.R.S. Paris 1975*

37. *Stéphane, Bernard, , Le conflit Franco-marocain 1945-1956,3 T Ed de L'Institut de sociologie de l'université libre de Bruxelles. 1963,*
38. *Ulrich-Pier, Raphaël René Massigli, (1888-1988).Une vie de diplomate, Éditions, Peter Lang, Bruxelles, 2t, 2006.*

5. المذكرات والرسائل الجامعية:

1. باللغة العربية:

1. طلال، محمد، الحركة الوطنية في المغرب الأقصى 1919-1939، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة الجزائر 1976.
2. عمراني، محمد، جامعة القرويين، في ما بين 1914-1934 منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط ، 1988.
3. الغانجي، خالد مبروك، العمل المشترك و الأمن الإقليمي في جامعة الدول العربية و التجمعات الإقليمية، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، غير منشورة، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة المنار، تونس، 2011.
4. قادة دين، المسار السياسي و الفكري للمهدي بن بركة 1934-1965 مذكرة لنيل شهادة الماجستير تحت إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى نويصر، جامعة الجزائر، 2014.
5. محمد، المسكي، التصورات السياسية في الخطاب السياسي عند محمد حسن الوزاني، مقاربة في الإشكالية والمفاهيم، أطروحة لنيل دكتوراه في الحقوق، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، عين الشق، الدار البيضاء 2002.

2. باللغة الفرنسية:

1. *Cerych, Ladislav, Fin d'un Régime Colonial, Sociologie Du Conflit Franco Marocain, 1930-1956, thèse présenté a la faculté des sciences économiques et sociales pour obtenir le grade de doctorat en sociologie, Bruges 1964.*
2. *Denglos, Guillaume, juin l'Africain: le "dernier maréchal d'empire" (1888-1967), thèse de doctorat de l'université de Paris1, 2014,*
3. *M'barek, Zaki, Le Maroc : De la Resistance à la Pénétration Pacifique Au Mouvement De la Libération National 1845 – 1958 , Université Aix-Marseille, Aix-Marseille, 1987.*

4. *Madani Mohamed, le mouvement national et la question constitutionnelle au Maroc (1930-1962), Faculté de sciences juridiques, économiques et sociales, Rabat, 1982.*
5. *Setta, El-houari, Mohamed Hassan Ouazzani (1910-1978), l'homme politique sa pensée et son action politique marocaine moderne, faculté de droit et de science politique d'Aix-Marseille III, institut d'études politiques d'Aix-en-Provence, 1995.*

6. المقالات والدراسات:

1. باللغة العربية:

1. البيضاء، جامع، دور الصحافة في النضال السياسي في الحركة الوطنية المغربية من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى نهاية الاستقلال في ندوة المقاومة المسلحة 1900-1934، الجذور و التجليات، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، أغادير 1991 .
2. بوشقي، بوعسرية ، المقاومة البدوية للاستعمار الفرنسي، نموذج قبائل جنوب مكناس 1911-1913، في ندوة المقاومة المسلحة 1900-1934، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير مراكش، نوفمبر 1990.
3. التسماني، عبد العزيز خلو، مساهمة طنجة في الحركة الوطنية (1930-1956) طنجة في التاريخ المعاصر، 1800-1956، الملتقى العلمي الأول لمدينة طنجة 20، 18 أكتوبر 1990، جامعة محمد الخامس، الرباط، جامعة عبد المالك السعدي، النشر العربي الإفريقي الرباط، 1991.
4. الحداوي، محمد ، الزيارة السلطانية إلى مدينة طنجة (أبريل 1947)، موسوعة الحركة الوطنية و المقاومة و جيش التحرير بالمغرب، المجلد الأول، منشورات عكاظ، الرباط ، 2005.
5. حسن، صفوان ناظم داود ، الحركة الوطنية المغربية والقضية الفلسطينية 1930-1948، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المجلد 05، العدد 16، أفريل 2013، جامعة تكريت ، العراق.
6. حسن، علي ، اليوسفية إيديولوجية الحركة القومية المغربية، في المقاومة المغربية ضد الإستعمار 1904-1955 ، الجذور والتجليات أعمال الندوة العلمية، 13-15 نوفمبر 1991، جامعة ابن زهر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، 1997.
7. الدفالي، محمد معروف، الماء في بعض محطات عمل الحركة الوطنية، في أعمال الندوة التي نظمتها شعبة التاريخ بكلية الآداب و العلوم الإنسانية، عين الشق، الدار البيضاء 10 و 11 و 12 ديسمبر 1996، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، الدار البيضاء، 1999 .

8. الدفالي، محمد معروف، برنامج الكفاح الوطني لحزب الشورى و الاستقلال بين سنوات 1947-1951، في ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار 1904-1955، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، 1997.
9. الدفالي، محمد معروف، حزب الشورى و الاستقلال من التأسيس إلى الإلتهيار 1946-1959 في مجلة "أمل"، العدد 11/10 السنة الرابعة 1997
10. الدفالي، محمد معروف، صدى الزيارة الملكية لطنجة، في "ندوة علمية حول زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف إلى طنجة أفريل 1947 السياق، الحدث الدلالات"، الذكرى الخمسون لزيارة الوحدة التاريخية إلى طنجة، أعمال الندوة العلمية المنعقدة يومي 07 و 08 أبريل 1997، نظمتها المندوبية السامية لقدماء المقاومين و أعضاء جيش التحرير، الرباط، أفريل 1997.
11. الدفالي، محمد، معروف، الحماية في خطاب محمد بن الحسن الوزاني، في مجلة هيسيريس تمودا، العدد 39، ج1، 2001.
12. الدفالي، معروف، زعماء الحركة الوطنية و الفكر الغربي حول استلهام محمد بن الحسن الوزاني للبرالية، في مجلة "بصمات"، العدد الخامس، 1994.
13. الرفاص، محمد عز الدين، ميناء طنجة في خضم الصراع الاستعماري (1850 - 1955)، في: طنجة في التاريخ المعاصر، 1800 - 1956، الملتقى العلمي الأول لمدينة طنجة، 18، 20 أكتوبر 1990، جامعة محمد الخامس، الرباط، جامعة عبد المالك السعدي، النشر العربي الإفريقي، الرباط، 1991.
14. الشاوش، محمد العربي، "الدولة العلوية المغربية النشأة و الاستقرار و الاستمرار"، دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد 273، جانفي/فيفري، 1989.
15. عياد، محمد، السلفية الوطنية، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير بالمغرب، ج1، الكفاح الوطني في مواجهة الاستعمار منشورات المندوبية السامية، لقدماء المقومين وأعضاء جيش التحرير، منشورات عكاظ، الرباط 2005.
16. الفاسي، علال، شكيب أرسلان، منشورات دعوة الحق، السنة 03، العدد 23، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، الرباط 1959.
17. كنيب، محمد، "نظام فيشي و فرنسا الحرة و الحركة الوطنية المغربية (1940-1944)، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط العدد 20، السنة 1995.
18. المساري، محمد العربي، خطاب الإصلاح، التباسات ومفارقات، جريدة الشرق الأوسط، العدد 8935، 16 ماي 2003.

19. الناصري، محمد مكي ،مساهمة طنجة في الحركة الوطنية ودورها الحاسم بعد الزيارة التاريخية، طنجة في التاريخ المعاصر، 1800- 1956، الملتقى العلمي الأول لمدينة طنجة، 18، 20 أكتوبر 1990، جامعة محمد الخامس، الرباط، جامعة عبد المالك السعدي، النشر العربي الإفريقي، الرباط، 1991.

2. باللغة الفرنسية:

1. *Georges, Hertz Walfram Naissance du Nationalisme Marocain, in "L'âge Nouveau", 06-06-1938*
2. *Julien, Charles-André, Abdelkrim Et la République du Rif, In Actes Du Colloque International D'études Historiques Et Sociologiques, janvier 1973, François Maspéro, Paris, 1976.*
3. *Kenbib ,Mohammed, DE Gaulle et les Nationalistes Marocains (1940-1946),in, DE Gaulle et le Maroc, sous la direction de Mustapha Sehim, édition Publisud ,paris,1990.*
4. *Laroui, Abdallah, Abdelkrim Et le Nationalisme Marocain jusqu'en 1947, In, Abdelkrim Et la République du Rif ,Actes Du Colloque International D'études Historiques Et Sociologiques, janvier 1973,François Maspéro, Paris, 1976.*
5. *Le Tourneau, Roger le nationalisme marocain, centre de hautes études d'administration musulmane, 01/12/1945.*
6. *Montagne, Robert , La crise nationaliste au Maroc, in ,"Politique étrangère", 2eme année n 06, décembre 1937.*
7. *Montagne, Robert, tendance du jeunes Maroc.C.H.E.A.N.,n34 .*
8. *TLILI, Bachir, Le Mouvement national marocain à La veille de la deuxième guerre mondial (1932-1937),in, ,les mouvements politiques et sociaux dans les années 1930,Acte du troisième séminaire sur l'histoire du mouvement national (17,18et 19 mai 1985*
9. *Tozy, Mohamed, Mohamed Hassan Ouazzani : liberté individuelle et pouvoir politique, In Penseurs maghrébins contemporains, Casablanca, Eddif, 1993.*

الإهداء.....

الشكر.....

المقدمة.....

المدخل : بين المقاومة الرسمية و المقاومة العسكرية :

روافد الحركة الوطنية المغربية 1907- 1930

1. الحركة الحفيظية 1908 – 1912 14
2. المقاومة المغربية المسلحة 1907 – 1930 49
1. احتلال مدينة وجدة 1907 و نهاية المقاومة الرسمية للمخزن المغربي 49
2. المقاومة المغربية في إقليم الشاوية في الوسط: 1907- 1912 54
3. المقاومة المغربية المسلحة في الجنوب 65
1. مقاومة الشيخ ماء العينين بن محمد 65
2. مقاومة الشيخ أحمد الهيبة 71
4. مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف 1921 – 1926 78
5. المقاومة المسلحة في وسط و شرق المغرب 96
6. الحركة الوطنية المغربية و المقاومة المسلحة 106

الفصل الأول

عوامل الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية

1. الحركة السلفية 112
2. دور جامعة القرويين 139
3. الحركة الصحفية الخطية 159
4. دور الأمير شكيب أرسلان 176
5. المؤثرات الشرقية (المشرقية) 201
6. المؤثرات الغربية (الفرنسية) 215

الفصل الثاني

الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية: مرجعية الإصلاح في سياق الوحدة

1930 - 1936

1. الظهير البربري 16 ماي 1930 233
2. التنظيم السري "الزاوية" و "الطائفة" 257
3. الحركة الوطنية المغربية الصحفية 1932-1934 276
1. مجلة "مغرب" *Maghreb* 1932 - 1934 276
2. جريدة "عمل الشعب" *L'action du peuple* 1933 - 1934 287
4. مطالب الشعب المغربي (كتلة العمل المغربية): 1934 - 1936 304
1. السياق التاريخي لتقديم المطالب 304
2. مضمون المطالب 311
3. مصير المطالب 316
4. مطالب الشعب المغربي و كتلة العمل المغربية 319

الفصل الثالث

الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية: مرجعية الإصلاح في سياق الانقسام

1937 - 1944

1. الحركة الوطنية المغربية و الجبهة الشعبية (المطالب المستعجلة) أكتوبر 1936 323
1. السياق التاريخي لـ "المطالب المستعجلة" 332
2. مضمون "المطالب المستعجلة" و موقف فرنسا منها 337
2. من كتلة العمل المغربية إلى الحزب الوطني لتحقيق المطالب 343
1. تأسيس الحزب الوطني 343
2. صحافة الحزب الوطني 350
3. هيكلية و مبادئ الحزب الوطني 354
4. الحزب الوطني و حوادث سنة 1937 364
- أحداث مكناس أوت 1937 365

369	• أحداث مراکش سبتمبر 1937
370	• أحداث الخميسات أكتوبر 1937
372	5. الميثاق الوطني 23 أكتوبر 1937
376	6. الحزب الوطني و الحرب العالمية الثانية
380	3. من كتلة العمل المغربية إلى الحركة القومية المغربية 1937
380	1. تأسيس الحركة القومية المغربية
387	2. برنامج و مبادئ الحركة القومية المغربية
394	3. صحافة الحركة القومية المغربية
394	• جريدة " عمل الشعب "
396	• جريدة " الدفاع "
401	4. الحركة القومية و حوادث سنة 1937
405	5. الحركة القومية و الحرب العالمية الثانية

الفصل الرابع

الحركة الوطنية المغربية في المنطقة السلطانية من الإصلاح إلى الاستقلال

1951 - 1944

412	1. المغرب و الحرب العالمية الثانية
412	1. موقف السلطان محمد بن يوسف من الحرب
415	2. موقف الوطنيين المغاربة من الحرب
419	3. الدعاية المحورية في المغرب
425	4. مشاركة المغاربة في الحرب
427	5. المغرب و الهيئة الفيشية
432	6. نزول الحلفاء في المغرب و أثره
438	7. مؤتمر " أنفا " جانفي 1943 و أثره على المغرب
446	2. انعكاسات الحرب العالمية الثانية على المغرب و المغاربة
446	1. آمال المغاربة في الحلفاء
448	2. الخلاف الأمريكي الفرنسي و أثره على المغرب

451	3. السلطان محمد بن يوسف محور الحركة الوطنية المغربية
456	4. الجنرال ديغول و المغرب
465	3. بيان الاستقلال 11 جانفي 1944 من الحزب الوطني إلى حزب الاستقلال
465	1. دور أحمد بلافريج
469	2. بيان الاستقلال 11 جانفي 1944
471	• مضمونه
475	• أطرافه
483	3. موقف فرنسا من بيان الاستقلال
494	4. ما بعد بيان الاستقلال لـ جانفي 1944 .
506	5. صحافة حزب الاستقلال

الفصل الخامس

"ميثاق الاستقلال القومي" : من الحركة القومية المغربية إلى حزب الشورى و الاستقلال

1951 - 1946

512	1. مناخ الإعلان عن ميثاق الاستقلال القومي
512	1. من الحركة القومية المغربية إلى حزب الشورى و الاستقلال
515	2. العوامل الداخلية للتحويل
533	3. العوامل الخارجية للتحويل
540	2. البرنامج الشوري : ميثاق الاستقلال القومي
549	3. التصورات السياسية الشورية
549	1. الدستور/ الشورى
553	2. الاستقلال
560	4. مذكرة 23 سبتمبر 1947
560	1. ظروفها العامة
567	2. اتصالات الشوريين مع الإقامة العامة :
570	3. مضمون مذكرة 23 سبتمبر 1947

575	4. موقف حزب الاستقلال من المذكرة
578	5. موقف السلطان محمد بن يوسف من المذكرة
581	6. الموقف الفرنسي من المذكرة
584	5. مبادئ حزب الشورى و الاستقلال و تنظيمه
594	6. الصحافة الشورية

الفصل السادس

الزيارة السلطانية لمدينة طنجة 09 افريل 1947 : خطاب وحدة المغرب "وطنية" و "أرضاً"

604	1. وضعية مدينة طنجة
604	1. نبذة تاريخية
605	2. النظام الدولي للمدينة
605	• تأسيسه و سيره
609	• عودة النظام الدولي لمدينة طنجة
612	2. ظروف الخطاب السلطاني في طنجة 10 أفريل 1947
613	1. السلطان محمد بن يوسف محور الحركة الوطنية المغربية
614	2. مشروع المقيم العام "إيريك لابون" جويلية 1946
617	3. حوادث الدار البيضاء 07 /04/ 1947
623	3. مشروع الزيارة السلطانية
623	1. المعارضة الفرنسية للزيارة
625	2. دور الحركة الوطنية الخليفية الشمالية
630	3. المعارضة الإسبانية للزيارة السلطانية
634	4. مضمون خطاب طنجة 10- 04- 1947
634	1. السلطان متوجها للمغاربة: "ما ضاع حق من ورائه طالب"
638	2. السلطان متوجها لباريس : لا لـ "لاتحاد الفرنسي "
642	3. السلطان متوجها للمشرق: "المغرب من الأمة العربية الإسلامية":
647	4. السلطان متوجها للخارج: "المغرب من المجتمع الدولي"

654	5. انعكاسات الخطاب السلطاني
655	1. صدى الخطاب في مدينة طنجة
660	2. صدى الخطاب لدى الحركة الوطنية المغربية
661	• صدى الخطاب لدى الحركة الوطنية الشمالية الخليفية
668	• صدى الخطاب لدى الحركة الوطنية الجنوبية السلطانية
682	3. انعكاسات الخطاب السلطاني على فرنسا
697	الخاتمة
703	الملاحق
755	البيليوغرافيا
778	الفهرس